

ستيفن بنكر

الصفحة البيضاء

الإنكار الحديث للطبيعة البشرية

نقله إلى العربية
محمد الجورا



ستيفن بنكر

الصفحة البيضاء

الإنكار الحديث للطبيعة البشرية

نقله إلى العربية : محمد الجورا

المحتويات

7	نبذة عن المؤلف
9	مقدمة
17	القسم الأول: الصفحة البيضاء، الهجعي التبيل والشبح في الآلة
21	الفصل الأول: النظرية الرسمية
31	الفصل الثاني: هجينة سفيلة
49	الفصل الثالث: نداعي الجدار الأخير
85	الفصل الرابع: زئبو الثلثة
103	الفصل الخامس: موقف الصفحة الأخير
141	القسم الثاني: خوف ونفور
143	الفصل السادس: علماء السياسة
163	الفصل السابع: الثلاث المقدس
181	القسم الثالث: طبيعة بشرية بوجه بشري
185	الفصل الثامن: الخوف من عدم المساواة
209	الفصل التاسع: الخوف من عدم إمكانية الكمال
227	الفصل العاشر: الخوف من الجبرية (الحتمية)
243	الفصل الحادي عشر: الخوف من الحمية
253	القسم الرابع: اعرف نفسك
255	الفصل الثاني عشر: على صلة بالواقع
283	الفصل الثالث عشر: من أصنافنا
311	الفصل الرابع عشر: الجنود المثيرة لمعالمنا
345	الفصل الخامس عشر: الحيوان المنطلق
359	القسم الخامس: أزرار سلطنة
361	الفصل السادس عشر: في السياسة

389	الفصل السابع عشر: الضفاد
427	الفصل الثامن عشر: الجنود - الجنوسة
473	الفصل التاسع عشر: الأبطال
509	الفصل العشرون: الفنون
535	القسم السادس: صوت النوع
553	المراجع

ثبته عن المؤلف

ستيفن بينيكر هو أستاذ علم النفس في جامعة هارفارد. نال بحثه في المعرفة البصرية وسيتكولوجيا اللغة عدة جوائز من الأكاديمية الوطنية للعلوم، ومن الرابطة الأمريكية لعلم النفس. كما نال أيضاً جوائز كثيرة على تدريسه في معهد التقانة في ماساتشوستس MIT وعلى كتابه: /كيف يعمل العقل/ (الذي نال أيضاً جائزة البيوليتزر) و/غريزة اللغة/. وانتخب زميلاً في هيئة الإشراف على معجم التراث الأمريكي/. كما أنه نشر مقالات في كل من المصحف التالية: /النيويورك تايمز، والتايم، والنيويورككر/ والجمهورية الجديدة، ومراجعات في /slate وتكنولوجيا ريفيو/.

نال بينيكر جائزة وليم جيمس عام 2004 على كتابه الصفحة البيضاء، كما نال جائزة الكتاب من إلهور ماسكوبي وكلاهما من رابطة علم النفس الأمريكية، بالإضافة إلى جائزة من دار النشر يوركتشاير بوست بوك.

مقدمة

ما من كتاب آخر يتناول الطبيعة والتربية كما يتناولها هذا الكتاب! هل هناك فعلاً أناس يعيشون بين ظهرانينا ما زالوا يعتقدون أن العقل هو صفحة بيضاء؟ أوليس جلياً لأي امرئ لديه أكثر من طفل، ولأي شخص على علاقة بالجنس الآخر، أو لأي امرئ قد لاحظ أن الأطفال يتعلمون لغة، بينما لا تتعلمها الحيوانات المنزلية، وأن الناس يولدون ولديهم مواهب وطبائع؟ ألم نعض جميعاً خارج الشائبة التبسيطية بين الوراثة والبيئة؟ لقد أدركنا أن كل سلوك ينبع من التفاعل بين الاثنين.

فكان هذا هو رد الفعل الذي تلقته من زملاء لي عندما شرحت مخططاتي لبنية هذا الكتاب. للوهلة الأولى، رد الفعل ليس غير معقول. فربما القول إن الطبيعة هي عكس التربية هي قضية مية. إن أي امرئ ملم بالكتابات الراهنة التي موضوعها العقل والسلوك قد رأى مزاعم تشكل منطقة وسطى مثل:

إننا نكاف القارئ مقتنعاً الآن أنه إما التفسير الوراثي أو البيئي قد حقق النصر بحيث استبعد الآخر، فإننا لم نقم بعمل جيد بما يكفي لتقديم هذا الجانب أو ذلك. يبدو أن من المحتمل جداً - بالنسبة لنا - أن كلا من المورثات والبيئة لهما علاقة بهذه القضية. فما قد يكون المزيج منهما؟ إننا لا أدريون حيال تلك المسألة، وطالما أن باستطاعتنا أن نقرر، فإن الدليل لا يبرر - حتى الآن - حكماً أصدره.

لن يكون هذا الكتاب واحداً من تلك الكتب التي تقول إن كل شيء هو وراثي، إنه ليس كذلك. فاهمية البيئة لا تقل عن أهمية المورثات، والأشياء التي يخرها الأطفال أثناء نموهم لها أهمية لا تقل عن أهمية الأشياء التي تولد معهم.

وحتى عندما يكون السلوك وراثياً، فإن سلوك الفرد ما يزال نتاج تطور، وبالتالي يتطوي على مكون بيئي سببي. فالفهم الحديث للمكبئية التي يتم فيها توريث السمات الشخصية عبر تكرار كل من الشروط الوراثية والبيئية يعني أن التراثات الثقافية والسلوكيات التي يولد فيها الأطفال آباءهم - من المحتمل أنها تلعب دوراً حاسماً.

جدلية، وفي الوقت ذاته، لم أوقفه كشيء يكون كتاباً تفسيريّاً آخر. إنني لا أبتسئ - كما يظن كثيرون - موقفاً تريبياً متطرفاً كنتفضي لموقف طبيعبي متطرف، بينما الحقيقة كماينة في مكان ما بين هذين الموقفين فشي بعض الحالات قد يكون التفسير البيئي المتطرف صحيحاً؛ فاللغة التي نتكلمها مثال واضح، والقوارق بين الأعراف والجماعات الإثنية - في العلاجات الاختبارية - مثال صحيح آخر. لكن في حالات أخرى، كما هي الحالة في بعض الاضطرابات العصبية الوراثية، فإن تفسيراً وراثياً متطرفاً هو صحيح أيضاً. لكن في أغلب الحالات، سوف يستحضر التفسير الصحيح لتفاعلاً معقداً بين الوراثة والبيئة: البيئة عامل حاسم، لكن لا يمكن للبيئة أن توجد من دون قدرات عقلية تسمح للبشر أن يخلقوا ويتعلموا ثقافة كشيء يبدؤوا بها. غايته في هذا الكتاب ليست أن أدافع عن أن الجينات هي كل شيء وأن التربية هي لا شيء.

إذا ما من أحد يعتقد ذلك، بل أن استكشف لماذا الموقف المتطرف (أن التربية هي كل شيء) الذي يعدّ في أغلب الأحيان معتدلاً، والموقف المعتدل يعد متطرفاً.

إلى جانب ذلك ينطوي التسليم أن الطبيعة البشرية تنطوي على مضامين سياسية لدرجة أن يخاف منها كثيرون. فعلى سبيل المثال، لا يتطلب الأمر من المرء أن يتغلب عن نصرة النساء ليقبل مستويات راهنة من عدم المساواة أو العنف، أو أن يتعامل مع النزعة الأخلاقية على أنها خيال. سأحاول ألا أناهض عن سياسات بعينها، أو أن أقدم جدول أعمال سياسياً سواء لليمين أم للييسار. إنني أعتقد أن النقاشات حول السياسة تنطوي على أوجه استفلال بين قيم متنافسة، وأن العلم لديه الوسيلة لتحديد أوجه الاستفلال، لكنه لا يملك الوسائل لحسمها. فالكثير من أوجه الاستفلال ينبع من سمات الطبيعة البشرية، ومن خلال إيضاحها، أأمل أن تقوم بصوغ خياراتنا الجمعية بشكل أفضل، مما تكون هذه الخيارات إذا ما كانت مدافعاً عن شيء، فإني منافع عن اكتشافات تعلق بالطبيعة البشرية التي تم تجاهلها أو كبتها أثناء النقاشات الحديثة للشؤون البشرية.

لماذا تصنيف هذا كله برتدي أهمية كبيرة؟ لأن رفض الإقرار بالطبيعة البشرية - مثل الإحراج الفيكتوري حيال قضية الجنس، بل أكثر سوءاً، إنه يشوه عملاً راسماً، وخطابنا العام، وحياتنا من يوم إلى آخر. فعلماء المنطق يخبوننا أن تلقياً لحداً يمكنه أن يفسد مجموعة معطيات، ويسمح للزيف أن يتسرب من خلالها.

فالاتفاق بأن الطبيعة البشرية غير موجودة، أمام الدليل العلمي، والإدراك السليم
يشيران إلى أنها موجودة فعلاً، هو تأثير مفسد.

ولاً: لقد شوه الاعتقاد بأن العقل هو صفحة بيضاء دراسة السكانات البشرية.
وبالتالي القرارات العامة والخاصة التي تسترشد (أو يتم توجيهها) بذلك البحث
هيايات كثيرة حول دور الوالدين - مثلاً - استمدت إلهامها من البحث الذي يحد
ترابطاً بين سلوك الوالدين وسلوك الأطفال. فالآباء المحبون لديهم أطفال والثون من
أنفسهم، والآباء المتسلطون (أي ليسوا متسامحين جداً، ولا ميالين لاستخدام التأديب.
لديهم أطفال ذوو سلوك حسن، والآباء الذين يتحدثون إلى أطفالهم لديهم أطفال ذوو
مهارات لغوية أفضل، وهلم جرا. فشكل امرئ يستتج أن لرعاية الأطفال بشكل
أفضل، يجب على الآباء أن يصكوتوا محبين، متسلطين، ومتحدثين، وإذا لم يصح
الأطفال جيدين، فلا بد أن الخطأ هو خطأ الوالدين لكن النتائج تقوم على الاعتقاد
أن الأطفال هم صفحات خالية بيضاء. تذكر أن الآباء يزودون أطفالهم بالمورثات، وليس
بيئة بيتية وحسب هذا الترابط بين الآباء والأطفال يمكنه أن يقول لنا أن الجينات التي
تجعل البالغين محبين، متسلطين ومتحدثين، هي التي تجعل أطفالهم والثين من
أنفسهم، وذوي سلوك حسن، وواضح فحتى إجراء الدراسات على الأطفال الثينين
(الذين يحملون على بيئتهم فقط، لا على جيناتهم من آباءهم)، فإن البيانات منسجمة
مع إمكانية أن الجينات تشكل الفارق كله، أي إمكانية أن التربية الأبوية تشكل
الفارق كله، أو أي شيء بين الحالتين مع ذلك، وبلا شكل مثال تقريبياً، فإن الموقف
المتطرف القائل إن الآباء هم شكل شيء هو الموقف الوحيد الذي يتنبأه الباحثون.

لم يضع المحرم المروم على الطبيعة البشرية خصائيات على عيون الباحثين.
لكنه حول شكل نقاش إلى مرحلة ينفي قمعها. ككتاب ككثيرون يشعرون بالباس من
رفض أي اقتراح يقول بالمتكون البشري القطري، لدرجة أنهم رموا بالمنطق والكمياء
خارج النافذة «بعض الفروق الأولية يناقض «الكل» و«المحتمل» يناقض ما هو
«الغالب»، وهو يناقض «بنيهي». لقد تمت المسخري منها بلهفة أثناء رسم الطبيعة
البشرية على أنها اعتقاد متطرف، وبالتالي يتم صرف القراء بعيداً عنه. ويتم استبدال
تحليل الأفكار بتشويهاات سياسية وتهجم شخصي. فهذا التسميم للجو النقاشية قد
تركزناه دون عدة بلا تحليل قضائيا ملحة حول الطبيعة البشرية على أنها اكتشافات
علمية جديدة تجعلها شديدة الذكاء.

لقد انتشر إنكار الطبيعة البشرية خارج المجال الأكاديمي، وأدى إلى قطعية بين الحياة الثقافية والإدراك السليم. خطرت لي ففكرة كتابة هذا الكتاب عندما بدأت بجمع مزامع معهشة من علماء ونشاد اجتماعيين حول إمكانية مطوابعية النفس البشرية: أي أن الصبية الصغار يتشاجرون ويتشاجعون لأنهم يتلقون تشجيعاً على القيام بذلك، وأن الأطفال يتخذون بالحلويات لأن والدهم يستخدمونها كمكافأة على أعمالهم الحسنة، وأن المراهقين يتلقون فكرة التافسة في الشكل، والوديل، والملابس من محلات ظاهرة ومن الجوائز الأكاديمية. وأن الرجال يمدون هدف الجنس هو رخصة الجماع بسبب الطريقة التي تم تشجيعهم فيها اجتماعياً. إن المشكلة هي ليست أن هذه المزامع منافية لطبيعة العقل وحسب، بل المكّاب لم يقرأوا أنهم كانوا يقولون أشياء يستدعيها الإدراك السليم إلى الساطة. هذه هي ذهنية عقيدة دينية، المعتقدات الخرافية فيها يتم التباهي بها ككوابيت على تقوى المرء. هذه الذهنية لا يمكنها أن تتعايش مع التقدير الحقيقية، وأعتقد أنها مسؤولة عن بعض الاتجاهات التنسدة في الحياة الثقافية المعاصرة. إحدى هذه التوجهات هي كراهية جلية وسط الدارسين تجاه مفاهيم الحقيقة والمنطق والدليل. والحقيقة واتجاه آخر هو انقسام ثقافي بين ما يقوله المثقفون علانية وبين ما يعتقدونه فعلاً. اتجاه ثالث هو رد الفعل الذي لا بد منه: ثقافة صدمة وغير صحيحة سياسياً، فرسان يبريدون في نزعة ثقافية معادية وتمصّب أعمى، مستمدون الشجاعة من معرفتهم أن المؤسسة الثقافية الرسمية قد صادرت مزامع الصدافية في عيون عامة الناس أخيراً. إن إنكار الطبيعة البشرية لم يفسد معالم النقاد والمثقفين وحسب، بل قد الحق الأذى بحياة الناس الفعلية. لقد سببت نظرية أن باستطاعة الوالدين أن يشكّلوا أطفالهم كما يشكّل الطين، ضرة لأنظمة تربية الأطفال على يد من هم ليسوا طبيعيين بل وقساء أحياناً.

لقد تم تشويه الخيارات التي تواجهها الأمهات بينما يحاولن إقامة توازن في حياتهن، وضاعفت غضب الآباء الذين لم يسمح أطفالهم كما كانوا يأملون. الاعتقاد أن المبول البشرية هي تفضيلات تربية قابلة للمعكس قد دفع واضعي الخطط الاجتماعية لأن يكتبوا عن متعة الناس بالزينة، وبالضوء الطبيعي، والتوازن البشري، ويجبر ملايين الناس على العيش في صناديق اسمنتية كثرية.

فالمفهوم الرومنسي أن كل شر هو نتاج المجتمع قد برر إطلاق أشخاص يعانون من الاختلال عقلي خطير، فقتلوا على الفور أناساً أبرياء، كما أن الاقتناع أن بالإمكان

إعادة تشكيل البشر من خلال مشاريع اجتماعية جماعية قد أدى إلى بعض ما يُعدُّ من
أخطر الشذات في التاريخ

معظم نقاشي سيكون تحليلياً بارداً . لدرجة أن إقراراً بالطبيعة البشرية لا ينص
- بشكك منطقي - النتائج السلبية التي يخشاها ناس كثيرون فكما أنني لن أخفي
اعتقادي بأنه ينطوي على دعة إيجابية أيضاً . فكما قال تشيخوف سيغدو الإنسان
أفضل عندما تربه حالته . فالعلوم الجديدة للطبيعة البشرية يمكنها أن تساعد في
تعميد الطريق إلى نزعاً إنسانية واقعية . وعلى معرفة بالعلوم البيولوجية . هذه الطر
تكشف عن الوحدة الفيزيولوجية لوعنا . الضامنة تحت الفوارق السطحية للمظهر
الفيزيائي والثقافة الضيقة . هذه العلوم تجعلنا نقدر تعقيد العقل البشري المثير للعجب .
هذا التعقيد الذي نأخذ بهديهياً تماماً لأنه يعمل بطريقة جيدة جداً . إنه يحدد المؤس
الأخلاقية التي يمكننا أن نوظفها في تحسين مصيرنا . إنها تمد بمعالجة علمية في
مجال العلاقات البشرية . ونشجعنا على أن نتعامل مع الناس من منظور كعيف بشعير
بدلاً من كعيف نقول نظرية ما أن عليهم أن يشعروا . إنها تقدم المحك الذي به نستطيع
أن نعرف المعاناة والظلم حيث يقمان . وأن نسقط القناع عن الصيغ العقلانية لدى من
هم في مراكز النفوذ . فالتحليلات تقدم لنا سبيلاً لأن نرى خلال تصاميم المصنع
الاجتماعيين الذين نصبوا أنفسهم كصحريين لنا من ملذاتنا .

إن مناقشة نزيهة للطبيعة البشرية لم تكن في أي وقت أكثر إلحاحاً أكثر من
هي الآن . إنها تجدد تقديرنا لإنجازات الديموقراطية وحكم القانون فكما أنها تميز
رؤى الفئتين والفلاسفة الذين فككروا ملهاً في الشرط الإنساني طوال آلاف السن
فخلال القرن العشرين . حاول مثقفون كثيرون إرساء مبادئ ما هو لائق على مزنة
حقيقية هشة مثل أنه لا يمكن التمييز بين الكائنات البشرية على أساس بيولوجي .
وأن البشر لا ينعمون بواقع وضيمة . وهم أحرار تماماً في قدرتهم على اتخاذ خياراته
هذه المزاعم قد وضعت - الآن - تحت المسائلة . وذلك من خلال الاكتشافات في الطر
العقلية والدماغ . والمورثات والتطور . ولم يعد هناك سوى إضلال مشروع الجين
البشري . بوعد الذي يحمله بفهم غير مسبوق للجذور الوراثية للعقل والمواطف . إنه
يعثل نداء إلى اليقظة والصحوة . فالتحدي العلمي الجديد لإتقان الطبيعة البشرية
يتربطنا مع تحد من نوع آخر . فإذا كان علينا أن نمحص هذه القيم مثل السن
والمساواة . أو عن التزاماتنا تجاه العلم والحقيقة . عندئذ يتوجب علينا أن نمحص هنا

القيم بعبارة عن مزاعم تكويناها النفسي. هذه المزاعم التي هي هشة لدرجة أن بالإمكان إثبات زيفها.

هذا الكتاب هو لأناس يتسامحون؛ من أين أتى التابو - المحرم - ضد الطبيعة، البشرية وللراغبين باستكشاف ما إذا التحديات للتأبؤ خطيرة حقاً أم أنها غير مألوفة فقط. الكتاب هو لمن يريد معرفة اللوحة التيشة نوعاً، ويودون معرفة الانتقادات المشروعة لتلك اللوحة. إنه لمن يشككون بأن التابو ضد الطبيعة البشرية قد تركنا نلهو دون سطح سفينة كعامل بينما نتناول القضايا الضاغطة التي تواجهنا. إنه لمن يمرضون إن علوم العقل والدماع والوراثات والتطور تغير - على الدوام - نظرتنا إلى أنفسنا، وتتسائل ما إذا كانت القيم التي تمدعها شهنة سوف تؤول، أو تبقى حية، أم ينبغي تدميرها.

القسم الأول

الصفحة البيضاء، الهجي النبيل والشبح في الآلة

شكل اسرئ لديه نظرية حول الطبيعة البشرية، وينبني عليه أن يتوقع سلوك الآخرين، وهذا يعني أننا جميعاً بحاجة إلى نظريات حول ما الذي يجعل الناس يوافقون على صحتها، هناك نظرية ضمنية للطبيعة البشرية؛ إن السلوك تسببه الأفضكار والمشاعر، وهي مترسخة في الطريقة ذاتها التي نفكر بها فيما يتعلق بالناس. إننا نضخم هذه النظرية من خلال الاستبطان في أذهاننا نحن، وبالفترض أن زملائنا هم مثنا، ومن خلال مشاهدة سلوك الناس وإصدار تعميمات. إننا نستوعب افكاراً أخرى من مناخنا الثقافي من خبرة السفطات والحكمة التقليدية الراهنة.

إن نظريتنا عن الطبيعة البشرية أنها هي المصدر لكثير مما هو في حياتنا. إننا نستشيرها عندما نريد أن نقتنع أو نهدد، أن نعرف أو نفش، إنها تتصحننا حول كيفية العناية بزواجنا، وكيف نربي أطفالنا، ونتحكم بسلوكنا، وافتراضاتها حول التعلم تسهر سياساتنا التربوية، وافتراضاتها حول التحفيز لتسير سياساتنا في الاقتصاد والفاون والجريمة. إنها ترسم ما يستطيع الناس تحقيقه بيسر، وما يستطيعون إنجازه بالترضحية أو الألم فقط، وما لا يمكنهم أن ينجزوه إطلاقاً. إنها تؤثر على قيمنا، فيما يمكننا أن نسمى محقين لإنجازه كأفراد وكمجتمع. النظريات المناقصة حول الطبيعة البشرية مندمجة في سبل شتى من سبل الحياة، وفي نظم سياسية مختلفة، وهي ما تزال مصدرراً لصراع كثير عبر مسار التاريخ.

النظريات الرئيمة للطبيعة البشرية مصدرها هو الدين منذ آلاف السنين. فالنترات اليهودي - المسيحي - على سبيل المثال - يقدم تفسيرات لمعلم مادة الموضوع الذي يدرس علم الحياة وعلم النفس. فالناس يخلقون على صورة الله، دون رابطة بالحيوانات (2) والنساء مخلوقات من الرجال، وقدرهن أن يحكمهن الرجال (3). العقل جوهر غير مادي؛ يمتلك قدرات لا يمتلكها أي تركيب فيزيائي محض، وباستطاعته أن يستمد في وجوده عندما يموت الجسم (4). العقل مكوّن من مكونات عديدة تشمل حسد

أخلاقياً، ومقدرة على الحب، وقدرة على المحاسنة ليميز ما إذا كان عمل يلتزم بالمثل العليا للخير، ومقدرة على اتخاذ القرارات التي تختار الكيفية التي يتم السلوك بموجبها. فعلى الرغم من أن القدرة على اتخاذ القرار ليست محكومة بقوانين السبب والنتيجة، فإن لها ميلاً فطرياً لاختيار الخطيئة. فقدرتنا المعرفية والتصورية تعملان بشكل دقيق، لأن الله غرس فيهما مثلاً علياً مقابلته للواقع، ولأنه هو الذي ينسق قيامها بوظائفها مع العالم الخارجي. فالصحة العقلية تأتي من إدراك غاية الله، واختيار الخير والتوبة عن الخطيئة، ومحبة الله ومحبة الإنسان لأخوته البشر إكراماً لله.

النظرية اليهودية - المسيحية مرتكزة على أحداث ثم سردتها في الكتاب المقدس إننا نعرف أن العقل البشري لا علاقة مشتركة بينه وبين عقول الحيوانات، لأن الكتاب المقدس يقول إن البشر قد تم خلقهم بشكل منفصل. فكما نعلم أن تصميم السماء مبني على تصميم الرجال، ففي القسم الثاني من قصة الخلق تمت قبولية حواء من ضلع آدم فالقرارات البشرية لا يمكن أن تكون النتائج الحتمية لأسباب ما لأن الله عدّ آدم وحواء مسؤولين عن أخطاهما من شجرة المعرفة. مما يعني أنه كان بإمكانهما اختيار سبيل آخر. فالنساء محكومات من قبل الرجال كعقارب على معصية حواء، كما أن الرجال والنساء يتوارثون خطيئة الزوج الأول.

إن التصور اليهودي - المسيحي ما يزال هو الأكثر شعبية للطبيعة البشرية في الولايات المتحدة. فوفقاً لاستفتاءات حديثة يؤمن 776 من الأمريكيين بمرضى عملية الخلق كما جاءت في العهد القديم، ويؤمن 79 أن المعجزات في الكتاب المقدس قد حدثت فعلاً. ويؤمن 76 بوجود ملائكة، ووجود الشيطان، والأرواح غير المادية الأخرى. كما يعتقد 67 أنهم سوف يوجدون في شكل ما بعد موتهم؛ بينما يعتقد 15 فقط أن نظرية داروين في النشوء والارتقاء هي التفسير الأفضل لأصل الحياة البشرية على الأرض (5). فالسياسيون اليمينيون يتبنون النظرية الدينية علناً، وما من تيار رئيس من السياسيين يجرؤ على مناقضة قصة الخلق علانية. لكن العلوم الحديثة في علم نشأة الكون، والجيولوجيا، وعلم الحياة، وعلم الآثار، قد جعل من المحال - بالنسبة لشخص ملم علمياً - أن يؤمن أن قصة الخلق التوراتية قد حدثت فعلاً. وكنتيجة لذلك، لم تعد النظرية اليهودية - المسيحية للطبيعة البشرية تلقى تأييداً وسط معظم الأكاديميين ورجال الصحافة، والمحللين الاجتماعيين، والناس الذين لديهم اهتمامات ثقافية.

مع ذلك، يجب أن يعمل شكل مجتمع وفقاً لنظرية في الطبيعة البشرية، وثنائها الرئيسي الثقافي مشتمل بنظرية أخرى، ونادراً ما يتم الإفصاح عنها أو ثنيها على المكشوف. لقد قال برتراند راسل: شكل إنسان موجه - حيثما يمضي - بسحابة فتاعات مريحة تتحرك معه متكماً يطير الذباب في يوم صيفي. الكثير من تلك الفتاعات - بالنسبة للمثقفين اليوم - حول السيكولوجيا والملاقات الاجتماعية. فساسمي تلك الفتاعات باسم الصفحة البيضاء: أي أن العقل البشري ليس له بنية فطرية، وبالإمكان ثنيها حسب الطلب، سواء من قبل المجتمع أم من قبلنا.

نظرية الطبيعة البشرية - التي تكاد تكون غير موجودة - هي موضوع هذا الكتاب. فكما أن الأديان فيها نظرية في الطبيعة البشرية، كذلك فإن نظرية الطبيعة البشرية تتولى القيام ببعض وظائف الدين، وأصبحت الصفحة البيضاء الدين العلماني للحياة الثقافية المعاصرة، ويُنظر إليها كمنصدر للقيم وبالتالي فإن حقيقة أنها قائمة على معجزة عقل مركب بنشأ من لا شيء، لا يمكن ثنيها في مواجهتها. التحديات لهذا الاعتقاد من قبل المشككين والعلماء قد أوقع بعض المؤمنين في محنة إيمانية، ودفعت آخرين إلى شن هجومات مريرة توجه عادة إلى الهراطقة والكفار. فكما أن العديد من التراثات الدينية قد تصالحت أخيراً مع تهديدات ظاهرية من العلم (مثلما حدث مع ثورتي كوبرنيكوس وداروين) كذلك أقول عن قيمنا سوف تنجو من زوال الصفحة البيضاء.

التفصيل في الجزء الأول من الكتاب تتناول ظهور الصفحة البيضاء في الحياة الفكرية المعاصرة، وحول النظرة الجديدة للطبيعة البشرية، والثقافة التي قد بدأت بتحديها. وفي الأجزاء التالية سوف نرى التعلق الذي أثاره هذا التحدي (الجزء الثاني)، وفي الجزء الثالث، نرى كيف أن بالإمكان تلطيف هذا التعلق، أما في الجزء الرابع، فسأبين كيف أن تصوراً للطبيعة البشرية أكثر غنى، بإمكانه أن يقدم رؤية داخل اللغة والفكر والحياة الاجتماعية والأخلاق وكيف أن هذا التصور يستطيع أن يجلو النقاشات في علم السياسة، والعنف، والجنس، وتربية الأطفال، والفنون. أخيراً سأبين كيف أن زوال الصفحة البيضاء أقل إزعاجاً، وفي بعض الأشكال أقل ثورية مما يبدو أنه كذلك للوهلة الأولى، وهذا هو موضوع الجزء السادس.

الفصل الأول

النظرية الرسمية

إن عبارة "صفحة بيضاء" هي ترجمة فضفاضة للعبارة اللاتينية القروسطية "tabula rasa" التي تعني - حرفياً "لوح مكشوط"، وتنسب إلى الفيلسوف جون لوك (1632 - 1704) على الرغم من أنه استخدم استعارة مختلفة. ونورد هنا القطعة الشهيرة من /مقالة حول الفهم البشري/:

دعنا نفترض أن العقل - كما نقول - هو ورقة بيضاء خالية من جميع الحروف، ودون أي أفكار. والسؤال هو وكيف تم ملؤها؟ وكيف أنها لَمُلأَ بذلك المخزون الهائل الذي رسمته الخيلة المزدهرة واللامحدودة لدى الإنسان، ويتنوع يكاد يكون غير محدود أيضاً؟ فمن أين للعقل ككل تلك المواد العقلية والمعرفية؟ إنني أجب عن هذا السؤال بكلمة واحدة من التجربة (1).

كان لوك يسمي إلى نظريات ذات أفكار فطرية، بناء عليها، يعتقد أن الناس يولدون ومعهم مثل عليا رياضية، وحقائق خالدة، وفكرة عن الله. وكان المراد من نظريته البديلة الإمبريقية أن تكون نظرية لعلم النفس، وكيف يعمل العقل، وكيفية معرفية، وكيف نتوصل إلى معرفة الحقيقة. كلا الغايتين ساعدتا في تحفيز فلسفته السياسية التي تمجد غالباً على أنها الأساس للديموقراطية الليبرالية. لقد عارض لوك التبريرات الدوغمائية للواقع السياسي الراهن، مثل سلطة الكنيسة وحق الملوك الإلهي التي كانت تمد كحقائق جلية بذاتها. لقد دافع عن أن التراثية الاجتماعية ينبغي ألا يكون تمليلها من خلال الطعن فيها، وينبغي الموافقة عليها من خلال موافقة متبادلة قائمة على معرفة أن أي شخص يمكنه أن ينالها. فيما أن الأفعال موجودة في التجربة التي تتفاوت من شخص إلى آخر. فقد تنشأ اختلافات في الرأي ليس لأن عقلاً ما مزود بمدة لفهم الحقيقة، وعقل آخر قاصر عن ذلك، بل لأن كلا العقليين لهما تاريخان مختلفان، وبالتالي ينبغي أن يتم التساهل مع تلك القوارق بدلاً من كبتها. إن مفهوم

لوك عن الصفحة البيضاء قد نسف أيضاً الملكية الوراثية والأرستقراطية، والأفرادها لا يمكنهم أن يزعموا بامتلاك حكمتهم أو مزية فطرية، إذا ما بدأت عقولهم بيضاء، خالية مثل عقل شكل فرد آخر. يضاف إلى ذلك أنها سكانت ضد مؤسسة العبودية، لأنه لم يعد بالإمكان اعتبار العبيد أدنى أو تابعين فطرياً.

خلال القرن الماضي، لقد وضع معتقد الصفحة البيضاء الأجنحة لكثير من العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، فكما سوف نرى، سعى علم النفس إلى تفسير كل من التفكير، والشعور، والسلوك بالبيات تعلم بسيطة قليلة. فكما سعت العلوم الاجتماعية لشرح جميع العادات والتراتب الاجتماعي كنتاج لجعل الأطفال أفراداً في المجتمع من قبل الثقافة المحيطة بهم:

نظام من كلمات، وصور، وأنماط متكررة، ونماذج متبادلة، واحتمالات الثواب والعقاب، قائمة طويلة متزايدة من المفاهيم التي تبدو طبيعية لطريقة التفكير البشري (العواطف، القرابة، الجنسين، المرض، الطبيعة، والعالم) التي يقال عنها الآن أنها قد تم اختراعها أو تم بناؤها اجتماعياً. (2).

لقد استخدمت الصفحة البيضاء أيضاً ككتاب مقدس يدعم المعتقدات السياسية والأخلاقية، فوفقاً لهذا الاعتقاد أي فروقات تراها بين الأعراق والجماعات الأثنية، والجنسين، والأفراد، لا تنشأ من فروقات في مكوناتهم الفطرية، بل من فروقات تجاربهم، ويمكنك أن تغير الشخص عبر إصلاح التربية الأبوية، والتعليم، ووسائل الإعلام، والمكافآت، والإنجاز المتخلف، والفقر، والسلوك المناهض للمجتمع، بالإمكان تحسينها فعلاً، وعدم القيام بذلك هو عدم مسؤولية. إن التمييز على أساس سمات فطرية قسدية لجنس، أو جماعة أثنية هو أمر غير عقلاني بكل بساطة.

غالباً ما يرافق الصفحة البيضاء معتقدان ككادا أن يبلغا مكانة مقدسة في الحياة الثقافية المعاصرة. عادة ما ينسب الأول إلى الفيلسوف جان جاك روسو (1712 - 1778) مع أنه في حقيقة الأمر، يأتي من قصيدة للشاعر جون درايدن بعنوان (فتح غرناطة) المنشورة في عام 1670:

إنني حر كما خلقت الطبيعة الإنسان أول مرة،

قبل بدء قوانين العبودية.

عندما كان الهجمي التبول يركض في غابات البرية.

فكثرة الهجسي التنبيل مستوحاة من اكتشاف المستعمرين الأوروبيين لشعوب
قطرية في الأمريكتين وفي أفريقيا ولا حفاً في أوقيانا. إنها تبنى الاعتقاد بأن البشر في
جائهم الطبيعية هم لا ذات لديهم، مسالون، ولا يعانون من الاضطراب، والبلوى مثل
الجنس، والقلق والعنف التي هي نتاجات الحضارة. ففي عام 1755 مكتب روسو:

لقد استنتج مؤلفون كثيرون جداً أن الإنسان قانس بشكل طبيعي، وبحاجة إلى
نظام دائم من الشرطة لإصلاحه، بينما ما من شيء أكثر لطقاً منه في حالته البدائية
عندما وضعت الطبيعة على مسافة متساوية من غباء البهائم والإحساس الجيد المهلك
لدى الإنسان المتعدن.

طبعاً فكرنا في هذه الحالة غدونا أكثر اقتناعاً بأنها كانت الموضوع الأقل من
أي موضوعات أخرى في أي ثورات، الأفضل بالنسبة للإنسان، وأن لا شيء سكان
بإمكانه سحبه منها عدا مصارفة قاتلة سكان ينلغي إلا تحدث أبداً من أجل الصالح
العام فالهجم الذين وجد معظمهم على هذه الحالة يبدو أنها تؤكد أن الجنس البشري
قد شكّل لكي يبقى فيها إلى الأبد، وأن هذه حالة الشباب الحقيقية في العالم، وأن
جميع التحسينات التالية كانت خطوات كثيرة في الظهور باتجاه طعمال الأفراد،
لكن حقيقة الأمر، باتجاه سقوط الأجناس(3).

من بين المؤلفين الذين كان روسو يتحدث عنهم هو توماس هوبس 1588 - 1679
الذي قدم صورة شديدة الاختلاف:

من الواضح أنه خلال مراحل الزمن التي يعيش فيها البشر دون قدرة مشتركة
لإيقامهم جميعاً في حالة الرهبة، في تلك الحالة تسمى الحرب، وحرب كهذه هي حرب
كل إنسان ضد كل إنسان، في حالة كهذه ليس هناك مكان للصناعة، لأن الثروة
المرجوة هي مؤكدة؛ وبالتالي لا حرارة للأرض، لا ملاحا، ولا استخدام للسلع التي
بالإمكان استيرادها بحراً، ولا أبنية واسعة، ولا أدوات انتقال وتقل لهذه الأشياء يتطلب
قدرة كبيرة لا معرفة لسطح الأرض، ولا حساب للزمن، ولا فنون، ولا آداب، لا
مجتمع، وأسوأ ما في الأمر خوف مستمر، خطر الموت عنيف وعيش الإنسان وحيداً
قليراً، شقياً، قاسياً وقصيراً(4).

اعتقد هوبس أن بإمكان الناس النجاة من هذا الوجود الجهنمي عن طريق تسليم
استقلالهم الذاتي إلى شخص، ملك أو مجلس أسماء لويالان - كلمة عبرية تعني مخلوقاً
بحرياً عملاقاً هزمه يهوه عند فجر عملية الخلق.

يتربص الكثير على صوابية أي من هذين العاملين الاسترولوجيين. فإذا كان الناس همجيين نبلاء فإن وجود لويثان مستبد ليس ضرورياً. فمن طريق إرغام الناس على التخلي عن الملكية الخاصة لصالح الدولة التي ترى أنه ربما كان بالإمكان تقاسم الملكية، فإن لويثان يخلق الجشع نفسه وحب القتال المخطط له لكي يسطر. والمتبع السعيد سيكون حفناً الولادي، ككل ما نحتاج القيام به هو إلغاء العوائق المؤسساتية التي تمنع عنا هذا الحق بالمقابل. إذا كان جميع الناس أشراراً بطبيعتهم، فإن أفضل ما نأمله هو هدنة ففظة تفرضها الشرطة والجيش تطوي كلنا النظريتين على مضامين من أجل الحياة الخاصة أيضاً. ككل طفل هو همجي مولود (أي غير متدرب)، بالتالي إن لم يكن الهمج لطفاء بشكل طبيعي فإن تربية الأطفال هي مسألة تزويد الأطفال بالفرص لتطوير قدراتهم الكامنة، وأن الأشرار هم نتاجات مجتمع قد أفسدهم. إذا كان الهمج أشراراً بطبيعتهم إذن تنشئة الأطفال هي حلبة صراع للتأديب والتزاع، يظهر فيه الأشرار جانباً مظلماً قد تم تدجينه لكن ليس بشكل كامل.

مؤلفات الفلاسفة هي دائماً أكثر تعقيداً من النظريات التي توصلوا إلى صياغتها في متون المكتبة فهي واقع الأمر آراء هوبس وروسو ليست متباعدة كثيراً. فروسو - مثل هوبس - اعتقد (خطأ) أن الهمج سكانوا وحيدون دون رابطة محبة أو ولاء، ودون أي حرفة أو فن (ربما ذهب أبعد من هوبس في الزعم أنهم لم يكن لديهم لغة حتى). فهي حقيقة الأمر استمد تصور هوبس لويثان كتجسيد للإرادة الجمعية، التي تجلت خلال نوع من عقد اجتماعي أبرز أعمال روسو هو /العقد الاجتماعي/ الذي يدعو الناس فيه إلى أن يضعوا مصالحهم في مرتبة ثانية للإرادة العامة.

مع ذلك قدم هوبس وروسو صوراً متناقضة لحالة الطبيعة التي ألهمت المفكرين عبر القرون. لا يمكن لأحد إلا أن يرى تأثير الاعتقاد بالهمجي النبيل في الوعي المعاصر. فنحن نراه في الاحترام التراهن لجميع الأشياء الطبيعية (أطعمة طبيعية، أدوية طبيعية، أو ولادة طبيعية)، وبعدم الثقة بالأشياء المصنعة من قبل الإنسان، وفي أساليب سلطوية في تربية الأطفال، والتربية، وكذلك فهم المشكلات الاجتماعية على أنها عيوب قابلة للإصلاح في مؤسساتنا، بدلاً من عدّها مآسي موروثة في الشرط البشري.

المعتقد المقدس الآخر الذي -غالباً- ما يرافق الصفحة البيضاء، يُنسب إلى العالم والرياضي، والفيلسوف رينيه ديكارت 1596 - 1650. هناك هارق كبير بين العقل والجسد. فطالما الجسد بحكم الطبيعة قابل للقسمة، والعقل ليس قابلاً للقسمة أبداً. - عندما أتأمل العقل بنفسه، طالما أنا فقط ككائن مفكّر. لا أستطيع أن أميز في نفسي أي أجزاء. بل أفهم ذاتي أنها واحدة وكتلية. فعلى الرغم من أن العقل كله يبدو موحداً مع شكل الجسد، إذا ما فصل قدم، أو ذراع، أو جزء آخر عن الجسم فلنني مدرك أن لا شيء قد جرى اقتطاعه من عقلي. وقدرات الإرادة والشعور والإدراك الخ. لا يمكن أن تتكون إلا أجزاء العقل لأنها واحدة، والعقل ذاته الذي يستخدم ذاته في الإرادة وفي الشعور، وفي الفهم. لكن الحالة مختلفة مع الأشياء المادية، لأنه ليس هناك واحد منها يمكنني تخيله، لا يستطيع عقلي أن يقسمه بشكل سهولة إلى أجزاء.. هذا كصافٍ لكسي يلمسني أن عقل وروح الإنسان مختلفان كلياً عن الجسد، إذ لم يتم إخباري به مسبقاً، بناءً على أسباب أخرى (5).

هناك اسم باقي في التذكارة مؤيد لهذا الاعتقاد، إنه الفيلسوف جيلبرت راييل Ryle (1900 - 1976) بعد ثلاثة هرون تالية:

هناك اعتقاد حول طبيعة ومكان العقول، وهو سائد جداً بين المنظرين، وبين الناس العاديين حتى. لدرجة أنه يستحق أن يوصف بالنظرية الرسمية. الاعتقاد الرسمي الذي يهلل له ديكارت هو شيء مثل هذا، مع الاستثناء الرئيسي للحمقى والأطفال الرضع، فكل كائن بشري لديه جسد وعقل يفضل البعض أن يقول أن شكل كائن بشري هو في الآن ذاته جسد وعقل، متلازمان سوياً، لكن بعد موت الجسد قد يستمر عقله في الوجود والعمل. فاجساد البشر هي في المكان، وهي خاضعة لقوانين ميكانيكية التي تُسيّر جميع الأجسام الأخرى في المكان.. لكن العقول ليست في مكان، وعملاتها ليست خاضعة لقوانين ميكانيكية.

هذه هي النظرية الرسمية، بإيجاز، وسوف أتحدث عنها باستغفاف متعمد على أنها «عقيدة الشبح في الآلة» (6).

الشبح في الآلة - مثل الهجي التبييل - نشأت - من ناحية - كتردة فعل على هوبس الذي قال إن الحياة والعقل بالإمكان تفسيرهما في كلمات ميكانيكية. فالضوء ينعكس أعصابنا وأدمغتنا في حالة حركة، وذلك هو معنى أن نرى الحركات قد نستمر

الاختيار ثاني أيضاً المسؤولية التي تسمح لنا أن نعد الناس مسؤولين عن أفعالهم لكن إذا كان العقل منفصلاً عن الجسد ، فإن بإمكانه أن يبقى موجوداً عندما ينهار الجسد ، ولن يتم ازدياد أفكارنا وسرعاتنا ذات يوم.

فكما ذكرت من قبل ، يعتقد معظم الأمريكيين بروح خالدة ، مخلوقة من جوهر غير مادي ، وباستطاعتها أن تتفرق عن مرافقتها للجسد. حتى الذين لا يعتقدون ذلك ما زالوا يتخلون أن - بطريقة ما - لا بد أن يكون هناك المزيد - لنا - أكثر من النشاط الكهربائي والكيميائي في الدماغ الاختيار والكرامة والمسؤولية هي نعم تتصلل البطائيات البشرية عن شكل شيء آخر في الكون ، وتبدو أنها غير متسقة مع فكرة أننا مجرد مجموعات من جزئيات. محاولات تفسير السلوك في كلمات ميكانيكية الزرعة التي تم شجبتها على أنها تقليل "من شأن الإنسان أو "حتمية". لا يحكم الشاجيون يعرفون تماماً ما الذي تعنيه تلك الكلمات. لكن يعرف كل واحد منهم أنها تشير إلى شيء ما. تتخلل شائبة العقل والجسد في شايها الخطاب في الحياة اليومية ، "أستخدم رأسك" عندما نشير إلى ما هو "خبرات خارج الجسد" ، وكذلك عندما نتكلم عن "جسد جون" أو عن تلك المسألة في "دماغ جون" التي نفترض مسبقاً مالمصفا هو جون الذي هو منفصل - بطريقة ما - عن الدماغ الذي يملكه ويتحدث الصحفيون عن عمليات "زرع الدماغ" التي يجب أن يسموها "عمليات زرع أعضاء" لأنه كلما نؤء الفيلسوف دان ديليت ، عملية الزرع هذه من الأفضل أن يكون المرء المتبرع بدلا من المتلقي.

الاعتقاد بالصفحة البيضاء ، والهجي النبيل ، والشبح في الآلة - أو كما يسميه الفلاسفة زرعة إمبريقية ، زرعة رومانسية وثالثية - هي مستقلة منطقياً ، لكنها في الممارسة غالباً ما توجد معاً. إذا كانت الصفحة بيضاء فإنها لا تملك أوامر للقيام بما هو خير ، ولا أوامر لتقوم بما هو شر. لكن الخير والشر متافضان. هناك المزيد من الأساليب لإيذاء الناس أكثر من مساعدتهم ، والأفعال الضارة تؤذيهم بدرجة أكبر من أن تجعل أفعال الخير أفضل حالاً. لذلك فإن صفحة بيضاء ، بالمقارنة مع صفحة مليئة بالدوافع ، لا بد أن تؤثر فيها أكثر من خلال قدرتها على إشباع الأذى ، أكثر من عدم قدرتها على القيام بفعل الخير. لم يكن روسو يعتقد بوجود صفحة بيضاء ، لكنه كان يعتقد فعلاً أن السلوك السيئ هو نتاج التعلم والتربية الاجتماعية (9) لقد كتب الناس أشرار ، تجربة حزينة ودائمة تجعل البرهان غير ضروري. (10) لكن هذا الشر يأتي من المجتمع ، لا يوجد في قلب الإنسان شر متأصل. ليست هناك رذيلة واحدة في

قلب الإنسان لا يمكن القول فكيف دخلت إليه ، ومتى⁽¹¹⁾ . فإذا كانت التعبيرات الرمزية في الخطاب اليومي دليلاً ، إذا فنحن جميعاً مثل روسو نربط البياض بالفضيلة بدلا من ربطه باللاشيئية. تأمل المضامين الأخلاقية للصفات التالية: نظيف ، عادل ، نقي كبياض اللبك ، نقي ، دون بقع ، غير موسوم ، وغير ملطخ . وبالأسماء الآتية: بقعة ، علامة ، دنس ، وعفن .

الصفحة البيضاء توجد - بشكل طبيعي - مع الشبح في الآلة جنياً إلى جنب . طالما أن صفحة بيضاء هي مكان مضاف للشبح كفي بقشاء . فإن يوجد شبح في أماكن التحكم ، فإن المستع يمكنه أن يشحن الوسيلة بالحد الأدنى من الأجزاء . فالشبح يستطيع أن يقرأ لوحات عرض الجسد ويشد مفاعيله دونما حاجة إلى برنامج تنفيذي فائق الثقافة ، أو نظام إرشادي ، أو وحدة معالجة مركزية . فكلما قلَّ عدم وجود سلوك متحكم كلما قلت حاجتنا لوضع آلية عمل الساعة . فالشبح في الآلة يرافق - سعيداً - الهجي النبيل ، لأسباب مماثلة . فإن تعمل الآلة بخسة ، يمكننا أن نلوم الشبح الذي اختار - وبشكل حرة - تنفيذ الأعمال الخاطئة ، وليست هناك حاجة للبحث عن خلل في تصميم الآلة .



في أيامنا هذه ، لا تحظى الفلسفة باحترام . ويستخدم علماء كثيرون الكلمة كمرادف للتكبير عقيم . فعندما أخبر زميلي تيد بلوك أباه أنه سوف يتخصص في الفلسفة كانت إجابة والده "Luff" كلمة يديشية تعني "هراء" . أما المرحة الكبير فكانت عندما أخبر الشاب فيها والدته أنه سيصبح دكتوراً في الفلسفة ، فقالت رُلع! لكن أي نوع من المرض هي الفلسفة؟⁹

لكن بعيداً عن كون الفلسفة غير فعالة أو اثيرية ، فإن أفكار الفلاسفة تطورت على مدى مرتجع عبر قرون . فالصفحة البيضاء ومعتقداتها المرافقة قد تسربت إلى الحكمة التقليدية لحضاراتنا ، وفي مرات كثيرة طفت في أماكن غير متوقعة . ولهم غودوين (1756 - 1835) واحد من مؤسسي الفلسفة السياسية الليبرالية كتب قائلاً: الأطفال هم نوع من مادة خام موضوعة بين أيدينا . عقولهم مثل صفحة بيضاء من الورق⁽¹²⁾ . ونجد ماوتسي تونغ يبرر هندسته الاجتماعية الراديكالية بالقول " علم صفحة بيضاء تكتب أجمل القصائد"⁽¹³⁾ . وهذا التشبيه قد ألهم ولت ديكنز " أنظر إلى

عقل الطفل كمصفحات بيضاء. وخلال السنوات الأولى من حياته سيكتب الكثير على الصفحات، ونوعية تلك الصفحات سوف تؤثر على حياته تأثيراً عميقاً (14).

لم يكن بوسع لوك أن يتصور أن كلماته سوف تقضي ذات يوم إلى بايبي Bamby - التي أرادها ديزني لتعليم الاعتماد على الذات. وكذلك لم يستشرف روسو منظر - الهجسي التبول النهائي. فعلاً تبدو روح روسو وقد اخترقتها أقتية كتاب دعاء لشكر معاصر مقتطفة من صحيفة بوسطن غلوب:

"تأسلم أن العالم الذي عرفه الأمريكيون الأصليون كان أكثر استقراراً، وسعادة، وأقل بربرية من مجتمع أماننا هذم... لم تكن فيه مشكلات بطالة، وكان الانسجام الاجتماعي فيه قوياً، وإساءة استخدام المادة لم تكن معروفة، والجريمة بالكاد كانت معروفة. وما كان حرباً بين القبائل كانت - إلا معظمها طقوسية، وقلم نتج عنها تمييز عنصري أو مجزأة جماعية. فعندما كانت تحل أوقات عصبية، كانت الحياة للأغلبية مستقرة ويمكن التنبؤ بها... لأن الناس الأصليين كانوا يحترمون ما كان موجوداً حولهم، فلم يكن هناك هدر للماء أو موارد الطعام بسبب التلوث أو الانقراض، ولم يكن هناك نقص في الموارد الضرورية اليومية، كالسملال، أو الفوارب، أو الماوى أو حطب النار" (15). لم يكن هناك مشككون.



ان لعب إلى العرسه أهد.

لقد ضررت ان امكون سبهياً جامعياً
للتشار عندما اكبر، سأمهل عارياً
في خابة استوائية أقتات طقس سرد
العطس والهربسات والتسلطاح الشبي
امسافرها. وساقنسي وقتت فرائسي
متصرفاً للعلم

يقول جميع الخبراء إنها تربية سيئة ان
يضع الوالدين طموحات الطفل

الاعتقاد الثالث أيضاً ، يستمر لا جعل وجوده محسوساً في العصور الحديثة في عام 2001 أعلن ديليو نيوش أن الحكومة الأمريكية لن تمويل بحثاً في الخلايا الجذعية الجنينية إذا كان يتوجب على العلماء أن يدمروا أجنة جديدة كشي يستخلصها (السياسة تسمح بالبحث على مسارات الخلية الجذعية المتأخوذة مسبقاً من أجنة) لقد اعتمد هذه السياسة بعد استشارة ليمس العلماء فقط بل استشارة فلاسفة ومفكرين مثدين لقد أطر الكثيرون منهم المشكلة الأخلاقية بكلمات "ensoulment" أي وجود روح تتبض ، أي أن اللحظة التي تكون فيها مجموعة من الخلايا التي سوف تتم لتشكّل طفلاً فيها روح. جادل البعض أن وجود الروح يحدث عند الحمل. وهذا يعني أن علقه (ككرة خلايا عمرها خمسة أيام من خلايا جذعية يتم أخذها) هي أخلاقياً مساوية إلى شخص. وأن تدميرها هو نوع من جريمة قتل (16). لقد اتضح أن ذلك الجدال حاسم ، مما يعني أن السياسة الأمريكية - استناداً إلى معرفة طبية وعدة لقائنة أكثر في القرن العشرين - قد حسمت من خلال سير القضية الأخلاقية التي ربما قد اطرد قبل قرون مضت، عندما يدخل الشبح أولاً الآلة؟

هذه هي واحدة فقط من بسمات الورقة البيضاء ، الهجعي التبول. والشبح في الآلة ، على الحياة الفكرية المعاصرة. في الفصول التالية سنرى وكيف أن الأفكار الأليوية - كلما تبدو لفلاسفة عصر الأنوار ، قد خندقت نفسها في الوعي الحديث. وكيف أن اكتشافات معاصرة تطرح تلك الأفكار بريية.

الفصل الثاني

عجينة سغيفة

فقيه اللغة الدانماركي أوتوغيسبرين (1860 – 1943) هو واحد من أعظم فقهاء اللغة في التاريخ، وكتبه الحيوية ما تزال تقرأ اليوم خاصة كتأثيره /نمو وبنية اللغة الإنكليزية/ الذي نشر لأول مرة عام 1905. فعلى الرغم من أن سعة اطلاعه عصرية تماماً، إلا أن الصفحات الافتتاحية تذكرونا أننا لا نقرأ كتاباً معاصراً؛

هناك تعبير يخطر ببالي باستمرار كلما أفكر باللغة الإنكليزية وأقارنها بلغات أخرى، إنها تبدو ذكورية بشكل جلاء، لغة رجل ناضج، وفيها القليل مما هو طفولي أو أنثوي... سكي أوضح واحدة من هذه النقاط اختار عشوائياً فقرة من لغة هاواي:

I Kona hiki ana aku I laila ua hook ipa ia mai Iaoia me ke aloha pums hanaloa.

ما من كلمة تنتهي بحرف ساكن ولا توجد مجموعة ذات حرفين ساكنين أو أكثر، فهل بوسع أي امرئ أن يشك أن لغة كهذه ذات وقع موسيقي جميل، ومليئة بالموسيقى والانسجام، وأن الانطباع الحكلي هو لغة طفولية وأنثوية؟ إنك لا تتوقع قوة كبيرة أو طاقة كبيرة في شعب يتكلم لغة كهذه، إذ يبدو أنها مناسبة فقط لسكان المناطق المشمسمة حيث لا تكاد الثرية تحتاج إلى أي عمل من قبل الإنسان كي تعطيه كل ما يريد، وحيث لا تحمل الحياة طابع صراع قاس ضد الطبيعة والبشر. ودرجة أقل نجد البنية اللفظية ذاتها في لغات معاملة كالأيطالية والإسبانية، لكن كم هي مختلفة عن السنثا الشمالية (1).

ويتابع القول معلناً رجولة وريانة ومنطق الإنجليز، وينتهي الفصل؛ كما تكون اللغة تتكون الأمة أيضاً.

ما من قارئ معاصر إلا ويصدم بالتمييز الجنسي، والعرقية والشوفينية في هذه المناقشة؛ المعنى الضمني هو أن النساء مثل الأطفال، تتمتع شعب مستعمر على أنه كسول، والمبالغة لتمجيد ثقافة المؤلف. وتفاخراً كذلك المعايير المؤسفة التي تدنى

إليها العلامة الكبير. فالقول إن لغة ما قد تكون "ذكورية" و"ياقة" هو افتراض دائم جداً لدرجة أنه يبدو لا معنى له. إنه ينسب سمة شخصية إلى شعب بأكمله دون أي دليل. ثم يقدم نظريتين بأن لغة الشعب يعكس الشخصية. وأن المناخات الدافئة تولد الكسل، دون تقديم بيانات تدعم طرحه. دع عنك إثبات السببية، والمحاكمة العظمى مهلهلة، حتى بناءً على أساليب قومية:

اللغات التي بنيتها مكونة من مقطع ساكن. وصوت علة مثل لغة هاواي. تستدعي كلمات أطول لكي تنقل الصكمية نفسها من المعلومات. وهذا بالكاد يتوقف على شعب دون "حيوية أو طاقة". المقاطع المكونة من سواكن في الإنجليزية يتم ابتلاعها. ويساء سماعها، وهذا ليس ما تتوقعه من شعب متعلقي محب للعمل.

لكن ما هو أكثر إزعاجاً يكمن في غفلة جيسبرين تجاه إمكانية أنه قد يتحول عن أي شيء أنه استثنائي. لقد اعتقد بديهياً أن قراءه سيشاركونه انحيازاته "مر يستطيع أحد أن يكون في حالة شك؟" هذا ما سأله بطريقة بلاغية: "أنتك لا تتوقع فيك كبيرة من شعب كهذا، كلما أكعد، ودونية السماء والأعراق الأخرى ليست بحال إلى تبرير. إنني أقدر جيسبرين كرجل عصمه ككي أبين ككيف أن المعايير قد تميز هذه الفقرة التي أوردتها عينه عشوائية للحياة الفكرية قبل قرن مضى.

وبالإمكان أخذ فقرات مزعجة كذلك من أي كتاب في القرن التاسع عشر. في مطلع القرن العشرين (2). كعد كان عصر رجال بيض يحملون عبء قيادة شعوب الحرونة، نصفها شيطان، ونصفها طفل. قوى إمبريالية أو أوروبية تنظر وأحياناً ترم الخناجر إلى بعضها. النزعة الإمبريالية والهجرة، والنزعة القومية، وترسكة الليونة. كل هذه جعلت الفروقات بين الجماعات الإثنية شديدة الواضح. لقد بدأ البيض منذ ومتمدناً بينما بدأ الآخرون جهلاء ومتخلفين. استخدم البعض التقيضات والهراوات لسياسة سلامتهم، وآخرون دفعوا للشرطة والجيش للقيام بذلك. وكان مفرباً افتراضاً. الأوروبيين الشماليين عرق متقدم ملائم لحكم الآخرين. والاعتقاد بأن النساء، كل دستورياً ملائمتا للطبخ والكتنيسة والأطفال. وكان يدعمه "البحث" الذي يكده يوضح أن العمل الدماغي كان شيئاً لصحتهن الجسدية والعقلية.

هناك أيضاً انحياز عرقي له قديمٌ علمي. لقد أسسه تفسير نظرية داروين في التلا على أنها تفسير للتقدم الأخلاقي والفكري، بدلاً من أن تكون شرحاً للصكبية تحية

الإشياء المحبة مع طرفها البيئي الحيوي. سكان من السهل الاعتقاد أن الأعراف غير البيضاء هي درجات على سلم الارتقاء بين القرود والأوروبيين. الأسوأ من ذلك أن واحداً من أتباع داروين - اسمه هيربرت سينسر كتب يقول إن فاعلي الخير سوف يتدخلون فقط بتقدم النشوء والارتقاء. إذا ما حاولوا تحسين قدر الطبقات الفقيرة والأعراف - التي من منظور سينسر صفات غير مناسبة بيولوجياً للتقدم. هذا الاعتقاد بالداروينية الاجتماعية أو السنسنسوية الاجتماعية لم يكن يريد داروين أي جزء منها. جذبت ناطقتين إليها من أمثال جون روسكفلر، وأندرو سكارينجي (3). لقد اقترح ابن عم داروين فرانسيس غالتون أن النشوء البشري يجب أن يعطي يد المساعدة من خلال إحياء الأقل ملاحظة من حيث التربية، وقد أسمى هذه السياسة eugenics (4) (تحسين النسل البشري). خلال عقود قليلة أصدرت قوانين طالبت بالمعقم غير الطوعي للجانحين في كندا وفي الدول الإسكندنافية، وفي ألمانيا وفي ثلاثين ولاية أمريكية. والإيديولوجية التنافسية تجاه الأعراف الأدنى قد جرى استخدامها لاحقاً للتبرير قتل ملايين اليهود والفجر والشاذين جنسياً.

لقد قطعنا درياً طويلاً. فمع أن المواقف أسوأ بكثير من مواقف غيسبرين، إلا أنها ما تزال قوية في معظم العالم وفي أجزاء من مجتمعنا، ولكن تم طردها من التيار الرئيس للحياة الثقافية في الديمقراطيات الغربية. ففي أماننا هذه، ما من شخصية عامة في الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية تستطيع أن تهين النساء أو أن تقذف شخصيات نمطية بنقطة تصنف أعرافاً أخرى أو جماعات أجنبية. هالتاس الواعون يحاولون أن يكونوا واعين لأهوائهم الدفينة، وأن يقبسوها على الحقائق وعلى حساسيات الآخرين. ففي الحياة العامة، نحاول أن نحكم على الناس كفأفراد، ليس بوصفهم عينات من جنس أو جماعة أجنبية. إننا نحاول أن نهمز القوة عن الحق، وأنواقنا الضيقة عن الميزة الموضوعية، وبذلك نحترم ثقافات متعددة أو أفضل من ثقافتنا. إننا ندرك أن ما من موقف كبير حكمهم بما فيه الحكامية لدرجة أن يعهد إليه توجيه تطور الأنواع، وأن من الخطأ أن تتدخل الحكومة بقرار شخصي، مثل قضية أن يكون للمرء طفل. فندفكرة أن أفراد جماعة أجنبية ينبغي أن تضطهد بسبب بيولوجياها أمر يعزلنا بالاشعزاز والغثبان.

هذه التحولات قد عززت بالدروس المريرة للإعدامات دون محاكمة، وبالحرروب العالمية، والتطهير الإجباري، والبولوكست، هذه جميعاً عرضت الضاميين المحزنة

لتشويه سمعة جماعة أجنبية. لكن في مطلع القرن العشرين ظهرت تجربة غير مغلز لها: الهجرة الجماعية، والحراك الاجتماعي، وانتشار المعرفة في العصر الحديث. يمكن باستماعة معظم السادة الفيكتوريين أن يتخلوا أن القرن القادم سوف يشهد دولة قومية. ومقتفين عمادين أمريكيين أفارقة، أو صناعة برمجيات في بانغالور. ولم يكن في وسعهم أن يستشرفوا أن نساء سوف يقطنن أمماً في الحروب، أو أن يدفن شركعات ضخمة أو أن يفتن جوائز نوبل في العلوم. إننا نعرف أن أتلساً من كلا الجنسين ومن جميع الأعراق قادرين على بلوغ أي محطة في الحياة.

هذا التأثير الكبير قد شمل ثورة في التامل مع الطبيعة البشرية من قبل العلماء والدارسين فالواقف المتفيرة تجاه العرق والجنس قد اجتاحت الأكاديميات، لكنها ساعدت أيضاً في توجيه المد من خلال التامل ملياً فيما يخص الطبيعة البشرية في المكتب والمجلات، ومن خلال تقديم الخبراء إلى الوصايات الحكومية. لقد تمت إعادة صياغة نظريات العقل السائدة بحيث أصبح يتعذر الدفاع عن نزعة التمييز العرقية والجنسية. لقد أصبح الاعتقاد بصقحة بضاء مطوقاً في الحياة الثقافية في شكل سمي النموذج العلمي الاجتماعي المعياري أو نزعة البنائية الاجتماعية (5). هالآن، النموذج هو طبيعة ثالثة للناس، وقلة من الناس تدرك أن التاريخ خلقها (6). ويلخص المؤرخ البارز لهذه الثورة كارول ديفلز الأمر هكذا يلي:

بيد أن الدليل المتوفر يوضح أن الأيدولوجيا أو الاعتقاد الفلسفي أن بالإمكان أن يكون العالم أكثر حرية، ومكاناً أكثر عدلاً. وقد لعب هذا الاعتقاد دوراً أكبر في التحول من البيولوجيا إلى التربية. فالعلم، أو على الأقل مبادئ علمية محددة، أو دراسات مبتكرة - قد لعبت أيضاً دوراً في عملية التحول لكنه دور محدود. أتى الدفاع الرئيسي من إرادة تأسيس نظام اجتماعي فيه قوى بيولوجية ثابتة لم تلعب دوراً في التصددي لسلوك الجماعات الاجتماعية (7). إن تبني الحياة الثقافية من قبل الصفوة البيضاء قد سار في مسارات متباينة في علم النفس وفي العلوم الاجتماعية الأخرى لكنه كان محرضاً بالأحداث التاريخية نفسها وأيدولوجيا التقدم. فمع حلول العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين أخذ لتعيط النساء والجماعات الإثنية يبدو سخيفاً فكانت موجات من المهاجرين من جنوبي وشرقي أوروبا تعلاً المدن وتتسلق السلم الاجتماعي. لقد اغتمم أميركان أفارقة فرصة وجود "كليات زنجية" هاجروا شمالاً، وبدلوا ما يسمى "نهضة هارلم"، وخريجات كليات نسائية ساعدن في إطلاق الموجة

الأولى من حركات نعتة النساء. فالأول مرة لم يكتب جميع الأساتذة والطلاب من الذكور البروتستانت الأنجلوسكسون البيض. هذه الموجة البشرية فكانت دستورياً متوقفة، ولم تصبح عدائية فقط. بل مضت ضد ما كان يوسع الناس أن يروه بأم أعينهم فالعلوم الاجتماعية - خاصة - فكانت تجذب النساء واليهود والأسويين، والاسريكان الأفارقة. وقد أصبح بعضهم مفكرين مؤثرين

في العقود الأولى من القرن العشرين. الكثير من المشغلات الاجتماعية المضالفة فكانت محط اهتمام الأفراد الأقل حظاً من هذه الجماعات. فهل سيسمح المزيد من المهاجرين بالدخول إلى البلاد؟ وإذا سمح لهم فمن أي بلدان؟ وبعد وصولهم إلى الولايات المتحدة هل ينبغي تشجيعهم على الاندماج، وكيف سيتم ذلك؟ وهل ينبغي إعطاء النساء حقوقاً سياسية وفرصاً اقتصادية مساوية لحقوق وفرص الذكور؟ هل يجب أن يتم الدمج بين الزوج والبيض؟ كما أنه فكانت هناك تحديات فرضها الأطفال (8). لقد أصبح التعليم إلزامياً وعلى مائق الدولة. بينما فكانت الدول تكبير وتتراخس الروابط الأسرية. أصبح الأطفال المضطربون والمشاكسون مشكلتة. لذلك أوجدت مؤسسات جديدة للتعامل مع هؤلاء الأطفال: رياض الأطفال، المهتم، والمدارس الإصلاحية، مخيمات الهواء الطلق، والجمعيات الإنسانية، وأندية الصبيان والبنات. تطور الطفل كان يشكّل مفاجئ على الرجل الأول. هذه التحديات فكانت موجودة لا لكي تذهب بعيداً. الافتراض الأكثر إنسانية كان أن جميع التكاليف البشرية لها قدرة تكافية متساوية لكي تتقدم إذا ما نالت التثنية الصحيحة والفرص المناسبة. وقد عد علماء اجتماع كثيرون تعزيز هذه الفرضية عملاً لهم.

نظرية سيكولوجية حديثة كمدخل لكل كتاب مقرر توضح أن لها جذوراً في نوك ومفكرين تشويريين آخرين الصفحة البيضاء - بالنسبة للوك - فكانت سلاحاً ضد الكنيسة والملوك المستبدين. بيد أن هذه التهديدات قد تراجعت في العالم الناطق بالإنجليزية بحلول القرن التاسع عشر. الوريث التفكير للوك هو جون ستوارت(1806-1873) ربما كان أول من طبق الصفحة البيضاء على مفهوم سياسة نعيمها اليوم كان من أوائل الداعمين لحق الاقتراع للنساء، والتعليم الإلزامي، وتحسين ظروف الطبقات الدنيا. وقد تطابق هذا مع موقفه في علم النفس والفلسفة، كما شرح في سيرته الذاتية:

لقد شعرت - منذ أمد طويل - أن الميل السائد لاعتبار جميع الفروقات في الشخصية البشرية على أنها فطرية، ولا يمكن إلزائها، وتجاهل الإثباتات التي لا يمكن التصدي لها، مبني على أن الجزء الأكبر من تلك الفروقات: بين أفراد أو أعراق أو بين جنسين بالإمكان توليدها بشكل طبيعي نتيجة اختلافات في الظروف. مما يشكل واحداً من العوائق الرئيسية للمعالجة العقلانية لمسائل اجتماعية كبرى. وأحد أكبر العوائق أمام التقدم البشري. (هذا الميل هو) قبول للتواخي البشري بالإضافة إلى الصالح المحافظة عموماً، بحيث أن ما لم يتم مهاجرتها في جذورها، فإن من المؤسف أن تحمل إلى مدى أكبر حتى أبعد من القدي الذي تبرره الأشكال الأخرى اعتدالاً من الفلسفة الحديثة (9).

بمصطلح ((الفلسفة الحديثة)) وكان ميل يتوجه إلى مثقفين أوروبيين كانوا يتبنون مقولة أن مجالات العقل فكانت فطرية. لقد أراد ميل أن يهاجم نظريته السيكولوجية في جذرها ليحارب ما قد فتنه معانيها الاجتماعية المحافظة. لقد شن نظرية تعلم نزعته الداعي *associalism* التي صاغها لوك من قبل، التي حاولت تفسير الذكاء البشري دون أن تسبغ عليه أي نظام فطري. فوفقاً لهذه النظرية الصفراء البيضاء النقوش عليها الأحاسيس التي أسماها لوك ((أفكاراً)) ويسمى علماء النفس الحديثون ((سمات *features*)). الأفكار التي تظهر في تعاقب مثل (الاحمرار، والدائرة، والحلوة لتقاحة) تصبح مترابطة لدرجة أن أي واحدة تستدعي إلى الفكر السمات الأخرى. الأشباه المتشابهة في العالم تحرض مجموعات متداخلة من الأفكار في ذهن فعلى سبيل المثال، بعد أن تقدم عدة كلاب نفسها للحواس، فإن السمات التي تشترك فيها (النباح، القرو، أربعة أرجل، الخ) تتشابه مع بعضها بحيث ترمز إلى مجال "الكلب".

نزعته الداعي لدى لوك وميل معروفة في علم النفس منذ ذلك الحين لقد أصبحت التواة لعظم نماذج التعلم، خاصة في الطريقة السلوكية، التي هيمنت على علم النفس من عام 1920 حتى عام 1960. مؤسس السلوكية هو جون ب والسون (1878- 1958) كتب واحداً من أشهر بيانات القرن عن الصفحة البيضاء:

أعطيني عشرة أمثال أصحاء، جيدي البنية، وعالمًا محددًا صكي أنشئهم فيه وأخذ أي واحد منهم لا على التعيين، وأدره صكي يصبح نموذجاً لأي اختصاص اختلا

أنا: طبيب، محام، فنان، تاجر - وحتى شعاذ، ولص - بغض النظر عن مواهبه وميوله،
وولمه، وقدراته، ومهاراته، عرق أسلافه⁽¹⁰⁾.

في المدرسة السلوكية، لم تعد مواهب وقدرات الطفل ذات أهمية، لأنه لم يكن
هناك وجود لشبه كنهها مثل موهبة أو مقدرة. لقد استبدعها واتسوت من علم النفس
ومعها مكونات عقلية أخرى مثل: الأفكار والمعتقدات والرغبات والمشاعر. فهذه
كانت ذاتية وغير قابلة للقياس. فكما قال، وغير مناسبة للمعلم الذي يدرس أشباه
موضوعية وقابلة للقياس. فعالم من أنصار المدرسة السلوكية، الموضوع الشرعي
الوحيد هو السلوك المتوسط، وكيفية التحكم به من خلال البيئة الحاضرة والماضية.
وهناك مزحة قديمة في علم النفس "ماذا يقول عالم النفس من المدرسة السلوكية بعد
ممارسته الحب؟ لقد كان الأمر جيداً لك، فكيف هو بالنسبة لي؟".

لقد استبدلت أفكار لوك بحواجز أو استجابيات، لكن قوانينه في التعدي بقيت
قوانين شرطية. فقد تترافق الاستجابة بحافز جديد، فكما حدث عندما قدم واتسون
للطفل جرماً أبيض، ومن ثم ضرب مطرقة على قضيب حديدي، من المفترض أن يجعل
الطفل يربط الخوف بالفرو *fix*. وبالإمكان ربط استجابة بمكافأة: مثلاً عندما تعلمت
قطعة في صندوق أن شد الحيط كان يفتح لها باباً، ويسمح لها بالخروج من القفص في
هذه الحالات ربط المجرّب بين احتمالية دافع ودافع آخر، أو بين رد فعل ومكافأة، فهي
بيئة طبيعية - فكما قال السلوكيون - هذه الاحتمالات هي جزء من البيئة السببية
للعالم، وهي تشكل بشكل أكيد سلوك العضويات، ومن بينها البشر.

من بين المصادقات للزعة التقليدية السلوكية كان علم النفس غنياً لدى ولهم
جيمس (1842 - 1910). لقد استمد إلهامه من جدال داروين بأن التصور والإدراك
والعاطفة هي مثل عضويات مادية نشأت مثل تكيفات بيولوجية. لقد استعترض جيمس
مفهوم الفريزة كصي يفسر الأشياء التي يفشلها البشر. وليس تلك الفرائز الحيوانية.
كما أنه أقام توازناً بين أليات عديدة في نظريته حول الحياة العقلية، من بينها الذاكرة
قصيرة الأمد، والذاكرة طويلة الأمد. لكن مع ظهور المدرسة السلوكية فإنهم جميعاً
ضمو إليها مفاهيم ممنوعة. لقد كتبت بحالم النفس ج. ج. سكاتنور في عام
1923) مختصرة هي الإجابة على مسألة ما هي العلاقة بين علم النفس الاجتماعي
والفرائز؟ بشكل وضوح لا توجد علاقة⁽¹¹⁾). لقد أعيد تعريف حتى الرغبة الجنسية
على أنها استجابة مشروطة بطرفها، وكتب بحالم النفس زينغ يانغ كمو في 1929

يقول «السلوك ليس مظهراً لموامل وراثية، ولا يمكن التعبير عنه في كلمات وراثية إنه حركة سلبية وإيجابية مُحدَّدُها، ويحددها فقط النموذج النيوي المعنوية، وطبيعة قوى بيئية... - جميع رغباتنا الجنسية هي نتيجة لعملية تحفيز اجتماعي لا تمتلك المعنوية رد فعل جاهز تجاه الجنس إلا بقدر امتلاكها اهتماماً فطرياً» (12). لقد اعتقد السلوكيون أن بالإمكان فهم السلوك بشكل مستقل عن علم البيولوجيا. دون اهتمام بالبنية الوراثية للحيوان أو التباين النشوي للأنواع وبذلك أصبحت السيمولوجيا تتألف من دراسة التعلم على حيوانات مخبرية. ب. ف. سكينر 1904 - 1990 هو عالم النفس الأكثر شهرة في خمسينيات القرن العشرين. ألف كتاباً يدعى /سلوك المعنويات/ المعنويات الوحيدة فيه كانت الجردان والحمام. والسلوك الوحيد فكان عتة ضالطة والنقر على مفتاح. لقد تطلب الأمر القيام برحلة إلى سيرك لتتخبر علماء النفس أن الأنواع وغرارتها ذات أهمية في نهاية المطاف. ففي مقالة بعنوان /سلوك المعنويات/ ذكر الشان من تلاميذ سكينر هما كيلر Keller وماريانان فهما عندنا حاولا استخدام أساليبه لتدريب حيوانات لوضع pokerchips داخل آلة بيع نقدية. فكانت القراخ تقتر الرفائق والرايون يحسها. والخنازير حاولت دفعها بخيشهما (13). فكان السلوكيون معادين للدماغ، كما كانوا معادين لعلم الوراثة. فحتى فترة متأخرة كتب سكينر أن دراسة الدماغ كانت مسمي ضل اتجاهه للثور على أسباب السلوك داخل المعنوية. بدلاً من البحث عن الأسباب في العالم الخارجي (14).

فالسوكية لم تسيطر على علم النفس فقط بل تسلمت إلى الوعي العام لدى كتب والتسون دليل مهماً في تربية الطفل، ينصح فيه الوالدين بوضع برامج طعام فاسية لأطفالهم وأن يطوهم الحد الأدنى من الحب والاهتمام. فكما قال، إن نواصي طفلاً. فإنك تكون تكافئه على بكائه، وبذلك تزيد تكرار البكاء. أما كتاب بنيام سيوك /الطفل الرضيع ورعاية الطفل/ الذي نشر لأول مرة عام 1946، اشتهر بتقني التمتع والتسامح مع الأطفال، فكان من ناحية رد فعل على والتسون. كتب سكينر مؤلفات عدة حققت أفضل البيعات، وفيها يدافع عن فكرة أن السلوك المؤذي ليس غريزياً، ولا يتم اختياره بحرية، بل هو ظرفي بشكل مبدئي. فإذا ما حولنا المجتمع صندوق سكينر كبير، وضبطنا السلوك عمداً، فإن باستطاعتنا أن نستأصل العدوان والاكتماظ السكاني، والازدحام والتلوث، وعدم المساواة، وبالتالي بلوغ البوننة (المدينة الفاضلة) (15). لقد أصبح الهيجي التيبيل الحمامة التيبيلة.

التزعة الملوصلية الصارمة قد ماتت من علم النفس، غير أن الكثير من مواقفها ما يزال حياً. تزعة الترابطية هي نظرية التعلم التي يبتناها الكثير من المناهج الرياضية والحفزات العصبية للتعلم (16). يساوي العديد من علماء الأعصاب التعلم مع تشكيل الروابط، ويبحثون عن صلة ترابطية في فيزيولوجيا المصنونات واقتران الصبغيات متجاهلين أنواعاً أخرى من الحوسبة التي قد تطبق التعلم في الدماغ (17). فطس سيبيل المثال تخزين قيمة عدد ثابت في الدماغ من 3*7 هي خطوة حسابية حرجة في الإبحار وجمع الغذاء foraging، هما موهبتان عاليتا التطور لدى حيوانات البرية. لكن هذا النوع من التعلم لا يمكن نقله إلى مستوى تشكيل روابط، ولذلك تم تجاهله من قبل علم الأعصاب. ما يزال علماء النفس وعلماء الأعصاب يعاملون العضويات بتشكيل تبادل، وقما يسألون ما إذا كان حيوان مخبري ملائماً أو يشبهه أو لا يشبه البشر في تواع حاسمة (18). فحس وقت قريب تجاهل علم النفس مضمون المتندات والمواطف، والإمكانية التي طورها العقل في التعامل بيولوجياً مع مجالات مهمة في أساليب مختلفة (19). فتنظريات، الذائكرة والمحاسكة لم تميز بين الأفكار عن الناس وعن أفصكار حول الصخور والمنازل.

نظريات العاطفة لا تعرق الخوف عن الغضب، والغيرة عن الحب (20). نظريات عن العلاقات الاجتماعية لا تميز بين الأسرة والأصدقاء، والأعداء والغيرة (21). فقي علم النفس، أوضاع التي تهم الناس كثيراً كالحب والكراهية، والعمل واللمب، والطعام والجنس، والمكانة الاجتماعية، والسيطرة والغيرة والصدافة والدين والقرن، تكاد تكون غائبة تماماً عن كتب علم النفس المخررة.

إحدى الوثائق الرئيمة في علم النفس من أواخر القرن العشرين كانت الكتاب المكون من جزأين /معالجة موزعة بتشكيل متواز/ لمؤلفيه ديفيد روملهارت وجيمس ماكملاند ومساعديهما. لقد قدم هذا الكتاب أسلوب نمذجة شبكية عمل عصبية تدعى الترابطية connectionism (22). لقد قالوا إن شبكات ترابطية وراثية إذا ما أخضعت لقادير من التدريب فإن بإمكانها القيام بشكل عملية الإدراك. لقد أدركنا أن هذه النظرية قد تركتاهما دون إجابة جيدة على السؤال: لماذا الناس هم أذكى من الفئران؟ وإليك إجابتهما:

مع جميع المعطيات أعلاه، تبدو المسألة محيرة نوعاً ما... . يملك الناس قشرة خارجية أكبر مما لدى الفئران، أو حتى أكثر مما تمتلك الثدييات، خاصة أن الناس

لديهم بنية دماغية ليست معكوسة إلى مدخلات/مخرجات، ومن المفترض أن هذه القشرة الإضافية موضوعة استراتيجياً في الدماغ للقيام فقط بتلك الوظائف التي تميز الناس عن القرود أو الفهود.

لنكن لا بد أن يكون هناك جانب آخر في الفارق بين القرود والناس، هو أن البيئة البشرية تضم أناساً آخرين، ووسائل تربية طورها لتنظم عملياتهم في التفكير(23).

فالشر إذن هم فقط قرود لديهم شرائح بيضاء أكبر، إضافة إلى شيء إضافي يدعى "الوسائل الثقافية". وهذا يجعلنا إلى النصف الآخر من ثورة القرن العشرين في مجال العلوم الاجتماعية، إنه موسيقا مختلطة عندما تقول ديبلان Dylan إنه يعتقد أنك تتحدث عن ديبلان توماس (أياً مكان هذا الديبلان) الرجل ليس لديه ثقافة.

لقد استخدمت كلمة الثقافة لتعني أنواعاً من التسلية محترمة كالكشعر والأوبرا والباله، والعضى المألوف الآخر إجمالي النماذج السلوكية المنقولة اجتماعياً، كالفنون والمعتمدات والمؤسسات وجميع النتائج الأخرى من العمل والفكر الإنسانيين)) التي عمرها قرن فقط. هذا التغيير في اللغة الإنجليزية هو إحدى التراكبات من أسي الأنثروبولوجيا الحديثة فرانس بواس (Boas 1858 - 1942).

افكار بواس، مثل افكار المفكرين البارزين في علم النفس، كانت تضرب جذورها بين الفلاسفة الأميركيين في عصر التنوير وحتى جورج بيركلي (1685 - 1753). صاغ بيركلي نظرية النزعة المثالية، ومفهوم أن الأفكار - لا الأشياء المادية - هي المكون النهائي للواقع. وبعد التفاهات وانعطافات معقدة جداً - لا يتسع المجال لتفكيرها هنا - أصبحت النزعة المثالية مؤثرة في أوساط المفكرين الألمان في القرن التاسع عشر. وقد تبناها بواس الشاب، يهودي ألماني من أسرة علمانية ليبرالية.

لقد سمحت النزعة المثالية لبواس أن يرسي أساساً فكرياً جديداً للنزعة المساواة بين البشر. فكمما قال إن الفروقات بين الأعراق البشرية والجماعات الإثنية لا تأتي من مصفون مادي، بل مصدرها ثقافتهم، نظام من الأفكار والقيم التي تتشربها اللغة وأشكال أخرى من السلوك الاجتماعي. فالتناس يختلفون لأن ثقافتهم تختلف في الحقيقة هذه هي الصيغة التي ينبغي أن يشير إليها المرء، بناءً على أسباب أخلاقية. فكتب بواس «أزعم أن علينا أن نفترض أن جميع النشاطات المعقدة تحدث اجتماعياً وليس وراثياً ما لم يكن بالإمكان البرهنة على صحة العكس» (24).

فضية بواس لم تكن مجرد أمر أخلاقي، بل كانت تضرب جذورها في اكتشافات واقعية. لقد درس بواس أناساً أصليين، ومهاجرين، وأطفالاً في المهامت كصي يثبت أن جميع البشر لديهم قدرات متساوية كافية. لقد أوضح بواس أن لغات البدائيين لم تكن أكثر بساطة من لغات الأوروبيين. بل كانت مختلفة فقط، الصعوبة التي يواجهها الأسكيمو في تمييز الأصوات في لغتنا على سبيل المثال، تماثلها الصعوبة التي نلاني منها نحن في تمييز أصوات لغاتهم هم. صحيح أن العديد من اللغات غير الأوروبية ينتقل إلى وسائل التعبير عن مفاهيم مجردة محددة، فقد لا يكون لديهم كلمات تعبر عن أعداد أكثر من ثلاثة على سبيل المثال - أو قد لا توجد كلمة تعبر عن الطيرية بشكل عام كمتقابل لسمة الخير في سياق محدد. لكن تلك العيوب تعكس الاحتياجات اليومية لدى أولئك الناس وهم يعيشون حياتهم، ولا تعكس عجزاً في قدراتهم العقلية. فكما هي الحال في قصة سقراط الذي يستمد مفاهيم مجردة من غير صبي، كذلك أوضح بواس أن باستطاعته أن يستبط كلمات جديدة من مفاهيم مجردة مثل "الخير" و"الشفقة" من شخص من منطقة kwakiutl من الشمال الغربي الهاسكيكي. كما أشار إلى أنه عندما يمتلك الناس الأصليون بالحضارة، ويكتسبون أشياء هامة، فإنهم يتنون بسرعة بنظام حساب مكتملاً (25).

فيما أن تأكيدهم كان على الثقافة، فإن بواس لم يكن استثنائياً. لقد اعتقد أن جميع الثقافات متساوية، ولم يكن امبريقاً لأنه اعتقد بالصفحة البيضاء. لقد عدّ الثقافة الأوروبية متفوقة على الثقافات القبلية، وأن جميع الشعوب كانت قادرة على بلوغها. إنه لم ينكر أنه قد تكون هناك طبيعة بشرية كونية، أو فروقات بين الناس ضمن جماعة الشية. فالأمر المهم بالنسبة إليه كان فككرة أن الجماعات الإثنية لديها القدرات العقلية الأساسية نفسها (26). فكان على صواب في هذا، وفي يومنا هذا يلقى قبولاً من قبل جميع الدارسين والعلماء.

بيد أن بواس قد خلق عولاً عندما توصل طلابه إلى السبطرة على علم الاجتماع في أمريكا، وتوقع شكل جيل على الجيل السابق في بهاناته الكاسحة. لقد أصمر طلابه على أن الفروقات بين الجماعات الإثنية ينبغي تفسيرها من خلال الثقافة. لقد فشل بواس للتفسيرات الاجتماعية ما لم يتم دحضها، بينما تلميذه ألبرت سكرووير بقي بغضها بغض النظر عن الدليل. كتب سكرووير قائلاً لا يمكن السماح للوراثة أن يكون لها دور في التاريخ (27) بدلاً من ذلك سلسلة أحداث تشكل أناساً تشمل الظروف التاريخية التي فرضتها أحداث تاريخية أخرى (28).

لم ينكر كروبير فقط أن بالإمكان تفسير السلوك الاجتماعي بخصائص عقلية. بل أنكر إمكانية تفسيره بأي خصائص عقلية. لقد كتب يقول "إن ثقافة من هي عضوية متفوقة super organic، وهي تطفو على كونها الخاص بها - خالية من اللص والدلم لدى الرجال والنساء الحقيقيين: الحضارة ليست فعلاً عقلياً، بل مجموعة أو تيار من منتجات تدريب عقلي. فالذهنية ترتبط بالفرد. من ناحية ثانية - العامل الاجتماعي أو الثقافي هو على جوهره ليس فردياً. والحضارة كذلك تبدأ فقط حيث ينتهي الفردي (29). هاتان الفكرتان: إنكار الطبيعة البشرية، واستقلالية الثقافة عن عقل الأفراد، واضحتان أيضاً لدى مؤسس علم الاجتماع إميل دوركاهايم (1858 - 1917) الذي استلهم اعتقاد كروبير بعقل العضوية الفائقة super organic:

على شكل مرة يتم فيها تفسير ظاهرة اجتماعية مباشرة بظاهرة سيكولوجية. فإن باستطاعتنا أن نكتون متأكدين أن التفسير الأفضل... فالجماعة تفكر. وتتشعر. وتتصرف بشكل مختلف عن الطريقة التي يفكر، ويشعر، ويتصرف بها الأفراد كما كانوا معزولين. فإذا بدأنا بالفرد - على سبيلنا لتفسير الظواهر، فلن نكتون قادرين أن نفهم شيئاً مما يحدث في الجماعة. طبائع الأفراد هي مجرد مادة غير محددة لدرجة أن العامل الاجتماعي يشكلها ويحولها. مساهمات الأفراد تتكون حصراً على موارد عامة، على مهول غامضة مرنة (30).

أما وقد أرسى قانوناً للعلوم الاجتماعية التي سيتم الاستشهاد به في القرن التالي العلة المحددة لحقيقة اجتماعية يجب البحث عنها في الحقائق الاجتماعية التي تسبق العلة، وليس بين حالات الوعي الفردي (31).

فالسايكولوجيا والعلوم الاجتماعية الأخرى في تلك الفترة، انكسرت أهمية عقل أفراد جماعة ما، ومضت في اتجاهات مختلفة عن ذلك. علم النفس ألقى التأكيد العقلي مثل المعتقدات والرغبات، واستبدلها بالدوافع والاستجابات. لقد وضعت العلوم الاجتماعية المعاند والرغبات في ثقافات ومجتمعات بدلاً من أن تضعها في رؤوس التام الأفراد. والعلوم الاجتماعية المختلفة وافقت أيضاً أن محتويات الإدراك: الأفكار، التو، الخطط، وما شابه كانت فعلاً ظواهر لغوية، سلوكياً منبسطاً لدرجة أن أي شخص يستطيع أن يسمع ويكتبه. اقترح واتسون أن "التفكير" كان يتألف فعلاً من شرك حركات الفم والحنجرة). لكن ما هو أكثر أهمية هو أنهم يشتركون بفكرانية الفرائز والتطور. لقد أعلن علماء اجتماع مرموقون سكي تتكون الصفحة بضاء:

الفرائز لا تخلق عادات ، بل العادات تخلق فرائز . لأن الفرائز المزعومة لدى الكائنات البشرية يتم تعلمها دائماً وليست متأسلة أبداً (32). Eil asworth faris (1927).
"الظواهر الثقافية ليست وراثية بأي شكل من الأشكال ، بل يتم اكتسابها دون استثناء" (33) George Murdock

جورج موردوخ 1932

"الإنسان ليس له طبيعة ، وما يملكه هو تاريخ" (34).
خوسيه أورتيغا غازيت 1935.

"استثناء ردود الأفعال الغريزية في الأطفال الرضع ، فإن الكائن البشري هو كلاً دون غريزة ، وبدون استجابات دعم فحائية ، ولأصوات عالية مفاجئة . . . الإنسان هو الإنسان لأنه لا يملك غرائز ، لأنه ككل شيء هو عليه ، وقد أصبح عليه وتعلمه ، واكتسبه من تربيته ، من الجزء الذي صنعه الإنسان من البيئة . ومن الكائنات البشرية الأخرى" (35).

1973 أشلي مونتاجو

صبح أن مصطلح الاختيار لم يعد نوحاً مكشوحاً أو ورقة بيضاء. فديور سكايام تحدث عن مادة مهمة غير محددة ، نوع من مادة لزجة blob تمت صياغتها في شكل من قبل التربية. التشبيه الأفضل - ربما - عجينة لوزجة سخيفة ، المادة المطاطية التي يستخدمها الأطفال كغنيمة يشحوا مادة مطبوعة (مثل صفحة بيضاء) ولقوليبتها إلى أشكال مرغوبة (كعمادة غير محددة). لقد عادت قابلية المصطلح للتكييف ثانية إلى السطح في أقوال الثين من أشهر طلاب بواس.

يتم تشكيل الناس وفقاً لشكل حضارتهم ، بسبب ليوثة طبيعتهم الأصلية .
الثالنية المنظم من الأفراد تتخذ فوراً الشكل الذي يقدم إليهم" (36).

روث بيندسكيت 1934

إننا مجبورون على الاستنتاج أن الطبيعة البشرية قابلة للتكيف بشكل لا يصدق ،
إنها تستجيب بدقة ، وبشكل متناقص إلى شروط ثقافية متناقضة" (37).

مارغريت ميد 1935

بينما شبه آخرون العقل بنوع من غربال
"معظم ما يسمى عموماً "طبيعة بشرية" هو مجرد ثقافة مرمية على شاشة الحواس
وخلد وأعضاء حسية وعضلات... الخ" (38).

ليزلي وايت (1989)

أو شبهت بالمواد الخام لمصنع.

"الطبيعة البشرية المادة الأكثر خامية، والأكثر عدم تمايز لمادة خام" (39).

مارغريت ميد (1928)

أفكارنا، قيمنا، أفعالنا وحسنا عواطفنا هي مثل الجهاز العصبي نتاج
ثقافية، نتاجات مصنعة فعلياً من ميولنا، وقدراتنا، ونزعاتنا المولودة معنا، لكننا
ذلك مصنعة" (40).

غليغورد رد غريتر (1973)

أو شبهت بحاسوب غير مبرمج:

"الإنسان هو الحيوان الأكثر اعتماداً على عوامل وراثية، وعلى آليات تحف
خارج الجلد، مثل برامج ثقافية لترتيب سلوكه" (41).

غليغورد رد غريتر (1973)

أو شبه بظهان لا شكل له قد يتكون له أشياء كثيرة تجري له: السيكولوجيا
الثقافية هي دراسة الطريقة التي تنظم، وتبصر، وتحول، التراثات الثقافية والمداد
الاجتماعية، بل وتمهد ترتيب النفس البشرية، وتعمل أقل في وحدة نفسية للنوع البشري
بدلاً من اختلافات إثنية في العقل والذات والمحافظة" (42).

ريتشارد شويدر (1980)

لقد أصبح العقل فائق العضوية، أو العقل الاجتماعي أيضاً مادة إيمان في
الاجتماع روبرت لوي (أحد طلاب بواس) قال "مبادئ علم النفس غير قادرة على
التصدي للظواهر الثقافية، مثل الجاذبية غير القادرة على التصدي لأساليب البناء
المعمارية" (43). وإذا ما فالتك مضامينها النامة، فإن عالم الأنثروبولوجيا ليزلي وايت
أوضحها:

بدلاً من النظر إلى الفرد بوصفه علة أولى، كمتحرك أولي، والمُدخَلُ والمُحدَدُ للعملية الثقافية، فإننا نراه الآن كجزء مكوّن، وغير مهم، وسئيل في النظام الثقافي الاجتماعي الشاسع الذي يضم عدداً لا يحصى من الأفراد في وقت واحد، ويتسع إلى الماضي، ليشمل الماضي البعيد أيضاً... فمن أجل أغراض التفسير العلمي، بالإمكان أن نعدّ العملية الثقافية شيئاً فريداً من نوعه، والتربية بالإمكان تفسيرها من خلال الثقافة (44)، بكلمات أخرى علينا أن نفعل عقل شخص فرد مثل أنت/ الجزء الضئيل وغير المهم من نظام ثقافي اجتماعي شاسع العقل المهم هو العقل المنتمي إلى الجماعة، القادر على التفكير والشعور والعمل بناء على معطاء الخاص به.

كفكان لبدا العضوية الفائقة تأثيراً على الحياة الحديثة التي تتسع كثيراً خارج مولفات علم الاجتماع. إنه يشدد على أهمية الميل لجعل المجتمع كعامل أخلاقي (أي اعتبار الأشياء المقولة في الذهن أشياء محسوسة خارج الذهن) الاجتماعي، كعامل أخلاقي بالإمكان توجيه اللوم إليه على الذنوب وكأنما هو شخص إنه يُسَرِّبُ سياسات الهوية التي فيها الحقوق المدنية والمكاسب السياسية تكون مخصصة إلى جماعات بدلاً من أن تكون مخصصة لأفراد. وكما سنرى في الفصول التالية، فقد عرّف الانقسامات الكبيرة بين نظم سياسية رئيسة في القرن العشرين.

لم تكن الصفحة البيضاء الجزء الوحيد من النظرية الرسمية التي شعر علماء الاجتماع أنهم ملزمون بإنعاشها. كما سموا إلى تكريس نظرية الهيمنة التنبيل. لقد رسمت ميد لوحة Gauguinesque لشعوب بدائية على أنها مسألة، داعية للمساواة، فتوة ماديا، وغير متصارعة جنسياً. نظرتها الإعلامية للشخص الذي كفاء، وبالتالي للشخص الذي تستطيع أن تصير مثله ثانية، لاقت القبول في أوساط كتاب ريبين من أمثال برتراند راسل وهـ لـ. مينكفن. أشلي مونتاقو (من ضمن حلقة بواس) مثقف بارز على الصعيد العام من خمسينيات القرن العشرين حتى وفاته، قد استعترض دون ظلال معتقد الهيمنة التنبيل كفي بيور السعي إلى الأخوة بين البشر، وإلى السلم كفي يفتد مزاعم أي شخص قد يعتقد أن جهوداً كهذه كانت دون جدوى. فعلى سبيل المثال، في عام 1950 وضع مسودة بيان لنظمة اليونسكو التي تشكلت حديثاً، أعلن فيه: أن الدراسات البيولوجية تدعم البدا الأخلاقي القائل بأخوة البشر، لأن الإنسان يولد ومعه

دوافع نحو التعاون ، وما لم تشبع هذه الدوافع - فإن البشر والأمم على السواء سوف يقعون هزيمة المرض⁽⁴⁵⁾، برمودا جث 35 مليون ضحية في الحرب العالمية الثانية الذي ما يزال داهياً ومشعاً ، فإن الشخص العاقل قد يتعجب كيف استطاعت الدراسات البيولوجية أن تثبت أي شيء من هذا القبيل. لقد رفضت المسودة ، لكن مونتاغو سكان حظه أفضل في العقود التالية عندما نهنت اليونسكو وجمعيات علماء قرارات مماثلة(46).

بشكل عام أكثر ، لقد رأى علماء الاجتماع أن قابلية تشكيل البشر ، واستقلالية الثقافة كمتنقذات قد تجلب الحلم القديم: بتوجيه البشر إلى الكمال إن لنا عاقبتين بما لا نحبه تجاه مآزقنا الراهن- ولا شيء يمنعنا من تغييره عدا الافتقار إلى الإرادة ، والاعتقاد المتخلف بأننا مهيئون عنه عن طريق البيولوجيا. فقد عبر علماء اجتماع كثيرون عن الأمل بطبيعة بشرية جديدة متطورة.

لقد شعرت (وقلت ذلك ميكراً) أن التفسير البيئي كان مفضلاً ، كلما كانت الحقائق تبرره ، لكن أن نرفع سوية الأمل بالتقدم ، هو أكثر تقاؤلاً⁽⁴⁷⁾.

أتوكلا بنينغ 1928

علم الاجتماع الحديث والأنثروبولوجيا الحديثة هما واحد في مقولة أن جوهر الثقافة أو الحضارة هو التراث الاجتماعي ، وأن هذا التراث قابل للتعديل بشكل لا محدود من خلال المزيد من التعلم من أجل أساليب أفضل وأكثر سعادة للعيش معاً... وبذلك توفيق الدراسات العلمية للمؤسسات الإيمان بإمكانية إعادة خلق الطبيعة البشرية والحياة الاجتماعية البشرية معاً⁽⁴⁸⁾.

تشارلز إلود 1922

المواقف في مجالات كثيرة تتداعى تحت نزع التفاضل ، أي يوسع شخص أن ينلم أي شيء... لقد ابتعدنا عن مفهوم القدرة البشرية على أنها شيء ثابت في البنية الفيزيولوجية إلى الإيمان بألية متنوعة مرنة خاضعة لتقدم كبير⁽⁴⁹⁾.

روبرت هاريس 1960

مع أن علم النفس لم يتم تسييسه كما حدث لبعض العلوم الاجتماعية الأخرى ، إلا أنه أحياناً يتم دفعه بنظرة طوباوية ، التغيرات فيها في مجال تربية الأطفال والتعلم

سوف تحسن من وضع الأمراض الاجتماعية، ومن الصالح العام البشري. ويحاول التطورون التمسكون - أحياناً - إضافة ثقل أخلاقي للجدالات لصالح النزعة الترابعية أو نظريات امبريقية أخرى، مع تحذيرات من مضامين تشاؤمية لنظريات فطرية. فليس سبيل المثال، يجادلون بأن النظريات الفطرية تفتح الباب على فروقات فطرية قد تميز الضعيفة، أو أن النظريات قد تتضمن أن الخصائص البشرية غير قابلة للتغيير مما يضمف من الدعم لصالح البرامج الاجتماعية (50).

لقد تبنى علم الاجتماع في القرن العشرين ليس الصفحة البيضاء والهجبي النبيل وحسب بل العنصر الثالث من الثلاثي: الشبح في الآلة. وقد أصبح الإعلان بأننا نستطيع أن نغير ما لا نحبه في أنفسنا هي كلمة السر في علم الاجتماع. لكن ذلك يثير السؤال: من، أو ماهية هذه النحن؟ إذا كانت هذه النحن تقوم بإعادة الخلق فهي مجرد قدرات أخرى من مادة في العالم البيولوجي، إذن أي قابلية لتشكيل السلوك ستكون عزاءً بارداً. لأن "نحن" المشككين سنكون مقيدين بيولوجياً. وبالتالي قد لا نقولب الناس، أو نسمح لأنفسنا أن يتم قولبتنا بالطريقة التي نتال أفضل الاستحسان. شبح في الآلة هو المحرر النهائي للإرادة البشرية، من ضمنها الإرادة لتغيير المجتمع من السببية الميكانيكية. وقد أوضحت الأنثروبولوجية لورين إيزلي هذا عندما كتبت:

"عقل الإنسان - من خلال - عدم الجزم والقدرة على الاختيار والتواصل الثقافي، على وشك الهروب من السيطرة العمياء للعالم الحتمي النزعة الذي كسبل فيه الداروينيون الإنسان بالأسفاد دون أن يعوا ذلك. والسمات الولاية المفروضة عليه من قبل متطري في البيولوجيا قد نداءت... لقد رأى والاس Wallace بشكل صحيح أن مع ظهور الإنسان سكان تطور الأجزاء خارج السياق إلى حد محدد، وأن العقل كان العامل الحاسم في مصير الإنسان" (51).

والاس الذي تشير إليه لورين هو ألفرد راسل والاس 1823 - 1913 الذي شارك داروين في اكتشاف الاصطفاء الطبيعي. لكنكته الخشيق عن داروين بالقول إن العقل البشري لم يكن بالإمكان تسييره من خلال الشوء، ولا بد أنه قد تم تصميمه من قبل ذكاء خارق. سكان يعتقد أن عقل الإنسان قد يهرب "من السيطرة العمياء للعالم حتمي". لقد أصبح والاس روحانياً وقضى السنوات الأخيرة من عمره يبحث عن سبيل للتواصل مع أرواح الموتى.

علماء الاجتماع الذين اعتمدوا بالانفصال مطلق بين الثقافة والبيولوجيا قد لا يكونون اعتقدوا فعلياً بوجود شيح يسكن الدماغ. واستخدم البعض لتشبيه الفاروق بين المادة الحية وغير الحية. ككتب ككروبيير: "فجر الاجتماعي...". ليس حلقة في أي سلسلة. وليس خطوة في معر. بل قفزة إلى مستوى آخر...

إنه مثل الظهور الأول للحياة في الطكون الذي لا حياة فيه حتى الآن... من عهد اللحظة وصاعداً ينبغي أن يكون هناك عالمان بدلاً من عالم واحد" (52).

وأصدر لوي Lewy على أنه ليس الصوفية، بل طريقة علمية سليمة تقول إن الثقافة فكانت "فريدة نوعها". وبالإنسكان لتفسيرها بالثقافة فقط. لأن ككل واحد يبرر أن في البيولوجيا خلية حية تستطيع أن تأتي فقط من خلية حية أخرى" (53).

في الوقت الذي ككتب فيه ككروبيير ولوي فكان علم البيولوجيا إلى جانبها ير فكان علماء بيولوجياً ككثيرون ما يزالون يعتقدون أن الأشباه الحية فكان يتم إحياؤها بجوهر خاص elan vital، وليس بالإسكان لتخليقها إلى مرتبة مادة غير حية. ويتم أحد تواريخ البيولوجيين عام 1931 إلى علم الوراثة ككما فكان يُفهم أنذاك أنظر الأخيرة من النظريات البيولوجية حيث بدأنا لأول مرة، في حضور قوة تسمى العنصر النفس التي هي ليست فريدة من نوعها في ككل وجميع تبديلتها" (54). في الفصل التالي، سوف نرى أن التشابه بين استقلالية الثقافة واستقلالية الحياة سوف يثبت له يقول أكثف مما أدركه علماء الاجتماع هؤلاء.

الفصل الثالث

تداعي الجدار الأخير

في عام 1755 كتبت صموئيل جونسون أن معجزة لا بد أن يتوقع أحد - أنه سوف يغير الطبيعة القمرية ، ويخلص العالم فوراً من الحماقة والغرور والرياء . فلة من الناس يرفعون هذه الكلمة الجميلة sublunary التي تعني حرفياً 'تحت القمر' . إنها تشير إلى اعتقاد قديم بتقسيم مسارم بين كون غير متغير ، قانوني ، وعلى حالته الأولى فوق ، والأرض المتقلبة والفوضوية الوسخة تحت. هذا التقسيم سكان مهجوراً عندما استخدم جونسون الكلمة. لقد أثبت نيوتن أن القوة نفسها التي تجذب التفاحة إلى الأرض هي التي ابقت القمر في مداره السماوي.

نظرية نيوتن القائلة بأن مجموعة واحدة من القوانين تحكم حركات جميع الأجسام في الكون ، شكلت الحدث الأول في واحدة من أعظم التطورات في الفهم البشري: توحيد المعرفة التي أسماها عالم البيولوجيا. و. ويلسون توافق استقرامات (1). الاختراق الذي أحدثه نيوتن قد نسي الآن: انهيار الجدار بين الماضي الإبداعي والحاضر السكوني. لقد حدث ذلك عندما أثبت تشارلز ليل أن الأرض قد نحتت في الماضي من قبل قوى نراها اليوم (مثل الزلازل وعوامل الحت) التي تعمل عبر فترة هائلة من الزمن.

فما هو حي، وما هو غير حي أيضاً لم يعد يشغل عوالم مختلفة. ففي عام 1628 أثبت وليم هارفي أن الجسم البشري آلة تدير بقوى السوائل ومبادئ ميكانيكية أخرى وفي عام 1828 أثبت فريدريش فوللر wöhler أن مادة الحياة ليست مادة هلامية نابضة سحرية ، بل مركبات عادية تخضع لقوانين الكيمياء. وأثبت داروين أن تنوع الحياة المذهل واماراته الموجودة في شكل سكان تدل على أن التصميم قد نشأ من السيرورة التيزيائية للاسطفاء الطبيعي بين الأجناس المتماخضة replicators. لقد أثبت غريغور ماندل ، وجيمس واتسون ، وفرنسيس كريك أن التماخج بعد ذاته بالإمكان فهمه في كلمات فيزيائية. وتوحيد فهمنا للحياة مع فهمنا للمادة والطاقة كان الإنجاز العلمي

الأعظم في النصف الثاني للقرن العشرين، وإحدى نتائجه العكسية كانت سحر البساط من تحت علماء الاجتماع من أمثال كروبيور ولوي اللذين استحضرا "الطريق العلمية السليمة" بوضع ما هو حي وما هو غير حي في تكوينين متوازنين. فالآن - نعرف أن الخلايا لم تأت دائماً من خلايا أخرى، وأن ظهور الحياة لم يخلق عالمًا ثانياً حيث سكن هناك عالم واحد فقط. لقد تطورت الخلايا من جزيئات مولدة أبسط، جزء غير حي من العالم المادي، وبالإمكان فهمه كمجموعات من آلية جزيئية، آلية شديدة التعقيد طبعاً، لكنها مع ذلك ما تزال آلية. يترك هذا حائطاً ما يزال قائماً في المشهد المعرفي. الحائط الذي حرسه علماء الاجتماع في القرن العشرين بشكل عناية. إنه يفصل المادة عن العقل، وما هو مادي عما هو روحي، والفيزيائي عن العقلي، والبيولوجيا عن الثقافة. والطبيعة عن المجتمع، والعلوم عن العلوم الاجتماعية، والإنسانيات والفنون لقد برز الانقسام داخل شكل من مبادئ النظرية الرسمية: الصفحة البيضاء المعطاة من قبل البيولوجيا مقابل المحتويات التي نقشتها التجربة والثقافة، نبل المهجي في الناحية الطبيعية مقابل فساد المؤسسات الاجتماعية، الآلة التي تتبع قوانين حتمية مقابل الشبح الحري أن يختار ويحسن الشرط البشري.

لكن هذا الحائط قد بدأ يتداعى. أفكار جديدة من جهات المعرفة الأربع - العلوم العقلية، والدماغ، والجينات، والشعور، أخذت تهدم الجدار بفهم جديد للطبيعة البشرية. وفي هذا الفصل سوف أثبت وكيف أن هذه العلوم تملأ الصفحة البيضاء، وتزل مرتبة المهجي التنبيل، وتطرد الشبح من الآلة. وفي الفصل التالي سأبين أن هذا التصور الجديد للطبيعة البشرية المرتبط بالبيولوجيا من تحت يستطيع أن يمد ظواهر الثقافة بمستلزماتها دون فصلها داخل كون مواز.

الجسر الأول بين البيولوجيا والثقافة هو علم العقل، العلم المعرفي (2). إن مفهوم العقل كان محبباً على الدوام، طالما أن الناس يتأملون أفكارهم ومشاعره فالفكرة ذاتها قد فقت متناقضات وخرافات ونظريات ناشرة في كل فترة زمنية وفي كل ثقافة. يستطيع المرء أن يتعامل مع السلوكيين والبنائين الاجتماعيين في النصف الأول من القرن العشرين الذين نظروا إلى العقل ككاحجية أو اهضاج مفهومية كان من الأفضل تجنبها لصالح سلوك متبسط أو سمات ثقافية ما. لكن البدء بالثورة المعرفية

في خمسينيات القرن العشرين تغير شكل ذلك. فالآن، من الممكن أن نفهم العمليات العقلية، ودراستها في المختبر حتى ونفهم أقوى لفهوم العقل. يمكننا أن نرى العديد من مبادئ الصفحة البيضاء التي بدت فيما مضى جذابة هي الآن غير ضرورية أو حتى غير مشقة. وسأورد خمس أفكار من الثورة المعرفية التي أصلحت التفكير التي علينا أن نتفكر بها ونتحدث عن المتول.

الفكرة الأولى: بالإمكان النظر إلى العالم العقلي على أنه موجود في العالم الفيزيائي من خلال المفاهيم المعرفية، والحوسبية، والتنفيذية الراجعة. الفصل الكبير بين العقل والمادة بدأ دائماً طبيعياً، لأن السلوك يبدو أنه مختلف عن الفادح trigger في الحوادث الفيزيائية الأخرى. فالحوادث العادية لها عقل، لكن السلوك البشري له أسباب. لقد شاركت مرة في ندوة متلفزة في ب. ب. سي حول ما إذا يستطيع العلم أن يفسر السلوك البشري. وكان فيلسوف قد سال كيف يمكننا أن نفسر لماذا وضع شخص ما في السجن؟ هلنقل أنه أثار حقداً عنصرياً. ففئة الفيزياء لا يمكنها أن تصنف اثية - الكراهية - والسجن. ببساطة ليس هناك سبيل لتعريف الكراهية أو السجن من خلال حركات الجزيئات. تفسيرات السلوك هي كالأعمال القصصية مغلقة في نوايا المثلين، مستوى منفصل تماماً عن العالم الطبيعي. أو حُذ مثلاً أكثر بساطة. كيف يمكننا أن نفسر لماذا سار ويكس للتو إلى الهاتف. لن نقول إن الحافز الذي له شكل هاتف جعل أطراف ويكس تتأرجح على شكل أقواس محددة، لكن بدلاً من ذلك قد نقول، إنه أراد أن يتكلم مع صديقه Cecile سيسيل التي كان يعرف أنها في البيت. مامن تفسير له قدرة تنبؤية أكثر من ذلك المثال. فلو كان ويكس على خصام مع سيسيل، أو أنه تذكر أنها مكثت خارج البيت لما كان جسمه ارتفع عن الأرضة ومضى إلى الهاتف.

طوال آلاف السنين، بدت الفجوة بين الحوادث الفيزيائية من ناحية والمضى، الضموم، الأفكار، الأسباب، والتوايا من ناحية ثانية أنها تنقسم للكون إلى اثنين. إذ كيف يمكن لشيء أثري مثل إثارة الكراهية أو الرغبة بالحديث إلى سيسيل أن يسببها تحرك المادة في الفضاء؟ لكن الثورة المعرفية وحدت عالم الأفكار مع عالم المادة مستخدمة نظرية جديدة قوية: إذ بالإمكان تفسير الحياة العقلية من خلال كلمات معلومات، حوسبية، وتلذذية راجمة، فالمقائد والذكريات هي مجموعات معلومات، مثل الحقائق في قاعدة بيانات، لكننا مستقرة في نماذج عاطفية وبنية في

الطرف الأول - الذي نشأ في معهد التقانة في ماساتشوستس في القطب الشرقي - التحضر الأسطوري الذي منه جميع الاتجاهات هي غريب. ويضمون الطرف الثاني - الذي نشأ في جامعة كاليفورنيا سان دييغو عند القطب الغربي، السكان الأسطوري الذي منه جميع الاتجاهات هي شرق. (الأسماء التي اقترحها هورودور أشاء حلقة بحث MIT التي صدر يشن فيها هجوماً على منظر في الساحل الغربي). أشار امرؤ إلى أن المنظر سكان بعمر في بال التي هي تقتياً على الساحل الشرقي (12).

لكن لماذا تختلف المناظرة بين القطب الشرقي والقطب الغربي عن المناظرات التي شغلت الفلاسفة طوال آلاف السنين فضكلاهما لا يعتقدان بالصفحة البيضاء. ويفر شكل منهما أنه لا يمكن أن يكون هناك تعلم دون دورة فطرية للقيام بالتعلم. وفي يبرز القطب الغربي يسلم بيتس والمسان ومؤلفوهم المساعدون يسلمون بإعادة التنصير بالفطرية "ما من قاعدة تعلم يمكن أن تكون خالية من محتوى نظري، كلما أنه لا يمكن أن يكون اللوح خالياً تماماً" (13).

"هناك اعتقاد واسع الانتشار بأن نماذج الترابطية (والمتمذجين) ملتزمون بشكل متطرف بنزعة إمبريقية، وأن أي شكل من معرفة فطرية ينبغي تجنبها على أنها وباء. -- إننا - وبشكل وضوح - لا ننتهي هذا الرأي. هناك أسباب وجيهة تدعونا لأن نعتقد أن بعض أنواع قيود سابقة (على نماذج التعلم) هي ضرورية. وفي حقيقة الأمر تقدم جميع نماذج الترابطية بالضرورة بعض افتراضات ينبغي أن تعد أنها قيود فطرية لتكوينها" (14) - وجهات الاختلاف بين القطبين مع أنها مهمته هي حول التفاصيل: ككم شبكات التعلم هي فطرية، وكيف تتم هندستها من أجل أعمال محددة. (سوف نرى بعضاً من هذه الاعتراضات في الفصل الخامس).

الفكرة الثالثة: مجال من السلوك لا نهائي بالإمكان توليده ببرامج تركيبية معينة محددة Finite combinatorial في العقل. قد نُسف علم معرفة الصفحة البيضاء والشبح في الآلة بطريقة أخرى. بالإمكان أن نسامح الناس على مسخريتهم من الافتراض القائل بأن السلوك البشري هو في "الجينات" أو أنه "نتاج تطور" بالمعاني المألوفة من علم الحيوان. فالأفعال البشرية لا يتم انتقالها من ردود أفعال تمثيلية لحركة الرعبية ككسمة تهاجم بقعة حمراء، أو ككداجة تجلس على البيض، بدلاً من ذلك، قد يمدد الناس الإلهات، ويمثلون عن مزاد على أهزوجة على الإنترنت، يعزفون على غيتار في

الهاء الطلق، ويعرعون إلى حجر تكفييرا عن ذنوب ماضية، وبينون قلاعاً من كركاسي
الفتح الخ، فإنهم بذلك يبدون دون حدود، فنظرة إلى الناشئان جيوغرافيك توضع أن
حتى المغرب الأفعال في ثنائياتنا الخاصة لا تنضب في التعبير عما يستطيعون عونا القيام به.
إن يحدث أي شيء فقد يظن المرء ربما أننا عجينة مسخفة، أو قوى لا تكوابع لها في
نهاية المطاف.

بيد أن ذلك الانطباع قد نحي جانباً من قبل المقاربة الحوسبية للعقل التي بالكاد
كانت مفهومة فقط في الفترة التي كانت ظهرت فيها الصفحة البيضاء، والمثال
الأوضح هو الثورة التلومسكتية في اللغة (15) فاللغة هي خلاصة السلوك الإبداعي
التنوع ومعظم الأقوال هي مجموعة كلمات مدمجة ذات ماركة جيدة لم ينطق بها
ألباً في تاريخ الجنس البشري. إننا لا نشبه البنية دعى دغدغني يا إلهي لديها قائمة
ثابتة من استجابات فعلية موصولة بأسلاك داخلها. لكن تكما أوضح تلومسكتي أن
من أجل لغة مفتوحة التهايات هي ليست حرة للجميع، بل تطيع القوانين والنماذج فتناطق
بالإنجليزية يستطيع أن ينطق سلاسل غير مسبوقة من الكلمات مثل ألكوان يومية
جديدة تأتي إلى الوجود، أو هو يحب التوست مع جينة الكركيم والكاتشب أب، أو أن
سيارتي قد أكلتها wolverines. أو معظم الاحتمالات الممكنة لثرائيات الكلمات
الإنجليزية. لا بد أن شيئاً ما في الرأس يجب أن يكون قادراً على توليد ليس فقط دمج
كلمات مع بعضها بل القيام بدمج ذي منهجية عالية.

ذلك الشيء هو نوع من برنامج حاسوب، قواعد مولدة تستطيع أن تصوغ ترتيبات
جديدة للكلمات، بطارية قواعد مثل جملة إنجليزية تحتوي على ميثدا وخير، وخير
يحتوي على فعل ومفعول به وتكملة تستطيع أن تفسر القدرة الإبداعية غير المحدودة
لدى المتحدث البشري. فمع بضعة آلاف من الأسماء التي تملأ مكان الفاعل، وبضعة
آلاف من الأفعال التي تملأ مكان الخبر، يتوفر لدى المرء ملايين عدة من الطرق لكي
يستهل جملة. هذه البنى الممكنة تتضاعف بسرعة لتصبح أعداداً لا يمكن تحيلها.
قواعد الجمل نظرياً لا نهاية له. لأن قواعد اللغة تستخدم حيلة تدعى التكرارية.
قواعد تكرارية تسمح لعبارة أن تحتوي مثلاً بنفسها تكماً في المثال التالي /إنها تمتد
أنه يمتد أنهم يمتدون أنه يمدف/ وهكذا إلى ما لا نهاية. فإذا كان عدد الجمل لا
نهائياً فإن عدد الألفاظ والتوابا الممكنة لا نهائي أيضاً لأن كل جملة تعبر عن فكرة
أو نية مختلفة. فالقواعد الدمجية combinatorial من أجل مشابهة لغوية مع برامج دمجة

في الرأس هي من أجل أفكار ونوايا. مجموعة ثابتة من الآليات في الذهن تستطيع أن تولد مجالاً نهائياً من السلوك عن طريق العضلات (16). فما أن يبدأ الشراء بالتخصيص بالبرنامج العقلي بدلاً من الفيزيائي حتى تصبح الفروقات الراديكالية بين التفاهل البشرية أصغر بكثير. وذلك يفضي إلى فكرة جديدة رابطة: اليات عقلية كبرى تستطيع أن تكمن تحت التباين السطحي عبر الثقافات.

من جديد، نستطيع أن نستخدم اللغة كجدول يحتذى للنهايات السلوكية المفتوحة. فالبشر يتكلمون نحو ستة آلاف لغة غير مفهومة. ومع ذلك فالبرامج القواعدي في عقولهم تختلف أقل بكثير عن التكلام الحقيقي الصادر من أفواههم. فمعدننا ملوية عرضاً أن جميع اللغات البشرية تستطيع أن تعبر عن الأنواع ذاتها من الأفكار. لقد ترجم الكتاب المقدس إلى مئات من اللغات غير الغربية، وأثناء الحرب العالمية الثانية نقلت هيئة أركان البحرية الأمريكية رسائل سرية عبر الباسيفيكي عبر ترجمتها من قبل هنود Navajo إلى ومن لغتهم الأم. حقيقة أن بإمكان أي لغة أن تستخدم للتعبير عن أي مقترح، من الحكيم التكنولوجية، إلى الأوامر العسكرية تعني أن جميع اللغات مفصلة من الفعاليات ذاته.

لقد اقترح تشومسكي أن القواعد المولدة لللمات فردية هي تنوعات على نموذج واحد أسماء/القواعد الكونونية Universal Grammar /، فهي الإنجليزية - على سبيل المثال يرد الفعل قبل المفعول به (يشرب بيتر) وحرف الجر يأتي قبل العبارة الاسمية (من الزجاج)، بينما في اليابانية يأتي المفعول به قبل الفعل (بيتر يشرب) وتأتي العبارة الاسمية قبل حرف الجر. ولكن شكلتا اللغتين فيهما أفعال ومفعولات به، ومواقع قبل أو بعد للبدء بها. فبعضاً لأن يكون هنالك أنواع قابلة للفهم لا تحصى من أجهزة تستطيع أن تعد نظام تواصل. وما هو أكثر أهمية هو أن اللغات غير ذات الصلة تبني عباراتها من خلال تجميع رأس (مثل فعل أو حرف جر) وتكملة مثل عبارة اسمية) وتحديد ترتيب متسق إلى الاثنين في الإنجليزية الرأس يأتي أولاً، بينما في اليابانية الرأس يأتي أخيراً. لكن شكل شيء آخر حول بنية العبارة في اللغتين فهو متماثل تماماً. وهكذا تسير الأمور من عبارة إلى عبارة ومن لغة إلى لغة. الأنواع الشاملة للرووس والتكلمات. بالإمكان ترتيبها 128 طريقة منطقية ممكنة لكن 95٪ من لغات العالم تستخدم واحداً من اثنين: الترتيب الإنجليزي أو صورتها المرآتية الترتيب الياباني (17) فالطريقة البسيطة لفهم هذا الاتساق هي القول إن جميع اللغات لها القواعد نفسها ما عدا مقاييس

لاستبدال إما الرأس أولاً أو الرأس أخيراً. لقد لخص عالم اللغات مارك بيكسر نحو عشرة من هذه المقاييس التي توضح بيجار معظم التنوعات المعروفة في لغات العالم (18).

استخلاص التنوع من النماذج الكونية ليس فقط مجرد وسيلة لترتيب مجموعة من بيانات هوسوية. بل باستطاعته أن يقدم دلائل حول آلية فطرية تجعل التعلم ممكناً. فإذا ما كان الجزء الكونوي من قاعدة مجسداً في الدارات العصبية التي توجه الأطفال الصغار عندما يبدأون بتعلم اللغة، فإن باستطاعته أن يفسر مكيف يتعلم الأطفال اللغة بيسر واتساق كبيرين دون الإفادة من التعليم. فبدلاً من التعامل مع الصوت الخارج من هم الأم، مع أنه مهم من أجل محاكاة حرفية، أو ليقطعه الطفل ويجربه بطرق عشوائية، فإن الطفل الصغير يصفي إلى رؤوس وتكلمات جميل ويمير اهتمامه إلى كيفية ترتيبها ويبنى نظاماً قواعدياً متسقاً مع هذا الترتيب.

هذه الفكرة ذات معنى لأنواع أخرى من المفاهيم عبر الثقافات. لقد زعم العديد من علماء الأنثروبولوجيا المتحمسين للبنائية الاجتماعية أن الانفعالات المألوفة لدينا مثل الغضب، غير موجودة في بعض الثقافات (19) (قطة من الأنثروبولوجيين يقولون إن هناك ثقافات دون انفعالات على الإطلاق) (20). فعلى سبيل المثال كتبت كاترين لوتز أن شعب *!Kung* لا يعرف غضبنا، بدلاً من ذلك يعمرون بتجربة يسمونها *song* هي حالة حرق تشعلها مخالقات أخلاقية مثل انتهاك محرم أو التصرف بفرور. إنها تسمح للمرء أن ينأى بنفسه أو يعيس، يهدد، أو يقشاب المخالف، لكن ليس أن يهاجمه جسدياً. هدف تجارب *song* هو المرور بانفعال آخر غير معروف لدى الغربيين */metagu/* حالة خوف تجبر المرتكب أن يقلل حالة *song* من خلال الاعتذار. بدفع غرامة أو تقديم هدية.

لقد ألهم تشومسكي وعلماء معرفة آخرين، الفيلسوفين رون ماون، وستيف ستيش أوشنجا أن ما إذا نسمي قضية إيقاً لوك *song* والغضب الغربي نفس الانفعال نفسه أم انفعالين مختلفين، هو مراوغة حول معنى الكلمات الدالة على الانفعال: ما إذا كان يتوجب تعريفهما من خلال سلوك سطحي أم حوسبة عقلية متكاملة (21). فإذا ما عرف انفعال من خلال السلوك، فإن الانفعالات تختلف عبر الحضارات بشكل تأكيد. يتفاعل "إفالوك" عاطفياً تجاه امرأة تعمل في حدائق القلقاس أثناء الحياض، أو تجاه رجال يدخلون منزلاً فيه امرأة تلد. بينما نحن لا نفعل ذلك، إننا نتفاعل عاطفياً مع شخص يصيح بكلمات عنصرية، أو يرفع أصبعه الوسطى، بينما "إفالوك" لا يتفاعل

ذلكه : لكن إذا ما عرفنا أفعالنا من خلال اليات عقلية - بسميه بعض علماء النفس من أمثال بول إسكمان وريتشارد لازاروس "برامج تأثير" أو "صبيغ" ، كو إن "إذنا لسنا شعبي الاختلاف نحن و"الإفالك" في نهاية المطاف. (22) فقد نكون جميعاً مزودين ببرنامي يستجيب ويهين اهتماماتنا ويواجهها أو مع إحساننا بالسكرامة ، نشعر بأحترام مزبي يحفزنا لأن نقاب أو نحدد تعويضاً. لكن ما يمد إهانة ، سواء نشعر أنه من الجزي حياله أن نتجهم في ظرف محدد ، وما نوع العقاب الذي نظن أننا مؤهلون لمرضه فذلك يعتمد على ثقافتنا. فالحوافز والاستجابات قد تختلف لكن الحالات العقلية هي نفسا سواء تماثلت أم اختلفت مسمياتها في لغاتنا.

دون ألة فطرية للحوسبة العقلية ، ليس هناك سبيل لتعلم الأجزاء التي ينتمي تنبي من الثقافة. ليس مصادفة أن المواقف التي تثير some بين "إيفالك" تتضمن انتهازي لحرم ، أو أن يكون المرء مكسولاً أو غير محترم ، وأن يرفض أن يشارك ، لكنها لا تتضمن احترام الثابو ، أو أن يكون المرء لطيفاً وميالياً. إن شعب "إيفالك" يؤول الثلاث الأولى على أنها متماثلة ، لأنها تثير برنامج التأثير ذاته ، وتفهم على أنها إهانات. وتلك يجعل من الأسهل أن نتعلم أنها تستدعي رد الفعل نفسه ، ويجعل من المرجح أن تلك الثلاثة تجمع معاً على أنها المشمل المقبول لاتفعال جيد.

مجالات مألوفة من السلوك: تقاليد الزواج ، ومعمرات الطعام ، والخرافات الشعبية ، وما شابهها ، تتباين - بشكل تأكيد - عبر الثقافات ، وينتمي تعلمها ، غير أن الأليات الأعمق للحوسبة العقلية التي تولدها قد تكون كونية وفطرية. فقد يرتد الناس ملابس مختلفة ، لكنهم - جميعاً - يسعون إلى التباهي بمسكانتهم من خلال مظهرهم. إنهم يحترمون حقوق أفراد عشيرتهم حمرياً أو قد يوسعون ذلك الاحترام ليشمل ككل فرد في قبيلتهم ، أو دولتهم القومية أو نوعهم. لكنهم - جميعاً - يتسبون العالم إلى جماعة منضوية وإلى جماعة خارجة. إنهم يختلفون في النتائج التي يمتزونها إلى نوايا سكانيات واعية. فهم الناس يسمحون أن تصنع الأشياء الهدوية عمداً ، ويمتد آخرون أن المرض يأتي من تويدات سحرية كتبها أعداؤهم ، بينما يعتقد آخرون أن خالقاً قد جلب العالم كله إلى الوجود. لكنهم جميعاً يفسرون أحداثاً محددة باستحضار وجود سكانيات ذات عقول تجهد لتحقيق أهدافه فالسلوكيون قد عادوا إلى الخلف وقالوا إن العقل هو التانوني وليس السلوك.

الفكرة الخامسة: العقل نظام معقد مكون من اقسام تتفاعل فيما بينها. فعلماء النفس الذين يدرسون العواطف في ثقافات مختلفة قاموا باكتشاف الخبر مهم في بعض تديرات الوجه الصريحة تبدو انها هي ذاتها في كل مكان. لكن الناس في بعض الثقافات يتعلمون الإنشاء على وجه لا يتم عن مشاعر في صحنه مؤدية. (23) والتفسير البسيط هو أن برامج التأثير تشعل تعبيرات الوجه بالطريقة ذاتها عند جميع الناس. لكن نظاماً منفصلاً من "قواعد عرض" تسيطر عندما يمكن إظهارها.

يفضي الفرق بين هاتين الأكتيين رؤية أخرى للثورة المعرفية. قبل الثورة استحضرت الشراخ صناديق سوداء ضخمة مثل "المفكر" أو "الفهم" وقاموا بإعلانات كاسحة حول الطبيعة البشرية مثل: أننا بالأساس كئيبا نبلاء، أو أشقياء. لكننا الآن نعرف أن العقل هو وحدة تتعاون فيه أجزاء كثيرة لكي تولد قطاراً من المفكر او عملاً منظماً. إنه يمتلك أنظمة معالجة معلوماتية لقطرة الحشو. وتعلم المهارات والتحكم بالحسم، وتذكر الحقائق والاحتفاظ بالمعلومات مؤقتاً، وتخزين القواعد وتطبيقها. تشريح هذه الأنظمة المعالجة للبيانات هي قدرات عقلية تسمى أحياناً (بكميات عديدة) مكرسة لأنواع مختلفة من المضمون مثل: اللغة، والعدد والفراغ، والأدوات والأشياء الحية. علماء المعرفة في القطب الشرقي لديهم شك في أن الأقسام الحاوية للمضمون تختلف كثيراً عن طريق المورثات (24) وعلماء المعرفة في القطب الغربي يشكون في أنها تبدأ مثل إنجازات فطرية صغيرة في الاهتمام ثم تتخثر من نماذج إحصائية في المدخل الحسي (25) لكن من هم عند القطبيين يتفقون بأن الدماغ ليس ككتلة لحمية متسقة. ما تزال هناك طبقة من أنظمة معالجة المعلومات يمكن العثور عليها في برامج التأثير أي أنظمة التحفيز والتعامل.

النتيجة هي أن حاسة أو عادة تظهر من وحدة بالإمكان ترجمتها في سلوك بوسائل مختلفة، أو تشكلت كلها تماماً من قبل وحدة أخرى. لتأخذ مثالاً أكثر بساطة: يعتقد علماء نفس المعرفة أن النماذج modules تدعى "نظام العادة" تكمن وراء ميلنا لإنتاج استجابات محددة اعتيادياً مثل الاستجابة لكلمة مطبوعة من خلال قراءتها بصمت. لكن نموذجاً آخر يدعى "نظام الاهتمام الإشرافي" يستعمل أن يمتطيها، ويركز على المعلومات المتعلقة بمشكلة محددة، مثل تسمية لون حبر الكلمة المطبوعة، أو التفكير بالفعل الذي تمنحه الكلمة (26). التلاعب الداخلي الذي تقوم به الأنظمة العقلية يستطيع أن يفسر كيفية يستطيع الناس تنمية رغبات بالانتقام لا يعملون بها، أو

ارتكباب فعل الخيانة في قلوبهم فقط. في هذه الطريقة تنجم نظرية الطبيعة البشرية عبر الثورة المعرفية التي لديها مشترك ككثير مع النظرية المسيحية - اليهودية حول الطين البشرية. وكذلك مع نظرية التحليل النفسي التي قدمها فرويد ، أكثر مما لها مشتركات مع المدرسة السلوكية والبنائية الاجتماعية . ومن النسخ الأخرى للصفحة البيضاء ، فالسلوك لا يتم إطلاقه أو استنباطه ، وكذلك لا يأتي مباشرة من ثقافة المجتمع . إنه يأتي من صراع داخلي بين وحدات نماذج عقلية مع أجندات وأهداف متباينة.

فككرة أن الثورة المعرفية بأن العقل هو نظام ذو وحدات حوسبية مولدة كلوية تعكس الطريقة التي تنظر في الطبيعة البشرية التي تم تأطيرها طوال قرون . من التسلل أن نسأل ما إذا كان البشر مطواعين أم مبرمجين ، أو ما إذا كان السلوك كونياً أم يتباين عبر الثقافات ، ما إذا يتم تعلم الأطفال أم أنها فطرية. ما إذا كان الناس - بالأساس خيريون أم أشراراً. يسلك البشر بمرونة لأنهم مبرمجون: عقولهم مزودة ببرامج إدماجي combinatorial يستطيع أن يولد مجموعة غير محددة من الأفكار والسلوك فالسلوك قد يتفاوت حسب الثقافة ، لكن لا حاجة لأن تتباين البرامج العقلية التي تولدهم. يتم تعلم السلوك الذكي بنجاح ، لأن لدينا أنظمة فطرية تقوم بالتعلم وقد يكون لدى جميع الناس دوافع خير وشر ولكن قد لا يترجمها شكل امرئ إلى سلوك بالطريق نفسها.

الجسر الثاني بين العقل والمادة هو علم الأعصاب المعرفي ، أي دراسة الكيفية التي تتم فيها المعرفة والعاطفة في الدماغ. (27) لقد ألف فرانسيس كريك كتاباً عن الدماغ يسمى / الفرضية المدهشة / يشير فيه إلى الفككرة بأن جميع أفكارنا ومشاعرنا ومسرراتنا وآلامنا وأحلامنا ورغباتنا تنشأ عن نشاط فيزيولوجي في الدماغ. (28) عند الأعصاب المتهاككون الذين يتبنون الفككرة بديهاً ضحكوا من العنوان. لكن كريك كان محقاً: الفرضية مدهشة لعظم الناس عندما يتمحصونها لأول مرة. هؤلاء الذين لا يستطيعون التعاطف مع ديمثري سكارامازوف المسجون وهو يحاول أن يفهم ما قد تعلمه لتلو من أحد الأكاديميين الزائرين.

تحليل علاقة الأعصاب في الرأس - أي أن هذه الأعصاب موجودة هناك في الدماغ وهناك نوع من سيطرة صغيرة لتلك الأعصاب ، تبدأ بالارتعاش عندما انظر إلى شيء.

بمعنى، تلك السياط الدقيقة. وعندما ترتعش تظهر صورة.. إنها لا تظهر على الفور. لكن تتخفي لحظة، ثانية، ومن ثم شيء مثل لحظة يظهر. فليأخذ الشيطان اللحظة! لكنها صورة إنها شيء. أو عمل، اللعنة عليه لذلك ما أرى، ومن ثم افكر. بسبب تلك السياط وليس لأنه لدي روح على الإطلاق. وأتني نوع من صورة أو شبه ذلك شكله لنو فارغ أشرح رأيكتين الأمر شكله لي البارحة أمر وصبرني شرحه. إنه رائع هذا العلم يا الوبشا، إنسان جديد يظهر – هذا ما أهمهمه... .. ومع ذلك أنا أسف أن أفقد الله (29)

بصورة دستوبفسكي بعد ذاتها مذهشة. لأن في عام 1880 مبدأ الوظيفة العصبية كان مفهوماً، وشكوكك كانت تساور شخصاً عاقلاً بأن جميع ما في خيراتنا ينشأ عن سياط عصبية. لكن الأمر لم يعد كذلك. يستطيع المرء أن يقول إن نشاط معالجة المعلومات في الدماغ هو الذي يحرض الدماغ، أو يستطيع المرء أن يقول إنه الدماغ لكن البيئة جلبة في شكلنا الحالتين فشكل جانب من حياتنا العقلية يعتمد على وقائع فيزيولوجية في أنسجة الدماغ.

عندما يرسل جراح تياراً كهربائياً في الدماغ، فإن الشخص يشعر بما يشبه تجربة حياتية حية. وعندما تتسرب المواد الكيميائية إلى داخل الدماغ فإنها تغير إدراك الشخص ومزاجه وشخصيته ومعاكمته العقلية. وعندما تموت منطقة من سبيع الدماغ يزول جزء من العقل. فقد يفقد مريض عصبي القدرة على تسمية أدوات، أو يتعرف على الوجود، أو يستشرف نتيجة سلوكه، أو قد يتوقف عن التفاعل مع الآخرين، أو أن يفي في ذهنه منطقة مكانية في جسده هو. وبالتالي فكان ديمكار على خطأ عندما قال "العقل غير قابل للانقسام أبداً" واستنتج أنه يجب أن يكون مختلفاً كلياً عن الجسد. فشكل عاطفة أو فكرة تصدر إشارات فيزيائية، والتقاطات الحديثة التي تلتقط هذه الإشارات دقيقة بحيث تستطيع أن تقرأ حرفياً ذهن شخص ما. وأن تخبر عالم اعصاب معرفي ما إذا كان الشخص يتخيل وجهاً أم مكاناً. يستطيع علماء الاعصاب أن يستخلصوا مورثة من هار (مورثة موجودة في الإنسان أيضاً) وأن يمنموا الفأر من التعلم، أو أن يدخلوا مورثة إضافية ويجملوا الفأر يتعلم بطريقة أسرع. تحت المجهر بيدي التسبح الدماغى تعقيداً كبيراً؛ مائة بلون عصبون مرتبطة بمائة تريليون نقطة اشتباك عصبية، بحيث تكون مكافئة للتعهد الكبير للفكر والتجربة البشريين. منمذجات models الشبكية العصبية قد بدأت تبين أن مكونات البناء للحوسبة العقلية مثل

تخزين واسترجاع نموذج بالإمكان إنجازها في سبالة عصبية. فعندما يموت الدماغ يحرق الشخص من الوجود. فليس الترفيم من الجهود التي يوافق عليها الفرد وأسل والأسر وعلماء هيكتوريون الآخرون. فإن التواصل مع الموتى لا يبدو ممكناً.

يعرف المتعلمون أن الإدراك، والمعرفة، والثقة، والعاطفة، متجذرة في الدماغ لحضر ما يزال من المفري أن نعد الدماغ مثل لوحة تحكيم فيها مفاتيح وأزرار يشغلها مستخدم الذات، الروح، الشيخ، الـ "me" مثلما يعرض في أفلام الصكروتون التريوية القديمة. غير أن علم الأعصاب المعرفي بين أن الذات أيضاً هي شبكة أخرى من أنظمة الدماغ

الإبناة الأولى أنت من فبنيس ككيح العامل في سبكة الحديد في القرن التاسع عشر، والمعروف لدى أجيال من طلاب علم النفس. فكان ككيح يستخدم المخل ليدرك بارود تجبر في ثقب صخرة عندما أشعلت شرارة البارود، وارتد المخل عليه وأصابه في عظم خده، وداخل دماغه ثم خرج من أعلى جمجمته. لكن فبنيس نتجا مع إرضاء وذاكرته ولغته وبقي محرکه الوظيفي سليماً. لكن في تقويم شهر لأحد زملائه في العمل لم يعد ككيح كما كان. لقد حولته قطعة من الحديد إلى شخص مختلف، من شخص بيق ومسؤول وطموح إلى شخص فط، لا يمكن الاعتماد عليه وعنيد. إصاب القشرة الدماغية الأمامية - المنطقة الدماغية فوق العينين - التي يعرف أنها المسؤولة عن المحاسبة العقلية. كما تضررت مناطق أخرى من القسم الأمامي وجهاز الأطراف (مستقر الاتعالمات) التي تتوقع نتائج أعمال المرء، وتختار السلوك الموافق لأهداف المرء (30). لم يطور علماء علم الأعصاب المعرفي الشيخ فقط بل بينوا أيضاً أنه لا يوجد في الدماغ أي جزء يفعل بالضبط ما يفترض أن يقوم به الشيخ: يراجع جميع الحقائق ويتخذ القرارات لبقية الدماغ لكي ينفذها. (31) يشعر ككل امرئ منا أن هناك أنا وحيدة هي المتحكمة، لكن ذلك هو وهم. أن الدماغ يعمل جاهداً لكي ينتج، مثل التأثير بين مجالاتنا البصرية غنية بالتفاصيل من طرف إلى طرف (في حقيقة الأمر نحن عميان عن التفاصيل خارج نقطة التركيز). ونحرك عيوننا بسرعة إلى أي شيء يبدو ممتعاً. وذلك يضلنا إلى الاعتقاد بأن الجزء المقصود كان هناك طوال الوقت). فالدماغ يملك نظام إشراف في مقدمة الفصين الدماغيين وطولاً باطنياً للفص الذي يستطيع أن يضبط عر أزرار السلوك، ويعتطي عادات وواقع ككاسحة. لكن تلك الأنظمة هي أجهزة ذات اتعاطفات ككوراتية وعيوب متعددة، إنها ليست إنجازات قوة حرة عقلانية تعرف تراثها بـ "الروح أو الذات".

واحد من أفضل التشرحات الدراماتيكية لوهم الذات الموحدة تأتي من عالمي الأوصاب ميشيل غازا ونيفا وروجر سبيري sperry اللذين أثبتا أنه عندما يجرح جراح الجسم الجاسم (مكتلة الهاف عصبية تصل بين التصفين المكيرويين من الدماغ) فإن الجراح يقسم - فعلياً - الذات إلى قسمين ، ويستطيع شكل نصف أن يمارس إرادة حرة دون تصفية أو موافقة النصف الأخر. بدون اضطراب أو إرباك ينسج النصف الأيسر باستمرار وصفاً متسقاً مترابطاً ، لكنته وصف زائف للسلوك المختار ودون معرفة النصف الأيمن ، فطى سبيل المثال إن يصدر المجرّب الأمر "امش" إلى النصف الأيمن - عن طريق إيقائه في جزء المجال البصري الذي يستطيع أن يراه النصف الأيمن) فإن الشخص سوف يستجيب للطلب ويبدأ المشي خارج الغرفة. ولكن عندما يسأل الشخص (تحميداً) نصف المكورة الأيسر) لماذا نهض فسوف يجيب بكل صدق "كفي أحصل على coffee بدلاً من أن يقول "لا أعلم فعلاً أو أن" المنبه قد سيطر عليّ ،" أو "إنك تخبرني منذ سنين، منذ أن تعرضت للجراحة ، وتخبرني أحياناً على القيام بأشياء لكنني لا أعرف تماماً ما قد طلبت مني أن أفعل". وبالمثل إذا عرض على النصف الأيسر دجاجاً ، وعلى النصف الأيمن نصف ليج ، وكان على التصفين أن يختارا صورة تتسجم مع ما قد شاهدا ككلاهما ، فالنصف الأيسر يلتقط مغلماً ، ويلتقط النصف الأيمن رهشاً. لكن عندما يطلب من النصف الأيسر تفسير لماذا قامت ككلية الشخص بتلك الاختيارات فإنه يقول بكل سعادة "أه، ذلك بسيط، مغلّب الفرخة يتسجم مع الفرخة ، وتحتاج إلى رهش كفي تتلف حظيرة الدجاج" (32)

الجزء الشبهي العصبي هو أنه ليس لدينا سبب لنظن إن لدينا مولداً زائفاً ، وفي النصف الأيسر من مخ المريض سوف يتصرف يشكّل مختلف عنا ، كلما نفهم الميول التي تصدر عن بقية أدمغتنا. فالعقل الواعي - الذات أو الروح - هو طبيب مغزلي spin وليس الأمر العام. لقد كتّاب فرويد دون تواضع "مع مرور الزمن، كان على البشرية أن تتعلم من أيدي العلم ثلاثة هجومات كبيرة على محبة الذات السالجة". فاهكتشاف عائلنا ليس هو المركز لمعالم سماوية بل بالأحرى مجرد بقعة من ككون شاسع، واكتشاف أننا لم نخلق بطريقة خاصة بل تحدرنا من حيوانات، واكتشاف أن عقولنا الواعية - في أغلب الأحيان - لا تتحكم بالكيفية التي نفعل بها بل تخبرنا مجرد قصة عن أفعالنا. لقد كان محقاً بما يتعلق بالتأثير التراكمي، لكن كان على علم الأعصاب المرعجلا - بدلاً من التحليل النفسي - أن يوجه الضربة الثالثة الحاسمة.

علم الأعصاب المعرفي لا ينسب فقط الشبح في الآلة، بل ينسب الوعي أيضاً. فالضرر الذي يلحق بالقشرة الدماغية لا يتبدد فقط أو تتزحزح من سببه السلوكية بل يستطيع أن يشن هجمات عدوانية. (33) يحدث ذلك لأن القصر المتفرد لا يخدمنا ككفراصل كتابحة على أجزاء من جهاز أطرافنا بالتحديد دائرة تربط الورتين تحت الصمير البصري عبر ممر السطر الانتهالي. الروابط القشرية العصبية الأمامية في شكل نصف من الكورتين المخيتين تقدم عتلة تسيطر معرفة المرء وأهدافه من بينها غير آليات أخرى من بينها آلية مصمعة لتوليد سلوك يوقع الآذي بأناس آخرين. (34) إن البنية القادية للدماغ ليست صفحة بهضاء. ففي منتصف القرن التاسع عشر اكتشف علماء الأعصاب بول بروكسا أن الطيات والتجمعات في القشرة الدماغية لا تكتتب خطأ منهم بشكل اعتباطي مثل بصمات الأصابع. بل تمتلك هندسة مميزة قابلة للفهم والإدراك فالترتيب منسق جداً من دماغ إلى دماغ. لدرجة أنه بالإمكان إعطاء شكل طية وتجهيد اسماً. لقد اكتشف علماء الأعصاب أن البنية التشريحية العامة للدماغ سواء من حيث القياسات أم الأشكال أو ارتباطات الفصين أو النوى، والمخطط الأساس للفصين الدماغية الحية، يتم تشكيله إلى حد كبير من قبل الجينات في تطور ما قبل ولادته عادي(35). وكذلك الأمر بالنسبة لكمية المادة الرمادية في المناطق المختلفة في أدمج البشر ومن ضمنها المناطق المسؤولة عن اللغة والمحاسنة العقلية. (36)

هذه الهندسة القطرية والتوصيل بأعصاب دقيقة، لها نتائج حقيقية في التصرف والإحساس والسلوك. فكما سنرى في فصل تال، الأطفال الذين يعانون من أذية في مناطق معينة من الدماغ، يتكبرون ومعهم عجز في قدرات عقلية محددة. والتوليد بثباينات في الخطة النموذجية، لديهم ثباينات في الطريقة التي تعمل بها عقولهم فبرز لدراسة حديثة للأرصفة عند التوائم المتماثلين والمختلفين، هناك فروق في كمية المادة الرمادية في مقدمة الفصين الدماغيين، فلا يتكونون متأثرين فقط بل هناك فروقات في الذكاء. (37) لقد أوضحت دراسة لدماغ ألبرت أينشتاين أنه سكان لديه فصيص جذارية سفلية متشكلة بطريقة عادية تشارك في المحاسنة العقلية الفرائدية وب الحدوس المتعلقة بالعدد. (38) ومن المحتمل أن يتكون لدى اللواطين ثلث أصنر في الوطاء الأمامي anterior hypothalamus نواة معروفة بدورها في الفوارق الجنسية والفتلة المحكومون، والعنيفيون المعادون للمجتمع، يحتمل أن يتكون لديهم قشر دماغية أمامية أقل نشاطاً في الجزء من الدماغ الذي يسيطر على اتخاذ القرارات وبنة

الدماغ(40). هذه السمات الإجمالية للدماغ تكفينا لتكوين ليست منحوتة من قبل المعلومات الأنية من إحساساتنا. مما يعني أن فروقات الذكاء والنبوغ العلمي، والميل الجنسي، ودافع العنف لا يتم اكتسابها كلياً.

حتى وقت قريب، فكانت نظرية البنية الدماغية إرباطها لعلم الأعصاب. لأنه ليس ممكناً أن يكون الدماغ موصولاً بالجينات حتى آخر نقطة اشتباك عصبي. إذ ليس هناك معلومات تكيفية في السلسلة الوراثية للقيام بذلك. نعرف أن الناس يتعلمون طوال حياتهم ويتوجب تخزين البيانات من ذلك التعلم في الدماغ بطريقة ما. فما لم تؤمن بنسخ الألة، فكيف شيء يتعلمه أي شخص ينبغي أن يؤثر على جزء من الدماغ وبدقة أكثر. التعلم هو تغير في جزء من الدماغ. لكن سكان صعباً إيجاد السمات الدماغية التي عكست تلك التغيرات وسط ككل البنية العظمية. أن يصبح المرء أذكى في الرياضيات أو في تسيق الحركات أو التمييز البصري. لا يرهق الدماغ، بينما رفع الأثقال يرهق العضلات. لقد بدأ علم الأعصاب يلحق بعلم النفس من خلال اكتشاف التغيرات في الدماغ التي تكفمن وراء التعلم. فكيفما سنرى بين عينات القشرة المخصصة لأقسام جديدة مختلفة، والمواهب، والأحاسيس الفيزيائية. بالإمكان تعديلها عن طريق التعلم والتدريب. بعض علماء الأعصاب المتحمسين لهذه الاكتشافات لدرجة أنهم يحاولون دفع الناس في الاتجاه الآخر مؤسكين على مرونة القشرة الدماغية. لكن لأسباب سوف أراجعهما في الفصل الخامس. يعتقد معظم علماء الأعصاب أن هذه التغيرات تحدث ضمن النسيج الخلوي لبنية منظمة جينياً. هناك الكثير مما لا نفهمه حول كيف تم وضع الدماغ في حالة تطور. لكننا نعرف أنه قابل للتشكيل بحكم مرونته من خلال تجربة.

الجسر الثالث بين ما هو بيولوجي وما هو عقلي هو علم الوراثة السلوكي: أي دراسة تُبين كيف أن المورثات تؤثر على السلوك. (41) فالقدرة على التفكير، والتعلم، الشعور، التي تميز البشر عن الحيوانات تكمن في المعلومات المحتواة في د. ن أ البيضة للغة، وهذا أكثر وضوحاً عندما نقارن الأنواع، فالقردة التي كبرت في بيت بشري لا تكلم ولا تفكر ولا تتصرف مثل الناس، والسبب في ذلك يرجع إلى المعلومات في 10 جانات م. د. ن أ، التي نقرها عنها. وحتى نوعي الشمبانزي: الشمبانزي العادي والنوع

المعروف باسم bonobos اللذين يختلفان ببضعة اعشار بالمئة في السلسلة الوراثية بحسب شكل النوعين في سلوكهما. وهذا ما اكتشفه احد حراس حدائق الحيوان عند اختطع النوعان فالشمبانزي العادي هو من الثدييات الأكثر عدوانية المعروفة في عالم الميمون. والنوع المسمى bonobos من بين الأنواع الأكثر مسالمة. في نوع الشمبانزي العادي الذكور يسيطر على الإناث، بينما العكس في النوع الثاني فزوات صغرى في الجنينات تؤدي إلى فروق كبيرة في السلوك، وباستطاعتها أن تؤثر على حجم وشكل الأجزاء الأخرى من الدماغ وعلى ارتباطها، والتقانة الفائلة التي تطلق، وشريط، وتبريد الهرمونات والتفاعلات العصبية.

أهمية الجنينات في تنظيم الدماغ العادي أمر مفهوم من خلال الطرق الكثيرة التي فيها الجنينات غير النموذجية قد تؤدي إلى نشوء عقول غير نموذجية. عندما كنت أتمتع لامتحان السنة الرابعة وكان هناك سؤال عن سيكولوجية الشنود "ما هو المؤثر الأفضل على أن شخصاً ما سوف يصاب بانفصام في الشخصية؟" فكانت الإجابة: يربق من لديهم فصام يتوم مثمال منفسم." في ذلك الوقت كان السؤال يمد لخدمة لأن النظريات السارية وقتها للشيزوفرينيا كانت تشير إلى التوتر الاجتماعي أي أهمز منفسمات "روابط مضاعفة، وشجارب حياتية أخرى (الضع فيما بعد أن أها من هذا العوامل ليس له دور كبير) ونادراً ما كان يفكر أي أمرئ بالمورثات كسبب محفز لكن بعدئذ كان الدليل هناك:

الشيزوفرينيا شديدة الارتباط ضمن أزواج من توأم متطابقة، لأنهم يشتركون في شكل د. ن أ لديهم، وفي معظم بيئتهم. لكنهما أقل ارتباطاً لدى أزواج توأم مختلفين يشتركون فقط في نصف د. ن أ وبمعظم بيئتهم. كان بالإمكان طرح هذا السؤال الشرك وستكون له الإجابة نفسها، لأن من المفترض أنه ينجم عن اضطراب مربع وعاطفي أو أي فارق ملحوظ فالتوحد وعدم القدرة على القراءة والتأخر اللغوي والضعف اللغوي، وعدم القدرة على التعلم، واليسرورية (أي استخدام اليد اليسرى) وإحباطات رئيسية، والمرض ثنائي القطبين، والاضطراب الإلزامي لهاجس، والبر الجنسي وظروف أخرى كثيرة تنتقل في الأسر، هي أكثر ارتباطاً بالتوأم المتماثلين من ارتباطها بالتوأم المختلفين، وهي القابلة للتنبؤ من قبل الأقارب البولوجيين أكثر من أقارب التبني، وأي سمة بيئية قابلة للقياس قد تتنبأ بها (42).

هالجنينات لا ندهنما باتجاه حالات استثنائية لوطائف طفلة فقط، بل نعلمنا مسرع
الجمال السوي. مولدة الطقير من التباين في القدرة والطبع القدين تلاحظهما في الناس
من حولنا وهيلم الصكوتون الشهر / شاس ادمر / من النيوبرتليز هو مجرد مبالغة
خفيفة.



Separated at birth, the Mallifret twins were accidentally.

الترام مالفريت بقتان بمسح المسافة بعد ان فصلتا عند الولادة

يفكر ويشعر التوائم المتماثلة بطرق متماثلة لدرجة أنهم يشككون أحياناً أنهم
مرتبطون بالتخاطر telepathy. عند فصلهم عند الولادة، وعند البلوغ يلتزم شملهم
ويقولون أنهم يشعرون أن شكل واحد منهم يعرف الآخر طوال حياته. تؤكد الاختبارات
أن التوأم المتماثل سواء جرى فصلهما أم لا هما متشابهان جداً في أي سمة يستطيع المرء
قياسها. إنهما متماثلان في الفعل والرياضيات والذكاء العام وفي قناعاتهما الحياتية،
وفي السمات الشخصية كالاتوائية ودرجة القبول، والمصابية، والحالة الوجدانية،

والانتفاع على التجربة. لديهما مواقف متعاقبة تجاه قضايا جدلية مثل عقوبة النور والدين والموسيقى الحديثة. إنهما يشبهان بعضهما لا في الاختبارات الحثثائية فقط بل في السلوك المتسلسل مثل القامرة والطلاق، والارتطاب الجرائم، والوقوع في حوادث. وفي مشاهدة التلفاز فكما أنهما - بيديان سمات مشتركة في طابع مثل القهقهة دون توقف، وإعطاء إجابات غير محددة على أسئلة بسيطة وغمس خبز التوست في التهور، وفي حالة إيباغيل فان بيون وأن لاندز يظنجان أعمدة نصائح دورية لا يمكن التعبير بينها. فالواجبات الدماغية متشابهة وسكانها ذرا ويطلون موجات شخص واحد مسجلة في مناسبتين مختلفتين، وتلافيف دماغيهما وتوزيع المادة الرمادية عبر مناطق قشرة الدماغ متشابهة أيضاً(43).

بالإمكان قياس نتائج الفروقات في الجينات وتأثيرها على الفروقات في العفول والتقويم الأولي نفسه في معظمه أكبر من الصفر. لكنته بالأساس أقل من مان بالمائة. تخرج من البيانات بعض النظر عن مسطرة القياس المستخدمة. فالتوائم المتماثلة أكثر شيها من التوائم المختلفة، سواء ترعرعوا منفصلين أم معاً. التوائم الذين يتربون منفصلين متشابهون كثيراً. صلة قرابة بيولوجية سواءً تربوا معاً أم منفصلين هم أكثر تشابها من الأقارب المتبنيين العديد من هذه النتائج المستمدة من دراسات هائلة في الدول الإسكندنافية حيث تحتفظ الحكومات بقواعد بيانات ضخمة لمواطنيها، وهي تستخدم وسائل القياس المعتمدة المعروفة في علم النفس. قدم المشككون تفسيراً مفيراً حاولوا فيه أن يدهفوا بتأثيرات المورثات إلى درجة الصفر. يقترحون أن التوائم المتطابقة المنفصلة، عند الولادة بالإمكان وضعهم في منازل متعاقبة للأطفال المتبنيين. وربما احتسكوا ببعضهم قبل تعريضهم للاختبار، وبالتالي يبدون متماثلين، وربما نالوا الدرجة نفسها من التعامل معهم. يتشاركون في رحم بالإضافة إلى اشتراكهم في جيناتهم. لكن كما سنرى في الفصل حول الأطفال، لقد تم اختبار هذه التفسيرات وتم رفضها. هناك نوع من الدليل - مؤخرًا وبالإمكان إضافته إلى حكومة الأدلة. تواتر كاذبة هم الصورة المرآة للتوائم المتطابقة الذين تربوا منفصلين. إنهم أقارب لا علفان بينهم، ثم تبين أحدهما أو كليهما، تربياً معاً من الطفولة. مع أنهما في السن نفسه ويكبران في الأسرة نفسها. وجدت عائلة النفس نانسى سيفال أن مقياس الذكاء سجل الدرجة نفسها تماماً(44). وقال أحد الآباء أنه بالرغم من الجهود المبذولة للتعامل معهما بشكل معادل، فإن التوائم الكاذبة هي مثل الليل والنهار.

التوام والتبني هي تجارب طبيعية تقدم دليلاً هوباً غير مباشر على أن الفروقات في العقول تتأثر من الفروقات في الجينات. لقد حدد أحد علماء الوراثة مؤخرًا بعض الجينات التي تستطيع أن تعدد الفروقات. فالتجاء أحادي في نيوسكليتات إحدى الجينات يدعى foxp2 يسبب اضطراباً وراثياً في الكلام واللغة. (45) جين آخر نفس الكورموزوم نفسه يدعى lim kinase يولد بروتيناً في العصبونات المتزايدة يساعد في تمهين القدرة على المعرفة المكانيّة، وعندما يتم إلقاء الجين، فإن الشخص يتكون لديه ذهكاء عادي، لكنه لا يستطيع تجميع الأشياء أو برتب قطعاً أو أن ينسخ أشكالاً. (46) إحدى نسخ المورثة IGF2R ترتبط بالذكاء العام الفائق المسؤول حتى عن أربع نقاط من اختبارات الذكاء، وعن 72 من الفارق في الذكاء بين الأفراد العاديين(47). إذا كان لديك نسخة أطول من متوسط Dopamine D4Dr المستقبل للمورثة، فإن من المرجح أكثر أن تكون رجلاً ساعياً للإثارة، أو تمارس الجنس مع غرباء (48). وإذا كان لديك نسخة أقصر امتداداً من D، ن أ (الذي يستقر في Serotonin الناقل الجيني على الكورموزوم 17، فإن من المرجح أن تكون عصابياً أو قلقاً، وشخصاً لا يستطيع أن يقوم بعمل في تجمعات اجتماعية خشية من التهجم على شخص ما أو أن يتصرف كحاحق(49).

مورثات إرادية ذات نتائج كبيرة هي الأمثلة الأكثر تمثيلية. على تأثيرات المورثات على العقل لكنها ليست الأمثلة الأكثر تعقيداً. فمعظم الخصائص السمكولوجية هي نتاج مورثات عديدة ذات تأثيرات قليلة تتم نمذجتها عن طريق وجود مورثات أخرى، بدلاً من نتاج مورثة واحدة ذات تأثير كبير. يتضح في فليات ما قد يأتي لذلك السبب دراسات التوائم المتماثلة (شخصان يشتركان في جميع مورثاتهما) تُظهر باستمرار أن تأثيرات وراثية أقوى على سمة ما حتى عندما لا يتكامل البحث عن مورثة واحدة لتلك السمة والنتاج.

لقد نُشرت السلسلة الكاملة للجينوم البشري في عام 2001 ومعها أتت مقدرة جديدة على تحديد الجينات ونتاجاتها، من ضمنها تلك المورثات التي تفرقتنا عن أنواع لشمبانزي، والتوصل إلى أي منها كان خاضعاً لاصطفاء طبيعي خلال ملايين السنين حين نشأ أسلافنا وتطوروا إلى بشر. وهكذا نُحدد أي مجموعة مرتبطة بالقدرة العقلية السوية وغير السوية والاستثنائية ونبدأ بتتبع السلسلة السببية في تطور الجين الذي من خلاله تشكل الجينات الأنظمة الدماغية التي تجعلنا نتعلم ونشعر وننتصرف. خشي الناس أحياناً تأثير الجينات على العقل مهما كان هذا التأثير، إذ لا بد أن

تحده في كل جزء من تفاصيله. لكن هذا خطأ لسببين: الأول هو أن معظم تأثيرات الجينات هي احتمالات، فإذا كان لدى أحد التوأمين المتماثلين سمة، فعاد لا توجد سوى فرصة واحدة لأن تكون هذه السمة عند التوأم الآخر، على الرغم من جينومهم الوراثي المشترك. ويقدر علماء الوراثة السلوكيون أن نحو فقط 2/1 التباين في معظم السمات النفسية داخل بيئة معطاة ترتبط بالجينات. وفي الفصل حول الأطفال سوف نرى ما الذي يعنيه هذا، ومن أين يأتي النصف الآخر للتباين.

السبب الثاني: هو أن الجينات ليست ككل شيء، إذ أن تأثيراتها قد تختلف بناءً على البيئة، وبالإمكان أن نجد مثلاً بسيطاً في كتاب مدرسي عن الوراثة. فسلالات مختلفة من الذرة مزروعة في حقل واحد سوف تتباين في الارتفاع بسبب جيناتها. وسلات واحدة من الذرة مزروعة في حقلين مختلفين - أحدهما بعلي والأخر مروحي - سوف تتباين في الارتفاع بسبب البيئة. ويقدم لنا وودي ألن مثلاً بشرياً. فعلى الرغم من أن شهرته وثروته ومقدرته على جذب النساء الجميلات قد تنمذ على امتلاكه جينات تزيد من حس الدعابة إلا أنه في كتابه ذكريات ممثل غابرة، يشرح لأحد أصدقاء الطفول الفيوريين أن هناك عاملاً وراثياً حاسماً: «إننا نعيش في مجتمع الفسكاهة فيه ذات فهم كبيرة... فلو كنت هنديةً من قبيلة الأباتشي - الذين لم يكونوا بحاجة إلى معسكر كومميديين، سأمكون خارج العمل». معنى الاكتشافات في الوراثة السلوكية من أجل فهمنا للطبيعة البشرية ينفي فهمها ككل حالة على حدة. مورثة منحرفة تسبب اضطراب تبين أن النسخة النموذجية من المورثة ضرورية لامتلاك عقل بشري سوي. لكن ما تقو به النسخة النموذجية ليس واضحاً على الفور. مسنن فيه سن مكسور يعلق في كل دورة، لا نجعلنا نستنتج أن السن هو في شكله الصحيح، ومورثة تيقيق مقفدة عقلية، لا حاجة لأن تكون نسخة ناقصة عن مورثة تلك المقفدة. المورثة قد تولد زيفنا قد يتقابل مع تطور الدماغ السوي، أو قد يترك صدعا في نظام المنااعة الذي يسمي مورثة مرضية أن تمرض الدماغ، أو قد تجعل الشخص يبدو أحمق أو شريراً وبالتالي تؤثر على طريقة تفاعل الناس معه.

في الماضي لم يكن باستطاعة علماء الوراثة استبعاد احتمالات معلة (احتمالات) تشمل وظيفة الدماغ مباشرة. فقد أعلن المشككون أن جميع التأثيرات الوراثية قد تكون معلة، تلف أو تشوه صفحة بيضاء من كونها نسخة غير فعالة عن مورثة تساعد في إعطاء البنية لدماغ معقد. لكن الباحثين يمكنهم أن يربطوا المورثات بالدماغ

مثل واحد هو مورثة FOXP2 المرتبطة باضطراب الكلام واللغة في أسرة كيبيرا (50). فالتهوكلتايد المنحرف قد وجد في طفل فرد مصاب في الأسرة. لكن لم يثر عليه في أي من الأفراد غير المصابين، وكذلك لم يثر عليه في 364 مكروموزوم من أناس أسوياء غير مرتبطين لتنتمي المورثة إلى عائلة من الجينات من أجل عوامل لتضاعق البيوتينات التي تشغل جينات أخرى، المعروفة أنها تلعب أدواراً هامة في جينات الجنين هذا التعبير الافتراضي يعطي ذلك الجزء من البيوتين الذي يخلق منطقة محددة من د. ن. أ. الخطوة الرتيسة في تشغيل المورثة الصحيحة وفي الوقت الصحيح يبدو أن المورثة فعالة بقوة في تسخيم دماغ الجنين، وقد عثر على نسخة مرتبطة بشكل وثيق في الثوران، وهي فعالة في تطوير القشرة الدماغية المحيطة، فهذه هي دلائل على أن النسخة السوية للمورثة تطلق شرارة العمل لسلسلة من الأحداث التي تساعد في تنظيم جزء من الدماغ الناشئ. معنى التباين الوراثي بين أفراد أسوياء (مكتفيض للتشوهات التي تسبب اضطرابات) يتنبأ النظر إليه بشكل عناية. فوجود هارق فطري بين أناس ليس الشيء ذاته على أنه طبيعة بشرية كونية عبر الأنواع إن توثيق الأساليب التي يتباين فيها الناس لن يكشف مباشرة ما تقوم به الطبيعة البشرية أكثر مما يكشف التوثيق بأن تباين السيارات سوف يكشف مباشرة كيف تعمل محركات السيارات. مع ذلك ينطوي التنوع الوراثي على معاني الطبيعة البشرية. فإن يكن هناك طرق عدة لتقل ما أن يتفاوت وراثياً، فلا بد أن يملك العقل أجزاء تتأثر وراثياً، وسما ت جعل التباين ممكناً. إن أي فهم حديث للطبيعة البشرية المتجذر في البيولوجيا (مكتفيض للتصورات التقليدية للطبيعة البشرية المتجذرة في الفلسفة والدين أو في الإدراك السليم) يجب أن يتوقع أن القدرات التي تكوّن الطبيعة البشرية تبدي تفاوتاً كمياً، حتى وإن يكن تصميمها الأساسي لكيف تعمل كونياً. فالأسطفاه الطبيعي يعتمد على تفاوت وراثي، مع أنه يقلل ذلك التفاوت على أنه يشكل العضويات عبر الأجيال إلا أنه لا يستفده تماماً أبداً. (51)

إن اكتشافات علم الوراثة السلوكي تلحق ضرراً بالياً بالصفحة البيضاء وبمعتقداتها المرافقة لها مهما تكن تفسيراتها الدقيقة. الصفحة لا يمكن أن تكون خالية إذا كان باستطاعة الجينات أن تجعلها - بشكل أو بآخر - ذكبية، مغامرة، واضحة، خجولة، سميدة، وجدانية، عصافية، منفتحة، أو من المحتمل أن تقسم لتوست الدهون بالزبدة في القهوة. فلنكي تؤثر الجينات في العقل في جميع هذه

الطرق، لا بد أن يمتلك العقل أجزاء كثيرة وخصائص كثيرة بالنسبة للجينات منظر تؤثر. وكذلك إن تغير أو إلغاء مورثة يستطيع أن يستهدف قدرة معرفة مثل بناء فراغي، أو سمة شخصية مثل السعي إلى الإثارة، فذلك السمة قد تكون مضمون واضحاً لنفس مقدرة.

زد على ذلك، إن الكثير من السمات لتأثر بالجينات هي بعيدة عن أن تكون نبيلة. لقد اكتشف علماء النفس أن شخصياتنا تختلف بأشكال رئيسة خمسة -نمير- بدرجات متفاوتة - انطوائيون، أو منبسطون، عصبيون أو مستقرون - غير فطريين للمعرفة أو متفتحين للتجربة، نلبي القبول أو عدائين، وجدائين أو دون توجه. ومعلم 18. صفة تستخدم كسمات شخصية في قاموس غير موجز - بالإمكان ربطها بواحد من هذه الأبعاد الخمسة، من ضمنها صفات للذئوب والعيوب مثل أن يكون المرء -دون هدف، غير مبال، ملتزماً، هادئ الصبر، وقهاً، مشفقاً على الذات، أنانياً، شطاكياً، غير تعاوني، لا يمكن الاعتماد عليه، جميع هذه الأبعاد الشخصية الرئيسية الخمسة هي وراثية - وربما مع 40 إلى 50 بالمائة من التباوت في سكان نموذجين مرتبطين بغروقات في جيناتهم فالتيمس غير المحفوظ هو انطوائي، عصبي، ضيق الأفق أناني ولا يمكن الاعتماد عليه، يعود ذلك جزئياً إلى جيناته. ومن المرجح أن معظمنا لديه ميول في أي من هذه الاتجاهات بالمقارنة مع أخوتنا البشر.

ليست الطبايع غير السارة وراثية جزئياً فقط، بل السلوك الفعلي يترتب عليه نتائج فعلية. لقد أثبتت الدراسات أن رغبة بارتكساب أفعال مضادة للمجتمع من بينها الكذب، والسرقة، والبهذ بالشجار، وتدمير الملكية هي جزئياً قابلة للتورث مع أنها مثل جميع السمات الوراثية، إنها تعمل في بعض البيئات أكثر من البيئات الأخرى (52) فالدنير يرتكبون أفعالاً شائنة مثل غش المسنين في مداخلتهم الحيوانية، أو الخصب سفسلة من النساء، أو إطلاق النار على عمال مخزن ممددين على الأرض أثناء عملية سطو غالباً ما يتم تشخيصهم أنهم مخلون عقلياً أو يعانون من اضطراب شخصي مدار للمجتمع (53) لقد أظهر معظم غير الأسوياء عقلياً دلائل شر منذ أن كانوا أطفالاً. مارسوا البلطجة على الأطفال الأصغر منهم سناً، وهدبوا الحيوانات، وكانوا يكذبون اعتيادياً وغير قادرين على تبادل المشاعر، أو يشعرون بتأنيب الضمير، على الرغم من الجهود التي بذلها آباؤهم المذهولون. يعتقد معظم الخبراء العاملين على الاضطراب العقلي أنه ينجم عن خلل وراثي، وفي بعض الحالات قد ينجم عن أذية دماغية مبكرة

(54) في حكاياتنا الحاليتين بثبت علم الوراثة وعلم الأعصاب أن قلب الظلام لا يمكنه دائماً إلقاء اللوم على الوالدين أو المجتمع

وحتى وإن تكمن الجينات نختم قدرتنا ، فإنها لا تتوافق ببسر مع الحدس القائل بأننا أشباح في الآلات أيضاً. تخيل أنك تتألم على خيار تتخذه أي مهنة تختارها. ما إذا كنت تتزوج ، وكيف تقرر ، أو ماذا تلبس اليوم ، وبعد أن تتوصل متمشياً إلى قرار برون اليافس، إنه التوم المائل الذي لم تكن تعرف أن لديك يوماً. خلال المعاداة السعيدة، يوضح أنها قد اختارت مهنة معاللة وقررت أن تتزوج في الوقت نفسه تقريباً ، وتتوي أن تقرر لصالح المرشح الرئاسي نفسه ، وإنما لتردي قميصاً من اللون نفسه تماماً مثلما رسم وراهن علماء الوراثة عليك. فإذا قد تم توقع النتيجة مسبقاً فما هي الخيارات التي لديك، قائمة تعتمد على أحداث وقعت في فئتي فالوب والدتك قبل عقود مضت. فما هي الخبرات التي لديك؟

الجسر الرابع، من البيولوجيا إلى التربية ، إنه علم نفس النشوء ، أي دراسة التاريخ الولد علم تطور السلالات والوظائف المعدلة للعقلية (55). إنه يقدم أملاً بفهم تصميم العقل وهدفه - لكن ليس بمعنى صويجي أو لاهوتي ، بل بمعنى شبه الهندسي الذي يتحكم بالعالم الطبيعي. إننا نرى هذه الدلائل الهندسية في كل مكان (في العيون التي تبدو مصممة لتشكيل الصور ، في القلوب التي تبدو مصممة لضخ الدم ، وفي الأجنحة التي تبدو مصممة لرفع الطيور أثناء طيرانها).

لقد أوضح داروين أن وهم التصميم في العالم الطبيعي بالإمكان تفسيره بالاصطفاء الطبيعي. بكل تأكيد ، إن عنياً هي مهندسة جيداً ولا تتشا بالمصادفة. ما من نالوة أو ورم منتج لتغير كبير قد يكون محظوظاً بما يكفي ليكون لديه عدسة ، وفزحية ، وشبكية ، وغدداً دمعية الخ. جميعها مرتبة بشكل كامل كي تشكل صورة فليست العين هي الرائعة الهندسية المصممة فعلياً من قبل مصمم شكوني خلق البشر على صورته. العين البشرية هي شبيهة وأضح لعيون عضويات أخرى ، ولديها آثار مروعة من أسلاف منقرضين ، مثلما أن الشبكية التي تبدو أنها مركبة باتجاه الخلف (56). أعضاء اليوم هي نسخ طبق الأصل عن أعضاء لدى أسلافنا ، عمل تصميمهم أفضل من البدائل ، وبذلك أصبحنا مثل أسلافنا. (57) فالاصطفاء الطبيعي هو العملية

الفيزيائية الوحيدة التي نعرف أنها تستطيع أن تحاكي الهندسة ، لأن السيرة الوحيدة التي فيها مقدار الجودة يعمل فيها شيء ما ، يستطيع أن يلعب دوراً سببياً في كيفية مجيئه إلى الوجود.

علم النشوء أمر مركزي لفهم علم التطور أمر مركزي لفهم الحياة ، ومن ضمنها حياة البشر. نحن على شاكلة شكل الأشياء الحية ، نتاج اصطفاة طبيعي . وصلنا إلى هنا لأننا ورثنا خصائص سمحت لأسلافنا بالبقاء ، ووجدوا شريكات لهم وتكاثروا تفسر هذه الحقيقة المهمة أعمق مساعينا. لماذا يكون طفل أذكى من سن أمه. ولماذا رجل وحيد في قبضة حظ جيد لا بد أن يفترق إلى زوجة. لماذا لا تدخل بلطف في ذلك الليل الجيد ، لكننا نقضب على احتضار النور ، فهذه حقيقة تلقى إقراراً عالمياً. أنفسنا لأن دلائل تصميم في الكائنات البشرية لا تتوقف عند القلب أو العين. وعلى الرغم من هندسة العين الدقيقة فإنها عديمة الفائدة دون الدماغ. مطرجاتها ليست التماذج لمخزون شاشة لا معنى لها ، بل مادة خام من أجل الدارة التي تقدم عرضاً للعالم الخارجي ذلك العرض يفذي دارات أخرى ذات معنى للعالم من خلال عزوأسباب لأحداث ، ووضعها في مجالات تسمح بتجوات مفيدة. وذلك التشكيل للمعنى يعمل بدوره في خدمة الدوائر مثل: الجوع ، الخوف ، الحب ، حب المعرفة ، والسمي إلى المسكاة الاجتماعية والتقدير. فكما ذكرت – القدرات التي تبدو لنا سهلة دون عناء ، وضع الأحداث في مجالات. واستيلاء السبب والنتيجة ، والسمي وراء أهداف متضاربة – هي تحديات رئيسة في تصميم نظام ذكي ، أنظمة يسمى مصممو الإنسان الآلي استساخها ، لكن دون نجاح. وبذلك فإن دلائل على هندسة في الطبيعة البشرية تمضي صاعدة ، ولهذا السبب كان علم النفس ارتقائياً على الدوام. لقد فهمت القدرات المعرفية والعاطفية دائماً أنها ليست عشوائية ، ومعقدة ومفيدة ، وذلك يعني أنها يجب أن تكون نتاجات تصميم إلهي أو اصطفاة طبيعي. لكن حتى وقت قريب ، نادراً ما تمت الإشارة إلى الإرتقاء بذكر وضوح ضمن علم النفس ، وذلك بسبب العديد من الموضوعات. فالمعرفة الشبيهة حول ما هو قابل للتكيف جيدة بما يكفي لتشقق طريقها. إنك لست بحاجة إلى عالم حياة نشو، كي يخبرك أن الإدراك العميق هو الذي يمنع حيواناً من السقوط من أعلى الجرف ، ثم من نطح الأشجار بالرأس ، وأن العطش يمنع الحيوان من التجفاف ، وأن من الأفضل أن تتذكر ما الذي يفعل وما الذي لا يفعل بدلاً من أن تكون فاقد الذاكرة. لكن في جوانب أخرى من حياتنا العقلية – في العالم الاجتماعي على وجه الخصوص – عمل

مقدرة ليس سهلاً جداً تخمينه. فالاصطفاء الطبيعي يفضل العضويات الجيدة في إعادة الإنتاج في بيئة ما، عندما تتكون البيئة من صخور، وعشب، وأحاف، بقود واضحاً تماماً أي استراتيجيات تعمل وأيها لا تعمل. لكن عندما تتكون البيئة الغنية من أنواع أخرى فإنها تطور استراتيجياتها الخاصة بها. فهذا ليس واضحاً جداً - فهي لعبة الارتقاء هل الأفضل أحادية الزوجة، أم تعدد الزوجات؟ لطيفة أم عدوانية؟ متعاون أم انتاب؟ متساهلة مع الأطفال أم صارمة معهم، متقاتلة، براغماتية أم متشائمة؟

التجسس غير مفيدة مع أسئلة كهذه، ولهذا السبب جرى إدخال علم الأحياء الارتقائي إلى علم النفس. يخبئنا علماء الارتقاء أنه من الخطأ أن نعد أي شيء بزوي إلى صالح البشر: التماسك الاجتماعي، تجنب العنف، أحادية الرابطة الزوجية، المتعة الجمالية، احترام النفس - على أنها تكيف. فما بعد تكيفاً في الحياة اليومية قد لا يكون بالضرورة تكيفاً بالمعنى العلمي للكلمة، لكونه سمة مفصلة لدى عملية انتقاء طبيعي في تاريخ ارتقاء النوع. فالاصطفاء الطبيعي هو السبورة اللامبالية أخلاقياً، التي من خلالها تقوم الناسخات الأكثر فاعلية بإعادة إنتاج البدائل. وتأتي كفي تهيمن في مجموعة سكانية. وبالتالي فإن الجينات المنتقاة ستكون الجينات الأثنية، ويتشبه ريتشارد داوكنيز، ستكون الجينات التي فيها هوس العظمة، تلك التي تخلق معظم النسخ عن نفسها (58). التكيف هو أي شيء ينتج عن الجينات وما يساعدها في تحقيق هذا الهاجس بالعظمة سواء كان ينجز طموحات بشرية أم لا. وهذا المفهوم مختلف بشكل مذهل عن معرفتنا اليومية تجاه الغاية التي صممت من أجلها قدراتنا.

لا يعني هوس العظمة في الجينات أن التسامح والتعاون لا يستطيعان الارتقاء أكثر من قانون الجاذبية الذي به تعمق الجاذبية الارتقاء. إنه يعني التسامح - مثل الطيران - حالة خاصة من الأمور التي تحتاج إلى تفسير، وليست شيئاً يحدث وحسب. فالارتقاء ممكن فقط في ظروف محددة، ويتوجب دعمه من قبل توليفة من قدرات معرفية وعاطفية. وبذلك فإن التسامح (ودوافع اجتماعية أخرى) ينبغي سحبها إلى داخل بقعة الضوء بدلاً من أن تعامل كمنطقة أثار. في الثورة الاجتماعية البيولوجية في السبعينيات، استبدل علماء الارتقاء الشعور الغامض الذي تطوره العضويات لخدمة الخير الأكبر باستقرارات ما هي أنواع الدوافع التي من المحتمل أن ترتقي عندما تتفاعل العضويات مع الذرية، والزملاء، والأقارب، والأصدقاء، والغريباء، والخصوم. عندما كانت التنبؤات تُدمج مع بعض الحقائق الأساسية حول نمط حياة الصياد

الجامع للثمار الذي ارتقى منه البشر ، اتضح أن أجزاء النفس التي كانت غامضة في السابق تمتلك سبباً جوهرياً واضحاً مثل تلك الأجزاء التي (وظيفتها) إدراك العفوق ودرسي العطرش. هالمين الباحث عن الجمال ، على سبيل المثال - تلق عن الوجود التي تشدني دلالة الصحة والخصوبة - تماماً كما يتوقع المرء انها تطورت لتساعد صاحبها على أن يجد الشريك الأكثر ملاءمة(59). فمواظف الحب ، والامتنان ، الذنب والغضب تسمح للناس أن يستفيدوا من التعاون دون أن يقوم الحكاكيون والمدلسون باستغلالهم (60). فكانت سمة الخشونة والتمطرش للانتقام الدفاع الأفضل ضد العدوان في عالم كان سكانه باستطاعة المرء فيه ألا يتصل بالرقم 911 لكي يطلب الشرطة. (61) يكتبسب الأطفال للتما المتطوقة غريزياً ، بينما يكتبسبون اللغة المكتوبة بعرق الجبين ، لأن اللغة المنطوقة سمة للحياة البشرية طوال آلاف السنين ، بينما اللغة المكتوبة اختراع حديث وبطي الانتشار(62).

لا يعني ذلك أن الناس يسمعون فعلياً لكي ينسخوا جيناتهم ، فإذا كانت تلك هم الكيفية التي عمل بها العقل ، فإن الناس سوف يسطفون خارج بنوك التي *open* وسوف تدفع النساء لتلقيح بيوضهن ويقدمنها إلى أزواج غير عشقهم. وتلك يعني أن الأنظمة الموروثة للتعلم والتفكير والشعور لها تصميم بشي حياً - بشكل وسطي - إن بقاء أعلى ، ولإعادة تكاثر في البيئة التي ارتقى فيها أسلافنا. فالتناس يستشعر بالأكل ، وفي عالم دون وجبات سريعة ، عالم فادهم ليقنوا أنفسهم حتى لو كان المحتوى الغذائي للطعام لم يدخل إلى عقولهم. والتناس يحبون الجنس ويحبون الأطفال. وفي عالم دون موانع للحمل ، كان ذلك كافياً للجنينات أن تعتني بنفسها. والقروقات بين الأليات التي تجبر العضويات أن تتصرف في وقت حقيقي ، والأليات التي شخطة تصميم المضوية طوال زمن الارتقاء مهم بما يكفي لكي يستحق بعض الفموض سب مباشر للتصرف هو الآلية التي تضغط على أزرار السلوك في وقت حقيقي مثل الجرو والشهوة التي تجبر الناس أن يأكلوا ويمارسوا الجنس. علة غائية هي المبرر للتكثيف الذي أدى إلى نشوء السبب المباشر لأن يوجد مثل الحاجة إلى التغذية والتكاثر اللذين أعطيانا الجوع والشهوة. الفرق بين ما هو مباشر وما هو سببية غائية أمر لا يمكن الاستغناء عنه في فهم انفسنا ، لأنه يقرر الإجابة عن ككل سؤال "ماذا تصروف امرؤ كما فعل؟". لناخذ مثالاً بسيطاً ، يمارس الناس الجنس من أجل التكاثر (لأن الغاية من الجنس هي التكاثر) ، لكن العلة المباشرة أنهم قد يفعلون ككل شيء لا يستطيعونه لكي يتكاثروا (لأن السبب المباشر للجنس هو المتعة).

الفرق بين الهدفين القريب المباشر - والغائي هو إثبات من نوع آخر على أننا لسنا مصفحات بيضاء؛ عندما يجهد الناس للحصول على مكافآت واضحة مثل الصحة والسعادة اللذين لهما معنى مباشر ونهائي. يستطيع المرء أن يفترض أن العقل مزود فقط برغبة لأن يكون سعيداً وسليماً ، ويساعدهم في ذلك تفاضل سبب ونتيجة في الحصول على ما يريدون. بيد أن الناس -غالباً - لديهم رغبات تقسد مصلحتهم المباشرة - رغبات لا يستطيعون الإفصاح عنها ، وأنهم هم (ومجتمعهم) قد يحاولون دون نجاح أن يجتوها. قد يشتهي المرء زوجة جاره ، ويدفع نفسه إلى داخل قبر مبيكر . وقد يتفهم على أشياء تافهة ، وقد يتشغل في حب طفله بالنهني ، وقد يشهد جسمه استجابة لأمر مؤثر لا يستطيع مقاومته أو الهروب منه ، ويتهاك نفسه مسابراً لجون ، أو تسلق السلم الدمج ، وقد يفضل شريكاً خطراً ومثيراً جنسياً على شريك واضح يمكن الاعتماد عليه. هذه الدوافع الشخصية المحيرة لها مبرر ارتقائي شفاف ، وهي تقترح أن العقل مزود بعيوات شكلها اصطفاة طبيعي ، وليس رغبة وراثية من أجل الصالح الشخصي.

إن علم النفس الارتقائي يفسر أيضاً لماذا الصفحة ليست بيضاء. هو شكل العقل في منافسة داروينية ، وفي وسط خاسد قد شغله منافسون بتقانة عالية ، مع أنظمة منهومية ذكوية ، ومحللات مشكلات إدارية ، واستراتيجيات بارعة ، ودارات تنفيذية راجعة حساسة. وما هو أسوأ ، إذا كانت عقولنا مطواعة قابلة للتشكيل حقاً ، فإنها سوف يتم التلاعب بها بسهولة من قبل منافسينا الذين يستطيعون قولبتنا أو وضع شروط علينا في خدمة احتياجاتهم بدلاً من خدمة احتياجاتنا. عقل مطواع سينت انتقاره وبسرعة.

لقد بدأ الباحثون في مجال العلوم الإنسانية في تشريح الفرضية القائلة إن العقل قد نشأ بتسميم كوني معقد. بينما رجح علماء الأنثروبولوجيا إلى سجل إثنوغرافي اعتاد على الترويج للفروقات بين الثقافات ، فوجدوا مجموعة من ميول وذائقات تعسفية بشكل مذهل ، تشترك فيها الثقافات. هذه الطريقة التشاركية في التفكير والإحساس والميش تجعلنا مثل قبيلة واحدة أسماها الأنثروبولوجي دونالد براون الناس الكونيين ، اقتداء بما فعله تشومسكي / القواعد الكوني / (63). مئات من السمات ، بدأ من الخوف من الأفاعي إلى مشغلات منطقية. من الحب الرومانسي إلى إهانات مازحة ، من الشعر إلى محرقات الطعام ، من تبادل السلع إلى الحداد على الموتى ، بالإمكان العثور عليها في شكل مجتمع ثم توثيقه. فليس كل سلوك كوني يعكس

مباشرةً مكتوناً لطبعمه بشرية. هالكثير يتبع من التداخل بين خصائص تكوينية للعقل. وخصائص تكوينية للجسد، وخصائص تكوينية للعالم. مع ذلك الفنى الوهيب، والتفصيل في تطوير الناس الكونيين يأتي كصدمة لأي معرفة حدسية بأن العقل هو صنفها بفضاء، أو ان الثقافات قد تتباين دون حدود. وهناك شيء على القائمة تدحض أي نظرية تبتثق من تلك الحدود. ما من شيء يقوم بدور البديل عن رؤية قائمة برابر بأصلها، وقد أوردناها بعد إذنه.

فكرة أن الاصطفاء الطبيعي قد انعم على البشر عقلاً كونياً قد نالت دعم أوساط أخرى علماء نفس الطفولة ما عادوا يمتدحون أن عالم الطفل أبيض ومعتق بالفوضى. لأنهم قد وجدوا دلائل على المجالات الأساسية للعقل مثل مجالات الأشياء. الأدوات لدى الأطفال الرضع (64). وعلماء الآثار وعلماء الأحقاب الماضية قد وجدوا أن بشر ما قبل التاريخ لم يكونوا متوحشين بل استخدموا عقولهم في الفن، وفي الطقس الديني، والحرفة، والعنف والتمازج في الثقافة والرموز (65). لقد برهن علماء الشريات أن أبقارنا المكسبون بالشعر ليسوا مثل فتران تجارب بانتظار أن يصبحوا جاهزين. بل كانوا مزودين بقدرات مقددة فكانت تعد بشرية بشكل فريد، تشمل تصورات وإحساساً مكانياً، واستخدام الأداة والقبرة والحب الأبوي، وتبادل المنافع، وإحلال السلام، والفروقات بين الجنسين (66). مع هذه القدرات العقلية المتكثرة التي تتبدى في جميع الثقافات البشرية في الأطفال قبل اكتسابهم الثقافة، وفي المخلوقات التي لديها ثقافة بسيطة، أو ليست لديها ثقافة، فإن العقل لم يعد يشبه كتلة لا شكل لها أو أعطيت شكلاً من قبل الثقافة.

لكن الاعتقاد بالهجي التبيل الذي تعرض لانكشاف - دون رحمة - من قبل الفكر التنوئي الجديد أي شيء، نبيل تماماً، نتاج غير محتمل للاصطفاء الطبيعي لأن في التنافس بين الجينات من أجل عرض في الجيل التالي، يعمل البشر النبلاء لأن ينتهوا أخيراً صراعات المصلحة موجودة في كل مكان بين الأشياء الحية. طالما أن حيواتهم لا يستطيعان كلاهما أكل السمكة ذاتها، أو أن يحتكر الشريك نفسه؛ فالدواعي الاجتماعية هي تعديلات تضخم نسخاً من الجينات التي تولدها، ينبغي أن تصمم لكي تسيطر في صراعات كهذه، وبشكل ما، لكي تسود وتعيد المنافسة. وكما عبر عن ذلك وليم جيمس "نحن المثلون السلاليون للأسلاف الناجحين على المسرح من منجنا بعد أخرى، فمعها كانت الفضائل التي قد نمتلكها محدودة، لا نزال نحمل ذلك

منا، ومستعدين في أي لحظة لأن تنفجر لهاً. فالسمات الشخصية المصنفة الخائفة التي عاشوا بها عبر خوضهم مجازر كثيرة، موقعين الأذى بالآخرين. بينما بقوا هم دون أذى (67).

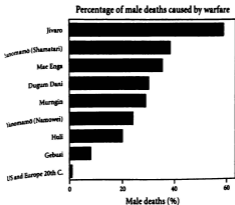
لقد تبين العديد من المثقفين صورة البدائين المسالين المتساوين والمحبين لبيئتهم الميومة، لكن في المقدين الماضيين، جمع الأنثروبولوجيون معلومات حول الحياة والموت في مجتمعات ما قبل الدولة، على أن يقبلوا الصورة النمطية المتكررة الدافئة وغير الواضحة. هذا الذي وجدوه 5 لقد سكان هوبس على حق، وكان روسو على خطأ.

البدء بقصص القبائل هناك في مسكان ما لم نسمع أبداً بالعنف يبدو أنها أساطير مدنية. فالأوصاف التي تقدمها مارغريت ميد عن بدائيي غينيا الجديدة المحبين للسلام، وسكان ساموا Samoa غير المهتمين بالجنس، وكانت مستندة إلى بحث عاجل والضح أنها كانت خاطئة تماماً. فكمما وثق الأنثروبولوجي دريك فريمن - لاحقاً - أن مسكان ساموا يضربون أو يقتلون بناتهم إذا لم يكن عذراوات في ليالي زفافهن. والشباب الذي لا يستطيع الزواج بفناء عذراء قد يقتصب الفتاة مكسي بكرهها على الفرار معه. وقد نهجم أسرة زوج المرأة الزانية لتقتل الخائنة. (68).

وقد وصفت إليزابيث مارشال توماس ككونغ المسكان في صحراء كالاهاري أنه " الشعب الذي لا يؤذي " في كتاب يحمل ذلك العنوان. لكن حالما جمع الأنثروبولوجيون ما يكفي من المعلومات اكتشفوا أن معدل ارتكاب الجرائم في ككونغ سان أعلى من معدل الجريمة في المدن الأمريكية. وعلموا أيضاً أن جماعة من ككونغ سان قامت بالانتقام لجرمة قتل بالثمن إلى داخل جماعة القتال وقتلوا كل رجل وامرأة ومفلل وهم نيام (69). في مطلع سبعينيات القرن العشرين أعدت مجلة نيويورك تايمز تقريراً عن اكتشاف " sady te اللطفاء " في الغابات المطرية في الفلبين؛ شعب ليس لديه كلمات تعني صراعاً، أو عنفاً أو سلاحاً. اتضح أنهم مزارعون محليون يرتدون أوراق النباتات عند التقاط صورة في مناسبة لدرجة أن فرديناند ماركوس قد عد منطقتهم حمية طبيعية، وينعمون بحقوق استثنائية في التعطيل والتعدين (70).

كان الأنثروبولوجيون والمؤرخون أيضاً يعدون الجثث، وقد زين مثقنون كثيرون أعداد الصغيرة للإصابات في ميدان المعركة في مجتمعات ما قبل الدولة، كدليل لى أن الحروب البدائية هي شأن طقسي إلى حد كبير. وينوهون إلى أن قتل اثنين في بعوة من خمسين شخصاً هو المعادل لمشرة ملايين وفاة في بلد حومه مثا، الهالاندا

المتحدة. وقد لخص لورانس تكيلي نسبة الوفيات الذكور الناجمة عن الحرب في عدد من مجتمعات تتوفر بيانات عنها:



النسبة للقرية لوفيات الذكور الناجمة عن الحروب

الخطوط الثمانية الأولى التي تدرج من 10٪ حتى 60٪ مأخوذة من شعوب أصلية في أمريكا الجنوبية وغينيا الجديدة. ويمثل الخط الذي لا يكتمل يتكون مرتين في الأسفل الولايات المتحدة وأوروبا في القرن العشرين، ويشمل الإحصائيات من حربين عالميتين. لقد لاحظ تكيلي وآخرون أن الشعوب الأصلية خطيرة تماماً عندما تشن الحروب. وبين العديد من هذه الشعوب أسلحة توفيق الأذى قدر ما تسمح به تقاليدهم، وعندما يستطيعون يقتضون على أعدائهم، ويطلقون من شأن تجربة الحروب من خلال تعذيب الأسرى، ويقيمون المذابح على لحم الأعداء (72).

تعداء المجتمعات بدلا من الجشث يؤدي إلى أرقام قياسية. ففي عام 1978 أحصى عالم الأنثروبولوجيا ستارول إمبير أن 195 من مجتمعات الصيادين الجامعين للثمار منخرطون في الحرب، و64 يشنون حرباً مرة كل سنتين على الأقل (73). وحتى نسبة 190 قد تكونان تقديرًا منخفضاً لأن الأنثروبولوجيين لا يستطيعون دراسة قبيلة مدنة كافية لكي يقيسوا الانتصارات التي تحدث كل عقد من الزمن أو نحو ذلك. (تحويل عالم أنثروبولوجيا يدرس الأوروبيين بين أعوام 1918 حتى 1938).

وفي عام 1972 قام عالم الأنثروبولوجيا ديلويت ديفال Divale بتقسيم 99 جماعة من الصيادين الجامعين للثمار من 37 ثقافة. فوجد أن 68 فكانت في حالة حرب في ذلك الوقت، و20 فكانوا في حالة حرب كل خمس إلى 25 سنة. وجميع الآخرين دكروا حرباً في الماضي البعيد (74).

استناداً إلى هذه الإحصائيات، وإلى إحصائيات أشعرافية أخرى، يؤكد دونالد براون أن الصراع، والاعتصاب، والانتقام، والهيمنة، والنفذ الذكوري التعاقبي، هي صفات بشرية عامة (75).

هنا يشعر الناس بالفتيان من الإفراق بالنعف في مجتمعات ما قبل الدولة فهذا أمر نهومي بالصورة النمطية للهمجي قد استخدمت - طوال قرون - كعذر للقضاء على الشعوب البدائية وسرقة أراضيها. لكن بالتأكيد ليس ضرورياً أن نرسم صورة زائفة، نلصق على أنه مسالم، وأنه واع ببيئته إيكولوجيا كني ندين الجرائم الضخمة، ضدنا، وكما حدث مجزرة هو أمر خاطئ إذا كان الضحايا اناساً طبيين فقط.

هيمنة العنف في جميع أنواع البيئات التي نشأتنا فيها توضح أن لدى نوعنا رغبة بالوث، وتمتصاً فطورياً للدم، أو ميلاً للسيطرة على السكان. هناك أسباب نشوء وجهية لدى الأفراد في نوع ذككي ككي يحاولوا العيش بسلا. لقد أثبت الكثير من المباحثات العنسية، ونساج رياضية أن المتعاون سكان مجزياً في شروط التشو، طالما أن المتعاونين لديهم أدمنة ذات دمج مبره مسحيح وقدرات الفعالية (76). فالنزاع سعة شرية كونية، وكذلك هو حسم النزاع بالرغم من جميع الدوافع الشرية والوحشية، ظهر جميع الشعوب مجموعة دوافع أكثر طيبة ولطفاً: الحس الأخلاقي، والعدل، الجماعة، ومقدرة على توقع النتائج عند اختبار كيف يتصرفون، وحب الأطفال، الأزواج، والأسدقاء (77). ويتوقف انخراط جماعة في عنف أو في عمل من أجل السلام لى أي مجموعة من الدوافع هي المطلوبة. وهذا الموضوع سأعالجه في فصول تالية.

إن يشعر ككل واحد بالراحة من خلال تأكيدات مكهده، لأنها تتأكل عند التكت المفترض للحياة الثقافية المعاصرة. الحب، والإرادة، والوجدان هي في الوصف الوظيفي التقليدي من أجل الروح، وقد وضعت - دائماً - مقابل الوظائف البيولوجية المحضه. فإذا كانت تلك القدرات بيولوجية أيضاً أي أنها التصفيفات النشوية المنجزة في الدارة الدماغية، عندئذ يُتركه الشبح مع القليل كفي يفعله، وقد يتم التمويض عنه لصالح الخير.

الفصل الرابع

رُمُيو الثقافة

على شاكفة جميع سكان بابل، سكنت من الموالي مثل الجميع، سكنت عبداً، ظهر هنا، هبدي اليعني دون بنصر. انظر هنا عبر الشق في رداثي، تستطيع ان ترى رُيماً قُرمزياً على بطني، إنها الحروف الثاني - ب - Beth. في الليالي القمرية حينما يكون القمر بديراً يعطيني هذا الرمز سلطة على الرجال الذين يحملون علامة Gimel، لكنه يخضعني لسلطة الذين يحملون الرمز ألف. ففي الليالي الحالكة التزم بظلمة من يحملون علامة الحرف ج Gimel، وفي منتصف ضوء الفجر - في قبو، واقفاً أمام منبع أسود قد ذبحت رقاب ليران مقدسة. ففي سنة قمرية تم إعلاني غير مرئي، بني اميخ ولن يكتوت أحد لندائي. وأسرق الخبز ولن يقطع رأسي. . . إني ادين بذلك كله إلى مؤسسة القرعة غير المعروفة لدى اقوام أخرى. أو يمارسونه بشكل ناقص أو حتى (1).

هذه القصة للكاتب جورج لويس / القرعة في بابل / ربما هي التصوير الأفضل لتكبر أن الثقافة هي مجموعة من ادوار ورموز تنقل إلى أفراد سلبين بطريقة غامضة. بناء لية اليانصيب كلعبة مالوفة، البطاقة الرابعة فيها تقال جائزة مالية. لكن بغية زيادة التشويق أضاف المعنويون بضعة أرقام تظهر حامل البطاقة بفرصة بدلاً من الجائزة وبعد ذلك التسع نظام اللعبة، وكانوا يفرضون أحكاماً بالسجن على من لا يدفع الترام، وبعد ذلك توعدت المقويات والمكافآت غير المالية. أصبح اليانصيب مجانياً، إزانياً، وكلي القدرة، وغامضاً بشكل متزايد. بدأ الناس يفكرون بالكيفية التي يمل بموجيها، وفيما إذا استمر في الوجود.

للوهلة الأولى يظهر أن في الثقافات البشرية نوعاً هائلاً من يانصيب Borgsian. وأفراد الإنسان العاقل ياكلون شكل شيء بدءاً من السمروع والتيدان إلى بول البقر واللحم البشري. إنهم يربطون، يقطعون، يمددون ويحدثون جروحاً في أجزاء الجسم

بطرق تجعل أكثر مراهق غربي مهووس ينكتمش خوفاً. إنهم يسوغون معارسات جنسية شاذة، مثل مراهقين يتلقون مصاً يومياً للعضو حتى الإنزال من قبل صديق أصغر منهم ويرتب الآباء زيجات بين أبناء في الخامسة من العمر. الشهوة الشاذة لظاهرة تنوع ثقافي تؤدي - بشكل طبيعي - إلى الاعتقاد أن الثقافة تعيش في عالم منفصل من الأديمة والجهنم والارتقاء.

و هذا الاتصال يمتد بدوره على مفهوم شريحة تركت بيضاء عن طريق البيولوجيا، وكنيت الثقافة عليها. أما وقد حاولت أن اقتنعك أن الصفحة ليست بيضاء، فقد حان الوقت لإعادة الثقافة إلى داخل الصورة. ذلك سوف يكتمل توافق استقرار يجري من العلوم الحياتية عبر علوم الطبيعة البشرية إلى العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والفنون.

في هذا الفصل سأقدم بديلاً عن الاعتقاد أن الثقافة هي مثل اليانصيب لأن بالإمكان النظر إلى الثقافة كجزء من الظاهرة البشرية. التصميم المميز الذي يسمع لنا بالبقاء، وتزدهر، وتؤيد نسلنا. البشر هم مستخدمون للمعرفة، ونوع تعلمنا، والثقافة تظهر بشكل طبيعي من النمط الحياتي، ولكنني أوجز: الظواهر التي نسميها الثقافة بينما يشارك الناس ويراكمون اكتشافاتهم وعندما يؤسسون لتقاليد لينسقوا أعمالهم. ويفصلوا إلى نزاعاتهم. وعندما تتفصل جماعات بسبب الزمن والجغرافيا، فإنها تراكم اكتشافات وتقاليد متباينة، وعندما نستخدم كلمة الجمع نسميها ثقافات. فالثقافات المختلفة إذن لا تأتي من أنواع مختلفة من الجينات. لقد كان بواس Boas ومن ورثه على حق حيال ذلك، لكنها لا تعيش في عالم منفصل. أو تصنع شكلاً على عقول لا شكل لها.

المرحلة الأولى من ربط الثقافة بطوم الطبيعة البشرية هي أن نتصرف إلى تلك الثقافة. بالرغم من كل أهميتها، إنها ليست نوعاً من بخار يتسرب إلى داخل الناس عبر جلودهم. فالثقافة تقوم على دارة عصبية تتجزأ الماثرة التي نسميها الخطم. تلك الدارات لا تجعلنا لا نميز بين أشكال المحاكاة، بل علينا أن نعمل بأساليب خلاقة لكي نجعل نقل الثقافة أمراً ممكناً ولهذا السبب، التركيز على قدرات العقل الفطرية ليس بديلاً عن التعلم، والثقافة، والاندماج الاجتماعي، بل بالأحرى محاولة لتسيير كيفية تعلم شكل هذه.

خذ - مثلاً - حالة اللغة الأصلية للشخص، والتي هي مهارة ثقافية يتم تعلمها بانتهاز. فالهياكل والطفل يتعلمان شيئاً عند تعريضهما إلى الكلام، لكن الطفل فقط هو الذي لديه خوارزمية عقلية تستخلص الكلمات والتواعد من الموجة الصوتية. ويستخدمها لكي ينطق ويفهم عدداً غير محدود من جمل جديدة. هذه التعممة الفطرية في اللغة هي الية فطرية من أجل تعلم اللغة (2). فلننظر في تعلم الأطفال عن الثقافة لا يستطيعون أن يكونوا مجرد ككاميرات فيديو تسجل الصور والأصوات سلبياً. يجب أن يكونوا مزودين بالية عقلية تستطيع أن تستخلص المعتادات والقيم الكامنة وراء سلوك الناس الآخرين، حيث يستطيع الأطفال أن يصبحوا أفراداً مناضحين في الثقافة (3).

فحتى أدنى عمل في التعلم التقليدي: معاينة سلوك أب أو نبيال، يعد عملاً أكثر تقدماً مما يبدو. ولتقدير ما يجري في عقولنا عندما نتعلم دون جهد من الآخرين علينا أن نتخيل ماذا سيحدثون الأمر عليه لو كان لدينا نوع آخر من العقل. لحسن الحظ، نخل علماء المعرفة ذلك بالنهاية عنا، من خلال تثبيت عقول «الروبوتات»، والحيوانات، والناس الذين عقولهم مختلفة.

وردني بروكس - الباحث في الذكاء الاصطناعي - يريد أن يهني إنساناً ألباً قادراً على التعلم بالمحاكاة، قد واجه فوراً هذه المشكلة عندما فكر باستخدام اساليب للتعليم شائعة في علم الحاسوب:

يراقب الإنسان الألي شخصاً يفتح عبوة زجاجية، يقترب الشخص من الإنسان الألي ويضع العبوة على طاولة قرب الروبوت. يفرك الروبوت يديه، ومن ثم يجهز نفسه لفتح الغطاء. يمسك العبوة الزجاجية بيد، والغطاء باليد الأخرى، ثم يبدأ بفك الغطاء بتدويره عكس عقارب الساعة. بينما يفتح العبوة، يتوقف لكي يمسح جبينه، وينظر إلى الروبوت ليرى ماذا يفعل. بعدئذ يستأنف فتح العبوة. بعدئذ يحاول الروبوت تقليد العمل، أي أجزاء من العمل يحاكي هذا أمر مهم، وأي أجزاء ليست مهمة (مثل مسح الجبين). وكيف يستطيع الروبوت أن يستخلص المعرفة المكتسبة من هذه التجربة ويطبها على حالة مماثلة؟(4).

الإجابة هي أن الروبوت يجب أن يكون مزوداً بمقدرة على الرؤية داخل عقل الشخص الذي يحاكيه الروبوت، بحيث يستطيع أن يستنتج أهداف الشخص وأن

يلتقط جوانب السلوك التي كان الشخص يريد بها كفي بنجز الهدف. يسمى علماء المعرفة هذه المقدرة على النفس الحدسي. علم النفس الشعبي أو نظرية العقل (الانظرية هنا ترجع إلى المعتقدات المضمرة التي يتبناها شخص ما، أو حيوان، أو روبوت، وليست معتقدات العلماء الظاهرة)). فما من روبوت موجود يقترب من امتلاك هذه المقدرة.

عقل آخر يجد صعوبة في استنتاج أهداف آخرين هو عقل الشمبانزي. فالمعالمه لاورا بيتو فكانت السهولة عن تدريب لفة الإشارة للحيوان المعروف باسم Nim chimpsky. وعاشت معه طوال سنة في سكن جامعي. في الفترة الأولى بدأ تهم أنه يقد غسلها الصحون. لكن لم يكن الصحن _بالضرورة_ أنظف بعد أن يفرصكه بالإسفنج، وإذا ما اعطى صحناً غير ملوث، فإنه يفسله وسكانه ملوث. لم يستوعب نيم مفهوم غسل خاصة باستخدام سائل لجعل شيء ما نظيفاً. لقد فقد فقط حركات الفك. بينما كان يستمتع بإحساسه بلقاء الدافن على أصابعه. لقد دلت تجارب مخبرية كثيرة على شيء مماثل. فليس الرغم من أن الشمبانزي وحيوانات لبونة أخرى معروضة بقدرتها على التقليد، تقليد الناس، وتقليد شخص آخر عبر الحركات، إنما كان التقليد بدائياً، لأن علم النفس الحدسي هو بدائي(5).

عقل غير مزود بالهيات ليتجسس بمعتقدات أناس آخرين وتوابهم، لو حتى أن يستطيع أن يتعلم بطرق أخرى، فإنه يكون غير قادر على التعلم الذي يعطي الثقافة الاستمرارية. فالتناس المتوحدون يمانون من علة من هذا النوع. يستطيعون فهم الأشكال الفيزيائية كضالخرائط والأشكال البيانية، لكنهم لا يستطيعون فهم الأشكال العقلية، أي لا يستطيعون قراءة عقول أناس آخرين(6). وعلى الرغم من أنهم يقدون، إلا أنهم يقومون بذلك بأساليب ناشزة. يميل البعض إلى محاكاة بيغائية، يتكبرون حرفياً ما قاله آخرون، بدلاً من استنباط التماذج القواعدية التي تسمح لهم بترتيب جملهم الخاصة بهم والتشغلون بانفسهم يتعلمون أن يتكلموا لوجدهم، يستخدمون - غالباً - كلمة أنت وسكانها اسم لهم، لأن الآخرين يشيرون إليهم باستخدام الضمير أنت، ولا يخطر ببالهم أن الكلمة تعني الشخص الذي توجه إليه الحديث. إن يقرع أحد الوالدين على زجاج ويقول (أه! اللعة)، سيستخدم الطفل المتوحد "أه! اللعة" على أنها تعني الزجاج داحضاً النظرية الإمريكية أن الأطفال الأسوياء يستطيعون تعلم الكلمات فقط من خلال ربط الأصوات والأحداث التي تتداخل في الزمن. وهذا لا يدل على ذكاء

بتن، فقد يتكون الأطفال المتوحدون مناهضين (أو علماء حتى) عند حل مشكلات أخرى والأطفال الموهوبون - دون توحيد - لا يظهرون مواطن الضعف نفسها مع اللغة والمحاكاة. فالانفعال بالذات هو ظرف عصبي فطري ذو جذور وراثية قوية (7). يظننا المتوحدون أن التعلم الثقافي أمر ممكن، فقط لأن الأسوياء عصبياً لديهم جهاز فطري من أجل التعلم.

غالباً ما يفسر العلماء الطفولة المديدة لأفراد الإنسان الماقل، كتكثيف يسمح للأطفال أن يكتسبوا المخزون الهائل من المعلومات من ثقافتهم قبل الإقلاع لوحدهم كبالكين. فإذا كان التعلم الثريوي يعتمد على معدات سيكولوجية خاصة، ينبغي أن نرى المعدات تتلقت بأسفراً في الطفولة فعلاً نحن نفعل ذلك.

تظهر التجارب أن الأطفال الصغار الذين أعمارهم سنة ونصف ليسوا ترابطين - يربطون أحداثاً متداخلة دون تمييز. إنهم علماء نفس حسيون، يقدرون توابيا الآخرين قبل محاكاة ما يفعلون. عندما يُعزَمُ بالتحقق صغيراً إلى كلمة لأول مرة فكما في (الذي هو توما) فإن الطفل الصغير سوف يتذكرها على أنها اسم الدمية التي كان ينظر إليها البالغ في ذلك الوقت، وليس ككاسم للعبة التي كان الطفل ينظر إليها. (8) إن يمزق بالغ على آلة، ويدل عزفه أنه كان مصادفة، فإن الطفل الصغير لن يكتسب حتى لمحاولة تقليده. وإذا ما كان البالغ ينوي العمل، فإن الطفل سوف يقلده. (9) وعندما يحاول بالغ إنجاز شيء ويفشل (مثل محاولة ضغط الزر على طنان، أو يحاول مد خيط حول وتد) فإن الطفل سوف يقلد ما حاول البالغ القيام به) وليس ما حاول أن يفعل. (10). فيما أتى شخص يدرس اكتساب اللغة عند الأطفال، فإنني كنت على الدوام مذهولاً بالفترة المبكرة التي ((يحصلون)) فيها على منطلق اللغة، يكتسبون لأنفسهم معظم اللغة المحكية في سن الثلاث سنوات (11). وقد تكون هذه محاولة الجينود للحصول على اكتساب الثقافة عبر جهاز مباشر في فترة حياتية مبكرة بينما يستطيع الدماغ التامى التعامل معها.

إن، عقولنا مزودة باليات مصممة لقراءة أهداف الآخرين لدرجة أننا نستطيع أن نسخ أفعالهم التي يتوون القيام بها. لكن ماذا يعني أننا نريد أن نفعل ذلك؟ فعلى الرغم من أننا نمتد بدهياً أن اكتساب الثقافة أمر جيد، إلا أن فعل اكتسابها يتم الحديث

عنه بسخرية. لقد قال الفيلسوف إريك هوفر ((عندما يكون الناس أحراراً أن يفعلوا ما يريدون، فإنهم يقلدون بعضهم. ولدينا مجموعة من السمكيات التي تعادل هذه القرود البشرية الأساسية مع سلوك الحيوانات؛ القرود يرى، القرود يفعل. لدينا عملية القطيع وتقليداً أعمى.

لقد وثق علماء النفس الاجتماعي بشكل كاف أن لدى الناس دافعاً قوياً لكي يفعلوا مثلما يفعل جيرانهم. فعندما يحيط خلفاء المجرى بموضوعات غير مقصودة للقيام بشيء غريب بعد أن دفع لهم، فإن معظمهم سوف يعضون به. سوف يتحدثون عيونهم، ويتبعون يتلاً طويلاً ((أو قصيراً)) أو بالعكس، ويملأون دون أكثر من استهباتاً بينما الدخان يتدفق من فتحة تدفئة، أو يتعمرون من ملابسهم - حتى ملابسهم الداخلية دون وجود أي سبب ظاهري لذلك (12) ولكن علم النفس الاجتماعي يوضح أن الالتزام الاجتماعي - بصرف النظر عن الدرجة التي يبدو فيها سعيداً في تجارب مصطنعة - لديه مبرر حقيقي في الحياة الاجتماعية، بل لديه مبرران الثان، في حقيقة الأمر. (13).

المبرر الأول؛ معلوماتي، الرغبة بالاستفادة من معرفة وتقييم الآخرين فاللجان المنطقية الحاذقة تقول إن اختبار الذكاء لمجموعة هو أدنى اختبار لأي فرد من المجموعة مقسومة على عدد الناس في المجموعة، لكن ذلك شديد التشاؤم. في نوع لديه لغة، علم النفس الحدسي، ورغبة بالتعاون، تستطيع جماعة أن تجمع الاكتشافات التي اكتسبت بصعوبة لدى أفراد سواء في الحاضر أم الماضي، وينتهون أذكى بكثير من سياق نساك. فالصيادون الجامعون للثمار يراكمون معرفة كافية ابتكار الأدوات، والسيطرة على النار، والاحتياط على ضحية، وانتزاع سمية النباتات، ويستطيعون العيش من خلال هذه البراعة الجماعية حتى لو لم يستطيع فرد إعادة خلق الأداة من البداية، فمن خلال تنسيق سلوكهم، فإن باستماعتهم أن يعملوا مثل حيوان متعدد الرؤوس، ومتعدد الأطراف، ويستطيعون القيام بمأثر لا يستطيع فرد لوحده القيام بها. إن مجموعة عيون متداخلة، وأذان، ورؤوس، أكثر قوة من مجموعة واحدة بشكل ما فيها من عيوب وخصائص. وتعبير في اللغة الهندية - لغة عبرية قديمة - يتم استخدامه كصيغار واقعي لمنظري المؤامرة والنعمة: العالم كله ليس مجنوناً.

معظم ما نسميه ثقافة هو بشكل بسيطة حكمة عملية متراكمة: أساليب تشكيل مصنوعات، اختيار الطعام، تقسيم ما نطرحة الرياح وماشابه. ويجادل بعض علماء

الأنثروبولوجيا مثل مارفن هاريس أنه حتى الممارسات التي تبدو عشوائية مثل البانصيب قد تكون حلولاً لمشكلات إيكولوجية. (14) فالأبقار في الهند ينبغي أن تكون مفضلة، لأنها تقدم الطعام (الحليب والزبد)، وروثها يستعمل كوقود، وتقدم الطاقة من خلال الحراثة. وبالتالي تقلب حمايتها على الإضراب يقتل الإوزة التي باضت البيض في التجمية إن فروعاً ثقافية أخرى قد يكون لها مبررات في التكاثر. (15) ففي بعض المجتمعات يعيش بعض الرجال مع أسر آبائهم، ويعملون أطفالهم وأزواجهم، وفي مجتمعات أخرى يعيشون مع أسر أمهاتهم ويعملون أخوانهم وبنات عمومهم. والنوع الثاني يحدث في مجتمعات يتوجب على الرجال قضاء فترات زمنية طويلة بعيداً عن البيت، ويكون الزنا شائعاً نسبياً لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يتأكدوا أن أطفال زوجاتهم هم أبناؤهم، إن الأسرة الأمومية تسمح للرجال أن يستثمروا في أطفال مضمونين أنهم يحملون بعض مورثاتهم.

لقد استطاع بروكسر وسيتمس أن يجادل أن الممارسات الثقافية ذات مردود اقتصادي أو وراثي مباشر. الدافع الثاني للالتزام هو معياري، الرغبة باتباع معايير جماعة، مهما تكن هذه المعايير.

وهذا أيضاً ليس سلوكاً عن غياب حكماء يبدو للوهلة الأولى. إن ممارسات ثقافية عديدة هي عشوائية في شكلها المحدود، لكنها ليست كذلك في سبب وجودها. لا يوجد سبب وجيه يدعو الناس إلى أن يقودوا السيارة على الجانب الأيمن من الطريق، كمنهض القيادة على الجانب الأيسر. لكن هناك سبب لكل سبب لدى الناس أن يقودوا على الجانب نفسه من الطريق وبالتالي اختيار جانب عشوائي لأي جانب سوف يقودون، وانتشار ذلك الخيار على نطاق كبير، ينطوي على معنى كبير. لقد أسس الاقتصاديون أملاً آخرى على الخيارات العشوائية لكن المنسقة هي ما أسماها الاقتصاديون التوازنات المتناوبة، والتي تشمل النقود، وأياماً مخصصة للراحة، وشائيات الصوت والمعنى التي تشكل الكلمات في أي لغة.

هناك ممارسات عشوائية مشتركة أيضاً تساعد الناس على احتمال حقيقة أنه بينما في الحياة أشياء كثيرة مرتبة في شكل استمرارية، ينبغي أن تكون القرارات - غالباً - مزدوجة (16)، فالأطفال لا يصبحون بالغين في لحظة، ولا مواعيد العرسان تجعل الشريكتين أحاديي الزواج.

هالمقوس الانتقالية ومعادلاتها الحديثة ، وقصاصات ورق مثل مطاقات اليرب
وشهادات الزواج ، تسمح لطرف ثالث أن يقرر كيف يتعامل مع حالات ملتبسا .
كقطفل أو كبالغ ، كملتزم أو غير ملتزم -من دون محاسنات لا نهاية لها على
اختلافات في الرأي.

المجالات الأكثر غموضاً هي توأيا الناس الآخرين. هل هو مخلص للإنسان
أم أنه شخص يبيع وطنه عند الشدائد ؟ وهل قلبه مع عشيرة والده أم مع عشيرة والد
زوجته ؟ هل هي أرملة مرحة - بشكل يدعو للشك - أم أنها تتابع مسيرة حياتها فقط ؟
هل يقصد إزعاجي ، أم أنه قال ذلك على عجل ؟ فشمائر الإدخال الديني ، والشعارات
القبيلية ، وهزرات حداد محددة ، هي أشكال تخاطب طقوسية لا يمكنها أن تجيب على
هذه الأسئلة بطريقة محددة. لكنها تستطيع أن تزيل غيوم الشك ، ولولا ذلك لكانت
تبقى فوق رؤوسنا.

عندما تكون التقاليد واسعة بما يكفي ، فإن بوسعها أن تصبح نوعاً من واقع مع
أنها موجودة في عقول الناس فقط. في كتابه / البنية الاجتماعية للحقيقية / يجب عدم
خلط ذلك مع البنيان الاجتماعي للواقع ، بوضع الفيلسوف جون سيرل أن حقائق بينها
تكون صحيحة موضوعياً فقط لأن الناس يتصرفون وسكانها حقيقية. (17) وأن وجود
دبليو بوش ككرئيس 43 للولايات المتحدة هي حقيقية وليست مسألة رأي. وأن أوج
سبسون تبين أنه لم يكن مذنباً بجريمة القتل وأن مالك الكبير Big Mail يكلف وقت
تأليف هذا الكتاب 622 دولار لكن مع أن هذه هي حقائق موضوعية ، إلا أنها ليست
حقائق حول العالم المادي مثل العدد الذري لعنصر الكاديوم ، أو تصنيف الحون
كحيوان ثديي. إنها موجودة في فهم مشترك في عقول معظم الأفراد في مجتمع ما.
فالمواقفات على شيء تعطي أو تحجب سلطة أو مكانة عن أناس آخرين بينهم تقوم
الحياة في مجتمعات معقدة على حقائق اجتماعية ، والمثالان الأكثر وضوحاً هما المال
وحكم القانون. غير أن الحقيقة الاجتماعية تعتمد كلياً على إرادة الناس أن تعاملها
كحقيقة. إنها محددة بمجتمع ما ، مثلما نرى الناس يرفضون تكريم عملة أجنبية أو
عندما نقلل في الإقرار بسيادة زعيم نصب نفسه بنفسه ، وقد تتلاشى مع التغييرات في
المسيكولوجيا الجمعية ، مثلما تصبح عملة دون قيمة من خلال التضخم الكبير ، أو
عندما ينهار نظام ، لأن الناس يتحدون الشرطة والجيش جماعياً. (ويشير سيرل إلى أن
الزعيم ماوتسي تونغ كان نصف محق عندما قال (إن السلطة السياسية تنشأ من

ببساطة بندقية)). فالسلطة السياسية تتشأ من قدرة نظام على ضبط الخوف لدى ما يكفي من الناس في وقت واحد. والحقيقة الاجتماعية توجد فقط ضمن جماعة من الناس، لكنها تعتمد على قدرة معرفة موجودة في شكل فرد. المخرطة على فهم الموافقة العامة على منح السلطة أو المكافأة، وتمجيدها طالما أن أناساً آخرين يفعلون ذلك.

كيف يتحول حدث سيكولوجي - اختراع، أحد المظاهر الاجتماعية، أو قرار للتامل مع نوع محدد من الأشخاص بطريقة محددة - إلى حقيقة ثقافية - اجتماعية، تراث، عبادة، المزاج العام، أو نمط حياة؟ ينفسي أن تفهم الثقافة وفقاً لنعالم الأثروبولوجيا المعرفية دان سبيرير على أنها علم أوبئة epidemiology. عروض عقلية، انتشار أفكار وممارسات من شخص إلى شخص (18). يستخدم علماء ككثيرون الآن الأدوات الرياضية للأمراض (كيف تنتشر الأمراض، أو بيولوجيا السكان (كيف تنتشر الجينات والمضويات) لقولبة تطور الثقافة (19). لقد اثبتوا كيف أن ميلاً لدى شعب لبنني التجديد لدى شعب آخر، قد يؤدي إلى نتائج نفهمها مستخدمين الكنائيات مثل (كالوباء، وكفار الشيم، وكفارات الثلج) فهنا تتحول السيكولوجيا الفردية إلى ثقافة جمعية.

الثقافة إذن هي: بركة من تجديبات اجتماعية وتقنية يراكمها الناس لكي تساعدهم أن يعيشوا حياتهم، وليست مجموعة أدوار ورموز اعتباطية يتصادف أن تحدث لهم. وهذه الفكرة تساعد في تفسير ما الذي يجعل الثقافات مختلفة ومتشابهة. فندعنا نقار جماعة منشقة القبيلة، ويفصلها عنها محيط أو سلسلة جبلية، أو منطقة منزوعة السلاح يسمح ابتكار من جانب واحد من الحاجز ليس أمامه سبيل للانتشار إلى جانب الآخر. وبينما تعدل شكل جماعة مجموعتها الخاصة بها من الاكتشاف والأعراف، ستباعد المجموعات، وسيكون لها ثقافات مختلفة. هذا الانقسام والتمايز مرئي بسهولة في نشوء اللغات، وربما هو المثال الأوضح على التطور الثقافي. فكما أشار داروين، إن لها مثيلاً قريباً في أصل الأنواع التي - غالباً - عندما مجموعة من السكان تقسم، فجماعات الأحفاد تتطور في اتجاهات مختلفة (20). فالثقافات التي تقسم تيل لأن تكون متشابهة أكثر، كما هو الأمر مع اللغات والأنواع. فالثقافات القديمة في إيطاليا وفرنسا على سبيل المثال متشابهة أكثر مما تتشابه إحداها مع ثقافات اللوري أو سكان هاواي.

الجدور السيكولوجية للثقافة تساعد أيضاً في تفسير لماذا تتغير شذرات من الثقافة بينما تبقى أخرى موجودة. بعض العادات الجمعية ذات طاقة تكاثرها هائلة. وتفرض تكلفة عالية على أول فرد يحاول أن يغيرها. تحول قيادة السيارة إلى القيادة على اليمين لا يمكن أن تبدأ بمتهور جسور، أو بحركة قص المشب، بل يجب أن تقصر من القمة إلى الأسفل (وهذا ما حدث في السويد في الساعة الخامسة من صباح يوم الأحد 3 أيلول عام 1967). أمثلة أخرى هي وضع اسلحتك جانباً عندما يكون جيرانك الأعداء، مسلحين حتى الأسنان لراكبين لوحة المفاتيح، ويصبحون أن الإمبراطور علي.

لكن باستطاعة الثقافات التراثية أن تتغير أيضاً وبسرعة أكبر مما يدرك معظم الناس. فالمحافظة على تنوع ثقافي يعد فضيلة علياً في أماننا هذه، لكن أفراد الثقافات المختلفة لا يرون الأمر كذلك. فالتناس لديهم مطالب واحتياجات، وعندما تنضم الثقافات، فإن الناس من ثقافة ما مجبرين أن يلاحظوا عندما يشع جيرانهم قد الرغبات أكثر منهم. عندما يلاحظون ذلك، فإنهم يستغيرون أي شيء يعمل بشكل أفضل، فيبدأ عن كونها أعمدة تحافظ على ذاتها، الثقافات هي مسامية، وفي حين جريان مستمر. من جديد، اللغة مثال جيد، وهي غير قادرة على مقاومة عويل المتطهين الدائم وجوازات أكاديميات اللغة، إذ ليس هناك لغة يتكلمها الناس كما كانت قبل قرون. قارن فقط اللغة الإنجليزية المعاصرة بلغة شكسبير أو نشوسر. كما أن الكثير من الممارسات التراثية الأخرى حديثة بشكل مذهل. لم يكن أسلاف اليهود الهاديين يرتدون معاطف سوداء وقبعات ذات سوار من القرو في صحاري الشرق الأدنى، وكذلك لم يكن هنود السهول يرتدون الخيول قبل وصول الأوروبيين. وقوائم الطعام الشم فيها أيضاً جذور ضحلة. البطاطا في إيرلندا، و paprika في هنغاريا، والبندورة في إيطاليا، والفليفلة الحارة في الهند والصين، و cassava في أفريقيا ثاني من نباتات العام الجديد جلبت إلى أوطانهم التراثية بعد قرون من وصول كولومبوس إلى الأمريكتين(21).

فكرة أن الثقافة هي وسيلة للعيش يمكنها أن تفسر الحقيقة التي قاد بولر boss أن يجادل بعكس ذلك في البداية، أن الثقافة هي نظام أفكار مستقل ذاتياً المثال الأوضح على الفرق الثقافي هو أن بعض الثقافات هي مادياً أكثر نجاحاً من ثقافات أخرى، وحتى داخل أوروبا وآسيا تفاوتت أعداد الثقافات كثيراً. فبعض الحضارات التوسعية المتطورة غني في الفن، والعلم والتقانة بينما التصفت ثقافات أخرى

بالفكر وعاجزة عن مقاومة الغزو. ما الذي سمح لجماعات صغيرة من الإسبان أن تعبر الأطلسي وتهزم إمبراطوريتين عظيمتين: الإنكسا والإزتك بدلاً من أن يحسون الأمر عكس ذلك؟ لماذا لم تستعمر القبائل الإفريقية أوروبا بدلاً من العكس؟ الإجابة المباشرة هي أن الفاتحين الأغنياء كان لديهم تكنولوجيا أفضل، ونظام سياسي واقتصادي أكثر تعقيداً. لكن ذلك، وببساطة، يدفع إلى الخلف السؤال لماذا تطور ثقافة ما أساليب حياة أكثر تعقيداً من الثقافات الأخرى؟

لقد ساعد بواس على قلب العالم العنصري السوي في القرن التاسع عشر، الذي عزا هذه الفروقات إلى فروقات في المدى الذي تطور فيه كل عرق بيولوجياً. فبدلاً من ذلك الشرط خلفاًه أن السلوك تحدده الثقافة وأن الثقافة مستقلة عن البيولوجيا (22). لسوء الحظ ترك ذلك فروقات بين الثقافات دون تفسير، وسكانها فكانت تتألف عشوائية للتأنيب في بابل. حقاً لم تكن الفروقات دون تفسير، بل لم يرد ذكرها، لتلا بسببه الناس تفسير الملاحظة بأن بعض الثقافات كانت تكنولوجيا أكثر تعقيداً من ثقافات أخرى، على أنها نوع من حكم قيمة أخلاقي، أي المجتمعات المتقدمة كانت أفضل من المجتمعات البدائية. لكن لا يجوز أي أمرين أن يلاحظ أن بعض الثقافات تستطيع أن تنجز أشياء يريدونها جميع الناس (سكالمسحة والراحة) أفضل من ثقافات أخرى والاعتقاد بأن الثقافات تتفاوت حسب تقلب الأهواء هو تفكير ضعيف لأي رأي خاص يقول إن بعض الأعراق لديها ما تأخذ لتطور علماء، وثقافة، وحكماً بينما أعراق أخرى ليس لديها ذلك.

لكن - مؤخراً - فقد أثبت علمان بعمان بشكل مستقل أنه ليس هناك حاجة لاستحضار العرق لتفسير الفروقات بين الثقافات، وكلاهما توصلوا إلى تلك النتيجة من خلال مجازة نموذج علم الاجتماع التومجسي، والثقافات فيه هي أنظمة رمزية عشوائية توجد بغض النظر عن عقول الأفراد. وفي ثلاثية الاقتصادي توماس سويل/عرق وثقافة، هجرات وثقافات، وفتوحات وثقافات/ فقد فسّر نقطة البداية لتحليل الفروقات الثقافية:

إن أي ثقافة ليست نمطاً رمزياً يتم حفظه مثل فراشة في العنبر، ومكانها ليس في متحف، لكن في الأنشطة العملية للحياة اليومية حيث تنشأ تحت ضغط أهداف مناصرة وثقافات منافسة. فالثقافات لا توجد "كثقافات" سكونية فقط يحتمل بها، بل هي تتنافس فيما بينها كسبيل أفضل أو أسوأ للقيام بأشياء. أفضل أو أسوأ - ليس

من منظور مراقب ما ، بل من منظور الشعوب أنفسهم ، كلما سمع وتطلع وسط حفلي الحياة القاسية (23).

عالم الفيزيولوجيا "جارييد دياموند" هو نصير للأفكار في السبكيولوجيا الارتقائية وتوافق استقرامات بين العلوم والدراسات الإنسانية . خاصة التاريخ (24). هي كتاب "بنادق وجراريم ، وهولاد" رفض الفرضية التوموجية القائلة إن التاريخ هو فقط شيء ملموع بعد آخر . وحاول أن يفسر هيمنة التاريخ البشري طوال عشرينات الأبر السنين في سياق ارتقاء بشري وإيكولوجي (25). لقد صنع سويل ودياموند حث سلطوية : مصائر المجتمعات البشرية تأتي ليس من قبيل المصادفة ، ولا من العرق ، بل من الدافع البشري لتبني ابتكارات الآخرين ، مندمجة مع تنوعات الجغرافيا والعامل الإيكولوجي . لأن معظم تاريخ الارتقاء البشري الذي عشناه كصهادين وملتقطي شر ، أفضاخ الحضارة : العيش المتقل ، مدن ، تقسيم العمل ، حكومة ، جيوش متفرقة ، الطنابية ، علم التمدين انبثقت كلها من تطور حديث ، من الزراعة قبل نحو عشرة ألب سنة مضت . فالزراعة تقوم على النباتات والحيوانات التي بالإمكان تدجينها واستغلالها ، وهذه أنواع قليلة مناسبة لهذه الغاية . لقد تصادف أنها كانت مركزة في أضعاف قليلة من العالم من بينها الهلال الخصيب ، والصين ، ووسط وجنوب أمريكا حيث نشأت الحضارات الأولى في تلك المناطق . من تلك الفترة فصاعداً كانت الجنواي مصيرا . ويوضح دياموند وسويل أن أوراسيا أكبر مساحة في العالم لأرض ذات مزار هائلة من أجل ابتكارات محلية . التجار ، المهيمون ، والفلاحون ، يستطيعون جمع هذه الابتكارات ونشرها . والذين يعيشون عند تقاطع الطرق يستطيعون أن يركزوها في رزمة عالية الثقافة . وأوراسيا -أيضاً -تتجه من الشرق إلى الغرب ، بينما تتجه إفريقيا والأمريكيتان من الشمال إلى الجنوب . فالحاصل والحيوانات التي تجنى وتدجن في منطقتي بالإمكان نشرها في مناطق أخرى بسهولة وفق خطوط الطول التي هي أيضاً ذات تشابه مناخي . لكن لا يمكن أن تُنشر بسهولة مثل سهولة خطوط الطول حيث يضع مئات من الأميال تستطيع أن تظهر الفارق بين مناخين : المعتدل والاستوائي فلم سبيل المثال ، الخول المدجنة في الإستيمس الآسيوية كان باستطاعتها أن تنشق طريقها غرباً إلى أوروبا وشرقاً إلى الصين . لكن حيوان اللاما alpacas المدجنة في الأنديز لم تنشق طريقها شمالاً إلى المكسيك ، لذلك تركت حضارتنا المايا والأزتيك دون قطع حيوانات . فنقل السلع الثقيلة إلى مسافات طويلة ومعها التجار وأفكارهم كان ممكناً

عبر المياه فقط. فأوروبا وأجزاء من آسيا مباركة بجغرافيا ذات انغلاق وموانئ طبيعية بعيدة وأنها قابلة للملاحة. بينما أفريقيا وأستراليا ليستا كذلك.

لهذا السبب فتحت أوراسيا العالم ، ليس لأن سكانها أكثر ذكاءً ، بل لأنهم استطاعوا الإفادة من مبدأ أن رؤوساً كثيرة خير من رأس واحد. "ثقافة" أي أقوام فاتحة لأوروبا كبريطانها هي في الحقيقة مجموعات ابتكارات الأفضل، وقد جمعت عبر آلاف السنين والأممال. المجموعة تتكون من محاصيل الحبوب، والأبجدية من الشرق الأوسط، وبارود المدايح، والورق من الصين، والخيول المدجنة من أوطكرانيا، وأشياء أخرى كثيرة. لكن الحضارات المعزولة بالضرورة، مثل أستراليا وأفريقيا والأمريكيتين، كان عليهما أن تتعامل مع ثقافات محلية قليلة، فلم تكن مناسبة لفاتحين كثيرين. حتى ضمن أوراسيا، ولاحقاً الأمريكيتين، الثقافات التي كانت معزولة جغرافياً جبلية مثل سلاسل جبال أباتشي والبلقان والمرتفعات الإسكوتلاندية بقيت مختلفة طوال قرون بالمقارنة مع الشبكة الهائلة من الناس حولها.

وكما يوضح دياموند كانت تسمانيا هي الحالة المتطرفة. فالتسمانيون الذين كانوا على وشك الانقراض على يد الأوروبيين في القرن التاسع عشر، كانوا الشعب الأكثر بدائية في التاريخ المكتوب. لم يكونوا مثل أروميي أستراليا، لم يكن لدى التسمانيين طريقة لإشعال نار، ولا رماد رماح، أو فذائف منحنية لإصابة هدف ما، ولا أدوات حجرية خاصة، ولا هؤوس ذات مقابض ولا قوارب، ولا أبر خياطة، ولا مقدره للصيد. ويبين المسجل الأثري أن أسلافهم من الجزيرة الأسترالية وصلوا معهم هذه الأساليب قبل نحو عشرة آلاف سنة خلت. ولكن آنذاك كان الجسر الذي يربط تسمانيا باليابسة قد غمرته المياه فانقطعت تسمانيا عن بقية العالم. ويعتقد دياموند أن بالإمكان أن يتم فقدان أي ثقافة من الحضارة في أي مرحلة من مراحل التاريخ إذا ما قل مخزون مادة خام، فإن الناس يتوقفون عن صنع المنتجات القائمة على هذه المادة. وقد يقتل جميع الحرفيين المهرة في عاصفة هوجاء. عندما يحدث هذا في حضارة ما تختك بحضارات أخرى، فإن الثقافة المفقودة بالإمكان اكتسابها ثانية بينما يتسارع الناس من أجل بلوغ مستوى عيش أفضل ينعم به جيرانهم. لكن في تسمانيا المعزولة، كان على الناس أن يعيدوا ابتكار العجلة في كل مرة فكانت تلتد فيها، وبذلك كان مستواهم المعيشي يتجه نحو الأسفل.

المفارقة الكبيرة لمنطق علم المجتمع النموذجي هو أنه أخضع في إنتاج الهدف ذاته الذي جلبه إلى الوجود، شرح الأقدار المطلقة للمجتمعات البشرية دون استحضار العرق الشرح الأفضل في يومنا هذا هو ثقافتنا تماماً. ويعتمد على النظر إلى حضارة مخطئاً ليجول اجتماعية بدلاً من أنه مشكك لها.

التاريخ والحضارة - إذن - يمدان جذورهما في السيكلولوجيا - والحوسبة - وعلم الأعصاب - والوراثة والتطور. ولكن هذا النوع من الحديث يثير إزعاجاً لا عقول الصعيد من غير العلماء. إتهم يخشون أن نوافق استقرارات هو شاشة دخانية لاستيلاء معلم للإنسانيات والفنون والعلوم الاجتماعية من قبل كبارهي الفنون في لباس معاملت بيضاء. إن نفس مادة موضوعهم يتم إسكاته بمناقشة نوعية حول العصبونات. والمورثات، وواقع التطور. وهذا السيناريو يسمى عادة "التزعة التقليدية". وسوف أختتم الفصل بتبيان لماذا نوافق الاستقراء لا نتمسك بها.

التزعة التخفيضية تأتي في أشكال جيدة أو سيئة - مثلها مثل التطوير المستوول. والتزعة التخفيضية السيئة تسمى أيضاً "التزعة التخفيضية الشرهة" أو المدمرة. وتتكون من محاولة لتفسير ظاهرة من خلال أبسط أو أصغر مكوناتها، إنها ليست رجلاً من قش. إنني أعرف عدة علماء يعتقدون (أو على الأقل يقولون بقوى ماثحة) أننا سوف نحدث اختراقاً في التربة ولا حسم الصراع، وبلا قضايا اجتماعية أخرى من خلال دراسة الفيزياء الحيوية biophysics للأعضاء المصمبة أو البنية الجزيئية لقطعة الاشتباك العصبية. لكن التزعة التخفيضية الشرهة لا تمثل وجهة نظر الأغلبية، ومن السهل ثيبان لماذا هي خاطئة. فكما أوضح الفيلسوف هيلاري بوتنام حقيقة أن وئداً مرعباً لن يدخل في فتحة دائرية ولا يمكن تفسير ذلك من خلال الجزيئات والذرات، بل يمكن تفسيره بمستوى أعلى من التحليل يتضمن الدقة والهدسة (26)، بغض النظر عما يجعل (الإسفين صلباً)، وإن يظن أي شخص أن السوسبيولوجيا أو الأدب أو التاريخ بالإمكان استبدالها بالبيولوجيا، فلماذا يتوقف هناك؟ بالإمكان أن تتحول البيولوجيا إلى كيمياء، والكيمياء إلى فيزياء، تاريخية المره مكافئاً لشرح أسباب الحرب العالمية الأولى من خلال الإلكترونات والمكونات quarks. حتى لو كانت الحرب العالمية الأولى لا تتكون إلا من عدد كبير جداً من الكوارثات. في نموذج حركية متدف، جداً، فإننا لا نحصل على بصيرة معمقة من وصفها بتلك الطريقة.

أما النزعة التلخيصية الجيدة فتسمى أيضاً النزعة التلخيصية التراثية. ولا تتألف من إبدال مجال معررلاً بمجال آخر، بل من ربطهما أو توحيدهما. اللغات الإنائية المستخدمة من قبل مجال معررلاً توضع تحت مجهر من قبل مجال آخر. فالصناديق السوداء تفتح، وتدفع السندات المالية نقداً. فقد يشرح جغرافياً لماذا يعانل الخط الساحلي لأفريقيا الخط الساحلي للأمريكيتين، بالقول إن الكتلة الأرضية كانت مترابطة في الماضي، لكنها استقرت على صفائح مختلفة انفصلت عن بعضها. أما السؤال لماذا تتحرك الصفائح فتتم إحالته إلى علماء الجيولوجيا الذين يتجهون إلى ارتفاع الماغما التي تدفعها إلى الانفصال. أما لماذا تصبح الماغما حارة، فإنهم يدرولون علماء الفيزياء لشرح ردود الأفعال في نواة الأرض وقشرها، لا يمكن الاستغناء عن أي من العلماء. فلو كان عالم الجغرافيا معزولاً لكان يستحضر المسحر ليحرك القارات، ولما كان باستطاعة عالم فيزياء معزول التنبؤ بشكل أمريكا الجنوبية.

ويصح الأمر ذاته على الجسر بين البيولوجيا والثقافة. المتكثرون الحكياء في علوم الطبيعة نجدهم صابرين حيال وجوب فهم الحياة العقلية في مستويات عدة من التحليل، وليس من المستوى الأخفض فقط. لقد حدد عالما اللغات نمو تشومسكي، وديفيد مار عالم أعصاب الحوسية، والاثولوجي نيكولو تيبيرغن بشكل مستقل مستويات عدة من التحليل لفهم قدرة العقل. تشمل هذه المستويات وظيفة العقل (أي ما ينجزه بالمعنى التطوري النهائي) وآلية عمله الزمني الحقيقي (أي كيفية يعمل العقل بشكل تجريبي من لحظة إلى لحظة)، وكيفية يتم استخدامه في قضية عصبية، كيفية يتطور في الفرد، وكيفية تطور في الأنواع (27). فعلى سبيل المثال، اللغة مبنية على قواعد معينة مخصصة لإيصال عدد غير محدد من الأفكار. يستخدمها الناس في زمن حقيقي غير نشغل داخلي لخزون الذاكرة واستخدام القواعد. إنها تطبق في شبكة مناطق في النصف الدماغية الأيسر من القشرة الدماغية التي يجب أن ينسق الذاكرة، والتخطيط، ومعاني الكلمات والقواعد. إنها تتطور في السنوات الثلاث الأولى من الحياة في سلسلة من تعثر نطق كلمات إلى مجموعات كلمات فيها أخطاء، يتم فيها التركيز كثيراً على استخدام القواعد. لقد تطور عبر تعديلات في مجرى الصوت ودارة دماغية لديها استخدامات أخرى في مراحل أبكر من الطفولة، لأن التعديلات سمحت لأسلافنا أن يتقدموا في أسلوب حياة معررلاً مترابط داخلياً اجتماعياً. من المحال استبدال أي من هذه المستويات بالمستويات الأخرى، لكن لا يمكن فهم أي مستوى بعزل عن المستويات الأخرى.

يهيئ تشومسكي جميع هذه المستويات عن مستوى آخر من «مستوى فتر يستخدمه تشومسكي، لكن يستخذه علماء لغات آخرون، نقاط الأولوية التي ذكرتها لتتو تعامل مع اللغة ككيان فورية داخلية، مثل معرفة اللغة الإنجليزية المكتوبة التي لدي في رأسي لكن بالإمكان أيضاً فهم اللغة كتكلم خارجي: الكن الإنجليزية» كتكلم بتاريخها الممتد إلى 1500 سنة، ولجاتها التي لا تحصى، وهجتها المنتشرة في العالم، وتكلماتها التي تبلغ نصف مليون كلمة في معجم أوكسفورد في لغة خارجية هي تجريد يجمع اللغات الداخلية للملايين عدة من الناس يعيشون في أماكن وأزمنة مختلفة. لا يمكن أن توجد دون اللغات الداخلية في عقول بشر حقيقيين يتحدثون مع بعضهم، لكن لا يمكن تخفيضها إلى ما يعرفه أي واحد منهم فتر سبيل المثال، القول بأن الإنجليزية مفردات أكثر من اليابانية قد يكون صحيحاً حتى لو لم يكن هناك ناطق بالإنجليزية لديه كلمات أكثر من ناطق لليابانية.

لقد شكلت اللغة الإنجليزية بأحداث تاريخية عريضة لم تحدث داخل رتر واحد، بل تشمل الغزوات الإسكندنافية والنورماندية في العصور الوسطى التي أدخلت إليها كلمات ليست أنجلو - ساسكسونية. التغير الكبير في حروف العلة في القرن الخامس عشر حدد لفظ أصوات العلة الطويلة، وترك نظام التهجئة في حالة فتر واتساع الإمبراطورية البريطانية الذي شرعته وجود تنوع في لغات إنجليزية (أمريكية، استرالية، سنغافورية)، وتطور وسائل الإعلام العالمية قد يعيد نسجام اللغة، لأن جيمياً نقرأ صفحات الشبكة ذاتها، ونشاهد عروض التلفاز ذاتها.

لكن لا يمكننا أن نفهم أباً من هذه العوامل دون أن نضع بالاعتبار السيريز الفظيرة لدى الناس المكتوبين من لحم ودم، وذلك يشمل Briton البيرتانيين الذين أعادوا تحليل كلمات فرنسية عندما استوعبها في اللغة الإنجليزية، والأطفال الذين يمشون في تذكر سبع الماضي البسيط للأفعال الشاذة، ويحولونها إلى أفعال نظامية فالأرستقراطيون هم الذين أثروا على طريقة لفظ الأفعال الشاذة كي يميزوا أنفسهم عن الدهماء، هؤلاء اللغموون الذين بلعوا أصواتاً ساكنة ليتركوا made (التي كانت أصلاً had وkayed). والناطقون الأذكىء الذين حولوا: لقد بني المنزل من قبل شخص، إلى لقد بنيت المنزل، أعطوا الإنجليزية معناها التام. اللغة تخلق من جديد مع كل جيل، بينما تنقل عبر عقول البشر الذين يتكلمونها (28).

اللغة الخارجيه هي مثال جيد للحضارة، منطقة علماء الاجتماع ودارسي
الإنسانيات، الطريقة التي بالإمكان فهم اللغة من خلالها عبر ستة مستويات من
التحليل، من الدماغ، وتطورها إلى عمليات معرفية لدى الأفراد، إلى أنظمة ثقافية
بلغة، تبن وكيف أن بالإمكان ربط الحضارة مع البيولوجيا، وإمكانيات الروابط
في مجالات أخرى من المعرفة البشرية وهجرة، سوف نقابلها في أرجاء هذا الكتاب،
فلنعنى الأخلاقي بوسمه أن ينسي المدونات القانونية والأخلاقية، وتساعدنا
سيكولوجيا القربة في فهم الترتيبات الموسيقي - سياسية، وعقلية العدوان تساعدنا في
فهم العرب وحسم الصراع، والفروقات الجنسية ذات علاقة بالسياسات بين الجنسين،
ويستطيع علم الجمال والمواطف البشرية أن يبيننا فهمنا للفنون.

ما جدوى ربط مستويات التحليل الاجتماعية والثقافية بالمستويات البيولوجية
والبيولوجية؟ إنها نشوة الاكتشاف التي لا يمكن بلوغها ضمن حدود نظام وحيد، مثل
عالية الجمال، ومنطق اللغة، ومكونات الحس الأخلاقي، هالفهم المرضي القوي الذي
استمنا به من توحيد العلوم الأخرى - شرح العضلات على أنها سقاطات ratchets
منطاليسية صغيرة، والأزهار ككمبريات للحشرات، ولقوس قزح على أنه اندثار أطوال
الوجة التي عادة تندمج في الأبيض إنه الفرق بين جمع الطوايع وعمل الباحث، بين
القذف slingground رمي مفردات فخمة وتقديم رزيا، بين القول أن شيئاً ما هو
كما هو فقط، وشرح لماذا كان يجب أن يوجد بتلك الطريقة، كتنقيح لطريقة
أخرى كان من الممكن أن يكون عليها، في عروض الدردشة التلفزيونية talk show في
المسرح الطائر، خبيرة الدنيا سورات تطلق نظرياتها الجديدة في موضوع العطاء
bronto souas: "جميع هذه المعطيات تحيلة من طرف، وأخذن بكثير في المنتصف، ومن
ثم تسبح تحيلة جداً في الطرف البعيد، إتنا نضحك لأنها لم تشرح موضوعها من خلال
مبادئ عومية تماماً، إنها لم تخلف الموضوع بالمعنى الجيد، حتى كلمة "فهم" حرفياً
نني "قف تحت" تلمح إلى النزول إلى مستوى أعمق من التحليل، فهمنا للحياة قد أغناه
اكتشاف أن اللحم الحي ممكن من عمل ساعة جزئية بدلاً من بروتيناً لازماً مرتعشة،
أو أن الطيور تعلق باستقلال فوائين الفيزياء بدلاً من تحديها، وبالطريقة ذاتها، فهمنا
لأنسنا وحضاراتنا يمكن إغنازه باكتشاف أن عولنا مكونة من دارات عصبية
مقدرة من أجل التفكير والإحساس والتعلم بدلاً من أن تكون صفحات بيضاء، يقع
غير منتظمة، أو أشباح غامضة.

الفصل الخامس

موقف الصفحة الأخير

الطبيعة البشرية موضوع علمي، وكلما تدخل الحقائق فيه سوف يتغير فهمنا له. فالحياة قد تظهر الحقائق أن نظرية تمنح عقولنا بنية فطرية أكثر مما ينبغي. فقدرتنا اللغوية ليست مزودة فقط بأسماء، أفعال، صفات وحروف جر بل أيضاً بأداة تمييز بين ما هو أكثر شبيهاً بالاسم أو بالفعل. وفي أوقات أخرى قد يتضح أن نظرية ما منحت عقولنا بنية فطرية أقل مما ينبغي. إذ ليس هناك نظرية حديثة حول الشخصية يمكنها أن تفسر لماذا أفراد أزواج من التوائم المتماثلين المتربين منفصلين عن بعضهما يحيان أن ينضج أساور مطاطية حول رصفيهما، ويتظاهران أنهما يعطسان في المساعد المزدحمة.

فالفهم أيضاً هو الكيفية التي تستخدم فيها عقولنا المعلومات الأتية إليها من الحواس. فما إن تستيقظ قدراتنا اللغوية والتفاعل الاجتماعي حتى يتكون نوع من النظم من تسجيل المعلومات من أجل استخدامها في المستقبل، ككاسم شخص أو مضمون تشريع جديد، بينما قد تكون المعلومات الأخرى أكثر شبيهاً بضرب رقم هاتف، أو لتسهيل مفتاح، أو حساب متوسط حيث الجهاز في مكانه، لكن وحدة فياسك مفتوحة بحيث يستطيع العقل تتبع مسار تفاوت في البيئة المحلية، بينما قد يستخدم آخرون المعلومات التي تقدمها جميع البيئات العادية، مثل وجود الجاذبية، أو إحصاءات الألوان والخطوط في المجال البصري بحيث تتناغم مع نظمتنا الحسية. هناك أيضاً أساليب أخرى تتفاعل فيها الطبيعة والتربية، ولن يدرك كثيرون الفرق بين الاثنين.

هذا الكتاب قائم على إدراك أنه مهما نتضح الصورة الدقيقة في شكلها النهائي، فسيكون منها جزء من طبيعة بشرية مقددة ككونية. إنني أعتقد أن لدينا سبباً بدعونا للاعتقاد أن العقل مزود ببطارية انفعالات، ودوافع، وقدرات للمعاسكمة والتواصل، وأن هذه تمتلك منطلقاً مشتركاً عبر الثقافات من الصعب إلغاؤه أو إعادة

تصحيحه من أشياء أولية، وأنه قد تم تشكيكه من خلال اصطفاة طبيعي يعمل على مسار التطور البشري، ويدين ببعض من التصميم الأساسي (وبعض من التباين) في الطوريات في الجنوم. المراد من هذه الصورة العامة هو أن تحتضن تنوعاً من التطوير حاضراً ومستقبلاً، ومجالاً من الاكتشافات علمية منظورة.

لكن لا نستوعب الصورة أيّ نظرية أو اكتشاف وحسب. فقد يكتشف علم المعرفة أن هناك معلومات غير كافية في الجنوم لتحديد أيّ دارة فطرية، أو ما من أين معروفة من خلالها قد تكون متصلة بسلك الدماغ. أو ربما يكتشفون أن الأدمغ مكونة من مادة ذات غاية عامة تستطيع أن تقوم بامتصاص أي نموذج في المدخل الحسي وتظم نفسها لكي تنجز أي هدف. فلاكتشاف السابق يجعل التنظيم الفطري محالاً، ويجعله الاكتشاف اللاحق غير ضروري. وسوف ندعو لتلك الاكتشافات مفهوم الطبيعة البشرية بحد ذاته إلى السامعة، وذلك لن يكون على شاكلة الاعتراضات الأخلاقية والسياسية على مفهوم الطبيعة البشرية، لأنها ستكون اعتراضات علمية. فإذا كانت هذه الاكتشافات عند الأفق، فمن الأفضل أن نتطرّق إليها بدقة.

هذا الفصل حول ثلاثة تطورات علمية تعد أحياناً أنها تتسلف إمكانية طيبة بشرية معقدة. التطور الأول مصدره مشروع الجنوم البشري. فعندما نشرت سلسلة الجنوم البشرية عام 2001 فقد دهش علماء الوراثة من أن عدد الجينات كان أقل مما كانوا يتوقعون. فقد تراوحت التقديرات نحو 34000 مورثة، وهذا أقل مما كان مفترماً بنحو 50 ألف إلى مائة ألف مورثة (1). بعض المحررين استنتجوا أن تعداد الجينات كان يدحض أي زعم حول مواهب فطرية أو مهول، لأن الصفحة صفيرة جداً بحيث لا يمكنها أن تحتوي على كتابة كثيرة. كما رأها البعض وسكانها تيرير لمفهوم الإزاد: المرة: الآلة الأصغر، الأكثر الساعاً لشبح.

يأتي التحدي الثاني من استخدام نماذج الحاسوب في شبكات الأعصاب لتفسير العمليات المعرفية. فقد تكون هذه الشبكات العصبية الاصطناعية جيدة تماماً في أغلب الأحيان في تعلم نماذج إحصائية في مدخلاتها. فبعض النمذجين – من مدرسة علم المعرفة المسماة الترابطية connectivism – يقترحون أن الشبكات العصبية الوراثية هي المسؤولة عن جميع المعرفة البشرية، بتكليف فطري بسيط، أو دون تكليف فطري من أجل قدرات محددة مثل المحاكمة العقلية الاجتماعية أو المحاكمة اللغوية. وفي الفصل

الثاني وأبنا أن مؤسسي الترابطية ديفيد رومهارت وجيمس ماسكلاند هما اللذان افترحا أن الناس أذكى من الفئران لأنهم يمتلكون قشرة دماغية ترابطية أكثر. ولأن بيئتهم تحتوي على ثقافة صكي تنظم هذا الذكاء.

أما التطور الثالث فهأني من دراسة المرونة العصبية التي نستلصي صكي يتطور الدماغ في الرحم وباصكورة الطفولة. وصكيف تسجل التجربة كما يتعلم الحيوان لقد ثبت علماء الأعصاب حديثاً أن الدماغ يتغير في الاستجابة للتعلم والتدريب، والمدخلات من الحواس وعامل ما ينسج على هذه الاكتشافات بالإمكان تسميته اللدانة plasticity الشديدة. فوفقاً لهذه الملاحظة، فإن القشرة الدماغية - المادة المفلطحة الرمادية المسؤولة عن الإدراك، والتفكير، واللغة والذاكرة - هي مادة بروتينية بالإمكان تشكيلها بشكل لامتاء تقريباً بواسطة بنية ومتطلبات البيئة. وبذلك تصبح الصفحة الخالية صفحة بلاستيكية مرنة.

فالترابطية connectionism واللدانة الشديدة شائعتان بين علماء المعرفة عند النضج الغربي الذين يرفضون صفحة خالية تماماً، لصلتهم بريدون تقييد التنظيم النظري إلى التحرفات في الانتباه والذاكرة. فاللدانة الفائقة تلقى استحساناً بين علماء الأعصاب الذين يرتحبون في إظهار أهمية مجالهم للتربية والسياسة الاجتماعية، للفتاويل الذين يبيعون منتجات تسرع في نمو الأطفال الرضع، وعلاج صعوبات التعلم، أو لإبطاء الشهووخة. فخارج العلوم، لاقت هذه التطورات الثلاثة الترحاب لدى بعض قطباء في الإنسانيات الذين يريدون صمد اقتحام علم البيولوجيا لجالهم (2). المهل الوراثي، الترابطية، واللدانة الفائقة هي الملاذ الأخير للصفحة البيضاء.

غاية هذا الفصل هي تبيان أن هذه المزاعم ليست تبريرات لاعتقاد الصفحة البيضاء، لصلتها نتائج لها. فلة من الناس (من ضمنهم علماء قلائل) قد قرأوا الدلائل انتقائياً، وأحياناً بطرق غريبة صكي يتناسب مع اعتقاد مسبق بأن العقل لا يستطيع أن يمتلك أي بنية فطرية، أو بالمضاهيم التيسيعية لصكييفية البنية الفطرية - إذا كانت موجودة فهاً - ستكون مشفرة في المورثات وتتطور في الدماغ ينهفي أن أقول - ومن البداية - أنني أجد نظريات الصفحة البيضاء والأحدث منها والأفضل، هي غير قابلة للتصديق - إنها مشقة فقط. إذ لا شيء ينتج عن لا شيء، وينبغي أن يأتي لتعقيد الدماغ من مكان ما، إذ لا يمكن أن يأتي من البيئة وحدها، لأن ككل الغاية من امتلاك دماغ، هي أن ينجز أهدافاً محددة، والبيئة ليست لديها فمكرة عن ماهية تلك الأهداف. إن

بينة ما نستطيع أن تكيف العضويات التي تبني سدوداً ، وتهاجر عن طريق التحوم . وترلمش وتفرّد لتؤثر على الإنثاء ، الأشجار المروّهة برانحتها الطيبة ، وتكتسب مغناخ غناثية وهلم جرا . لبعض الأتواع اختطاف لظلام بشري هو تحذير بالبروب ، ولشخص آخر ، إنه صوت جديد ممتع يتدمع في مسجله الصوتي الخاص به ، وبالنسبة لثلاث إن كصمة من تحليل قواعدي . فالمعلومات في العالم لا تُخبرك ماذا ينبغي أن تفعله بها .

التسج الدعائي ليس نوعاً من جني يستطيع أن يمتع صاحبه أي قدرة تصبغ في متناول اليد . إنه آلية هيزيائية ، ترتب من مادة تحول المدخلات إلى مخرجات في طريق خاصة . فمكرة أن مادة وراثية تستطيع أن ترى في العمق ، وتتحكم باليدين ، وتجدر شريكاً ، وتربي أطفالاً وأن تراوغ الأشياء الضارة ، وتتفوق في الذكاء على الضعفاء الخ دون درجة من التخصص ، فهذا أمر لا يقبله العقل . القول بأن العقل محل هذه المشكلات بسبب مرونته قول ليس أفضل كثيراً من القول إنه يحلها عن طريق السعر في هذا الفصل سأتحري الاعتراضات العلمية الأحدث على الطبيعة البشرية بكل دقة . وينطوي كل من الاكتشافات على أهمية خاصة به ، حتى وإن يكن لا يسلط النتائج البالغ فيها التي تم التوصل إليها . وما أن يتم تقويم المساندة الأخيرة للصفاء البيضاء ، حتى أستطيع أن أوجز الحالة العلمية للبيدل .

بعد الجينوم البشري جوهر نوعنا ، ولهذا السبب - عندما أعلنت سلسلته في عام 2001 - ليس مستغرباً أن نجد أن الشراح قد اندفعوا لإعطائه التفسير الصحيح للشؤون البشرية . كترانغ فيبنتر ، الذي تناقست شركته مع جمعية عامة في السباق إلى سلسلة الجينوم ، قال في مؤتمر صحفي إن التعداد الأقل من المتوقع من المورثات يثبت أن نبيز لدينا مورثات كافية كفي تكون هذه الفمكرة الحتمية البيولوجية صحيحة . فالتبرع الرابع للجنس البشري ليس مربوطاً بسلك في شيفرتنا الوراثية . إن بيثانتا هي حاسمة وفي المملكة المتحدة ، عنوانت جريدة الغارديان قصتها : "كشفت سر السلوك البشري البيئية هي المسؤولة عن أفعالنا وليس المورثات" (3) . واختتمت مقالة التحرير في صحيفة بريطانية أخرى قائلة "إننا - كما يبدو - أكثر حرية مما كنا نعتقد" . زد على ذلك الاكتشاف "يقدم العزاء إلى اليسار باعتقاده بأهمية الجميع مهما كانت خلفيتنا لعاني من حرمان لكن هذا الاكتشاف يعثل لعنة بالتنسية لليعين من خلال غرنا

بالمليارات الحاصكة والخطيئة الأصلية (4). شكل هذا من العدد 34 ألفاً الذي يقود إلى السؤال عن عدد المورثات التي يثبت أن تنوع نوعنا مكان متصلًا بشيفرتنا الوراثية، أو أننا أقل حرية مما كنا نُدرك، أو أن اليمين السياسي على حق. واليسار على خطأ؟ خمسون ألفاً مائة وخمسون ألفاً؟ لكن بالمقابل إذا ما اتضح أنه مكان لدينا فقط عثرون ألف مورثة، فهل كان ذلك سيجعلنا أكثر حرية أم أن البيئة أكثر أهمية، أم أن اليسار السياسي أكثر ارتباطاً بالحقيقة هي لا أحد يعرف ما الذي تعنيه هذه الأرقام. ما من أحد لديه أدنى فكرة كصم يتطلب الأمر من المورثات لبناء نظام من وحدات متصلة بسلك hard-wired modules، أو برنامج تعليمي ذي هدف عام، أو أي شيء بينهما لئلا أقول شيئاً عن الخطيئة الأصلية أو عن تنوع الطبقة الحاصكة. في حالة الجهل الراضة للكيفية التي تبني بها المورثات دماغاً، وعدد المورثات في الجينوم البشري هو مجرد رقم.

إن لا تصدق هذا فتأمل الدودة الدائرية المسماة *Caenorhabditis elegans* التي تمتلك نحو 18000 مورثة. فحسب منطق الذين كتبوا مقالات عن الجينوم، ينبغي أن تكون الدودة أكثر حرية بمقدار الضعفين، وكذلك ضعف تنوع الطاقة الكامنة لدى الكائن البشري إلا أنها - في حقيقة الأمر - دودة مجهرية مكونة من 959 خلية يتم تمييزها ببرنامج وراثي صارم، وبجهاز عصبي يتكون من 302 عصبوناً في شكل سلكي ثابت، وفيما يتعلق بالسلوك فهي تأكمل وتزاوج وتقترب، وتنجب روائح محددة. هذا لوحده ينبغي أن يجعل الأمر واضحاً بأن حريتنا وتنوعنا السلوكي يأتيان من بنية بيولوجية معقدة لا من بنية بسيطة.

لماذا يحتاج البشر - بخلاها تعدادها مائة ثريليون خلية، ومائة بليون عصب - إلى ضعفي الجينات فقط التي تحتاجها دودة صغيرة؟ إنها أحجية حقيقية.

يعتقد علماء بيولوجيا كثيرون أن الجينات البشرية قد عدت أقل من عددها الحقيقي، وبالإمكان تقدير عدد الجينات في الجينوم فقط، وحتى الآن لا يستطيعون فعلاً إحصاءها بدقة. فبرامج تقدير الجينات تبحث عن سلاسل في دنا المشابهة إلى جينات معروفة، ونشطة بما فيه الكفاية لكي تتم ملاحظتها وهي في عملية بناء أحد البروتينات(5). فالجينات التي تنفرد بها البشر أو فعالة فقط في تطوير دماغ الجنين (حتى 3 أشهر) الجينات الأكثر علاقة بالطبيعة البشرية - وجينات أخرى غير واضحة استطاعت أن تنفرد السوفتوير، وأن تبقى خارج التقديرات الإحصائية. فحديثاً تم نشر

تقدرت بديلة تشير إلى 57 ألفاً، أو 75 ألفاً، أو 120 ألفاً من المورثات البشرية (6). فلم
يتمكن لدى البشر ستة أضعاف المورثات التي لدى دودة أسطوانية بدلاً من ضعفين. فإن
الأحجية ما تزال باقية.

لا يتوصل معظم البيولوجيين الذين يتحرون الأحجية إلى استنتاج أن البشر هم أقل
تعقيداً مما كنا نظن. بدلاً من ذلك، يتوصلون إلى استنتاج أن عدد المورثات في السلالة
الوراثية ذو علاقة بسيطة مع تعقيد العضوية (7). همورثة واحدة لا تقابل معكوثناً واحداً
بطريقة أن عضوية فيها عشرون ألف مورثة لديها 20 ألف معكوثن، وعضوية لديها 30
ألف مورثة فيها 30 ألف معكوثن وهلم جرا. الجينات تحدد البروتينات، وبعض البروتينات
تصبح لحم وعصائد عضوية ما. لكن بروتينات أخرى تشغل أو توقف المورثات عن
العمل، تسرع أو تبطن نشاطها، تقطع أو تجدل بروتينات أخرى في اندماجات جديدة.
يتحدث جيمس واتسون أنه ينبغي علينا أن نعيد تقويم معارفنا الحديثة حول ما
يستطيع أن يفعله عدد محدود من المورثات: تخيل مشاهدة مسرحية فيها 30 ألف ممثل.
إنك سوف تتشوش تماماً.

بالاعتماد على كيفية تفاعل المورثات، تكون عمليات التجمع أكثر تعقيداً
بالنسبة لعضوية واحدة أكثر من عضوية أخرى لها العدد نفسه من المورثات. ففي
عضوية بسيطة مورثات كثيرة تبني فقط بروتيناً وتتكونه في وسط ساخن. أما في
عضوية معقدة فقد تشكل مورثة أخرى تسرع نشاط مورثة ثالثة، ثم مورثة رابعة
توقف المورثة الأصلية وهكذا دواليك، هذا يحدد نوع الوصفة التي تستطيع أن تبني
عضوية أكثر تعقيداً من العدد نفسه من المورثات. إن تعقيد عضوية لا يعتمد على عدد
المورثات، بل على تعقيد شكل الصندوق والسهم box and arrow الذي يستوعب كيف
تعمل مورثة تحدد كيفية نشاط المورثات الأخرى (8). لأن إضافة مورثة لا تعضيف فقط
مادة معكوثنة، بل قد تكاثر عدد الطرق التي بها تستطيع المورثات أن تتفاعل إحداهن
مع الأخرى.

إن تعقيد العضويات يتوقف على العدد الممكن من اندماجات المورثات المتمازجة
والخاملة في جينوم العضوية. يقترح عالم الوراثة جان ميشيل كلاهير Claverie أن
بالإمكان التقدير بالعدد الثامن (فعال مقابل كامل) مرفوعاً إلى أس مورثات عدة عن
طريق ذلك القياس فإن الجينوم البشري ليس ضعفي تعقيد جينوم دودة أسطوانية بل
216000 (واحد متبوعاً ب 4800 صفر) تعقيداً (9).

هناك سببان أخران لماذا لا ينعكس تعقيد السلسلة الوراثية في عدد المورثات التي يحتويها. السبب الأول: إن مورثة ما تستطيع أن تولد ليس بروتيناً واحداً فقط بل بروتينات عدة والمورثة الترموذجية تنقسم إلى شرائط د. ن أ التي تشفر من جزيئات البروتين (exons) المنفصلة بشرائط د ن أ التي لها (introns). لقد ما مثل مقالة من مجلة Nature، ب. سي. قد يؤدي إلى نشوء بروتينات مماثلة (ب. سي. أ ب د. أ سي دي) ولعل جرأً حتى نحو عشرة بروتينات مختلفة في شكل مورثة. فهذا يحدث في العضويات للبدنة أكثر مما يحدث في العضويات البسيطة (10).

السبب الثاني: تشغل 34 ألف مورثة فقط نحو 73 من الجينوم البشري ويتألف الباقي من د ن أ الذي لا يشفر من أجل بروتين والتي تستبعد على أنها لا فائدة لها. لكن كما صاغ أحد علماء البيولوجيا الأمر: كلمة كائن لا فائدة من د ن أ هي صورة لهيكلنا (11). حجم ومكان ومحتوى د ن أ غير المشفرة قد يكون لها تأثيرات دراماتيكية على الطريقة التي يتم فيها تنشيط المورثات القريبة لكي تصنع البروتين. المعلومات في بلايين القواعد في مناطق عدم التشفير من الجينوم هي جزء من مواصفات الكائن البشري، فوق وخارج المعلومات المحتواة في 34 ألف مورثة.

الجينوم البشري - إذن - قادر تماماً على بناء دماغ معقد على الرغم من التصريحات الغربية: ككلم يبدو الأمر رائعاً أن الناس يكادون أن يكونوا بسيطين مثل ببدان التنوع الرائع للنوع البشري ليس موصولاً بسلك في شيفرتنا الوراثية. لكن لم تكن بحاجة لأن تعد الجينات لفهم ذلك. إننا نعرف ذلك مسبقاً، من حقيقة أن طفلاً كبير في اليابان يتكلم اليابانية، وتفس الطفل إذا ما تعرض في إنجلترا يتكلم إنجليزية. إنه مثال عن تزامن سنقابه في مكان آخر في هذا الكتاب: الاكتشافات لنسبة doctored - spin خارج الإدراك لإبداء فكرة أخلاقية، كان بالإمكان إبداءها بشكل أكثر سهولة بناء على أسباب أخرى.

الدفاع العلمي الثالث عن الصفحة البيضاء يأتي من التزعة الترابطية connectionis نظرية أن الدماغ هو مثل شبكات عصبية اصطناعية تمت محاكاتها لرحاسبات تلم نماذج إحصائية (12). فعلماء المعرفة يوافقون على أن العمليات الأولية

التي تشكل مجموعة السلفين في الدماغ - تخزين، واسترجاع، وربط، وسلفا العناصر، وتركيز الانتباه - تطبيق في الدماغ كشبكات من عصبونات مترابطة بشكل كثيف (خلايا دماغية). السؤال هو ما إذا نوع وراثي من الشبكة - بعد أن يت تشكلها من قبل البيئة - تستطيع أن تقصر شكل سيكولوجيا البشر. أو ما في جيولوجيا - شبكات مختلفة وفقاً لمتطلبات مجالات خاصة: اللغة، البصر، الأخلاقية، الخوف، الشهوة، وسيكولوجيا الحدس وما شابه. لا يؤمن أنصار الترابط بوجود صفحة بيضاء، بل بالمعادل الميكانيكي الأقرب، وسيلة تعلم عامة الغاية.

ما هي الشبكة العصبية؟ يستخدم الترابطيون الكلمة لا ليشيروا إلى دارة عصبية فعلية في الدماغ بل إلى نوع من برنامج حاسوبي مبني على صورة: meta - phone الدارات العصبية والمصيونية. ففي تناول الأكل شبعاً يحمل "العصبون" معلومات من خلال أن يكون نشطاً بشكل أو بآخر. فمستوى النشاط يدل على حضور أو غياب (إ) تركيز درجة الثقة) لخاصية بسيطة من العالم. قد تكون الخاصية عبارة عن لون، إخذ مثل قليلاً، أو حرف من الأبجدية، أو خاصية حيوان ذي أربعة أرجل.

إن شبكة من عصبونات تستطيع أن تقدم مفاهيم مختلفة، وذلك يعتمد على أي من العصبونات يكون نشطاً. فإذا كانت العصبونات الدالة على الأصفر تطير بغير نشطه، فإن الشبكة تكون تفكر بطائر ككفاري. وإذا كانت عصبونات الفضي ويطير ويزار نشطة، فإن الشبكة تفكر بطائرة. وشبكة عصبية اصطناعية تحس بالطريقة التالية: فالعصبونات مرتبطة بعصبونات أخرى - يروابط تعمل مثل نقاط مشابك عصبية. وكل عصبون يعد المدخلات من العصبونات الأخرى، ويبدل مستوى نشاطه في حالة استجابة. الشبكة تعلم بالسماح للمدخل أن يغير قوى الروابط. وذلك الرابطة تحدد احتمالية أن يثير العصبون المدخل أو يستقر في العصبون الخارج. وذلك بالاعتماد على ما ترمز إليه العصبونات وكيف أنها متصلة فطرياً، وكيف تنمو الروابط بالترتيب. فإن شبكة ترابطية تستطيع أن تتعلم أن تحوسب أشياء متنوعة. كل شيء مرتبط بشيء آخر. شبكة تستطيع أن تستوعب الترابطات بين السمات في مجموعة من الموضوعات. فعلى سبيل المثال، بعد تعرض شبكة لأوصاف طيور كأرنب، فإن باستطاعتها أن تتنبأ أن الأشياء المفردة ذات الريش تعمل لأن تكون طيوراً، وأن الأشياء الطائرة ذات الريش تبدي ميلاً لأن تغرد، أو أن الأشياء الطائرة المفردة تدعى

ميلاً لأن يكون لها ريش. إذا كان لدى شبكة طبقة مدخل مرتبطة بطبقة مخرجات فإن باستطاعتها أن تتعلم روابط بين الأضفار. مثل أن الأشياء الطائرة الطرية الصغيرة هي حيوانات، لكن الأشياء الطائرة الممدنية الكبيرة هي مركبات. إذا تمت تغذية رابعة لطبقة المخرجات إلى طبقات أبكر، فإن باستطاعتها أن تدور سلاسل مرتبة مثل الأصوات التي تشكل كلمة ما.

جانابة الشبكات العصبية هي أنها تعمم ألياً تدريبها على مفردات جديدة معاكلة. وإذا ما دربت شبكة على أن النمر تأكل قطع الجليد، فإنها تميل لأن تعمم أن الأسود تأكل قطع الجليد، لأن أشكال قطع الجليد قد ربط بالتمور، ولكن مع السمات الأيسر مثل "الزائرات" وكديها شوارب" التي تشكل جزءاً من شكل الأسود أيضاً. مدرسة النزعة الترابطية مثل مدرسة نزعة الشداعي يترأسها هيوم. وميل، تؤكد أن هذه التعميمات هي النقطة الأساسية في الذكاء. فإذا كان الأمر كذلك، فليست الشبكات العصبية الفائقة التدريب، بل الشبكات العصبية النوعية هي التي تستطيع أن تشرح الذكاء.

غالباً ما يصنع نمذجو الحاسب نماذجهم على أشكال ألعاب مبسطة لكي يثبتوا أن نماذجهم تستطيع أن تعمل من حيث المبدأ. بعدئذ، تصبح المسألة ما إذا كانت النماذج تستطيع أن ترتقي إلى مشكلات أكثر واقعية، أو ما إذا - كما يقول للشكوكيون - أن النماذج "يكون يتسلق أشجاراً للوصول إلى القمر". هنا لدينا مشكلة مع الترابطية. فبعض الشبكات الترابطية تستطيع القيام بمروض مؤثرة للذكاء، والتعميم في مشكلات محيطية مثل قراءة قائمة من الكلمات، أو تعلم أشكال نمطية من الحيوانات. لكنها تكون بشكل بسيطة - تحت ضعية القدرة لتستوعب مزايا واقعية أكثر للذكاء البشري مثل فهم جملة، أو القيام بمحاكمة عقلية حول أشياء جية.

لا يربط البشر الأشياء التي تشبه بعضها بشكل مفكك فقط بل يربطون الأشياء التي تبدي ميلاً لأن تحدث سوياً. إن البشر لديهم عقول دمجية Combinatorial، تظهر في مقترحات حول ما هو صحيح من ماذا، وحول من فعل ماذا، ولأن فعله ولماذا، وأين، متى. ويتطلب ذلك بنهة هندسية حوسبية أكثر تعقيداً من مشبك العصبونات المستخدمة في الشبكات الترابطية النوعية generic. إنه يتطلب هندسة معمارية مزودة بجهاز منطقي مثل المبادئ، المتحولات، الفرضيات، وحالات الهدف، وأنواع مختلفة من

بنى البيانات منظمة في النظمة أكبر. لقد أبدى العديد من علماء المعرفة هذه النظم - من بينهم غاري ماركوس، ومارفن مينسكي، وسيمور بارث، وجيري فودور، وريتز هيلشن phylshen، وجون أندرسون، وتوم بيغر، وروبرت هادلي، وأخر بذلك ممنهج الشبكة العصبية الذين لبسوا في المدرسة الترابطية من أمثال جون همل *Heimel* ولوكندر شاستري. ويول سمولينسكي (13). لقد كتبت باستفاضة عن حدود الترميز الترابطية. لكن إليك موجزاً عن قضيتي الخاصة (14). في فصل يدعي بلازما الربط من كتاب *التكيف يعمل العقل* فقد أرسيت بعض علاقات منطقية بسيطة خلف فهمنا لتفكيره ككاملة (مثل معنى جملة ما)، لكن ذلك يصعب تمثيله في شبكات نوعية *generic* (15). إحداها هو الفارق بين "نوع" و "فرد" بين البسط بشكل عام وبين هذه البنية تحديداً. فكلاهما لهما السمات ذاتها لتسيح، توقوق، ولهما ريش الخ. وكلاهما يمثلان بالمجموعة نفسها من الوحدات الفاعلة في نموذج ترابطي نموذجي. لكن الناس يعرفون الفرق.

الأمر الثاني هو موهبة القدرة على التأليف، القدرة على تبني فكرة جديدة ومقدرة ليست فقط الناتج نفسه لعملية حسابية عن تأليف أفكار بسيطة لتشكلها، بل تعتمد على علاقات هذه الأفكار. فهمي سبيل المثال، ففكرة أن القطط تطارد الفئران لا يمكن استنباطها عن طريق تشبيط وحدة لكل من القطط والفئران. لأن ذلك النموذج بالإمكان أن يرمز بشكل سهولة إلى فئران تطارد قطعاً.

موهبة منطقية ثالثة هي الكمومية *quantification* (أو دمج متحولات)، الفرق بين استنباط بعض الناس طوال الوقت، واستنباط جميع الناس لبعض الوقت. فدون معاداة حوسبة 's', 'x', الأفعال من (أجل جميع x) نموذج لا يستطيع أن يغير الفارق.

وموهبة رابعة هي الاسترجاع: المقدرة على وضع فكرة ضمن ففكرة أخرى بحيث نستطيع أن نكسب ليس ففكرة أن الفيس يعيش فقط، بل ففكرة أن الناشئ إنكوايرر تذكر أن الفيس يعيش، إذ أن من المذهل أن بعض الناس يصدقون تقريب التاشئال إنكوايرر أن الفيس يعيش. وهم جوا. الشبكات الترابطية سوف تفرض هذه القولات وبذلك نشوش الفاعلات وما تخبره الجملة عنها.

موهبة مراوغة أخيرة هي مقدرتنا على الانخراط في محاضمة غير مشروطة فكتقيض لمحاضمة شرطية: أن نفهم أن بوب ديبلان هو جد. مع أنه ليس جداً. أو أن الذباب (حيوان يشبه القار) ليس من القوارض على الرغم من أنها تشبه الفئران مع

شيء سوى مجموعة من العصبونات لترمز لخواص شيء، ولا مخزون من القواعد، وبتحولات وتعاريف، فإن الشبكات تتردد إلى انعطاف وتندمج بامتلكة نموذجية.

في كتاب / كلمات وقواعد / وجهت مجهزة على ظاهرة لغوية واحدة استخدمت بحالة اختبار على مقطرة الشبكات الترابطية النوعية للإجابة على جوهر اللغة، جميع كلمات، أو الأقسام من كلمات، في مدجمات جديدة، مثال بسيط هو صيغة الماضي البسيط في اللغة الإنكليزية.

إذا ما أعطي الناس فعلاً جديدة مثل *spam* أو *snarf*، فإنهم عادة لا يهرعون إلى التماجد للبحث عن صيغ الماضي منها - إنهم يعرفون غريزية أن الماضي يصاغ بإضافة *ed* إلى نهاية الفعل، فالقدرة على تجميع مدجمات جديدة تظهر حتى الثالثة من العمر. عندما يتلاعب الأطفال بالأحرف بالاحقة الماضي البسيط للأفعال الشاذة. الطريقة الواضحة لتفسير هذه القدرة هي التوجه إلى نوعين من عمليات الحوسبة في العقل فأفعال شاذة مثل *heard* و *held* مخزنة في الذاكرة وكما في حالة الفعل *spam*، ويتم استرجاعها منها مثل أي كلمة أخرى. لكن الصيغ النظامية بالإمكان توليدها بنسخة قواعدية عقلية، إضافة *ed* إلى نهاية الفعل، فالقاعدة تطبق ككلمة تخفف الذاكرة، وبالإمكان أن تستخدم عندما تكون الكلمة غير مألوفة، ولم يخزن ماضيها في الذاكرة، وبالإمكان استخدامها من قبل الأطفال - عندما لا يتذكرون الفعل الشاذ *heard* ويتجهون إلى طريقة ما لوضع علامة على ماضي، دمج لاحقة مع فعل هو مثال صيغ على مقطرة بشرية مهمة. دمج كلمات وعبارات، لخلق جمل جديدة، وبالتالي للتعبير عن أفكار جديدة. إنها واحدة من الأفكار الجديدة في الثورة المعرفية التي قدمناها في الفصل الثالث، وواحدة من التحديات المنطقية على الترابطية التي عرضناها في المناقشة السابقة.

لقد استخدم أنصار الترابطية الماضي البسيط ككأرضية مبرهنة لرؤية ما إذا كان باستطاعتهم نسخ هذا النموذج المدرسي لقدرة الإبداع البشرية دون استخدام قاعدة، دون تقسيم العمل بين نظام الذاكرة ونظام لدمج قواعدي. لقد حاولت سلسلة من نماذج حاسوبية أن تولد صيغ الماضي البسيط باستخدام شبكات روابط ذات نموذج بسيط فالشبكات تربط - بشكل نمطي - الأصوات في الأفعال مع الأصوات في صيغة الماضي البسيط *am* مع *ing*، *am* مع *ung*، وهلم جرأً، والنماذج بمدشد تستطيع أن

تولد صيغاً جديدة عن طريق القياس، تماماً مثل التعميم من النور إلى الأسود لخصر البشر يقومون بما هو أكثر بكثير من مجرد ربط أصوات بأصوات. ولذلك نشأ التمازج في إنصافهم، فالإخفاقات تأتي من غياب اليه لمعالجة علاقات منطقية. فعمله التمازج التي تربطها كلمات جديدة تبدو مختلفة عن كلمات مألوفة. ولذلك يمكن تعميمها عن طريق القياس، فإذا ما تم إعطاء الفعل الجديد ring، فإنها تتوسل ليس إلى ringed، فكما يفعل الناس مع مزج غريب مثل frozen، لأنها تقترب من متحول مثل x في الجبر أو ((الفعل)) القواعد التي تنطبق على أي فرد من المجال. يفر النظر عن مدى اليه خصائصه. هذا هو الجهاز الذي يسمح للناس الانخراط في معاكسة شرطية بدلاً من معاكسة غثة. فالشبكات تستطيع أن تربط شذرات من الصوت مع شذرات من صوت آخر عندما تواجه بفعل جديد لا يبدو مثل أي شيء قد درست عليه، إنها تجتمع لكي تقدم خليطاً من أكثر الأصوات المتماثلة التي تستطيع أن تجعلها في شبكتها.

التمازج التي لا تستطيع أن تفرق كما يجب بين أفعال لها الأصوات نفسها. لخصر صيغ ماضية مختلفة مثل: يرن الجرس، رن الجرس، ويتصل بالمدينة وطاف حو المدينة. هذا لأن التمازج النمطية تعمل صوتاً فقط، وهي عمياء تجاه الفوارق القواعدية لبني الأفعال التي تتطلب تصرفات مختلفة. الفارق الرئيس هنا هو بين الجذور البسيطة مثل ring بمعنى يطن، والأفعال المقعدة المشتقة من أسماء مثل ring بمعنى يطوف حو لتسجيل تلك الفارق يجب أن يكون نظام استخدام اللغة مزوداً ببني بيانات تركيبية (مثل فعل مشتق من الاسم ring) وليس مجرد حقيقة وحدات وحسب.

مع ذلك هناك مشكلة أخرى هي: أن الشبكات الترابطية تتبع إحصائيات المر بطول دقة: حكم عدد الأفعال من شكل نموذج صوتي قد قابلته. وذلك يجعلها غير قادرة أن تتعامل مع الحالة التي يكتشف فيها الأطفال قاعدة إضافة ed لاشتقاق الماضي ويبدو أن يارتكاب أخطاء مثل holded يستطيع الممضجون الترابطيون تجنب هذه الأخطاء عن طريق قصف الشبكة بأفعال شاذة مثل (burned – burn) بطريقة ليست مشابهة لما خبره الأطفال أخيراً، نوضح بعض الدلائل من علم الأعصاب المعرفية أن الدعم القواعدي، (من ضمنها الأفعال النظامية) والبحث المعجمي (الذي يشعل الأفعال الشاذة)، تعالجه أنظمة مختلفة في الدماغ بدلاً من شبكة ربط وحيدة.

هذا لا يعني أن الشبكات العصبية عاجزة عن التعامل مع معاني الجمل أو القيام بعملية التعريف القواعدي. فبما أن فكرة ((التفكير)) ذاتها هي شكل من حوسبة عصبية تتطلب نوعاً ما من نسخة شبكية عصبية لما يستطيع العقل القيام به. فإن الشبكية تمكن في الاعتقاد أن باستطاعة الشخص فعل كل شيء بنموذج نوعي طالما أنه تم التدريب عليه بشكل كاف. لقد اشتمكى منمدجون كثيرون أعادوا لتزويد ، أو دعوا شبكات في أنظمة أكثر قوة وتعقيداً. لقد خصصوا قطعاً من هارد وير عصبي إلى رموز مجردة مثل «عبارة فعلية» وحرف جرء وطبقوا آليات إضافية مثل (نماذج إطلاع متزامنة) لربطها معاً في المكافئ التركيبي والبس الرمزية القابلة للاسترجاع. لقد زدوا بتوسكاً من العصبونات بالمكلمات ، أو اللواحق الإنكليزية ، أو الفوارق القواعدية الأساسية. لقد بنوا أنظمة هجينة بشبكة واحدة تسترجع أشكلاً غير نظامية من الذاكرة ، وأخرى تدمج فعلاً بلاحقة. نظام تم تجميعه من شبكية فرعية مزودة بإمكاناتها لفاذي شكل الانتقادات ، بحيث لن نمود لتتحدث عن شبكية عصبية نوعية. نتحدث عن نظام معقد مصمم خصيصاً لحوسبة مهمة يجدها الناس.

في قصة الأطفال /حساء الحمص/ يستعير متشرد عاملة مطبخ كفي تعد حساءً من حمص. لكنه بالتدريج يطلب منها المزيد من المكونات لموازنة الطعم حتى يكون قد أعد بئنا دسة على حساب الطاهية. المنمدجون الترابطيون الذين يزعمون بناء ذكاء من شبكات عصبية نوعية دون الحاجة إلى أي شيء فطري، منهمكون في عمل مشابه خيارات التصميم التي تجعل نظام شبكية عصبية ذكياً - الذي يمثل كل عصبون - وكيف أنها متصلة مع بعضها ، ما أنواع الشبكات المجمعة في نظام أكبر، وبأي طريقة تجسد التنظيم الولادي لجزء العقل الذي تجري نمذجته. يتم انتقاء ذلك من قبل النمذجين ، مثل مخترع بنقب داخل صندوق ترانزستورات وصمامات ثنائية ، لكن في حالة عقل حقيقي على هذه الأجزاء أن تتطور باصطفاء طبيعي (وبلا بعض الشبكات هندسة بنبة النموذج لتشأ فعلاً من خلال محاكاة الاصطفاء الطبيعي) (18). البديل الوحيد هو أن بعض أحداث التعلم الماضية تركت الشبكات في حالة استعداد للتعلم الراجع، لكن ينبغي أن يتوقف التبعج عند مواصفات فطرية الشبكات الأولى التي تلقى العملية التعليمية.

الإشاعة أن الشبكات العصبية تستطيع أن تحل محل البنية العقلية في التعليم الإحصائي ليست صحيحة. فشبكات نوعية بسيطة لا تلبى مطالب لتفكير الإنسان

العادي وعلامه، والشبكات المعقدة المتضمنة هي حساء حصى قد تم فيه الصير
من العمل المهم، في بناء وصل سلكتي فطري للشبكة. وما أن يتم فهم هذا حتى تصبح
نمذجة الشبكة العصبية جزءاً معكماً لا غنى عنه في الطبيعة البشرية المعقدة بدلاً من
أن تحل محلها (19). إنها تجسر الفجوة بين المراحل المعرفية الأولية والمعالجة
الفيزيولوجية للدماغ وبذلك تقوم بدور حلقة مهمة في السلسلة الطويلة من الشرح بين
البيولوجيا والثقافة.

طوال معظم تاريخ الأعصاب وأجهته إربابكات كثيرة: لقد بدأ الدماغ وكان
كان محمداً ولأدبياً في كل جزء من تفاصيله. عندما يأتي إلى الجسم نستطيع أن نرى
الكثير من التأثيرات لخبرة حياة الشخص. فقد تكون مصبوغة أو شاحبة، مثلثة أو
لينة، هزيلة أو سمينة أو متحوتة. لكن مثل هذه العلامات لا توجد في الدماغ ليراز
خطاً ما في هذه الصورة. الناس يتعلمون أشياء كثيرة: يتعلمون لغتهم، وثقافتهم،
ويعرفون كيف يبنون قاعدة بياناتهم من الحقائق. على الرغم من مائة تربيون رابط في
الدماغ، لكن لا يمكن تحديثها فريداً عن طريق جهنوم 750 ميجابايت، فالدماغ
بطريقة ما يجب أن يتغير في استجابته لدخلاته، لكن السؤال الوحيد هو كيف يتغير
إننا تبدأ - أخيراً - في فهم الكيفية. دراسة المرونة العصبية دراسة حارة. فكل
أسبوع - تقريباً - تتم رؤية كيفية تشكل الدماغ في الرحم، وكيف يتناغم مع ما هو
خارجه. فبعد شكل تلك العنود التي لم يستطع خلالها أن يجد أحد أي تغير في الدماغ،
فليس مستغرباً أن اكتشف اللدانة قد أعطى اليندول الطبيعي التغذية دفعة. يصف
بعض الناس اللدانة على أنها البشر بالنساع القدرة البشرية التي فيها سيتم استخدام
قدرات الدماغ لإحداث ثورة في تربية الأطفال، وفي التربية، والعلاج، والشيوخوخة. لقد
صدرت بيانات عديدة مفادها أن اللدانة تثبت أن الدماغ لا يمكن أن يمتلك أي تنظيم
ولأدي مهم (20). في كتابه /إعادة التفكير في الفطرية/ يقول جيفري إلمان وفريق من
أنصار المدرسة الترابطية القويين أن القابليات للتفكير بأشياء مختلفة وفي طرق
مختلفة (اللغة، الناس، والأشياء الخ) بالإمكان تطبيقها في الدماغ فقط مثل «محورات
grabber اهتمام» التي تضمن أن العضوية سوف تتلقى «خبرة هائلة لدخلات محددة
سابقة لتعلم لاحق» (21). وفي بيان لأنصار الترابطية يكتب عالم الأعصاب النظرية
ستيفن كوارتز، وثرانس سجنوسكي أنه «على الرغم من أن القشرة الدماغية ليست

لوحاً خالياً إلا أنها إلى حد كبير لا تقل أهمية في مراحل مبكرة، ولذلك النظريات التطورية لا تقل أهمية تبدو غير قابلة للتصديق، (22) فالنظور العصبي والرونة بنسكلان - بلا جدال - واحداً من النجوم العظيمة للمعرفة البشرية. كيف يستطيع خيط خطي المسار من د- ن- ا. أن يوجه تجمع عضو ثلاثي الأبعاد معقد، الذي يدعى تنكر، ونشمر وتعلم. هذه مشكلة تترنح لها المخلوقة، وتبقى علماء الأعصاب منشغلين طوال عقود، ويكادون أي اقتراح بأننا نقرب من نهاية العلم.

الاكتشافات - يحد ذاتها - ساحرة ومثيرة. فالقشرة الدماغية (المادة الرمادية الخارجية) من الدماغ معروفة منذ زمن طويل أنها منقسمة إلى مناطق ذات وظائف مختلفة. يمثل بعضها بعض أجزاء الجسم، وأخرى تمثل المجال البصري أو عالم الصوت، بينما تركز مناطق أخرى على جوانب اللغة أو التفكير. إننا نعرف الآن أن مع التلم والممارسة بعضاً من حدود هذه المناطق يستطيع أن يتحرك. (هذا لا يعني أن نسيج الدماغ ينمو أو ينكماش فعلياً، لا يحدث ذلك إلا إذا ما جُمِعت القشرة الدماغية بنشاط كهربائية، أو أن تتم مراقبتها بجهاز سكاتر. الحدود حيث قدرة ما تغادر، والفترة التالية تبدأ بالانزياح). عازوه الحكمان على سبيل المثال لديهم منطقة متسعة من القشرة الدماغية تمثل أصابع اليد اليسرى (23).

إذا ما درب شخص أو فرد على مهمة بسيطة كالتعرف على أشكال، أو الحضور إلى موقع في مكان، يستطيع علماء الأعصاب أن يراقبوا أجزاء من القشرة أو حتى عيوننا مفردة تتولى القيام بالمهمة (24).

تخصيص نسيج الدماغ بوظائف جديدة أمر دراماتيكي، عندما يفقد الناس استخدام حاسة أو جزءاً من الجسم، فطورياً، يستخدم العميان قشرتهم الدماغية البصرية للراءة الكتابة بطريقة برايل (25). ويستخدم الصمُ فطورياً جزءاً من القشرة الدماغية التي كانت تخدم الطرف المفقود ليمثل أجزاء أخرى من أجسامهم (27). يستطيع الشبان أن ينمووا نسيباً (ويشكل عادي) بعد تعرضهم لرضات دماغية تحول البالين إلى حالات مهمل - حتى إزالة كامل نصف الكرة المخية اليسرى المسؤولة عن اللغة والمحاسبة المنطقية (28). كل هذا يعني أن تقسيم النسيج الدماغي إلى عمليات مفهومية ومعرفية لا يتم القيام به إلى الأبد، وعلى أساس الموقع الدقيق من النسيج في الجمجمة، لكن يعتمد على التكيفية التي يعالجها الدماغ نفسه المعلومات.

هذا التقسيم الديناميكي للتسيج بالإمكان رؤيته بينما يحرك الدماغ نفسه في الرحم. لا يشبه الحاسوب الذي تم تجميعه في مصنع، ويشغل للمرة الأولى عندما يكتمل، فالدماغ فعال بينما يحدث تجميعه، وذلك النشاط قد يشارك في عمل التجميع لقد أثبتت التجارب التي أجريت على القطط وعلى ثدييات أخرى أنه إذا تم إسكات الدماغ كيميائياً أثناء تطور جنيني فقد ينتهي بشذوذات مهمة (29). ومما يلفت القشرة الدماغية تتطور بشكل مختلف، ذلك يتوقف على نوع المدخل الذي تتلقاه. ففي جولة تجريبية فاعلة، أعاد عالم الأعصاب Mri gankasur توصيل أرفعة حيوانات شبيهة ابن عرس Ferrets بحيث إن إشارات من عيونها كانت تدخل إلى القشرة الدماغية السمعية، الجزء من الدماغ الذي يستقبل عادة إشارات من الأذنين (30). عندما جرد القشرة الدماغية - بعدئذ - بنبضات كهربيائية - وجد أنها كانت تعمل في طرق عديدة: مثل القشرة البصرية. الواقع في المجال البصري كانت موضوعة مثل خارطة، واستجابات عصبيونات فردية إلى خطوط وشرائح عند توجيه محدد، وتوجيه حركتها. معاملة للعصبيونات في قشرة دماغية عادية. هذه الحيوانات - شبيهة ابن عرس - استطاعت أن تستخدم أدمغتها المرتبطة بأسلاك لتتحرك باتجاه أجسام كانت مدمجة عن طريق البصر فقط. المدخل إلى القشرة الدماغية الحسية ينبغي أن يتلقى مساعدة في تنظيمه: مدخل بصري يجعل القشرة السمعية تعمل مثل القشرة البصرية.

ما الذي تعنيه هذه الاكتشافات؟ هل تعني أن بإمكان تشكيب الدماغ، وقولته، ونمذجته أو نحته مثلما تعني كلمة بلاستيكي في المعجم؟ وفيما نبقى من هذا الفصل سوف أبين لك أن الإجابة هي كلا (31). اكتشافات كيفية تغير الدماغ مع التجربة لا تثبت أن التعلم أكثر قوة مما نظن، فالدماغ بالإمكان إعادة تشكيله عن طريق مدخلاته، أو أن المورثات لا تشكل الدماغ. الأمثلة التي توضح لدانة الدماغ هي أقل جذرية مما تبدو للوهلة الأولى: المناطق الدقيقة المفترضة من القشرة الدماغية تقوم بالشبه ذاته الذي كانت تقوم به لو لم يتم تغييرها أبداً. وقد دحضت أحدث الاكتشافات على تطور الدماغ ففكرة أن الدماغ بمعظمه بلاستيكي دبق، والأن سامر على هذه التقاط بالدور.

حقيقة إن الدماغ يتغير عندما نتعلم ليست - كما زعم البعض - استكشافاً جذرياً ذا معاني عميقة بالنسبة للطبيعة، والترتبة، أو العلاقة البشرية. لقد استطاع ديمتري مكارامازوف أن يستنتج بينما كان يفكر وهو داخل زنزانته في القرن التاسع عشر، حقيقة أن التفكير يتأتى من سيطرة عصبية مرتعشة بدلاً من روح غير مادية. فإذا كان الفكر والعمل هما نتاج نشاط فيزيائي للدماغ، وإذا كان بالإمكان إحداث تأثير على الفكر والعمل من خلال التجربة، إذن، ينبغي أن نترك التجربة تأثيراً في البنية الفيزيائية للدماغ.

ليس هناك مسألة علمية عما إذا كان للتجربة، أو التعلم، والممارسة تأثير على الدماغ، إنها تؤثر عليه بالتأكيد حتى لو كنا بتشكيل غامض على المسار الصحيح ليس مستغرباً أن من يهزؤون على الكمان لديهم أدمغة مختلفة عما لا يستطيعون التعرف على الكمان، أو أن معلمي لغة الإشارة، أو لغة برايل لديهم أدمغة مختلفة عن أدمغة الناس الذين يتكلمون ويقرأون. إن دماغك يتغير عندما يتم تعريفك إلى شخص جديد. عند سماعك شذرة من نعمة، عندما تشاهد حفل توزيع جوائز الأوسكار، عندما تلح مضرب الغولف، باختصار، تترك شكل تجربة الأثر في العقل. السؤال الوحيد هو كيف يؤثر التعلم على الدماغ. هل الذكريات مخزنة في سلاسل بروتينية؟ في عصبونات جديدة أو مشابك عصبية؟ أم في تغيرات في قوة المشابك الموجودة؟ عندما يتعلم المرء مهارة جديدة، فهل يتم تخزينها في الأعضاء المتخصصة لتعلم المهارات فقط، أم أنها أيضاً تعدل القشرة الدماغية؟ وهل تعتمد زيادة في البراعة على استخدام المزيد من سننيمترات مربعة من القشرة الدماغية، أم على استخدام تركيز أكبر من المشابك العصبية في العدد نفسه من السننيمترات المربعة؟ هذه مشكلات علمية مهمة، لكنها لا تتوَلد شيئاً ما إذا استطاع الناس التعلم، أو عن مقدار التعلم. إننا نعلم مسبقاً أن عزلة الكمان المدربين يهزؤون أفضل من عزف المبتدئين، وأننا لن نضع رؤوسهم في السمكاتر لتبدأ المزفة إن المرونة العصبية هي مجرد اسم آخر للتعلم والتطور، وتوصف في مستوى مختلف من التحليل.

هذا كله ينبغي أن يكون واضحاً، لكن في أماننا هذه أي ابتدال خيال التعلم بالإمكان إليه في كلام عصابي، أو يتم تعلمه مثل كشف علمي كبير، فوفقاً لعنوان في صحيفة نيويورك تايمز يقول طبيب نفسي إن علاج التنطق بإمكانه أن يغير بنية دماغ المريض⁽³²⁾. إنني أمل ذلك، وإلا فإن الطبيب يخدع زبائنه. «التلاعب البيئي

يستطيع أن يغير الطريقة التي يتطور فيها دماغ الطفل». لقد قال طبيب الأعصاب عند الأطفال هاري شو غاني لصحيفة بوسطن غلوب «إن طفلاً محاطاً بالعنف والعنف، أم بتحفيظ غير مكافئ، سوف يعكس هذه الروابط في الدماغ والسلوكه (33). حسناً. أجل إن تؤثر البيئة على الطفل فإنها ستعمل ذلك من خلال تغيير الروابط في الدماغ وهناك قضية خاصة أوردتها مجلة ثقافة التربية والمجتمع أرادت أن تنتهجن الموقع الذي يحدث فيه التعلم في دماغ المتعلم، وأن أسس التعليم والتقنيات يجب أن تكون مصممة ومقمنة على أساس التأثير الذي لها على أدمغة الطلاب، المحرر الضيف (الذي هو عالم حياة) لم يقل ما إذا كان البديل أن التعلم يحدث في عضو آخر من الجسم مثل البنكرياس أم أنه يحدث في روح غير مادية. فحتى أسئلة علم الأعصاب الكبير يصرحون أحياناً أن «اكتشافات» ستسكون أخباراً فقط للذين يؤمنون بوجود شبح في الآلة: «لقد وجد العلماء أن الدماغ قادر على تغيير روابطه... لديه القدرة على تغيير المشابك العصبية ضمن الدماغ» (34). هذا شيء جيد، فلو لا ذلك لكننا فاقدي الذاكرة إلى الأبد.

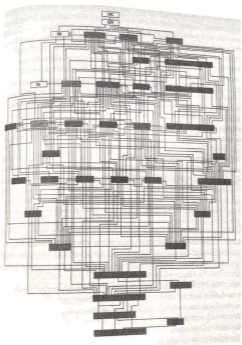
عالم الأعصاب هذا يشغل منصب مدير تنفيذي في شركة تستخدم بحث الدماغ والتقانة لكي تطور منتجات، المراد منها تحسين تعلم البشر وأدائهم. وهذه الشركة واحدة من شركات كثيرة جديدة لديها هذا الطموح «الكنائن البشري لديه طاقن إبداعية لا محدودة إذا ما تم التركيز عليها والاعتناء بها، كما يقول أحد الاستشاريين الذي يعلم الزبائن أن يرسوا أشكالاً تشكل مصوراً لتمامهم العصبية. كلما تقدم بك العمر، يشكّل دماغك المزيد من الروابط والتداعيات»، «الذالك عليك أن تعلمك المزيد من المعلومات مخزنة في دماغك، إنك بحاجة لأن تصب المعلومات فيه» (35). لقد جرى إقناع أناس كثيرين بالتصريحات العامة للمدافعين عن علم الأعصاب - دون دليل مهما كان - أن تنوع الطريق الذي تسلكه وأنت تقود سيارتك عائداً إلى البيت. يعكسك من أن تنفاد تأثيرات التقدم في العمر» (36). وهناك بحشري التسويق الذي أدرك أن الحكيمات، والسكرات، والعباب الأخرى تقدم محفزاً بصرياً ملموساً، ويشجع على الحرسة والبقاء في السارة جزء من حركة أكبر من تربية الأطفال «مقراها الدماغ» (37).

لقد أدخلت هذه الشركات إلى اعتقاد الناس الشبح في الآلة من خلال اقتراح أن أي شكل من التعلم يؤثر على الدماغ (ككتقيض - كما هو مفترض لأنواع التعلم التي لا

تؤثر على الدماغ)، هذا الشكل حقيقي أو عميق أو قوي بشكل غير متوقع لكن هذا اعتقاد خاطئ. إن شكل التعلم يؤثر على الدماغ. وعندما يقوم العلماء باكتشاف حول كيف يؤثر التعلم على الدماغ فهذا لا يمكن إنكار أنه اكتشاف مثير، لكن ذلك لا يجعل التعلم بحد ذاته أكثر انتشاراً أو أكثر عمقاً.

هناك سوء تفسير ثان للدانة العصبية بالإمكان إرجاعه إلى الاعتقاد أنه لا يوجد شيء في العقل لم يكن موجوداً أولاً في الحواس أكثر الاكتشافات المعروفة حول لدانة القشرة الدماغية يتعلق بالقشرة الحسية الأساسية، (مناطق المادة الرمادية التي هي أول متلقي إشارات من الحواس عبر *Thalamus*، وأعضاء أخرى تابعة للقشرة الدماغية). والكتاب الذين يستخدمون اللدانة لدعم الصفحة البيضاء يفترضون أنه إذا كانت القشرة الحسية الأساسية دقيقة فإن بقية الدماغ يجب أن تكون دقيقة أكثر، لأن العقل مبني من تجربة حسية. فعلى سبيل المثال، تم الاستشهاد بأحد علماء الأعصاب بقوله «إن تجارب عالم الأعصاب sur إعادة ربط سلكي تتحدى التأكيد الحديث على قدرة المورثات»، وسوف تدفع الناس إلى الخلف باتجاه اعتبار أكثر عوامل البيئة في خلق بنية دماغية سوية. (38).

لكن إذا كان الدماغ عضواً معقداً ذا أجزاء كثيرة، فإن المجر الافتراضي لا يستتبع عنه القشرة الحسية الأساسية ليست أساس العقل بل جهازاً، واحدة من بين أجهزة عدة في الدماغ. أي أن يكون مخصصاً لأنواع محددة من معالجة الإشارات في المراحل الأولى من التحليل الحسي. دعنا نفترض أن القشرة الحسية الدماغية الأساسية ضللاً لا شكل لها، أخذت شكل بنيتها من المدخل. فهل ذلك يعني أن الدماغ كله لا شكل له، وأنه يستمد شكل بنيته من المدخل؟ ككلا على الإطلاق. حتى القشرة الدماغية الحسية الأساسية هي مجرد جزء واحد من نظام معقد ضخم. ولكني أضع الأمر في نصايها، إليك رسماً حديثاً للتوصيل السلكي لنظام الرؤية الولادي.



القشرة البصرية الأساسية هي الصندوق قرب الأسفل المشار إليه بـ ٧١. إنها واحدة من بين أقل من 50 من منطقة دماغية واضحة مخصصة للمعالجة البصرية، وهي مترابطة داخلياً بشكل دقة. (على الرغم من المظهر الذي يشبه السباغيتي، وليس كل شيء مرتبطاً بشكل شبيه آخر، فقط نحو 1/3 الروابط الممتدنة منطقياً بين القطونات هي حاضرة فعلاً في الدماغ). فالقشرة البصرية الأساسية بعد ذاتها ليست كافية لأن تروى بها. في الحقيقة، إنها مدفونة عميقاً في الجهاز البصري الذي قال عنه فرانسيس براون، وعالم الأعصاب كريسستوف كوكوخ: إننا غير عارفين لأي شيء يحدث داخله (40). فما نراه - من أشياء ملونة مألوفة مرتبة في مشهد أو متحركة في أشكال محددة - هو نتاج لكل هذا الجهاز القريب. فحتى لو كانت الأجزاء الداخلية للصندوق ٧١ محددة من خلال مدخلاتها، سوف يتعين علينا أن نقسم الهندسة البنائية لما تبقى من الجهاز العصبي - الكُلب الخمسين وروابطها. إنني لا أقصد أن أقول إن الشكل بكله محدد وراثياً لكن معظمه تقريباً محدد وراثياً بالتاكيد(41).

الجهاز البصري بعد ذاته ينبغي أن يوضع في منظور، لأنه مجرد جزء واحد من الدماغ

فالجهاز العصبي يسيطر على أكثر من نحو نصف المناطق الرئيسية الخمسين في القشرة الدماغية التي بالإمكان تمييزها من خلال بنيتها الخلوية وروابطها. بينما العديد من المناطق الأخرى لتكمن خلف الوظائف الأخرى مثل اللغة، والمحاسبة العقلية، والتخطيط، والمهارات الاجتماعية، وعلى الرغم من أن ما من أحد يعرف إلى أي حد هي مستعدة وراثياً للقيام بأدوارها الحاسوبية، إلا أن هناك دلائل تشير إلى أن لتأثير الوراثي أمر أساسي (42) تترسخ الأقسام في الرحم حتى وإن تفصل القشرة الدماغية عن المدخلات الحسية أثناء التطور. وبينما يستمر التطور، يتم تشغيل مجموعات مختلفة من الجينات في مناطق مختلفة. يمتلك الدماغ عليه معمدات من البينات مخزنة جيداً لكي تقوم بالربط الداخلي للمصبونات، من بينها مولات تجذب أو تتنافر مع *neurexins* (الأيلاف الخارجة للمصبونات) لتوجهها إلى أهدافها - والمولات التي تثبتها في مكانها أو تحيها بعيداً. إن تعداد - وحجم، وترابلية مناطق القشرة المخية يختلف بين أنواع الثدييات، وتختلف من البشر إلى الحيوانات اللبونة. هذا التنوع تسببه تغيرات جينية في مسار التطور، وقد بدأنا بفهمها (43). فحديثاً، اكتشف علماء الوراثة أن مجموعات مختلفة من الجينات يتم تشغيلها في الدماغ المتطور لدى البشر، وفي الأدمغة المتطورة لدى حيوانات الشمبانزي (44).

بيد أن إمكانية أن تكون مناطق القشرة المعنية مخصصة لمهام مختلفة لدى حيوانات، فقد بقيت غامضة ذلك لأن أجزاءً مختلفة من القشرة الدماغية تبدو متماثل تحت المجهر، لكن ذلك لا يعني تغير القليل لأن الدماغ هو نظام معالجة للمعلومات وتبدو هذه الأقسام المجهرية على CD الشيء نفسه، بغض النظر عن ماهية ما هو مسجل عليها. هذه الخيوط strings للشخصيات لا يكتب مختلفة تبدو الشيء نفسه لشخص لا يستطيع قراءتها. فلي وسط حامل للمعلومات يقع المحتوى لا نماذج معها combinatorial بين العناصر، وبلا حالة الدماغ لا تفاصيل الدارة الصغيرة وليس لها مظهرها الفيزيائي.

القشرة الدماغية بحد ذاتها ليست الدماغ ككله، فتحتهها هناك أعضاء دماغية أخرى تسير أجزاء أخرى من الطبيعة البشرية. إنها تتضمن hippocampus (مفصل عرضي للبطين الجانبي للدماغ) الذي يقوي الذاكرة، ويديم الصور الذهنية والقرن التي تكون التجربة بأحاسيس محددة، وهيبتونالأموس الذي هو مصدر الرغبة الجنسية والشهوات الأخرى. فندما يتأثر علماء أعصاب كثيرون بلدانة القشرة الدماغية يقررون أن البني ما تحت القشرة الدماغية هي أقل مرونة بكثير (45). وهذا غير اعتراضاً ثلوثاً على البنية التشريحية. بعض العلماء حددوا سيكولوجيا النشوء، كعنا ناتجة عن اللدانة العصبية، وقالوا إن قابلية القشرة الدماغية للتغير تثبت أن الدماغ يستطيع أن يدغم تخصصات التطور (46). لكن معظم الآراء لا سيكولوجيا تشير هي حول دوافع كالتخوف، والجنس، والحب، والعدوان، التي تستقر - إلى حد كبير، في الدارة ما دون القشرة الدماغية. وبشكل أكثر تميمياً، لا نظرية أي شخص ملد: بشرية متشكلة ظروياً، ينبغي أن تطبق في شبكات مناطق القشرة الدماغية وما في القشرة الدماغية، وليس في بقعة واحدة من قشرة دماغية حسية.

هناك نقطة أساسية أخرى حول الدماغ ضاعت في الحماسة الحديثة لدان اكتشاف أن النشاط العصبي هو أمر حاسم لتطور الدماغ لا يظهر أن التعلم يلعب دوراً حاسماً في تشكيل الدماغ، أو أن المورثات تفشل في تشكيله.

في أغلب الأحيان، يتم تأطير دراسة التطور العصبي في كلماتي الطبيعة والتربية لكننا مثمرة أكثر إذا فكرنا بها كمشكلة في علم الحياة التطوري - كيف كذا

من خلايا متماثلة تتباين إلى عضو يشوم بوظيفته. إن القيام بذلك يؤدي إلى إيقاف الافتراضات التقليدية حول النزعة الترابطية الحرة associationism على رأسها. فبدلاً من أن تكون القشرة الدماغية الحسية الأساسية هي الجزء الأصلب من الدماغ الذي على فته قسم من متتالية، بإمكانها أن تكون أكثر لدانة، فقد يكون ذلك الجزء من الدماغ الذي يعتمد أكثر على المدخلات من أجل تطور ملائم.

في تجميع دماغ نسخة دماغ وراثي تام هو خارج أي نقاش لسببين اثنين: أحدهما هو أن مورثة لا تستطيع أن تستشرف شكل جزء من تفاصيل البيئة، من ضمنها البيئة التي تتكون من الجينات الأخرى في السلسلة الوراثية. ينبغي عليها أن تُحدد برنامج تطور قابل للتكيف، ويضمن أن العضوية تكتمل تقوم بوظيفتها ككفا يجب عبر توعات في التغذية، وجينات أخرى تعمل على معدلات النمو مدى الحياة، وحالات القلق العشوائي، والبيئة الفيزيائية والاجتماعية. هذا يتطلب تغذية راجعة بالكيفية التي تتطور فيها بقية العضوية.

على سبيل المثال، خذ تطور الجسم. فالجينات التي تبني عظم الفخذ لا تستطيع أن تحدد الشكل الدقيق لكثرة أعلى الفخذ. لكن الكثرة يجب أن تتوافق مع تجويف الورك الذي تشكله مورثات أخرى والتغذية والسن والحظ. وبالتالي الكثرة ومكانها في الورك يكفيا شكلهما بينما يدوران شكل منهما حول الآخر أثناء القشرة التي يقوم فيها الطفل في الرحم بالركل (إننا نعرف هذا لأن الحيوانات التجريبية المشلولة أثناء نموها تنهي بمفاصل مشوهة). وكذلك الأمر، فالورثات التي تشكل عذسة العين النامية، لا تستطيع أن تعرف كيف سيكون نموها بعد الشبكية أم بالمعكس إلا أن دماغ الطفل مزود بتغذية راجعة تستخدم إشارات حول دقة الصورة على الشبكية لإبطاء أو تسريع النمو الفيزيائي لكثرة العين هذه أمثلة جيدة على «المرونة». لكن تغيير مادة دقة هو تغيير مضلل. الأليات ليست مصممة لكي تسمح ليثبات متبدلة أن تشكل أعضاء متبدلة. إنها تفعل المعكس، إنها تضمن أنه على الرغم من وجود بيئات متبدلة، يتطور عضو بشكل ثابت، عضو قادر على القيام بوظيفته.

الدماغ - كالجسم - يجب أن يستخدم دارات تغذية راجعة، ليشكل نفسه في نظام قائل هذا صحيح وعلى الأخص في المناطق الحسية التي عليها أن تتسجم مع الأعضاء الحسية التامة. لذلك السبب وحده، فإننا نتوقع أن يلعب نشاط الدماغ دوراً في تطوره

الخاص به ، حتى ولو في حالته النهائية ، مثل حالة عظم الفخذ ، وسكرة العين ، بمنزلة
من المعاني إنه مُحدّد وراثياً. لكن تكيف يحدث هذا ، ما يزال سراً في معظمه. لكن
نعرف أن نماذج من تحفيز عصبي تستطيع أن تحت جينة ، وهي بدورها تحت مورثات
أخرى كثيرة (47). فطالما أن شكل خلية دماغية تحتوي على برنامج وراثي تام ، نمر
الآلية من حيث المبدأ من أجل نشاط عصبي ليبدأ تطور دائرة عصبية منطلقة فطرياً في
منطقة من مناطق عديدة مختلفة. إذا كان الأمر كذلك ، فلن يكون النشاط الدماغي
هو الذي يحدد الدماغ ، إنه سيكون فقط أمراً الجينوم حيث يجب أن تنطلق من
محددة في الدماغ.

ينبغي أن لا نعتقد أنه حتى ما هو أكثر فطرية يميز الدماغ نفسه عن طريق معيار
GPs مستنسخة في الجمجمة ، مثعباً قواعد مثل إن تمكن بين الصمغ الأيسر والأيمن
اليسرى تصبح دائرة لغوية ، أو دائرة خوف ، أو دائرة للتعرف على الوجوه. بالإمكان
يبدأ برنامج تطور في جزء من الدماغ المتطور عن طريق دمج ما من مصدر المحفز.
نموذج البدء ، البيئة الكيميائية وإشارات أخرى. والنتيجة النهائية قد تكون مغايرة
مستقرة في أجزاء مختلفة من الدماغ في أناس مختلفين. في نهاية المطاف ، الدماغ هو
عضو الحوسبة ، الحوسبة ذاتها قد تحدث في أماكن مختلفة طالما أن نموذج الوراثة
هو نفسه ، في حاسوبك ملف أو برنامج قد يستقر في أجزاء مختلفة من الذاكرة إن
يتعرض عبر قطاعات مختلفة من القرص ، ويعمل بالطريقة ذاتها في شكل حالة. لن يكون
هناك ما يدعو إلى الغرابة إذا كان الدماغ النامي ديناميكياً على الأقل في تنبؤ
المصادر العصبية لطالب حوسبية.

السبب الآخر هو أن الأدمغة لا تستطيع أن تعتمد على طبيعة وراثية تماماً
الجينوم هو مورد محدود. فالوراثات لتبذل باستمرار طوال فترة التشو. ويستغل
الاصطفاء الطبيعي أن ينحى الجينات السيئة فقط بكل بطء. يعتقد معظم علماء
التشو أن الاصطفاء الطبيعي يستطيع أن يبرز الجينوم الذي يتكون كثيراً جداً فقط
هذا يعني أن الخطط الوراثية لدماغ معقد يجب أن يتكون ضغظها إلى أقل حج
مممكن منسجم مع الدماغ الناشئ. وأن يعمل كعما يجب فعلى الرغم من أن تعدد
الجينوم يوضع في العمل بشكل أساسي ، أو حصري ، في الدماغ ، وذلك في بكة
يكفي لتحديد مخطط الربط الدماغي.

ينبغي أن يتكامل برنامج التطور الدماغي واسع الحيلة. خذ مشكفة على سبيل مثال الحصول على ككل محور عصبي من ألياف مخرجة out put fiber من العينين لتصل بالدماغ بطريقة منظمة ، يجب أن تكون النشاط المتجاورة في العين متصلة بالتلفظ المتجاورة في الدماغ (ترتيب يسمى خارطة طوبوغرافية). ومواقع مقابلة في كلتا العينين يجب أن تنتهي قرب بعضها في الدماغ ، وينبغي ألا تختلط مع بعضها.

بدلاً من إعطاء ككل محور عصبي عنواناً محدداً وراثياً ، فإن دماغ الثدييات يمكنه أن ينظم الروابط بطريقة ذكية. عائلة الأعصاب ككلارا شانز اكتشفت أثناء دراستها لتطور الدماغ في القطط أن موجات من النشاط تتدفق عبر ككل شبكية ، أولاً في اتجاه واحد ، ثم في اتجاه آخر (48). ذلك يعني أن العصبونات التي هي بجانب بعضها في عين واحدة ستميل إلى البدء بالرؤية في الوقت ذاته ، لأن هذه العصبونات غالباً تُصنّف بمقمة الوجه نفسها. لكن محاور عصبية من عيون مختلفة ، أو من مواقع مختلفة من عين نفسها ، ستكون غير مترابطة في نشاطها ، لأن موجة مارة فوق عين سوف تفتق عين الأخرى تماماً كما تستطيع إعادة تركيب مخطط استاذ رياضي إذا كان لتتجموع هم الذين يولدون الموجة على طول اتجاهات متباينة ، إن تعلم من وقف في أي رف (لأن الذين وقفوا في الوقت ذاته لا بد أن يكونوا جالسين بجانب بعضهم بعضاً). قد لتساعف الدماغ إعادة تركيب المعطى المكاني للعينين عن طريق الاستماع إلى أي مجموعة من العصبونات المدخلة تطلق في الوقت ذاته. أول من لخص إحدى قواعد التعلم في الشبكات العصبية هو عالم النفس د. و. هيب Hebb وهي: أن «العصبونات التي تطلق معاً مرتبطة معاً ، والعصبونات خارج التزامن تقشل في الربط». فبينما تتجانز الوجات الشبكية طوال أيام وأسابيع ، فإن تدفق السائلة البصرية في thalamus يستطيع تظيم نفسه في طبقات ، ككل من عين واحدة ، مع عصبونات مجاورة تستجيب لأجزاء معانوا من الشبكية. وهكذا تستطيع القشرة الدماغية - نظرياً أن تنظم اتصالاتها بطريقة مماثلة (49).

لكن ما هي أجزاء الدماغ التي تستخدم هذا الأسلوب من التحديد المكاني الأياً فلك مسألة أخرى. لا يبدو أن الجهاز البصري يحتاج الأسلوب لأن ينمي سلطكية نظامية طوبوغرافياً ، مصور طوبوغرافية أولي يتطور تحت السيطرة المباشرة للجينات. ويعتقد بعض علماء الأعصاب أن أسلوب سلك الإطلاق سوبياً ما يزال بالإمكان استخدامه لعمل الخرائط أكثر دقة ، أو لفصل المدخلات عن العينين الالاشئين (50). لقد جرى حديث ذلك أيضاً ، لكن دعنا نفترض أنه صحيح ونرى ما الذي يعني.

عملية إطلاق السلك، سواءً أمكن - نظرياً - وضعها في حالة حركة من حيز السماع لكترني المينين أن تتأمل العالم. العالم فيه خطوط وحواف نفضاً آخر، مجاورة من الشبكية في الوقت ذاته، وذلك يزيد الدماغ بالمعلومات التي يتناجها ضم يضع خريطة منظمة منسجمة تماماً. لكن في حالة قسط العالمة شاتز *Shatz*، فإن الدماغ يعمل دون أي مدخلات بيئية على الإطلاق. فالجهاز العصبي يتطور الجزء، الت من الرحم قبل أن تصبح عينا الحيوان مفتوحين وقبل أن تتشابك وتعمل مع بعضها ومخاريطها. موجات الشبكية يتم توليدها بنمو باطني عن طريق أنسجة الشبكية أثناء الفترة التي يسلك فيها الدماغ البصري نفسه. بكلمات أخرى، تولد العين نمو اختبار، والدماغ يستخدمه لكي يكتمل تجميعه. المحاور العصبية من العين تحمل معلومات عن الأشياء في العالم، لكن البرنامج التطوري اختار تلك المحاور العصبية لحمل المعلومات عن أي المصنوعات التي تأتي المعلومات حولها من العين نفسها أو من المكان نفسه في العين. تشابه أولي حدث لي بينما كنت أشاهد برنامجاً تلفزيونياً بواسطة كابل *cable* يوصل البرنامج إلى أي غرفة. لقد وصل مولد *tone* يدعى *tone generator* إلى النهاية في غرفة النوم، ثم ركض نازلاً إلى الطابق السفلي ليستمع إلى الإشارة في شكل كابل في حزمة صادرة من الحائط، مع أن الكابلات كانت مصممة لحمل إشارة للفايزية إلى الطابق العلوي وليس تون اختبار إلى الطابق السفلي، فإنها أعادت نفسه لهذا الاستخدام الآخر أثناء عملية التركيب، لأن ناقل المعلومة مفيد لحقلنا المينين في اكتشافاً بقول إن تطوراً دماغياً يعتمد على نشاط دماغي قد لا يقول شيئاً عن التعلم التجربة، فقط إن الدماغ يستفيد من قدراته في نقل المعلومات من خلال تسليك نفسه للإطلاق سواءً - منك - سواءً *Fire-together-wiretogether* هي خدعة تحمل نوعاً من مشكلات التوصيل المسلحة: وصل سطح مستقبلات بتمثيل يشبه الخارطة في القشرة الدماغية. توجد المشكلة لا في الجهاز البصري فقط، بل في شكل الإحساسات اللمسية الأخرى كالتلمس مثلاً. ذلك لأن مشكلة *tiling* لتبليط بقعة من قشرة بصرية أساساً تتلقى معلومات من المسطح *D2* في الشبكية هي مماثلة لتبليط بقعة من قشرة التلمس الحسي أساسية تتلقى معلومات من المسطح *D2* الجلدي. فشكل جهاز سمعي قد يستفد الحيلة لأن المدخلات التي تمثل ترددات صوتية متناصلة في *D1* - *D* غشاء في الأذن الداخلية، والدماغ يتعامل مع البقعة في السمع بالطريقة التي يتعامل فيها مع الكابل في البصر واللمس.

لكن الحيلة قد تكون غير مجدية في مكان آخر من الدماغ. جهاز الشم - على سبيل المثال - يربط نفسه بأسلوب مختلف تماماً، إنه ليس على شائكة المناظر والأصوات أو ما نلمسه، إنما يتم تربيته من خلال الموقع عندما تصل إلى القشرة الدماغية الحسية، تصل الرائحة ممتازة ككلها، من ثم يتم تحليلها من حيث المكونات الكيميائية المكونة لها، ويتم الكشف عن شكل مكون بمستقبل مختلف في الأند كل مستقبل مرتبط بمصبون يحمل إشارته إلى داخل الدماغ. وفي هذه الحالة يستخدم الجينوم فعلاً جيناً لكل محور عصبي عند ربطه داخل الأماكن المستقلة في الدماغ هناك نحو ألف مورثة بشكل إجمالي. إنه يقتصد في المورثات بطريقة ممتازة، والبروتين الناتج من قبل شكل مورثة يستخدم مرتين: مرة في الأتف كعمستقبل لكشف مادة كيميائية محمولة هوائياً، ومرة ثانية في الدماغ كحمس عند نهاية المحور العصبي للقبال لوجهه إلى بقته المناسبة في حلقة الشم (51).

مشكلات التوصيل السلوكي مختلفة عن الأجزاء الأخرى من الدماغ مثل القمد النخاعي medulla الذي يولد منعكس البلع ونماذج فعل ثابتة أخرى. اللوزة التي تتعامل مع الخوف والانفعالات الأخرى، و ventromedial frontal cortex المعنية بالتحاكمة الاجتماعية. أسلوب أطلق سواً - سلك سواً قد يكون مثالاً من أجل خرائط حسية ومن أجل بنى أخرى عليها يحكل بساطة أن تعيد إنتاج غير الضروريات في العالم، أو في أجزاء أخرى من الدماغ مثل القشرة الدماغية الأساسية للروية واللمس والسمع. لكن مناطق أخرى نشأت مع وظائف مختلفة مثل الشم والبلع أو تجنب الخطر أو كسب أسدقاء، ينبغي أن يتم توصيلها بأساليب أكثر تعقيداً. هذا مجرد لازمة طبيعية للتكورة العامة التي بدأت بها هذا الفصل: البيئة لا تستطيع أن تخبر الأجزاء المختلفة من العضوية ما هي أهداف الأجزاء الأخرى.

الاعتقاد بلدانة شديدة قد استخدم الدانة المكتشفة في القشرة الدماغية الحسية الأساسية كاستمارة لما يحدث في مكان آخر من الدماغ. وبالتالي لم تكن نتيجة هذين القسمين استمارة جيدة. فإذا ما جسدت لدانة القشرة الدماغية الحسية لدانة الحياة العقلية كشكل، ينبغي أن يكون سهلاً أن نقبر ما لا نعبه في أنفسنا أو في الناس الآخرين خذ حالة شديدة الاختلاف عن البصر هي حالة الميل الجنسي. يشعر معظم اللواطين بمشورات اجتذاب إلى رجال آخرين في وقت التغيرات الهرمونية الأولى التي تسبق البلوغ لا أحد يعرف لماذا يصبح بعض الصبيان لواطيين، هل الأمر يتعلق

بمورثات، أم هرمونات ما قبل ولادية، أم أسباب بيولوجية أخرى. فكما أن العسافرة قد تنعب دوراً أيضاً. لكن فنكترني ليست حول أن يصبح الرجل لواطياً بقدر ما هي أن يصبح مستقياً. ففي الماضي الأفل تسامحاً كان اللواطيون ينهبون - أحياناً - أن الألباء، النفسين طلباً للمساعدة في تغيير ميلهم الجنسي. وحتى في يومنا هذا تمشط بعض الجماعات الدينية على الأفراد اللواطيين فيها. لقد اتبعت معهم أساليب متشعبة بدءاً من التحليل النفسي، والشعور بالخطيئة، وأساليب شرطية تستخدم أساليب منظر أطلق - سوياً - سلك سوياً، (إجبارهم على النظر إلى مراكيز لعوية وإباحية. عند يتكوشون مشارين جنسياً) لكن جميع هذه الأساليب هي إخفاقات (52) هناك استنشادات قليلة ملتبسة (التي هي أمثلة على سيطرة ذاتية واعية بدلاً من تجربة الرغبة)، لأن الميل الجنسي لدى معظم اللواطيين لا يمكن عكسه من خلال التجربة بعض أجزاء العقل ليست مرنة، وما من اكتشافات حول كيف تصبح القشرة الدماغية مشككة تميز تلك الحقيقة.

ما الذي يفعله الدماغ فعلاً عندما يتعرض للتغيرات التي نسميها اللدانة؟ لقد أسماها أحد الشراح المعادل الدماغية للمسيح وهو يحول الماء إلى خمره، وبذلك يحفر أي نظرية بالقول أن أجزاء الدماغ قد خصصت لتأدية وظائفها عن طريق النشوء (53) من لا يؤمنون بالمعجزات هم مشككون. إلا أن اللسيح العصبي ليس مادة سحرية يمكنها أن تتخذ أي شكل مطلوب منها، بل آلية تطبع قوانين السبب والنتيجة. فعندما تلقي نظرة مدققة أكثر على الأمثلة البارزة في موضوع اللدانة، فإننا نكتشف أن التغيرات ليست معجزات على الإطلاق. ففي كل حالة، لا تقوم القشرة الدماغية بأي شيء مختلف جداً عما تقوم به اعتيادياً.

تتضمن معظم أمثلة اللدانة إعادة وضع رسومات داخل القشرة الحسية الدماغية الأساسية. فمناطق دماغية لإصبع مقطوع أو غير متحرك قد تقوم بوظيفة إصبع مجاورة، أو منطقة دماغية لإصبع مثار توسع حدودها على حساب الإصبع الذي يجوار قدرة الدماغ على إعادة موازنة مدخلاته هي رائعة فعلاً. لكن نوع معالجة المعلومات التي تقوم بها القشرة الدماغية لم يتغير تغيراً جوهرياً: فالقشرة ما تزال تعالج المعلومات حول سطح الجلد وزوايا المفاصل وتضخيلات وحدة digit أو جزء من المجال البصري لا يستطيع أن ينمو بشكل غير محدود، بغض النظر عن مقدار تحفيزه، فالوصل السلطي writing الجوهري للدماغ سوف يمنعه (54).

ماذا عن سيطرة طريقة برايل على القشرة البصرية لدى العميان؟ يبدو الأمر من النظرة الأولى مثل transubstantiation (استحالة من حالة إلى أخرى). لكن قد لا يكون الأمر كذلك. إننا لا نشهد فقط استيلاء أي موهبة على أي بقعة شاغرة في القشرة الدماغية. وقرأة برايل يمكنها أن تستخدم نسيج القشرة الدماغية البصرية بالطريقة نفسها التي تستخدمها فيها الرؤية.

لقد عرف علماء تشريح الأعصاب - ومنذ زمن بعيد - أن هناك أليافاً عديدة تجلب المعلومات إلى داخل القشرة الدماغية البصرية من مناطق دماغية أخرى، لأن هناك جلب معلومات من العينين (55) هذه الروابط من أعلى - إلى أسفل لها استخدامات عديدة. فقد تهدف إلى تسليط الانتباه على أجزاء من المجال البصري، أو تضييق البصر مع حواس أخرى، أو تجميع pixels إلى داخل مناطق، أو أن تنجز صورة عقلية، أو المقطرة على تصور أشياء في عين العقل (56). فيشكل بساطة يستطيع العميان استخدام هذه الروابط المسبقة التسليك من أعلى إلى أدنى لقرأة ككتابة برايل. فقد يتخللون صفوف النقاط وهم يتحسسونها مثلما يستطيع امروء أن يتخيل أشياء موضوعة في يده وهو مغمض العينين. أقرّ البحث السابق أن لدى العميان صوراً عقلية - بل وصوراً بصرية حتى - تحتوي على معلومات مكانية (57). فالقشرة البصرية مناسبة تماماً لنوعية الحوسبة المطلوبة لطريقة برايل. فعيون المبصرين لتصفح المشهد، وتجلب تفاصيل صغيرة إلى داخل fovea، مركز الرؤية - الأعلى في القرنية. وهذا يشبه تحريك اليدين فوق سطح مكتوب بطريقة برايل لجلب تفاصيل دقيقة تحت مركز القرار على جلد بصمات الأصابع. ولذلك قد يعمل الجهاز البصري عند العميان مثلما يعمل عند المبصرين على الرغم من نقص المدخلات من العينين. فبعد سنوات من التدريب على تخيل العالم للموس والاهتمام بالتفاصيل فقد دعت طريقة برايل القشرة البصرية للقيام باستخدام أعظمي للمدخلات الفطرية من أجزاء أخرى من الدماغ.

مع الصمم أيضاً، تتولى واحدة من الحواس زمام التحكم على دائرة ملائمة، بدلاً من أن تنتقل فقط إلى منطقة قديمة غير مشغولة. لقد وجدت لاورا بيتيتو petito وزملاؤها أن الصم يستخدمون التلافيف الدماغية المتوقعة في lobe الماوت (منطقة قرب القشرة الدماغية السمعية الأساسية) لتمييز عناصر الإشارات في لغات الإشارة، تماماً مثل سماع أناس يستخدمونها لمعالجة أصوات الكلام في اللغات المنطوقة. لقد وجدوا

أيضاً أن الصم يستخدمون القشرة الدماغية الأمامية لاسترجاع إشارات من الذاكر. مثلما يستخدمها الذين يسمعون لاسترجاع كلمات من الذاكرة (58). إن هذا الأمر ينفي إلا بحاجة. فطما اللغة يعرفون منذ زمن طويل أن لغات الإشارة تُنظم مثل اللغات المتلوقة إلى حد كبير. إنها تستخدم كلمات، وقواعد، وقواعد فونولوجية تدمج إشارات لا معنى لها مع إشارات ذات معنى. مثل القواعد الفونولوجية في اللغات التطرف التي تدمج أصواتاً لا معنى لها مع كلمات ذات معنى (59). زد على ذلك اللغات التطرف من ناحية هي متميز؛ الرموز المقابلة للكلمات والقواعد بالإمكان تمييزها عن نظم المدخلات - المخرجات التي توصلها إلى الأذن والشم. التفسير الأبسط الذي وافقت عليه بيتنو وزملاؤها هو أن مناطق القشرة الدماغية مزودة بمؤشرات مختصة لغة (كلمات وقواعد) وليس للكلام بعد ذاته. ما تقوم به هذه المناطق عند الصم، هو الشيء ذاته الذي تقوم به عند الذين يسمعون.

دعني أعود إلى اللدانة الذهلة أكثر من أي شيء آخر. فالحيوان الذي يشبه ابن عرس ferret الموصولة بأسلاك، وبعيونها تفتي التالاموس والقشرة الدماغية السمعية، قد جعلت تلك المناطق تعمل مثل قشرة دماغية وتالاموس بصرية. فحتى هنا لا يحول الماء إلى خبر. لقد أشار Sur سور وزملاؤه إلى أن المدخلات المهاد توجيهها لا تغير الوصل الحقيقي للدماغ السمعي فقط نموذج القوى الرابطة بين الخلايا العصبية. وكنتيجة، وجدوا هروفاً كثيرة بين الدماغ السمعي المختار والدماغ البصري المهادي (60). تمثيل المجال البصري في الدماغ السمعي كان مبهماً أكثر، وغير منظم لأن التنسيج أقرب ما يكون إلى التحليل السمعي، وليس قريباً إلى البصري. خارطة المجال البصري مثلاً كان أكثر دقة في الاتجاه الأيسر - الأيمن، أكثر منها في الاتجاه العلوي - السفلي لأن اتجاه الأيسر - إلى الأيمن كان مخططاً على محور القشرة السمعية الدماغية التي تمثل في الحيوانات العادية ترددات صوتية مختلفة، وبذلك تحصل على مدخلات من الأذن الداخلية التي تكون مرتبة بدقة حسب ترتيب التردد. لكن اتجاهها من أعلى - إلى أسفل فكان مخططاً على محور متوازي أضلاع من القشرة السمعية التي تحصل - عادةً - على كتلة من مدخلات من التردد نفسه. لقد لاحظ Sur أيضاً أن الروابط بين القشرة الدماغية الأساسية والمناطق الدماغية الأخرى للسمع (المكافئة لشكل التوصيل للجهاز البصري كانت غير متغيرة بالمدخل الجديد).

ذلك تستطيع نماذج في المدخلات أن توافق بقعة من القشرة الحسية للشبكي mesh مع ذلك المدخل ضمن حدود التسليك الموجود سابقاً فقط. يقترح Sur أن السبب الذي فيه تستطيع القشرة الدماغية السمعية في المشابك المواد توصيلها في شبيه ابن عرس أن نماذج معلومات بصرية هو تلك الأنواع المحددة من معالجة الإشارات قد تكون مفيدة للعمل على مدخلات حسية خام، سواءً كانت بصرية، سمعية أم لمسية:

بناءً على هذا الرأي: إحدى وظائف التالاموس الحسية أو القشرة الدماغية هي القيام بعمليات نمطية محددة على المدخلات بغض النظر عن نمذجة (بصر، سمع، أو لمس).

هالوئع المحدد للمدخلات الحسية يقدم طبعاً معلومات مختصرة تتيح أو تعالج... إذا كان النظام العادي للبنى السمعية المرصكية لا يتغير (أو على الأقل لا يتغير كثيراً) بمدخل بصري، فبممكننا أن نتوقع بعض عمليات مماثلة لتلك التي نلاحظها على المدخلات البصرية عند الحيوان شبيه ابن عرس ferrets، الفاعلة لكي تنفذ أيضاً في الأمر السمعي في القوارض العادية. بكلمات أخرى، الحيوانات ذات المدخلات البصرية المستحثة داخل الدهليز السمعي تقدم زاوية مختلفة على بعض العمليات نفسها التي يجب أن تحدث اعتيادياً في التالاموس المدخل البصري والقشرة الدماغية السمعية (61).

القول إن القشرة السمعية مزودة فطرياً لتحلل مدخلات بصرية أمر ليس بعيد التمثال. لقد ذكرت أننا أن التردد في السمع يعمل كثيراً مثل مساحة في الرؤية. والعقل يتعامل مع مصدري الأصوات بأصوات مختلفة الإيفاعات، وكانها كانت أشياء في مواقع مختلفة، ويعامل القفزات في طبقة الصوت مثل حركات في الفضاء (62). هذا يعني أن بعض التحليل الذي يجري على الأشياء المرئية قد يكون مثل التحليلات التي تجري على الأصوات، وأن بالإمكان حوسبتها، جزئياً على الأقل، بأنواع مختلفة من الدارات. فالدخلات من الأذن تمثل دارات مختلفة، والمدخلات من عين تمثل بقعاً من مواقع مختلفة. فالعصبونات في القشرة الحسية (بصرية وسمعية معاً) تستقبل معلومات من الألياف مدخلات مجاورة، وتستخلص نماذج بسيطة منها، والعصبونات في القشرة السمعية التي تكتشف اعتيادياً أنزياحات مرتفعة أو منخفضة، التغيرات الفنية أو النقية، والأصوات التي تأتي من أماكن محددة قد تكون قادرة أيضاً على ضبط خطوط مائلة محددة عند شبيه ابن عرس الموصول بأسلاك وأماكن واتجاهات حركة ما.

ليس هذا كفي أهول إن القشرة السمعية الأساسية تستطيع أن تعالج المدخلات البصرية فور خروجها من الصندوق. فالقشرة يجب أن تتألف من روابط مشابهة للعصبية استجابة للنماذج في المدخلات. فالقوارض الموصولة بسلك هي مثال ممتاز على الحكيمة التي تنظم فيها القشرة الحسية المتطورة نفسها إلى نظام يقوم بوظيفته جيداً. لكن كلما في الأمثلة الأخرى حول المرونة، لا توضح أن المدخلات من حواسنا تستطيع أن تحول دماغاً غير متشكل إلى القيام بأي شيء في تناول اليد. فالقشرة لها بنية أساسية لا تسمح لها القيام بأنواع محددة من الحوسبة. هناك أمثلة كثيرة على اللدانة، قد تتكون من جعل المدخلات تتشابه مع تلك البنية.

من شاهد قناة ديسكفري التلفزيونية، رأى موطن قدم لصغير حيوانات برية، أو حمار الوحش يسلم من قناة الولادة واقفاً على ساقي مرتعشتين لدقيقة أو اثنتين. ومن ثم يقفز حول أمه بأحاسيسه، ودوافعه، ومحرك تحكمتها يعمل تماماً. فهذا الأمر يحدث بسرعة كبيرة، إذ أن تجربة نموذجية لا يمكن أن تكون قد نظمت أدمغتها. وبالتالي لا بد من وجود آليات وراثية قادرة على تشكيل الدماغ قبل الولادة. لقد كان علماء الأعصاب مدرسين هذا قبل أن تظهر اللدانة إلى الواجهة. لقد دلت الدراسات الأولى على تطور الجهاز البصري التي أجراها ديفيد Hubel وتورستن ويس Wiesel في الدارات الدقيقة لدى الفئران تكون مكتملة تماماً عند الولادة (63). وحتى الجهاز البصري عند القطط بالإمكان تغييره عن طريق التجربة خلال فترة حرجة من التطور (وذلك بتربيتها في الظلام، في أسطوانات عازية، أو بخياطة إحدى عينيها). وذلك يوضح أن التجربة ضرورية للحفاظ على الجهاز البصري ولعابريته أثناء نمو الحيوان إنها لا توضح أن التجربة ضرورية لتشكيل الدماغ للبهه به.

إننا نعرف بشكل عام كيف يجمع الدماغ نفسه تحت توجيهات المورثات(64) وحتى قبل تشكل القشرة الدماغية، فالعصبونات مجبرة على تشكيل مناطق مختلفة في خارطة نموذجية. فكل منطقة من هذه الخارطة تتألف من عصبونات لها خصائص مختلفة، آليات جزئية تجذب الياف مدخلات مختلفة، ونماذج مختلفة من الاستجابات للمدخلات. المحاور العصبية تتجذب وتتأثر بأنواع كثيرة من الجزئيات النحلة في السائل المحيطي أو مثبتة بأغشية الخلايا المجاورة. ومجموعات مختلفة من المورثات يبر

عنها في أجزاء مختلفة من القشرة الدماغية النامية. لقد ندب عالم الأعصاب ككاتز ما اسماء الإطلاق المصنوي (أطلق سوبياً، سلك سوبياً) الذي أصبح عقيدة تمنع علماء الأعصاب من الاستكشاف الكامل لهذه الأليات الوراثية (65).

لكن المد قد بدأ يتغير، فالاكتشافات الحديثة تبين أن أقساماً من الدماغ تستطيع أن تنظم نفسها دون أي معلومات من الحواس. هي التجارب التي وصفها مجلة العلم بأنها «هرطوقية» أبعد فريق ككاتز Katz عتياً، أو شكلنا العنين شبيه ابن عرس قيد النمو، وبذلك حجبت جميع المدخلات عن القشرة الدماغية البصرية. إلا أن القشرة الدماغية البصرية تطورت مع تربية الروابط التوجيهية للعنين (66).

الفرنان الهندسة وراثياً قدمت أدلة مهمة على وجه الخصوص، لأن إلغاء مورثة واحدة قد يكون أكثر دقة من الأساليب التقليدية لتسميم المصنونات أو تشريح الدماغ. لقد ابتكر فريق من العلماء فأراً كانت مشابهة المصنوية منقطة تماماً، وبذلك منعت المصنونات من أن ترسل إشارات إلى بعضها. تطور دماغ الفأر بشكل اعتيادي، وكان تماماً أنه بنى ذات طبقات، وممرات الياف، ومشابك عصبية في الأماكن الصحيحة (67). إلا أن الدماغ انحط بسرعة بعد الولادة مظهراً - من جديد - أن النشاط العصبي قد يكون أكثر أهمية في الحفاظ على الدماغ أكثر من تسليكه wiring it. وصمم فريق آخر فأراً التالاموس لديه دون فائدة، وبالتالي تم حرمان القشرة الدماغية كلها من مدخلاتها. مع ذلك، تمايزت القشرة الدماغية إلى طبقات ومنطق عادية، مثل منها مزودة بمجموعة مختلفة من جهات turned-on مشمئة (68). ودراسة ثالثة فعلت العكس، ابتكرت فئراناً كانت تفتقد إلى واحدة من المورثات التي ترمي ميول الجزيئات التي تساعد في تنظيم الدماغ عن طريق إطلاق مورثات أخرى في أماكن محددة. المورثة المفقودة شكلت فارقاً كبيراً: الحدود بين مناطق القشرة الدماغية قد تشبهت كثيراً (69). إن الدراسات التي استهدفت الفرنان تقترح أن المورثات قد تكون أكثر أهمية من النشاط العصبي في تنظيم القشرة الدماغية. فالنشاط العصبي - دون شك - يلعب دوراً، ويعتمد هذا الدور على النوع، ومستوى التطور، والجزء من الدماغ، لكنه مع ذلك هو مجرد قدرة واحدة من الدماغ بدلاً من أن يكون مصدر بنته.

فماذا عن نوعنا نحن؟ لقد أثبتت دراسة حديثة للتوائم أن الفروقات في البنية النسيجية للقشرة الدماغية - كمية المادة الرمادية على وجه الخصوص في مناطق مختلفة من القشرة هي تحت تحككم وراثي، فروقات متوازنة في الذكاء، وسمات

سيكولوجية أخرى (70). كما أن إضاحات على لدانة الدماغ البشري لا نستمر التطعيم الوراثي الأساسي أحد الأمثلة التي يستشهد بها على اللدانة لدى البشر والقرد هو القشرة الحكرسة لمعضو جسدي يتور أو مخدر قد تحول إلى معضو آخر من المعصو لكن حقيقة أن المدخلات الممنذجة تستطيع أن تقور الدماغ بعد أن يتم بنذاه لا يمتري إ المدخلات في الدماغ تحتل المقام الأول فمعظم الذين بترت أطرافهم يمهرون أطراف شبيهة: حية، هلوسات تصفيلية حول المعضو المفقود. نسبة كبيرة للمولودين وقد فسد أحد أطرافهم يضمنون لهذه الأشياح أيضاً (71). فعلى سبيل المثال، يستطيعون وصف نسيج المعضو المفقود، كهم إصبع قدم يشعرون بها في القدم المبتور. وأثناء الحديث، قد يشعرون أنهم يورثرون بأيديهم الشبيهة. لقد حلت طفلة مسائل حساب بالعد على أصابعها المفقودة. وعالم النفس رونالد ميلزك الذي وثق العديد من هذه الحالات اقتر أن الدماغ يحتوي على *neomatrix* فطرية موزعة عبر مناطق قشرة الدماغ. وطبقاً من دون قشرية، مكرسة لتمثيل الجسم. القول إن الأمثلة البشرية هي مرنة دون حدود في أتى أيضاً من الأمثلة بأن الأطفال أحياناً يتماهون من أذيات دماغية مبكرة. لكن وجر تلف دماغي يترك صمويات طوال الحياة بالسيطرة على محرك السيطرة، والتفكير التاجمين عن تشوهات شكلية أو أذية مبكرة في الدماغ، تثبت أن حتى لدانة دماغ الطفل لها حدود قاسية. الدليل الأكثر شهرة على اللدانة المفرطة لدى البشر هو القرد عند بعض الأطفال على النمو بشكل عادي نسبياً حتى بعد استئصال نصف الق في الطفولة (72). لكن لمثال قد يكون حالة خاصة، تتشأ عن حقيقة أن الدماغ البشري التطوري هو بالأساس معضو متناسق، التماسقات البشرية النموذجية: اللغة في اليسار، التركيز المكاني وبعض المشاعر على اليمين، يتم فرضها على ذلك التصميم التنازق لن يكون هناك ما يدعو إلى الغرابة إذا كان نصفا الحكرة المخية مبرهجين بنصر القدرات ومعها انحيازات صغيرة تدفع ككل نصف حكرة لأن تختص في بعض القدرات بينما تبقى المناطق الأخرى لتدوي، فيفقدان أحد نصفي الحكرة، على النصف المتبقي يضع ككل قدراته تحت الاستخدام الكامل.

ماذا يحدث عندما يفقد طفل جزءاً من القشرة الدماغية في ككلا نصفي الحكرة بحيث لا يستطيع ككلاهما القيام بوظيفة الجزء المفقود في الجزء الأخرى إذا كانت المناطق الدماغية قابلة للتبادل داخلياً، ومرنة، وتنظمها المدخلات، إذا فإن جزءاً من الدماغ يجب أن يقوم بوظيفة الأقسام المفقودة. قد يكون الطفل أكثر بملناً، لأنه بعد

بسهولة دماغي أقل، لكن عليه أن يتطور استخداماً تاماً لكامل قدراته البشرية. لكن ليس ذلك ما يبدو أنه يحدث. فقبل عقود عدة درس علماء الأعصاب حالة صبي عانى من فقدان مؤقت للأوكسجين الدماغي، وفقد المناطق التوحدية للغة في النصف الأيسر، وصورها المرآتية على الجانب الأيمن. فعلى الرغم من أن عمره كان فقط عشرة أيام عندما تعرض للأذية، فقد كبر طفلاً يماثل من صعوبات مستديمة في الكلام والفهم (73). تلك الحالة على شائقة الكثير في علم الأمراض العصبية، ليست علمية صرفة، لكن دراسات حديثة على قترين عقليتين أخريين تعكس فكرة أن أدمة الأطفال الرضع قد تكون أقل مرونة مما يعتقد أناس كثيرين. عائلة النفس مارشا فرح ومعاونوها أوردوا حديثاً حالة صبي في السادسة عشرة أصيب بالتهاب السحايا عندما كان عمره يوماً واحداً فقط. تأثرت القشرة الدماغية البصرية، وحتى إلى أسفل التلافيف الواقعة على جانبي الدماغ (74). عندما يصاب البالغون بهذه الأذية فإنهم يفقدون القدرة على تمييز الوجوه، ويمانون من مشكلات في التعرف على الحيوانات، مع أنهم يستطيعون التعرف على الكلمات والأدوات، والأثاث، وأشكال أخرى. كان لدى الصبي حالة التناذر syndrome. لقد كبر، وكان لديه ذكاءً فعال عادي، لكنه لم يكن قادراً على تمييز الوجوه أبداً، حتى أنه لم يكن يستطيع التعرف إلى صور الأشجار في برنامجه التلفزيوني المفضل Bay watch الذي كان يراه لمدة ساعة يومياً قبل سنة ونصف، فمن دون الوصلات المناسبة للدماغ، كانت 16 سنة من رؤية الوجوه والكثير من القشرة الدماغية المتوفرة لم تكن كافية لإعطائه القدرة البشرية الأساسية للتعرف إلى الناس الآخرين بالنظر.

علماء الأعصاب ستيفن أندرسون، حنا وأنطونيو داماسيو وزملائهم اختبروا مؤخراً شابين بالغين تعرضا لأذية في القشرة الجبهية البعيدة والأنسية والقشرة الجبهية المحيطة والوظيفية عندما كانا طفلين (75). هذه أجزاء من الدماغ تستقر فوق العينين ولها أهمية من أجل التقييم العاطفي، والمهارات الاجتماعية، وإدارة النفس. فعكسما تعرف من حالة فينيس عامل سكة الحديد الذي تضرر دماغه بقطعة حديد، شفي كلا الشابين من أذيتهما، وكبيرا بمعدل اختبار ذكاء متوسط في بيتين مستقرين، لهما أحفاد عاديون والذان أنهما تلميحتا الجامعي. فإذا كان الدماغ متجانساً ومرناً، فإن الأجزاء السلمية يجب أن تشكلها البيئة الاجتماعية العادية، وأن تقوم بوظائف الأجزاء المصابة. لكن ذلك لم يكن ما حدث مع أي من الطفلين أحدهما صدمته

سيارة عندما كان عمره 15 شهراً ، ونما طقلاً صعب الرأس ، يتجاهل العقاب ، وانزعج على المكثف ، وسكراهة قامت بالنشل من المتاجر ، وسرقت الذهب ، وهشتت عكسب أصدقاء ، ولم تبد عاطفة أو تائب ضمير ، وكانت غير مهتمة بطقها الصبر المرض الآخر كان شاباً فقد أجزاء معائلة من دعاغه بسبب ورم خبيث عندما ظهر عمره ثلاثة اشهر ، وهذا تكبير أيضاً دون أصدقاء ، وكان غنياً ، وبعارس السرفه وحامي الرأس . فإلى جانب سلوكهما السيء كانا يعانيان من مشكلات في التصبر بمسائل أخلاقية بسيطة ، على الرغم من أن مقاييس الذكاء لديهما كان في الحد العادي ، ففى سبيل المثال لم يكن باستطاعتها أن يفعل ما يتوجب على شخصين أن يفعلوا إذا ما اختلفا على قناء برنامج تلفزيوني ، أو ما يتوجب على رجل أن يسرق دواء لينز زوجته المحتضرة . هذه الحالات تفعل أكثر من مجرد دحض الاعتقاد باللدانة الفائق إنها تفرض تحدياً لعلم الوراثة وعلم الأعصاب في القرن الحادي والعشرين فكيف يبر الجينوم دماغاً متطوراً أن يتمايز في شبكات عصبية مستعدة للقيام بمسائل حوسبية مجردة ، مثل التعرف على وجه ، أو التفكير بمصالح الآخرين؟

لقد اتخذت الصفحة البيضاء موقفها الأخير ، لكن فكما رأينا تعزيراته ، الأحدات مثقلة الجينوم البشري قد يكون فيه عدد أقل من المورثات مما قدر العلماء من قبل . لكن ذلك يوضح أن عدد الجينات في الجينوم له علاقة بسيطة بتقيد العضوية وتستطيع شبكات الترابطية أن تفسر بعضاً من لبنات البناء المكونة للمعرفة . لكنها أيضاً ذات قدرة أقل لأن تمد مسؤولة عن التفكير واللغة لوحدهما . يجب أن تكون مهندسة فطرياً ومجمعة من أجل المهمات اللدانة العصبية ليست قدرة دماغية سحرية منتقلة بل مجموعة أدوات تساعد في تحويل ميها بايت الجينوم إلى *tera bytes* دماغية التي تجعل القشرة الدماغية الحسية تتعشق مع مدخلاتها ، وينجز ذلك العملية السامة التعلم .

لذلك السلاسل الوراثة ، والشبكات العصبية ، والحرونة العصبية تدخل في الصورة التي ظهرت في المفود الحديثة الفائلة بطبيعة بشرية معقدة . بالطبع ، إنها ليست طيبة مبرجة بصرامة ، منقطة عن المدخلات ، خالية من الثقافة ، أو مزودة بتفاصيل كل فكرة وكل شعور . لكنها طبيعة غنية بما يكفي لكي تتلقى أوامر الرية ،

والحركة، والتخطيط، والتحدث، والبقاء حياً، وفهم البيئة، ومفاوضة عالم الناس الآخرين.

نتيجة الموقف الأخير للصفحة البيضاء هو وقت جيد لكي نأخذ مخزون الحالة باتجاه البديل، وإليك موجزي للدلائل عن الطبيعة البشرية المقعدة، بعض نقاشاته مغل، وبعضه سوف يستشرف نقاشات سوف تأتي.

يقول المتعلق البسيط إنه لا يمكن أن يكون هناك تعلم دون آليات فطرية للقيام بالتعلم. هذه الآليات يجب أن تكون قوية بما فيه الكفاية لكي تتعدى لشكل أنواع التعلم الذي يتجزه البشر. نظرية قابلية التعلم - التحليل الرياضي لكيفية يستطيع التعلم أن يفعل فعله من حيث المبدأ، تخبرنا أن هناك دائماً عدداً لا نهائياً من تعميمات يستطيع التعلم أن يستمدتها من مجموعة محددة من المدخلات (76). فطري سبيل المثال، الجمل التي يسميها الطفل قد تكون أرضية لتكرارها حرفياً، ومولداً أي مجموعة من كلمات فيها النسبة نفسها من أسماء وأفعال، أو تحليل القواعد الحكامنة خلفها، ومولداً جملأً لتتزم بهذه القواعد. ففرضية شخص يسأل الصحون قد يحفز - مع تبرير منطقي مساوي - متعلماً على محاولة جعل الصحون نظيفة، أو أن يدع الماء الدافئ يجري على أصابعه (77). المتعلم الناجح يجب أن يكون ملزماً أن يستببط بعض النتائج من المدخلات وليس من الآخرين، والذكاء الاستثنائي يقوي هذه التفتحة. تقوم الحاسبات والروبوتات المبرمجة بمآثر تشبه ما يقوم به البشر، هي مزودة بشكل ثابت بنماذج مقعدة كثيرة.

لقد بين علم نشوء الحياة التكميفات المقعدة ككيفية الحضور في العالم الحي، وأن الاستطاعة الطبيعي قادر على تطويرها، شاملة بذلك المعرفة المقعدة، والتكميفات السلوكية (78). تبين دراسة سلوك الحيوانات في مسكنها الطبيعي أن الأنواع تختلف فطرياً أحدها عن الآخر، سواء في دوافعها أو في قدراتها، ويتطلب بعضها أنظمة عصبية متخصصة ومقعدة (79). دراسة البشر من منظور نشوئي قد أوضحت أن قدرات نفسية كثيرة (مثل جوعنا للطعام، وإلى المسكاة الاجتماعية، وعلاقتنا الجنسية الخطرة) ذات تكيف أفضل مع مطالب النشوء لبيئة أسلافنا، أكثر من تكيفها مع المطالب الفعلية في بيئتنا الراهنة (80). لقد بينت الإحصامات الإثنوبولوجية أن مئات عدة من التضايك الكيفية تتلام مع شكل جانب من جوانب التجربة عبر ثقافات العالم (81).

لقد اكتشف علماء المعرفة أن أنواعاً معينة من التعشيلات والمعاملات تستخدم في مجالات معرفية مختلفة، مثل العظام وقواعد اللغة، ومفهوم شبه مستمر من أجل فهم العالم الفيزيائي، ونظرية العقل لفهم الناس الآخرين (82). لقد أثبتت سيكولوجي التطور أن هذه الحالات النفسية المعقدة لتفسير التجربة يأتي على المسار نفسه مبكراً في الحياة: الأطفال الرضع لديهم استجابات أساسية للأشياء، والأعداد، والوجود، والأدوات، واللغة، ومجالات أخرى من المعرفة البشرية (83).

يحتوي الجينوم البشري على كمية هائلة من المورثات، وفي المناطق غير الشفرة لا أن ماعاً، لتوجه بناء عضوية معقدة. ففي عدد متزايد من الحالات، بالإمكان ربط عدد من مورثات محددة بجوانب معرفية. وباللغة، وبالشخصية (84). تتفاوت السمات السيكولوجية، ويتأثر معظم هذا التفاوت من فروقات في المورثات: التوائم المتماثلين أكثر تشابهاً من التوائم المتماثلين والأحفاد البيولوجيون أكثر تشابهاً من الأخوة المتبنيين، سواءً تربوا سوياً أم بشكل منفصل (85). فطبع المرء وشخصيته يظهران مبكراً في الحياة، ويبقى ثابتين طوال الحياة (86). وتظهر الشخصية والذكاء، والتأثيرات قليلة، أو لا تأثيرات للبيئة المبكرة عند الأطفال ضمن تربيتهم الأطفال الذين تربوا في العائكة (أما أكثر تشابهاً بشخصل أساسي بسبب مورثاتهم المشتركة) (87).

أخيراً، يبين علم الأعصاب أن الهدسة البنائية الأساسية للدماغ تتطور تحت تحكهم وراثي، أهمية التعلم، وعدم مقاومة المرونة، وأنظمة الدماغ تظهر آثاراً لتخصص فطري، ومن المحال أن يُستبدل عشوائياً بحيث يحل نظام محل الآخر (88). في هذه الفصول الثلاثة قدمت لك موجزاً عن القضية العلمية الراهنة للغة: بطبيعة بشرية معقدة، وفيها المكتاب هي حول مضامين هذه القضية.

القسم الثاني

خوف ونفور

بحلول منتصف النصف الثاني من القرن العشرين نعمت المثل العليا لعلماء الاجتماع في النصف الأول بنصر مستحقه تماماً. المهتمون بتحسين النسل، والداروينية الاجتماعية، والفتوحات الاستعمارية، والسياسات الديكتاتورية تجاه الأطفال، والتعبيرات المغلقة عن الرقبة والجنسية وسط المتعلمين، والتمييز الرسمي ضد النساء والأقليات، كل هذه قد تم استئصالها، أو على الأقل مكثت لتتلاش من التيار الرئيس في الحياة الغربية.

في الوقت ذاته الاعتقاد بالصفحة البيضاء الذي شوشته المثل العليا كالمساواة والتقدم طوال معظم القرن الماضي قد بدأ يظهر تصدعات. فبينما بدأت العلوم الإنسانية الجديدة تزدهر، أخذ يصبح جلياً أن التفكير هو عملية فيزيائية، وأن الناس ليسوا استساخات سيكولوجية، وأن الجنسين مختلفان فوق الرقبة بالإضافة إلى ما دونها، وأن الدماغ البشري لم يكن مستثنى من عملية النشوء، وأن الناس في جميع الثقافات يتشاركون في سمات عقلية بالإمكان إضاعتها بأفكار جديدة في بيولوجيا التطور.

قدمت هذه التطورات خيارات للمثقفين. إذ كان باستطاعة الرووس الأبورد أن تفسر الاكتشافات على أنها لم تكن مرتبطة بالمثل السياسية العليا من تكافؤ الفرس، والحقوق المتساوية التي هي معتقدات أخلاقية لتتناول الكيفية التي ينبغي علينا التعامل مع الناس بدلاً من فرضيات علمية حول كيف يبدو الناس بشكل تأكيد، من الخطأ أن نستعيد، نضطهد، أو نعيذ ضد، أو أن نقلل الناس بقض النظر عن أي معلومة تم استشرافها أو نظرية يقدمها عالم عاقل.

يبد أنه لم يكن الزمن المناسب للعقول الباردة. فبدلاً من فصل المعتقدات الأخلاقية عن المعتقدات العلمية - هذا الفصل الذي يضمن أن الساعة لن تعود إلى الوراء بصرف النظر عما خرج من المختبر أو من الميدان، فقد بذل مفكرون كثيرون - من بينهم بعض من أشهر العلماء - كل جهد لربط الاثنين ببعضهما. لقد قوبلت

الاكتشافات المتعلقة بالطبيعة البشرية بالخوف والتفكير لأن الناس حسبوا أنها تميز
المثل العليا التقدمية. وكان بالإمكان نفي هذا كله في مكتب التاريخ لو لم يكن مراد
المفكرون الذين سمو أنفسهم - ذات يوم - راديكاليين، هم الآن المؤسسة الرسمية.
والخوف الذي بثه تجاه الطبيعة البشرية قد ضرب جنوراً في الحياة الفكرية المعاصرة
هذا الفصل من الكتاب هو حول ردود الأفعال المحرّضة سياسياً تجاه العلوم
الجديدة للطبيعة البشرية. مع أن المعارضة كانت أصلاً دماغ طفل من اليسار، قد
أصبحت شائعة على اليمين. والتناطون باسمها أطلقوا بعض الاعتراضات الأخلاقية
ذاتها. وفي الفصل السادس سأقدم عرضاً للخدع التي اثرت كمراد فعل على الأفكار
الجديدة المتعلقة بالطبيعة البشرية. وأبين في الفصل السابع كيف أن ردود الأفعال هذه
لنت من وازع أخلاقي لإعلاء الصفحة البيضاء والمجني التنبيل، والشبح في الأند.

الفصل السادس

علماء السياسة

المحاضرة الأولى التي حضرتها كطالب خريج في جامعة هارفارد عام 1976 كانت للمحاضر وعالم الحاسوب الشهير جوزيف وايزنبوم weizenbaum. لقد كان من أوائل المساهمين في الذكاء الاصطناعي، وأفضل ما يذكر به هو البرنامج Eliza الذي دفع الناس إلى الاعتقاد أن الحاسوب كان يحدث، مع أنه كان يردد فقط إجابات مطبوعة. وكان وايزنبوم قد طبع كتابه /قدرة الحاسوب والعقل البشري/، عبارة عن نقد للذكاء الاصطناعي ولنماذج الحاسوب المعرفية. وقد تم اقتراح الكتاب كسهم كتاب حول الحاسوب في العقد الماضي، وكانت لدي مأخذ على الكتاب الذي كان مقتضباً في الجدل، ومسهباً في التظاهر بالتقوى. فقد جاء في الكتاب على سبيل المثال أن أفكاراً محددة في الذكاء الاصطناعي كاقترح الخيال العلمي القصصي من أجل أنظمة عصبية هجينة وحاسبات كانت بشكل بساطة فاحشة، فهذه هي (تطبيقات)، ومجرد التضخيم فيها يجب أن يؤدي إلى ظهور مشاعر بالترقب داخل كل شخص متحضر... يجب على الناس أن يتساءلوا عما لا بد أنه قد حدث لفهم - صاحب الاقتراح - للحياة، وتصوراتهم لأنفسهم كجزء من استمرارية الحياة، وأن باستطاعتهم أن يفكروا بشيء كهذا(1). لم يستطع شيء أن يعدني من أجل الأداء في ذلك المركز العلمي ذلك.

لقد ناقش وايزنبوم برنامج ذكاء اصطناعي وضعه عالم الحاسوب آلان نويل Newell وهيربرت سيمون، الذي كان يعتمد على القياس، إذا عرف البرنامج حلاً لمشكلة واحدة، بالإمكان تطبيق الحل على مشكلات أخرى لها بنية منطقية مماثلة. لقد أخبرنا وايزنبوم أن هذا كان مصمماً فعلاً لمساعدة البنشاقون في التوصل إلى استراتيجيات لمقاومة المتصدين في فيتنام. لقد قيل عن الفيتكونغ «أنهم يتقنون في الغابة مثلما يتحرك السمك في الماء. فإذا ما قدمت هذه المعلومة إلى الحاسوب - فكما

قال - فإن باستطاعة الحاسوب أن يستنتج أنه كلما تستطيع أن تجفف برسكة كفي تصطاد سمكة ، وكذلك تستطيع أن تقطع أشجار الغابة كفي تجد الفيتكنونغ بالورد إلى البحث في معرفة الحاسوب للسلام قال العالم إن السبب المتصور الوحيد لدراسة فهم الكلام مكان السماح للمخبرات المركزية أن تراقب ملايين المكالمات الهاتفية في الوقت ذاته ، وحث الطلاب الحاضرين على مقاطعة الموضوع لكنه أضاف أنه لم يكن مهماً فعلاً إذا ما تجاهلنا نصيحته ، لأنه كان متأكداً تماماً أنه ليس هناك أدنى شك في ذهنه أن بحلول عام 2000 أننا سنكون جميعاً أمواتاً ، وبذلك الشحنة المهمة للجيل الأصغر سنأ أنهى حديثه.

اتضح أن الإشاعات عن موتنا كانت مجرد مبالغة مفرطة ، ولم تكن النبوءات الأخرى بأفضل منها. استخدام القياس في المحاكمة العقلية - عدا عن كونه عمل الشيطان - هو في يومنا هذا موضوع بحث رئيس في علم المعرفة ، ويمد على نطاق واسع مفتاحاً لما يجعلنا أذكباء. برامج التعرف على الكلام تستخدم بشكل روتيني في خدمات المعلومات الهاتفية ، وتأتي موضبة مع الحاسبات المنزلية ، حيث قد أرسلها الله لصالح المعوقين ولن يشككو من إصابات حادة متكررة. تذكر اتهامات وإهزنيوم بالبارانويا السياسية ، والنزعة الاستعراضية الأخلاقية التي وسعت الحياة الجامعية في سبعينيات القرن العشرين ، هذه الفترة التي تشكلت فيها المعارضة الراهنة للعلوم الطبيعية البشرية.

لم يكن الأمر كما تخيلت ، فكيف يجري الخطاب العلماني في إثباتات أمريكا. لكن ربما لم يكن ينبغي علي أن أهاجماً بذلك. فغير التاريخ ، معارك الرأي قد سرعها أنصار نزعة أخلاقية صاخبون ، ومشيطنون ، ومقالون ، ومن هم أسوأ من ذلك. يفترض أن العلم كان قد أرسى الجسر الذي يتم فيه التهجيم على الأفكار بدلاً من التهجيم على الناس ، والحقائق التي بالإمكان إثباتها أن تفصل عن الآراء السياسية. لكن عندما بدأ العلم يتقدم باتجاه موضوع الطبيعة البشرية فقد تفاعل النظارة بشكل متفاوت عن تقاعلم تجاه اكتشافات حول أصل الشهب ، أو تصنيف السحالي ، وارتد العلماء إلى الموقف العقلي الأخلاقي الذي يأتي بشكل طبيعي جداً إلى نوعنا.

فالبحث في الطبيعة البشرية سيكون مشار جدل في أية حقبة ، لكن العلوم الجديدة اختارت عقداً زمنياً سهياً كفي تجذب بقعة الضوء إليها. ففي سبعينيات القرن

المشرب، مثقون فكليون كانوا قد أصبحوا سياسياً راديكاليين. الماركسية كانت صحيحة، والليبرالية للكسالي، والماركسية قد أعلنت أن الأفكار المسبورة في شكل عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة. والشكوك التقليدية حول الطبيعة البشرية قد طويت في شكل إيديولوجيا يسارية متشددة، والعلماء الذين فحصوا العقل البشري في سياق بيولوجي كانوا يعدون أنذاك أدوات مؤسسة رسمية رجعية. لقد أعلن النقاد أنهم كانوا جزءاً من حركة علمية راديكالية تعطينا شعوراً مناسباً للجماعاً(2).

وايزينباوم كان قد صدته المحاولة ضمن الذكاء الاصطناعي وعلم المعرفة لتوحيد العقل والآلية mechanism، غير أن العلوم الأخرى في الطبيعة البشرية أثارته جداً حاداً أيضاً. ففي عام 1971 نشر عالم النفس ريتشارد هيرنشتاين مقالة تدعى /الذكاء الاصطناعي/ في مجلة الأطلنطي الشهرية(3). قال إن المكانة الاجتماعية تصبح محددة بشكل أقل قوة عن طريق المورثات العشوائية مثل حلبة سباق، الألب، والثروة الموروثة، سوف تصبح محددة بقوة أكثر من خلال المهوية خاصة في اقتصاد عصري(الذكاء، فطناً أن فروقات في الذكاء تورث بشكل جزئي، وطالما أن الناس الأذكاء يعملون إلى الزواج من أذكاء، فببعض يصبح مجتمع أكثر عدالة فإنه سوف يصبح أيضاً طبقياً وفق مسارات وراثية. الناس الأذكاء يبدون ميلاً لأن يعملوا في الطبقة الأعلى، وأطفالهم يعملون إلى البقاء هناك. فالتناقض الأساسي يجب أن يكون سطحياً، لأنه مبني على ضرورة رياضية: مثل نسبة تبدل المكانة الاجتماعية الناجمة عن تراجع عوامل غير وراثية، والنسبة الناجمة عن عوامل وراثية ينبغي أن ترتفع. قد يكون زيفاً تماماً إذا لم تحدث تبدلات في المكانة الاجتماعية القائمة على المهوية الفكرية (التي تتطلب الأفضل الناس أن يرثوا أو يتاجروا مع المهويين)، أو إذا لم يكن هناك تباين وراثي في الذكاء (الذي يتطلب أن يكون الناس إما صفحات بيضاء أو مستسخين).

لا يتضمن نقاش هيرنشتاين أن أي فروقات في ذكاء متوسط بين الأعراق هي فروق فردية (فرضية معيزة شبح لها عالم النفس آرثر جنسين قبل سنتين(4)). لقد انتكر علانية بثبته لرأي كهذا. فصل المدارس سكان أقل من عمره بجيب، ولم بعض على تشريع الحقوق المدنية سوى أقل من عقد. ولذلك فإن الفروقات التي تم توثيقها في علامات متوسط الذكاء الاصطناعي بين السود والبيض بالإمكان تفسيرها من خلال فروقات في الفرص. إن قياس هيرنشتاين سكان يعني أن السود سوف ينتهون في أسفل

مجتمع قائم وراثياً على النظام الطبقي، مما أضاف الافتراض الذي لا مسوغ له من السود كانوا وسطيًا أقل ذكاءً، وهذا ما وجد هيرنشتاين صعوبة في تجنبه ومع ذلك كتبت عالم النفس المعروف ألفن بواسان أن هيرنشتاين «قد أصبح عدو السود» وبنقله هي تهديد لبقاء كل شخص أسود في أمريكا. لقد تسامى بكل بلاغة. أهل شعور رهابات هيرنشتاين وهو يعلن حقه في حرية الكلام؟ لقد رفعت بافتضال في منطق جامعات بوسطن تحرض الطلاب أن يماربوا أستاذ هارفارد وأكاديمه الفاشية، وقد امتلأ حي هارفارد بصوره التي كتبت فوقها عبارة /مطلوب لدعواه العنصرية/ نشر هيرنشتاين تهديداً بالقتل، فوجد أنه لم يستطع أن يشرح خصوصية بحثه، وإنما نشر كانت قاعات المحاضرات تنفس بجموع تهتف ضده، ففي برنستون - على سبيل المثال - أعلن الطلاب أنهم سوف يوصلون أبواب المدرج لإجباره على الإجابة عن أسئلة تغز بجدار اختبار الذكاء، كذلك التهت محاضرات عدة له عندما قالت الجامعات المضيفة إنها لا تستطيع أن تضمن بقائه حياً(5).

إن موضوع الفروقات بين الناس سكان له مضامين سياسية، سوف أتحراها في الفصول التالية. لكن بعض الدارسين سكان يحفزهم الزعم الصالح بأن لدى البشر ميلاً لسفوك فطري مثل عامة الناس. وفي أواخر القرن العشرين اكتشف عالم النفس بول إكمان Ekman أن الإبتسامات والعيوس، والتكشيرات، وتعابير الوجه الأخرى كانت معروفة ومفهومة في أرجاء العالم، وحتى وسط جامعي الشار الذين لم يخطر لهم احتكاك مسبق بالغرب. هذه الاكتشافات، كما قال إكمان - برزت زعيم قالها داروين في كتابه عام 1872 /تعبير الانفعالات في الإنسان والحيوانات/ جاء في أن البشر قد أعطوا تعبيرات عاطفية من خلال سيورة النشوء، وأن جميع الأعراق قد تشعبت من سلف مشترك(6)، وهذا كان راديكالية في عصر داروين، على الرغم من هذه الرسائل التي ترفع، أسعت مارغريت مهد دراسة إيكمان «مشبته»، صريحة ومطرية، فكانت هذه الكلمات بعضاً من الطيف ردود الأفعال(7). وفي الأمتة السنوي للجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية وقف الآن لوماكس جـ آر من بين العنصر صلتحاً أنه ينبغي ألا يسمح لإيكمان أن يتحدث، لأن افتضاره فاشية. وفي مناسبات أخرى اتهمه ناشط أمريكي أفريقي بالعنصرية لأنه زعم أن تعابير الوجه عند السود مختلفة عن مثيلاتها عند البيض. لم يكن الأمر مجرد مزاعم حول القدرات العقلية لدى النوع البشري التي أثارت غضب الراديكاليين، بل مزاعم حول القدرات العقلية

لدى أي نوع، عندما نشر عالم الأعصاب نورست ويزل عمله التاريخي مع ديفيد هوبل مبيئاً أن الجهاز البصري لدى القطط يتكون مكتملاً بمعظمه عند الولادة، عالم أعصاب آخر أسماء غاضباً فاشحاً، وتوعد بأن يثبت أنه كان على خطأ.

بعض هذه الاعتراضات كانت دلائل على أزمة، وحيث مع تراجع الصيغانات الراديكاليين لكن رد الفعل على كتابين حول النشوء استمر طوال عقود وأصبح جزءاً من التيارات الرئيس الفكري. الكتاب الأول هو /الموسيوبيولوجيا/ لمؤلفه ي. و. ويلسون ونشر عام 1975 (8). يضم هذا الكتاب تراثاً هائلاً على سلوك الحيوانات، واستخدم أفكاراً جديدة حول الاصطفاء الطبيعي من جورج ويليمز، ووليم هاميلتون، وجون مينارد سميث، وروبرت تريفرز. لقد قدم مراجعة لمبادئ نشوء التواصل، والغيرية، والعدوانية، والجنس، والأبوة، وطبقها على التصنيفات الرئيسة من الحيوانات الاجتماعية كالحشرات، والأسماك، والطيور. وقمل الفصل السابع والعشرون الشبه ذاته بما يتعلق بالإنسان العاقل معالجاً أنواعاً أخرى مثل فرع آخر من مملكة الحيوان. لقد تضمن مراجعة في تراث الأسس والفروقات بين المجتمعات، ونقاشاً للغة وتأثيرها على الثقافة، والفرضية أن بعض المفاهيم العامة (من ضمنها الحس الأخلاقي) قد تأتي من طبيعة بشرية شكلها الاصطفاء الطبيعي. لقد عبر ويلسون عن الأمل بأن هذه الفكرة قد تربط البيولوجيا بالعلوم الاجتماعية والفلسفة، وتنتج بالجدل في كتابه اللاحق /اتفاقات استقرائية/.

تركز الهجوم الأول على كتاب /الموسيوبيولوجي/ على هرطقته الرئيسة. فالأنثروبولوجي لوجي مارشال وجه نقداً لهذا الكتاب /الميسيوبيولوجي السوقي/ على أنه التحدي لمبدأ دوركهايم وكوربيير القائبل بالمضوية المتوقفة super-organism. فالاعتقاد بأن الثقافة والمجتمع عاشا في عالم منفصل عن الناس والأفراد، وأفكارهم، ومشاعرهم.

– كتبت فائلاً /الميسيوبيولوجي السوقي/ يتسق في تحليل السلوك الاجتماعي البشري على أنه التعبير عن الاحتياجات والحوافز في العضوية البشرية، مثل هذه الميول التي تشكلت في الطبيعة البشرية من قبل النشوء البيولوجي(9). لقد أقر بالخوف من غارة إلى داخل سيرته الأكاديمية فقال «المشكلة المركزية الفكرية لهيبت إلى استقلالية ودراسة الثقافة. الميسيوبيولوجي يتحدى سلطة الثقافة كشيء بحد ذاته، على أنها مميزة ورمزية الإبداع البشري (10).

كتاب ساحلين /استخدام البيولوجية وسوء استخدامها/ مثال على سوء استخدام مزعوم وكان في فكتورة ان نظرية هاملتون والرشاقة الشاملة inclusive fitness باستطاعتها ان تساعد في تفسير أهمية الروابط العائلية في الحياة البشرية. لقد بين هاملتون كيف ان ميلاً قد نشأ لتقديم التضحيات للأقارب. فالأقارب يتشاركون في الجينات، وبالتالي أي مورثات تحت عضوية لمساعدة قريب - ستكون يشكّل غير مباشر تساعد نسخة عن ذاتها. المورثة سوف تنقسم إذا كانت المكلفة التي تولدت عن الخدمة أقل من الفائدة المقدمة إلى القريب محسوماً منها درجة القرابة - نصف لكل حفيد أو قريب، و 1/8 لابن العم الأول وهكذا. لكن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً - كما كتبت ساحلين - لأن الناس في معظم الحضارات ليس لديهم كلمات تعبر عن الكسور. وهذا يتركهم غير قادرين على فهم المكلفاء المختلفة للقرابة التي تعبرهم أي اقارب يفضلون وإلى أي درجة. اعتراضه هو إزباك في نص الكتاب لسبب وشك في علة مطلقة. إنه مثل قول أن الناس لا يستطيعون أن يروا في العمق - لكن معظم الحضارات لم تصغ بعد علم المثالث الذي يكمن خلف هذه الرؤية الستريوسكوبية.

على أي حال، كلمة «سوقي» لم تكن تصف الكتاب. متبماً مراجعة مواتية في /مراجعة المكتب في صحيفة نيويورك/ لعالم الأحياء المعهز د. هـ. واث نونتيخ /مجموعة الدراسات الموسيويولوجية/ من بينهم اثنان من زملاء ويلسون ستيفن جي غولد، عالم الإحاثات وعالم الوراثة ريتشارد ليونثان نشر كلمة وزعت على نطاق واسع سميت /ضد الموسيويولوجية/. وبعد تلميح ويلسون للدراسة مع علماء مؤيديه لتحسين التسلل والداروينية الاجتماعية، وقرضية جين سن القائلة بالفروقات الفطرية في النضاد بين الأعراف، مكتب الموقعون،

السبب لبقاء هذه النظريات الحتمية هو أنها تميل باستمرار إلى تقديم تبرير وراثي للحالة الراهنة، وللإمتهازات القائمة لجماعات محددة وفقاً للطبقة والعرق أو الجنس. - لقد قدمت هذه النظريات أساساً مهماً في سن قوانين لصالح المقم وقوانين تقييد الهجرة في الولايات المتحدة بين عام 1920 و1930، وأيضاً من أجل سياسات تحسين التسلل التي قادت إلى إنشاء غرف الغاز في ألمانيا النازية.

ما يوضحه كتاب ويلسون لنا هو الصعوبة الهائلة في فصل ليس فقط تأثيرات البيئة مثلاً (النقل الحضاري) فقط، بل أيضاً الأوهام الشخصية والطبقية لدى الدارس ينضم ويلسون إلى قائمة طويلة من الحتميين البيولوجيين الذين قدم عملهم خدمة في

التعلق للمؤسسات في مجتمعاتهم وذلك بأعضائهم من المسؤولية المترتبة على المشكلات الاجتماعية(11). كما التهموا ويلسون بمناقشة /التفصيل للمذاهب الجماعية/، وجعل قوانين كفلواتين العمودية تبدو طبيعية في المجتمعات البشرية بسبب وجودها في الملحمة البيولوجية. أما بالنسبة للعلاقة فإنها لم تكن واضحة بما فيه الكفاية. كتب أحد المؤلفين أن دراسة السوسيوبيولوجية - في التعليل الأخير - قدمت الإطار المفهومي وحولت من خلاله نظرية تحسين النسل إلى ممارسة قتل جماعي في ألمانيا النازية(12) بكل تأكيد، يستطيع المرء أن يجد أشياء ينتقدها في الفصل الأخير من كتاب السوسيوبيولوجية. إننا نعرف الآن أن بعضاً من منطلقاته ليس صحيحاً. أو أنه قد عبر عنها بشكل فج، وزعمه أن المعاصمة الأخلاقية سيحل محلها - ذات يوم - بيولوجية نظرية هو خاطئ بالتأكيد. لكن النقد في /الكتاب ضد السوسيوبيولوجية/ كان خاطئاً بشكل جلاء. لقد أطلق على ويلسون لقب حتمي (شخص يؤمن أن المجتمعات البشرية تلتزم بصيغة وراثية صارمة) إليك ما قاله في هذا الصدد:

السمة الأولى التشخصية التي من السهل إثباتها (حول المجتمعات البشرية) هي أنها إحصائية بطبيعتها، يارمبترات التنظيم الاجتماعي... تتفاوت كثيراً بين السكان أكثر مما تتفاوت بين أي أنواع أخرى بدائية... لماذا تتسم المجتمعات البشرية بالرونة(13)؟

كما التهم ويلسون بأنه كان يعتقد أن الناس مقلد عليهم في شرائح طبقية يحددها عرقهم، طبقتهم، جنسهم، وجيلهم الفردي. كما كتب هناك دليل يشير إلى أي تمييز وراثي للمساكنة الاجتماعية(14) وأن «السكان البشر ليسوا مختلفين جداً أحدهم عن الآخر وراثياً»(15). زد على ذلك لقد ازدهرت المجتمعات البشرية فلبت مستويات شديدة التعقيد لأن لدى أفرادها الذكاء والرونة للعب أدوار واقعية، بأي درجة من التحديد، ولتحولهم حسب ما يتطلب الموقف. فالإنسان المعاصر هو ممثل لأدوار عديدة، بالإمكان إبطالها على مفاصله عن طريق الاحتياجات المتغيرة باستمرار في البيئة(16).

أما بالنسبة لحمية العدوان - وهي فكرة أخرى خطيرة التهم ويلسون بتبنيها - إلا أن ما كتبه ويلسون كان: أن في مسار التطور البشري العدوانية كانت اضطرابية، والأشكال القديمة من الهيمنة الفطرية قد حل محلها مهارات اجتماعية معقدة(17). الاتهام بأن ويلسون (الذي كان طوال حياته ديمقراطياً ليبرالياً) كان

دافعه انحيازاً شخصياً للدفاع عن العنصرية، والتمييز على أساس الجنس، وعن عبد
الساوند، وعن العمودية، وعن الإبادة الجماعية، وكان التهاماً غير منصف وغير مسوؤ
لقد أصبح ويلسون هدفاً لتشويه السمعة والمضايقات، شن الناس الذين قرؤوا البيّن
دون أن يقرؤوا الكتاب حملة عليه (18)، ففي هارفارد فكانت هناك منشورات، وندوات
تعليمية، ومحتجون لديهم قرن ثور يدعون لفصل ويلسون، وندارات يشنها طلاب علم
قاعة صفه يشتمون شعارات متناهضة له. وعندما كان يحاضر في الجامعات الأخرى
أسمته الملتصقات فيها «نبي البطريركية اليميني»، وكانت تحرض الناس على حث
مثيري الشغب إلى محاضراته(19)، وكان ويلسون على وشك أن يتحدث في اجتماع في
عام 1978 في الجمعية العلمية الأمريكية عندما اندفعت جماعة من الناس تحمل
لافتات، إحداهما صليب مقوقف، إلى خشبة المسرح ورددت: «ويلسون أيها العنصري لا
تستطيع أن تختبئ، إننا نتهمك بالإبادة الجماعية، أمسك أحد المحتجين المايكروفون
وخطب بالحضور ورسم شخص آخر ويلسون بإبريق ماء.

بينما فكانت تزداد شهرة كتاب /السوسيوبيولوجية/ في السنوات التالية أصبح
هاملتون وتريفرز اللذان صالفاً أفكاراً كثيرة أهدافاً للمنتقدين، فكما فعل علما
الأنثروبولوجيا إرفن دي فور ولونويل تايفر عندما حاولا تعليم هذه الأفكار. التمتع إلى
أن تريفرز كان أداة عنصرية، ووسيلة للأضطهاد الديني مزعجاً، لأن تريفرز كان
راديكالياً سياسياً، وداعماً للثمور السود، ومماوتاً لهوي Hyeي نيهون (20)، جادل
تريفرز أن السوسيوبيولوجية قوة من أجل تقدم سياسي، ومجنذب في الرأي القائل في
العضويات لم تنشأ كهي تنفيذ عائلتها أو نوعها، لأن الأفراد الذين يشكلون هذه
الجماعات لديهم سرعات مصالح وراثية مع بعضهم ويتم اصطفاؤهم لتحديد تلك
المصالح. هذا ينسف مباشرة الاعتقاد المربع بأن الذين في السلطة إنما يحكمون من
أجل صالح الجميع، ويسلط بثمة ضوء على ممثلين خفيين في العالم الاجتماعي
كالاتات والجهل الأصغر سنناً. ففي سبيل إيجاد أساس تطوري للتيرية، توضع
السوسيوبيولوجية، أن إحساساً بالعدل له أساس عميق في عقول الناس، ولا حاجة لأن
يكون ضد طبيعتنا العنصرية. ومن خلال تبين أن خداع النفس قد ينشأ (لأن المكذب
الأفضل هو من يصدق كذبه)، والموسيوبيولوجية تشجع التمحيص على الذات.
وتساعد على نسف التفائق والفساد (21)، ساعدوا إلى المعتقدات السياسية لدى تريفرز
ويسايزين داروينيين آخرين في الفصل الذي يتناول علم السياسة.

كتب تريفرز - لاحقاً - عن الهجوم على السوسيوبولوجية مع أن بعض من شنوا الهجوم كانوا علماء أحياء بارزين، فبدأ فكرياً ضعيفاً وخاملاً. لقد تم التناقص عن الخطأ، فادحة في المنطق لأنها بدت لتسحق المجال لثراها لتكثيكية في الصراع السياسي.. لآنا نحن المنتقمين من المصالح السائدة: قال هؤلاء المنتقمون إننا نحن التاملين بأسها - مجرد مستخدمين لتعميق حالات الغش التي تحتفظ بها النخبة الحاكمة بامتيازاتها غير العادلة. مع أنه ينطلق من محاكمة عقلية بأن الأفراد سيهدون مهلاً لأن يجادلوا بأساليب هي في نهاية المطاف تحافظ على الذات. وأحياناً دون وعي الحفاظ على الذات، وبدا أولوية - أن الشر يجب أن يحكمين بشكل تام في مجموعة واحدة من المنتقمين، والفضيلة في المجموعة الأخرى(22).

علماء الأحياء المرموقين الذين عناهم تريفرز هم غولد ليونتاين وعالم الأعصاب البريطاني ستيفن روز، اللذان أصبحا ملاحق المفكرين للحركة العلمية الراديكالية. فطوال 25 سنة، حاربوا دون كلل معركة ضد علم الوراثة السلوكي. ووضد السوسيوبولوجية ولاحقاً ضد سيكولوجيا النشوء، وضد علم الأعصاب ذي الموضوعات الحساسة سياسياً مثل الفروقات بين الجنسين، والمرض العقلي(23). فبالإضافة إلى ويلسون فكان الهدف الرئيس لجوهم هو ريتشارد داوكينز. فقي كتابه /المورثة الأنثوية/ 1967 تناول داوكينز الكثير من الأفكار نفسها مثل ويلسون، لكنه ركز على منطق نظريات النشوء الجديدة بدلاً من أن يركز على تفاصيل متعلقة بعلم الحيوان. إنه لم يقل شيئاً عن البشر تقريباً: قضية العلماء الراديكاليين ضد ويلسون وداوكينز بالإمكان تلخيصها في كلمتين «الحمية والتخفيضية reductionism» (24). كتاباتهم باهرة بهاتين الكلمتين المستخدمتين لا بمعنى تقني بل ككلمتين غامضتين كمنهج لسوء الاستخدام، فعلى سبيل المثال إليك نصين من كتاب ليونتاين، وروز، وعالم النفس ليون كامين Kamin بالعنوان الذي يتحدى الصفحة البيضاء /ليس في مورثاتنا/:

السوسيوبولوجية لتفسير بيولوجي حتمي، وتخفيضية للوجود الإنساني، ويزعم انصاره أن تفاصيل الترتيبات الاجتماعية الحاضرة والماضية هي لبيديات لا مفر منها للعمل المحدد الذي تقوم به المورثات(25). يجادل التخفيضيون أن خصائص المجتمع البشري ليست أكثر من مجاميع السلوكيات الفردية والهول البشرية بصفتهم أفراداً يتكوّن منهم المجتمع. والمجتمعات عدوانية لأن الأفراد الذين يشكولونها هم عدوانيون(26).

وقد رأينا سابقاً أن الاقتباس من ويلسون لم يعبّر عن أي شيء قريب من مرد المعتدات السفيفة ، وكذلك هي حال أقوال داوكنيز. على سبيل المثال بعد مناقشة ميل الثدييات تجاه الذكور للسمي إلى الحصول على عدد أكبر من شركاء جنسي أكثر مما تميل الإناث فقد خصص داوكنيز فقرة للمجتمعات البشرية جاء فيها:

ما يوحي به هذا التنوع المذهل هو أن طريقة الإنسان في الحياة إنما تحدها التهيؤ إلى حد كبير بدلاً من المورثات. فيشكل عام قد يكون لدى الذكور من البشر ميل إلى الاتصال الجنسي غير الشرعي ولدى الإناث ميل إلى أحادية الزواج. بناءً على أسس تطورية ، كلما توقع وفوز أي من هذين الميول في مجتمعات محددة، فذلك يعتمد على تفاصيل الوضع التربوي، تماماً كما في الأنواع الحيوانية المختلفة، إنه يعتمد على تفاصيل إيكولوجية (27).

فما الذي يعنيه مصطلحا «حتمية وتخفيفية» بدقة؟ نظام حتمي – بالمعنى الدقيق الذي يستخدم فيه علماء الرياضيات الكلمة – نظام حتمي هو نظام حاله نسبة حالات قبلية بيقينية مطلقة ، بدلاً من أن تكون حالات احتمالية. ما من عالم أحياء عاقل – حتى ولا داوكنيز – يحلم حتى في خياله أن يقول إن السلوك البشري منهي إجباري، وكان الناس يجب أن يرتكبوا أفعال معارسة الجنس غير الشرعي والمدون، أو الأنانية في شكل مناسبة. فوسط العلماء الراديكاليين، والكثير من المفكرين الذين أثاروا عليهم أخذت كلمة الحتمية معنى مناقضاً تماماً لتعريف الحقيقي. فالمصطلح تستخدم الآن لتعني أي زعم بأن الناس لديهم ميل لأن يتصرفوا بطرق محددة في ظروف محددة، إنها إشارة إلى تماسك الصفحة البيضاء بأن احتياجهما أكبر من السفر تساوي احتمالية 100٪. الفطورية الصغرية هي الاعتقاد الوحد المقبول، وجميع المقترعات منها يتم التعامل معها على أنها متساوية.

لقد قبل الكثير من الحتمية الوراثية، فماداً عن «التخفيفية» التي هي مفهوماً ناقشناه في الفصل الرابع، وكذلك الزعم أن داوكنيز هو أبرز مؤيدي هذه النزعة بين علماء السوسيوبيولوجية. عالم يعتقد أن شكل سمة لها مورثة خاصة بها، وبما لبونثاين، وروز، وكلامين تربية قرانهم على كيف أن الأشياء الحسية تعمل وفقاً ليديها ذي النزعة التخفيفية التي يسمونها البيولوجية الديالكتيكية.

تأمل على سبيل المثال تحضير قالب من الكافور، قطع المنتج هو نتيجة تفاعل مند للمكونات مثل الزبدة والسكر، والطحين، وتعرضها لفترات متنوعة لدرجات حرارياً

ترتفع إنها ليست مكونة من مقدار طعنا وكعنا ، من الطحين والزبدة ، مع أن كعلا متناه له مساهمته في صنع المنتج النهائي (28). سادع داوكينز يفسر:

عندما يطرح الأمر كذلك ، تبدو هذه البيولوجية الديالمكتيكية أنها تتخذ معنى كبيراً. وربما أن أصبح - أنا - عالم بيولوجيا ديالمكتيكية. التوصل لأن افصح به! ليس هناك شيء مألوف حول المفارقة أجل يوجد. فهي إحدى نشرات عام 1981 ، مكتب أحد إيمانر التخفيضية الموسوسيوبيولوجية: «إن تتبع طريقة وصفة طهي محددة ، كلمة بكلمة ، في كتاب طهو ، فإن ما يظهر من القرن في نهاية المطاف هو قالب الكعك. فالآن لا نستطيع أن نتمسك المفارقة إلى مكوناته ونقول: هذه القطعة تقابل الكلمة الأولى في الوصفة. وهكذا ليس هناك خارطة كلمات للوصفة حتى القطع الصغيرة من الكعك. إلا في حالات استثنائية قليلة مثل وضع الكعك على الأعلى فالوصفة الكاملة ترسم على القالب كله».

إنني لست مهتماً بالزعم بأولوية الكعك... لكن ما أمله هو أن تعطي هذه المصادفة النادرة فرصة لتكفل من روز ، وليونتاين ، أن يتوقفوا. فهل من الممكن أن تكون أهدافهم ليست تخفيضات ذرية ساذجة يودون بالشيء أن تكون كذلك (29).

إن لعمدة التخفيضية مقلوبة فعلاً رأساً على عقب ، لأن ليونتاين وروز في بحثهما هما علما أحياء تخفيضيون يحملان بطاقات من يفسر الظواهر عند مستويات المورثات والجزئيات. مقابل ذلك كان داوكينز مدرباً كعالم سلوك الحيوانات ، ويكتب عن سلوك الحيوانات في مسكنها الطبيعي أما ويلسون فهو رائد البحث في الإيثولوجيا ، ومدافع متحمس عن المجال المهذب بالخطر بأن علماء بيولوجيا الجزئي يشيرون استنادياً إلى بيولوجيا تقار الخشب بعد فشل شكل شيء آخر. ثبت ليونتاين ، وروز ، وكيمان اقتباس إداة على داوكينز:

«إنها (أي المورثات) تسيرنا جسداً وعقلاً» (30). ذلك لا يبدو حتمياً تماماً. لكن ما كتبه الرجل كان: «لقد خلقنا جسداً وعقلاً» ، وهذا مختلف جداً (31). لقد استخدم ليونتاين الاقتباس في خمسة أماكن مختلفة (32).

هل هناك أي تفسير مجاني لهذه الأخطاء الفادحة؟ كما أسماها تريفز. إحدى المعقدات قد يكون استخدام داوكينز وويلسون للتعبير «مورثة لإكس x في نقاش تطور السلوك الاجتماعي مثل الفيوية ، وأحادية الزواج ، والمدوان ، ليونتاين ، وروز ، وفولك يتلاعبون بهذه اللغة التي تشير كلما يتقدمون إلى مورثة تسبب السلوك دائماً ، وهي السبب الوحيد للسلوك. لكن داوكينز قد أوضح أن العبارة تشير إلى مورثة تزيد

من احتمالية سلوك ما ، بالفارقة مع مورثات بدئية في تلك العبارة المثبتة وذلك الاحتمالية هي معدل وسطي محسوب على المورثات الأخرى التي رافقتها عبر زرع التطور ، وغير البيئات التي عاشت فيها العضويات الملائكة للمورثة هذا الاستخدام غير التحفيزي وغير الحتمي للكلمة «مورثة لـ x» استخدام روتيني بين علماء الوراثة وعلماء التطور ، لأنها كلمة لا يمكن الاستغناء عنها فيما يقومون به. إن سلوكاً ما لا بد أن يكون متأثراً بمورثات ما ، وإلا لا يمكننا أن نتصور لماذا تتصرف الأسود بشكل مختلف عن الحملان ، ولماذا تجلس الدجاجات على البيض بدلاً من أن تتأكله. ولماذا تتناطح الأباله ، بينما لا تتناطح جردان الحقل وهلم جرا. غاية علم التطور هي أن يفسر كيف نجت هذه الحيوانات مع تلك المورثات ، كتفويض لمورثات بنتائج مختلفة فقد لا تملك التأثير نفسه في جميع البيئات ، ولا التأثير نفسه في جميع السلاسل الوراثية - لكن عليها أن تمتلك تأثيراً متوسطاً. وهذا المتوسط هو ما يصطفيه الاصطناع الطبيعي (جميع الأشياء كونهما متساوية) ، وذلك هو شكل ما تمنيه كلمة من أجل for في مورثة من أجل x. يصعب أن تصدق أن غولد وليونتاين عالما الأحياء قد أرسكهما هذا الاستخدام ، وإذا ما كانا مرتبكين فعلاً ، فهذا ما تسره 25 سنة نجم لا طائل وراءه.

إلى أي مستوى منخفض يستطيع المرء أن يذهب؟ السخرية من الحياة الجنسية لخصم سببدو أنه يبرز مباشرة من رواية ساذجة سيئة موضوعها الحياة الأسطورية لكن ليونتاين ، وروز ، وكامبين يتوصلون إلى اقتراح قدعه عالم الموسيويولوجيا ستيفن غولد بيرغ بقوله إن النساء يارعات في التلاعب بمواطف الآخرين ، ويقفون على ذلك «با لها من صورة مؤثرة لبشاشة غولد بيرغ تجاه الإغواء الذي يتكشف عن ذلك» (33). وفي وقت لاحق يذكرون فصلاً في الكتاب الذي زلزل الأرض لموتالد سيمون Symon /نشوء الجنسانية البشرية/ الذي يبين أن الجنس في جميع المجتمعات يتم تصوره نطقياً كخدمة أنثوية أو معروف أنثوي. ويقفون في «قراءة سوسيوبولوجيا لدى المرء إحساس مستمر بكونه voyeur (شخص يتلذذ بمشاهد الجماع بين رجل وامرأة) ، متلصصاً داخل المذكرات الذاتية للمدافعين عنها» (34). وكان روز مسروراً جداً بهذه المزحة ، لدرجة أنه فكرها بعد أربع عشرة سنة في كتابه «مسارات الحياة البيولوجيا خارج الحتمية» (35).

أمل أن تكون هذه التكتيكات شيئاً من الماضي استبدته الأحداث في سنة 2000. وكان الأثروبولوجيون يصادون أي أمرئ يناقش العدوانية البشرية في سياق بيولوجي في عام 1976 شكّلت الجمعية الأثروبولوجية الأمريكية حركة تفرّض رقابة على السوسولوجيا ومنعت تدوين حول الموضوع. وفي عام 1983 أصدرت مرسوماً بان كتاب دبيريك فريمان، ومارغريت ميد، وساموا كان سيه التأليف، وغير علمي، ولا يتحلّى بالمسؤولية، بل ومضللًا حتى (36). وكان ذلك مطلقاً بالمقارنة مع ما سيأتي. وفي شهر أيلول من عام 2000 أرسل عالم الأثروبولوجيا نيرانس تيرنر، وليزلي سيونسل إلى مدراء في الجمعية رسالة سرعان ما انتشرت عبر فضاء الإنترنت محذرة من فضيحة لعلم الأثروبولوجيا سرعان ما نشرت في كتاب الله الصحفي باتريك تيرنر، Tierney. المرتكبون المقترضون وكان معالم الوراثة جيمس نيل، مؤسس علم الوراثة البشرية الحديث، وعالم الأثروبولوجيا جان نايليون شاغنون المشهور بدراسته طوال ثلاثين سنة لشعب يانومامو yanomamo في الغابات المطرية في الأمازون.

كتب تيرنر وسبونسل:

القصة الكابوسية – قلب ظلام أثروبولوجي حقيقي أكثر مما تخيل جوزيف كونورد، وكفانما تصنع النظام كله أمام المحاكمة، فكما رآها عامة الناس، بالإضافة إلى معظم الأثروبولوجيين، وكما صاغ قارئ الحروف الطباعية الأمر: يجب أن يهز هذا الكتاب علم الأثروبولوجيا حتى أساساته. ينبغي أن يفسح المجال للفهم كيف أن المدافعين الفاسدين، والمنحليين استطاعوا أن ينشروا سمهم مدة طويلة، بينما كانوا ينالون احتراماً كبيراً في أرجاء العالم الغربي، وسط أجيال من الخريجين الذين تلقوا كتابيهم على أنها المادة الافتتاحية لعلم الأثروبولوجيا. وهذا ينبغي عدم السماح بحدوده ثابتة أبداً.

كلمات الاتهامات صادمة حقاً. ألهم تيرنر، وسبونسل نيل وشاغنون ينشر مرض الحمية عمداً وسط يانومامو، ثم تمنوا الرعاية الطبية لكي يختبروا نظريات نيل في التحسين الوراثي للتسلل. مما أدى إلى تخلي تيرنر وسبونسل عن هذه النظريات، وتعدد الزوجات لدى زعماء في المجتمعات الشائخة كان بيولوجيا أكثر سلامة من القرابين البدلين، لأنهم كانوا يملكون مورثات مسيطرة من أجل عمق فطرية، تم استغلالها عندما انخرط الزعماء في تنافس عنيف من أجل الزوجات. قال تيرنر

وسيونسل أن نيل اعتقد أن الديمقراطية بتربيتها الحرية للجمهور، وتساط الديمقراطية العاطفي للضعفاء هي خطأ. لقد علل تيرنر «الضمون السياسي لتحسين النسل الفاشي هذا» هو بشكل وضوح أن المجتمع يجب أن يتم تنظيمه في منظمات تربية صغيرة، والذكور المنفوقون ورثياً فيها يمكنهم أن يتبوؤوا السلطة، وأن يتساموا. ويهيموا الذكور الخاسرين في التنافس على القيادة والنساء، نساء كثيرات من إنز مسئوليات.

كانت التهم الموجهة ضد شاغنون شنيعة. فني مكتبته وأوراقه حول بانوماتو ونز شاغنون حروبهم وغاراتهم المتكررة، وقدم بيانات تقترح أن الرجال الذين شاركوا في عملية قتل سكان لديهم زوجات أكثر، وأطفال أكثر من الذين لم يفعلوا ذلك (38) هذا الاكتشاف مثير إذا كانت تلك الكمية نموذجية في مجتمعات ما قبل الدولة التي نشأ البشر فيها. الاستخدام الاستراتيجي للعنف قد تم استغافره عبر زمن التثوية. لقد اتهمه تيرنر وسيونسل بتلقيق هذه البيانات وأنه جعل العنف وسط البانوماتو (جعلهم يقضون على القصور والسكاكين التي كان يقدمها إلى مخبريه، وبإشارة معازر معينة من أجل أفلام وثائقية. لقد استخدم تصوير شاغنون للبانوماتو لتبرير غزو متغير الذهب إلى داخل منطقتهم)، مدفوعين بالنزاعات التي نظمها شاغنون مع السياسيين الفنزويليين الخيثة. لا جدال في أن شعب البانوماتو قد تعرض للعرض مما أدى إلى قتل معظمه، وكما تعرض لحملات نهب كان يقوم بها عمال المناجم، وهذه الأسس والجرائم كانت تتم عند قدمي شاغنون مما يعني فعلياً اتهامه بإبادة جماعية. لقد أضاف تيرنر وسيونسل أن كتاب Tierney كان بحث هبائشارات عبارة إلى شاغنون... مطالبة القرويين أن يحضروا له الفتيات من أجل ممارسة الجنس معهم.

عناوين رئيسة مثل «عالم قتل هنود الأمازون كفي يختبر نظرية عرفية» سرعان ما ظهرت في أرجاء العالم، ومتبوعة بقطعة من كتاب Tierney في «النيويوركر الجديد»، وبعدها الكتاب ذاته بعنوان «ظلام في إلدورادو» كليف دمر الطلاء والمصحفون الأمازون/ (39). فتحت ضلطف من محامي الناشر، فقد وجهت وسريت بعض من أخطر التهم في الكتاب، أو وضعت في أفواه صحفيين فنزويليين أو مخبرين سريين، لكن مادة التهم بقيت (40).

لقد اعترف تيرنر وسيونسل أن اتهاماتها لنيل هي مجرد استنتاج من معرفة الراهنة، إذ لا توجد هندية يتساعد دلالاتها في شكل نص مدون أو كلام مسجل

قاله نيل. لقد اتضح أن ذلك كان مجرد إساءة. فخلال أيام نسفت التهم لثو بعضها على ايد دارسين على علاقة مباشرة بالأحداث، ومؤرخين وأنتروبولوجيين وصانمي اهلنام كذلك (41).

بعيداً عن أن يكون عالم تحسين النسل فاسداً أخلاقياً، فإن جيمس نيل (الذي مات قبل فترة قصيرة من بدء توجيه هذه التهم)، كان عالماً محبوباً ومحترماً، وكان يهاجم باستمرار علم تحسين النسل وراثياً. وغالباً، ما ينسب إليه تطهير علم الوراثة البشري من نظريات تحسين النسل وراثياً القديمة، وبالتالي جعله علماً محترماً. إن نظرية cockamamie التي نسبها ثيرنر وسبونسل إليه فكانت غير مترابطة إلا ظاهرياً، وغير دقيقة علمياً. لقد خلطاً بين (مورثة مسيطرة وبين مورثة من أجل السيطرة). ليس هناك أدنى دليل على أن نيل كان يتبنى أي اعتقاد يقرب من هذا الاعتقاد. فالمسجلات تبين أن نيل وشاغنون قد لتفاجأ! بمرض الحمصية الوبائي الذي كان حادثاً من قبل، وبذلا جهوداً بطولية لاحتوائه. واللجاج الذي أشرفا عليه - الذي اتهم Tierney أنه كان اصل الوباء - لم يسبب انتقالاً معدياً للحمصية بين مئات ملايين الناس في أرجاء العالم الذين أصيبوا به، وفي جميع الاحتمالات، الجهود التي بذلها نيل وشاغنون أنقذت المئات من شعب اليانومامو (42).

أما وقد ووجه Tierney بالبهاتات العنصرية من علماء الأمراض الوبائية راضين مزاعمه، قال «إن الخبراء الذين تحدثت إليهم آنذاك كان لديهم آراء متباينة عن آراء الذين يهينون عن آرائهم علانية الآن» (43).

على الرغم من أنه لا أحد يستطيع أن يثبت أن نيل وشاغنون لم يدخلوا المرض عن سابق علم من خلال وجودهم ذاته، إلا أن المفاجآت ما تزال ضد هذه الإمكانية. اليانومامو الذين انتشروا فوق عشرات آلاف الأهمال المربعة كانوا يحتضون مع أوروبيين آخرين أكثر من علاقاتهم مع شاغنون ونيل. هالآلاف من البعثات التبشيرية والتجار، وعمال المناجم، والمغامرين كانوا ينتقلون عبر المنطقة. لقد وثق شاغنون - شخصياً - أن بعثة تبشيرية كاثوليكية من سفلية يحمثل أنها فكانت المصدر للانتشار الأول للمرض. فمع نقد شاغنون للبعثة التبشيرية على تزويد اليانومامو بالبنادق مما أكسبه بمداوة لا تموت من قبل البعثات التبشيرية. ليس مصادفة أن معظم مخبري Tierney من اليانومامو كانوا مرتبطين بالتبشير.

لقد تراجعت الاتهامات المحددة ضد شاغنون بسرعة متلما تراجعت الاتهامات الموجهة ضد نيل إنها لم تنال في عنف البانوامو ، أو لم يتجاهل بقية نعط حياتهم في حقيقة الأمر لقد وصف بشكل وضوح أساليبهم في حسم الصراع (44). والفول إن شاغنون عرفهم على العنف أمر غير قابل للتصديق فالغزو وشن الحرب بين البانوامو قد وصفا منذ 1800م ، وتم توثيق ذلك طوال النصف الأول من القرن العشرين ، أي فيز أن نلما قدما شاغنون الأمازون (عرض كاشف كان عملاً قصصياً يدعى *Amazon* قصة هيلانة فالينو : فتاة اختطفها هنود الأمازون) (45). والمزاعم الإمبريقية الرئيسة لرد شاغنون قد لبت المعيار الذهبي للعلم: الرد المستقل تشير إحصائيات لنسب الوفيات في الحروب في مجتمعات ما قبل الدولة ، فإن تقديرات شاغنون تتوزل ، كما رأينا في الشكل البياني في الفصل الثالث (46). حتى زعمه المثير للجدل ، بأن القاتلين لديهم زوجات وأبناء أكثر ، قد تم رده في جماعات أخرى ، مع أن هناك جدل كبير حول هذا التصوير من العهد أن تقارن موجز كتاب Tierney بكلمات المؤلف نفسه ، لأنه تدحض ما قاله شاغنون. يقول ثيرني:

صمد الرووس بين الجيفارو *divaro* وكان واجباً طبقوسياً بين جميع الذكور. وإدخال ضروري للذكور من المراهقين وهناك أيضاً ، معظم الرجال ماتوا في الحرب وبين زعماء الجيفارو كان لدى من يسطاد معظم الرووس زوجات أقل ، ومن يسطانن رزوساً أقل كان لديهم زوجات أكثر (47).

لقد كتبت إثرًا ريدموند الأثنوبولوجية ما يلي:

رجال بانوامو الذين قتلوا يبدون ميلاً لأن يكون لديهم زوجات أكثر. التزوجات اللواتي كسبوهم إما بالخطف من غزو القرى ، أو بتحالقات الزواج العادية التي فيها سكن يمتد بين كشرىكات أكثر جاذبية. الشيء ذاته صحيح لدى زعماء جيفارو الذين قد يكون لديهم خمس أو ست زوجات. فزعيم حرب ككبيرة حدثت على نهر *Wapo* في ثلاثينيات القرن العشرين واسمه توسكي تلكا كان لديه أحد عشر زوجة. وكان لدى الحاربين المميزين أبناء أكثر ، وذلك يعود بشكل رئيسي إلى نجاحهم الحربي (48).

كان ثيرنر وسيونسل من بين منتقدي شاغنون. إنهما منفتحان على أجندتهما الأثنوبولوجية التي هي الدفاع عن الاعتقاد بالهيمي النبيل. كتبت سيونسل قائلاً أن ملتزم بأثنوبولوجيا المسلم كفي بروج لعالم مسالم وغير عنيف ، ويعتقد أن هذا كان

في الطبعة البشرية (49). إنه معارض للتشديد الدارويني على العنف والتنافس. وقد اعلن مؤخراً للاعتف والسلم هما المعيار عبر معظم فترة ما قبل التاريخ البشري. وأن القتل الجماعي كان نادراً على الأرجح (50). إنه يمتدح أن معظم انتقاده لساغنون يتأتى تقريباً من رد فعل ألي ضد أي تفسير بيولوجي للسلوك البشري، وعلى إمكانية النزعة التخفيفية البيولوجية، والمضامين السياسية المرتبطة بهذا التفسيره (51).

من المعروف أن العلم الراديكالي هو اليسارية التحررية التي تعتبر المواقف المعتدلة والليبرالية حتى مواقف رجعية. وفقاً لتيرنر، نيل وكان مقتنعاً أن الديمقراطية بتربيتها الحرة للجمهير، ودعمها العاطفي للضعفاء فكانت تحرق الاصطفاء الطبيعي (52). ومن هنا جاء «خطأ» تحسين النسل ورثاؤه. لكن في حقيقة الأمر، كان نيل ليبرالياً سياسياً، واحتج على تحويل المال المخصص للأطفال الفقراء إلى البحث في موضوع الشبهوخة الذي اعتقد أنه سوف يفيد الأغنياء. فكما دافع أيضاً عن زيادة الاستثمار في الرعاية في فترة ما قبل الولادة، وعن الرعاية الطبية للأطفال والراهقين، وعن تقديم تعليم نوعي شامل (53). ويسميه ساغنون «معارياً معادياً للشيوعية، ومدافعاً عن حرية السوق. أما دليله على ذلك فهو اقتباس من تيرنر. القول إن تيرنر هو «شخصية معينة ذات موقف قصاصي على من يمدهم يساريين». لشرح كيف مشى مع هذه النبول اليمينية، يخبر تيرنر قراءه أن ساغنون قد تعرض في جزء من ميشيفان الريفية «حيث المفروضات لم تكن تلقى الترحاب، وحيث يرتبط الخوف من الأجناب بشعور معاد للشيوعية، وحيث كان السيناتور مكارثي يحظى بدعم قوي. ويختتم تيرنر أن ساغنون هو أحد أبناء مكارثي الذين نالوا قسماً كاملاً من الروح المكارثية. لكن ساغنون في الحقيقة معتدل صوتاً دائماً لصالح الديمقراطيين (54).

شرح من السيرة الذاتية في مقدمة تيرنر يكشف ذلك: «لقد تغيرت تدريجياً من كوني مراقباً إلى أن أصبح مدافعاً... تقليدياً، ونزعة صحفية موضوعية لم تعد تمثل خبارة بالتسمية لي» (55). يعتقد تيرنر أن أوصاف العنف لدى بانومامو قد يستخدمها النزاة كفي يصورهم هجماً بدائيين ينقي مفهوم أو استيعابهم لصالحهم مراسلون يقومون بتشويه السمعة مثل ساغنون هو شكل من التنبل لعمل اجتماعي، وخطوة من أجل البقاء الثقافي لشعوب بدائية (على الرغم من أنه عمل مراراً لحماية مصالح البانومامو).

القضاء على الأمريكيتين الأصليين بوباء أوروبي وأعمال إبادة جماعية طوال ما بين سنة من أشنع الجرائم في التاريخ. تمكن من التغريب توجيه اللوم إلى الجريمة التي قام بها حفنة من علماء معاصرين يسعون جاهدين لتوثيق أسلوب حياتهم قبل أن يتلاشى إلى الأبد تحت ضغوط الاستعباد، إضافة إلى كونه تكتيكاً خطيراً، بالتاكيد من مز الشعوب البدائية البقاء في أراضيها سواءً أكانت تختلف عن جميع المجتمعات البشرية أو ملكها، سواءً كانت مبالغة إلى العنف أو إلى الحرب. فالمدافعون الذي نصبوا أنفسهم مدافعين عنهم يربطون بقاء الشعوب الأصلية بالاعتقاد بالمهجي النبيل. وبذلك فهم يضعون أنفسهم في زاوية مرعبة. فعندما تبين الحقائق غير ذلك، فإنهم يتكفون قد أخضعوا - من غير قصد - فضيحة الحقوق الأصلية أو انخرطوا في أي وسيلة ضرورية لطمس الحقائق.

ينبغي ألا يستغرب أحد من أن المراعص حول الطبيعة البشرية هي مثار جدل فني زعم كهذا ينبغي تحميمه. وأن يشار إلى أي توافق إمبريقية منطقية، تماماً مثلما يجري مع أي فرضية علمية. لكن نقد العلوم الجديدة للطبيعة البشرية سار سيراً حسناً خارج النقاش الأكاديمي للعلماء، لكن لم يلبث أن تحول النقاش إلى مضايقات، ودم، وسوء تفسير، واقتباسات مشوهة، وأخيراً تشهير دموي. إنني أعتقد أن هناك سببين لهذا السلوك غير الليبرالي أحدهما هو أن الصلحة البيضاء - في القرن العشرين - أصبحت عقيدة مقدسة جداً لدرجة أن - في أذهان المدافعين عنها - ينبغي إما الدفاع عنها بإيمان تام أو يتم إنكارها في شكل جانبي.

هذا التفتكير الحاد إما بالأسود أو الأبيض يقود الناس إلى تحويل الفكرة باز بعض جوانب السلوك هي فطرية. إلى أن جميع جوانب السلوك هي فطرية، أو تغير الاقتراح بأن السمات الوراثية تؤثر على الشؤون البشرية لدرجة أنها تحددها. فإذا كان من الضروري لاهوتياً أن من أجل 7100 من الفروقات في الذكاء تسببها البيئة، فهل يستطيع أي واحد أن يتم تحفيزه فوق الإبتدال الرياضي، فكما أن نسبة التفاتت لتخلف بناء على أسباب غير وراثية. النسبة التي تمرز لأسباب وراثية ترتفع إذا كان مطلوباً من العقل أن يكون لوحاً للخريشة عليه فقط، فهل باستطاعة أي امرئ أن يذم بزعم أن الطبيعة البشرية تجعلنا نبتمس بدلاً من أن نعيب عندما نكفون مسرويين.

السبب الثاني هو أن المحققين الراديكاليين قد وقفوا في المسيدة عن طريق مسوغاتهم الخاصة بهم. فطالما أنهم فهموا أنفسهم بالنقاش الضمور بأن الضمورية والتميز على أساس الجنس، والعرب، وعدم المساواة السياسية مكان غير صحيح فعلاً لأنه لا يوجد شيء كهذا كطبيعة بشرية (مكتشف أنها أخلاقياً بنهضة، بنض النظر من تفاصيل الطبيعة البشرية). فإن ككل اكتشافات يتطرق بالطبيعة البشرية - مكان من خلال محاكمتها - مساوياً للقول إن تلك الانتقادات القاسية لم تكن شديدة السوء في نهاية المطاف ذلك جعل الأمر كله أكثر إلحاحاً لرفض تصديق أن البراطقة يقومون بالانتقادات. فإذا لم تكن المعايير العادية للنقاش العلمي تقوم بالتمية، فإن تعديلات أخرى مكان لابد من إدخالها، لأن خياراً أكبر مكان على المحل.

الفصل السابع الثالثون المقدس

العلم السلوكي ليس من أجل الجبناء. فقد يستفيد الباحثون ليكتشفوا أنهم شخصيات عامة مكروهة بسبب منطقة اختاروا استكشافها أو معلومة قد نُشرُوا عليها. اكتشافات في موضوعات محددة - الهم اليومي، السلوك الجنسي، ذكريات الطفولة، علاج سوء استخدام المادة، - قد تجلب تشويه السمعة، أو مضايقة، أو تدخلاً من قبل السياسيين، واعتداءً جسدياً(1). فحتى موضوع لا أذى منه مثل العسوية - استخدام اليد اليسرى - يتضح أنه قنبلة موقوتة. في عام 1990 نُشر عالم النفس ستانلي كورين، وديان هالبيرن إحصائيات في مجلة طبية تبين أن المصراويين بمعدل متوسط لديهم تعقيدات أكثر ما قبل الولادة، وهم ضحايا حوادث أكثر، ويموتون أصغر سناً ممن يستخدمون اليد اليمنى. قسرعان ما انتهالت عليهما تهجمات انتقادية - من بينها تهديدات بالمحاكمة، وتهديدات عديدة بالقتل، وحظر الموضوع في مجلة أبحاث، كل هذه الحملات شنها مصراويون ومدافعون عنهم (2).

هل الحيل الفذرة في الفصل السابق هي مجرد نموذج آخر عن الناس الذين يشلون هجوماً على مزاعم حول السلوك الذي يجعلهم غير مرتاحين؟ أم أنها جزء من تيار فكري منظم، المحاولة لصون الصفة البيضاء، والمجني التيبيل، والشبح في الآلة كمنصبر للمعنى والأخلاقية؟ ينظر الملتطرون القادة في الحركة العلمية الراديكالية أنهم يرمون بصفحة بيضاء، ومن العدل أن يتم تحري مواقفهم بكل دقة. بالإضافة إلى ذلك سوف أنظر إلى الهجومات التي شنت على علوم الطبيعة البشرية التي أتت من خصومهم السياسيين، أي اليمين المعاصر.

هل باستطاعة العلماء الراديكاليين حقاً أن يؤمنوا بالصفحة البيضاء؟ قد يبدو أن اللغند يلقى الترحاب لدى بعض الدارسين الذين يعيشون في عالم افكار مجردة. لكن هل كان باستطاعة خبراء علميين عنديين الذين يعيشون في عالم ميكانيكي النزعة

من المصيونات والوراثات، بحيث يعتقدون فعلاً أن النفس يتم انتماسها إلى دماغ الدماغ من الثقافة المحيطة ؟ إنهم ينكفرون ذلك تماماً ، لكن عندما يصل الأمر إلى تحديد المواقف، فإن موقفهم هو - بشكل يسايطف في تراث الصفحة البيضاء في يد الاجتماع في فترة مطلع القرن العشرين قال ستيفن جي غولد، وريتشارد ليونتن. وموقفون آخرون على بيان / ضد السوسولوجيا /:

لا تنكفر أن هناك مكونات وراثية في السلوك البشري. لكننا نشك أن البين البيولوجية البشرية يجب أن تكتشف أكثر في تميمات: الأكل والبراز والنوم اضط معاً في عادات محددة وقابلة للتغيير مثل الحرب والاستغلال الجنسي للنساء، واستغلال المال كوسيلة للتبادل (3).

لاحظ التناظر المختل للضمية. ففكرة أن المال مشفر وراثياً تماماً هي أمر سخيف (وليس أمراً عرضياً اقترحه ويلسون). وأي تعديل ينهي أن يعد أنه مرحب به أكثر من تلك التعديل. لكن إذا أخذنا التعديل في مفرداته فقط، بدلاً من أن يطعن المرء في تلك زائفة، يبدو أن غولد وليونتين يتولان إن المكونات الوراثية للسلوك البشري سوف يتم اكتشافها أساساً في " التميمات حول الأكل، والتغوط، والنوم " ونسبة الصفات من المفترض أنها بيضاء خالية.

خطة هذا النقاش تنكفر أولاً الصفحة البيضاء، ثم تجعلها قابلة للقبول من خلال تعديها أولاً بأول برجل من قش - بمكان العثور عليه في مكان آخر من مكتبات المتد الراديكاليين. يكتب غولد قائلاً:

وبذلك، نقدي لويلسون يستحضراً نزعاً بيئية " غير بيولوجية، إنه يخفي مفهوم الطاقة البيولوجية مع دماغ قادر على مجال تام من سلوكيات بشرية وليس مهالاً إلى إن منها، ضد فكرة الحتمية البيولوجية، مورثات محددة من أجل سمات سلوكية محددة(4).

فكرة الحتمية السلوكية أي أن الوراثات تسبب السلوك بنسبة 7100 يتيبة - ففكرة أن شكل سمة لها مورثتها الخاصة بها هي فكرة سخيفة بشكل وضوح لتابع عن أن ويلسون لم يبتأها أبداً. لذلك ستبدو ثائية غولد أنها تترك " الطاقة البيولوجية " على أنها الخيار المقبول الوحيد. لكن ما الذي يعنيه ذلك ؟ هو كلام مذكور، كيف بالإمكان ألا يكون قادراً على مجال تام من سلوكيات بشرية ؟ و الزعم بأن الدماغ ليس مهالاً مسبقاً لأي سلوك بشري ليس فقط نسخة عن الصفحة البيضاء. فبارد: " غير

مبال لاي سلوك * تعني أن جميع السلوكيات تملك احتمالات متساوية من الحدوث. لذلك إذا ما ارتكبت أمرؤ أي شي - في أي مكان على سطح الأرض - عمل ما في ظرف ما - ترك الطعام أو الجنس، أو أذى نفسه بالمسامير، أو امرأةً نقلت طفلها - فإن الدماغ ليس لديه ميل لأن يتجنب ذلك الفعل، بالمقارنة مع البدائل، مثل الاستمتاع بالطعام أو الجنس وحماية المرء لجسده أو عيائته بطفله.

ينسكح ليونتاين وروز وسكامين أنهم يقولون إن البشر هم صنفحة بيضاء، خالية (5)، لكنهم يقدمون تنازلاًين فقط إلى الحالة الطبيعية للبشرية؛ يأتي الأول لا من التوجه إلى دليل أو منطلق من علم السياسة لديهما؛ إذا كانت صنفحة بيضاء هي الحالة، فقد لا يكون هناك تطور اجتماعي. دعمهما لهذا الجدل عماده التوجه إلى سلطة ماركس الذي يستشهدون به * العقيدة المادية أن البشر هم نتائج الظروف والتربية، ولذلك فإن البشر المتفكرين هم نتائج ظروف أخرى. وينسى أن البشر هم الذين يغيرون الظروف، وأن التربي بحاجة إلى التربية * (6) وجهة نظرهما هي * أن الشيء الوحيد ذو المنس هو القول عن الطبيعة البشرية هي أنها تلك الطبيعة التي تبني تاريخها الخاص بها (7). المنس الضمني أن أي قول آخر حول البنية السيكولوجية لتوحيثنا - عن مفترتنا على اكتساب اللغة، وحبنا للأمرأة، والتفاعلات الجنسية، ومخاوفنا التمعطة - ليست أمراً عاقلاً.

يقدّم ليونتاين، وروز، وسكامين تنازلاً لطم الأحياء - ليس إلى تنظيم العقل والدماغ بل إلى قياس الجسم * لو كان طول البشر 6 إنشات لكان من غير الممكن وجود حضارة بشرية [إطلاقاً كما تفهماً] * إنهم يشيرون إلى فكترة - أن أحد مسكان ثاليبوت (في رحلات جلغر) لم يستطع التحكمم بالنار، أو تحطيم الصخور أو يحمل دماغاً كبيراً بما يكفي لتميزز اللغة. إقرارهم الوحيد هو إمكانية تأثير البيولوجيا البشرية على حياة البشر الاجتماعية.

بعد معني ثماني سنوات، تكرّر ليونتاين هذه التطورية لما هو فطري في البشر * الحقيقة الأكثر أهمية حول المورثات البشرية هي أنها تساعد في جعلنا ككبيرين كما نحن، وأن نمتلك جهازاً عصبيياً مركزياً ذا روابط عديدة كما هو * (8). فإذا أخذنا هذا القول حرفياً، فإنه لا معنى له. إذ وكيف يستطيع المرء أن يرثب آلاف التاليرات الوراثية التي جميعها ضرورية لوجودنا وأن يشير، إلى واحدة أو اثنين في رأس القائمة ؟ هل قرأنا أكثر أهمية من حقيقة أننا نملك قلباً أو رتتين أو عينين ؟ هل عدد الشباك

العصبونية أكثر أهمية من مضطحات الصوديوم لدينا التي لولاها لتكاثرت عصبوناتنا ذات إيونات موجبة تؤدي إلى إغلاقها ؟ إذن لا جدوى من أخذ الجملة حرفياً . فالقرارة العاقلة الوحيدة التي تستمد من السياق هي أن هذه هي الحقائق المهمة الوحيدة حول المورثات البشرية بالنسبة للعقل البشري. عشرات آلاف المورثات التي تم الإفصاح عنها - أساساً أو استثنائياً - في الدماغ لا تقوم بشيء مهم، ولكن تعطيه الكثير من الروابط. نموذج الروابط والتنظيم السدماغي (في بنس) مثل هيبوكامبوس وأجسدا لا. وهيبوتالاموس، لأن القشرة الدماغية مقسمة إلى مناطق) هي عشوائية أو قد تكون كذلك المورثات لا تعطي الدماغ أنظمة ذاكرة مضاعفة، أو محرركات سائل بصرية معقدة، أو مقدرة على تعلم اللغة، أو مخزون النعالات (أو المورثات تقدم هذه القدرات لكنها ليست مهمة)، وفي زعم معاصر لجون واطسون أنه قد يحول طفلاً رضيعاً إلى طبيب، محام، فنان، تاجر كبير، وشحاذ، ولص بغض النظر عن مواهبه وميوله ونزعاته وقدراته وسلالة أسلافه . ألف ليونثاين مكتاباً على غلافه مزاعم أن نعمنا الوراثية تعطي اللدانة النفسية والتطور الفيزيائي، لدرجة أن في مسار حياتنا من الحمل حتى الموت، فإن باستطاعة كل واحد منا - بغض النظر عن العرق، والطبقة أو الجنس - أن يطور افتراضياً أي هوية تقع ضمن الحدود البشرية (9). لقد اعترف واطسون أنه كان "ماشياً وراء حقائق" كان بالإمكان التفرد له، لأنه في الوقت الذي كتبت فيه لم تكن هناك حقائق، لكن الإعلان في كتاب ليونثاين بأن أي فرد يستطيع أن يتخذ لنفسه أي هوية، في تحد لعدة عقود من البحث في علم الوراثة السلوكي إنما يشكل إقراراً بإيمان نقاء غير مألوف. وفي القشرة التي شيد بناء سور دوركايم بين البيولوجي والثقافي، يستتج ليونثاين في كتاب نشره عام 1992 " إن المورثات قد تم استبدالها بمستوى جديد كلياً من السببية، من التفاعل الاجتماعي مع قوانينه وطبيعته التي بالإمكان فهمها واستكشافها من خلال ذلك الشكل الفريد من التجربة فقط: الفعل الاجتماعي" (10).

وهكذا بينما ينكر غولد وليونثاين وروز أنهم يمتدحون بصفحة بيضاء خالية - فإن تازلاتهم للتطور وعلم الوراثة - الذي يدعنا نأكل ونشام ونشبول ونشقوق، ونحدث تفتياً اجتماعياً، إنما تكشف - أنهم تجريبون أكثر تطرفاً من لوك شخصياً، الذي أقر على الأقل - بالحاجة إلى مقدرة فطرية " للفهم "

الجهي النبيل اعتماد مدلل وسط منتقدي علوم الطبيعة البشرية. ففي كتابه / السوسيوبولوجي / ذكر ويؤمن أن الحرب القبلية كانت شائعة في حقبة ما قبل التاريخ البشري. بينما أعلن العلماء المعارضون للسوسيوبولوجيا أن هذا قد تم الرد عليه بقوة بالاستناد إلى دراسات الأنثروبولوجية وتاريخية. لقد فنشت في هذه الدراسات التي جمعت في كتاب أشلي مونتاغو / الإنسان والعدوان /، في حقيقة الأمر كانت مجرد مراجعات عداوية لكتاب ألفها الأثولوجي Ethologist كيونراد لورنيز، والكتاب المسرحي روبرت أردري، والروائي ولهم غولدنغ (مولف لرب flies) (11). بعض الانتقادات كانت في محلها؛ أن التطور قد عمل لصالح الأنواع، لكن انتقادات أقوى بكثير شنها أنصار السوسيوبولوجي أنفسهم. في الصفحة الثانية من كتاب (المورثة الأثانية) على سبيل المثال، كتب داوكنيز) المشككة مع هذه الكتب هي أن المؤلفين قد أخذوا الموضوع بشكل إجمالي وبشكل خاطئ كلياً. (لكن على أي حال، لم تكن مراجعات الكتب تحتوي على معلومات حول الحرب القبلية. وكذلك الأمر حدث في المقالة الموجزة لمونتاغو، التي شنت هجوماً على فكرة الفريزة من عقود على السلوكيين أحد الفصول التي تحتوي على بيانات تدحض مزاعم لورينزو حول الحرب والفريز بين هتود ite بالقول أنهم لم يشنوها أكثر مما كانت ثنها الجماعات البدائية الأخرى.

بعد عشرين سنة تالية، كتب غولد / الإنسان العاقل / ليس نوعاً شريراً أو مدمراً، وقد استمد نقاشه الجديد مما يسميه / عدم التماسك الكبير / يقول:

"إنها حقيقة أساسية أن الناس الجيدين والطفاء أكثر عدداً من الآخرين بنحو آلاف إلى واحد. (12) زد على ذلك "إننا نقوم بعشرة آلاف عمل لطيف غير مدون وصفه لكل ما هو نادر وبعبارة، لكننا نتوازن بحزن مع لحظة وحشية. (13) (الإحصائيات لتكون لهذه الحقيقة الأساسية مستمدة من الهواء، وبالتأكيد خاطئة). المرضي نفسه هم بالتحديد ليسوا "جيدين وطيبيين" ويشكلون نحو 3 أو 4 ٪ من السكان الذكور وليسوا عدة مئات بالمائة" (14). لكن حتى إذا قبلنا هذه الأرقام فإن النقاش يفترض أن لكي نعد نوعاً ما "شريراً ومدمراً" ينبغي أن يكون شريراً ومدمراً طوال الوقت، مثلاً عامل برود فاسد في حالة هياج دائم. إن عملاً شريراً واحداً يستطيع أن يقابل عشر آلاف عمل طيب. وهل ينطوي على معنى أن نقيم نوعنا كله، وكاننا نقف ككوكب عد

اليوهاب الذهبية ؟ فالقضية ليست ما إذا كان نوعنا شريراً أو مدمراً بل ما إذا نضرب نوعي الدوافع الشريرة والمدمرة إلى جانب الدوافع الخييدة والبناءة. فإذا كنا نفعل ذلك فإن باستطاعة البرء أن يحاول فهم ما هي هذه الدوافع وكيف تفعل فعلها.

لقد اعترض غولد على أي محاولة لفهم دوافع الحرب في سياق التطور البشري لأن كل حالة من حالات إبادة جماعية ، بالإمكان مائلتها مع حوادث عديدة من التنفد الاجتماعية ، وبالإمكان مقابلة كل جماعة قاتلة بمشيرة مسألة(15). لقد تم تعديل النسبة من شامض علم الله ، إلا تبين البيئات المراجعة من الفصل الثالث أن عشر مسألة " إما أنها لا توجد ، أو أنها أكثر عدداً من الجماعات القاتلة (16). لكن بالنسبة لغولد ، حقائق كهذه هي إلى جانب الفسكرة لأنه يجب من الضروري أن يؤمن بالمشتر المسألة بناءً على أسباب أخلاقية. وقطعاً إن يقتصر البشر إلى أي نزوع إلى الخير أو إلى الشر أو إلى أي شيء آخر. فهل لدينا أسباب لتعارض إبادة جماعية. إليك كيفية ينصو موقف علماء نفس التطور الذين لا يتفق معهم:

ربما التفسيرات الأكثر شهرة لقدردنا على القيام بإبادة جماعية في بيولوجية التطور كمصدر تميمي وكمخرج نهائي من مسؤولية أخلاقية متكامل... جماعة خالية من الخوف من الأجنبي وغير مدربة على القتل قد تستسلم بشكل ثابت إلى آخرين مفعمين بهذه المورثات لتشرع بعمل إلى نزع الإبادة والتدمير. فضيلة الشمباني – هي أقرب أقراننا – إنما تجتمع سويًا وتقتل منهجياً أفراد الشمبانزي للجماعات المجاورة. ولربما نحن مبرمجون لكي نفعل ذلك بطريقة مماثلة أيضاً. هذه الهول الرهبة زادت في الماضي من بقاء الجماعات المسلحة. بما لا يتعدى الأسنان والحجارة في عالم فيه قنابل نووية. فإن هذه المورثات التي لم تتغير فوراً غير قابلة للتغيير. في عالم فيه قنابل نووية، فإن هذه المورثات التي لم تتغير قد تفسر الآن عدم إقدامنا على الفعل، أو على الأقل تقوم برعاية مأسينا. لكن لا يمكننا لومنا على هذه الإخفاقات الأخلاقية. إن مورثاتنا اللعينة قد جعلتنا مخلوقات ليلية (17).

في هذه الفقرة يقدم غولد موجزاً معقولاً لماذا يعتقد العلماء أن بإمكان التطور أن يسلط الضوء على العنف البشري. ومن ثم ينزلق في غضب غير منطقي (هروب آخر من مسؤولية أخلاقية تامة " لا يمكننا لومنا " وكانتما لم يكن لدى العلماء من خيار سوى أن يعتقدوا بذلك أيضاً. إنه يستحق مقالته:

في عام 1525 تم قتل الآلاف الفلاحين... وميشيل أنجلو عمل كمنسج
مدني في chapel، ككلا الجانبين في هذه الثانية يمثلان بشريتنا المتطورة المشتركة.
فإنها سوف تختار في النهاية 9 بالنسبة للمسلك الطائفي الضامن في الإبادة الجماعية
والتمييز، دعنا نأخذ هذا الموقف الذي لا حاجة لنا إليه. يمكننا أن نتصرف بشكل
آخر(18).

الغنى الضمني هو أن من يعتقد أن أسباب الإبادة الجماعية قد يُسلط الضوء عليها
من خلال فهم الترسيمية المتطورة للكائنات البشرية، إنما - في حقيقة الأمر - يئس
موقفاً إلى جانب الإبادة الجماعية.

ماذا عن المعض الثالث من الثالث: الشيخ في الآلة 9 إن العلماء الراديكاليين هم
ساديون متطرفون ولا يحكمون بلومون بأي روح غير مادية. ولم يكونوا يشعرون
بالارتياح تجاه أي بديل لم التعبير عنه بوضوح، لأنه سوف يحد اعتقادهم السياسي
القاتل بأننا نستطيع - جماعياً - أن نطبق أي نظام اجتماعي نختاره. فتحدث وصف
رايل ryles لأهمية ديكتاتور: كإنسان ذوي همة علمية لا يستطيعون إلا أن يصادفوا
على مزارع البيولوجيا، لكن كرجال سياسيين لا يستطيعون أن يقبلوا القارس rider
الشيء لتلك المزارع، خاصة أن الطبيعة البشرية تختلف في درجة التقيد عن عمل
الساعة.

بشكل عادي، ليس نياً أن نستنج المعتقدات السياسية لدى العلماء من خلال
مناقشة نقاشاتهم العلمية، لكن ليونتاين وروز يصران على أن معتقداتهما العلمية لا
تفصل عن معتقداتهما السياسية. كتب ليونتاين مع عالم الأحياء ريتشارد ليفنز كتاباً
يُدعى / عالم الأحياء الديكالككتيكي / وأهداه إلى فريدريش إنجلز الذي فهم
الأمر بشكل ملوحد وقتاً طويلاً، لكنه فهم الأمر بشكل صحيح حيث كان الأمر
مهماً: جاء في هذا الكتاب: "كعلماء عاملين في ميدان الوراثة التطورية
والطولوجيا، فإننا نحاول - مع بعض النجاح - أن نوجه بحثنا بالتطبيق الواعي للفلسفة
التركيبية (19)". وفي كتاب / ليس في مورثاتنا / أعلن ليونتاين وروز وكلمين أنهم
يتشاركون التزامهم بمنظور مجتمع - اشتراكي أكثر عدلاً، "ويرون" عملهم النقدي
كجزء متكامل للسرعة لخلق ذلك المجتمع (20). وعند مرحلة يطورون عدم موافقتهم
على "الزعة التخفيضية" كعاطلي:

ضد هذا التخفيض الاقتصادي بوصفه المبدأ التفسيري الحكام خلف كل سطر بشري، استطلعتنا أن نوجد مقابلاً للممارسين الثوريين والمنظرين من أمثال ماوشيتزوف على قدرة الوعي البشري في تفسير العالم وتغييره قدرة مبنية على فهم الوضع الديالكتيكية الأساسية لما هو بيولوجي واجتماعي، وليس بوصفهما عالين متفصلين أو مفكوكات فعل متفصلة، لكن ذات حدود معرفية مشتركة أنطولوجياً.

التزام يونيتاين بالمقاربة الديالكتيكية - الماركسية، ولدى أنجلز وماوشيتزوف يفسر لنا لماذا يتكسران الطبيعة البشرية، يتكسران أيضاً أنهما يتكسرانها فطرياً استمرارية الطبيعة البشرية بعد ذاتها بالإمكان مناقشتها بشكل متفصل عن تفاعل الداخلي دائم التغير مع البيئة - وهذا في نظرهما - خطأ يتم عن فطنة وأهنة؛ فالخطأ يكمن فقط في تجاهل التفاعلات مع البيئة، لقد رمى يونيتاين وروز رجال الفش الذين يتعلمون ذلك. فالخطأ الأكثر عمقاً - كما يرىانه - يكمن في محاولة تحليل السؤدد على أنه تفاعل بين الطبيعة البشرية والبيئة البشرية (من ضمنها المجتمع) في التقام السؤدد (22) مجرد فصلهما في الذهن حتى ولو من أجل فهم التكيفية التي يتفاعل فيها الأنتروبوا يفترض استلاب العضوية والبيئة "وهذا يناقض مبادئ الفهم الديالكتيكي الذي يربط إن الآشدين لهما حدود مشتركة أنطولوجياً" ليس بالمعنى السطحي فقط، لأن ما من عضوية تعيش في فراغ، ولتكن بمعنى أنهما لا يمكن فصلهما إلا أي ناحية من نواحي وجودهما.

طالما أن الديالكتيك بين العضوية والبيئة يتغير باستمرار عبر زمن تاريخي. فلا سبب أحدهما الأخر مباشرة، فالمعضويات تستطيع أن تغير ذلك الديالكتيك، ولذا السبب يتكرر روز "الحنمة" بالإعلان "نحن لدينا القدرة على أن نبني مستقبلنا به ظروف ليست من اختيارنا نحن" (23)، من المفترض أنه يمكن قول ماركس أكثر يصنعون تاريخهم ولكنهم لا يصنعونه كما يريدون، إنهم يصنعونه تحت ظروف تتواجهها، معطاة ومتقولة من الماضي. "ولكن روز لا يشرح أبداً من المقصود بنحن". ليست دارات عصبية عالية التركيب التي يجب أن تصل إلى ذلك البناء في جزء متصل عن المورثات والتطور، نستطيع أن نسعي هذا الاعتقاد الضمير في الآلة *the process in the machine*.

غولد ليس مستهدفاً مثل روز وليونثاين. لكنّه يستخدم أيضاً ضمير نحن وكانه بطريقة ما دحض مرجعية المورثات والتطور إلى الشؤون البشرية: "أيها سوف نختار؟ وعنا نأخذ هذا الموقف، نستطيع القيام بشيء مغاير" كلما يستشهد بالقول المأثور الراجع لماركس حول صناعة تاريخنا. كلما أنه يعتقد أن ماركس قد برر مفهوم الإرادة الحرة: "من يحاول تطبيق نظرية تجديدية دون اعتبار للمصاعب العملية.

"ماركس شخصياً كان لديه رأي أكثر ذكاءً من معظم معاصريه حول الفروقات بين التاريخ البشري والتاريخ الطبيعي. لقد فهم أن تطور الوعي والتطور اللاحق للتطعيم الاقتصادي والاجتماعي أدخلت عناصر الاختلاف والإرادة التي تسمى عادة "الإرادة الحرة" (24).

بارعة هي حقاً المناقشة التي تقسم الإرادة الحرة من خلال مرادفاتها «الاختيار» مع أو دون عناصر اختلاف مهما كان يعني ذلك، وينسبها إلى ما هو غامض "تطور الوعي". روز وغولد يحافظان لإعطاء معنى للشائبة التي ابتكراها: بين دماغ تم استطفاءه طبيعياً ومنظم وراثياً من جانب، ورغبة من أجل السلم والعدالة والمساواة من جانب آخر. وفي الفصل الثالث سوف نرى أن هذه الشائبة زائفة.

معتقد الضمير *proudhon* في الآلية ليس نظرية عرضية مسطحة لدى العلماء الراديكاليين في نظرتهم للعالم. إنها مشتقة مع الرغبة بتغيير سياسي راديكالي ومع عدائهم للديمقراطية البرجوازية. إن تكون نحن "غير مفيدة حقاً بالبيولوجيا، إن عندما ترى "نحن" الثور نستطيع أن ننفذ من خلاله نظرة التغير الراديكالي التي نعتقد أنها صحيحة. لكن إن كانت "نحن" هي نتاج ناقص لتطور محدود في المعرفة والحكمة، تمرّكها المكانة الاجتماعية والسلطة وبمبها خداع الذات، وأوهام الفوقية الأخلاقية، فإن من الأفضل - لنأخذ، أن نفكر مرتين قبل تشييد ذلك التاريخ كله. وكلما سوف يشرح الفصل حول السياسة، أن الديمقراطية الدستورية تقوم على نظرة متحيزة للطبيعة البشرية التي فيها "نحن" معرضون إلى الأبد للجهل والفساد. فالضمايح والتوازنات في المؤسسات الديمقراطية قد صممت - وبشكل وضوح - التموجات الخطرة غالباً لدى البشر غير الحكاملين في مأزق.

الشيخ في الأنا - بالطبع - أثنى بشكل كبير لدى اليمين السياسي من اليسار اليساري
في كتابه الأعداء السياسيون للدراسة العلمية للطبيعة البشرية - 1978
nothing قد أوضح عالم النفس مورتون هنت أن الأعداء من بينهم أناس في اليسار
وأناس في اليمين وبينهم مجموعة من المتعصبين للقضايا الفردية (25). حضرت في
ناقشت لغضب القمص اليسار لأنه قد تم نشره في ميدان معركة الأفكار في الحزب
ومحاكاة التيار الرئيسي. ومن هم في أقصى اليمين قد تمت إثارة غضبهم أيضاً. نحن
حتى وقت قريب فقد سويوا إلى أهداف مختلفة وحاربوا في ساحات مختلفة

الموقف الأطول في المعارضة في الجناح اليميني لعلوم الطبيعة البشرية يأتي من
القطاعات المتينة في التحالف - خاصة الأموية المسيحية، فهي شخص لا يؤمن بالنظر
بالتأكيد لن يؤمن بتطور العقل، وأي شخص يؤمن بروح غير مادية بالتأكيد لن يبر
أن التفكير والشعور يتكونان من معالجة بيانات في الأنسجة الدماغية.

المعارضة الدينية للشؤون تحركها عدة مخاوف أخلاقية. وما هو أكثر جلاءً
حقيقة الشؤون تتحدى الحقيقة الحرفية لقصة الخلق في الكتاب المقدس. وتتحدى
تحدى السلطة التي يستمدّها الدين منها. فكما عبر وزير عن أنصار قصة الخلق،
كان الكتاب المقدس خاطئاً في البيولوجيا، إذاً لماذا يتوجب عليّ أن أؤذي بالحظ
القدس عندما يتحدث عن الأخلاقية والخلاص (26).

المعارضة الدينية للشؤون تعطي إلى ما هو خلف الرغبة بالدفاع عن حرفة الفن
القدس فالمتدينون المعاصرون قد لا يؤمنون بالحقيقة الحرفية لكامل مجزأة وينبغي
الكتاب المقدس. لكنهم يؤمنون أن البشر قد خلقوا على صورة الله، ووضعوا في
الأرض من أجل هدف أكبر - خاصة أن يعيشوا حياة أخلاقية بالتابع وصالحاً الله قد
كان البشر نتاجات عرضية للتطور واسطفاء ناسخات كيميائية، فإنهم يتلقون في
الأخلاقية لن يكون لها أساس، وسوف نطيع - دون أعمال عقولنا - دواعي بيولوجية
أحد أنصار قصة الخلق يدعي بشهادته على هذا الخطير أمام اللجنة القضائية
الأمريكية فاستشهد بآيات لغائية من إحدى أغاني الجاز " أنت وأنا يا حبيبي إننا
شيء سوى نسيات، لذلك تفعل الأمر متعلماً يفعلون هم على قناة ديسكفري الفضائية
(27). بعد الهجان العام في سنة 1999 بين مرشحين في مدرسة كولومبيا الثانوية في
كولورادو: توم ديلي delay ممثل الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب قال " إن عند

كيفية أمر معلوم طلباً أن نواجهنا المدرسية تعلم الأطفال أنهم لا شيء سوى قردة
مختزعة منطوقين من طين بدني" (28).

التأثير الضار جداً للمعارضة المهيمنة تجاه النشوء هو فساد التربية العلمية
الأمريكية من قبل الناشطين سياسياً في حركة خلق *creation*، فحتى قرارات
الحكومة العليا عام 1968 سمحت بحظر تعليم التطور بتأتمناً. منذئذ انتصار حركة الخلق
حاولوا أن يعمقوا تدريس التطور بأشكال ياملون أنها سوف تؤدي إلى إصدار مرسوم
دستوري يتضمن إلغاء النشوء من معايير الكفاءة العلمية. مطالبين المعارضين لهم أنه
نظرية فقط تبطل المنهج المدرسي ولعروض الكتب المقررة بتفعية جديدة للنشوء أو فرض
كتب تعطي النظرية المؤيدة لنظرية الخلق في السنوات الأخيرة، علم المرصع القومي
للتربية العلمية بأمانة كبيرة من هذه التفتتكتات بنحو شكل أسبوع ثنائي من أربعين
ولاية. (29)

لا يشعر اليمين الديني بالارتياح تجاه ليس النشوء فقط بل تجاه علم الأعصاب
أيضاً. فيطرد الشبح في الآلة فإن علم الدماغ ينسف اعتقاديي أخلاقيين يمتدان عليه.
أحدما هو أن لكل شخص روحاً تجد القيمة. وتمارس حرية الإرادة ومسؤولية عن
خياراتها. فإذا كان السلوك محكوماً بدارات في الدماغ حسب قوانين الكيمياء،
ستكون القيمة والاختيار أسطورتين وسوف تتبخر إسكافية المسؤولية الأخلاقية.
ظكفا بدافع نصير قصة الخلق جون ويست³⁰ إذا كانت الكائنات البشرية ومعتقداتها
نتاجات دون عقول لوجودهم المادي، إذن كل شيء يعطي معنى للحياة البشرية الدين
والأخلاق والجمال يتضح أنها دون أساس موضوعي³⁰

المتقد الأخلاقي الثاني الذي يوجد في بعض المشيخات المسيحية³¹ هو أن الروح
تدخل الجسم عند الحمل وتناثره عند الموت وبذلك تحدد من هو الشخص الذي لديه
الحق في الحياة. هذا المتقد يجعل الإجهاض والقتل الرحيم واستئصال الخلايا الجذعية
من كهيمة أريمية معادلة لجريمة قتل بشكك أساسي إنه يجعل البشر مخلوقين عن
الحيوانات. ويجعل استئصال الكائنات البشرية انتهاكاً للنظام الإلهي. كل هذا سوف
يبعد مهيداً من قبل علماء الأعصاب الذين يقولون إن الذات أو الروح تتلازمان في
النشاط العصبي الذي يتطور تدريجياً في دماغ الجنين، ويمكن رؤية ذلك في أدمغة
الحيوانات. ومع التقدم في السن والمرض يتراجع هذا النشاط. وسوف تعود إلى هذه
القضية في الفصل الثالث عشر.

لم يعد بالإمكان ربط المعارضة اليمينية لعلوم الطبيعة البشرية فقط بمصيدي القرارات وإنجيلي الكتاب المقدس ووعاظ التلمذة الإنجيليين النشوء - بل يومنا هذا - وقد ووجه بتحد على يد أشهر المنظرين الدماغيين في حركة المحافظين الجدد العلمانية سابقاً. إنهم يتبنون فرضية تدعى التصميم الذكي التي أطلقها عالم الكيمياء الحيوية ميشيل بيهي (1986) (31).

لا تستطيع الآلية الجزيئية للخلايا أن تعمل إلا بشكل أبسط، ولذلك لا يمكن أن تكون قد تطورت تدريجياً من خلال اصطفاء طبيعي بدلاً من ذلك. فقد تم تصورها على أنها ابتكار فعال من قبل مصمم ذكي. التصميم - نظرياً - سكان غربياً، متطوراً من خارج الفضاء الخارجي، لكن شكل امرئ يعرف ما وراء نص النظرية Sub-text لا بد أنه الله.

يرفض علماء البيولوجيا جدال بيهي لأسباب عدة (32). مزاعمه المحددة هي الاعتقاد الذي لا يمكن تخفيضه للكيمياء الحيوية، إما أنه لم يثبت صحته، أم أنه خطأ فقط. إنه يأخذ شكل ظاهرة لم يفهم تاريخ نشوئها بعد، ويربطها بتصميم عن طريق إعمال متعمد. وعندما يصل الأمر إلى مصمم ذكي فإن بيهي يطرح فجأةً شكل حيرة الشكوك العلمية، ولا يتساءل من أين جاء التصميم أو كيف يعمل المصمم عمله كما أنه يتجاهل الدلائل الكاسحة على أن سيورة النشوء - بعيداً عن كونها ذكية وهادئة - هي لا طائل ورائها وصلية.

على الرغم من ذلك، لقد تبنت محافظون جدد مرموقون التصميم الذكي من بينهم: إيرفينغ كريسستول، وروبرت بورك، وروجر سكيمبال، وغيرتروود هيمفارب. كما تطامط محافظون آخرون أيضاً مع انتصار نزعة الخلق لأسباب أخلاقية، مثل استاذ القانون فيليب جونسون، والكاتب وليم ف بكملي، وتوم بنهيل، وليون سكاس عالم الأخلاق بناء على علم الحياة ومن يشغل كرسي جورج دابليو بوش المجلس الجديد في علم الأخلاق الحيوي. وبذلك تشكل سياسات الأمة في البيولوجيا والطب (33). ظهرت قصة داروين الذي لا يمكن إنكاره/ بشكل مذهل على غلاف /Commentary/ الذي يعني أن مجلة كانت فيما مضى منتدى بارزاً للمثقفين اليهود العلمانيين هي الآن مستضافة تجاه النشوء أكثر من شك البابا (34).

ليس جلياً تماماً ما إذا كان هؤلاء المفكرون الديويون مقتنعين فعلاً أن الداروينية زائلة أم أنهم يعتقدون أنها مهمة لأناس آخرين يعتقدون أنها زائلة. في مشهد من مسرحية / أورت الريح / حول محافظة القرد مسكوني، ممثل النهاية العامة والدفاع مسترخين سوياً بعد يوم في المحفظة، يقول النائب العام عن مسكان نينسي: إنهم أناس بسيطاء يا هنري. أناس مساكين. إنهم يشقون في عملهم ويحاجة لأن يرموا بشبه، شيء جميل. فلماذا تريد أن تأخذ منهم؟ إنه شكل ما يمكنون ذلك ليس بعيداً عن موقف السائون الجديدة. لقد كتب ككريستل:

إن يمكن هناك حقيقة لا جدال فيها حول الشرط البشري، فإن ما من مجتمع يستطيع البقاء إن يتم إقصاءه - أو حتى إن يشك - أن أفراده يعيشون حياة لا معنى لها فيكون لا معنى له (35).

إنه يصوغ النتيجة الأخلاقية الطبيعية الملازمة:

هناك أنواع من حقائق متباينة لأنواع مختلفة من الناس. هناك حقائق ملائمة للأطفال، وأخرى ملائمة للطلاب، وأخرى للبالغين المتعلمين، وأخرى مناسبة لمن نالوا ثقافة عالية. وفكرة أنه ينبغي أن يكون هناك مجموعة واحدة من الحقائق المتوفرة بين يدي شكل إنسان فذلك مقالة ديمقراطية حديثة. إنها غير فاعلة (36).

ككما بنوه كتابت العلم روتالد بيلي: بالمقارنة؛ في أماننا هذه محافظون حدائون كثيرين يوافقون متحمسين مع كارول ماركس بأن الدين هو "أفيون الشعوب"، إنهم يضيفون شيئاً صادراً من القلب الحمد لله (37). مثقفون محافظون كثيرين ينضمون إلى مسيحيين أصوليين في إنكارهم علم الأعصاب وعلم نفس التشوه، يرون أنهما يقرآن في تفسير الروح بعيداً، والقيم الخالدة والخيار الحر. ويكتب ككاس:

بالعلم، الجناح القائد للترجمة المعاصرة قد أتى ككشفي العالم باستمرار demystification التقدمية في العالم. الوقوع في الحب - هل ما يزال ينبغي أن يحدث - هو لتطبع المعاصر ينبغي أن ينسر لا يمسه شيطاني (الأيروس) مولوداً من المنظر الجميل الذي يصدم الروح (أهروديت)، بل بارئفاع في تركيز هرمون Polypeptide الذي ينبغي تحديد هويته في البيبوتالاموس. قدرنا الأهواء الدينية والفهم الديني تتلاشى أيضاً. حتى إذا كان صحيحاً أن الفالبيبة العظمى من الأمريكيين ما يزالون يقررون بإيمان بالله، إنه بالنسبة للغة منا رب يرتش المرء أمامه خوفاً من الحساب (38).

وكذلك الأمر، يحترق الصحابة أندرو فيرغسون القراء من أن علم نفس البشر، سوف يمتطيه الخدر بشكل تامكيد، لأن قهما إذا السلوك الأخلاقي، وما إذا كان يتم الفضيلة، فهذا تقويم لا يستطيع العلم الجديد ولا النزعة المادية عموماً أن تقرره (194) فالعلوم الجديدة تزعم أن الناس ليسوا سوى دمن من اللحم - انحراف مخيف من النظرة اليهودية - المسيحية التراثية التي فيها الكائنات البشرية هم أشخاص من البداية، أتمم الله عليهم بروح، والله خلقهم، وقسمهم لا مشاهية (40).

حتى الكائنات اللاذع اليساري نوم وولف المعجب بعلم الأعصاب وعلم نفس البشر، يطلق حول مضامينهما الأخلاقية، في مقالته /انسف، لكن روحك قد ماتت للتوا بعض أنه عندما قتل العلم الروح أخيراً أكلها الأخير للقيم، فإن الكفرنقال الشنيع الذي سوف يستتبع ذلك قد يجعل عبارة نيشه الخسوف الكفلي لجميع القيم تبدو مألوفة:

في هذه الأثناء، مفهوم الذات - ذات تمارس ضبط النفس، تزلج الإشباع، تنكف الشهوة الجنسية، تمتنع عن العدوان والسلوك الإجرامي - ذات تستطيع أن تصبح أكثر تكفاء وأن ترفع نفسها إلى ذرى الحياة بريباط حدثاتها عبر الدراسة، والتدريب، والالتزام، ورفض أن تستسلم في وجه المفاجأة الضخيمة - هذا المفهوم قديم الطرازنا هو رباط المضاء، بحق الله! للنجاح عبر مشروع، وثبات حقيقي يتزلق بعيداً. يسرب بعيداً... يتزلق بعيداً (41). ويسأل:

أين يترك ذلك ضبط النفس 3ين حقاً، إن يؤمن الناس أن هذه الذات الشيعية غير موجودة حتى، وتخييل الدماغ يشبها، مرة وإلى الأبد (42)

مفارقة في الإنكار الحديث للطبيعة البشرية هي أن محازبين في طرفين متقابل من الطيف السياسي، الذين لا يستطيعون احتمال رؤية شكل منهم الآخر، يمدون أنفسهم شرطهاء فرائش غرباء. تذكر صيف أن الموقعين ضد "السيوسيوولوجيا" ككتبتوا أن نظريات مثل نظريات ويلسون "قدمت منطلقاً مهماً من أجل... سياسة تحسين التنسل وراثياً الذي أدى إلى إنشاء غرف الغاز في ألمانيا النازية". في أيار عام 2001 قررت لجنة التربية في ولاية لويزيانا في مجلس النواب أن أدولف هتلر وأخيراً ف استغلوا الأراء العنصرية عند داروين التي أثرت عليهم لتبوير إبادة ملايين الأفراء الأشرع عرقياً عن سابق إصرار (43).

واعي القرار (الذي حُزم في النهاية)، استشهد في دفاعه بقشرة من غولد التي لم تكن المرة الأولى التي تم الاستشهاد بها في دعاية ترويج لقصة الخلق (44). على الرغم من أن غولد خصم لا يحكل لحركة قصة الخلق، إلا أنه كان كذلك خصماً لا يحكل لتكرار أن التطور يستطيع أن يفسر النقل والأخلاقية، وأن ذلك هو مضمون التاروونية التي يخافها أتباع قصة الخلق كثيراً أكثر من سواها.

يتفق اليمين والمساار أيضاً على أن العلوم الجديدة للطبيعة البشرية تهدد مفهوم المسؤولية الأخلاقية. فمتدما اقترح ويلسن أن البشر، كلما في تدييات أخرى كالتيرة - الذكور لديهم رغبة أكبر بشريكات جنسية أكثر من الإناث، اتهمه روز أنه يقول:

لا تلم شركائك على النوم حول السيدات، إنه ليس ذنبهن إذا تكن مبرمجات وراثياً(45). فإرن ذلك مع ما قاله توم وولف:

الذكور في الجنس البشري مبرمج وراثياً لأن يكون متعدد الزوجات، ذلك يعني أنه ليس مطلقاً لشريكته الشرعية. وأي فإرن ذكور للمجلة يحصل على الصورة بسرعة مكافئة لثلاثة ملايين سنة من التطور جعلتني أقوم به(46). فإلى جانب لدينا غولد يطرح السؤال البليغ:

لماذا تريد أن تنهرب من المسؤولية عن عفتنا وعن جنسيتنا وتلقي اللوم على الوراثة(47) وعلى الجانب الآخر لدينا فرضون الذي يثير النقطة نفسها:

"الاعتقاد العلمي 'سوف... يظهر أنه متأصل من أي مفهوم للإرادة الحرة، والمسؤولية الشخصية أو من الأخلاقية العامة(48).

بالنسبة لروز وغولد، الشبح في الآلة هو مجرد نحن التي بها نستطيع أن نبتني التاريخ وتغير العالم حسب الإرادة، بالنسبة لكاس وولف، وفيرسون، إنها الروح التي تقوم بالأحكام الأخلاقية وفقاً لأفاهيم دينية. لكن جميعهم يرون علم الوراثة، وعلم الأعصاب، والتطور كتهديدات لهذا الجوهر IOCUS الاختيار الحر الذي لا يمكن تخفيضه.



أين يترك هذا الحياة الفكرية في يومنا هذا؟ من المحتمل أن تزداد عداوة اليمين لديني تجاه علوم الطبيعة البشرية، وسيكون تأثير اليمين ملموساً أكثر في مطالبة السامسين المباشرة بدلاً من إحدات تثيرات في المناخ الثقافي. إن أية اعتدات يقوم بها

اليمين المتدين على التبار الرئيس في الحياة الثقافية يستطون محدودة من خلال ممارستهم لنظرية النشوء بحد ذاتها. التصميم الذكي، سواء كان معروفاً بأسماء حركة الخلق أو بنائق لفظي، إنكار نظرية الاصطفاء الطبيعي سوف ينهار تحت عسك صكعية الأولة بأن النظرية صحيحة. ومقدار الضرر الإضافي الذي سوف يلحقه الإنكار بالتربية العلمية والبحث العلمي الحيوي قبل أن يفرق، فإن هذا الضرر غير معروف.

التماء من اليسار الراديكالي، من ناحية ثانية - قد ترك علامة جوهرية على الحياة الثقافية المعاصرة، لأن ما يسمى علماء راديكاليين هم الآن المؤسسة الرسمية لقد قابلت العديد من علماء الاجتماع وعلماء المعرفة الذين يقولون بكلل فخر إنهم تعلموا بكل بيولوجياهم من غولد وليونتاين (49). يعمل البعض إلى ليونتاين على أن الحبر المصوم لعلم النشوء والوراثة، وفلاسفة بيولوجيا كثيرون أمضوا زمناً مكثراً عنده. مراجعة سافرة من قبل روز لكل كتاب جديد حول النشوء البشري أو علم الوراثة قد أصبح مظهراً راسخاً في الصحافة البريطانية. أما بالنسبة لغولد، فإن من المحتمل أن اسحاق آسيموف لم يكن يتوي المسخرية عندما كتب في تظهيره لكلاب أن "غولد لا يستطيع أن يفعل ما هو خطأ"، لكن ذلك بدقة هو موقف العديد من الصحفيين وعلماء الاجتماع مقالة حديثة في مجلة نيوبيورك كتبها الصحفي روبرت وايت أسمته التابع القاتل والضبيب الثور لأنه كان لديه الثور لينتقد غولد في منطق وحقائقه (50).

من ناحية، التقدير الذي ناله العلماء الراديكاليون قد تم كسبه. فينبض النظر عن إنجازاتهم العلمية فإن ليونتاين معطل بارع في قضايا علمية واجتماعية كثيرة. وقد كتب غولد مئات من المقالات الممتازة في التاريخ الطبيعي، وكتب روز كتاباً جيداً في علم أعصاب الناظكرة. لكنهم وضعا أنفسهم أيضاً وبكل ذكاء في المشهد المثالي يقول عالم البيولوجيا جون الكوك: "سئفني جي غولد بعفت العنف، وستنظم بصوت عال ضد التمييز على أساس الجنس، ويكره التازين، ويعد الإباداة الجماعية مريعة، فدون شك، إنه إلى جانب الملائكة. من يستطيع أن يجادل شخصاً كهذا؟" (51).

هذه الحصاة من الجدال سمحت للعلماء الراديكاليين بشن هجومات غير عادلة على آخرين ليسبحوا جزءاً من الحصة التقليدية.

يساوي كتاب كثيرون - اليوم - عرضياً علم الوراثة السلوكي مع علم نفس التنسل وراثياً، وكانها دراسة روابط السلوك الوراثة فكانت مثل إخبار الناس في

فرايراهم حول إنجاب ألقفال. ويساوي كثيرون علم نفس التطور مع الداروينية الاجتماعية، وكانها دراسة جنورنا التطورية فكانت تماماً تديراً لمكانة الفقراء. لا تأتي حالات الفوضى من الأميين علمياً فقط، بل قد نجدها في إصدارات مميزة مثل /الأمريكسي العلمي/ والتم/ (52). فيعد أن جبال ويلسون في التوافق الاستقرائي أن التقسيمات بين مهادين المعرفة البشرية قد أصبحت مهملة، ككتب المورخ تريفان تودورف منهجياً، كدي اقتراح لكتفاب ويلسون القادم. تحليل الداروينية الاجتماعية، والمبدأ الذي تبناه هنتر، ومن حيث الأساليب فإنه يختلف عن الموسيويولوجياً (53) عندما اكتمل مشروع الجينوم البشري في عام 2001، قام قاده بحملة تشهير طفوسية بالحمية الوراثية - الاعتقاد الذي لم يتناه أحد - الذي مفاده أن جميع الخصائص الشخصية هي ميرمية في سلسلتنا الوراثية (54).

علماء كثيرون حتى مقتنون تماماً مع راديكاليي الحركة البنائية الاجتماعية، لا لأنهم منشغلون في مطابريهم، ويحاجة إلى راصدين خارج نافذتهم مثلاً كانوا بحاجة إلى فتحة أخرى في الرأس فكما ينوه الأثنولوجي جون توبي وعالمة النفس ليدا كوسميدس أن الاعتقاد بأن البيولوجيا غير منفصل جوهرياً عن النظام الاجتماعي البشري. وهذا يعطي العلماء مسلكاً أمناً عبر حقل الألقام المسيس للحياة الأكاديمية العصرية (55). فكما سترى - وحتى اليوم - الناس الذين يتحدون الصفحة البيضاء، أو الهجسي النبيل مازالوا -أحياناً - يتم إسكاتهم من قبل المتظاهرين أو يشتمون مكثراً. إن هذه الهجومات المتفرقة تخلق جواً من الترهيب الذي يشوه الدراسة العلمية بمجملها.

بيد أن النخ الثقيل في يدي علامت تغير. أفكار عن الطبيعة البشرية - بينما ما تزال لينة لبعض الأكاديميين وبعض التمتعين، قد بدأ الناس يسمعون لها. لقد عبر العلماء والفنانون والدارسون في الإنسانيات، والمطربون القانونيون، والمفكرسون والناس العاديين، عن عطف لهذه الرؤى الجديدة حول العقل التي فكانت تخرج من العلوم المعرفة والبيولوجية. الحركة العلمية الراديكالية - على الرغم من كفل نجاحها البلاغي، إلا أنها أضحت أرضاً خراباً تجريبياً. 25 سنة من البيانات لم تكفل لطيفة مع توقفاها، فقصيلة الشمياتزي ليست حيوانات خضرية مسألة كما زعم مونتاغو، وكذلك هي إمكانية وراثية الذكاء غير القابل للتمييز عن الصفر، حاصل الذكاء تحويل العقل إلى محسوس غير مرتبط بالدماغ، الشخصية والسلوك الاجتماعي دون

أي أساس وراثي، هروق الجندر هي نتاج فقط لتوقعات ثقافية - نفسية، أو عبر العنائر القائلة مساو لعدد الجماعات المسألة (56).

في يومنا هذا، فكرتة توجيه البحث العلمي باستخدام واع لللسفة الماركسية أمر محرج تماماً، فكلمنا قال عالم نفس التطور مارتن دالي "بحث كتابك مله قسبة إرر /البيولوجيا الديالكتيكية/ عليها أن تتخذ طابعاً مادياً(57).

بالقابل، الموسيويولوجيا لم يكن شكلها تلباً به ساهلين *shillin* ويتضح أنه دين عابرة.

عنوان كتاب الكوك في عام 2001 /انتصار السوسيويولوجيا/ يروي القسا مكاملة في دراسة سلوك الحيوان لا يتحدث أحد عن السوسيويولوجيا، أو عن "لورنر الأثنية".

لأن الأفكار هي جزء ورسمة من العلم (58). في دراسة البشر هناك عوامل رئيسة من الخبرة البشرية: الجمال، الأمومة، القرابة، الأخلاق، التعاون، النزعة الجنسية والعنف - التي فيها سيكولوجيا التشوء يقدم النظرية المتسقة الوحيدة. وقد فلتت مناطق جديدة من البحث الأميركي (59). علم الوراثة السلوكي قد أحيا من جديد دراسة الشخصية وسوف يتسع مع استخدام المعرفة من مشروع الجينوم البشري 180 علم الأعصاب المعرفي لن يتراجع عن استخدام أدواته الجديدة في شكل ناحية من منام العقل والسلوك، من بينها النواحي المشحونة سياسياً وعاطفياً.

السؤال هو ليس ما إذا سوف يتم تفسير الطبيعة البشرية بشكل متزايد من خلال علوم العقل والدماغ، والجينات، والتطور، بل ماذا سوف تفعل بالمعرفة. ما هي الحقيقة المضامين لثنا العليا في المساواة والتقدم والمسؤولية والقيمة الشخصية: معارضو علوم الطبيعة البشرية من اليسار ومن اليمين هم مصيبون في شيء واحد: هذه أسئلة حيوية جوهرية. لكن ذلك ككل السبب لكي يتم التصدي لها ومواجهتها. إماة بخوف وتقوم بل بمقل هذا هو هدف الجزء التالي من هذا الكتاب.

القسم الثالث

طبيعة بشرية بوجه بشري

عندما لفت غاليليو انتباه محاسنكم التفتيش البيضاء إليه في عام 1633 ، وكان الكثير من القضاة على المحك أكثر من فضاهبا علم الفلك. يقول إن الأرض كانت تدور حول الشمس بدلاً من العكس، فإنه كان ينقض الحقيقة الحرفية في الكتاب المقدس، كالفقرة التي أصدر فيها يوشع أمره: "أيها الشمس قفي مكانك ساكنة". والشبه الأسوأ هو أنه كان يتحدى نظرية الترتيب الأخلاقي للكون.

هولفاً للنظرية - التي طورت في العصور الوسطى - كان جرم القمر يقسم الكون إلى كمال لا يتغير في السماوات، وانحطاط، وفساد تحت "ومن هنا أعلن سموتيل جونسون أنه لم يستطع أن يغير الطبيعة ما تحت القمرية". أجرام الكواكب الداخلية - الشمس، وكانت محيطة بالقمر، والكواكب الخارجية والنجوم الثابتة التي يدار ككل منها من قبل ملاك أعلى وتحيط بهذه جميعاً السماوات، بيت الله. معشوي ضمن عالم القمر - وبذلك أخفض قليلاً من الملائكة، كانت الأرواح البشرية، ومن ثم في ترتيب تنازلي الأجسام البشرية والحيوانات (الوحوش، الطيور، الأسماك، والحشرات) ثم النباتات والمعادن، والمناصر الجامدة، تسع طبقات من الشياطين، وأخيراً في مركز الأرض كان الشيطان في الجحيم. وبذلك كان الكون مرتباً في تراتبية سلسلة الخلق العظيمة.

كانت سلسلة الخلق مليئة بالمضامين الأخلاقية، وكان يُظن أن موقعنا يتبع في منتصف الكون عاكساً أهمية وجودنا وسلوكنا. عاش الناس حياتهم المناسبة (ملك، دوق، أو فلاح) وبعد الموت ترتفع أرواحهم إلى مكان أعلى، أو تنزل إلى مكان أخفض. كان على ككل واحد أن يضع باعتباره أن المستقر البشري كان مكاناً متوازناً في منخط الأشياء، وأن على الناس أن يسعوا لكي يتأوا لحة من الكمال السماوي. ففي عالم بدا دائماً يتربح على شفا الجاعة والهرورية، قدمت سلسلة الخلق عزاء في معرفة

أن طبيعة الأشياء كانت مرتبة. فإذا ما خرجت الكواكب عن مداراتها، فسوف تد
الغوضي، لأن كل شيء كان مرتبطاً بالنظام الكوني. وكما كتب الكسندر بوم
من سلسلة الطبيعة أي حلقة تسمى إليها، الماشرة أم الألف الماشرة، فإنها تكسر
السلسلة كذلك(1).

لم يقب عن ذهن غاليليو أي شيء من هذا بينما كان يثق على خلقته. كان يعرف
أنه لم يمكن باستطاعته أن يجادل على أرضية تجريبية أن التسميم بين السماوات غير
المتغيرة وأرض فاسدة قد تم إثبات زيفه بيقع الشمس، والنجوم والأقمار المتحركة عبر
المشتري. وكما جادل أيضاً أن المسائل الأخلاقية لنظرية المركزية الجيولوجية
geocentric كانت ملتزمة مثل مزاعمها الأمبريقية، وكانما قد اتضح زيف النظرية.
وأن ما من أحد سيكفون الأسوأ. هنا، الأنا الأخرى alter-ego لغاليليو في حوار بما ينظر
بنظامين عالمين رتيسين/بشمال ما هو الأمر العظيم جداً لدرجة أن يكون ثابتاً وغير
قابل للتغير!

من ناحيتي أعد الأرض نبيلة جداً، وبالتحديد، تلقى الإعجاب بسبب التبرك
المتوهمة، والتبدلات والأجبال... إلخ، التي تحدث فيها دون توقف. ولو لم تكن عرضاً
لأي تغيرات لكنا صحرَاء شاسعة من الرمال أو جيلاً من الشبّة Jasper، أو تكون
المياه قد تجمدت بعد طوفان، لكنا بقيت ككرة هائلة من الجليد لن ينمو عليها شيء
أو تغير أو تبدل. إذ ذلك، لكنا أعدنا كتلة عديمة الفائدة في الكون، خالية من
النشاط، وبكلمة واحدة: زائدة وغير ضرورية، وبالأساس غير موجودة. هذا هو
بالضبط هو الفارق بين حيوان حي وحيوان ميت، وأقول الشيء ذاته عن القمر.
والمشتري وعن جميع الكواكب الأخرى.

فالذين يجدون كثيراً عدم إمكانية حدوث الفساد، وعدم إمكانية التغير...
قد تم تخفيضهم للتحدث بهذه الطريقة، أعتقد، من رغبتهم الكبيرة لكي يستمروا
في العيش، ومن الرعب الذي لديهم من الموت. إنهم لا يفكرون أن إذا كان النار
خالدتين، فلما كانوا هم أنفسهم جاؤوا إلى العالم. بشر كهؤلاء يستحقون أن يواجهوا
راس ميدوسا الذي سوف يحولهم إلى تماثيل من الشبّة أو الألماس، وبذلك يجعلهم أكثر
مما هم عليه (2)

في أماننا هذه، إننا نرى الأشياء بالطريقة التي يراها غاليليو فيها. يصعب علينا أن نتخيل لماذا ترتيب الأبعاد الثلاثة لصخرة وغاز في الفضاء لا بد أن يكون له علاقة مع ما هو صحيح وخاطئ أو مع العنى والغاية من حياتنا. لقد تمت معايرة المفاهيم الأخلاقية في عصر غاليليو مع الحقائق الفلكية، ليس فقط لأن عليها أن تحني رأسها للواقع بل لأن فكرتها أن الأخلاق لها علاقة بسلسلة الوجود العظيمة فكانت وأهية للبدء بها.

أما الآن، فإنني أظن أننا نعيش عبر مرحلة انتقالية معاكسة. الشريعة البيضاء هي سلسلة الخلق العظيمة: اعتقاد بثناء الناس على نطاق واسع كمبرر منطقي للأخلاقية ومغزى الحياة وذلك تحت هجوم من علوم اليوم، وكما كان الأمر في العصر الذي تلا عصر غاليليو، فإن مفاهيمنا الأخلاقية سوف تُعاير وفقاً للحقائق البيولوجية. ليس لأن الحقائق هي حقائق بل لأن أوراق الاعتماد الأخلاقية للصفحة الخالية هي زائفة فقط.

هذا القسم من الكتاب سوف يبين لماذا التصور المجدد للمغزى والأخلاقية سوف يبقى بعد زوال الصفحة الخالية. إنني لا اقترح فلسفة حيائية جديدة مثلما يفعل القائد الروحي لحركة جديدة. هالنقاشات التي سوف أوردتها متوفرة منذ قرون، وقد تم تطويرها على أيدي مفكرين عظام. هدفاً هو أن أضعها في مكان واحد، وأربطها بالتحديات الأخلاقية الظاهرة من علوم الطبيعة البشرية، لكي تلعب دور مذكرة لماذا إن تؤدي العلوم إلى كسوف نيتشوي لجميع القيم.

بالإمكان تقسيم القلق حول الطبيعة البشرية إلى أربعة مخاوف:

- إذا كان الناس ولادياً مختلفين، سيكون الاضطهاد والتمييز مبررين.
- إذا كان الناس ولادياً غير أخلاقيين، ستكون الأموال في تحمين الشرط البشري بلا جدوى.
- إذا كان الناس ولادياً نتاج البيولوجيا، ستكون الإرادة الحر تأسطورة، ولن يكون باستطاعتنا أن نُعدُ الناس مسؤولين عن أفعالهم.
- إذا كان الناس نتاج البيولوجيا، فلن يكون للحياة معنى وهدف أسمى.

سأخصص فصلاً لكل واحد من هذه المخاوف. في البداية سأشرح أساس الخوف: الذي مزاعمه حول الطبيعة البشرية هي على الملء، ولماذا يُظن أنه ينطوي على معاني لغادرة.

ثم سأبين أن التطق خاطرٌ لا ككل حالة، والمضامين - بكل بساطة - لا تتبع التطق لكنني سأمضي إلى أبعد من ذلك، ليست قضية أن المزاем حول الطبيعة البشرية أقل خطراً مما يعتقد أتاس كثيرون. بل لأن إنكار الطبيعة البشرية قد يكون أكثر خطراً مما يعتقد الناس وهذا يلزمي بأن أتحرى المزاем المتعلقة بالطبيد البشرية بكل موضوعية، ودون وضع إبهام أخلاقي على أي من جانبي كفة الميزان وأن أبين كيف نستطيع أن نعيش مع المزاем إذا ما التضح أنها صحيحة.



الفصل الثامن

الخوف من عدم المساواة

الدعم الأخلاقي الأكبر للاعتقاد بالصفحة الخالية يأتي من حفيظة رياضية بسيطة: «الصفحة الصفراء».

وهذا يسمح للصفحة الخالية أن تلعب دور كفيول لمساواة سياسية. صفحة خالية هي صفحة خالية، لذلك إذا كنا جميعاً صنفاح بيضاء خالية فإن المحاضمة العقلية تقتضي أننا يجب أن نكون جميعاً متساوين لكن إذا كانت صفحة مولود جديد ليست خالية، الأطفال قد يكون لديهم أشياء متباينة منقوشة على صفحاتهم، فالأفراد، والجنسان، والطيقات، والأعراق قد تختلف ولديها في المواهب والقدرات، وفي الالتمامات والبول. ويُعتقد أن ذلك قد يؤدي إلى ثلاثة شروق:

الأول: هو الانحياز. فإذا كانت جماعات من الناس مختلفة بيولوجياً، فقد يكون من البير أن نميز ضد الأفراد في جماعات ما.

الثاني: داروينية اجتماعية. إذا كانت الفروقات بين جماعات في مواقفهم في الحياة، سواء في دخلهم، مصفاتهم، ومعدل الجريمة فيما بينهم تأتي من مصفواتهم الفطرية، فلا يمكن توجيه اللوم إلى فروقات تمايزهم. لأن ذلك يسهل لوم الضحية والناسح تجاه عدم المساواة.

الثالث: هو علم تحسين النسل. إن يختلف الناس بيولوجياً في أشكال قدرها أو لاجبها الآخرون، فمحاولو تحسين المجتمع سوف تدعوهم إلى التدخل بيولوجياً من خلال التشجيع أو إحباط قرارات الناس على إنجاب أطفال، وذلك باتخاذ القرار عنهم، أو بقتل الأطفال بشكل مباشر.

لقد نفذ التازيون الحل الأخير. لأنهم اعتقدوا أن اليهود جماعات إثنية أخرى في مرتبة متدنية بيولوجياً. فالخوف من النتائج المرعبة التي قد تنجم عن اكتشاف فروقات ولادية دفعت العديد من المثقفين إلى الإصرار أن فروقات كهذه غير موجودة - بل حتى

ان الطبيعة البشرية غير موجودة لأنها إذا ما وجدت فإن فروقاً ولاديه ستكون مصطنع
بعد أن يتم إرساء هذا المسار من المحاكمة العقلية أمل أن يتم إعطاء الجوارح
الإنذار فوراً. يجب ألا نسلّم بأن أي اكتشاف منطور يتعلق بالبشر أن يكون له
مضامين مرعبة كهيئته فالشكيلة ليست في إمكانية أن الناس قد يختلفون عن
بعضهم، فهذه مسألة حقيقية يمكن أن تحدث بطريقة أو بأخرى. إنما المشكيلة هي
بمسار المحاكمة العقلية التي تقول – إذا ما اتضح أن الناس مختلفون – إذن التمييز
المرقي، الاضطهاد أو الإبادة الجماعية ستكون أمراً حسناً في النهاية. إن فيما أسس
مكالسواو: وحقوق الإنسان يجب ألا تبقى رهينة لتخمين فعلي حول صفحات خالية
يتم دحضها غداً. في هذا الفصل سوف نرى كيف أن بالإمكان إرساء هذه القيم على
أساسات أكثر أمناً.



ما هي نوعية الفروقات الموجودة لتفلق منها؟ فالفصول التالية حول الجندر
والأطفال سوف تراجع الدليل الراهن على الفروقات بين الجنسين والأفراد إلى جانب
مضامين هذه الفروقات وعدم مضامينها non-implications. الهدف من هذا الجزء، من
الفصل أكثر عمومية: أن نحدد أنواع الفروقات التي استطاع البحث التوصل إليها عبر
فترة طويلة، بناء على فهمنا للشعوب البشري وعلم الوراثة، لكي ترسي القضايا
الأخلاقية التي تثيرها هذه الفروقات.

هذا الكتاب – أساساً – هو عن الطبيعة البشرية: هبة قدرات معرفية وعاطفية
عامة بين الأفراد الأصحاء من أفراد الإنسان العاقل. ككتب صموئيل جونسون "نحن -
جميعاً – ندفننا الدوافع ذاتها، ونُخدع بالمفالمطات ذاتها، وبيحبنا الأمل جميعاً، وبيحبنا
الخطر، وواقفون في شرك الرغبة، وتنفوننا الملذات"(1). الأدلة الكثيرة على أننا نتشارك
في طبيعة بشرية لا نعتي أن الفروقات بين الأفراد، والأعراق، أو الجنسين هي أيضاً في
طبيعتنا. فربما كان ككونفوشيوس محقاً عندما كتب "طباع البشر متشابهة، لكن
عاداتهم هي التي تفرق فيما بينهم"(2).

تخبرنا البيولوجيا الحديثة أن القوى التي تجعل الناس متشابهين ليست هي القوى
تقسما التي تجعل الناس مختلفين (3). حتى أنها تدرس من قبل علماء مختلفين: فعلماء
تقس التطور يدرسون أوجه الشبه، بينما يدرس علماء الوراثة السلوكية الفروقات بين

الأفراد - فالاصطفاء الطبيعي يعمل على خلق التجانس بين نوع في معيار ذي تصميم إجمالي من خلال تكثيف المورثات الفعالة - فاللورثات التي تبني أعضاء تقوم بوظيفتها جيداً ، وإبعاد المورثات غير الفعالة - وعندما يصل الأمر إلى تفسير ما الذي يجعلنا نوافق ، فإننا بذلك نطوّر ذات ريش - فنكفأ أن لنا جميعاً الأعضاء نفسها والمادة ذاتها (عيتان ، مكيد ، وقلب مكوّن من أربع حجرات) ، لدينا كذلك الأعضاء المتقلبة ذاتها ، وهذا شديد الوضوح في اللغة حين يكون شكل طفل سليم عصبياً مزوّداً لاكتساب أي لغة بشرية ، ويصح الأمر كذلك بالنسبة للأجزاء الأخرى من العقل أيضاً . لكن نبيذ الصنفة البيضاء الخالية قد سلط مزيداً من الضوء على وحدة الجنس البشري بيولوجياً ، أكثر مما سلط الضوء على أي فروقات (4).

إننا جميعاً متشابهون كثيراً - لكننا - بطبيعة الحال - لسنا كائنات مستنسخة clones ، شكل شخص فريد وراثياً ، إلا في حالة التوائم المتماثلة ، لأن التحولات العشوائية تتسرب إلى السلسلة الوراثية وتأخذ وقتاً مكثيفاً يتم استئصالها ، وهي تُجرّف - سواءً - في تشكّيلات جديدة عندما يتوالد الأفراد جنسياً . يعمل الاصطفاء الطبيعي إلى الحفاظ على درجة ما من الاختلاف الوراثي عند المستوى الجهري في شكل تباينات صغيرة عشوائية بين البيوتينات . ذلك التباين يعبث في مدمجات أفعال الجزيئية للعضوية ، ويبقى أحفادها سابقة خطوة واحدة على الكائنات gemes الجهرية التي تطوّر باستمرار لتكسر تلك الأفعال .

جميع الأجناس فيها قابلة لتبادل جيني ، لكن الإنسان المائل هو من بين الأجناس الأقل قابلية للتباين . ولذا السبب بسمينا علماء الوراثة نوعاً صغيراً وتبدو هذه التسمية مثل مزحة سيئة إذا ما علمنا أننا قد أطلقنا الكوكب مثل صراصير ، ما يقصده الطعام هو أن ضعية التباين الوراثي الوجود بين البشر هو ما يتوقّعه علماء البيولوجيا في نوع عدد أفراد أقل (5) ، هناك المزيد من الفروقات الوراثية وسط فصيلة الشمبانزي - مثلاً - أكثر من الفروقات بين البشر ، مع أن تعدادنا أكثر منها ، السبب هو أن أسلافنا مروا عبر عنق زجاجة في تاريخ تطوّرنا (أقل من مائة ألف سنة مضت) وتمت غريبتهم إلى عدد صغير من الأفراد مع مقدار ضئيل مقابل من التباين الوراثي هالتنوع بشي وارثه ، ثم مر بالتفجار سكاني بعد اكتشاف الزراعة قبل نحو عشرة آلاف سنة مضت ، لقد ولّد ذلك الانفجار نسخاً كثيرة من المورثات التي كانت موجودة عندما كنّا قليلي العدد إذ لم يكن هناك وقت مكثيف لجمع نسخ جديدة كثيرة من المورثات .

ظهرت الفروقات بين الأعراق عند نشاط مختلفة بعد عشق الزجاجة لضر
الفروقات في الجلد والشعر شديدة الوضوح عندما ننظر إلى الناس من أعراق أخرى إما
هي في حقيقة الأمر حيلة تم لعبها على مرهقتها الحديثة. فالفروقات الجذرية هي - إن
حد كبير - تصيقات مع المناخ سكان صباغ الجلد مظلة شمسية لسكان خط
الاستواء، وطيات الأجناس كانت نظارات واقية لسكان منطقة التاندر. فاجرز
الجسم التي تواجه العوامل، هي أيضاً الأجزاء التي تواجه عيون الآخرين الذين خضعهم
الاعتقاد بأن فروقا جذرية تجري عميقاً أكثر مما هي حقاً (6). لتناقض مع التصهد
للمناخات المحلية التي تجعل الجماعات المحلية مختلفة في الجلد هو قوة تطور تميز
جماعات متجاورة متماثلة داخلياً. تستطيع مورثات نادرة أن تقدم المناعة من أمراض
وبائية، لذلك يتم امتصاصها في جماعة واحدة من جماعة مجاورة مثلما تمتص اللقاح
الحبر، حتى وإن يتزامن أفراد من مجموعة مع أفراد من مجموعة أخرى بشكل غير
متكافؤ (7). هذا هو السبب الذي يجعل اليهود وراثياً مشابهيين لجيرانهم غير اليهود في
جميع أنحاء العالم، مع أنهم يبدون ميلاً للتزاوج فيما بينهم. وانتقال صنفير - قصة -
اغتصاب من أحد الأعمام في كل جبل قد يكون تكافئاً لتشويش الحدود الوراثية عبر
الزمن (8).

إذا ما أخذنا شكل هذه العمليات بعين الاعتبار، فإننا نحصل على الصورة التالية:
نوعياً الناس هم الشيء ذاته، لكنهم قد يختلفون كميّاً. الفروقات الكمية صغيرة في
شروط بيولوجية، وموجودة إلى حد كبير بين الأعضاء القربية في جماعة إثنية إن
عرق، أكثر من وجودها بين جماعات أو أعراق إثنية. هذه الاكتشافات مؤسدة إن
أيّ إيديولوجيا عرقية تقول إن أفراد جماعة إثنية هم متشابهون، أو إن جماعة إثنية
تختلف من حيث الأساس عن جماعة أخرى، مبنية على افتراضات زائفة فيما ينظر
بيولوجياتنا.

لكن البيولوجيا لا تدعنا نغفل بعيداً عن الشجب hook شكلياً. فالأفراد ليسوا
متطابقين وراثياً، ومن غير المحتمل أن تؤثر الفروقات على شكل جزء من الجسم عما
الدماغ فعله الرغم من أن الفروقات الوراثية بين الأعراق والجماعة الإثنية هي أصغر
بشكل كبير مما هي بين الأفراد، فإنها ليست غير موجودة (كعكس سنرى في مقدرتها على
إظهار فروقات فيزيائية وقابليات مختلفة تجاه أمراض وراثية مثل Tay-Sachs قدره 10
في الخلية المتجلي). في أيامنا هذه، من الشائع القول إن أعراقاً لا توجد لكن هي

محض تركيبيات اجتماعية. على الرغم من أن ذلك صحيح عن بيوت الحمام البيروقراطي مثل الملون 'Hispanic' و'آسيوي'. وباسيفك أنستدر'. هذه مبالغة عندما يتعلق الأمر بفروقات بشرية عموماً. عالم الأنثروبولوجيا البيولوجية هلستت ساريش zaret يقول: إن عرفاً ما هو فقط أسرة كبيرة جداً تربت على شكل جماعات. وبذلك قد يكون لبعض الفروقات العرقية درجة من واقع بيولوجي. مع أنها ليست حدوداً دقيقة بين مجالات ثابتة. فبعد أن تطور البشر من جماعة واحدة من المؤسسين فهم جميعاً مرتبطون. لكن الأوروبين بما أنهم ولدوا لدى أوروبين آخرين فإنهم أكثر ارتباطاً بأوروبين آخرين من ارتباطهم بالأفارقة أو الآسيويين. والمعكس بالمعكس لقد منعت الصحاري والمحيطات وسلاسل الجبال الناس من اختيار شريكاتهم في الماضي. لذلك نسمي الأسر الكبيرة المستولدة أعراقاً. وما تزال مرثية. شكل منها ذو توزيع مختلف نوعاً ما في تكرارات المورث. على المستوى التنظري قد تؤثر بعض المورثات المتباينة على الشخصية أو الذكاء (مع أن فروقات كهذه سوف تتلحق - على الأكثر - على الحدود المتوسطة، مع دخال شاسع بين أفراد الجماعة). هذا لا يعني القول إن الفروقات الوراثية متوقفة أو لدينا دليل عليها، بل هي ممكنة بيولوجياً فقط.

وجهة نظري الخاصة هي: أن في حالة الفرق العرقي الأكثر نقاشاً: فجوة الذكاء بين الأسود والأبيض في اختبارات الذكاء، فإن الدليل الرامن لا يستدعي تفسيراً وراثياً. لقد وثق توماس سويل sowell الفروقات الإثنية في اختبارات الذكاء. وكانت هي القاعدة وليست الاستثناء في أغلب القرن العشرين وفي أرجاء العالم (9). أفراد من جماعات أقلية كانوا خارج التيار الرئيس الثقافي بشكل عام. وكانت نتائج اختبار الذكاء متوسطة، وأدنى مما هي لدى الأغلبية، من ضمنهم مهاجرون إلى الولايات المتحدة من جنوب وشرق أوروبا، أطفال سكان الجبال البيض في الولايات المتحدة، والأطفال الذين سكنوا على قوارب قناة في بريطانيا والأطفال الذين يتكلمون اللغة الغالية Gaelic في Hebrides. وكانت الفروقات كبيرة مثل الفجوة الراهنة بين السود والبيض. لكننا اختلفت خلال أجيال قليلة. لأسباب عدة تجربة الأمريكيين الأفارقة في الولايات المتحدة في فترة العبودية والفصل المنصري ليست معادلة لتجارب المهاجرين أو التمزلين في الريف، وقد يستغرق انتقالم إلى التيار الرئيس بنماجه الثقافية فترة لطول(10).

زد على ذلك هناك الجنسان ، الفروقات ليست على شاكلته الفروقات بين جنسنا
إثنية وأعراق أي فروقات فيها تكون ناتوية بيولوجياً وغير واضحة. فليس الأقل يعتبر
الجنسان بطريقتنا واحدة هي رئيسة ومنهجية: إنهم يملكون أعضاء لتكامل مطلقا
وبناء على أسباب نظورية قد يتوقع المرء أن يختلف الرجال والنساء نوعاً ما في الجهاز
العصبيون اللذين يتحكمان بكونية استخدامهما لتبنيك العضويين: في حياتهم
الجنسية، وغراثرهما الأبوية، وعلاقتهم الحميمية. وبالتطوق ذاته، يتوقع المرء إلا
يختلفا كثيراً في الأجهزة العصبية التي تتعامل مع التحديات التي تواجهها كلا
الجنسين، مثل تحديات الذكاء العام (كما سنرى في الفصل بعنوان الجنس).

هل يتضح أن الاكتشافات البيولوجية تُسوّغ التمييزية والتمييز على أسس
الجنس؟ كلا. الحالة ضد التعصب الأعص، وليس زعماً حقيقياً أن البشر لا يعبر
التمييز بينهم بيولوجياً. إنه موقف أخلاقي يدين التحكم على فرد وفق السن
المتوسطة لدى جماعات محددة ينسب الفرد إليها، فالجماعات المستتيرة تختار
تجاهل العرق والجنس والأثنية في مجالات العمل، والترقية، والمرتب، والقبول في
المدارس، ونظام العدالة الجنائي، لأن البديل هو فكره أخلاقياً. فالتمييز بين البشر
على أساس العرق أو الجنس أو الأثنية سيكون غير عادل، ويمثابة معاقبتهم على سناد
ليس لهم أي سيطرة عليها. وهذا سيؤدي إلى تأييد مظالم الماضي التي تم استنبه
واضطهاد الأميركيين الأفارقة، والنساء، وجماعات أخرى بناء على ذلك إنه يعزل
الجنس إلى أفرقاء أعداء، وقد يتصاعد الأمر ليرتفع درجة اضطهاد مرعب.

إن فهم الطبيعة البشرية هو السبب الذي نعارضه، بعيداً عن كونه يقضي أن
التمييز، فهنا يكمن التمييز بين التباين الولادي والمبادئ العامة النظرية، الذي يك
دوراً حاسماً. بصرف النظر عن مستوى الذكاء أو القوة الجسدية، أو أي خاصية أخرى
قد تميز، بالإمكان افتراض أن جميع البشر ذوو خصائص مشتركة فيما بينهم قد
من أحد بره أن يكون مستعبداً، ولا أن يتعرض للذل، أو أن يعامل معاملة غير ملائمة
- وفقاً لخصائص لا يستطيع المرء التحكم بها.

الاشتمزاز الذي تشعر به تجاه التمييز والعبودية يأتي من الافتتاح بأن درجة تمايز الناس إنما تقوم على خصائص. غير أنهم لا يتقانون بناء على هذه الخصائص. تتناقض هذه الفئاعة مع الاعتقاد التقدمي أن ليس لدى الناس اهتمامات فطرية يعني أنهم محكوم عليهم أن يستمتعوا بالعبودية أو التحقير.

فكرة أن المساواة السياسية هي موقف أخلاقي وليست فرضية إمبريقية، قد تم التعبير عنها من قبل أبرز الداعين عن المساواة في التاريخ. لقد ورد في إعلان الاستقلال نحن نعتقد أن هذه الحقائق جلية بذاتها، أن جميع البشر يولدون متساوين. لقد أوضح توماس جيفرسون أنه كان يشير إلى مساواة في الحقوق وليس إلى مساواة بيولوجية. فطس سبيل المثال - في رسالة أرسلها إلى جون آدمز في عام 1813 - كتب: أتفق معك إن هناك أرسقراطية طبيعية بين البشر. الأسس لهذه الفضيقة والواهب... لأن التجربة تثبت أن اشكفال المساواة الجسدية والأخلاقية للبشر، سواء خيراً أم شراً، هي قابلة للتقل في درجة محددة من الأب إلى الابن⁽¹¹⁾. (لكن الإعلان قد طبق أصلاً على البيض فقط، وأن جيفرسون كان بعيداً عن أن يكون من أنصار المساواة في تسيير حياته الخاصة، وهذا لا يغير في النقاش شيئاً. لقد دافع جيفرسون عن المساواة السياسية بين البيض - التي شكلت فكرة جديدة في عصره، فكما أنه أقر بوجود فروقات ولادية بين البيض فكما اعتقد أبراهام لينكولن أن الموقف على الإعلان لم يظكونوا يريدون القول أن الجميع متساوون في اللون والحجم والعقل، والتطور الأخلاقي أو القدرة الاجتماعية لكن فقط فيما يتعلق بحقوق محددة غير قابلة للاستناب⁽¹²⁾).

إن بعضاً من أوائل المفكرين المعاصرين تأثروا فيما يتعلق بالبيولوجيا والطبيعة البشرية قد رسموا الفارق نفسه. أرست ماثيو أحد مؤسسي نظرية النشوء الحديثة استشراف أربعة عقود تقريباً من النقاش عندما كتب في عام 1963:

المساواة، على الرغم من عدم وجود هوية واضحة لها، هي مفهوم معقد نوعاً ما، ويتطلب معالجة أخلاقية ويبدو أن أفراداً كثرين غير قادرين عليها. إنهم إما ينظرون إيمكانية التباين البشري ويساوون المساواة البوية، أو يزعمون أن النوع البشري استثنائي في العالم العضوي لأن الشخصيات الوراثية تحكمها المورثات وجميع الخصائص الأخرى العقلية أو الشخصية لأنها خاضعة للشرطية conditioning أو لعوامل ليست وراثية. يتجاهل مؤلفون كهؤلاء نتائج دراسات التوائم والتحليل الوراثي

للخصائص غير المورفولوجية في الحيوانات. إن أيديولوجيا قائمة على مقدمات خاطئة تؤدي إلى مفارقات فقط. ونصرتها للمساواة البشرية مبنية على زعم البوية. فعلايات إثبات أن البوية لا توجد ، فإن دعم المساواة سوف يضيع أيضاً(13).

لقد طرح نسوم تشومسكي المفكرة ذاتها في مقالة بعنوان أعلم البشر والإيديولوجيا /مع أنه لا يتفق مع نقاش هيرنشتاين حول اختبار الذكاء الذي عرض في الفصل السادس). لقد أنكر التهمة المعروفة بأن هيرنشتاين كان عنصرياً إزاء نفسه عن زملاء علماء عنصريين كانوا يشجبون الحقائق بدعوى أنها خطيرة:

العلاقة بين العرق واختبارات الذكاء (إذا ما تم إثبات وجودها) لا تستدعي تدب اجتماعية إلا في مجتمع عنصري، شكل فرد فيه مخصص لجمال عنصري، ويتم التفرغ معه لا بصفته فرداً له حقوق بل كتمثيل لهذا المجال ينظر هيرنشتاين رابطة منطق بين الطول واختبار الذكاء، فما هي الأهمية الاجتماعية لذلك ؟ لا أهمية اجتماعية له لأن مجتمعنا لا يعانئ من تمييز في الطول. إننا لا نخصص شكل فرد بالغ بعدد محدد طول أقل من ستة أقدام أو طول أكثر من ستة أقدام عندما نسال ما نوع التلب الذي ينبغي أن يتلقاه أو أين يجب أن يعيش، أو ما العمل الذي عليه أن يؤديه. إنه مستر تماماً عن متوسط اختبار الذكاء عن مقدار طوله. في مجتمع غير عنصري لن يكن للمرق أهمية أكبر، فمتوسط اختبار الذكاء لدى الأفراد من خلفية عرقية محددة علاقة له بطرف لفرد محدد ككائن ما كان. إنني استغرب من أن مفسرين كثيرين يجدون إمكانية توريث الذكاء أمراً مزعجاً ربما كان الأمر كذلك هل سيكون مزعجاً أيضاً أن نكتشف أن الطول النسبي، أو موهبة موسيقية، أو مقدرة ركفر مائة باردة في سياق هي محددة وراثياً؟ لماذا يتوجب أن يكون لدى المرء تصورات سبة بشكل أو بأخر تجاه هذه المسائل، وكيف ترتبط الإجابات عنها - مهما تكن هذه الإجابات - إما بقضايا علمية جادة (في الحالة الراهنة معرفتنا) أو بممارسة اجتماعية في مجتمع لائق(14).

قد لا يعاد التأكيد لبعض القراء بهذا الموقف المتطرس فإذا كانت جميع الجماعات الإنشئة، وكلا الجنسين ممثلان في جميع الماهب، إذن سيكون التمييز العرقي يهزم نفسه بكل بساطة، وسوف يتخلى الناس عنه حالما نعرف الحقائق التقفا به. لكن إذا لم يكن الناس متماثلين سيكون من المسوغ أخذ هذه التفرقة

بالحسبان في نهاية المطاف، ووفقاً لنظرية Byes، فإن من يتخذ القرار الذي يحتاج للقيام بتوقع (مثل ما إذا سينجح الشخص في مهنة) يجب أن يندرج في الاحتمالية السابقة مثل المعدل الأساسي للنجاح بالنسبة للناس في تلك الجماعة. وإذا كانت الأبراق أو الجنس من مختلفين وسطياً، سيكفون التصنيف العرقي أو التغطية الجنسية gender سليمة، وسيكفون من المداخلة توقع بيانات حول العرق والجنس لئلا يتم استخدامها من أجل الانحياز لطرف دون الآخر. لذلك فإن سياسة معاملة الناس كمكافرات تبدو مثل ضربة وهدية نقل عليها أي أمل لتقليل التمييز العنصري.

إجابة فورية لهذه المضاروف هي أن الخطر يظهر. سواء كانت الفروقات بين الجماعات وراثية أم فروعاً بيئية في الأهل. المتوسط هو متوسط وصانع قرار خبير يجب أن ينتبه فقط إلى ماهيته وليس إلى ما الذي سببه.

زد على ذلك، حقيقة أن التمييز العنصري قد يكون عقلانياً اقتصادياً، عندها سيكفون خطيراً حقاً إذا ما انحازت سياساتنا إلى الكمال الاقتصادي الذي لا يرحم. بغض النظر عن جميع التكاليف الأخرى. لكن لدينا سياسات كثيرة تسمح لمبادئ أخلاقية أن تلقى كصفاء أخلاقية. فعلى سبيل المثال، بيع الصوت الانتخابي أمر ليس قانونياً، أو أن تباع أحد أعضائك، أو بيع أطفالك، حتى، فالاقتصادي يستطيع أن يجادل أن أي تبادل طوعي يترك ككلاً الفريقيين بحال أفضل. هذه القرارات تأتي بشكل طبيعي في الديمقراطية الحديثة، ونستطيع أن نختار السياسات العامة وإضافات خاصة لا تسمح بانحياز عرقي وجنسي gender (15).

الحرمان القانوني والأخلاقي ليس الطريقة الوحيدة لتقليل التمييز في مواجهة فروقات جماعية ممكنة. فكلما زادت المعلومات لدينا عن مؤهلات فرد، كلما يقل تأثير مستوى العرق أو الجنس في أي قرار جماعي يتعلق بذلك الشخص. العلاج الأفضل للتمييز إذن هو أكثر دقة وأكثر اختباراً شمولياً للقدرة العقلية، لأنه سوف يقدم معلومات كثيرة متوقعة حول فرد، لدرجة أن لا أحد يرغب بتصنيفه في عرق أو جنس (هذه - على أي حال - ففكرة ليس لها مستقبل سياسي). التمييز - بمعنى استخدام خاصية توقع إحصائي لمجموعة فردية لاتخاذ قرار حول الفرد - ليس لا أخلاقياً دائماً، أو على الأقل لا نامله دائماً على أنه لا أخلاقي للتنبؤ بسلوك شخص تماماً، فإننا بحاجة إلى آلة تصوير بأشعة إكس للروح فحتى توقع سلوك شخص بالأدوات التي لدينا مثل الاختبارات، والمقابلات، والتدقيق في الخلفيات، والتزكيات - يتطلب موارد

غير معدودة إذا أردنا استخدامها إلى الحد الأقصى، فالقرارات التي يجب أن نتخذ في وقت محدد، وبموارد محدودة، والتي لها تكاليف عالية لأنواع محددة من الأخطار. يجب أن تستخدم سمة مكافئة من أجل تقويم شخص ما، وذلك بالضرورة بشرط الشخص وفقاً إلى صورة نمطية.

التداخل بين جماعتين - في بعض الحالات - يكون قليلاً جداً لدرجة أن نشعر بالارتياح بالتمييز ضد إحدى الجماعتين بشكل مطلق، فعلى سبيل المثال، لا يميز أحد على إبقاء الشمبانزي خارج مدارسنا، مع أننا لو اختبرنا شكل شمبانزي على الكوكب فقد نجد واحداً يستطيع أن يتعلم، أن يقرأ ويكتب. إننا نطبق النمط النوعي بأن حيوانات الشمبانزي لا تستطيع أن تستفيد من تربية بشرية، ولدينا تصور بأن مفاجات العنبر على استثناء لا يرجح تكاليف فحص شكل واحد منها.

ففي ظروف أكثر واقعية علينا أن نقرر وفقاً لأساس شكل حالة تلو أخرى ما إذا بالإمكان تسويق التمييز. فإنكار حقوق القيادة والافتقار للمراهقين شكل من أشكال التمييز ضد المسن بالنسبة لمراهقين مسؤولين. لكننا لا نريد أن ندفع إلى التكاليف المالية لتطوير امتحان من أجل التضييق السيكولوجي أو التكاليف الأخلاقية لتصنيف الأخطاء مثل تهيئة المراهقين لسياراتهم بين الأشجار - شكل امرئ - تقريباً - برعيه الملف العرقي - إيقاف الدراجات النارية لأجل "القيادة تحت جنح الظلام" لكن بعد الهجوم الإرهابي الذي وقع (2001) على مركز التجارة العالمي والبنشافون، قال نمر نصف الأمريكيان الذين تم استئناهم أنهم لا يعارضون التصنيف الإثني - وتدفيق التفتيش للعرب المسافرين " (16). فهل فوائد إلقاء القبض على تاجر مارجوانا لا تزن أكثر من حيث الضرر الذي نتوقه تجاه سائتين سود أبرياء، لكن إيقاف خائف طائرة انتحاري وزنه أكثر من حيث الضرر الذي يقع على مسافرين عرب أبرياء، فتجلبلات الريح والكلفة تستخدم أيضاً - أحياناً - لتبرير الإنحيازات العرقية، بهتد ان فوائد أماكن العمل المختلطة عرقياً وفي المسكن الجامعي ذات وزن أكثر من تكاليف التمييز ضد البيض.

إمكانية أن الرجال والنساء ليسوا الشيء ذاته في جميع الجوانب تقدم أيضاً خيارات لصانعي السياسة، وتوظيف مصرف لرجل بدلاً من توظيف امرأة كمدبر ل يستحق الشجب بناء على ذريعة أنها قد تترك العمل بعد أن تتجب طفلاً. وهل يستع وجان التوظيف أن يستأجرا امرأة بدلاً من رجل كجدة لابتئهما لأن احتمال إساءة

لثقلتهما جنسياً احتمالاً أقل ؟ يعتقد معظم الناس أن العقاب على جريمة يجب أن يكون واحداً بغض النظر عن برئتك الجرمية. لكن معرفة العواطف الجنسية التعلية لكلا الجنسين تساعدنا ، فهل يجب أن نطبق العقوبة نفسها على رجل يغوي فتاة في السادسة عشرة ، والعقوبة نفسها على امرأة تغوي صبياً في السادسة عشرة من العمر ؟ هذه هي بعض القضايا التي تواجه الناس المرئيين للديمقراطية في اتخاذ قرار ما الذي ينبغي فعله تجاه التمييز. المفكرة ليست أن الفروقات الجماعية لا يمكن أن تستخدم أبداً كأساس للتمييز بل هي أننا ينبغي ألا نضطر لاستخدامها بتلك الطريقة ، وأحياناً نستطيع أن نقرر على أسس أخلاقية إنها يجب عدم استخدامها بتلك الطريقة.



الصفحة البيضاء – إن – ليست ضرورية لمحاربة العرقية والتمييز على أساس الجنس. وليست ضرورية لمنازلة الداروينية الاجتماعية – الاعتقاد بأن الأغنياء والفقراء يستحقون مصفاتهم ، وبذلك يجب التخلي عن أي مبدأ للعدالة الاقتصادية لصالح سياسات عدم التدخل المتطرفة.

بسبب خوف من الداروينية الاجتماعية ، فقد عوملت فكرة أن الطبقة لها علاقة بالوراثات مثل البولوتونيوم على أيدي مفكرين معاصرين . مع أنه يصعب أن نتخيل كيف يمكن ألا تكون صحيحة جزئياً. فقد أورد الفيلسوف روبرت نوزك nozick المثال الآتي: افترض أن مليون شخص يرغب بكل منهم بدفع عشرة دولارات لسماع بافاروتي وهو يغني ، وليسوا راغبين بأن يدفعوا عشرة دولارات لسمعونني أنا وأنا أغني. فمن ناحية وبسبب هروق وراثية بينما سيككون بافاروتي أغنى مني بعشرة ملايين دولار ، وسوف يعيش في مستوى اقتصادي تبعدني عنه مورثاتي ، حتى في مجتمع عادل بالكامل (17). إنها حقيقة عمياء أن جوائز أكبر سوف تذهب للناس الذين لديهم موهبة فطرية أكبر ، إذا كان أناس آخرون يريدون دفع المزيد من أجل سماع تلك المواهب الطريقة الوحيدة التي تمنع ذلك من الحدوث هي وضع الناس في صناديق عشوائية مغلقة ، وإذا تحكمت الدولة بجميع المعاملات الاقتصادية ، وإذا لم يكن هناك وجود لوهبة فطرية لأننا نحن صفحات بيضاء.

عند مذهب من المثقفين ، خاصة اليساريين ، ينكرون وجود شيء مثل موهبة فطرية خاصة الذكاء. كتاب ستيفن جي غولد 1981 الذي حقق أفضل المبيعات / The

Mismeasure of Man / قد كتب كفي يفضح تجريد الذكاء كحكيهان وحيد بوجه ضمن الدماغ، ككوميته كقرهم واحد لكل فرد، واستخدام هذه الأعداد لتسديد الناس في سلسلة قيمة واحدة. لنجد - بشكلك ثابت - أن الجماعات الضعيفة والمحرومة: عراق، طبقات و جنسين، هي أدنى فطرياً وتستحق مسكناتها (18) لند جدال الفيلسوف هالبري بوتنام أن مفهوم الذكاء هو جزء من نظرية اجتماعية نمر الطوية التي تقتصر على المجتمعات الرأسمالية.

فهي شكلك من التنظيم الاجتماعي الأقل تنافسية، بالإمكان أن تستبدل نظرية الضوية بنظرية مختلفة، نظرية ذات نزعة إلى المساواة. بإمكان هذه النظرية التزوير الناس العاديين يستطيعون أن يفعلوا ككل شيء هو في صالحهم ويفعلونه جيداً عندما تحفيزهم جيداً، وعندما يعملون جماعياً (19)، بكلمات أخرى، قد يصبح أي واحد من ريشتر هيمان أو نمر الغابة إذا ما تم تحفيزنا بشكلك كاف، وإذا ما عملنا جميعاً.

أجد الأمر سورياً حقاً أن أقرا أن الأكاديميين ينكرون وجود النكار في الأكاديميين ممسوسون بالذكاء. إتهم يناقشونه بلا نهاية في النظر في استمارات قبل الطلاب، وفي استجار الكلية، والمصادر التعليمي، وبخاصة عندما يناقشون بعضه بعضاً. فكما أن صانعي السياسة أو المواطنين لا يستطيعون تجاهل هذا المفهوم بنظر النظر عن سياساتهم، فمن يقول أن اختبارات الذكاء لا معنى لها، يستحضره بسرعة عندما تبدأ المناقشة لإعدام قائل متوسط ذكائه 64، فيزليون بذلك الطلاب الرصاصي الذي يخفض مستوى الذكاء بخمس نقاط أو المؤهلات الرئاسية لعون ديلبوروش، على أية حال ليس هناك دليل كاف على أن الذكاء خاصة ثابتة لدى فرد، بالإمكان ربطه بسمات دماغية (من بينها الحجم الكلي للدماغ، وكيفية التردد المرادية في التلافيف الأمامية، وسرعة النقل العصبي، وعملية نقل اللوكوز إلى نصفي الكرة المخية)، الذي هو جزئياً مورث بين الأفراد، وهناك - كما يتوقع أيضاً - بعض التباين في نتائج الحياة مثل الدخل والمكانة الاجتماعية (20).

لا يستدعي وجود المواهب الفطرية وجود داروينية اجتماعية. فالقلق الذي يجب على الفرد أن يوصله إلى الآخر مبني على مخالطين: الأولى ذهنية كلياً أو لا ذهنية نصيب غالباً - نقاشات المساني الاجتماعية لعلم الوراثة. والاحتمال أن الفروقات الفطرية مساهمة أحادية بالمكانة الاجتماعية لا يعني أنها المساهم الوحيد. فالعوامل المساهمة الأخرى تشمل الحظ الحضر، والثروة المورثة، والعرق، والانتهاز الطبقي وفرصة الحد

متخافتة (كعما في التعليم والعلاقات)، ورأس المال الثقافي والمعادن والقيم التي تروج للنجاح الاقتصادي. لا يعني الإفراط بأهمية الوهبة أن الانحياز والفرص غير المتساوية ليسا مهمين.

لكن ما هو أكثر أهمية حتى لو نستطيع المواهب المورثة أن تؤدي إلى نجاح اجتماعي - اقتصادي، فذلك لا يعني أن النجاح مستحق بمعنى أخلاقي. فالداروينية الاجتماعية قائمة على فرضية سينسر: أننا نستطيع أن ننظر إلى التطور لتكتشف ما هو صحيح - وما هو جيد بالإمكان أن ننسبه إلى أنه ناجح تطورياً. يمش هذا في خزي كعالة مرجعية إلى "المغالطة الطبيعية" أي الاعتقاد بأن ما يحدث في الطبيعة هو أمر جيد.

(لقد خلط سينسر نجاح الناس الاجتماعيين ثروتهم، سلطتهم ومكانتهم، بالنجاح التطوري، بعد أحفادهم القابلين للحياة). ذكر فيلسوف الأخلاق ج. ي. مور المغالطة الطبيعية في كتابه /مبادئ الأخلاق/ 1903، الكتاب الذي قتل علم الأخلاق عند سينسر (21). لقد طبق مور "مقولة هيوم": بصرف النظر عن الدرجة التي تبدو فيها منتقماً أن شيئاً ما هو صحيح، فلا يستتبع منطقياً أنه ينبغي أن يكون صحيحاً. لقد نوه مور إلى أن المغالطة أن نسال إذا كان هذا السلوك ناجحاً تطورياً أكثر، لكن هل هو جيد؟ إلا أن الحقيقة المجردة تقيد بأن السؤال ذو معنى، يوضح أن النجاح التطوري والظيرية ليسا الشيء ذاته.

هل نستطيع أسرو أن يصالح بين الفروقات البيولوجية مع مفهوم العدالة الاجتماعية؟ كعلا بدأ. ففي نظريته الشهيرة في العدالة يطلب منا الفيلسوف جو راولز Rawls أن نتخيل عقداً اجتماعياً رسمته قوى مهمشة بنفسها، يتفاوضون تحت غطاء الجهل وغير مدركين للمواهب أو المكانة التي سوف يثرونها عند الولادة - أشباح جاهلة بالآلات التي سوف تزعمهم. إنه يجادل قائلاً إن مجتمعاً عادلاً هو مجتمع فيه هذه الأرواح المحررة من الجسد سوف توافق أن تولد فيه، عارفة أنها لا بد أن تتعامل مع بد وراثية أو اجتماعية خسيمة (22). فإن توافق على أن هذا تصور معقول للعدالة، فإن الوكلاء سوف يصرون على شبكة سلامة اجتماعية عريضة، وإعادة توزيع للثروات، فإن باستطاعتك أن تثير السياسات الاجتماعية التوزيعية حتى إن تعتقد أن الفروقات في المكانة الاجتماعية هي وراثية مائة بالمائة. ستتكون السياسات مسألة عدالة وليس نتيجة لعدم إمكانية التمييز بين الأفراد.

إن وجود فروقات فطرية في القدرة تجعل تصور راولز عن العدالة الاجتماعية يبدو بشكل خاص، وذا علاقة دائمة. فإذا كنا صفحتا خالية، وإذا ما استأصل مجتمع من التمييز، بالإمكان القول إن الأفقر يستحق موقعه لأنه يجب أن يتم اختيار الفقر، للقيام بما هو أقل بمواهبهم المحدودة. لكن إن يختلف الناس في المواهب، فقد يصدر أنفسهم في فقر في مجتمع غير منحاز حتى لو استخدموا أقصى طاقاتهم لتلك الحد هي عدم عدالة. إن أحد أنصار راولز سيجادل ويجب أن تصحح وسيتم التفاوض عند إذا لم ندرك أن الناس يختلفون في قدراتهم.



لقد اقترح بعض الناس لي إن هذه النقاشات الطنائة هي مجرد خيال للعالم الخرف الذي نعيش فيه. هناك دليل على أن الناس مختلفون، لكن بما أن البيانات في العلم الاجتماعية ليست متكاملة أبداً، وبما أن نتيجة عدم المساواة قد تستخدم من أجل تقييد الأسماء من قبل المتصعبين أو أنصار الداروينية الاجتماعية، فهل يتوجب علينا أن ننظر ونشبه بفرضية باطله مفادها أن الناس هم متساويون؟ يعتقد البعض أنه حتى لو كنا متساويين من أن الناس يختلفون وراثياً، فإننا نريد إعلان أنهم متساويون. لأن ذلك لفر عرضة لسوء الاستخدام.

هذا النقاش مبني على المغالطة بأن الصفحة البيضاء لا تحتوي على شيء، سوى مضامين أخلاقية جيدة، ونظرية الطبيعة البشرية لا تحتوي شيئاً سوى الأشياء السيئة ففي حالة الفروقات البشرية - كلما في حالة المشتريكات البشرية - فإن الخاطئ سيبر في صلا الاتجاهين. فإذا ما قلنا أن أناساً في مواقع مختلفة أنهم مختلفون في قدرتهم الفطرية، فقد نتفاسى عن التمييز والفرص غير المتساوية في تعليقات داروين إذا كنا بؤس الفقراء ليس بسبب قوانين الطبيعة بل بمعارفنا الحديثة، فذنبنا كبير. لغير إذا أناس في مواقع مختلفة وقد طن خطأ أنهم متساويون، عندئذ قد نحسدهم فر المكافآت التي نالوها بجدارة، فقد نطبق سياسات قديمة لنردق المسامير الباقية فال الاقتصادي فريدريش هايك " إنه ليس صحيحاً فقط إن البشر مولودون متساوون لتعاملهم بالتساوي، النتيجة يجب أن تكون عدم مساواة في موقعهم الفعلي الطريقة الوحيدة لوضعهم في مشكلة متساوية ستكون أن نعاملهم بشكل مختلف المتساوية القانون، والمساواة المادية هما ليستا مختلفتين فقط بل في حالة صراع مع بعضهما (2)

لقد أبدى الفلاسفة أشعيا بيرلين، وكارل بوبر، وروبرت نوزيك افكاراً مماثلة.

معاملة غير ندية باسم المساواة قد تتخذ أشكالاً عديدة. فبعض الأشكال لها مدافعون عنها وآخرون ينتقمون من شأنها، مثل زيادة الضرائب على الأغنياء، ضريبة الثريات العالية، والقبول المدرسي وفقاً للسن بدلاً من القدرة، والمحصنة والمعاينة التي تتلحز إلى اعراق أو إلى مناطق محددة، ومحظورات ضد رعاية طبية خاصة، أو معاملات طوعية أخرى، لكن بعضها قد يكون خطراً. إذا ما تم الاعتقاد بأن الناس يداون متطابقين، بينما ينتهي بعضهم أغنى من آخرين، فقد يستتج المرابطون أن الأغنى لا بد أنهم أكثر جشعاً. وبينما يعيل التشخيص من موهبة إلى خطيئة، فإن العلاج قد يتحول من إعادة توزيع للثروة إلى انتقام. لقد ارتكبت الكثير من مجازر القرن العشرين باسم نزع المساواة، مستهدفة الناس الذين قد أخذ نجاحهم كدليل على ميولهم الجرمية. الكفولاك²⁴ هلالون برجوازيون قد استاصلهم لينين وستالين في الاتحاد السوفييتي. كما تعرض المدرسون والإقطاعيون السابقون للذل والتعذيب، بل وقتلوا أثناء الثورة الثقافية الروسية. كانوا يجبرون سكان المدن والمهنيين على العمل حتى الموت أو أن يمددوا في عهد الخمير الحمر في ككامبوديا (24). الأقليات المتلمعة وصاحبة المناوالات الذين ازدهرت أحوالهم في مناطقهم المثناة، مثل اليهود في شرفي إفريقيا وأوسينا Ibo و Oceania في نيجيريا، والأرمن في تركيا، والصينيين في أندونيسيا وماليزيا، واليهود في ككل مكان - تقريباً - قد طردوا من بيوتهم أو قتلوا في مذابح منظمة لأنهم كانوا يبدون ناجحين ومثريين وطميليين ومستقلين(25).

صفحة ليست بيضاء تمنى أن توازنأ بين الحرية والمساواة أمر فطري في جميع الأنظمة السياسية. بالإمكان تعريف الفلسفات السياسية الرئيسية بالكيفية التي تتعامل مع التوازن. هاليمين الدارويني لا يضع قيمة على المساواة، واليسار الشمولي لا يضع قيمة على الحرية. ويساريو واوتز يضعون ببعض الحرية من أجل المساواة واليمين التحرري يضعي ببعض المساواة من أجل الحرية. بينما قد لا يتفق العقلانيون حول التوازن الأفضل. من غير المقبول أن ندعي أنه ليس هناك توازن وذلك بدوره يعني أن أي اكتشاف لفروقات فطرية بين الأفراد ليست علماً ممنوعاً يجب كتمه بل معلومات قد ساعدت في اتخاذ قرار حول هذه التوازنات بطريقة ذكية وإنسانية.

بالإسكان الخلاص من شبح علم تحسين النسل وراثياً بشكل سهولة كلما جرد
لأشباح التمييز والداروينية الاجتماعية. من جديد، الحل هو تمييز الحقائق البيولوجية
عن القيم الإنسانية. فإذا كان الناس يختلفون وراثياً في الذكاء والشخصية، فهل
وسمنا أن نختار اصطناعياً أناساً أكثر ذكاءً ولطفاً هكذا ممكناً. على الرغم من
تفهدات علم الوراثة والتطور بجمال الأمر أكثر صعوبة مما يتخيله أنصار تحسين
النسل. التربية الانتقائية متجهة مباشرة نحو جينات لها تأثيرات إضافية - أي مورثات
التأثير نفسه بعض النظر عن مورثات أخرى في السلسلة الوراثية. لكن بعض الخصائص
كالمثيرة العلمية، والتفوق الرياضي، والوهبة الموسيقية، هي ما يسميه علماء الوراثة
المولوسيون التطوريون: طفرة تتخذ شكلاً مادياً باندماجات محددة فقط للجين
ولذلك لا يتم إنتاجها فعلياً (26). زد على ذلك، تستطيع مورثة محددة أن تؤدي
سلوك مختلف في بيئات مختلفة. عندما تمت استشارة عالم الكيمياء الحيوية والبي
الرايبيكالي جورج والد wald في مهنة مني مأخوذة من العالم وليج شوكلبي لقر
بجائزة نوبل، أجاب والد العالم قائلاً "إن تكمن تريد منياً ينتج هائزين بجائزة نوبل.
هنا عليك أن تحلك باناس مثل أبي، خياط مهاجر فقير. ما الذي أعطاه مني إلى الت
عازفاً غيتاراً" (27).

ما إذا باستطاعتنا أن نتكاثرت سمات محددة أم لا، وهل يتوجب علينا القيام بذلك
في الأمر بحاجة إلى حكومة حكومية بما يكفي لتعرف ما هي الصفات التي نختار
وعلى دراية كافية لكي تعرف كيف تطبق التكاثر، وشجاعة بما يكفي لتعرف
هي الصفات التي نختارها، وعلى دراية كافية لكي تعرف كيف تطبق التربية.
وشجاعة بما يكفي لكي تشجع أو تلغي معظم القرارات الأكثر حميمية. أناس قليلين
في جو ديمقراطي يمنحون حكومتهم ذلك النوع من السلطة، حتى إن تمد بعض
أفضل مستقبل التكاليف في الحرية للأفراد، وفي سوء استخدام ممكن من فز
المطلبات أمر غير مقبول.

تقيضاً للاعتقاد الذي نشره العلماء الرايبيكاليون، وعلماء تحسين النسل وراثياً
طوال معظم القرن العشرين كان قضية مفضلة في أوساط اليسار واليمين (28). لقد
تزعما تقدميون كثيرون وليبراليون واشتراكيون من بينهم ثودور روزفلت. وقد
ويلز، وإيما غولدمان، وجورج برنارد شو، وهارولد لاسكبي، وجون مينارد كينس.
يسدني بيتريس ويب، ومارغريت سنغر، وعلماء الأحياء الماركسيون جـ

س. هالدين، وهيرمان مولر. ليس صحيحاً أن نرى لماذا اصطلح الفريشان بهذه الطريقة. كالميلكيون معاقطون وبرتستانات أنجيليون كانوا يحكروهم تحسين النسل وراثياً. محاولة قامت بها نخب فكرية وعلمية للعب دور إله. تقدميون أحبوا علم تحسين النسل وراثياً، محاولة قامت بها نخب فكرية وعلمية للعب دور إله. تقدميون أحبوا علم تحسين النسل وراثياً. لأنه كان إلى جانب الإصلاح بدلاً من الحالة الراهنة، والفاعلة بدلاً من عدم التدخل، والمسؤولية الاجتماعية بدلاً من الأنانية. زد على ذلك، كانوا يشعرون بالارتياح لتوسيع تدخل الدولة من أجل تحقيق هدف اجتماعي. تخلى معظمهم عن تحسين النسل وراثياً فقط عندما رأوا كيف أدى إلى علم قسري في الولايات المتحدة وغرب أوروبا، ولاحقاً في سياسات ألمانيا النازية. تاريخ علم تحسين النسل وراثياً واحد من حالات كثيرة فيها المشككات الأخلاقية التي فرضتها الطبيعة البشرية لا يمكن تحويلها إلى نقاشات بين اليمين واليسار بل يجب أن يتم تحليلها طازجة من خلال وضع القيم المتسارعة على المحلل.



أكثر التعاميات التي تجعل المرء يشعر بالوقت تجاه التصور البيولوجي للطبيعة البشرية هي المنظمات النازية. فمع أن معارضة فكرة الطبيعة البشرية بدأت قبل عقود، إلا أن المؤرخين يتفقون على أن ذكريات مريرة للهولوكست كانت هي السبب الرئيس الذي جعل الطبيعة البشرية محرماً في الحياة الثقافية بعد الحرب العالمية الثانية.

هتلر كان متأثراً بالنسخ غير الشرعية للداروينية وعلم الوراثة التي كانت منتشرة في العقود الأولى من القرن العشرين، واقتبس بالتحديد اصطفاً طبيعياً والبقاء للأقوى في سياغة عقيدته السامة. آمن بداروينية اجتماعية متطرفة كانت الجماعات فيها وحدة الاصطفاء، والصراع بين الجماعات كان ضرورياً للقوة والتمعة القومية. لقد اعتقد أن الجماعات كانت دستورياً أعرافاً مميزة، وأن أفرادها يتشاركون في أبنية بيولوجية مميزة. فواحدهم يختلف عن الآخر في القوة والشجاعة والنزاهة والذكاء، ونزوع مدني. لقد كتب أن انقراض الأعراف الأدنى كان جزءاً من حكمة الطبيعة، وأن الأعراف المتفوقة كانت مدينة بحيويتها وتميزها إلى النقاء الوراثي، وأن الأعراف الضعفة كانت في حالة خطر ناجم عن اختلاطها بالأعراف الأدنى. لقد استخدم هذه الفقدت لتبرير حربه ولارتكاب المجازر الجماعية بحق اليهود، والتعرج، والسلافيين، والشائين جنسياً(29).

سواء استخدام النازيين لعلم البيولوجيا يذكرنا بأن الأفكار المنحرفة قد يكون لها نتائج مرعبة، وأن على المثقفين مسؤولية اتخاذ حذر معقول لكي لا يساء استخدام هذه الأفكار لنفايات شريرة. وجزء من المسؤولية هو ليس تنقيح رعب النازية من خلال استغلالها في الخلاصات البلاغية في الأوساط الأكاديمية، فربط الناس الذين لا تتز معهم بالنازية لا يقدم شيئاً لتذكري ضحايا هتلر، أو إلى الجهد المبذول لمنع مجازر إيان؛ جماعة أخرى هذه الأحداث محرّنة جداً، وترتب علينا مسؤولية خاصة لتحديد أسبابها بكل دقة.

إن فكرة ما ليست زائفة أو شريرة لأن النازي قد استخدمها، فكما كتب المرز روبرت رينشارد عن علاقة مزعومة بين النازية وبيولوجيا الارتقاء: "إن تكفي تلك التشابهات الفاضحة هنا، يجب أن نؤخذ جميعاً إلى القصص" (30). فلو رأينا الأنكر التي أساء النازيون استخدامها لكان علينا أن نتخلى عن مجرد تطبيق علم النشوء وعلم الوراثة على السلوك البشري. سيكون علينا أن نراقب دراسة النشوء وعلم الوراثة، وإن نكتب أفكاراً أخرى كثيرة حولها هتلر إلى أساسات للنازية.

- **النظرية الجراثومية للمرض**، استشهد النازيون تذكراً بباستور وكوخ ليدافوا ان اليهود كانوا مثل عصيات معدية يتوجب القضاء عليها من أجل القضاء على مرض معدي.

- **الرومانسية، والزرعة البيئية وحب الطبيعة**، ضخم النازيون اتجاهاً رومانسياً في الثقافة الألمانية إذ اعتقدوا أن الشعب هو أناس القدر برابطة غامضة مع الطبيعة والأرض وبالمقابل، سكان اليهود وأقليات أخرى، يضربون جذوراً في مدن منحلة.

البيولوجيا وعلم اللغات، بني مفهوم العرق الأري على قبيلة من ما قبل التاريخ ونسبها للفويون الهندوأوروبيون الذين يعتقد أنهم تدفقوا من وطن قديم قبل آلاف السنين، وفتحوا معظم أوروبا وآسيا.

معتقد ديني: على الرغم من أن هتلر لم يكن محبباً للمسيحية، إلا أنه لم يكن ملحداً، وكان يستمد شجاعته من قناعته أنه كان ينفذ خطة مرسومة إليها (31).

الخطر من أننا قد نشوء علماً على أنه إعادة خلق للنشوءات النازية ليس أمراً افتراضياً. مؤرخ العلم روبرت بروكستور قد أوضح أن موظفي الصحة العامة الأمريكان كانوا بطئتين في الإقرار بأن التدخين يسبب السرطان (32). لأن النازيين هم أول من

تختلف العلاقة بينهما ، ويدافع بعض العلماء الألمان أن الأبحاث الطبية الحيوية قد بقيت في بلدانهم بسبب علاقات غامضة بين منظمات مع النازية (33).

كان هتلر شريراً لأنه تسبب في موت ثلاثين مليون شخصاً ، وبمعاناة لا يمكن تخيلها لعدد لا يحصى الآخرين ، وليس لأن معتقداته اعتمدت على البيولوجيا (أو قفه الله ، أو الطبيعة ، أو التدخين ، أو الله). تلويع الذنب من أعماله في شكل جانب تنصوره من معتقده الحقيقية قد يكون مجرد حريق من الماضي ، فالأفكار تربط مع أفكار أخرى ، ويتوجب إيضاح أي من أفكار هتلر فيه ذرة حقيقة. فعلى سبيل المثال ، إذا كانت الأعراف فيها أي حقيقة بيولوجية ، أو إذا كان الهندوأوروبيون فعلاً قبيلة واحدة ، فإننا لا نريد أن نسلم أن النازية لم تكن مخطئة في نهاية المطاف.

لقد كان البولوكست النازي حدثاً هزلياً غير الموافق تجاه موضوعات سياسية وعلمية لا تحصى ، ولكنه لم يكن الوحيد المستهمل أيديولوجياً في القرن العشرين لقد بدأ اللغزون يستوعبون الدروس من الآخرين: عمليات القتل الجماعية في الاتحاد السوفييتي ، والصين ، وكومبوديا ، ودول أخرى. قد نقصد باسم الماركسية فتح الأرشيف السوفييتي ، وإطلاق المعلومات والذاكرة حول الثورتين الصينية والكمبودية تميز على إعادة تقييم لنتائج الإيديولوجيا المنحرفة ، ككتك الإيديولوجيا التي تلت الحرب العالمية الثانية. يناقش المؤرخون في الوقت الحالي ، ما إذا الإعدادات الجماعية الشيوعية ، والمسيرات الإجبارية ، والعمل القسري ، والمجاعات التي صنعها الإنسان أدت إلى مائة مليون وفاة أم فقط إلى 25 مليون. إنهم يناقشون ما إذا هذه الإبادة الجماعية هي أسوأ أخلاقياً من البولوكست النازي أم أنها مساوية له فقط " (34).

إنهك الحقيقة المهمة : على الرغم من أن الإيديولوجيا النازية ، والإيديولوجيا الرأسمالية أدتا إلى قتل اصطناعي ، إلا أن نظريتهما الميكنولوجية والبيولوجية كانتا متلفنتين لم يستخدم الماركسيون مفهوم العرق ، وكانوا ممارسين لفكرة التدريب الرأسي ، ومبادئ لفكرة طبعة بشرية متجذرة في البيولوجيا (35). لم يفتح ماركس وإنجلز بمنتقد الصفحة البيضاء في مؤلفاتهما. لكنهما كانا صليين بأن الطبيعة البشرية ليس لها خصائص دائمة. إنها تتكون فقط في تفاعلات جماعات من الناس مع بيئهم الداية في فترة تاريخية تتغير باستمرار ، بينما يغير الناس بيئهم ، ويتغيرون بها في الوقت ذاته (36). وبذلك ليس للعقل بنية فطرية لكنه ينشأ من السيرورات الديالكتيكية للتاريخ والتفاعل الإيجابي. فكمما عبر ماركس عن ذلك.

التاريخ لا شيء سوى تغير مستمر في الطبيعة البشرية (37).

الظروف تصنع البشر مثلما يصنع البشر الظروف (38).

شكل إنتاج ظروف الحياة المادية والحياة الاجتماعية والسياسية - والفكرية لها هي سيورات بشكل عام. فليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل على العكس من ذلك، وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم (39).

في قراءة لإصرار دوركهيلم وكروبير بأن القوة البشرية الفردية ليست جبراً بالأهتمام مكتب ماركس قائلًا:

الإنسان ليس شكلًا مجرداً مفعياً خارج العالم. الإنسان هو عالم البشر، الوان المجتمع جوهر الإنسان ليس تجريداً فطرياً في فرد بعينه. الطبيعة الحقيقية للإنسان هي إجمالي العلاقات الاجتماعية (40). يتم التعامل مع الأفراد طالما أنهم تجسيدات للعلاقات الاقتصادية، تجسيدات لعلاقات طبيعية ومصالح طبقية (41). يبدو الون نصراً قاسياً للتوع على فرد محدد يتناقض وحدته. لكن الفرد هو مجرد شكل من نوعه في كذلك (42).

تبشئ اتباع ماركس - في القرن العشرين - الصفحة البيضاء. أو على الأقر الصورة المطواعة المرتبطة بها. لقد صادق لينين على المثل الأعلى لدى نيتشولاي بوخارين "تصنيع الإنسان الشيوعي من المادة البشرية في العصر الرأسمالي" (43). كتب مكسيم غوروكي المعجب بلينين "الطبقات العاملة - بالنسبة للينين - هي ما تمه هزات المعادن لخبير المعادن" (44). و"المادة البشرية الخام أكثر صعوبة في التعامل منها من التعامل مع الخشب". "الثاني معجب بقناة بناها عمل الأقان" (45). إننا نقتلر تشبه الصفحة البيضاء في مؤلفات رجل ربما كان مسؤولاً عن 65 مليون وفاة:

صفحة بيضاء من الورق خالية من البقع، وكذلك الكلمات الأجل والأكثر جدً بالإمكان كتابتها عليها، وأجل الصور وأحدثها يمكن رسمها عليها (46) ماوتسي تونغ، ونجدها في قول عن حركة سياسية قتلت ربع بني بلدها:
" فقط الطفل الحديث الولادة هو دون بقع" (47). شعار الخمير الحمر.

الإدراك الحديث بأن القتل الجماعي الذي ترعاه الحكومة ينأت من اعتقاد منه للفطرة كما ينأت من نظام اعتقاد فطري يعطي فهم ما بعد الحرب بأن القاريات البيولوجية للمساوك فاسدة بطريقة فريدة. تقويم دقيق لقضية إبادة جماعية تقوم بها

يرددها يجب أن تبحث عن معتقدات شائعة لدى النازية والماركسية اللينين أطلقنا المعتقدات في مسارهما اللغوي، وعن معتقدات محددة للماركسية أدت إلى مذابح ونكبت باسمها. موجة جديدة من المؤرخين والفلاسفة تفعل ذلك بالضبط (48).

اشتركت النازية والماركسية في رغبة إعادة تشكيل البشرية. فكما قال ماركس: "تغيير البشر على نطاق جماعي أمر ضروري" الإرادة لخلق نوع بشري جديد" موب الاشتراكية القومية فكما قال هتلر (49). فكما تشاركتنا نزعة مثالية ثورية وبنية استبدادية سعياً وراء هذا الحلم ، دون صبر من أجل إصلاح إنسان، أو تعديلات توجهها النتائج البشرية لمسائلهما. هذا وحده مكان وصفة لكارتنة. فكما كتب الكسندر سوليز بنشتاين في "سولاج أرشيبلاغو / كيريرات ماركسيت الذاتية فكانت رغبة، فوجدانه قد التهمة. أجل، حتى إياغو فكان أعرج قليلاً أيضاً. الخيلة والقوة الروحية إن يفعلون الشر لدى شكسبير قد توقفوا لدى رؤية عشرات من جثث الموتى لكن لم يكن لديهم إيديولوجيا".

الرابطة الإيديولوجية بين الاشتراكية الماركسية والاشتراكية القومية ليست رغبة (50). لقد قرأ هتلر ماركس بشكل عنابة بينما كان يعيش في ميونخ عام 1913. وربما أخذ منه مسلحة مصيرية سوف يشترك فيها كلاهما (51). إنها الاعتقاد بأن التاريخ هو تعاقب صراعات حتمية بين جماعات من الناس، وأن التحسن في الشرط البشري يأتي فقط من انتصار جماعة على الجماعات الأخرى. بالنسبة للنازيين، كانت الجماعات أعرافاً، وللماركسيين كانت طبقات. الصراع - بالنسبة للنازيين - كان داروينية اجتماعية، وللماركسيين كان صراعاً طبقياً. المنتصرون الحتميون عند النازيين - هم الأريون، واليهودياتيا عند الماركسيين. أدى تطبيق الإيديولوجيتين إلى مذابح جماعية في مراحل قليلة؛ الصراع (غالباً رمز المنفذ) مفيد وأمر حتمي، جماعات عديدة من الناس لا يمراق ليست أرية أو البورجوازيون) هي أدنى أخلاقياً، وتحسن الوضع الإنساني يعتمد على إخضاعها أو استئصالها، بغض النظر عن تقديم تبرير مباشر لصراع عنفي. تشكل إيديولوجيا الصراع ضمن الجماعة سمة فكرية في سمبولوجيا الاجتماعية البشرية: الميل إلى تقسيم الناس إلى جماعات متضوبة وإلى جماعات خارجية، والتعامل مع الجماعات الخارجية على أنها أدنى من البشر. لا يتم ما بالجماعات تعرف بإيديولوجيتها أو تاريخها. لقد وجد علماء النفس أن باستطاعتهم أن يخلطوا عناداً فورية بين الجماعات من خلال تصنيف الناس بناء على أي ذريعة، من بينها رمي قطعة من النطود (52).

إيديولوجيا صراع جماعة ضد جماعة تُفسّرُ النتائج المماثلة لدى الماركسيين والتنازية. وتساعد إيديولوجيا الصفحة البيضاء في تفسير بعض السمات التي ظفت فريدة في الدول الماركسية. فإن لا يختلف الناس في سمات سيكولوجية كالتواضع المحفز، إذ أي واحد أفضل لا بد أن يكون جشعاً أو نهاباً. لقد كان القتل العمام للكولاك والأغنياء أو الفلاحين البورجوازيين سمة في الاتحاد السوفييتي في عهد لينين وستالين، والصين في عهد ماوتسي تونغ، وپول بوت ككامبوديا.

إذا كان المظل دون بنية عند الولادة، ويتشكل من خلال تجربته، فإن مصفاً يريد النوع الصحيح من العقول، ينبغي أن يتحكمم بالتجربة (فطس صنفعا يفسد تكتسب أجسل القصائد) (53). لم تكن الدول الماركسية في القرن العشرين ديكتاتورية وحسب بل شمولية أيضاً. لقد حاولت أن تتحكمم بكل منحس من منام الحياة: تربية الأطفال، التعليم، الملابس، التسلية، فن العمارة، الفنون، والعلم والجنس حتى فلي الاتحاد السوفييتي كان الككتاب يؤمرون بأن يصيحبوا "منفس أرواح بشرية". في الصين وكامبوديا: قاعات طعام جماعية، ومساكن جماعية للباين من الجنس نفسه، وكان فصل الأطفال عن والدهم تجارب متكررة مطروقة.

- فإن يتم تشككل الناس بوساطة بيئاتهم الاجتماعية، إذن تستطيع البورجوازية المساعدة أن تشرك أشرأ نفسياً دائماً (فقط الطفل المولود حديثاً دون بقعة). أفعد الإفتاعيين والنلاحين الأغنياء في أنظمة ما بعد الثورة ككانوا مصابين بفسر نظم أبدي، وكانوا مضطهدين وكانما النسب البورجوازي فكانت سمة وراثية. فلنأاز الألبوة غير مرئية، ويتم اكتشافها بطريق ثالث، فإن ممارسة توصيف الناس طر "خلقية سيئة" أصبحت سلاحاً لتنافس اجتماعي. أدى ذلك إلى جعل الجو العام يتم بالشجب والقسام مما جعل الحياة في هذه الأنظمة ككابوس جورج أورويل.

- إذا لم يكن هناك طبيعة بشرية تدفع الناس لأن ينحازوا إلى مصالح أسره على حساب مصالح المجتمع، إذن الذين ينتجون محاصيل أكثر يفضل خططهم هم من المزارع الجماعية التي تصادر الدولة محاصيلها - لا بد أن يكونوا جشعين وكانوا وبالتالي يعاقبون. الخوف بدلاً من المتعة الذاتية يصبح هو الحافز إلى العمل.

- إذا فكانت العقول الفردية هي مكونات قابلة للتبادل لكيان فوق عضوي - يسمى مجتمعاً، فإن المجتمع وليس الفرد هو الوحدة الطبيعية للسلامة والسفا. والفائدة الملائمة للسعي البشري. حقوق الفرد ليس لها مكان. ليس المقصود ماعفاً لـ

لنصف الصفحة البيضاء على أنها ممتد شرير، أكثر من الاعتقاد أن الطبيعة البشرية
هي ممتد شرير. كلاهما منفصلان بخطوات كثيرة عظيمة من الأعمال الشريرة التي
تتكيفت عنابتهما، وينبغي أن نقيما على أسباب حقيقة. لكن المراد هو تغيير
الرطة التبسيطية لعلوم الطبيعة البشرية مع الكوارث الأخلاقية في القرن العشرين.
تكن الرابطة الرتجلة تتف بلا طريق رغبتنا بأن نفهم أنفسنا، وتتف بلا طريق الإرام
أن نفهم أسباب تلك الكوارث. فهل لهذه الأسباب علاقة بأحدى جوانب أنفسنا التي
لا نعيها تماماً.



الخوف من عدم إمكانية الكمال

تكن الطبيعة -- هناك -- كانت مائة تعني.
وأشكال قوية مسكة نزوة للباب.
قد أعطت ميثاقاً لأمال غريبة.
في أي عصر هناك دون أحداث
بين الأمم. قد استحوذت على قلب رغبة مائة.
لكن أوروبا في حينها كانت متشبثة بقطعة.
فرنا واقفة على نزوة سماعات نهيبة.
والطبيعة البشرية بحاجة وقد ولدت من جديد.

وليه روزنشتاين ؛

في تكريبات وردز ورث نجد الخوف الثاني وقد رفعته نفس فطرية. فنسكرة ان
طبيعة البشرية بإمكانها أن تولد ثانية قد أبهجت الشاعر الرومانسي. وإمكانية أن
ننظي إلى الأبد عيوبنا القاتلة وخطايانا تحيطه. ونجد رد الفعل ذاته لدى المفكرين
تلاميذ الرومانسيين. لأن طبيعة بشرية لا تتغير تلقي - كلما يبدو - ككل أمل في
الإصلاح فلماذا نسمي إلى جعل العالم مكاناً أفضل إذا كان الناس متشككين حتى
اللب. وسوف تشوّهه بغض النظر عما تفعله؟ ليس من قبيل المصادفة أن تلهم كتابات
يسو الحركة الرومانسية في الأدب، والثورة الفرنسية في التاريخ كما شهدت
سنوات القرن العشرين إعادة صعود لتزعة رومانسية وسياسات راديكالية في مركبة
واحدة يجرها جوادان سويلاً. لقد أوضح الفيلسوف جون باسور أن حيناً إلى عالم
أفضل من خلال طبيعة بشرية أحسن هو دافع متكرر في الفكر الغربي، وهذا ما
يضمروه. هـ لورانس بإيجاز (ككمال الإنسان آه أيتها السماء، يا له من موضوع
طبيب) (2)

ياخذ الخوف من طبيعة بشرية شريرة أبدية شككاً. أحدهما خوف من الإصلاح الاجتماعي هو تبييد الوقت، لأن الطبيعة البشرية غير قابلة للتغيير والتغيير هو اهتمام أعمق ينبع من الاعتقاد الرومانسي بأن كل ما هو طبيعي هو خير من العلماء أنه (طبيعي) أي جزء من الطبيعة البشرية إن نكسبون زنبون (محبين للزنب) عنيقين، والشويين ethnocentric وأثانين، فإنهم يمتون ضمنياً أن هذه السمات هي خير وليست فقط لا يمكن تجنبها. فكما هو الأمر مع فصاعات أخرى تحيط بالزنب البيضاء، فالخوف من عدم الكمال ذو معنى في سياق تاريخ القرن العشرين من لفكرة أن الناس ميالون للحرب بشكل طبيعي أو ينافون من الأناجيب هو رد فعل على إيديولوجيا مجدت الحرب. إحدى أكثر الصور بقاء في الفاضلة التي صانها كطالبا خرج فكانت لوحة لجندي ميت في حقل موحد. شبح في زي كان يلمز جثته ذراع حول رجل دون وجه يرتدي مئزراً، واليد الأخرى حول سافطه (KAYIR) شقراء عارية الثدي وجاء في التعليق على اللوحة "سعداء الذين يبيعان متوجع راسهم يؤمنون بموت ونصر متماثلين". فهل فكانت اللوحة ملصقاً زهيداً حينئذ لصالح سن إمبريالي؟ نصب شوهيني في قصر إرستقراطي عسكري بروسي؟ كلا، فوجبة نين والنصر رسمت عام 1922 من قبل الفنان الأمريكي جون سينكر سارجنت. من بكل وقار في واحدة من أشهر المكتبات في العالم في بهو في جامعة هارفرد.

- تلك قطعة من أيقونة تعجد الموت يجب أن تزين هذه الفاعات ذات الزنب المخصصة للتعليم هي شهادة على العقلية المسعرة للحروب في العقود الماضية. كتف الحروب تمد مائحة القوة، والتبيل، والطموح الطبيعي للرجال والأمم. لقد قدما الاعتقاد زعماء عالميين إلى المسير مغمضين الأعين لدخول الحرب العالمية الأولى وملايين البشر إلى التطوع بشوق متأسفين المجزأة التي بانتظارهم لقد بدأوا بالو بانواع الحرب ويلوغ الذروة في الانتشار الواسع للحرب في فيتنام. وقد أدت الحسنية القروية إلى التراجع عن تمجيد الحرب. لقد أريد - حتى لأعمال حديثة - أن نهد شجاعة المحاربين مثل فيلم /إنشاذ العريف رايمان / يظهر الحرب كحجيم امتد الرجال الشجعان بكلفة مرعبة للقضاء على شر محدد، وليس شيئاً يستطيعون التو بالمساعدة تجاهه. لكن الحرب الحقيقية اليوم يسعها جهاز يدار عن بعد لتفاد الإصابات، وأحياناً لتقليل أهداف الحرب. في هذا المناخ، أي اقتراح بأن الحرب (طبيعية) سوف يقابل بإعلانات غاضبة تفيد العكس، مثل البيانات المتفكرة أنه

بينت من قبل علماء الاجتماع ليوسكودوا أنها (علمياً غير صحيحة) مثل قولنا إن البشر
يهم ميل نحو العدوان. (3)

قد تكون العداوة لفكرة أن الدوافع الجنسية الأنثوية متجذرة في طبيعتنا، وتتأصل
من مساواة الجنسين. فطوال آلاف السنين، عانت النساء من معيار مزدوج قائم على
برقيات حول فروقات بين الجنسين - قوانين وعادات عاقتت مفازة النساء بفظافة
نكاح من مفازة الرجال. آباء وأزواج حرموا النساء من التحكم بمبولن الجنسية من
خلال تقييد مظهرهن وحركتهن. وبرأت النظم القانونية المتخصصين أو خلفت عقوبتهن
إما ما طُن أن الضحية قد أثارته دافعاً لا يقاوم إما بفستانها أو سلوكها. لقد رفضت
حجرات ضحايا التحرش، والشبهة، والقذف، بافتراض أن هذه الجرائم كانت سمات
عنية للملاطفة أو الزواج. وبسبب خوف من قبول أي فكرة تجعل هذه المظاهر
نتهاكات (طبيعية) أو (لا يمكن تجنبها). فقد رفضت بعض مدارس مساواة الجنسين
أي اقتراح بقول إن الرجال يولدون ومعهم رغبة جنسية أو شهوة أكثر. لقد رأينا في
تصل السابع أن الزعم بأن الرجال يريدون الجنس العرضي أكثر مما تريده النساء،
قد تعرض للشجب من اليسار واليمين. فقد وجهت نار من كلا الطرفين إلى راندي ثور
نيل وكرايغ بالمو لافتراحهما هذا في كتابهما / التاريخ الطبيعي للاغتصاب / . بأن
الانصاب هو نتيجة للعمل الجنسي لدى الرجل. لقد أسمت متحدة من مؤسسة الأغلبية
تسوية الكتاب: (مخيف) لثو أثر ارتدادى، لأنه يشرعن الجريمة، ويلوم الضحية (4)
وامرقت ناطقة باسم معهد ديسكفري في جلسة استماع في الكونغرس بأن الكتاب
كان يهدد التسوية الأخلاقى الذى أسست أمريكا عليه. (5) الأنثوية، هي الرذيلة
ثالثة لها أي مضامين سياسية. فإذا كان الناس على شاكفة الحيوانات الأخرى -
سرفين بمورثات أنثوية، فقد تبدو الأنثوية أمراً لا مفر منه، أو فضيلة حتى تكون
تغلى خاطر من بدايته لأن مورثات الأنثوية لا تنمي بالضرورة عضويات أنثوية. فدعنا
ننكر بإمكانية أنه قد يكون لدى الناس ميل لأن يقدروا مصالحهم الخاصة ومصالح
لرهم وأسذقاتهم فوق مصالح القبيلة أو المجتمع أو التوع. فالمعاني السياسية تظهر في
سنتين رئيسيتين في الكيفية التي يتوجب أن تنظم المجتمعات بموجبهها، والتي تطرح
لافتراضات المضادة حول أنثوية بشرية فطرية.

الأمر ليس من خيرية الجزار، أو مخمر الجعة، أو الخباز أن نتوقع غذائنا، بل من
مد النظره إلى مصالحهم الخاصة. إننا نقدم أنفسنا ليس إلى إنسانيتهم بل إلى حبهم
لأنهم آدم سيث.

(من كل امرئ وفقاً لقدراته إلى كل امرئ حسب احتياجاته) كقائل مريض
يمتد سميت - شارح الرأسمالية - أن الناس سوف يعطون بأنفسهم طبقاً لاحتياجاتهم، وسوف يدفع لهم وفقاً لقدراتهم لأن من يدفعون هم انانيون أيضاً ويمتد
ماركس - مهندس الشيوعية والاشتراكية - أن لا مجتمع اشتراكي - لا السليل
سوف يقدم الجزاء، ومخمر الجملة والخيال لنا القداء بدافع الخبرة أو بدافع نفس
الذات - لأنهم لأي شيء آخر سيجهدون أنفسهم سعياً وفقاً لقدراتهم. وليرى
لاحتياجاتهم ؟ فالذين يعتقدون أن الشيوعية أو الاشتراكية هي الشكل الأخير
عقلانية للتنظيم الاجتماعي، سيصابون بالدهشة عند القول إنهم يسيرون ضد طبيعتهم
الأنانية. فيفض النظر عن علم السياسة، ينبغي أن يصاب كل امرئ بالرعب من كثر
يفرضون تكاليف على المجتمع لا سمحهم إلى مصالحهم الفردية، يصطلون آراء
مهدة بالخطر، ويؤثون الأنهار، ويدعمون مواقع تاريخية ليبنوا مراكزاً للشرق
وينشرون الفرافيت على التصب العامة، ويخترعون أسلحة تضلل ككاشفات البق
نتائج الأفعال التي لها معنى للفرد - من حيث اختياره مزعجة، لكننا مطلقاً للقيم
عندما يختارها ككل فرد. فالأمثلة على ذلك تضم التصيد الجائر والرعي المفرط
واستبدال مصدات الاصطدام، أو شراء آلة لممارسة الرياضة كحقي يحمي الرأس في
اصطدام لأن ككل واحد آخر يفقد مركبة رياضية. آتاس كثيرون يكرهون الاقتراب
البشر ميالون إلى الأنانية، لأن هذا القول سوف يعني أن هذه النماذج من السلوك البشري
- لذات - هي أمر لا بد منه، أو على الأقل مخفضة عبر إجراءات قسرية تافه
فقط.

الخوف من عدم إمكانية التكامل والتنبؤ الناتج للمصفحة البيضاء غالباً لها
جنودها في زوج من المفالطات، وقد قابلنا مسبقاً المبالغة الطبيعية: الاعتقاد بأن كل
ما يحدث في الطبيعة خير فقد يعتقد المرء أن هذا الاعتقاد سكان مشوا بدريئة
اجتماعية غير قابلة للمطس، لكن رومانسية ستينيات وسبعينيات القرن العشرين،
أنتهته، فالحركة البيئية - على وجه التحديد - تتوجه غالباً إلى خيرية الطبيعة لتج
الحفاظ على البيئات الطبيعية على الرغم من حضورها الكلي على سبيل المثال.

حيوانات المفترسة كصنوبر وسببه واسماك القرش قد تلقت صورة كطية مثل القتل رحيم للمجاز والأعرج، وبذلك تستحق المحافظة عليها أو إعادة ترميمها. وسيبدو أن بياض مقولة أن أي شيء ورشاه من جنة عدن هذه هو سليم ولائق، كذلك الزعم أن العدوان أو الاغتصاب أمر طبيعي بمعنى أن التطور قد انحاز إلينا، سيكون مساويا لقول إنه أمر جيد.

المغالطة الطبيعية تقود إلى عكسها مباشرة المغالطة الأخلاقية: أي إن تمكن السمعة الأخلاقية فينبغي أن توجد في الطبيعة، الطبيعة متضمنة الطبيعة البشرية شرط أن تمتلك فقط سمات خيرة (لا حالات قتل دون داع، لا جشع، ولا استغلال)، أو لا سمات على الإطلاق، لأن البديل مرعب جداً لدرجة لا يمكن قبوله. ولهذا السبب تربط المغالطتان - في أغلب الأحيان - بالهيجي التبيل وبالصفحة البيضاء.

الدافعون عن المغالطتين الطبيعية والأخلاقية ليسوا أناساً من قش، بل بينهم علماء، ودارسون مرموقون، وكتاب. فعلى سبيل المثال، كتبت سوزان براون ميللر رداً على كتابات ثورنهيل حول الاغتصاب: (يبدو أن من الواضح تماماً أن biologicization الاغتصاب - أي تبريره ببيولوجيا، واستبعاد العوامل الاجتماعية أو الأخلاقية سوف ينسحب إلى شرعنة الاغتصاب. - إن من الدونية والرجعية أن نمرز الاغتصاب عن اشكال أخرى من السلوك العنفي المضاد للمجتمع العنفي، ونجده بمعنى معدل 6'. لاحظ المغالطة: (إن ينسفر شيء بالبيولوجيا فقد تمت شرعنته، وإذا ما أتضح أن شيئاً ما ممدلاً فقد تم تكريمه). وكذلك كتبت ستيفن غي غولد عن مناقشة أخرى للاغتصاب لدى الحيوانات (عن طريق وصف زائف لسلوك مورث في الطيور مع اسم قديم لفعل بشري منحرف، فإننا نقول بكل دهاء إن الاغتصاب الحقيقي - هو في نوعاً - قد يكون سلوكاً طبيعياً مصحوباً مع مزايأ داروينية لأناس محددين أيضاً(7). السخرية الضمنية هي أن نصف عملاً أنه طبيعي أو له مزايأ داروينية، فإننا بشكل ما نتناهى منه المغالطة الأخلاقية مثل المغالطة الطبيعية. إنها مغالطة تكما تعلمنا هذه الصورة الطكارتونية آر لو وجانيس.



أسعج يا بئرا الإسماعيل
الحيوان الوحيد الذي يقتل
من أجل الحياة

ولك ليس صحيحاً

حيواتك الخطر مثل
الطيارين لا لسبب ظاهر
عدا التسليح

فذلك سببها من المبالغة
الآخرين يعانون من القتل أو
الزيماء

فالبولوجيا في صف الصبي (8). جورج وليرمز عالم الحياة التطورية الاحترام يمد العالم الطبيعي بأنه لا اخلاقي ابداً (9) الاضطفا، الطبيعي. بعدم امتلاكه بصيرا مسبقا او رحمة - بالإمكان وسفه - بكل صراحة - كتكلمة من أجل التبرير للعد الأثني الأثنية قضيرة النظر). هي ذروة جمع حالات البؤس التي تحل بالمفترس والمقتلات، لا ييدي أفراد النوع رحمة حتى تجاه جنسه: قتل الأطفال، قتل الأقارب، والاعتصاب بالإمكان ملاحظتها في أنواع كثيرة من الحيوانات. بينما الخيانة الزوجية أمر شائع فيما يسمى الأنواع المرتبطة بشاتية. وأن تأكل لحم بعضها أمر متوق في جميع الأنواع غير الماشية، والموت من القتال أكثر شيوعا في معظم الأنواع الحيوانية أكثر مما هو عليه في أكثر المدن الأمريكية عنفا (10) اكتسب وليرمز معلقا على ومد علماء الحياة للقتل بسبب الجوع بين غزال على يد أسود الجبل على أنه فعل رحمة الحقائق البسيطة هي أن الافتراس والجوع، موقنسان مؤلمان للقرلان. وأن قدر الأس لا يحسد عليه أكثر من مصير القرلان ربما أن علم الحياة مكان قادرا أن ينجح بسرعة أكبر في ثقافة لا يهيمن عليها لاهوت يهودي مسيحي وتراث رومانسي وتريد قد خدم جيدا بالحقيقة المقدسة الأولى من موعظة بوذا إلى بينارس (Bernes، 1904)، مؤلفة، الشيطونة مؤلة، والمرض مؤلم، والثوت مؤلم(11).

حالنا ندرك أنه لا يوجد شيء جدير بالثناء اخلاقياً في نتاجات التطور. خبر نستطيع أن نصف السيكتولوجيا البشرية بنزاهة ودون خوف من أن تعرفنا لغة "طبيعة" هو الشيء نفسه مثل القرلان لها. وسكما نقول ككالتين هيبورن إلى همنري

بوغارت في / الملثقة الإفريقية / الطبيعة بما سيد التوت هي أننا موضوعون في هذا عالم كفي نملو فوقه).

هذا يقص في شكلا اتجاهين إذ يعتقد مفسرون من اليمين الثقافية والديني أن أي شكوك يصفهم على أنه بيولوجيا شاذ مثل اللواط، والامتناع عن إنجاب الأطفال بشكل مزاجية، والنساء اللواتي يتخذن لأنفسهن أدوارا ذكورية أو بالعكس. ينبغي أن تتم وثائقه لأنه (غير طبيعي). فعلى سبيل المثال البرنامج التلفزيوني - عرض - حديث - كذا خطا ومضيقه لاورا شيلزيتنغر أعلنت "إني أجلب الناس لأنهم من ارتكاب الخطا ويبدأوا فعل الصواب". وكذلك جزء من هذه الجملة الصليبية فقد ناشدت اللواطيين بفتح للملاج كفي يقربوا ميلهم الجنسي لأن اللواط "خطأ بيولوجي". هذا النوع من المتكلمة الأخلاقية يأتي فقط من أساس لا يعرفون شيئا عن البيولوجيا، فمعظم الأنشطة التي يمجدها الأخلاقيون: تكونهم مخلصين كمثل تجاه شريكه، ويديرون جنس الآخر، ويتعاملون مع ككل طفل على أنه غالي. وأن تحب جارك كلما تحب نفسك، هذه الخطأ بيولوجية وغير طبيعية أبدا في بقية عالم الأحياء.

فالتعرف إلى المغالطة الطبيعية لا يعني أن الحقائق المتعلقة بالطبيعة البشرية ليس لها علاقة بخياراتنا. (12).

لقد أشار العالم السياسي روجر ماسترز إلى أن بالإمكان استحضار المغالطة الطبيعية بقوة كافية لإنتكار علاقة البيولوجيا بالشؤون البشرية؛ (عندما يقول طبيب إن مريضا يجب أن يخضع لعملية لأن الحقائق تبين التهاب الزائدة الدودية، فمن غير المحتمل أن يتخذر الطبيب من مغالطة استنتاج منطقي) (13). ويتضمن الإقرار بالمخالفة الطبيعية أن الاكتشافات في مجال الطبيعة البشرية لا تفرض لوحدها قراراتنا. فالحقائق يجب أن تكون متدججة مع مجموعة من القيم، وطريقة لحسم النزاعات فيما بينها. وبعد أن يتم تقديم حقيقة التهاب الزائدة، وبأن الصحة أمر مرغوب، والافتتاح بأن الألم ومصاريف تكلفة العملية يتم احتمالهما نظرا للمكاسب المتاحة في الصحة، بالتالي على المرء الخضوع للعملية.

افترض أن الانتصاب متجدد في سعة من الطبيعة البشرية معلما أن الناس يريدون جنس عبر مجال أوسع من الظروف أكثر مما ترغب به النساء، فهذا أيضا سمة من الطبيعة البشرية متجددة في تطورنا بعمق، والنساء يردن السيطرة على من يمارس معهن جنس، وشي فطري لنظامنا التيميمي أنه يجب ألا نعد مصالح النساء ثانوية بالنسبة

لمصالح الرجال، وأن السيطرة على جسم المرأة حتى أساسي يموق رغبات أناس آخرين ولذلك فإن الاعتصاب جريمة لا تغتفر، بصرف النظر عن أي علاقة ممكنة تبين الميل الجنسي لدى الرجال. لاحظ كيف أن هذا التفاضل يتطلب مطلباً "جيبياً" وأساسياً "بلا الطبيعية البشرية: إن النساء يعتقدن أن يتم اغتصابهن، ودون هذه الفلزات يكون أماننا سهيل لنخاطر بين محاولة دمع الاعتصاب وبين تأهيل النساء اجنابنا لتقبله وذلك سيكون منسجما تماما مع المعتقد التقدمي المفترض: أننا نأخذ، غير مطروحة.

بلا حالات أخرى، الطريقة الأفضل لحسم النزاع ليست بهذا الوضوح لقد وثق بأن النفس مارتن دالي ومارغو ويلسون أن أزواج الأمهات من المحتمل أن يسيئوا إلى الأطفار أكثر من آباء الأطفال البيولوجيين، وهذا الاكتشاف لم يكن مبتدأ أبدا، إذ يمر خبراء تربية كثيرون على أن أزواج الأمهات الذين يسيئون إلى الأطفال منشأه أسطورة: سنديريلا، وأن الأبوذ دور يستطيع أي شخص أن يقوم به. لقد تفحص دالي وويلسون إحصائيات الإساءة لاختبار توقعها أنه من سيكولوجيا النشوء، (14) الحب الأبوي قد ن اختياره عبر زمن النشوء لأنه يجبر الآباء على حماية وتغذية أطفالهم الذين من الرجوع يحملوا المورثات التي تؤدي إلى ظهور حب أبوي. ففي النوع الذي فيه من الحشلز يدخل أبناء شخص آخر دائرة العائلة، فإن الاصطفاء سوف يبدى ميلا إلى أن ينزل المره أبناءه، لأن بلا الحسباب البارد للاصطفاء الطبيعي، استثمار بلا الأطفال غيرأبوذ العلاقة سوف يذهب هدرا، وسوف يميل صبر الأب إلى التضوب مع أطفال متبنيين، بل ويسرعة أكثر من صبره مع أطفاله البيولوجيين، وبلا حالات متطرفة يؤدي هذا إلى سوء معاملة.

فهل هذا كله يعني أن وشكالات الخدمة الاجتماعية يجب أن تراقب الآباء والأمهات وزوجات الأب بدقة أكثر من الآباء البيولوجيين كتمم، لكن ليس بهذه السرعة. فالمالية العظمى لكلا نوعي الأب لا ترتكب إساءة المعاملة، ولذلك فبلا وضع زوجات الآباء تحت سحابة من الشك سيكون غير عادل للآباء من الأجيال - ولأنه وضعك يوضح ذلك علامة القائلون أوين جونز، التحليل التطوري للأبوذ المكاتبه - لوني شيء آخر - لا ينطوي على معانٍ سياسية آلية، بل بالأحرى إنه يصور انحرافا وبيننا أن نخنار الأفضل وفقا له، بلا هذه الحالة، الانحراف هو بين تقليل الإساءة إلى حفا الأدنى، والتفاضل عن أزواج الأمهات وزوجات الآباء من ناحية، وأن تكون عادلة إلى

بعد الأقس تجاه الآباء والأمهات، وتسمح في زيادة سوء معاملة الطفل من ناحية ثانية
بما كنا لا نعلم أن الناس مجهزون مسبقاً لفقدان الصبر مع الأطفال الزوج أو الزوجة
تسرع من فقدان الصبر مع الأطفال البيولوجيين. فإننا نختار ضمناً طرهماً من هذا
الاحتراف - تجاهل الأبوة غير البيولوجية كعامل مفسرة، والسماح للحالات الإضائية
بإساءة معاملة الطفل - حتى دون أن ندرك ذلك.

إن فهمنا للطبيعة البشرية بشكل ناقص ضعفاً يعكسها أن يفني ليس فقط سياستها
في أيضا حياتنا الشخصية. الأسر التي فيها أطفال ليسوا من آباء بيولوجيين تميل إلى أن
تكون أقل سعادة وأكثر هشاشة من الأسر التي فيها أطفال آباء بيولوجيين وإلى حد
كبير، وبسبب التوترات من الفترة الزمنية، والصبر والمال الذي يجب على الآباء بالتبني
أن يتقوه على أطفال التبني. مع ذلك هناك العديد من آباء التبني اللطفاء والكرماء مع
لقائهم بدافع حب الشرع. لا يزال هناك فارق بين الحب الغريزي الذي يفهمه به الآباء
لقائهم آباء، وبين اللطف المتعمد والكرام الذي يقدمه آباء التبني إلى أطفالهم ويقترح
كل من دالي وويلسون أن فهم هذا الفارق بإمكانه أن يسهل الزواج. (16) فليس الرفع
من أن زواجاً قائماً على التعامل وفق مبدأ واحدة بوحدة هو عادة زواج بائس، في الزواج
التيه يُقدر كحل شريك التضحيات التي قام بها الشريك الأخر. الإقرار بالتسامح
الواضح للشريك تجاه الأطفال قد يولد في نهاية المطاف نعمة أقل وسوء فهم أقل من
التغلب بتسامح كهذا، ويضن بأي تساهل قد يشعر به الشريك. إنه واحد من سبل
كثيرة الواقعية فيها حول المواطف غير الكاملة يمكنها أن تجلب سعادة أكثر من
لرفع حول عواطف مثالية تمنى أن تملكها.

لذلك، إذا ما كنا موضوعين في هذا العالم كشي نطو فوق الطبيعة فكيف
سنحل ذلك؟ وأين في سلسلة السبب والنتيجة للمورثات المتطورة التي تبني حاسوباً
عصياً فهل نجد وسيلة تستطيع بها أن نوافق الحدث الذي يبدو غير ميكانيكي في
موضوع اختيار قيم؟ فمن خلال السماح للخيار، فهل نكون ندعو شعباً للعودة إلى
ألتة؟ إن السؤال بعد ذاته هو مظهر من الصفحة الخالية. فإن يبدأ المرء بالتفكير بأن
أصفحة خالية، ثم عندما يقترح امرؤ رغبة فطرية، فإن المرء سوف يفتسها ذهنياً على
أسطح القيم في مخيلته، ويستنتج أنها لا بد أن تكون حاسة يتعدى مقاومتها، لأنه لا

يوجد شيء آخر على الصفحة كشي يعمل ضدها، إن «هكسارا» انثوية تترجم إلى سلف
انثوي، ودوافع انثوية تولد قنلة مولودين طبيعيا، والميل لشركاء جنسين متساويين
أن البشر لا يمكنهم إلا أن يخذعوا. فعلى سبيل المثال عندما ظهر عالم الحوار منسج
ghiglieni في برنامج إذاعي وطني /جمعية العلوم / للحدث عن كتابه حول الصد
سأله المحاور: أنك تشرح الاغتصاب والقتل والحرب وجميع الأشياء السيئة التي
يرتكبها البشر كشيء لا يستطيعون القيام بشيء حياله، لأنه مخزن في مورث
نשותهم هناك (178).

على أي حال، إذا كان العقل نظاما ذا أجزاء عديدة، إذن فرغبة فطرية هي
مكوّن واحد من بين مكونات أخرى. فبعض القدرات تمنحنا الجشع أو الشهوة
الشر، لكن قدرات أخرى قد تهينا العاطفة والبصيرة واحترام الذات، ورغبة من
الاحترام من آخرين، ومقدرة على التعلم من تجاربنا ومن تجارب جيراننا. فهذه
فيزيائية تستقر في القشرة الدماغية الأمامية وأقسام أخرى من الدماغ. ليست
مستترة من مورثة الشبح الضاح poltergeist وتمتلك أساما وراثيا وتاريخ نشوء، ليس
من الدوافع الأساسية. إنها فقط الصفحة البيضاء والشبح في الآلة الذي يجعل
يقنون أن الدوافع بيولوجية، لكن ذلك التفكير واتخاذ القرار هما شيء آخر.

القدرات الكامنة تحت التقمص الحمسي والبصيرة، واحترام الذات هي
معالجة بيانات تقبل مدخلات، وأمره أجزاء أخرى من الدماغ والجسد. إنها
مدعمة مثل قواعد اللغة الذهنية الكامنة تحت اللغة، قادرة على استخلاص
محدد من الأفكار ومسارات العمل. فقد يحدث التغيير الشخصي والاجتماعي
يتبادل الناس المعلومات التي تؤثر على تلك الآليات - حتى وإن نكحنا لشيء
من لحم، ساعات مجيدة، أو روبوتات قديمة خلقتها مورثات انثوية.

الإقرار بالطبيعة البشرية ليس فقط منسجما مع التقدم الأخلاقي والاجتماعي.
يستطيع أن يفسر التقدم الواضح الذي حصل عبر آلاف السنين. العادات التي كانت
شائعة خلال التاريخ، وفترة ما قبل التاريخ - العبودية، العقاب بالبطر، والاضط
بالتعذيب، والمجزرة الجماعية من أجل السيطرة، وثورات دعوية لا تنتهي، والقتل
للقرباء، والاعتصام لسبابها بالحرب، وقتل الأطفال كوسيلة للتحكم بالوالد
والملكية القانونية للنساء، هذه كلها قد تلاشت من اصقاع واسعة من العالم.

تعد بين الفيلسوف بيتر سنغر وكيف أن باستطاعة التقدم الأخلاقي المستمر أن يقل من إحساس أخلاقي ثابت (18) افترض أننا نملك ضمورا بعامل الناس الآخرين كأهداف للمحبة، وبعيننا من أن نؤديهم أو نستلهم. وافترض أيضا أننا نملك الهبة تخيير ما إذا يتوصل شيء حي لأن يتم تصنيفه كشخص (هني نهاية المطاف إذا كنا لا نريد أن نصف النباتات كشأشخاص. فإننا نجوع قبل أن نأكلها). يفسر سنغر التقدم الأخلاقي في كتابه / الدائرة التساعية / . لقد وسع الناس باستمرار الخط العظمي لنقط الذي يضم الكائنات التي تمتد جديدة باحترام أخلاقي لقد اتسمت الدائرة باتجاه الخارج من العائلة والقرية إلى العشيرة والقبيلة والأمة والعرق، وحدثا جدا (كما في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) إلى البشرية كلها. لقد اتسمت من الملكية والإستقامة وحائزة الملكية إلى جميع البشر. لقد كانت تضم رجالا فقط فأصبحت تضم النساء والأطفال، وحديثي الولادة. لقد تسلمت باتجاه الخارج لتضم مجرمين، وسجناء حرب وأعداء مدنيين، وموقوفين عقليا ومحتضرين. إن مصطلحات التقدم الأخلاقي لم تنته بعد فهي أيامنا هذه يريد بعض الناس توسيع الدائرة لتشمل القدرة، وبطولات ذات دم دافئ أو حيوانات لها جهاز عصبي مركزي. ويريد بعض الناس أن يضم داخلها اللاقحة blastocysts (خلية تتشأ من اندغام مشيجين)، وأجنة في الشهر الرابع والذين ماتت أدمغتهم. هذا التغيير الضخام في ميول القوة الدافعة في التاريخ الأخلاقي نوعا، لم يتطلب صفحة خالية أو شيئا في آلة. ربما نشأ من جهاز أخلاقي بنوي على زر وحيد أو مزلاج يعدل مساحة الدائرة التي تضم كائنات نعامل بنزاهتها على أنها مثل لاهتماماتنا نحن.

لا حاجة لأن يكون اتساع الدائرة الأخلاقية مدفوعا بدافع غامض باتجاه الخير. قد يأتي من التفاعل بين سيورة التطور الأتانية وقانون ذي أنظمة معقدة. فعالم الأحياء جون ميثارد سميت Stahmary eeros، والصحفي روبرت رايت قد شرحوا كيف يتغير التطور أن يؤدي إلى درجات أعظم فأعظم من التعاون (19) فهي تاريخ الحياة قد ابتعثت التناضات، واختصت لتقسيم العمل، ونسقت سلوكها. يحدث ذلك لأن التلخات replicators تجدد نفسها - في أغلب الأحيان - في ألعاب عمليات حسابية تتجه ليس مساو للصفير. وفيها يتم تبني استراتيجيات محددة حيث مكسب لاعب هو خسارة للاعب الآخر، وتجد شبيها لهذا في مسرحية للكاتب وليم بيليريش التي فيها يحمل رجل أعمى رجلا أعمرج على مكنتيه، وبذلك يستطعمان أن يتجولا. أشاء نشوء

الحياة، دفعت هذه الدينامية جزئيات ناسخة لأن تجتمع في فكر وموزومات خليا غير لتجتمع في خلاياها، والخلايا لأن تجتمع في عضويات معقدة. والعضويات كفي تنضج في مجتمعات عوامل مستقلة - غالبا - قدرها رهينة لدى نظام أكبر. ليس لأنها نظريا ذات عقل مدني civic-minded بل لأنها استفادت من تقسيم العمل وطورت وسائل لردم النزاعات بين العوامل المكونة للنظام.

فالمجتمعات البشرية، تشبه الأشياء الحية، قد أصبحت معقدة ومتعاونة أكثر مع مرور الزمن. فيما أن العوامل تفعل أفضل عندما تجتمع وتختص في سعيها لمصلحتها المشتركة. طالما أنها تحل مشكلات تبادل المعلومات وتماقب الفشاشين. إذا فكان لدي فاشكة أكثر من أن أستطيع أن أأكل، وأنت لديك لحم أكثر مما تستطيع أن تأكل فإن من المفيد لكليتنا أن نتبادل الفائض لدينا. ويقول بنهامين فرانكلين إذا كنا نواجه عدوا مشتركا - يجب أن نتجمع معاً، وإلا فإننا سوف نقتل كغلاً على حدة ويجادل رايت أن ثلاث سمات للطبيعة البشرية أدت إلى اتساع مستمر لدائرة التعاون البشر. إحدى هذه السمات هي المعرفي الذي به نفهم كيف يعمل هذا العالم وهذا السمة نتج معرفة التكيف الجديرة بالتشارك، والقدرة لتشر السلع والمعلومات فيز مناطق أكثر اتساعا، وكلاهما يوسمان فرص الربح في التجارة. السمة الثانية هي القن التي تسمح بتشارك التقلنة وعقد الصفقات، وتعزيز الاتفاقيات. والسمة الثالثة مغزبون عاطفي: الحب، الثقة، الذنب، الغضب، تقدير الذات، التي تجبرنا أن نسمع إن متعاونين جد، وينقش على علاقات معهم ونصون تلك العلاقات من أي استفاد محتل في الزمن الماضي البعيد، وضمت هذه النعم نوعنا على السلم الأخلاقي. فالدائرة العليا واحترام الأشخاص الجديرين بالاحترام قد التعت بشكل مترادف مع دائرتنا التميزنا من الحلفاء والشركاء التجاريين. فبينما تتراكم التقلنة ويصبح الناس في أجزاء أكثر من الضوكب مستقلين، فإن الحقن بينهم يميل إلى التناقص وذلك لسبب بسيط: أنك لا تستطيع أن تقتل شخصا وأنت تتاجر معه أيضا.

العاب الصفر تنشأ ليس فقط من مقدره الناس على أن يساعد أحدهم الآخر، بل من مقدرتهم على الامتناع عن إيذاء أحدهم الآخر. ففي نزاعات كثيرة يقوم كلا الجانبين بتقسيم المدخرات المتوفرة وأن القتال ليس ضروريا. ذلك يقدم دافعا لتطوير تقانات حسم الصراعات مثل الوساطة، وإجراءات تحفظ ماء الوجه، وعودة إلى الوضع السابق، وعقوبات معايرة بمقدار، ومدونات قانونية. عالم الثدييات فرانس دووال 1982

قال إن بدايات جسم النزاع قد توجد في أنواع كثيرة من الثدييات. (20) والأشكال البشرية كطية الحضور عبر الحضارات، وعالية مثل نزاعات المصالح المصممة لكي يتم نزاع قتالها. (21)

مع أن تطور الدائرة التساعية قد يبدو عمليا أو تهكميا حتى، إلا أن سيكولوجيا الدائرة التساعية لا داعي لأن تكون علقها المباشرة، فما إن يصبح زر المحبة في مكانه بعد أن تطور ليستمتع بوائده الثماون والتبادل حتى تغدو إدارته ممكنة عن طريق أنواع جديدة من المعلومات بأن الآخرين هم مثل الإنسان نفسه. تستطيع كلمات ومسور من أعداء سابقين أن تشعل زناد استجابة المحبة. والسجل التاريخي يستطيع أن يحذرنا من حقائق النار وهزيمة الذات. وعي كوني قد يقود إلى التفسير من أجل الحظ أمضي. وقد بناتى لتساع المحبة من شيء أساسي مثل التطلبات لكي يتكون المرء متسقا عند التوصل إلى آخرين لأن يتصرفوا بأساليب محددة: يتوصل الناس إلى إدراك أنهم لا يستطيعون إجبار الآخرين على الالتزام بالقواعد التي هم أنفسهم يهزؤون منها. فانلطف الأتية: الأناني، وذو الميل الجنسي القوي، والعنصري والخوف من الأجاب، هي منطقيا غير متسقة مع المطلب أن يحترم شكل امرئ مدونة سلوكية واحده. (22)

إن، التمايش السلمي لا يتأتى بالضرورة من رغبات أنانية مسحوفة خارج الناس، فقد باتى من النشر على بعض الرغبات: الرغبة من أجل السلامة، فوائده الثماون، القدرة على صياغة مدونات سلوك عالمي والتعرف إليها، ضد الرغبة بالريح القوي. هذه مجرد عينات من السبل قد يدفع فيها التقدم الاجتماعي والأخلاقي إلى أعلى، وليس لوجود طبيعة بشرية ثابتة، بل بسببها.

عندما تتأمل الأمر، تجد أن فكرة طبيعة بشرية مطواعة لا تستحق شهرتها من أجل التنازل والدفع إلى أعلى. وإذا كانت تستحقها لكان مجدها على أنها نزعة إنسانية عظيمة عندما جادل به ف سكينر Skinner أن المجتمع يجب أن يطبق تقانة نظرية على البشر لتشكيل الناس، لاستخدام منع الحمل والحفاظ على الطاقة، وإلحلال السلم، وتجنب المدن المزدحمة. (23) هذا ما جعله فيلسوفا إنساني النزعة. وكان سكينر مخلصا لفكرة الصفحة البيضاء، ومناويا بمدينة فاضلة. رأيته النقية غير اللاقوة تسمح لنا أن ننحري مضامين الإنكار "التناولي" للطبيعة البشرية. لقد ذكر في مقدمته أن السلوك غير المرغوب ليس في المورثات، بل هو نتاج من البيئة، يستتبع ذلك أن علينا أن نتحكم بتلك البيئة، لأن كل ما نفعله هو استبدال الخلط العرضية لتتبريز بخلط مدروسة غيرها.

لماذا ينفر معظم الناس من هذه النظرة ؟ لقد أشار منتقدو كتاب سكينر لما وراء الحرية والكرامة / إلى أن ما من أحد يشك أن بالإمضاض التحكم بالسلوك فوضع مبدس في رأس شخص . أو تهديده بالتمذيب هي أساليب يعجزها العصر . حتى فصل سكينر طريقة شرط فاعل يتطلب تجويهاً للعضوية إلى 10 . من وقتها . وحسبها داخل قفص حيث يتم التحكم بها ببرامج تعزيبية ليست الفضية ما لا باستطاعتنا تغيير السلوك البشري . بل الفضية بأي تكلفة نستطيع ذلك .

طالما أننا لسنا نتاجات بيئتنا فقط . فسيكون هناك تكاليف لدى الناس ولدينا فطرية مثل : الراحة ، الحب ، الأسماء ، التقدير ، الاستقلال الذاتي . حب الجمال والتعبير عن الذات . بصرف النظر عن تاريخهم من التعزيز والتقوية - ويأتون عندما تعبط حريتهم لممارسة هذه الرغبات . إن تحديد الألم النفسي دون مفهوم الطبيعة البشرية أمر في غاية الصعوبة . فحتى ماركس الشاب توجه إلى شخصية النوع مع واقع من أجل نشاط إبداعي ككأساس لنظريته في الاستلاب . فقد نختار أحياناً أن نقرض الفكرة لكي نتحكم بالسلوك . مثلما عندما نعاقب الذين يسيبون لنا معاناة لا يمكن تحملها في الآخرين لمكتنا لا نستطيع أن ندعي أن باستطاعتنا أن نعيد تشكيل السلوك دون أن نتفك حرية الآخرين وسعادتهم . الطبيعة البشرية هي السبب الذي يجعلنا لا نسلم حريتنا إلى مهندسين للسلوك .

رغبات بشرية فطرية تكون مزعجة لمن لديهم رؤية شمولية وطوباوية . غالباً ما تقضي إلى الشيء ذاته . فالذي ينف في طريق معظم الطوباويات ليس الطاعون والقبط بل السلوك البشري . لذلك على الطوباويين أن يفككروا بسبل لضبط السلوك . وعند لا تقوم الدعاية بالخدعة يتم تجريب أساليب مؤكدة أكثر . لقد احتاج الطوباويين الماركسيون في القرن العشرين لوحاً أملس خالها من الأنانية والروابط الأسرية . واستخدموا إجراءات شمولية لكي يخربشوا على الأنواع التطيفية ، أو ليدأوا بأنواع جديدة . فكما قال بيرتولد بريخت عن حكومة ألمانيا الشرقية : " إذا لم يفعل البشر هو أفضل ، فإن الحكومة سوف تستعيد الناس وتتخبط شعباً جديداً " . فلانسة سياسة ، ومؤرخون فككروا في قرن حروب مؤخرأ أشعباً برلين وكينيت مينو minoguc ، وروبرت كونتسكت ، جونسون غلفر ، جيمس سكوت ، ودانيال شيرود قد أشاروا إلى أحلام طوباوية كسبب رئيس لكوابيس القرن العشرين . (25) من أجل ذلك القضية ، فرنسا الثورية ، فكما رأها وردز ورت " كانت تترتمش سعادة بينما كانت الطبيعة البشرية قد ولدت من جديد لكن التضح أيضاً أنها لم تكن نزهة .

ليس فقط السلوكيون والستاليونيون الذين نسوا أن إنكار الطبيعة البشرية قد يكون له تكاليف في الحرية والسماعة. لقد شكلت ماركسية القرن العشرين جزءاً من تيار فكري أكبر يسمى الحدائنة التصطنعية الفالقة: الخداع بأن المخططين استطاعوا إعادة تصميم المجتمع من القمة إلى القاعدة باستخدام مبادئ علمية. (26) هلس سيول المثال، جادل المهندس المعماري Le Corbusier إن مخططي المدن يجب أن يتقيدوا بالتراث والأذواق، لأنهم أعطوا استمرارية للفوضى المتراكمة فقط وللإزدحام الشديد في المدن في عصرهم: يجب علينا أن نبني أمماكن سيولد فيها الجنس البشري ثانية، " وكل امرئ سيعيش في علاقة مرسومة مع الشكل. (27) في طوباوية أمثال هذا المهندس سوف يبدأ المخططون بعماش طاولة نظيف، ويستبدلون جميع الفضاءات والأبنية العامة إلى خدمة " احتياجات بشرية". كلما أن لديهم مفهوم الحد الأدنى من تلك الاحتياجات، كل شخص بحاجة إلى كمية محددة من الهواء والحرارة والنور، ومضكان الأكل، والنوم، والعمل، وأنشطة أخرى. لم يخطر بباله أن الاجتماعات الودية مع الأسرة والأصدقاء قد تكون حاجة بشرية، لذلك اقترح قاعات طعام جماعية لكي تحل مكان المطابخ والرغبة بأن يؤنسن المرء اجتماعيا مفقودة من القائمة، سواء في جماعات صغيرة أم في أمماكن عامة، لذلك فقد خطط مدنه كمسالك حرة ذات أبنية كبيرة، وساحات مفتوحة شاسعة، لكن دون ساحات أو تقاطعات طرق يشعر فيها الناس بالارتياح أثناء اجتماعهم. شكلت البيوت "سائل من أجل العيش" خالية من الرفاق القديمة شكلزخرفة والحدائق ولذلك شكلت موضبة بكفاءة في مشاريع إسكان مستطيلة الشكل ضخمة.

لكن Le Corbusier شعر بالإحباط، في طموحه أن يسطح باريس، بيونس آيرس، ريوودجانيرو، ليعيد بناها وفقاً لمبادئه العلمية. في خمسينيات القرن العشرين نال موافقة نهائية لكي يصمم Chandigarh عاصمة البنجاب، كما أعطي أحد تلاميذه مفرش طاولة نظيفة لبناء برازيليا عاصمة البرازيل. لكن تشتهر هاتان المدينتان بأنهما خراب غير جميل بمقته موظفو الحكومة الذين يعيشون فيهما. الحدائنة الفالقة التصطنعية أدت إلى مشاريع "تجدد مديني" في مدن أمريكية عدة أثناء ستينيات القرن العشرين التي استبدلت المناطق المجاورة المتحركة بمسالك حرة، ساحات فارغة تعصف فيها الريح.

لقد حمل علماء الاجتماع بعيداً مع أعلام الهندسة الاجتماعية. فعالم نفس الأطفال بروس بييري قلق لأن أمهات الفيتو لا يعطين أبناهن البيئة الفنية التي تحتاجها أطفالهن المرنة. ويعتقد هذا العالم أن علينا أن "نجري تحولاً في ثقافتنا": "نحن بحاجة لأن نغير عاداتنا في تربية الأطفال، علينا أن نغير النظرة الشريرة والمدمرة بأن الأطفال هم ملك لأبائهم البيولوجيين. فالعكائنات البشرية لم تنشأ ككائنات بل كجماعات وتتلقى الأطفال ينتمون إلى الجماعة إليهم في عهدهم والديهم (28). الآن لا يستطيع أحد أن يمترض على إنقاذ الأطفال من الإهمال أو القسوة، لكن حضارة بييري المتغيرة قد أنقذت كفي نحر، فالرجال المسلحون يستطيعون تهديم أي أسرة لا تلتزم بالحد الأدنى من طرئ نظرية التربية. فكمما سنرى في الفصل المخصص للأطفال، معظم هذه اللوحات منى على دراسات فيها عيوب، وتعامل كمثل انسجام بين الآباء والأطفال كبرهان على السببية. فغالباً ما يسخر الأب الأمريكي الأسوي، والأمريكي الإفريقي من السببية بأباء غورو guru، لتطور الأطفال مستخدمين أنماطاً أكثر تقليدية وتسلفاً في تربية الأطفال في جميع الحالات المماثلة، التي لا توقع ضرراً دائماً في الأطفال (29) الشريرة الأسرية تستطيع أن تفرقهم عن أطفالهم.

لاشيء في مفهوم الطبيعة البشرية غير متسق مع المثل العليا للحركة التسانز لكن بعض منظري الحركة النسوية قد تبناوا الصيغة البيضاء ومعها فلسفة سلبيا سلطوية تعطي الحكومة قدرات كواسعة لتطبيق وجهات نظرها حول عقول خلقها من الجندر gender. ففي حوار أجري مع سيمون ديوغوفوار عام 1975 قالت: ما من امرأة يجب أن تبقى في البيت لتربي أطفالها. فالمجتمع يجب أن يكون مختلفاً كلياً يجب أن تمتلك النساء ذلك الخيار. لأنه إذا ما وجد ذلك الخيار، فسوف تختارن: سيكتريات (30) كانت غلوريا شتاينم أكثر ليبرالية في عدد من مجلة التايم في مقالتي "الثورة النسائية سوف تتخذ الخيار لأن تكون ربة منزل. امرأة تفضل أن تكون مديرة منزل زوجها ومضيفته سوف تتألم نسبة مئوية من مرتبه، تحدها محاسن المثلث الأرسية" (31) وتكلمت بيبي فريديان بصراحة لصالح "فترة ما قبل المدرسة الإزائية" لمن هم في عمر الثانية (32) بينما داهعت كاترين ماسكينون وأندريا دوركين من أبرز قوانين ضد مجالات الخلاعة الجنسية erotica: "ما أنتم بحاجة إليهم هو شعب يزرع خلال الأدب مثل أندريا دوركين، الذين يرون من خلال الفواتير ملكي، أن نرى خلال الفن وتخلق مفردات غير مسبوقة، مفردات بصريّة نسائية. (33) لقد تأسس هذا،

يخطر الظن أن فلافة من المثقفين الذين يتحلون أي فن أو أدب سوف تستمع به بقية المجتمع.

وفي مقابلة في مجلة نيويورك تايمز شرحت ككارول جيلمان مضامين نظريتها للخاتمة للتربية بأن مشكلات السلوك لدى الصبيان مثل التأتأة وهزط النشاط ناجمة عن معايير ثقافية تضغط عليهم لتتصلبهم عن أمهاتهم:

سؤال: إنك تجادلين أن بيولوجياً البشر ليست قوية جداً لدرجة أننا لا نستطيع تغيير تربية البشر مكافئة.

جواب: صحيح. علينا أن نبني ثقافة لا تكافئ ذلك الانفصال عن الشخص الذي رآهم.

سؤال: هل ما قلته يوحي أن ما لم يتغير البشر تغيراً عميقاً فإننا لن نحدث تغيراً واسعاً في التربية.

جواب: ذلك يبدو صحيحاً بالنسبة لي. (34)

قارئ لا يصدق ما سمع من صدى محاولة لهدسة "رجل اجتماعي جديد" يتساءل قائلاً "هل ما يزال يعتقد أي واحد في الأكاديمية، أن هذا النوع من الأشياء يسير سيراً حسناً حتى النهاية؟" لقد كان محقاً في قلقه. ففي مدارس عديدة تم إخبار المدرسين زليفاً أن، هناك "منطقة فرصة" تجديد جنس الطفل أمر ممكن. لقد استخدموا هذه المنطقة في محاولة لتحديد الصبية: منعوا جماعة اللعب نفسها، وحفلات عيد الميلاد، وأجبروا الأطفال على القيام بنشاطات نمطية لها علاقة بالجنس gender، وفضلوا الطلاب الذين يركزون أشاء الفرص ليلعبوا عسكرياً وحرامية. (36) في كتابها "الحرب ضد الصبيان" تسمى الفيلسوفة كريستينا سومرز هذه الأجنحة "تطفل، ومسيئة، وخارج ما يفعله المراهقون في مجتمع حر." (37)

بعيداً عن الحاجة إلى صفحة خالية، فإن الحركة النسائية تحتاج العكس: فهم واضح للتعبئة البشرية. إحدى أكثر القضايا النسائية إلحاحاً في يومنا هذا هي ظروف النساء في العالم المتطور. ففي أماكن عديدة يتم إجهاض أجنة انتقالية في الشهر الرابع لتالياً، ويتم قتل فتيات حديثات الولادة، ونساء تغذية البنات، ويعمنن من الذهاب إلى لدرسة. وتعرض المراهقات إلى الختان، ونساء يلبسن الشادور من الرأس حتى أصابع قدم، وترجم الزانيات حتى الموت، ويتوقع أن تسقط الأراامل على جنازات أزواجهن

عند الدفن لا يسمح المناخ النسبي في اوساط استغابيه عدة لهذه الحياوف ان تتغير
للتقد لأنها ممارسات ثقافات أخرى، والثقافات هي عضويات قائمة organisms
لها حقوق غير قابلة للاستلاب. لتفادي هذه المصيدة استحضرت الفيلسوفه ماري
نوسباوم " قدرات وظيفية مرسكزية "، ان جميع البشر لديهم الحق ان يمارسوها
المبادء الجسدية، حرية المعتقد، والمشاركة السياسية. وهي يدورها تعرضت للتقد
لأنها قامت "بهمة تعدين" استعمارية أو "عصبه امرأة يضاء" يعلم فيه الأبرياء
المتجرهون فقراء، في العالم بما يريدون هم. لكن جدال نوسباوم الأخلاقي معض
الدفاع عنه إذا كانت "قدراتها" مبنية على أسس، سواء مباشرة أم غير مباشرة. في
طبيعة بشرية ككونية. تقدم الطبيعة البشرية عصا القياس لتحديد المعايير لدى أي فرد
من نوعنا.

وجود طبيعة بشرية ليس اعتقاداً رجعياً يحكم علينا باضطهاد ابدى. وعند
وجشع يجب علينا أن نحاول لتقليل السلوك الضار، كلما نحاول التقليل من البلا
كالتجوع والمرض، وعوامل أخرى. لكننا نعارض تلك البلايا لا عن طريق إنكار حقا
الطبيعة المزعجة، بل بتحويل بعض هذه الحقائق ضد حقائق أخرى. فكلنا نطور
محاولات التحول الاجتماعي فعالة ينبغي أن نحدد الموارد المعرفية والأخلاقية التي نتم
بعض أنواع التغيير ممكنة. لتكون إنسانيين في جهودنا بتوجب علينا ان نتعرف بالسر
والآلام العالمية التي تجعل بعض أنواع التغيير أمراً مرغوباً.

الفصل العاشر

الخوف من الجبرية (الحتمية)

هذا الفصل ليس حول كلمة مرعبة - ترس على أي تفسير ليل سلوكي ينظر تطور أو الوراثة. إنه حول الحتمية بمعناها الأصلي، المفهوم النقيض للإرادة الحرة - إلا لناعم التمهيدية الفلسفية. الخوف من الجبرية بهذا المعنى - يمكن استيعابه إلا بشفرة شعرية فكاهية:

قال شاب: اللعنة

بحزنني أن أظن أنه

قد قدر علي أن أتحرك

إلا أخدود محدد،

إلا حقيقة الأمر، ليس باصلاً بل - حافلة ككهربائية .

إلا التصور التقليدي لشبح إلا الآلة، أجسامنا تسكنها ذات أو روح تختار السلوك التي ينفذه الجسد. فهذه الخيارات لا يفرضها حدث مادي سابق، مثل ضربة بلياردو تضرب بكرة أخرى وترسلها إلى حفرة موجودة إلا زاوية. وفكرة أن سلوكنا يسببه نشاط فيزيولوجي لدماغ مشكل وراثياً يبدو أنها تدحض الرأي التقليدي. إنها تجعل سلوكنا نتيجة آلية من جزئيات إلا حركة، ولا تترك مكاناً لخيار سلوكي غير سببي.

أحد المخاوف من الجبرية هو قلق وجودي متسح: أننا إلا أعضاؤنا لسنا متحكمين بخياراتنا. فشكل تربيئتنا، وعذابتنا على الشيء الصحيح كفي تفعله لا طائل وراءه، كلما يبدو، لأن كل شيء إلا أفعالك قد تم تحديده من قبل أدمغتنا. فإن تمكن تعاني من هذا قلق، فإنني أقترح اتباع التجربة التالية. بالنسبة للأيام القليلة التالية لا تتصاقق بالاعتماد على أفعالك. ضياع للوقت أن تفعل ذلك، لأنها محددة مسبقاً، عش اللحظة. إن يبدو الأمر جيداً فافعله. إنني لا أقترح جدياً أن تجرب هذا، لكن لحظة لتفكير إلا

ما سيحدث إذا حاولت التوقف عن اتخاذ قرارات تلعب دور المخدر – الغاليوم – لتز
وجودي.

تجربة الاختيار ليست خيالاً ، بلض النظر عن فكيف يعمل الدماغ إتباعا على
عصبية عقلية مع الوظيفة الواضحة لاختيار سلوك وفقاً لنتائج المتوقعة. فنادراً
يستجيب لمعلومات من الأحاسيس ، من ضمنها نصائح الآخرين. إنك لا تستطيع أن تسيطر
خارجة ، أو تدعه يضي من دونك لأنه هو أنت. إذا سكتت الجبرية في شككها الأخر
صلاية حقيقية ، فلن تستطيع أن تفعل شيئاً حيالها لأن فقلك هو حول الحتمية ، ويظهر
تتعامل معها ، وهذا سيكونان محددتين أيضاً. الخوف الوجودي من الحتمية هو
التبديد الحقيقي للزمن.

خوف عملي أكثر من الحتمية تلمسه في قول ا. ا. ميلن milne لأشك ان جد
القاتل عذر نفسه على أسباب أنها سكتت طبيعة بشرية . الخوف هو أن يبدو فهم طبي
بشرية وسكتته يلقي مفهوم المسؤولية الشخصية. فصي النظرة التقليدية ، بعد اختيار ما
سقطه تبنى الذات أو الروح السؤلية عندما تتحول الأشياء بشكل سيء. كما
مكتوب هاري ترومان للززال الكعك يتوقف هنا. لكن عندما نمرزو عملاً إلى مرأ
ومورثات شخص أو إلى تاريخ تطور ، فهذا أننا لا نعد الفرد مسؤولاً. فالبيولوجيا نصي
المهم المثالي ، البطاقة الجانبية للخروج من السجن ، والملاحظة النهائية لعذر الطيب
هذا الزعم – كما رأينا – صنعه اليمين الديني والتقاضي ، الذي يريد الحفاظ على
الروح ، واليسار الأكاديمي الذي يريد الحفاظ على "نحن" الذي يشكل مستقبلاً في
ظروف ليست من اختيارنا نحن.

لماذا سيحكون مفهوم الإرادة الحرة مرتبطاً بشكل وثيق بفكرة المسؤولية ، ولذا
يمتد أن البيولوجيا تهدد كليهما ؟ هنا يكمن المنطق. إننا نلوم الناس على فعل شر.
أو قرار سيء عندما كانوا يقصدون النتائج ، وكان باستطاعتهم اختيار غير ذلك إننا
لا ندين صياداً يسبب صديقاً عن طريق الخطأ ، بينما سكتان يصوب إلى غزال. أو
السائق الذي دفع جون سكتندي في خط النار ، لأنهما لم يكن باستطاعتها ترو
النتيجة ، ولم يكونا يتوانين أن تكون نتيجة أفعالهما تلك النتيجة. إننا نهدى الرحمة
على ضحية تعذيب تخون رفياً ، وعلى مريض يهدى من الحمى فيضرب ممرضة ، أو
على مجنون يضرب شخصاً يعتقد أنه حيوان مؤذ ، لأننا نشعر أنهم لا يتحكمون

بقدراتهم، إننا لا نحاسكم طفلاً صغيراً يتسبب في موت، ولا نحاسكم حيواناً أو شيئاً، لأننا نعتقد أنهما بنويّاً غير قادرين على اتخاذ خيار معلوم.

يبدو أن بيولوجيا الطبيعه البشرية تقبل المزيد من الناس في مراتب عدم اللوم. فقال قد لا يكون طفلاً أحقق مؤذياً ولكن وسائل ولعنا بما هو جديد قد تثير لوزة منكمشة أو hypometabolism في النصف الأمامي للدماغ أو مورثة ناقصة monamine oxidase تجعله خارج السيطرة تماماً، أو ربما اختيار من مخبر سيكولوجيا المعرفة بين انه يعاني - بشكل دائم - من قصور نظر في عواقب الأمور. يحوله متجاهلاً المواقف، أو أن لديه نظرية منقوصة للعقل جاعلة إياه غير قادر على تقدير معاناة الآخرين. في نهاية المطاف، إذا لم يكن هناك شبح في الآلة، شيء ما في هارويزر المجرم لابد أن ينفذ معزولاً عن معظم الناس الذين لن يؤذوا أو يقتلوا في الظروف ذاتها. سنجد - حالاً - أن شيئاً ما، يُخشى منه - قتل سوف يهدرون من عقاب جرمي مثلما تعذر الجنائين والأطفال الصغار.

الأمر الأسوأ من ذلك هو أن البيولوجيا قد تبين أننا - جميعاً - لا لوم علينا. فطرية التطور تقول إن البير النهائي لدوافعنا هو أنها تزيد مورثات أسلافنا في البيئة التي نشأنا فيها. وطالما أن لا أحد منا مدرك لذلك المبير، فلا يمكن لوم أي واحد منا في السعي إليه، أكثر مما تلوم المريض عقلياً الذي يعتقد أنه يطارده كلباً مسعوراً بينما في حقيقة الأمر يهاجم ممرضة، إننا نحك رؤوسنا عندما نعلم أن عادات قديمة أوقعت العقاب على من لا أرواح لهم. فالمادة العصبية التي تضيي برجم ثور حتى الموت إذا ما قتل الثور إنساناً. والعادة الأثينية بمحاكمة هأس إذا ما ألحقت الضرر بإتسان (ورميها من فوق سور المدينة إذا ما وجد أنها مذنبية). وهناك قضية فرنسية من العصور الوسطى حكيم فيها على خنزيرة لأنها هربت طفلاً. وكذلك جلد ودفن جرس كنيسته في عام 1685 لأنه ساعد هراطقة فرنسيين (1). لكن علم الحياة التطوري يصر على أننا أساماً لسنا مختلفين عن الحيوانات، ويؤكد علماء الوراثة الجزيئية وعلماء الأعصاب أننا لسنا مختلفين عن المادة الجامدة. فإذا كان الناس لا أرواح لهم، فلماذا لا نعدُّنا من المسخاة إتياع العقوبة عليهم؟ ألا ينبغي أن نسير اهتماماً لأنصار إعادة الخلق creationists الذين يقولون إننا إذا علمنا الأطفال أنهم حيوانات، فإنهم سوف يتصرفون مثل الحيوانات، وإذا ما كان لنا أن نعضي إلى أبعد من رابطة البندقيه الوطنية، البنادق لا تقتل، الناس هم الذين يقتلون، ونقول إن ليس الناس يقتلون لأنهم مجرد أدوات مثل البنادق.

هذه المخاوف ليست أكاديمية فقط. ففي بعض الأحيان نستدعي هيئة الدفاع عبر المجرم علماء اعصاب المعرفة على أمل أن pixel مشاكس في صورة للدماغ قد تبرز موسكتهم (وهذا سيناريو ذكي في رواية ريتشارد دولنج / عاصفة دماغ / عندما يمر فريق من علماء الوراثة مورثة نادرة جعلت الرجال في أسرة واحدة ميالين إلى التفردية عنيفة. لقد جادل محامي القاتل أن موسكله قد يتكون لديه مورثة مماثلة أيضاً. في كتابات الحالة كذلك " فإن أفعاله قد لا تكون نتيجة لإرادة حرة بالكامل". عندما جادل راندي ثورنهيل وغريغ بالمربح بأن الاعتصام هو نتيجة لاستراتيجيتي تكاثرية ذكورية ، ودافع معام آخر عن مشبوهين بالاعتصام باستخدام نظريتهما أن فقهاء قانون مطعمون بيولوجياً من أمثال أوين جونز جادل أن "دفاع مورثة المتخصص" سوف يفشل بالتاكيد ، لكن التهديد العام يبقى بأن التفسيرات البيولوجية سوف تستخدم في تبرئة المذنبين (4). فهل هذا هو المستقبل المشرق الموعد الذي تعدنا به علم الطبيعة البشرية ، لم يكن أنا من فعل ذلك، لقد كانت لوزة دماغي 5 أو داروين جنم أفضل ذلك ؟ المورثات أصكفت وظيفتي اللزالية؟

يأمل الناس أن روحاً غير مسيبة caused u قد تقذف المسؤولية الشخصية عنهم في حالة ياس في كتاب الفيلسوف دان ديلت Dennett غرشة إلبوا توعمت الإرادة المر: الجديرة بالتوق توضح أن الشيء الأخير الذي نريده في الروح هو حرية أن تفعل أي شيء ترغبه الروح (5). فإذا ما اختبر السلوك بإرادة حرة تماماً فلن يكون بوسعنا أن ند التماس مسؤولين عن أفعالهم. فلن تردع تلك الكيونة بتهديد عقوبة ، أو نخذل مر منظور عمل محز ، أو نشمر بتأنيب ضمير قد يمنع إغواء خاطئاً في المستقبل. في باستطاعتها أن تختار تحدي مسببات السلوك. لا يمكننا أن نأمل بتقليل أفعال الشر من خلال تطبيق مدونات أخلاقية ، لأن قوة حرة عاتمة في مستوى مختلف من سبب السبب والنتيجة لن تكون متأثرة بهذه المدونات. فالنزعة الأخلاقية والقانون سيكتبر دون جدوى باستطاعتنا أن نعاقب مذنباً ، لكنه سيكون من الحقد المحض ، لأنه لير له أي نتيجة متوقعة على سلوك مستقبلي للمذنب ، أو على أساس آخرين مدرتك للعقاب.

من جهة ثانية، إذا كانت الروح نشأ - كما هو متوقع - بمنظور التصدير والتجمل أو الثواب والعقاب، فإنها لم تعد حرة بحق، لأنها مجبرة (على الأقل احتمالياً) أن تحترم تلك الجوازات. فما يحول معايير المسؤولية إلى تغيرات في احتمالية السلوك - مثل قاعدة "إن يظن المجتمع أنك وغد جلف للقيام بـ X، فلا تفعل X" - بالإمكان برمجةها في خوارزميات وتطبيقها في هاردوير عصبي. الروح هي زائدة غير ضرورية.

العلماء اللدافعون يحاولون أحياناً أن يحرفوا تهمة الجبرية من خلال إضاح أنه لا يمكن التنبؤ بالسلوك تماماً، لأنه محتمل دائماً، حتى في أحلام أصعب عقول أصحاب النزعة المادية، في ذروة النزعة السلوكية التي نادى بها سكينر صاغ طلابه / قانون السلوك الحيواني في هارفارد / تحت شروط تجريبية تم التحكم بدرجة الحرارة، والزمن، والإنارة، والتغذية، والتدريب، العنصرية سوف تسلك كما هو مقدر لها تماماً. حتى التوائم المتماثلون الذين يتربون سوياً، ويشتركون في جميع مورثاتهم وفي معظم بيئتهم، ليسوا متطابقين في الشخصية والسلوك، مع ذلك فهم متشابهون كثيراً. ربما يضخم الدماغ أحداثاً عشوائية في المستوى الجزيئي أو الكوانتم وربما أن الأدمغة ليست أنظمة ديناميكية غير خطية خاضعة إلى فوضى لا يمكن التنبؤ بها، أو ربما التأثيرات المتداخلة للمورثات والبيئة شديدة التعقيد لدرجة أن ما من إنسان يتبعها بدقة كافية لكي يتمكن من التنبؤ بالسلوك بدقة.

إمكانية توقع السلوك الأقل من ثامة بالتأكيد تعطي العكسية إلى العبارة الجاهزة بأن علوم الطبيعة البشرية حتمية بالمعنى الرياضي. لكننا لا نلجج في أن نستهدف الخوف بأن العلم يحتم مفهوم الإرادة الحرة والمسؤولية الشخصية. عمراء يبلج الصدر أن يقال أن مورثات الإنسان (أو دماغه، أو تاريخ تطوره / جعله يقتل صاحبه بيته بنسبة 99 مقابل 100). السلوك بشكل تأكيد لم يمكن محدد بدقة، لكن لماذا نسبة 21 لإمكانية قيامه بغير ذلك تجعل الرجل مسؤولاً؟ في الحقيقة ليس هناك قيمة احتمالية تعيد لوجدها المسؤولية إلى الداخل. يستطيع المرء دائماً أن يعتقد أن هناك فرصة 50٪ أن بعض الجزيئات في دماغه رأسكوليكوف ذهبت في هذا الاتجاه، وأجبرته أن يرتكب جريمة القتل، وفرصة 50٪ ذهبت في ذلك الاتجاه أجبرته ألا يرتكبها. إننا لا نملك شيئاً مثل إرادة حرة، ولا مفهوم مسؤولية بعدنا بتقليل الأفعال الضارة. لقد أشار هيوم إلى الأحجية الفطرية في مساواة مشكلة المسؤولية الأخلاقية مع مشكلة ما إذا

كان للسلوك سبب مادي؛ إما أن تكون إفعالنا جبرية، ففي هذه الحالة لسنا مسؤولين عنها، أو أنها نتيجة أحداث عشوائية، وبلا هذه الحالة لسنا مسؤولين عنها.

الناس الذين يأملون أن حظراً على التفسيرات البيولوجية قد يعزز السلوك الشخصية فهم سيواجهون ما هو أكثر إحباطاً. فالذرائع - الأكثر إسهاماً - للسلوك السيئ في العقود الحديثة، قد أتت لا من حتمية بيولوجية بل من حتمية بيئية العذر الذي أسيء استخدامه، دفاع توينسكي، الغضب الأسود - تسهم الصور الإيجابية المرض المجتمعي، عنف وسائل الإعلام، أغاني التروك، - وإضافات ثقافية مثلت (استخدمها - مؤخراً - أحد المحامين في دفاعه عن فتاة فجرية واستخدمها كذلك محام آخر للدفاع عن امرأة هندية كندية قتلت صديقها (6) وبلا الأسبوع ذاته الذي كتبت فيه هذه الفقرة ظهر في الصحف مثالان جيدان. أحدهما من عبادة نفسية تُسم إلى حوار مع فتلة ككرووا جرائمهم ككي يتألوا مساعدة في تخفيف الحكم. إن الرحمة أو الاستئناف. إنه يستطبع أن يوضب الصفحة البيضاء والهجي النيل والمخالطة الأخلاقية، والحتمية البيئية في فترة واحدة:

معظم الناس لا يرتكبون جرائم رهيبة دون أن يلحقوا ضرراً عميقاً بأشياء تعود لهم. الأمر ليس وحوشاً تولد بمنة وبسرة، بل الأطفال يولدون بمنة وبسرة، ويصون بأشياء مرعبة، ونتيجة لذلك يتوصلون إلى القيام بأشياء مرعبة. وإنني لأفضل كثيراً أن أعيش في ذلك العالم على أن أعيش في عالم حيث الوحوش قد ولدت للتو (7).

والمثال الآخر، حول طالبة في العمل الاجتماعي في مانهاتن:

تيماني ف. غولد بيرغ عمرها 25 سنة من ماديسون ويس WISS. ضربت على رأسها بقطعة من الخرسانة هذا الشهر بيد رجل غريب. بعد ذلك عبرت عن قلقها على مهاجمها بعد أن قدرت أنه لا بُدُ قد مر بطفولة مضطربة. عدُ الخريجون في مجال العمل الاجتماعي في ككولومبيا موقف الأتسة غولد بيرغ متمسكاً مع نظرتها إلى الفد. قد ككريستين مهالز - 27 سنة - "إن المجتمع هو الموم لا الأهدار" الضف نقل عبر الأجيال (8).

علماء نفس التطور يُقرُّون عموماً على "التماس أهدار" نشوش النظرية من حيث فهم الناس لها، بأن عيناً في جواله في أسلافنا كانت تنفسي مكافآت بأعداد أكبر

الأخاد. إنهم يستطيعون أن يأخذوا قلباً من سيرة ذاتية حديثة ، دفعته شكوكه الذاتية إلى السعي إلى محبة الجماعات (29). كما قالت بروس سيرنستين springsteen. وقالت مراجعة الكتاب إن الحماقات الجنسية لدى وودي الن "متأصلة في رضى" وعلاقة "سيئة" مع والدته (10). وتفسير هيلاري كليلنتون للمقد الجنسية لدى زوجها في مقابلتها الشائعة في برنامج /talk / ، لقد كان صغيراً جداً - 4 سنوات فقط - عندما أصيب بنفوس نتيجة سوء معاملة لدرجة أنه لا يستطيع أن يتعلمها وينظر إليها. كان هناك صراع رهيب بين والدته وجدته. لقد أخبرتني عالم نفس أن وجود وسط صراع بين امرأتين هو الوضع الأكثر سوءاً بالنسبة لصبي. هناك دائماً الرغبة كفي برضي شكل شخص(11). لقد تعرضت السيدة كليلنتون إلى نقد العلماء القاسي على محاولتها التماس عذر لزوجها ومفارقاته الجنسية الطائشة ، مع أنها لم تقل كلمة حول الأذمة أو المورثات أو التطور. يبدو منطلق الإذانة أنه: إن يحاول شخص تفسير فعل كفتنتيجة لسبب ما ، فإن المفسر يقول إن الفعل لم يكن مختاراً بحرية ، وإن الفاعل لا يمكن أن يندُ مسؤولاً.

الحمية البيئية شائعة جداً لدرجة أن جنساً أدبياً من المسخرة قد نما حولها. في أحد رسوم فكرتون في صحيفة نيويورك ، تقول امرأة على منصة الشهادة "صحیح أن زوجي يضربني بسبب طفولته ، لكنني قتلته بسبب طفولتي. وبلا اللطفة الكوميدية استنتاج غير منطقي لتكثف / إدارة عبادة صعبة عقلية / الطابق الأول خطأ الأم. الطابق الثاني: خطأ الأب، الطابق الثالث ذنب المجتمع ". ومن يستطيع أن يلمس الطائرات النفاثة في / قصة الحي الغربي / التي تم تخيلها ، تشرح إلى رقيب الشرطة المحلية "إننا فاسدون لأننا محرومون"

من فضلك يا عزيزي الرقيب كروبوك kropke عليك أن تفهم ، أنها تربيتنا فقط

هي التي تخرجنا عن نطاق السيطرة

أمهاتنا هن بانعات مخدرات

وأبائنا سكيرون

نحن مستهترات بشكل طبيعي ، نحن بقايا!

شيء ما مريع قد حدث بشكل خاطئ؛ إنه فوضى التفسير مع التوبة! نقضاً
هو متضمن لدى منقدي النظريات البيئية والبيولوجية لأسباب السلوك. فتنسب
السلوك لا يعني تبرة صاحب السلوك. ربما قد قدمت هيلاري كلينتون أبداً لتفسير
تاريخ علم النفس اللغوي، لكنها لا تستحق أن نكتم أنها حاولت التماس عذر لسوء
الرئيس لقد وصفت قصة في جريدة نيويورك تايمز رد فعل السيد كلينتون على انتقاد
الناس لزوجته " إنني لم أقدم اعتذاراً لما ليس له عذر، وهي لم تفعل ذلك.
صدقوني هذا ما قاله مقلباً حاجبه للتاكيد (12) إذا لم يكن السلوك عثوياً
تماماً، سيكون له تفسير ما، وإذا كان السلوك عثوياً تماماً، لا نستطيع أن نرى
الشخص مسؤولاً. في أي حال لذلك إذا عدنا الناس مسؤولين عن سلوكهم سيكون
ذلك رغباً عن أي تفسير سببي. نشعر أنه مُخدَّر أننا تلقينا إنذاراً، سواء بحرب
المورثات، الأدمغة، التطور، صور وسائل الإعلام، الشك بالذات، أو أن يكون قدرات
نساء محبات للشجار. ندرک الفرق بين تفسير سلوك وتقديم عذر له في القول المأثور " إن
تفهم، لا يعني أن تسامح"، وقد تم التأكيد عليه في أشكال مختلفة من قبل فلاسفة
عدة، من بينهم هيوم، وكانتات، وسارتر (13) يعتقد معظم الفلاسفة أنه ما لم يكن
الشخص مجبراً فعلاً (أي صوب مسدساً إلى رأسه) ينبغي أن نعدُّ أفعاله قد تم اختيارها
بحرية، حتى لو سببتها أحداث داخل مجتمعه.

لكن كيف نستطيع أن نمتلك كلاً التفسيرين: بمتطلبهما من السببية
الفردية، والمسؤولية بمطلب الاختيار الحر؟ لفعل ذلك لسنا بحاجة إلى حسم التفاضل
القديم، وربما غير القابل للحسم بين الإرادة الحرة والجبرية. علينا فقط أن نكسر
بوضوح بما نريد من مفهوم المسؤولية أن يتجزء. المسؤولية مهما كانت قيمتها التقديرية
المجردة لها وظيفة عملية هامة: ردع السلوك اللغوي. فعندما نقول إننا نعدُّ شخصاً
مسؤولاً عن عمل خاطئ، فإننا نوقع منه أن يعاقب نفسه، بالتعرض للضحية. وإن
يتمرض للذلل، ويتحمل العقوبة، أو يعبر عن تأنيب ضمير، ونحتفظ بحق معاقبته
بأنفسنا. فما لم يكن الشخص راعياً بأن يجعل شخصاً يعاني من عاقبة مزعجة، فإن
مزاعم المسؤولية تكون جوفاء. لقد تعرض ريتشارد نيكسون للسخرية عندما انخر
للضغوط، وأخيراً "تحمل المسؤولية" في قضية ووترغيت، لكنه لم يقبل أي تكاليف.
مثل الاعتذار أو الاستقالة، أو طرد معاونيه.

أحد الأسباب لجعل الشخص مسؤولاً هو ردع الشخص عن ارتكاب أفعال مماثلة في المستقبل، لكن لا يمكن أن يعتمد ذلك القصة كلها، لأنها مختلفة فقط في الدرجة عن احتمالات معقولة مستخدمة من قبل السلوكيين لتعديل سلوك الحيوانات. في غضون سببية اجتماعية تستخدم اللغة، والسياسة قد تردع أيضاً أفعالاً مماثلة لخصائص أخرى تعلمت الاحتمالات والسيطرة على سلوكها بحيث لا تتعرض لعقوبات. ذلك هو السبب النهائي الذي نشعر إننا مجبرون أن نوقع العقوبة على مجرمي الحرب النازيين الكبار في السجن، علماً أن هناك خطراً قليلاً بأنهم سيترتكبون هولوكوست آخر إذا ما تركناهم يمشون في أسرهم في بوليفيا. فمن خلال عدم مسؤولين عن طريق سياسة تمييزية لاجتثاث ومعاقبة الشر حينما يقع وكلما يحدث فإننا نأمل أن تردع الآخرين عن ارتكاب شهور مماثلة في المستقبل.

إن هذا لا يعني نقول إن مفهوم المسؤولية تركزية من قبل أحابيل السياسة لمنع أكبر عدد من الأعمال الضارة بأقل تكلفة. فحتى إذا قرر الخبراء معاقبة نازي ذلك لن يمنع مذابح في المستقبل، أو إذا استطعنا أن نتفقد أرواحاً أكثر من خلال تحويل طاقة الانسان إلى إلقاء القبض على السائحين الخمورين مع ذلك ما نزال نريد تقديم التنازير إلى العدالة.

قد تأتي المطالبة بالمسؤولية من إحساس ملح لاستحقاقات عادلة، وليس فقط من حسابات عقلية عن أفضل وسيلة لتردع أفعال محددة. لكن العقاب بالمعنى المجرد لاستحقاقات عادلة فهو في نهاية المطاف سياسة للردع يستتبع من مفارقة ملازمة لنطق الردع فقد يردع التهديد بالعقاب سلوكاً ما، فإذا ما وقع السلوك، فإن العقاب لا يخدم هدفاً إلا السادية المحض، أو رغبة غير منطقية لجعل التهديد معقولاً بفعل رجعي إنه لن يردع الضحية كلما يقول خصوم العقوبة التكبيرية، لكن بالإمكان قول ذلك من أي شكل من أشكال العقوبة. فإن نبدأ الفيلم من النقطة التي تتفقد فيها العقوبة، فإن الأمر يبدو مثل نكافية، ولأنه مكلف لمن يوقع العقوبة، ويلحق الأذى بالشخص المعاقب دون أن يقدم أي شيء مفيد مباشرة. مفارقة العقاب، وظهور علم النفس، وعلم النفس العلاجي في خمسينيات القرن العشرين قاد بعض المفكرين إلى القول إن العقوبة الجرمية هي بقية من عصور بربرية، يتوجب استبدالها بالعلاج وإعادة التأهيل مكان التوقف واضحاً في عناوين الكتب مثل كتاب برنارد شو / جريمة السجن /، وكتاب العلاج النفسي كارل مينتشر / جريمة العقاب /. مكان ذلك واضحاً وقد عبر عنه

قانونيون بارزون من أمثال أوليم أو دوشلاس، ووليم بريمان، إريك وارن. ويقدرون
هؤلاء الراديكاليين لم يعانوا من خوف من الحتمية، بل رحبوا بها قائلين لها الأثر
قلّة من الناس تقول في يومنا هذا إن العقاب الجرمي عبث الطراز - خرس
يدركوا أن لا طائل وراء ذلك على المدى القصير. فإذا ما حسينا الأثار في المدى الطويل
(سوى إضعاف بعض المجرمين المحترفين) في تقرير إن تعاقب مئتين مئتين
بإستطاعتها أن تستشرّف ذلك الحساب وتصنّفه في سلوكهم لقد استطاعوا التنبؤ
ذلك لن يستحق المحاولة إن تعاقبهم بعد فوات الأوان لمنع الجريمة. ولم نستطع أن نعمل
بحصافة باستدعاء خدعنا. الحل الوحيد هو تبني سياسة حاسمة لعقاب المذنبين
النظر عن النتائج المباشرة. فإذا لم يمكن خدع أمرؤ فعلاً لتهديد بالعقوبة، فليس هنك
خداع يستدعيه. كما شرح أوليفر ويتدل هولز* لو سكنت أخوض في حديث فلسفي
رجل كنت سأشكته، فعمل القول لا شك أن فعلك كان لايد منه بالنسبة لك. نظر
لجعل الأمر ممكناً تجنبه أكثر، فإننا نقترح أن تضحي بلد من أجل الصالح العام
بمكثك أن تعدّ نفسك مثل جندي يموت من أجل بلاده، إن ترد ذلك، لكن القوي
يجب أن يفي بوعوده، (14) لهذا الوفاء بالوعد يمكن وراء سياسة تطبيق العدل
كمسألة مبدأً بغض النظر عن التكاليف المباشرة أو حتى الاتسجام مع الإرت
السليم، فإن يحاول سجن محكوم بالوعد الانتحار. فإننا نسرع به إلى قسم الطوارئ
للنقذ، ونعطيه أفضل دواء لتساعده على أن يتعافى ثم نقتله. إننا نعمل ذلك كجزء
سياسة تعلق ككل الممكنات* بخداع العدالة.

المقوبة الكبيرة هي مثال واضح على المنطق المتناقض للردع، لكن المنطق يطوّر
على عقوبات جرمية أدنى، على أفعال انتقام شخصية، وعلى عقوبات اجتماعية ضئيلة
مثل النبذ والسخرية. لقد جادل علماء نفس التطور ومنظرو الأثار أن مفارقة بين
أدت إلى نشوء العواطف التي عززت رغبة من أجل العدالة؛ الحاجة الملحة للعدالة
والشعور الملح بأن فعل الشر يطيح بالعالم خارج التوازن وليس بالإمكان إنقاذها إلا
طريق عقاب مناسب الناس المدفوعون عاطفياً للانتقام ممن يخاصمونهم هم ضور
معتولون وأكثر وأقل احتمالاً لتمرصهم للاستئصال. (15) ويجادل العديد من نظري
القانون أن قانون الجرائم هو ببساطة - تطبيق محكم لرغبة بشرية من أجل العدل
ومصمم لإبقائها بعيداً عن التصاعد إلى حلقات أثار. قال الفقيه القانوني الفيلسوف
جيمس ستيقن إن قانون الجرائم يجعل العلاقة نفسها مع الدافع للانتقام، مما يربط
الزواج بالدافع الجنسي(16).

بشكل بسيطة ، توسع المفاهيم الدينية للخطيئة والمسؤولية هذه الرافعة عن طريق تضمين أن أي عمل خاطئ لم يتم اكتشافه ، أو لم تتم العقاب عليه سوف يكشفه الله ويعاقب عليه. ويأخذ مارتن دالي ومارغو ويسون البير النهائي لمارفنا الحديثة حول المسؤولية والعقاب الإلهي:

من منظور سيكولوجيا التطور هذا النوع يكاد يكون نوعاً غامضاً ويبدو غير قابل للاختزال من التزام أخلاقي، وهو نتاج آلية عقلية لها وظيفة تكيف مباشرة؛ انساب العدالة وتحديد العقاب بعملية حسابية تكفل أن مخالفي القانون لا يحصلون فائدة من أعمالهم السيئة. الحجم الضخم للضخم للكلام المحير الغامض – الديني هو التمييز والتوبة والعدالة الإلهية وما شابه ذلك، هو الاستسلام لسلطة أعلى مستقلة عما هو بنوي، مسألة براغماتية؛ تثبيط الاهتمام الذاتي بأعمال الشاؤم عن طريق تقليل ربحيتها إلى الصفر (17).

تضمن مفارقة الردع وراء ذلك الجزء من منطق المسؤولية الذي جعلنا نوسعه أو نتأقده معه عندما نعلم عن الحالة العقلية لشخص. إذ أن المجتمعات الحديثة لا تتبنى فقط أي سياسة أكثر فعالية لردع المذنبين. فعلى سبيل المثال إذا كانت القيمة الوحيدة لارتد هي تقليل الجريمة ، فاستمالة المرء دائماً أن يجعل العقوبات عليها فاسية ، كما فعلت معظم المجتمعات حتى وقت قريب. يستطيع المرء أن يحكم على الناس على أساس التهمة ، أو بطريقة مذنب ، أو اعتراف معزز. يستطيع المرء أن يعدم ككل عائلة مجرم أو عشيته أو قرينه كلها ، ويستطيع المرء أن يقول لخصومه كما قال *vito colonna* إلى زعماء أسر الجريمة الآخرين في فيلم / العراب / إنني رجل خراب ، وإذا ما حدث لأبني حادث مشؤوم ، إذا ما ضريته صاعقة ، فسوف أقتي اللوم على بعض الناس هنا.

تصدنا هذه الممارسات على أنها بربرية ، لأنها توقع أذى أكبر مما هو ضروري لردع الشر في المستقبل ، وكما قال الكاتب السياسي هارولد لاسكيلي: الحضارة قبل كل شيء – تعني عدم الرغبة بإيقاع ألم غير ضروري. المشكلة مع روادع واسعة الطيف هي أنها تلقى القبض على أبرياء. أناس لم يكن بالإمكان ردعهم عن ارتكاب فعل غير مرغوب. (تلك كانت حالة الرجل القوي الذي ضغط على الزناد ، أو منزعج أثناء عاصفة رعدية تقتل ابن العراب). فظالما أن عقاب هؤلاء الأبرياء قد لا تردع

درجة كافية من العقل ليحكون مسؤولاً عن جرائمه. ما لم يتم إثبات العكس. لتأسيس دفاع على أرضية الخيل يجب أن يبرهن ذلك بوضوح. عند وقت ارتكاب الفعل بأن التهم كان يعمل تحت نقص عقلي، فمرض عقلي. كان لا يعرف طبيعة ونوعية الفعل الذي كان يفعله، أو إذا لم يكن يعرفه، أو أنه لم يكن يعلم أن ما كان يفعله خاطئاً.

هذا رسم ممتاز لشخص لا يمكن ردعه. فإذا ما كان شخص ما مشوشاً جداً لدرجة أنه لا يعلم أنه سيؤدي شخصاً ما، لا يمكن منعه بواسطة أمر "لا تؤذ الناس" إلا. تهدف هذه القاعدة إلى الامتناع عن تطبيق عقوبة لذي المرتكب دون أمل لردعه أو لردع الناس المشابهين له. لقد أنجز دفاع الخيل شهرته الرائعة بانتقاضات راهنة واعتاد انتهاكات بارعة. عندما تمت توسعته من اختبار عملي لما إذا كان النظام المرعي يستجيب للردع يعمل وفقاً لاختبارات ضبابية أكثر لما بالإمكان أن يقال لإحداث ذلك السلوك. قرار دورهام derham في عام 1954 أثار بازلون bazelon عالم العلاج النفسي وعلم السيكولوجيا "تخلق أساس جديد من أجل الدفاع عن الخيل، يعقل بساطة، القاعدة التي نبتناها هي أن متهما ما ليس مسؤولاً جرمياً إذا كان فعله غير القلوني نتاج مرض عقلي أو نقص عقلي.

ما لم يؤمن المرء أن الأفعال العادية يتم اختيارها من قبل شعاع الآلة، فإن جميع الأفعال هي نتاج أنظمة معرفية وعاطفية في الدماغ. الأفعال الجرمية نادرة نسبياً، إذا وكل واحد في مستكان مداع، فعل ما فعله هو، سيكون القانون ضد ما فعله هو باطلاً، لذلك ستكون الأفعال المشبهة - غالباً - نتاج نظام دماغي مختلف بشكل ما عن العيار. وبالإمكان تفسير السلوك "كحتاج لمرض عقلي أو نقص عقلي" قرار دورهام وقوانين الخيل المائة، عن طريق تمييز السلوك الذي هو نتاج طرف دماغي عن سلوك هو شيء آخر، يهدف بتحويل شكل تقدم في معرفتنا للعقل إلى تاشكل في السوولية.

الآن، بعض الاستكشافات حول العقل والدماغ قد يتكون لها تأثير فعال على مواقفنا تجاه السوولية، لكننا قد نطالب بتوسيع مجال السوولية وليس تقليصه. افترض أن رغبات تبلغ ذروتها أحياناً بالتحرش وملاطفة النساء وهي موجودة لدى رجال كثيرين فعل ذلك يعني أن الرجال يجب أن يعاقبوا على هذه الجرائم بلين أكثر، بمعنى أن ليس في أيديهم حيلة تجاه الأمر ؟ أو هل يعني أنهم يجب أن يعاقبوا بقسوة

أكبر. لأن تلك هي الوسيلة الأفضل للرد على دافع قوي واسع الانتشار¹⁹ المفترق.
مريضاً عقلياً وجد أن لديه نفساً في إحساس الحب، وهذا يصعب الأمر بالنسبة له.
يقدر معاناة ضحاياهم. فهل يتوجب أن تُلغى العقوبة لغياب هذه القدرة لديه أو
يتوجب أن تجعل العقوبة مؤكدة وأكثر قسوة لكي تعلمه درساً في اللغة الوحيد التي
يفهمها؟

لماذا تسير معارف الناس الحديثة في اتجاهات متعاكسة إذاً فكان لديه مشقة
في السيطرة على نفسه - ينبغي أن يعاقب بلين أكثر - وإذا كان يعاني من مشقة
في التحكم بنفسه أن يعاقب بقسوة أكثر؟ هذا يعود إلى مفارقة الردع المفترق:
بعض الناس يحتاجون إلى تهديد بجلدة لردعهم عن ركبن السيارة أمام فتحة إطار
الحريق. وافترض أن أناساً لديهم مورثة شريرة، أو دماغ شرير أو طفولاً سيئة يعاني
إلى تهديد بعشر جلادات، المسماة التي تعاقب من يوقفون السيارات بشكل متكرر
للتأون يتسع جلادات سوف تسبب معاناة غير ضرورية ولن تحل المشكلة. لسع جلاد
هي أكثر مما هو ضروري لردع أناس عاديين، وأقل مما هو ضروري لردع النمر
يشكون من نقص. فقط عقوبة عشر جلادات تستطيع أن تقلل ككلاً من الوقوف لير
القانوني والجلد. ككل واحد سوف يردع، وإن يطلق أحد فتحات الحريق بسيارته، وار
جلد أحد. وهكذا وبشكل متناقض (ككلاً سياستي التطرف في العقوبة ومع
العقوبة، هما معكنا الدفاع عنهما، بينما العقوبتان المتوسطتان ليستا كذلك). سير
ردع الناس في الحياة العادية ليست معددة في قيمتين، بل موزعة على نطاق واسع لعدة
لبعض الناس، وجلدتان لأخرين وهكذا). مستويات متوسطة من العقاب ستكون
دفاعية، تعتمد على الكيفية التي يزن فيها المرء فوائد ردع المخطئين مقابل تكاليف
إيقاع الأذى. فحتى من هم غير قابلين للردع أبداً سيبس تلف في النفس التعاطي الأمل.
أو بسبب مورثات سيكوباتية أو أي سبب آخر، ليس علينا أن نسمح للمحامين تعقيد
العقوبة على البقية منا. لدينا آلية للذين من المحتمل أن يكونوا أنفسهم أو آخرين. نظر
من لا يستطيعون للجزرة والعصا في نظام العدالة الجرمي: التزام مدني قسري نواذب
ببعض ضمانات الحريات المدنية مقابل الأمن لأن يكون المرء محمياً من مرتكبين
محتلين في ككل هذه القرارات، تستطيع علوم الطبيعة البشرية أن تساعد في تقديم
نوع وسائل الردع، لكنهما لا تستطيع وزن القيم المتصارعة من تجنب الحد الأقصى من
عقوبة غير ضرورية، ومنع الحد الأقصى من ارتكاب أخطاء مستقبلية. (19)

إنني لا أزعم أنني قد حللت مشكلته الإرادة الحرة فقط لأبين أننا لا نحتاج لأن نحلها للحفاظ على المسؤولية الشخصية بلا مواجهة فهم متزايد لأسباب السلوك. فكما أنني لا أجادل أن الردع هو الوسيلة الوحيدة لتشجيع الفضيلة. علينا أن نتعرف إليها على أنها العامل الفعال الذي يجعل المسؤولية تستحق أن نحافظ عليها. أقصى ما أمته هو أنني قد بددت مفالطين سمحتا للعلوم البشرية أن تبرز خوفاً لا داعي له. المغالطة الأولى هي أن التفسيرات البيولوجية تحثُ المسؤولية بينما التفسيرات البيئية لا تفعل ذلك. المغالطة الثانية: هي أن التفسيرات السببية (بيولوجية وبيئية معا) تحتان المسؤولية بحيث إن إيماننا بإرادة غير سببية أو روح لا تفعل ذلك.

الفصل العاشر عشر

الخوف من العدمية

الخوف الأخير من التفسيرات البيولوجية للعقل هو أنها قد تعري حياتنا من المعنى وثباتها. فإذا كنا مجرد آلات تسمح لمورثاتنا أن تصنع نسخاً عن نفسها، وإذا كنا نتبعنا وقائعنا مجرد أحداث كيميائية سوف نطلق - ذات يوم - إلى الأبد، وإذا لم نكن قد خلقت الحياة من أجل غاية أسمى وموجهة نحو هدف نبيل، فلماذا إذن نستمر في البش كالحياة كما نشتمها ستكون مجرد خدعة، قرية زائفة ذات مظهر خاوع من بيت الجدي والقيمة.

الخوف يأتي من نسختين: دينية وعلمانية. نسطة معقدة للعقل الديني قد صاغها بها يوحنا بولس الثاني في خطاب عام 1996 إلى أكاديمية العلوم الأسقفية: "الحقيقة لا يمكن أن تناقض حقيقة" (1). لقد أقر البابا أن نظرية النشوء لداروين "هي أكثر من مجرد فرضية" لأن اكتشافات مقاربة في مبادئ كثيرة مستقلة، "لم يسع إليها" وبست ملقحة "تجادل لصالح النظرية، لكنه رسم الخط عند "الروح الروحية"، تتنازل في تطور البشر تصاعد ليبلغ "قفزة معرفية" غير ملحوظة من قبل العلم لا يمكن أن تكون الروح اثبتت من "قوى المادة الحية" لأن ذلك لا يمكن "أن يشكل أرضية نظرية الإنسان". الإنسان هو المخلوق الوحيد على وجه الأرض الذي أراد الله لذاته.. بطلما أخرى، لا يمكن جعل الكائن البشري ثلثياً، مجرد وسيلة، أو محض أداة، إما إلى الأنواع أو إلى الجماعة، إنه ذو قيمة بذاته، إنه شخص، يفكره وإرادته، إنه قادر على تشكيل علاقة مشاركة، وتضامن، وتضحية بالنفس مع نظرائه.. .. بمعنى الإنسان لدخول هذه العلاقة من المعرفة والحب مع الله ذاته. علاقة سوف تجد إنجازاً تاماً خارج الزمن، في الأزلية. بفضل هذه الروح الروحية التي يمتلكها الشخص لكل كرامة في جسده، .. إن يأخذ الجسم البشري أصله من مادة حية ذات وجود للبي الروح الروحية يخلقها الله مباشرة - بالتالي إن نظريات التطور التي

انسجاما مع الفلسفات التي تلهمها - تعدُّ الروح وسكانها منبثقة من قوى المادة الجارية مجرد ظاهرة مرافقة لهذه المادة، تتكون غير قابلة للامتزاج مع حقيقة الإنسان وليس قادرتين على تشكيل أرضية للكرامة الإنسان.

بعضات اخرى، إذا سكت العلماء على حق بالقول إن العقل ينبثق من مادة ميتة فيسبكون علينا أن نتطلى عن التضامن وكرامة الفرد، وإتكافر الأنا في نظرنا إذ إخوتنا البشر، والهدف الأسمى في تحقيق هذه القيم غير محبة الله ومعرفة خطئه لا شبه سيحول بيننا وبين حياة استئلال قاس، وتتركز ذاتي يدعو للتسخرية. لا علم لأن نقول إن مناقشة البابا هي الممارسة الأخيرة في عدم الجدوى فبابية هذا الفصل ليست أن ندحض معتقداته ولا أن ندين الدين، أو أن نجادل ضد وجود الله. لقد قدمت الأديان المراء، والمشاركة والتوجيه الأخلاقي إلى أعداد لا تحصى من البشر. ويقرأ بعض علماء الحياء أن ريبوية مقددة تتطور باتجاهها أديان عديدة بالإمكان جعلها منسجمة مع فهم تطوري للعقل والطبيعة البشرية. (2) هندي دفاهي:

دحض تهمة أن نظرية مادية للعقل هي فطريا ليس لها صفة أخلاقية، وأن تصور ديتية لا يُدَّ من تفضيلها لأنها فطريا أكثر اتسنة.

حتى العلماء الأكثر إحادا لا يدافعون عن لا أخلاقية قاسية. فالدماع قد يكون نظاما فيزيائيا قوامه مادة عادية، لكن تلك المادة المنظمة بطريقة تؤدي إلى تربية عضوية حسية لها قدرة أن تشعر باللذة والألم، وذلك بدوره يهيئ السرح لطور الأخلاقية. السبب هو مشروع محكم في السلسل الكوميدي / كالتين وهوس/.

هوس الناكتر، مثل اسمه البشري، قد أوضح لماذا الأتاني غير أخلاقي. هو في موقع لا يمكن الدفاع عنه، إنه يكون أفضل إن لا يدفع في الوحل. لكن قلما يتكلم بان يتمتع الآخرون عن دفعه، فهو ليس راعبا بدفع الآخرون وربما من الأفضل الأُفيع أو يدفع الآخرون، فإنه يسر على مدونة أخلاقية إن يمكن الثمن التعلق به ذات الإنسان مدفوعاً له. فنكما أوضح فلاسفة الأخلاق عبر العصور أن فلسفة يعيش ميتة طرّ ليس شكل واحد، وليس أننا نتداعى حالما يرى المرء نفسه من منطلق موضوع ككشخص مثله مثل الآخرون. إنها مثل الإصرار أن " هنا " هي النقطة في القضاء الفتر بصادف أن يشغله المرء في لحظة، هي مكان خاص في الكون. (3) الفصل الديناميكي كلما بهن كالتين وهوس ملازم للمضمويات الاجتماعية، وهناك ليد

بالطبع أن العمل له - حسن أخلاقي - نشأ في نوبنا بدلاً من أن يتم استنساخه من
 منتجات بطل واحد منا بعد أن أخرجنا أنفسنا خارج الوطن.



هذا يعني: التخلي عن الوسائل - ليس نوبنا بالأمم والأقلاق.



آية نور: نقلنا
 الصليب، لذلك ستعمل عقل ما يتوجب
 على فتاة ورج الأخرين والحدادين حول
 ما إذا عملنا ما فعله شخصاً آخر لا
 الحصول على عقل ما نستطيع
 الحصول عليه عندما يعطوننا التمويل
 عليه جيداً هنا ما المراته القوة لتضع
 العمل الترابون يعطونون الترابون



ثم لم نغير أنفسنا ذلك لعلنا نؤمن، أيها النبي هذا
 -لماذا نستعمل ذلك
 -لقد سكتت في طريقه، أما الآن فسدت مبادئه
 -التخليت عن الوسائل

هائلاست يعطون الدمس للأطفال بعمر السنة والتصف. ويفضلون السامد
 ويحاولون إراحة البائسين أو الأطفال الآخرين المتضايقين(4). والناس في جميع التقهر
 يميزون الصحيح من الخطأ، ولدهم إحساس بالجمال. ويساعد أحدهم الآخر
 ويفرضون حقوقاً وواجبات، ويمتدنون أن الأخطاء ينبغي إصلاحها. ويحبون
 الاختصاص والقتال وبعض أنواع العنف (6). هذه المشاعر العادية تتكون جلباً في حد
 غيابها في الأفراد المتحررين الذين نسهمهم مضطربين عقلياً. (7) بديل النظرية البنية
 إن - كمتصدر للقيم هو أن التطور قد آمدنا بحس أخلاقي. وقد وسعنا دائرة تلميح
 عبر مسار التاريخ من خلال العقل (في فهمنا لتقابلية التغيير الداخلي المنطقية لمسار
 ومصالح الآخرين)، والمعرفة (تعلم نوايا التعاون على المدى البعيد)، والمحباء بعد
 خضنا تجارب تسمح لنا أن نشعر بالأم الآخرين.

ككيف يمكننا القول أي نظرية هي الفضلة؟ تجربة محسوبة تستطيع أن تمد
 ذلك ما هو الشيء الصحيح لتفعله إذا كان الله قد أمر الناس أن يكونوا الذين
 وقساء بدلا من كرماء وطيبين؟ هالذين يجزرون قيمهم في الدين سيكفون عليهم لمن
 إنه ينبغي أن نكون أتابين وقساء والذين يتجهون إلى حس أخلاقي سيقولون إنه على
 أن نرفض أمر الله. إنني أصل أن هذا يبين أن حسنا الأخلاقي هو الذي يستمر
 الأولوية (8)

هذه التجربة الفكرية ليست مجرد عصاف دعائي للتعوق الذي يحبه ملحدون سم
 13 سنة، مثل لماذا يهتم الله بكيفية سلوكنا إذا كان باستطاعتنا أن نرى النسر
 ونعرفه مسبقا. يوضح تاريخ الدين أن الله قد أمر الناس أن يغطوا جميع أنساق
 الأفعال الأتابية والقاسية؛ ذبح أهل مدين وخطف نساءهم، ورجع الزنايات، وأبد
 الشاين جنسيا، وحرق الساحرات، وذبح الهراطقة والكفار، ورمي البروتستانت
 التواقد، ومنع الدماء عن أطفال يحتضرون، وإطلاق النار على عبادات الإبهام
 ومطاردة مسلمان رشدي وتنجير أنفسهم في الأسواق، وصدم الطائرات بانقضد
 السحاب. ينبغي أن نتذكر أنه حتى هلتر كان يعتقد أنه يتفقد إرادة الله (9) تكفر
 الأفعال الشريرة المرتكبة باسم الله يبين أنها ليست انحرافات عشوائية. سلطة ظنا
 الحضور لا يستطيع المرء أن يراها هي داعم مفيد للقادة العاقدين الذين يملكون نصيب
 محاربين مقدسين. فطالما أن معتقدات لا يمكن إثبات مسحتها ينبغي أن نقلد
 كوالدين والأقران بدلا من اكتشافها في العالم. إنها تختلف من جماعة إلى جماعة

وتصبح شعارات هوية التقسيمية. ومن يقول إن معتقد الروح أكثر إنسانية من فهم العقل كعضو مادي إلا أرى ككرامة في السماح للناس أن يموتوا من التهاب الكبد، أو يتم استلابهم بمرض باركنسون عندما يجري بحث في الخلايا الجذعية الذي تنسب المبركات الدينية إلى منعه لأنه يستخدم كمرات من الخلايا التي أحدثت "الفتنة" الأبطولوجية" إلى "الأرواح الروحانية". مصادر بسوس هائل كمرض الزهايمر، والإحباط، وفصام الشخصية سوف يتم تلطيفها لا بمعالجة الفسفر والمعالجة ككتدييات نروح غير مادية. بل عن طريق معالجتها ككتدييات للفتيزولوجيا وعلم الوراثة. (10)

أخيراً الاعتقاد بروح تجعل الجسد حياً قد يكون أي شيء عدا أنه اعتقاد سليم، لأنه بالضرورة يخط من قيمة الحياة التي نعيشها على هذه الأرض. عندما أرسلت سوزان سميت ولديها الصلبيين إلى قبر بحيرة، فقد أراحت ضميرها بالتبرير الأني: "طفلي يستحق أن ينال الأفضل، والأقرب بنا لأنه". الإشارات إلى حياة سعيدة ما بعد الموت نموذجية في الرسائل الأخيرة للآباء الذين أخذوا حيوات أطفالهم قبل أخذهم حياتهم الخاصة بهم. (11) وقد تم تشكيريًا مؤخرًا وكيف أن أمثال هذه المعتقدات تُشد الانتعاريين بالشجاعة وكذلك مقجري الطائرات الكماممكاز. لهذا السبب علينا أن نرفض القول إنه إذا توقف الناس عن الإيمان بالطباب الإلهي فإنهم سيوتكفون الشر من عقوبة. أجل إذا ظن غير المؤمنين أنهم استطاعوا مراوغة النظام القضائي واحترار جنوماتهم وضمائرهم، فإن يرتدعوا بالتهديد أنهم سيوتقون في الجحيم إلى الأبد. لكن سيترهبهم أن يفتلوا الألفا من الناس يوجد قضاء الأبد في السماء.

لنكن المرء العاطفي لإيمان بحياة بعد الموت باستطاعته أن بعضي في اتجاهين اثنين فهل ستقعد الحياة غايتها إذا توقفتنا عن الوجود عندما تموت آدمفتنا ؟ على العكس من ذلك، لا شيء يستثمر الحياة بمرضى أكثر من إدراك أن كل لحظة إحساس هي نعمة ثمينة. فنكفم عن الشجارات ثم تجنبها، وفكفم من الصداقات تجددت، وفكفم قدمت إشارات الحية، لأننا - أحياناً - نتذكر أنفسنا أن الحياة قصيرة.

لذا يخشى الفسفرور العلماتيون من أن البيولوجيا تجذف الحياة من معناها؟ ذلك لأن البيولوجيا تبدو أنها تفرغ القيم التي تتعلق بها أكثر من سواها. فإذا كان سبب حبنا لأطفالنا بطفة من oxytocin في الدماغ تجبرنا أن نحمي استثمارنا الوراثة، أفنن نشف نيل فسفرة الأبوة، وتضحياتها سوف تفرغ من معناها كالمذا نشأت الحية، والتمتة، والتوق للعدالة ككوسيلة لكي نكسب مجازيين. وتردع الفشاشين، الن يتخضن

ذلك أنه لا وجود لأشياء مثل القبرة، والعدالة من أجل ذلكهما؟ إننا نسطر من محب النسر الذي يستفيد من ثورمه بسبب ضريبة مدخراته، والواعظ الإنجيلي على التلفاز التي برعد على خطبته لظنه يزور الماهرات، والسياسي الذي يدافع عن المسحوق عن صدور المكافرات فقط، ورجل المصير الحديث الحساس الذي يناهس فضايا المراد لا ي طريق جيد لجذب النساء. يبدو أن سيكولوجيا التطور تقول إننا جميعا مناهضون كقولاء طوال الوقت.

الطوف من أن المعرفة العلمية لتسلف القيم الإنسانية. يذكروننا بالشهد الاستمر من Annie Hall الذي يؤخذ فيه الشاب (إلي Elvy) سفر إلى طبيب العائلة:

الأم: لقد أحييت بشكل مفاجئ تماماً، لا يستطيع أن يفعل أي شيء.

الطبيب: لماذا أنت محبط يا (إلي)؟

الأم: أخبر الطبيب فطيفكر - فتجيب عنه قائلة: إنه شيء قراء.

الطبيب: شيء قراء، أوه؟

(إلي) - خافض الرأس - الكون يتمدد.

الطبيب: الكون يتمدد؟

(إلي): حسناً، الكون هو كل شيء، فإذا كان يتمدد، فسوف يتحطم ذات يوم وذلك سيكفون نهاية كل شيء ؟

الأم: ماذا هذا الأمر شغلك ؟ (إلى الطبيب) لقد توقفت عن تأدية وظيفته البيت

(إلي): ما المشكلة ؟

هذا المشهد مضحك لأن (إلي) قد خلط بين مستويين من التحليل: مقياس بلير السنين الذي تقاس به الكون، ومقياس العقود والسنوات والأيام الذي تقاس به حياتنا فكلما توضح والدة (إلي): ما علاقة الكون بالأمر ؟ أنت هنا في بروككلين² بروككلين لا تتمدد.

الناس المحبطون يفكره أن جميع دوافعنا أنانية هم مشوشون مثل (إلي) قد خلطوا السببية المطلقة (لماذا) نشأ شيء ما عن طريق الاصطفاء الطبيعي مع السببية المباشرة (كيف تعمل المكنونة هنا والآن)، الخلط طبيعي لأن التفسيرين يبدآن متشابهين كثيراً.

لقد بين ريتشارد داوكنيز أن الطريقة الجيدة لفهم منطلق الاصطفاء الطبيعي هي تخیل الجينات ككشوى لها دوافع أنثوية. ينبغي ألا يضايق التشبيه أهدأ، لكنه يتحدي على فتح لغير الحذرین الجينات تملك الدوافع التشبيهيية - صانعة نسخاً عن نسخها - والعضويات التي تصممها لديها دوافع حقيقية. لكنها ليست الدوافع ذاتها. أحياناً، ما هو أكثر أنثوية تستطوع أن تفعله المورثة هو تسليك الدوافع غير الأنثوية إلى داخل دماغ بشري بحسبها القلب وغير مقيدة عميقاً في صميم عدم الأنثوية. حب الأطفال (الذين يحملون مورثات المرء إلى الآخرين)، شريك مخلص (الذي قدره الوراثي مطابق لقدر الشخص)، والأسدقاء والحلفاء (الذين يتقون بك إذا كنت أهلاً للثقة) قد يكون لا أرضية لهم، ولا يمكن اتهامهم ظلماً نحن البشر معنونون بالمستوى المباشر، حتى لو كان الأمر خدمة ذاتية مجازية، طالما أن المورثات هي المعنية (مستوى نهائي).

إنك بلن هناك سبباً آخر لماذا يتم الخلط بين التفسيرين بسهولة. إننا جميعاً - نطم أن الناس أحياناً لديهم دوافع خفية. فقد يكونون ككرماء أمام الناس وشهوانيين في حياتهم الخاصة يكونون جشعين، أو ورعين أمام الناس لكن في حياتهم الخاصة يكونون، وقد يكونون أفلامونيين في العلن لكن في الحقيقة شهوانيين. لقد عودنا فريد على فكرة أن الدوافع الخفية هي انحراف في السلوك، وتمارس تأثيراتها من طينة في العقل لا يمكن الوصول إليها. دمج هذا مع سوء الفهم العام بأن المورثات هي نوع من جوهر الشخص أو ليه، فإنك تحصل على هجين من داوكنيز وفرويد: فكرة أن الدوافع المجازية للمورثات هي الدوافع الخفية غير الشعورية العميقة لدى الشخص، تلك خاطر، بروكطين لا تتمدد، حتى الناس الذين يستطيون الحفاظ على الجينات، واتس الانفصالون في عقولهم قد يجدون أنفسهم محبطين لقد علمنا علم النفس أن جوانب من خبرتنا قد تكون لثقتات من صنع الإنسان عن الكيفية التي تعالج فيها المعلومات في الدماغ. الفرق في التوع بين معرفتنا للأحمر ومعرفتنا للأخضر لا تعكس أي فرق في نوع الأمواج العنوشية في العالم - أطوال موجات الضوء - التي تؤدي إلى ظهور إدراكنا لتدرج اللون من استمرارية ناعمة. نحس بالأحمر والأخضر ككفاصتين مختلفتين نوعياً، هما بنى الكيمياء والسيالة في جهازنا العصبي. قد تكون غالبية في عضوية ذات أصبغة ضوئية مختلفة أو تسليك wiring. فمن لديهم عس ألوان هم أكثر شرباً كعضويات فقط. التكوين العاطفي لشبه هو تليفق مثل تولينه الفيزيائي. حلابة الصاكهة والخروف من الترفعات، وكراهية الجيف هي أوهام جهاز عصبي لتطور

يتعامل مع تلك الأشياء وبأساليب مُعدّلة. يبدو أن علوم الطبيعة البشرية تنضج في
الشبه ذاته صحيح بالنسبة لما هو صعب وخطأ، ذو ميزة أو لا يساوي شيئاً. العمل
والقيح، القداسة والحقارة، إنها بنس عصبية، أهلام نسطقتها على داخل جماعنا.
أساليب نددغ فيها مراكز اللذة في الدماغ لا حقيقة أكثر من الفرق بين الأحمر
والأخضر. عندما سأل شيخ مارلي سكرجول لماذا ضاعف أحاسيسه قال: لأن الشبه
القليل يؤثر فيها، اضطراب يسير في المعدة يجعلها تلتش. فقد تكون - أنت - قلما لم
عمل غير مهضومة، حبة خردل، قطعة جبن، قطعة بطاطا غير مطهوه تماماً. هناك
هو أكثر حزنًا من قبر حوذك مهما تكن. يبدو أن العلم يقول إن الشبه ذاته صعب
عن أي شيء نلّمه.

لكن بما إن ارمقنا مُعدّة لنفكر بأساليب محددة، لا يستتبع ذلك أن موضوعنا
تلك الأضفار خيالية. لقد نشأ العديد من فخراتنا كشي لتلتش مع كلياتنا حقيقتنا في
العالم. إدراكنا للمعق هو نتاج دورة معقدة في الدماغ، دورة غائبة عن الأنواع الأخرى.
لكن ذلك لا يعني أنه لا توجد أشجار حقيقية وجروف هناك في الخارج، أو أن قدام
سطح مثل تسطح صينية المكاثو. وهكذا قد تكون الحالة مع كلياتنا الأخرى انظر
تجربدا. البشر - على شكل حيوانات كثيرة - يبدو أن لديهم حاسة فطرية بالمد
الذي بالإمكان تفسيره بفوائد المحافظة العقلية حول التكررة أشياء تاريخنا التطوري
(فلسي سبيل المثال، إذا دخلت ثلاثة دبة ككها، وخرج منه اثنان، فهل الدخول إلى
الكهف آمن ؟) لكن مجرد أن قدرة العدد قد تطورت لا يعني أن الأعداد هي هولدا
فوقنا للتصور الأفلاطوني للعدد الذي يفضله علماء رياضيات وفلاسفة عديدون.
التكبيونات، مثل الأعداد والأشكال لها وجود مستقل عن العقول العدد ثلاث لير
مخترها من قماشة بكامقة، إنه ذو خصائص حقيقية بالإمكان اكتشافها
واستكشافها. ما من مخلوق عاقل مزود بدارة لفهم مفهوم "اثنان"، وقد يكشفت فبوره
الجمع أن 1+2 أي شيه عدا عن الـ 3. هذا هو السبب الذي جعلنا نتوقع أشياء، ملكة
من نتائج رياضية أن تظهر من ثقافات مختلفة أو حتى ككواكب مختلفة. فإذا كان
الأمر كذلك، فإن الإحساس بالعدد قد نشأ لاستيعاب حقائق مجردة في العالم الوجود.
يشكل مستقل عن العقول التي تستوعب هذه الأشياء.

التقاش نفسه ربما بالإمكان خوضه بالنسبة إلى الأخلاق. فوقنا نظرية الوفاة
لأخلاقية، بوجود الصبح والخطأ، ولما منطلق ملازم يجيز بعض نقاشات أخلاقية؟

يجز نفاشات أخرى (12) فهاجشنا العالم بالأعب $no - zero - sum$ مجموعها لا يساوي صفر، التي فيها ، من الأفضل لكفلا الفريقين أن يتصرفا دون أنانية. بعد تحديد الهدف الأفضل، تتبع ظروف معينة بالضرورة. ما من مخلوق مزود بدارة لفهم أنه من غير الأخلاقي - بالنسبة إليك - أن تؤذي، أن تكتشف أي شيء، ومن غير الأخلاقي - بالنسبة لي - أن أؤذيك. فكما هو الأمر مع الأعداد والإحساس بها ، نتوقع أنظمة أخلاقية أن تتطور باتجاه نتائج مماثلة في ثقافات أو حكومات مختلفة. لقد أجد اكتشاف القاعدة الذهبية مرات كثيرة: على يد مؤلفي Leviathan ولها بهاراتا ، من قبل هيلل Hiller يسوع وكونفوشيوس، والفلاسفة الرواقين في الإمبراطورية الرومانية، ومن قبل منظري العقد الاجتماعي مثل هوبس، روسو، ولوك، ومن قبل فلاسفة أخلاق مثل ككانط في الإكزام الشرطي (13) فقد يتطور حسنا الأخلاقي كشي يتشقق مع منطق جوهرية في علم الأخلاق بدلاً من اختراعه من لا شيء.

لكن حتى الوجود الأفلاطوني للمنطق الأخلاقي غني جدا ، ونستطيع أن نرى أخلاقية ككشي إما من تقليد اجتماعي أو من عقيدة دينية. ومهما تكن مكانته لثرفية. فإن الحس الأخلاقي هو جزء من المعداد التمودجية للعقل البشري. إنه العقل الوحيد الذي لدينا وليس لدينا خيار آخر سوى أن نأخذ حدوسه بجدية. فإذا كنا مضمون كذلك بحيث لا نستطيع إلا أن نكفكر بكمفمات أخلاقية (على الأقل لبعض الوقت، ونجاه بعض الناس) إذن الأخلاقية هي حقيقة بالنسبة لنا. وكانها مرسوم أصدره الطبي الشديير أو أنها مكتوبة في الصخور كذلك الحال من خلال قبمنا الإنسانية الأخرى، كالحب والحقيقة، والجمال، فهل بوسمنا أن نعرف إن ما إذا كانت حقا هي "موجودة هناك أم أننا نظن فقط أنها هناك، لأن الدماغ البشري يجعل من الحال ألا نظن أنها هناك. "كفم سيضمون الأمر سيمنا لو كانت متأملة في الطريقة البشرية في التفكير؟ ربما ينبغي علينا أن نكفكر في شرطنا فكما فعل ككانط في / نقد العقل العملي /: "شيثان يملأ العقل بمعب وخشية متزاهدين ومتجددين إلى الأبد، وكفمات تكفكر بها: السماء المليئة بالتجوم فوقنا والفانون الأخلاقي داخلنا."

لقد بينت في الفصل الأربعة الماضية لماذا الأفضكار الجديدة في علوم الطبيعة البشرية لا تفسف القيم الإنسانية بل على المكفم من ذلك. إنها تقدم فرمسا كشي كمثل محاكمتنا الأخلاقية، ونضع تلك القيم على أساس أكفثر رسوما:

- ففكرة سيئة أن نقول إن التمييز خاطئ، فقط لأن خصائص الناس جميعا غير قابلة للتمييز فيما بينها.

ففكرة سيئة القول إن العنف والاستغلال خاطئان فقط، لأن الناس ليسوا متساويين طبيعيا إليهما.

- ففكرة سيئة القول إن الناس مسؤولون عن أفعالهم فقط، لأن أسباب غير الأفعال غامضة.

- ففكرة سيئة أن نقول أن دوافعنا ذات معنى، بل معنى شخصي، فقط لأنها غير قابلة للتفسير بمعنى بيولوجي.

هذه الأفكار سيئة لأنها تجعل قيمة رهينة للحظ وتعلمني أن اكتشافات حفليها قد تجعلها مهمة. إنها الأفكار سيئة لأنها تخين الجوانب السفلية من إنكار القيمة البشرية، اضطهاد الناجح، هندسة اجتماعية متطرفة، المكتنبة عن المعاداة في تفكير أخرى، وعدم فهم لمنطق العدالة، وحط من قيمة الحياة البشرية على الأرض.

القسم الرابع

اعرف نفسك

بعد أن حاولت أن أجعل فكرة أن الطبيعة البشرية ذاتها معترمة، فقد حان الوقت لكي أقول شيئاً عن ماهيتها، وما الفرق الذي تشكله للعالمين العامة والخاصة. فصول قسم الرابع تقدم بعضاً من أفكار رابنة حول مواصفات التصميم الأساسي للقدرة البشرية. فهذه ليست مجرد موضوعات مقررة في علم النفس، بل تتطوي على معانٍ لثمين عديدة من الخطاب العام. أفكار حول مضامين المعرفة، مفاهيم بكلمات، رموز لثمي ضوياً على جنود التحيز، وعلى وسائل الإعلام والقانون. أفكار حول مقدرة العقل على التنبيل تستطيع أن تدخل في صلب سياساتنا التربوية والتطبيقات التنبئية. أفكار حول العلاقات الاجتماعية المتعلقة بالأسرة والاستعداد الجنسي، وبالتنظيم الاجتماعي والجريمة. أفكار حول الحس الأخلاقي تخبرنا بالطريقة التي تُدَوَّم فيها الحركات السياسية، وكيف نوازن بين قيمة مقابل أخرى.

في كل ميدان من هذه الميادين يتوجه الناس دائماً إلى تصور ما للطبيعة البشرية، سواء أقرروا به أم لا. المشكلة هي أن المفاهيم في أغلب الأحيان – تبنى على مشاعر ضو، ونظريات شعبية، ونسخ قديمة من البيولوجيا. هدماً هو أن أجعل هذه المفاهيم جلية، وأن أقتح ما هو صحيح وما هو خطأ حولها، ولأسلط الضوء على بعض الضامين. إذ لا تستطيع الأفكار حول الطبيعة البشرية وحدها أن تحسم نقاشات صفة أو أن تقر سياسة عامة. لكن دون أفكار فإننا لا نكون نلعب بأوراق لعب مختلفة، ونكون معرضين لاستجداء غير ضروري.

فكما نوه عالم البيولوجيا ريتشارد الكسندر " التطور هو بالتأسييد الأكثر ضحية لثمين ما يزالون غير عارفين له. "

الفصل الثاني عشر

على صلة بالواقع

يا للإنسان من تفتة فنية!

ما أبله في العقل!

وكم لا متناه في قدرته!

في الشكل، في الحركة، كم هو صعب ويقل الإعجاب!

وفي الفعل ما أبله ببلاده!

وفي الفهم ما أبله ببلاده.

ولهم تكبير

تفتة البداية للتعرف إلى الطبيعة البشرية هي رهبة كبيرة وتواضع في وجه التعقيد
الذهل لصدورها، الدماغ، إنه منظم بثلاثة ملايين قاعدة في السلسلة الوراثية، ومشكل
ببنات ملايين السنين من التطور، الدماغ شبكة ذات تعقيد لا يمكن تخيله. مائة
مليون عصبون مرتبط بمائة ترليون من الروابط، متداخلة في بنية هندسية ثلاثية الأبعاد
مفتحة تعقيد ما يقوم به يجعلنا نشعر بالتواضع. حتى المواهب الدنيوية التي نتشاركها
مع لذييات أخرى: كالمنشي، والفهم، والتميز، هي حلول لهندسة المشكلات عند الحد
القاطع أو وراءه للذكاء الاصطناعي المواهب التي هي حقوق ولادية بشرية: التكلم،
والفهم، واستخدام الإدراك السليم، تعليم الأطفال، واستقراء دواهب الناس الآخرين،
من المحتمل لن تستسخها آلات في حياتنا. هذا كله ينبغي أن يلعب دور وزن مقابل
لصورة العقل على أنه مادة خام لا تشكل لها، وللناس على أنهم ذرات غير مهمة مشككة
الوجود المعقد الذي نسميه "مجتمع".

الدماغ البشري يمكثنا من أن نزهده في عالم من الأشياء، أشياء حية، وأناس
أخرين تلك الحكايات لها تأثير كبير على سلامة وجودنا، ويتوقع المرء من الدماغ أن
يكون مناسباً لضبطها هي وقدراتها. الفشل في التعرف على هاوية سحيقة، أو نمر

جائع، أو شريك غيور قد يكون له عواقب سلبية مهمة للاستجمام البيولوجي. لكي يلفظه.

التعقيد الرائع للدماغ موجود هنا جزئياً ليسجل حقائق متسلسلة عن العالم من حولنا. لكن هذه الحقيقة البديهية قد تم رفضها من قبل قطاعات كثيرة في العبد الثقافية المعاصرة. فوفقاً للحكمة النسبية السائدة في معظم الأكاديميات اليوم، الواقع ينس اجتماعياً باستخدام اللغة، والأنماط، وصور وسائل الإعلام فكترة إن الناس يمكنهم الوصول إلى حقائق حول العالم هي فكترة ساذجة. هذا ما يقوله أنصار النيوية الاجتماعية constructionism، والدراسات العلمية، والدراسات الثقافية. والنظرية النقدية، وحركة ما بعد الحدائة، والحركة التفكيكية. ففي رأي هؤلاء، تكون الملاحظات دائماً متأثرة بالتطريات، والنظريات مشوبة بالإيديولوجيا والمعتقدات السياسية وبالتالي فإن من يزعم أنه يمتلك الحقائق أو يعرف الحقيقة هو فقط. إنما يحاول أن يمارس سلطة على شكل امرئٍ آخر.

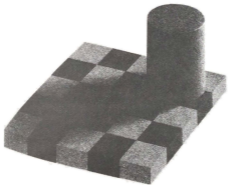
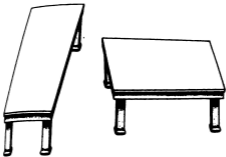
الترعة النسبية متاخلة مع معتقد الصفحة البيضاء، في شككبين: أحدهما هو إن التسيين لديهم نظرية سيكولوجية متبيرة، العقل فيها ليس لديه آليات مصممة لاستيعاب الواقع، فشكل ما يستطيع أن يفعله هو أن يُحمَل الكلمات بشكل سبي، والصور وأنماط من الثقافة المحيطة. الشكل الثاني هو موقف أنصار النسبية من العلم فمعظم العلماء يعثون علمهم بعناية امتداد لقدرتنا اليومية لفهم ماذا يوجد هناك في الخارج، وكيف تعمل الأشياء، فالتسكوبات والمجاهر تكبير النظام البصري، ونسرة النظريات. معارفنا الحديثة حول السبب والنتيجة، ونشذب التجارب، دافعنا لكي نجيب دلهاً على الأحداث التي لا نستطيع أن نشهدها بالعين مباشرة. تتلف الحركات النسبية على أن العلم هو فهم ومعرفة مدونة، لكنهم يستمدون النتيجة المكسبية: الطاء سكاناس العادين، غير مزودين لاستيعاب الواقع الموضوعي. بينما يقول المدافعون عنهم " العلم الغربي هو فقط طريقة أحادية لوصف الواقع، الطبيعة والطريقة التي تعمل فيها الأشياء طريقة فعالة جداً بالتأكد من أجل إنتاج السلع والأرباح، لكننا غير مرضية في معظم النواحي الأخرى. تلك عجزة إمبريالية تتجاهل العلوم والبساتر weights والروى " في معظم الثقافات والأزمنة الأخرى. (1) وهذه أكثر أهمية في أي مكان آخر من أهميتها في الدراسة العلمية لموضوعات مشحونة سياسياً مثل العرق والجنس gender والضعف والتنظيم الاجتماعي، التوجه إلى الحقائق، أو الضعف في علاقة مع هذه

الموضوعات هو مجرد خدعة - كما يقول أنصار النسبية - لأنه لا وجود لحقيقة موضوعية مستقلة عن الافتراضات المسبقة سياسياً وثقافياً.

الرؤية تجاه سلامة قدرات الناس العقلية تحدد أيضاً ما إذا يتوجب على المرء أن يحترم الأذوق الناس العاديين وأراهم (حتى من لا نحبهم كثيراً) أو نعامل الناس كسبغ في ثقافة تجارية ماسكرة. وفقاً لمعتقدات النسبية مثل "وعي زائف" أولويات تغير حقيقية "سلطة داخلية" قد يخطئ الناس حول رغباتهم الخاصة. فإذا كان الأمر كذلك، فإنه سينصف المزاعم الحكامنة وراء الديمقراطية التي تعطي سلطة مطلقة إلى أولويات أغلبية السكان، والإدعاءات خلف اقتصاديات السوق التي تعامل الناس مثل أفضل قضاء للكيفية التي ينبغي أن يوزعوا مواردهم الخاصة بهم. ليس من قبيل المصادفة - ربما - أنها تعني من شأن العلماء والفنانيين الذين يحلون استخدام اللغة والصور في المنتج، لأنهم هم فقط الذين يستطيعون أن يزيلوا القناع عن الأساليب التي بها تستطيع وسائل الإعلام أن تضلل وتفسد.

هذا الفصل هو حول المزاعم حول المعرفة - يشكل خاص - المفاهيم، والخطوات، والصور التي تمكن تحت الحركات النسبية الحديثة في الحياة الثقافية. أفضل طريقة لتقديم النقاش هي مع أمثلة من دراسة المفهوم وارتباطنا الأكثر مباشرة بالعالم إنها توضح مباشرة مسألة ما إذا كان الواقع مشدداً اجتماعياً أم جاهزاً بحد ذاته، لم يتم تأطيرها كما يجب. ولا واحد من الخيارين صحيح.

فإنصار النسبية لديهم فكرة عندما يقولون إننا لا نفتح عيوننا فقط ونترك الواقع، وكان الإدراك هو نافذة عبرها نتطلع الروح إلى العالم. وفكرة أننا نرى الأشياء، كما هي تسمى واقعية ساذجة، قد حذوها فلاسفة ريبون قبل آلاف السنين بساعة ظاهرة بسيطة: خداع بصري. تستطيع أجهزةنا البصرية أن تعقب حولة علينا، وذلك ككاف لإثبات أنها أدوات، وليست قنوات توصل إلى الحقيقة. إليك مثالين لفضلهما في روجر شيباردز / shepards / فنل الطاولات / (2) إلى اليمين الشكلان مشابهان في الحجم والشكل، وفي خداع shadow checker كاشف الظل لإدوارد ليرسون (نحت) المربع الفاتح في وسط الظل (B) هو الظل نفسه من الرمادي مثل ليرسون السوداء خارج الظل (A).



لكن بما أن العالم الذي نعرفه هو فقط من تركيب دماغنا، فذلك لا يعني أنه بنية عشوائية - أي وهم خلق بالتوقعات أو السياق الاجتماعي. نعلمنا المفهومية مصممة لكي تسجل جوانب العالم الخارجي المهمة لبقائنا مثل الحجم والأشكال، ومواد الأشياء، إنها تحتاج تصميماً معقداً لكي يتجزأ هذه الماثرة لأن صورة القرنية ليست نسخاً عن العالم، فإسقاط جسم على الشبكية ينمو، ينكسر، ويلتف بينما يتحرك الجسم حول اللون والإضاءة بتذبذبات بينما تتغير الإضاءة من شمس إلى غيوم، أو من داخل البيت إلى نور خارج البيت. لكن الدماغ يحل هذه المشكلات بطريقة ما. إنه يعمل وكانه يعقل خلفاً من صورة قرنية إلى الفرضيات حول الواقع، مستخدماً الهندسة، وعلم البصريات، ونظرية الاحتمالات، وافتراسات حول العالم. يعمل النظام معظم الوقت، فالتاس - عادة - لا ينطعون أشجاراً أو يتشرون بالسخور.

لكن الدماغ - أحياناً - يُخدع فالأرض التي تمتد بعيداً من عند أقدامنا تسقط صورة من الأسفل على مركز مجالنا البصري. ففي أغلب الأحيان يترجم الدماغ من أسفل إلى أعلى في المجال البصري، ومن القريب إلى البعيد في العالم، خاصة عندما يتم تعزيز ذلك بالمحاذات المنظورة مثل الأجزاء المستترة (الرجل غير مرئية لطلولة)، والأشياء الممتدة بعيداً عن الناظر تصبح أقصر عن طريق الإسقاط، فالدماغ يموض عن هذا، وبذلك نرى مسافة ما تسيير إلى أعلى وأسفل في المجال البصري وكانها أتية من شيء أطول من المسافة نفسها يتحرك بسرعة ويمتد. وذلك يجعلنا نرى الأطوال والعروض بشكل مختلف في الطاولات المقلوقة، وبالمنطق نفسه، الأشياء في الظل تعكس ضوءاً أقل على الشبكية من الأشياء التي تحت إنارة كاملة. أدمنقتا نعوذ بأن تجعلنا نرى ظلاً معدداً من اللون الرمادي وكانه أفتح عندما يكون في الظل أكثر مما يكون تحت أشعة الشمس. في شكل حالة قد نرى الخطوط والبقع على الصفحة بشكل غير صحيح لأن أجهزتنا البصرية تعمل جادة لكي تراها على أنها أتية من عالم حقيقي، مثل شرطي يحاول وضع رسم لشئ به. لقد زرع شيبارد وأولسون دليلاً سوف يؤدي إلى مراب عاقل وغير شطكاك إلى نتيجة غير صحيحة. فلو كنا في عالم عادي الأشياء فيه ثلاثية الأبعاد، أسقط تلك الصور على الشبكية، فإن خبرتنا المفهومية ستكون دقيقة. يقول أولسون: بالنسبة للكثير مما يسمى أوهاماً، هذه النتيجة توضح فعالاً نجاح جهازنا البصري أكثر مما نعتقد فشله. فالجهاز البصري ليس جيداً جداً لكي يكون مقياس نور فيزيائي، لأن ذلك ليس هدفه. فالهمة الرئيسية هي كسر معلومات

المسورة إلى مكونات ذات معنى، وبذلك ندرك طبيعة الأشياء المنظورة أمامنا.
(4) ليست التوقعات من تجربة سابقة لا علاقة لها بالإدراك، لكن تأثير التوقعات هو
جعل أنظمتنا الإدراكية أكثر دقة، وليس أكثر عشوائية. في الشكلين أدناه نرى
الشكل نفسه على أنه حرف (H) في الكلمة الأولى، وحرف (A) في الكلمة الثانية،

THE CAT

ترى الشكلين على هذه الشاشنة لأن الخبرة تقول لنا - بشكل صحيح -
المفاجآت هي عالية بأن هناك حرف (H) في وسط الكلمة الأولى وحرف (A) في وسط
الكلمة الثانية، حتى لو كان ذلك غير صحيح في أي حالة نموذجية. نغضي أذن
الإدراك إلى الكثير من المتناسب للتأكد من أن ما نراه يقابل ما هو موجود هناك لدى
الأمثلة التي تدحض الواقعية المأجبة ترفض ففكرة أن العقل منفصل عن الواقع هنا
خيار ثالث: إن الدماغ يطور آليات ذكية لتكهنها غير قابلة للخطأ، وتعمل كهي تقيها
مع جوانب الواقع الذي ترتبط به في وجودنا وتوالده أسلافنا. هذا صحيح ليس بما ينظر
بالقدرة الإدراكية لدينا بل بما يتعلق بقدرةنا المعرفية الحقيقية هي أن قدرات
المعرفية (مثل قدراتنا الإدراكية) بما يراه وفق عالم الواقع ونجد ذلك في أوضاع صورية
استجابتها للتغيرات والأوهام، إنها تميز إمكانية مخالفة للواقع. وتجد سبباً للوسيل
إلى الحقيقة خلف الانطباع الخاطئ. فعندما نرى مجدافاً يبدو أنه انكسر على سطح
الماء، نعرف ما إذا كان مكسوراً فعلاً أم أنه يبدو كذلك فقط. نستطيع أن نرى
المجداف، وأن نضع جسماً مستقيماً عليه، أو نسجبه عليه لنرى ما إذا كان المجداف
المعقول بالماء يترك لوحد مفهوم الحقيقة والواقع خلف مثل هذه الاختبارات: يمدونه
شامل يميز الناس في جميع الثقافات الحقيقة عن الزيف، والحياة العقلية الداخلية عن
الواقع الظاهر، ويحاولون أن يستنتجوا وجود أشياء لا يمكن ملاحظتها من الدلائل
المدرسة التي تركتها خلفها. (6)

الإرثه العصري هو التشكل الأكثر إثارة في معرفة العالم . لكن أنصار النسبية يهينون الفل بكيف نرى الأشياء من كيف تصنفها: كيف تصنف خبراتنا إلى مجالات مبهمة مثل التطور، الأدوات، والناس. الاقتراح الحميد كلما يبدو أن تصنيف الدماغ تتأثر شيئاً ما في الواقع يصبح فكرة مستمرة في القرن العشرين لأن بعض التصنيفات على العرق- الجنس- Gender الإثنية والميل الجنسي تكون ضارة عندما تستخدم تمييز أو الاصطلاح.

كانت كلمة نمطي Stereotype تشير إلى نوع من صفيحة طباعة plate أما معناها راجع كصورة مشوهة وغير واقعية ترمز إلى صنف من الناس قد أدخلها الصحفي ريتز ليمان عام 1922 . وكان ولتر ملتفناً بارزاً ساعد في تأسيس الجمهورية الجديدة متأراً سياسات ودرو ويلسون في نهاية الحرب العالمية الأولى. لقد مكتب بعضاً من نهجيات المفكرة على اختبارات الذكاء الاصطناعي وفي كتابه / الرأي العام / يلمتص النمطية في تحقيق الديمقراطية حقبة في عصر لم يعد فيه الناس العاديون ينتظرون أن يقيموا القضايا العامة بشكل عقلاني، لأنهم كانوا يحصلون على طمأنينة نسبية شذرات سليمة. الاقتراح ليمان أن مفاهيم الناس العاديون في الجماعات الإثناعية كانت نمطية، صورة ذهنية ناقصة، منحازة، تقتقد لحساسية التباينات، بتفوية لمعلومات مؤسدة.

كان لليمان تأثير مباشر في ميدان علم الاجتماع (مع أن المساوين الفرعية وبالضبط جداله قد طواها النسيان). لقد أعطى علماء النفس قوائم جماعات إثنية بقرت خصائص، وغلب منهم أن يناسيها. فربط الناس اليهود بصفة " داعية " وبرتقة " والألسان بصفة "كفء" و" قومي النزعة " والزنج " بصفة "خراب" و"عوثي وهم جرا". لتعميمات كهذه تطوي على حيث. إذا ما طبقت على الأفراد، غداً أنها ما تزال شائعة في معظم العالم، إلا أنها ينبغي أن يتجنبها المتعلمون بتفضيات التباين الرئيسي العام.

بحول سبعينيات القرن العشرين، لم يكن مفكرون أكثر راضين أن يلاحظوا أن أصابع في تصنيف الناس قد تكون غير دقيقة، فبدأوا يمسرون على أن هذه تصنيفات لا توجد إلا في أعماطنا نحن الطريقة الفعالة لمحاربة العنصرية، والتمييز على أساس الجنس، والاحيانات الأخرى حسب هذه النظرية هي في إنكار تلك تصنيفات التهمية حول الناس وإنكار الزعم بعلاقتها بالواقع الموضوعي. فمن الحال

الاتحاد بأن الشاذين جنسياً هم مختلون، وأن السود خرافيون، والنساء سلبيات (١٦) لم يكن هناك أشياء مثل تصنيفات للشاذين جنسياً، والسود أو النساء كشيء يُبدأ بها. فليس سبيل المثال كتب الفيلسوف ريتشارد روتري Rorty "الشاذ جنسياً" والزنبي، والأش، من الأفضل اعتبارهم لا كصنفيات لا بد منها للكائنات البشرية، بل هي بالأحرى تقيقات قد أوقمت ضرراً أكثر مما كان لها فائدة (١٨).

فيخصوص هذه المسألة يتساءل كتاب كثيرون، لماذا نتوقف هناك؟ إذ ما يزال من الأفضل أن نمر على أن جميع التصنيفات هي بنى اجتماعية وبالتالي تقيقات. وبالتالي تجعل الأنماط المقبّية مجرد تركيبات. ويشير روتري إلى أن مفكرين عديدين اليوم يتابعون في قولهم إن الكوارتات *quarks* والجينات من المحتمل أنها هيكيات أيضاً. فانصار ما بعد الحداثة وأنصار النسبية يجمعون الحقيقة والموضوعية ليس لأنهم مهتمون كثيراً بالمشكلات الفلسفية المعرفية والايستولوجيا، بل لأنهم بشغور لها أفضل طريقة لسحب البساط من تحت أقدام المنصرين، والمدافعين عن ذوي اليول الجنسية *Sexist* والذين يكرهون الشاذين جنسياً.

يقدم الفيلسوف إيان هاوكينغ قائمة تضم تقريباً أربعين تصنيفاً، زعم مؤخراً أنها "مركبة اجتماعياً". الأمثلة الأولية هي العرق، الجندر، *gender*، الذكورية، الطبيعة، الحقائق، الواقع، والماضي. لكن القائمة بدأت تطول لتشمل الآن حتى التالف، والإيدز، والأخوة، والخيار، الخطر، والخيل، والمرض، والغابات الندية، وعدم المساواة، ونظام القصر الصناعي والمهاجر العامل في ميدان الطب، دولة الأمة، والكواركز، والنجاح المدرسي، والقتل التسلسل، والأنظمة التقنية، وجريمة زني الياقات البيضاء، واللاجئات النساء، وقومية الزولو. الخيط المشترك - وفقاً لها وكين هو قناعة أن التصنيف لا تحدده طبيعة الأشياء، وبالتالي ليس امرأة لا مفر منه. الضمن الأبعد هو أننا سنكون أفضل بكثير إذا ما تم الاستغناء عنها، أو إذا تم تغييرها جذرياً (١٩).

المشروع كله مبني على نظرية غير معبر عنها المفهوم تشكل إنساني: التصنيفات المفهومية لا تحتمل علاقة منهجية بالأشياء في العالم، بل هي مركبة اجتماعياً (وبالتالي بالإمكان إعادة تركيبها). فهل هي نظرية صحيحة؟ ففي بعض الحالات نجد فيها بعضاً من الحقيقة. وكما رأينا في الفصل الرابع بعض التصنيفات هي فعلاً

تراكيب اجتماعية: إنها توجد فقط لأن الناس ضملياً يوافقون أن يتصرفوا وأنهم موجودون أمثلة ذلك تشمل المال وامتلاك الأرض، المواطنة، زخرفات للشعاع، ورتاسة الولايات المتحدة (10) لكن ذلك لا يعني أن جميع التصنيفات المفهومية هي مركبة اجتماعياً. لقد تمت دراسة المفهوم من قبل علماء نفس المعرفة طوال عقود، وتوصلوا إلى أن معظم المفاهيم للتقني تصنيفات للأشياء في العالم الذي فيه نوع من الواقعية قبل بدنا بالتوقف عن أن نفكر بها(11).

نعم، إن شكل ندفة ثلج هي فريدة، وما من مجال سيقدم العدالة التامة إلى شكل واحد من أعضاء المجال لكن الذكاء يعتمد على تجميع الأشياء التي تشترك بخواص، بحيث لا يذهلنا شكل شيء جديد نقابله. فكلما كتب وليم جيمس "توليب" Polyp سيكون مفكراً مفهوماً إذا كان إحساس الحالة شيئاً يصعب تصنيفه من جديد إذا خطر له. إننا ندرك بعض خصائص جسم جديد، نضعه في مجال عقلي، ونستنج أنه من المحتمل أن يمتلك الخصائص النموذجية الأخرى لذلك المجال، خصائص لا نستطيع أن ندركها، فإن تمش مثل بطة، وتصدر صوتاً مثل صوت البطة، فمن المحتمل أن الشيء بطة. إذا كان بطة، فإنه يسبح ويطير، وفيه لحم كثيف عندما نلف في مقلاة ومعها الحساء.

هذا النوع من الاستدلال فعال لأن العالم فيه فعلاً بط يتشارك في خصائص محددة، فهو عشنا في عالم الأشياء التي تمشي وتصدر صوت البطة، ولا تحتوي على لحم، فإن التصنيف "بطة" سيكون عديم الجدوى، ومن المحتمل لنا أننا طورنا القدرة على تشكيكه. إذا قبض لك أن تشكل صفحة طويلة فيها صفوف وأعمدة خصائص يلاحظها الناس، وخلايا مليئة بأشياء لها مجموعة من الخصائص، فإن نموذج الخلايا المثلثة سيكون مزدحماً. ستجد الكثير من التعريفات عند كلمة quarks، وعموداً يتمايل، لكن لن تجد تعريفين عند عمود "يجري". ما إن تحدد الصفوف والأعمدة، حتى تأتيك الأكوام من العالم، لا من المجتمع أو اللغة. ليس مصادفة أن الأشياء الحية نفسها تبدي ميلاً لأن تصنف سوياً بالكلمات في الثقافات الأوروبية، الكلمات للأنواع النباتية والحيوانية في ثقافات أخرى (من بينها ثقافات ما قبل التنظيم). يقدر علماء الأحياء أن للبط عدة عشرات من الأنواع في العائلة الفرعية Anatinae، كل نوع له تشريح مميز، ومقدرة على التوالد مع أفراد أخرى من نوعه، وجد مشترك في تزيح التطور.

يعتقد معظم علماء نفس المعرفة أن التصنيفات المفهومية تأتي من معالجتين عقليتين (12) إحداهما تلاحظ أحوالاً من التعريفات في الصفحة العقلية، وتعالجها كتصنيفات ذات حدود مشوشة، أفراد هي نسيج عن بعضها، وأوجه شبه متداخلة، مثل أفراد عائلة. فالتصنيف العقلي "بطء" يضم بطات غريبة لا تشبه البطة النمطية، مثل البط الأبرج الذي لا يستطيع أن يسبح أو يطير، ويطء موسكوكولا له مطالب ومهارات على أقدامه، وبطة دونالد التي تمشي وتلبس لباساً. أما العمليات العقلية الأخرى فتبحث عن قواعد واضحة وتعريفات وتدخلها في سلاسل من التمثل. النظام الثاني يستطيع أن يتعلم أن البطات الحقيقية تطرح ريشها مرتين في الفصل، ولديها scales متداخلة على سيقانها. وبالتالي ظهور محددة تبدو مثل وزة تدعى إوز، هي في حقيقة الأمر بطات. فعن عندما لا يعرف الناس هذه الحقائق من علم البيولوجيا الأكاديمي، فإنهم يتمسكون حذماً قوياً بأن الأنواع محددة بجمهور داخلي، أو خاصة ذهنية تؤدي - ويشكل قانوني - إلى سماتها المرئية. (13)

من يدرس سيكولوجيا وضع التصنيف فاجأه هذا السؤال من طالب حائر: إنك تقول لنا إن وضع الأشياء في تصنيفات هو أمر عقلي ويجعلنا أذكها. لكننا يمكننا دائماً نتعلم أن وضع الناس في تصنيفات هو أمر غير عقلائي ويجعلنا عنصريين، وذوي ميول للتمييز على أساس الجنس. إذن التصنيف عظيم جداً عندما نفكر بالبط، والكوراسي، ظلماتاً يبدو مرعباً عندما نفكر بالجنسين وبالجماعات الإثنية؟. هذا السؤال يكشف عن خطأ في التراث وليس عن عيب في الفهم.

فكرة أن الأنماط هي عقلية حكماً مدينة إلى تنازل الناس المعادين أكثر مما تدعنا إلى البحث السيكولوجي الجيد. فبعد أن رأى باحثون كثير أن الأشكال النمطية موجودة في عقول أتباعهم، افترضوا أن الأنماط ينهني أن تكون غير عقلانية، لأنهم لم يشعروا بالارتياح من إمكانية أن خاصة ما قد تكون صحيحة إحصائياً بالنسبة لجماعة ما. إنهم لم يدققوا أبداً. لكن ذلك بدأ يتغير في ثمانينيات القرن العشرين، ولدينا الآن نظمية كبيرة معروفة حول دقة الأنماط. (14)

الأنماط هي - في حقيقة الأمر - غير دقيقة عندما تقم وفق مقياس موضوعي كالإرقام الإحصائية أو تقارير الناس النمطيين أنفسهم، مع بعض الاستثناءات الهامة. فالذين يعتقدون أن الأمريكيين الأفارقة مشمولون بالخدمة الاجتماعية أكثر من

البيض، وإن متوسط الدخل بين اليهود أعلى من البروتستانت الأنجلوساكسونيين. وأن طلاب كلية التجارة محافظون أكثر من طلاب كليات الفنون، وأن النساء يردن لباس أوزانهم أكثر مما يريد الرجال. وأن من المحتمل أكثر أن يضربوا ذبابة بإيديهم العارية، أيسوا غير عقلانيين أو متعصبين. تلك المقدمات صحيحة. أنماط بشر مشتقة عموماً مع الإحصائيات وبلا حالات كثيرة، انحيازها ينسف الفروق المتبقية بين الجنسين أو الجماعات الإثنية (15) ذلك لا يعني أن الخصائص النمطية غير قابلة للتفسير، أو أن الناس يعتقدون أنها غير قابلة للتفسير. الناس يدرسون الخصائص بدقة تامة في حينه.

زد على ذلك، حتى عندما يعتقد الناس أن الجماعات الإثنية ذات خصائص مميزة، فهم ليسوا أبداً أنماطاً لا عقل لهم، يعتقدون فعلياً أن لكل فرد من الجماعة يمتلك تلك الخصائص. فقد يظن الناس أن الألمان هم بمعدل وسطي أكثر كفاءة من سواهم، لكن لا يعتقد أحد أن لكل ألماني هو أكثر كفاءة من كل واحد غير ألماني (16). ليس لدى الناس مشكلة أن يمتطوا نمطاً عندما يملكون معلومات جيدة عن فرد ما. الانطباعات لدى المدرسين عن طلابهم ككافراد ليست مشوبة بأنماطهم حول العرق، والجنس gender أو المكانة الاقتصادية الاجتماعية. تعكس انطباعات المدرسين أداء الطالب بدقة كلما يقاس باختبارات موضوعية. (17)

أما بالنسبة للاستنتاجات المهمة، فقد تكون الأنماط غير دقيقة تماماً عندما يكون لدى شخص ما لثبات أولية أو قهلية مع الجماعة المنمطة، أو ينتمي إلى جماعة معادية عقلاً للشخص الذي يجري تقييمه. خلال الحرب العالمية الثانية، عندما كان الروس خلفاء الولايات المتحدة، وكان الألمان هم الأعداء، قيم الأمريكيين الروس بأنهم يملكون خصائص إيجابية أكثر من الألمان. لكن بعد أن تغيرت التحالفات، قيم الأمريكيين الألمان أنهم ذوو خصائص إيجابية أكثر من الروس. (18)

قدرة الناس على وضع الأنماط جانباً عند تقييم فرد بحيث يتم ذلك بواسطة معادلتهم الواعية عمداً. فعندما يكون الناس مشوشين أو تحت الضغط كفي يجيبوا بسرعة، فإن من المحتمل أن يقوموا أن فرداً من جماعة إثنية لديه جميع الخصائص النمطية للجماعة. (19) يأتي هذا من التصميم المكسوف من جزأين لنظام التصنيف البشري المذكور سابقاً. ترجع شبككتنا ذات التداخليات المشوشة بشكل طبيعي، إلى نمط عندما تقابل فرداً للوهلة الأولى. لكن تصنيفنا المبني على قاعدة يستطيع أن يعكس

تلك التفاعلات، وأن يقوم باستنتاجات مبنية على الحقائق ذات الصلة حول ذلك التردد إنه يستطيع القيام بذلك إما من أجل أسباب عملية - عندما يشمل المعلومات من متوسط الجماعة بحيث يتكون أقل تشخيصاً من المعلومات عن الفرد، أو من أجل أسباب أخلاقية يدافع الاحترام للواجب، يتجاهل معدلات معدودة تشمل الجماعة ضد تقييم فرد منها.

غاية هذا البحث هي إيضاح فكرة أن الأنماط لا تكون دقيقة دائماً، لكنها في الوقت ذاته ليست زائفة على الدوام. هذا ما نوقمه تماماً إذا كان التصنيف البشري - مكشوفة العقل - هو تصنيف يتبع جوانب العالم المرتبطة بصالحنا لفترة طويلة فكمما أوضح عالم النفس الاجتماعي روجر براون، السارق الرئيسي بين تصنيفات التمر وتصنيفات الأشياء الأخرى هو عندما نستخدم مثلاً تعبيراً ليرمز إلى صنف من الأشيد، فلا يخطئ أحداً. فعندما استخدم معجم ويسترن عصقور الدوري كرمز إلى الطيور الليم، والتعام، والبطريق، والنسور فإنه لم يعض إلى الهجوم. لكن تصور ماذا كان سيحدث لو أن المعجم استخدم صورة امرأة لاعبة كرة قدم ليوضح ما نعنيه كلمة امراء، وصورة مدير تنفيذي كرمز بوضوح كلمة رجل، يقول براون: "سيكون التمر مضيق إذا ما أخذوا الشيء السلبي، لأن النمط لا يستطيع أبداً أن يمثل التباين الموجود في استناف الطبيعة. الأمر هو فقط أن الطيور لا تبال، لكن الناس يباليون (20)، ما هي المضامين الحقيقية للقول إن أنماطاً كثيرة هي إحصائياً دقيقة ؟ إحدى المضامين هو أن البحث العلمي المعاصر حول الفروقات الجنسية لا يمكن استبعادها تماماً لأن بعض النتائج متسقة مع الأنماط التقليدية للرجال والنساء. فبعض أجزاء من تلك الأنماط قد تكون زائفة، لكن حقيقة كونها أنماطاً لا يثبت أنها زائفة من كل ناحية.

الدقة الجزئية لأنماط كثيرة لا تعني أن العنصرية، والتمييز على أساس الجنس، والانتحاز الإثني مقبولة. فبعض النظر تماماً عن المبدأ الديمقراطي في الجوانب المتأخرات ينفي أن يعامل الناس ككأفراد، إلا أن هناك أسباباً وجيهة تدعونا لأن ننقل على الأنماط. الأنماط البنيية على توصيفات العدوانية بدلاً من تجربة أولية محظومة بل تكون غير دقيقة. بعض الأنماط تكون دقيقة فقط بسبب توقعات تحقيق الذات فيتأثر عشرون سنة مضت ربما كان صحيحاً أن فئة من النساء والأمريكان الأفارقة مرطون لماصب مدراء عامين أو مرشحين للرئاسة. لكن ذلك كان مرده المواقف التي منعت من حياة تلك المؤهلات، مثل سياسات الجامعات التي كانت ترفض قبولهم بناءً على

اعتقاد أنهم كانوا غير مؤهلين. وكان يتوجب إزالة المواقف المؤسسية قبل أن يصبح تغيير الحقائق أمراً معكناً. الخبر السار هو عندما تتغير الحقائق، فإن أنماط الناس تستطيع أن تتغير معها.

ماذا عن السياسات التي تعضي إلى ما هو أبعد، وتعرض بشكل فعالية عن تحيزات الأنماط مثل المحاصصة quota والحماية التي تتحاز إلى جماعات تمثيلهم أقل مما ينبغي؟ يعتقد بعض المدافعين عن هذه السياسات أن حراس البوابات يمثلون دون إمكانية شفاء لهم بالتحيزات لا أساس لها، وأن الكوتا يجب أن تبقى في مكانها إلى الأبد لكي يتم تعييد نتائجها. البحث في مدى دقة الأنماط يحض النقاش مع ذلك قد يدعم البحث نقاشاً مختلفاً لما نفضله، وسياسات الجنس gender، والحساسية تجاه الألوان. فالأنماط عندما تكون دقيقة حتى قد تكون تحقق الذات، ليس في الحالات الواضحة لمرافيل تدعمها المؤسسات كذلك التي تبعد النساء والأمريكان الأفارقة عن الجامعات وبعض المن لقد سمع أناس كثيرون بتأثير بيهماليون، يؤدي الناس ما يقوم به أناس آخرون (مثل المدرسين)، وقد يصادف أن يظهر تأثير بيهماليون أنه صغير أو غير موجود، لكن هناك أشكالا أكثر براعة لتبوءات تحقيق الذات. إذا كانت قرارات شخصية مثل القبول أو استئجار، الذهن، والرواتب مبنية على معدلات وسطية بين الجماعة، فإنها سوف تتأمر لجعل الأغنياء أكثر غنى والفقراء أكثر فقراً. النساء مهمشات أكاديمياً وذلك يجعلهن أقل تأثيراً ويزيد في تمهيشهن ويعامل الأمريكان الأفارقة على أن إقراضهم المال ينطوي على مخاطرة، وهذا يجعلهم أقل نجاحاً. سياسات العرق والجنس gender حساسة وفقاً لتناقشات عالمة النفس فريجينيا هاليان والاقتصادي غلين لوري والفيلسوف جيمس فلاين، ربما نحتاج إلى هذه المناقشة لكسب هذه الحلقة الشريفة (22).

الدفع في الاتجاه الآخر هو اعتبار الأنماط أقل دقة عندما تخص تحالفاً موضوعاً ضد الشخص في منافسة عدالية. وهذا ينبغي أن يجعلنا نشعر بالمعصية تجاه سياسات الهوية التي فيها نحدد مؤسسات عامة أفرادها من خلال عرقهم، جنسهم، وجماعتهم الإثنية، وترتبط تلك سياسة من خلال كيفية الانحياز إلى جماعة أكثر من الأخرى. فعلى سبيل المثال، في جامعات كثيرة يتم تعيين طلاب الأقلية باجتماعات ذات توجهات خاصة، ويلقون تشجيعاً أن ينظروا لتجربتهم الأكاديمية كطفا عبر عدسة جماعتهم وكيف أنها قد أصبحت ضحية، فمن طريق تشجيع جماعة ضد أخرى، قد تتسبب

سياسات كهذه أن تشكل ككل جماعة انمافاً حول الأخرى. هو أكثر ازدياداً من الأنماط التي سوف يطورونها في مقابلات شخصية، البيانات من المختبر لا تقدم حصفاً مقبولاً أو مرفوضاً على سياسات وعي عرقي وجنسي gender. لكن تسليط الضوء على سمات علم النفس الذي يهتم بمسائلنا المختلفة. تستطيع الاكتشافات أن تجعل المقارنات أكثر وضوحاً والمناظرات أفضل معلوماً.

من بين جميع القدرات التي تدخل في العمل الفني الذي يسمى الإنسان، فإن اللغة هي الأكثر إحصاءاً بالرهبة. "تذكيره أنه كائن بشري ذو روح، والنعمة الإلهية بالكلام المنطوق"، كما قال هنري هينلز متوسلاً إلى إلزا دوليتل. الأنا الأخر لعالم وقد شعر بالتواضع تجاه الفنون والاختراعات في عصره، لقد علق على اللغة في شكلها المكتوب؛ لكنها متجاوزة جميع الابتكارات الملهمة، يا لرهعة عقله الذي حلم بجد سبيل ليوصل أعمق أفكاره إلى أي شخص آخر، مع أنه قد يكون بعيداً بمراميل كبيرة مكانياً وزمناً. للتحدث مع الموجودين في الهند، والتحدث إلى من لم يولدوا بعد، ولن يولدوا قبل ألف أو عشرة آلاف سنة، وبأي براعة، عن طريق الترتيبات المختلفة لعشرين حرفاً على صفحة من الورق (23) لكن شيئاً مضحكاً حدث لنا الحياة الثقافية. فبدلاً من أن تنال التقدير على مقدرتها في توصيل الأفكار، أيدت بسبب مقدرتها أن تفهم الفعصر. لدينا شواهد مشهورة من فيلسوفين تمسكنا بالثق "علينا أن نتوقف عن الاعتماد أننا إذا رفضنا أن نفعها في سجن اللغة" كما كتب فريدريك نيتشه، وكما كتب لودفيغ ويتغنشتاين "حدود لغتي تعني حدود عالمي".

كيف استطاعت اللغة أن تستخدم هذه القبضة القوية ؟ فإذا كانت الكلمات والعبارات هي وسيلة الفكر ذاته، فإن الفعصر تسقط بشكل طبيعي خارج الصنفا البيضاء. إذن لا يوجد هناك في الفعصر شيء لم يكن موجوداً أولاً في الأحاسيس. بالتالي الكلمات التي تلتقطها الأذن هي المصدر الواضح لأي فعصر مجردة لا يمكن نقلها إلى مناظر، روائح أو أصوات أخرى. لقد حاولوا وطلسون أن يشرح التفكير على أنه حركات ميكروسكوبية للفم والحلق وكان سميكر يأمل أن يكتبه/ التلوك الفعلي/ 1957/ الذي فسر اللغة على أنها سجل لاستجابات ميكافاً عليها، سوف نجسر الفجوة بين الحمام والناس. لقد مالت العلوم الاجتماعية الأخرى للمساواة بين الفات

والتفكير لقد لفت تلميذ بواسBoas - إيوارد ساير - الانتباه إلى فروق في الصيغة التي تحضر فيها اللغات العالم في أنماط، وقام تلميذ ساير - بنيامين ورف Whorf بتوسيع تلك الملاحظات إلى فرضية حتمية، فقه لغوية شهيرة: "إننا نقطع الطبيعة، وننظمها في مفاهيم، وننسب المعاني كما نعمل، إلى حد كبير لأننا أفرقاء في توافق أن ننظمها بهذه الطريقة، توافق بيني من خلال خطابنا الجماعي، ومشفرة في نماذج للنشأ. التوافق هو طبعاً ضمنى وغير مُصاغ، لكن بنوده إلزامية بشكل مطلق (24) وقال الأندريولوجي كليفورد غريتر إن التفكير يتألف ليس من أحداث في الرأس (مع أن أحداثاً هنا وفي مكان آخر ضرورية لكي يحدث التفكير) لكن من حركة فيما اسمه رمزاً ذات معنى. كلمات في الغالب. (25)

فكما هي الحال مع أفكار كثيرة في علم الاجتماع، تؤخذ مركزية اللغة إلى الحدود القصوى في التفكيرية، وما بعد الحدأة، وفي عقائد نسبية أخرى كتابات التبروات لجاك دريدا مليئة بالحكم كيمس هناك مهرب ممكن من اللغة "، النص ذاتي للرجعية "، اللغة سلطة " ولا يوجد شيء خارج النص "، وكتب جي هيليز HILLIS ميلر أن اللغة ليست وسيلة أو أداة في يدي الإنسان، وسيلة تفكير مطواعة، بالأحرى لغة تفكر بالإنسان وعالمه... إن كان سيسمح لها أن تعمل ذلك (26). أما الجائزة لقول أكثر نظرياً يجب أن تذهب إلى رولان بار عندما قال "الإنسان لا يوجد قبل اللغة، كنوع أو كقرد" (27).

سلسلة نسب هذه الأفكار يقال إنها من علماء اللغة، مع أن معظمهم يعتقدون أن التفكيرية قد تجاوزوا الطرف العميق. الملاحظة الأصلية كانت أن كلمات كثيرة قد عرفت جزئياً بعلاقتها مع كلمات أخرى. فليس سبيل المثال الضمير هو (he) يتحدد بتقيده أنا، أنت، هم، وهي "، وكلمة كبير تستمد معناها على أنها عكس كلمة صغير. وإن تبحث في معجم فإنها تعرف من خلال كلمات أخرى، التي هي بدورها معرفة بكلمات أخرى وهكذا حتى تكتمل الدائرة عندما تعود إلى تعريف يستوي الكلمة الأصلية. ولذلك يقول التفكيرية: إن اللغة هي نظام محتوى ذاتياً للكلمات فيه ليس لها علاقة ضرورية بالواقع، وطالما أن اللغة هي وسيلة عشوائية وليست وسيطاً لنقل الأفكار أو وصف الواقع، فإن صاحب النفوذ يستطيع أن يستخدمها لكي يفكر ويضطلع أناساً آخرين. بقود هذا إلى تحريض على إصلاحات لغوية:

الألفاظ الجديدة مثل co أو ns التي تستخدم كضميرين حياديين الجنس، سلمت بكلمات جديدة من أجل أقبليات عرقية، ورفض لمعايير الوضوح في النقد والبحث إلا إذا كانت اللغة لم تعد نافذة لتفتح على الفكر. بل هي مادة الفكر ذاته، فإن كلمة وضوح لم تعد تنطبق.

فمكرة أن اللغة هي سجن يشوه سمعة موضوعه عن طريق البانغة في تدبير سلطته، هي مثل جميع نظريات الماكرة. اللغة هي المقدرة الرائعة التي نستعملها لتز الألفكار من رأس إلى الخرج. ونستطيع أن نختارها سوية بطرق عديدة لكي نساير أفكارنا. لكننا ليست الشيء نفسه مثل الفكر، وليست الشيء الوحيد الذي يميز البشر عن الحيوانات الأخرى، وليست الأساس لجميع الثقافات، وليست السجن التي لا مفر منه، اتفاقية إلزامية، حدود عالمنا، أو المحدد لما هو ممكن تخيله (28).

لقد رأينا أن الإدراك والتصنيف يزودنا بمفاهيم تقينا على صلة بالعالم. ولقد توسع ذلك الخط الحياتي من خلال ربط المفاهيم بكلمات. فالأطفال يسمعون أصواتاً خارجة من أفواه أفراد الأسرة، ويستخدمون علم سيكولوجياهم حسياً، واستيهم للسياق العام للحدث لكي يستدلوا على ما يحاول المتكلم قوله ويربطون نظياً الكلمات بالمفاهيم، والمبادئ القواعدية بالعلاقات بينهما.

Bowser upends a chair sister yells

كلب قلب الكرسى فالطفل يستنتج أن كلمة dog تعني كلب وكلمة up تعني كرسى، وهائل الفعل knockover هو الفاعل الذي يقوم بعملية قلب (29).

يستطيع الطفل أن يتحدث عن كلاب أخرى، وكراسي أخرى، وانقلابات أخرى لا يوجد شيء ذاتي المرجعية أو سجن حولها. فكما قال الروائي وولكر بيرسي التكميكي أكاديمي يزعم أن النصوص ليس لها مرجعيات، وبذلك يترك رسالة طر آلة التسجيل اليانفي المائدة لزوجه يطلب منها أن تحضر البيتزا على الغداء.

اللغة – بكل تأكيد – تؤثر في أفكارنا بدلاً من أن تتوونها فقط من أجل الصونا فقط. ما هو أكثر وضوحاً: اللغة هي القناة التي من خلالها يتشارك الناس أفكارهم ونواياهم وبذلك يكتبون المعرفة، والمعادات، والقيم من الذين حولهم في الأعياد عيد الميلاد من الأوبرا الغنائية كلمة الذي who وصف ليلة صبي دون لغة تومي لا يعرف أي يوم هو هذا اليوم، ولا يعرف من مكان يسوع، أو ما هي الصلاة: فالنا

نسمح لنا أن نشترك الأفكار لا بشكل مباشر فقط بل عن طريق مضمونها الحرة،
ويشكل غير مباشر أيضاً عبر اللغة المجازية التي تدفع المستمعين إلى استيعاب روابط
ربما لم يكونوا قد لاحظوها من قبل فعلى سبيل المثال، تماثيل كثيرة تعامل الزمن
وكأنه مورد ثمين؛ بتبديد الزمن، يقضي الوقت، وقت ثمين، والوقت هو المال (30).
في المناسبة الأولى التي استخدم فيها شخص إحدى هذه التماثيل، كان من المفترض أن
يتعب المستمع، ويتساءل لماذا استخدمت كلمة المال لتعني الزمن. ففي نهاية المطاف
إذك لا نستطيع أن نتفق الوقت بمعنى حرية بالكيفية نفسها التي نتفق فيها قطعة من
الذهب. وبافتراض أن المتكلم لم يكن يهذر، فقد فهم الناس ما هو المشترك بين الزمن
والمال، وافترضوا أن ذلك هو ما قصد المتكلم التعبير عنه. لاحظ أن في هذا المثال
الواضح حتى اللغة مؤثرة على الفكر، لكن اللغة ليست الشيء ذاته كالفكر.
الصانع الأصلي للاستشارة كان عليه أن يرى التشابه دون الاستفادة من التماثيل
الإنجليزية، وكان على المستمعين الأوائل أن يجمروا ذات معنى باستخدام سلسلة
أفكار لا يعجز عنها التعبير عن النوايا النموذجية للمتكلمين والخصائص المشتركة
بين الزمن والمال.

اللغة - بغض النظر عن استخدامها كوسيلة تواصل - بالإمكان ضغطها في
خدمة كواحدة من وسائل الإعلام التي يستخدمها الدماغ لتخزين المعلومات والتلاعب
بها (31). النظرية المهمة لعمل الذاكرة البشرية لعالم النفس آلان بادلي تلتقط الفكرة
جيداً (32). فالعقل يستخدم الفئلة الفونولوجية: "نطق صامت لكلمات أو أعداد يستمر
بضع ثوان، وبالإمكان فهمه من قبل أذن العقل. الحلقة تعمل مثل نظام عبيدي" في
خدمة "مدير مركزي". فمن طريق وصف الأشياء لأنفسنا باستخدام نصف من اللغة،
نستطيع مؤقتاً أن نخزن النتيجة لعملية حوسبة عقلية، أو نسترجع قطعة من البيانات
الغزوة كتعابير حقيقية. الحساب الذهني الذي يشمل أعداداً أكبر على سبيل المثال،
بالإمكان تنفيذها باسترجاع صيغ فعلية مثل 8 سبع مرات تساوي 56 (33) لكن كما
توضح الشروط الفنية للنظرية، اللغة تُخدم مثلما يخدم عبد عند مدير، وليس كوعاء
لكل الفكر.

لذا يعتقد جميع علماء المعرفة واللغويين أن اللغة ليست مكان سجن للفكر (34)؛
أولاً؛ لقد سبرت تجارب كثيرة غور عقول المخلوقات من دون لغة، مثل الأطفال
الرضع، والثدييات غير البشرية، فوجدت التصنيفات الأساسية للفكر تعمل بعيداً:

أشياء، فضاء، سبب ونتيجة، عدد، الاحتمالية، قوة (إدخال السلوك من قبل شخص إن حيوان). ووظائف الأدوات(35).

لأنها مستودع المعرفة البائمه لدينا ليس مقتصرًا على الكلمات والجمل التي فيها نعلمنا الحقائق الفردية. ماذا قرأت في الصفحة قبل هذه الصفحة 9 أو أنّ افترض أنك تستطيع أن تعطي إجابة دقيقة بشكل معقول عن السؤال. حاول - الآن - أن تكتب الكلمات بدقة كلما قرأتها في تلك الصفحة. هناك فرصة أنك لا تستطيع استحضار جملة واحدة حرفياً، ولا عبارة واحدة حتى ما تتذكره هو زيادة تلك الفقرات مضمونها، معناها، أو الإحساس فيها، وليس اللغة ذاتها. لقد أكدت تجارب كثير من على الذاكرة البشرية أن ما نتذكره طوال فترة طويلة هو المضمون، وليس ترتيب الكلمات حرفياً، وعلماء المعرفة بنمذجون هذه "الذاكرة المعنوية" كمشيخت اقتراحات منطوية، صور، برامج محرك، أولثار أصوات، وبني معلومات أخرى ترتبط إحداهما بالأخرى في الدماغ. (36)

لأنها، لكي نضع اللغة في مكانها يجب أن نفكر بطريقة استخدامهما. الكتابة والكلام لا يتم من نقل حوار داخلي على الورق، أو من عزفه في لاقط صوت. بالأحرى إننا نتخبط في خذ وهات دائم بين الأفكار التي نحاول التعبير عنها، والطرق التي تقدمها لفتنا لكي نعبر عنها. غالباً ما نبحث عن كلمات، ولا نكون راضين عما نكتب لأنه لا يعبر عما نريد أن نقوله، أو نكتشف خطأ دمج كلمات عندما لا نعرف فعلاً ما نريد قوله. وعندما نشعر بالإحباط نتيجة لعدم التناسب بين لغتنا وأفكارنا، فإننا لا نمتسلم بل نغير اللغة. إننا نلحق مفردات جديدة، ونخترع لغة عامية، ونستبدل كلمات مفيدة من لغات أخرى، أو نصوغ استعارات جديدة (يبعد الوقت، تشرق بدميخ، تدفع القسم الخارجي من طرف الرسالة). لهذا السبب نجد أن كل لغة قيد تجديد مستمر بعيداً عن كونها مركزاً لإصلاح ثابتاً. فاللغات تتجدد دون توقف طالما يحتاج الناس لأن يتحدثوا عن أشياء جديدة، أو يعبروا عن مواقف جديدة(37). على الرغم من منادى محبي اللغة ومعتديها.

أخيراً، لا نستطيع اللغة أن تؤدي وظيفتها إذا لم تستقر على أعلى نية تحية ضخمة فوامها معرفة بارعة عن العالم ونوايا الآخرين. فلنكني نفهم لغة، علينا أن نمسح إلى مابين السطور لكي نتمكن من فهم القرّاءات غير المقصودة لجملة مثبته، وأن نجعل سوية الجملة المكسرة، وأن نظير فوق زلات اللسان، وأن نملا الخطوات التي لا

نمض ولم نفل في تسلسل فكري تام، فعندما نقرأ على عبوة الشامبو: غسل بالماء، اعد الغسل فإننا لا نقضي بقية حياتنا بالحمام، بل نستنتج أنها تعني ككبر ذلك مرة واحدة ويجب أن نعرف كيف نفسر العناوين الغامضة مثل "الأطفال يحضرون وجبات سريعة مفضية" أو "مأهرات يناشدن الهيايا" إلخ... لأننا من دون جهد نستخدم معرفتنا السابقة عن أنواع الأشياء التي من المحتمل أن يعبر عنها الناس في الصحف، وجود جمل غامضة بعد ذلك، فيها خطب واحد من الكلمات يعبر عن فكرتين يثبت أن الألفاظ ليست هي الخيوط نفسها من الكلمات.

اللفظ - غالباً - تصنع الأخبار بدقة لأنها تستطيع أن تشارك مسحية الألفاظ والتوقف، ففي عام 1998 استغل كلينتون التوفقات الكلامية وراء فهم عادي كفي يتناول الخداع في موضوع قصته مع مونيكا لوينسكي. لقد استخدم كلمات مثل "وحيداً" و"sex" و"الجنس" و"يكون" في معاني كانت تقنيا دفاعية، لكنها كانت تشذ عن التعميمات الطبية حول ما يفهمه الناس عادة من هذه الكلمات، فعلى سبيل المثال، قال كلينتون إنه لم يكن "لوحده" مع لوينسكي، مع أنهما كانا الشخصين الوحيدين في الغرفة، لأن الشوطين الآخرين كانوا في المكتب البيضاوي في ذلك الوقت، وقال إنه لم يمارس معها الجنس لأنه لم يدخل فيها عضواً، وكانت كلماته، مثل جميع الكلمات غامضة في حدودها، فهي أي مسافة أو مغطياً يجب أن يكون الشخص الأقرب قبل أن يُمدّ وحيداً؟ وعند أي نقطة من استمرارية الاحتكاك الجسدي حتى تقول إن ممارسة الجنس قد حدثت؟ إننا نحسم -عادة- الغموض من خلال التعمين وكيفية سوف يفسر شريكنا الحوار الكلمات في السياق، ونختار كلماتنا وفقاً لذلك، عدم مصداقية كلينتون من خلال التلاعب بهذه التعميمات، والبرج الذي اندلع عندما أُجبر أن يشرح ما قد فعل، يبين أن لدى الناس فهماً ذكياً للفرق بين الكلمات والألفاظ المراد التعبير عنها.

فاللغة لا تعبر عن معاني حرفية فقط، بل تعبر أيضاً عن موقف المتكلم. تأمل الفرق بين كلمة سمين وشهواني، بين نجيل ولاذع الخ. القاب عنصرية يتم استقبالها بعدد هي خارج الحدود بين المسؤولين، لأن استخدامها يعبر عن الرسالة الحرفية بأن نتخذ تجاه الناس الذين يشملهم اللقب أمر مقبول، لكن الدافع إلى تبني كلمات

جديدة للجماعات التي ليس لديها امتيازات تمضي إلى ما هو أبعد بكثير من هذا الإشارة الأساسية للاحترام، إنها _ غالباً _ تقترض أن الكلمات والمواقف متلازم لدرجة أن الشخص يستطيع أن يعيد هندسة مواقف الآخرين من خلال التلاعب بالكلمات. في عام 1994 تبنت صحيفة إنجيلوس تايمز أسلوب صفحة كان يطر استخدام كلمات عددها - 150 كلمة - من بينها نقص ولادي، وقارة سودا، الطفلة، معاملة هولندية، موق، غير شرعي، مقعد، مصنوع من قبل الإنسان، التلال الجديد، ابن بالثني الخ. لقد افترض المحررون أن الكلمات تنطبع في الدماغ معانيها الحرفية، وبالتالي فإن كلمة مقعد تفهم "شخص ليس سليماً"، و"معلق هولندية" تفهم كسخرية من الهولنديين المعاصرين. إنها أحد المصطلحات التي فيها كلمة هولندي dutch تعني ersatz قرن هولندي، باب هولندي، خال هولندي، شجان هولندية، ومزاد هولندي، هي بقايا مناضة عفا عليها الزمن بين الإنجليز والهولنديين لكن حتى المحاولات الأكثر معقولة في ميدان إصلاح لغوي فإنها مبنية على نظري حتمية لغوية مثبته. بحار أناس عديدين في استبدال كلمات لا يمكن استبدالها سابقاً بكلمات جديدة: زنجي بكلمة سود، أمريكي أفريقي، أمريكي إسباني بكلمة لاتينو، كلمة مقعد بكلمة موق، وكلمة SLUM فقير بكلمة غيتو. فأحيان يجري الدفاع عن الكلمات الجديدة ببعض المُسوِّغات العقلانية فيما يخص معانيها ففي ستينيات القرن العشرين، استبدلت كلمة زنجي بغيرو بكلمة سود. آذ التناقض بين الكلمتين بلاك ووايت كان يقصد منه تخفيض درجة الاستايرز المرقيين ويذكرنا مصطلح الأمريكيين الأصليين بمن كانوا هنا أولاً، ويتجنب الكلمة غير الدقيقة "هندي". فالكلمات الجديدة - في أغلب الأحيان - تحل مكان كلمات كانت واقعية في عصرها، وهذا مايراه في أسماء المؤسسات القديمة التي هي بشكل وضوح متعاظمة مع الناس الذين أطلقوا التسمية. يونيتا ز نغرو كوليغ، قد والرابطة القومية لتطور الملونين، ومشابه المزارات للأطفال المعوقين. وقد تكون كلمة مشوية - أحياناً - أو منسجمة مع الموضة، بينما قلة كلمات هي الحسن: النار الملونون المقابلة للناس ذوي اللون، والأمريكان - الأفرو مقابل الأمريكان الأفارقة. لكلمة نغرو كلمة إسبانية تعني أسود، مقابل كلمة سود. فإذا كان أي شيء يعدنا عن البحث عن كلمة جديدة، احتراماً لمعنى حرابي - لدى أحفاد الأوروبيين الذين بسوا بيضا ولا فوازيرين، إلا أن شيئاً آخر يجب أن يحرك عملية الاستبدال.

فالعقوبون يعرفون هذه الظاهرة التي يمكن تسميتها طاحونة حسن التمييز. فالناس يترهبون كلمات جديدة للأشياء التي ترجع إليها والمشجونة عاطفياً، لكنها سرعان ما تصبح تعبيراً لطيفاً يقصد بالتداعي، وكلمة جديدة يجب أن توجد سرعان ما تكسب معانيها المحمولة - تكونون تيشن وهلم جرا. قدورة المياه تصبح تواليت "كلمة تطلق أصلاً على أي نوع من العناية بالجسم"، وكعما في تواليت لك وتواليت مياه التي تصبح الحمام وهذه بدورها تصبح restroom التي بدورها تصبح مرحاضاً. وكلمة underwear تتحول إلى حائوتي التي يتحول معناها إلى مشرف الجنازة. وجمع القمامة يصبح sanitation التي تتحول لتعني خدمات بيئية. وكلمة gym التي تعني - أصلاً - مدرسة ثانوية، يصبح معناها تربية يندية، التي بدورها تصبح بيودينا مكس بشري. حتى كلمة أكلية التي تعني فقط أعداداً نسبية - منعت عام 2001 من قبل مجلس مدينة سانتيفو، ومنعت من قبل مجلس مدينة بوسطن كذلك، لأنها عُدَّت أنها تشير إلى غير البيض "فيعض النظر عن كيفية شرحها فإن كلمة أكلية تعني أقل من - حكما قال موظف تم تحديه - معنويا في ككلية بوسطن. بينما الكلمة المفضلة هي abas التي تعني أمريكي - إفريقي، والهيماي، والآسيوي والأمريكي الأصلي". (38)

التعبير الحسن يبين أن المفاهيم لا الكلمات هي الأساسية في عقول الناس أعط منوما اسما جديدا، فيصبح الاسم ملونا بالمفهوم، لأن المفهوم لا يصبح جديدا بالاسم، على الأقل لا لفترة طويلة. الأسماء التي تطلق على الأقليات سوف تستمر بالتأثير طالما لدى الناس مواقف سلبية تجاههم. سوف تعرف ما إذا قد حققنا احترامنا متبادلا عندما نفي الأسماء مرهوماً.



الصورة هي لا شيء. "العطش هو ككل شيء" حكما يصرخ إعلان مشروب غازي، محاولا أن يخلق صورة جديدة تنتج من خلال السخرية من إعلانات المشروبات الغازية التي تخلق صورةا لمنتجاتها. الصور مثل الكلمات هي دلائل بارزة لحياتنا العقلية. والصور - مثل الكلمات - يقال إن لها قدرة خفية على وعينا، لأنها - حكما يمتقد - منقوشة مباشرة على صفحة بوضاء. فهي الفكر النسبي وما بعد الحداثة، يعتقد أن الصور تشكل نظرتنا لهذا الواقع، أو أنها تكون نظرتنا حول هذا الواقع، أو أنها تكون الواقع ذاته. يصح هذا على الصور التي تعثل المشاهير والسياسيين والنساء، وكعما هي

الحال مع اللغة، تبين الدراسة العلمية للرمزية أن الخوف ما يزال في مكانه التامل
وصف جيد للنظرة النموذجية إلى الصور - ضمن الدراسات الثقافية والبيع
المتعلقة بها - يمكننا أن نجد في / معجم موجز لنظرية الثقافة /، إنه يعرف الصور
على أنها "تمثيل ذهني أو بصري لجسم أو حدث فكما هو مصور في الذهن، لوحة
صورة أو فيلم". وبعد استعراض الرموز في العلم مع صور في الذهن، فإن المدللين
مرتكزة الصور في ما بعد الحداثة، والدراسات الثقافية، والحركات النسائية
الأكاديمية.

أولاً: تستطيع الصور - ويشكل معقول بما فيه الكفاية - أن تشوه تمثيل الواقع
فهي بذلك تخدم أيديولوجيا ما. والمثال البارز على ذلك رسم ساخر عنصري لكن
بذلك يأخذ المفهوم إلى ما هو أبعد من ذلك:

فما سمي "كفارة التمثيل" التي جلبتها ما بعد الحداثة، غالباً ما يتم التساؤل ما
إذا كانت صورة ما يمكن أنها تعالج ببساطة، أو تسيء واقع خال من الصور، خارج
أو قبلي فكما هو مفترض فالواقع يرى أنه دائماً موضوع أو كنتاج لأساليب التمثيل
representations، فحسب هذه النظرة فإننا - حكماً - نسكن عالمنا من الصور أو
التمثيلات، لا عالماً حقيقياً وصوراً حقيقية أو زائفة له. بكلمات أخرى، إذا سقطت
شجرة" في غابة، وليس هناك هناك فكيف يصورها، فليس لأن الشجرة لم تصدر صوتاً،
لكونها لم تسقط، ولم يكن هناك شجرة للبدأ بها.

وفي مرحلة أبعد، يظن أننا نوجد في واقع هجين hyper-reality، الصور فيه تولد
نفسها، ومستقلة ككلمة عن أي واقع مفترض. وهذه النظرة تتوافق مع النظرة العامة
للترفيه المعاصر والسياسة بكونهما مادة "للصورة" أو الشكل بدلاً من مضمون
جوهرية الاعتقاد بواقع هجين، يتناقض النظرة العامة للسياسة والترفيه، لأنها مادة
لصورة والشكل المفكرة الكاملة عن النظرة المشتركة هي أن هناك واقعاً منفصلاً
عن الصور، وهذا يسمح لنا أن نستعجن الصور المضللة، فعلى سبيل المثال نستطيع أن
نقد فيلماً قديماً يظهر عبيداً يعيشون حياة سعيدة، أو إعلاناً يظهر سياسياً فاسداً
-عبي الدخاخ عن البيت، فإذا لم يكن هناك مضمون جوهرية، فلن يكون لدينا أسس
تحليل فيلم وثائقي دقيق عن العبودية كاعتذار عن تلك الفترة، أو أن نقض عرضاً
بدأ حول سياسي يتعلق حملة إعلانية.

يشير المدخل إلى أن الصور مرتبطة بمالم الإعلان، والدعاية، والوضوء، وبالتالي بالتجارة والأرباح، وبذلك قد تكون صورة مرتبطة بنمط مفروض أو خيار ذاتي، أو هوية ثقافية. فوسائل الإعلام تصبح صوراً ذهنية: فالتناس لا يمكنهم إلا أن يعتقدوا أن نساء، أو السياسيين أو الأميركيين الأثرياء يلتزمون بالصور في الأفلام والإعلانات. وهذا يطلي الدراسات الثقافية، وفن ما بعد الحداثة إلى مرتبة قوى من أجل تحرير شخصي وسياسي:

دراسة صور نساء أو صور نسائية ترى هذا المجال أن فيه أنماطاً من النساء بالإمكان تعزيز وجودهن، أو يسخر منهن، أو يتسابقن بشكل نشط. في تحليل نقدي، أو تواريخ بديلة، أو عمل إبداعي في الكتابة، والإعلام ملتزم بانتاج صور منافسة إيجابية. (39) إنني لا أخفي رأيي بأن هذا المسار من التفكير مكلف هو ورقة نظويية فإذا أردنا أن نفهم كيف يتلاعب السياسيون أو المعتنون بنا، فإن الشيء الآخر الذي علينا فعله هو فروقات غير واضحة بين الأشياء في العالم، إدراكنا هذه الأشياء عندما تكون أمام عيوننا، الصور العقلية لتلك الأشياء، نشئها من الذاكرة، وصوراً مادية مثل صور الشخصيات والرسومات.

فكما رأينا في بداية هذا الفصل، الدماغ البصري هو جهاز شديد التعقيد، سمته قوى التطور كفي يعطينا قراءة دقيقة للأشياء المتسلسلة أمامنا. آفاقين النكبة: كما يسميها علماء نفس المفاهيم لاثوسب اششكل وحركات الناس أمامنا. إنها أيضاً تخمين افكارهم ونواياهم عن طريق ملاحظة كيف ينظرون إلى، يتأرون، أو يتجنبون، أو يساعدون أو يعرفون أشياء وأناساً آخرين وهذه التعميئات تقاس بمدى على شكل شيء آخر تعرفه عن الناس، ماذا نستقرئ من الإشاعة، من كلمات وأفعال شخص، ومن شارلوك هولمز وأسلوبه في الاستنتاج النتيجة هي قاعدة البرفة أو الذاكرة المعنية التي تتخ خلف استخدامنا للغة.

الصور المادية - كصور الأشخاص واللوحات - هي سبل تمعكس الضوء في نماذج مقلدة لتلك الآتية عن أجسام حقيقية، وبذلك تجعل الجهاز البصري يستجيب وكأنه يرى فعلاً تلك الأجسام، فعلى الرغم من أن الناس قد حملوا طويلاً بأوهام تخدع الدماغ تماماً الشيطان الشرير لدى ديكارت، ففكر الفيلسوف بتجربة فيها شخص لا يدرك أنه هو دماغ في وعاء، نبوءة الكتائب ذي الخيال العلمي لواقع افتراضي كما في ماتريكس The Matrix، في الواقع تمكندست الأوهام علينا عن طريق صورة مادية ليست

ابداً أكثر من كونها فعالة جزئياً. ضربات الفرشاة، Pixels أو إطار - وانقطعت المفهومة لتلتقط الحقيقة التي نؤمنها على أنها عالم افتراضي منفصل عن العالم الحقيقي. القضية ليست أن الناس يميزون دائماً الخيال عن الواقع: بل يستطيعون أن يضيئوا أنفسهم في الخيال، أو يسيئوا التذكير لشيء قرؤوه في رواية على أنه شيء قرؤوه في الصحف أو أنه حدث لصديق، أو يعتقدون بشكل خاطئ، أن تصويراً أسلوبياً لزمان ومكان هو تصوير دقيق. بيد أننا جميعاً قادرون على تمييز عوالم خيالية عن عوالم حقيقية، وكما ندرك عندما يتظاهر طفل عمره سنتان أن موزة هي هاتف من أجل المزاح، لكننا في الوقت ذاته نفهم أن الموزة فعلياً ليست هاتفاً (40). يعتقد علماء المعرفة أن القدرة على البني مقترحات من دون تصديقها بالضرورة - تمييز - جون يمتد أن هناك باباً تويلاً "عن" أن سائناً ككلوز موجود - فهذه مقدره جوهرية في المعرفة البشرية (41) ويعتقد كثيرون أن تحطم هذه القدرة هو السبب في الاضطراب العقلي في الأعراض التي تسمى فصام الشخصية (42).

أخيراً، هناك صور عقلية، تصويرات visualization بصرية للأشياء والشاهد في عين العقل. لقد بين عالم النفس ستيفن كوكولين أن الدماغ مزود بنظام قادر على إعادة التشييط والتلاعب ببقايا تجربة مفهومه. لحد ما مثل ستوديو تصوير مع أدواته من أجل تجميع، وتدوير، وتكوين الصور (43). الجاز - مثل اللقمة - قد يستخدم كتظام بصري من خلال تنفيذ مركزي الدماغ جاعلاً إياه شكلاً قيمياً لتمثيل عقلي. إننا نستخدم الجاز الذهني عندما ننصو مدى تناسب كورسي في غرفة جلوس، وما إذا كانت كفتزة ستبدو مناسبة لأحد أقراننا. الجاز هو أيضاً أداة شهينة للروائيين الذين يتخلون مشاهد قبل وصفها بالكلمات، وللعلماء الذين يدورون الجزئيات أو يستخدمون قور وحرركات في مخيلتهم.

مع أن الصور الذهنية تسمح لتجارينا (من بينها خبرتنا بصور وسائل الإعلام) أن نؤثر على أفكارنا ومواقفنا بعد أن تكون الموضوعات الأصلية قد مضت بشرة طويلة من الخلفنا أن نعتقد أن الصور الغام محملة في داخل أدمغتنا، ومن ثم لتشكيل حياتنا العقلية: الصور ليست مخزنة في العقل مثل لقطات كاميرا في غلبة عرض، وإذا كانت كذلك، فكيف تستطيع أن تجد الصورة التي تريد لها ؟ بالأحرى إنها ميوية ومرتبطة بقاعدة بيانات هائلة من المعرفة التي تسمح لها أن تقسم وتفسر من خلال ما نرصد إليه (44). يشتهر معلمو الشطرنج بمقدرتهم على تذكور الحركات بالتسلسل، لكن

مورم الذهنية لرقعة الشطرنج ليست صوراً خاماً، بل بالأحرى، إنها مشبعة بمعلومات
مجردة عن اللعبة مثل أي قطعة هي المهددة، وأي مجموعة من القطع تشكل الدفاعات؟
إننا نعرف هذا لأنه عندما تملأ رقعة الشطرنج بالقطع عشوائياً، فإن معلمي الشطرنج
ليسوا أفضل من الهواء إلا لتذكر ترتيب القطع (45). عندما تملأ الصور أناساً حقيقيين
رئيس قطع شطرنج فقط، هناك إمكانات أكثر من أجل تنظيمها والتعليق عليها
يعطمان عن أهداف الناس ودوافعهم - وما إذا كان الشخص في صورة مخلصاً أم أنه
يشك دوراً فقط.

السبب في أن الصور لا تستطيع أن تتكوّن مضمونات افكارنا هو أن الصور -
مثل الكلمات - هي غامضة أصلاً. صورة لاسي Lassie قد ترمز إلى لاسي وكوليز
Collie، كلاب، حيوانات، نجوم تلفاز، أو قيم عائليّة. وشكل مجرد أكثر من
الطومات يتبني أن ينتهي المفهوم الذي أخذت الصورة شكّي تجسّد. ففكر بالجملة
التي/ البارحة خالي طرد حماميه /مثال اقترحه دان دينيت. عند فهم الجملة قد
يسور براد Brad بصرياً تجاربه الخاصة في اليوم السابق، ويلمح صورة الخال في شجرة
الملك، ثم صورة درج محكمة ورجلاً غاضباً. إيرين Iren قد لا يكون لديها صورة عن
البارحة، لكنها قد تتصور وجه خالها بوب، باباً يصطلق وامراً ممثلة قوة، على الرغم
من كل هذه السلاسل لصورة مختلفة، فقد فهم كلا الشخصين الجملة بالطريقة
نفسها، كما استطعنا أن نرى من خلال سؤالهما أو التلبس إليهما أن ينشرا الجملة.
كذلك لا يمكن أن يكون مفتحاً للفهم، كما يقول دينيت لأنك لا تستطيع أن ترسم
صورة نخال، أو صورة للبارحة، أو طرد، أو لحام، الأخوال ليسوا مثل المهرجين ورجال
الإفناء، لا يبدون مختلفين في أي سمة يمكن تمثيلها بصرياً، والبارحات لا تبدو مثل
أي شيء آخر على الإطلاق (46).

فلماذا ان الصور يتم تفسيرها في السياق، لفهم أكثر عمقاً للناس وعلاقاتهم،
طرفة التمثيل Representation، بيارانوييا حول تلاعب عقولنا عن طريق صور وسائل
الإعلام، منقوذة أكثر مما يتبني Over blown. فالتناس ليسوا مبرمجين بالصور لا
حيلة لهم، إنهم يستطيعون أن يتعمّوا ويفسروا ما يرونه باستخدام ككل ما يعرفونه مثل
الطوبى وواقع المصدر.

عسوة ما بعد الحداثة للصور مع الأفكار لم تسبب فوضى فقط لنظم بحثية
عند، بل سببت ضرراً للفن العالمي المعاصر. إذا كانت الصور هي المرض، والتعليق

يستمر، إذن الفن هو العلاج. يستطيع الفنانون أن يحددوا سلطة صور وسائل الإعلام عن طريق تشويهاها أو إعادة إنتاجها في سياقات غريبة. فهي أمرئ مُكَّم بالفن المعاصر التي الأعمال التي لا تحصى والتي فيها نساء تمطيات، وأقليات، أو أناس شانون جنسياً "عززوا ثانية، سخروا أو تناقشوا بنشاط." نموذج نمطي هو معرض عام 1994 في متحف ويتني Whitney في نيويورك سمي "ذكر أسود: تمثيلاً للذكورة في الفن المعاصر". وكان يهدف إلى المساهمة بالطريقة التي فيها الرجال الأمريكيان الأفارقة المبتين تلقوا على شيطنة وتهميش أنماط بصرية شكلالرمز الذكوري، والرياضي، السامبو، والصورة في ملصق "مطلوب للعدالة" وفقاً للكاتالوج "الصراع الحقيقي هو على القدرة على التحكم بالصورة". لقد لفت الناقد الفني آدم جوبنك Gopnik (الذي أمه وأخته عائلتان معروفتان) الانتباه إلى النظرية التبسيطية للمعرفة خلف هذه الصيغة المملة.

المراد من المعرض هو أن يكون علاجياً اجتماعياً؛ أن يجعلك تواجه الصور المبتة اجتماعياً عن الرجال السود، بحيث أن من خلال مواجهتهم، أو بالأحرى رؤية فنانين يواجهونهم نهاية عنك، تستطيع أن تجعلهم بعضهم بعيداً. المشكلة هي أن المشروع كله "تفريق صور اجتماعية" تستد إلى غموض الطريقة التي نستخدم فيها كلمة صورة العقلية ليست فعلاً صوراً على الإطلاق. لكنكها بدلاً من ذلك تتكون من آراء معقدة، مواقف، شكوك، وقناعات متبناة بحماسة متجنزة في الخبرة، وقابلة للتعديل بالتقاش، من خلال مزيد من الخبرة أو عن طريق الإرعام أو الفسر. صورة العقلية عن الرجال السود، والقضاء البيض، والصحافة الخ لا تتخذ شكل صور من النوع الذي تستطيع أن تملكه أو تفككك على جدار متحف. فهالتر لم يفكره اليهود لأنهم كانوا صوراً لساميين داكني البشرة، وذوي أنوف كبيرة. المنصرية لا توجد في أمريكا لأن صورة ج - أو - سيمبسون على غلاف مجلة التايم غامقة جداً. فالنظرة القائلة بأن الكليشيهات البصرية تشكل المعتقدات تشاوم مبالغ به. إنه يفترض أن الناس سجناء لأحوال لهم ولا قوة من قبل أنماط منقولة إليهم received، وإفراط في التناول لأنه يفترض إذا كان باستطاعتك أن تغير الصور، فإن باستطاعتك أن تغير المعتقدات (47).

إن ندرتك أننا مزودون بقدرات معقدة لبقينا على صلة بالواقع، يستدعي ذلك تجاهل الطرق التي قد تحوّل فيها قدراتنا ضمننا. فالتاس - أحياناً - يكذبون بشكل سيء، من خلال تزلّف وإفتراس مسبق (ككماً في السؤال "متى توقفت عن ضرب

زوجتنا هالناس بنشرون معلومات مخلوطة عن جماعات إثنية ، وليس فقط مسوراً
نمطية انتقاصية ، بل حكمايات عن استغلال وغدر تلعب دوراً في التسبب بهاج أخلاقي
ندعم بمحاول الناس التلاعب بالحقائق الاجتماعية مثل المكافأة (التي توجد في ذهن
جمل المتفكر) لجعل أنفسهم جيدين أو مكفي بيموا منتجات.

لكننا نستطيع ان نحمي أنفسنا من هذا التلاعب من خلال تحديد نقاط ضعفنا
في قدراتنا وفي تصوراتنا ، ولتقتنا ، واستعاراتنا ، وليس بانكار تعهداتها. القول إن
بشر هم مثقون مليوني لأنماط ، كلمات ، وصور هو تواضع للناس العاديين ، ويمطي
لعبة غير مكتسبة إلى ادعاءات النخب الأكاديمية والثقافية. إعلانات غريبة حول
هبوب قدراتنا ، مثل "لا يوجد شيء خارج السياق ، أو إننا نسطكن علماً من الصور بدلاً
من عالم حقيقي" يجعل من المحال حتى أن نتعرف إلى الأكاذيب والصور المشوهة ،
عليك عن أن نفهم كيف نشرت هذه الأكاذيب والصور.

الفصل الثالث عشر

من أعماقنا

يلقي على الإنسان أن يعرف حدوده

كلهنت إستروود، من / قوة ماغنونو/

يعرف معظم الناس أن بعضاً من غذائهم ناتج عن عدم التناسب بين مصدر الأمان في تاريخ التطور وبين الأهداف التي نضعها لأنفسنا في أماننا هذه. فالتناس يتخمون نسيم في توقع مجاعة لا تأتي أبداً، وينخرطون في علاقات خطيرة تؤدي إلى أطفال لا يريدونهم، ويشغلون أجسادهم استجابة لمسيبات التوتير التي لا يستطيعون الهروب منها.

فما هو صحيح بالنسبة إلى المواطنين قد يكون صحيحاً أيضاً للعقل. فبعض حالات حيرتنا قد تنجم عن عدم التناسب بين الأهداف التي من أجلها تطورت قدراتنا للرفية، والأهداف التي نضعها أمامنا. فهذا أمر جلي عندما يتعلق الأمر بمعالجة بيانات الخام، فالناس لا يحاولون ضرب أرقام مكونة من ستة أعداد في رؤوسهم، أو يذكرون رقم الهاتف لكل امرئ يقابلونه، لأنهم يعلمون أن عقولهم لم تصمم لهذا العمل. لكن الأمر غير واضح عندما يتعلق الأمر بالطريقة التي نفهم فيها العالم. فنحن نثقنا على صلة بجوانب الواقع: أشياء، حيوانات، والناس الذين تعامل معهم أيلافنا منذ ملايين السنين. لكن بينما يفتح العلم والثقافة عوالم خفية جديدة، فإن مدارقنا الحدسية غير المدربة قد تجد نفسها عند بحر.

ما هي هذه المعارف الحدسية؟ يعتقد علماء المعرفة أن المحاكمة البشرية لا يتم إنجازها بحاسوب واحد ذي هدف عام في الرأس، فالعالم هو مكان متقاير الخواص أو عناصر، ونحن مزودون بأنواع مختلفة من الحدوس، والمنطق، طكل منها ملائم لتقسم واحد من الواقع. لقد أسميت هذه الطرائق في التفكير أنظمة، وحدات modules، مرافق عقلية، مقدرات، أعضاء عقلية، ذكاء مضاغفاً، ومحركيات محاكمة نظية(1). إنها تظهر في مرحلة مبكرة من الحياة، وموجودة لدى ككل شخص عادي.

وتظهر أنها محوسبة في مجموعة شبكات مميزة في الدماغ. إنها قد ترتكّب من خبر
مدمجات مختلفة من المورثات، أو قد تظهر عندما ينظم نسيج دماغي نفسه لتسبب
الشبكات مختلفة تتطلب حلاً، ونماذج مختلفة من المدخلات الحسية. وعلى الأرجح
تتطور بدمج ما من هذه القوى.

ما يجعل قدرتنا على الملاحظة مختلفة عن الأقسام في الجامعة هو أن
القدرات ليست مناطق معرفية رحيبة، محللة بأيّ آلات تعمل بشبكات أفضل ككل في
مبينة على نواة حسية فكانت مناسبة لتحليل العالم الذي نشأنا فيه. فليس الرغم من
علماء المعرفة لم يتقنوا على البنية التشريحية للعقل، إلا أن هناك قلما نعيم
مممكن الدفاع عنها – للقدرات المعرفية، ونواة حدوسنا التي بنيت عليها:

- فزياء حسية نستخدمها لتتبع كيف تسقط الأجسام وترتد، وتنتج نوي
الحسية هي مفهوم الجسم الذي يشغل حيزاً واحداً، ووجود لها مستقر في
الزمن، ويتبع قوانين الحركة والقوة. هذه ليست قوانين نيوتن، بل شيء أقرب
إلى المفهوم القروسطي للمتهور الذي يبقى الجسم في حالة حركة، ويتفر
شريحياً. (2)

- نسخة حسية للبيولوجيا أو التاريخ الطبيعي التي نستخدمها لفهم العالم في
نواتها: أن الأشياء الهمة نوي، جوهراً خفياً يغطيها شكلها وقوى، وبنات نوي
وظائفها الجسدية (3).

- هندسة حسية، نستخدمها لصنع وفهم موضوعات بدوية أخرى. نوي
الحسية هي أن الأداة هي شيء له هدف، جسم مضمم شخص لكي يبر
هدفاً (4).

- سيكولوجيا حسية نستخدمها لفهم الناس الآخرين نواتها الحسية
الناس ليسوا أشياء أو آلات بل يعيشون بالكيفية الخفية التي تسمىها الظل
الروح والمقول ذات معتقدات ورغبات وهي السبب المباشر للسلوك.

- إحساس مكاني، نستخدمه لكي نبحر في العالم ونتابع أين مكان الأشياء
إنه قائم على مفترض مهت يُحدث وينسق موقع الجسم بينما يتحرك، ويتقد
وشبكة من خرائط عقلية، شكل خريطة منظمة من قبل إطار مرجعي، العينين، الرأس
الجسم أو أشياء وأماكن بارزة في العالم (5).

- إحساس بالعدد ، مستخدمه في التفكير بالكميات والمقادير. إنه مبني على مقدرة لتسجيل كميات دقيقة لأعداد صغيرة من الأشياء ، ولوضع تقديرات أولية نسبية لأعداد كبيرة(6).

- إحساس بالاحتمالات ، نستخدمه لنفكر بإمكانية حدوث أحداث غير مؤكدة. إنه يشوم على المقدرة لتتبع الترددات النسبية للأحداث. أي نسبة الأحداث من نوع أو آخر التي تحدث بشكل أو بآخر(7).

- علم اقتصاد حدسي ، نستخدمه لكي تبادل السلع والنافع. إنه قائم على مفهوم التبادل المعكسي الذي فيه يمرض فريق فائدة على آخر ، وموغل ثيل فائدة مقابلة.

- قاعدة بيانات ومنطق عقليين ، نستخدمهما لكي تمثل أفكاراً ، ونستنبط أفكاراً جديدة من أفكار قديمة مبنية على تأكيدات حول ماذا ، وما هو ، أين ، أو من فعل ماذا ، ولصالح من ، ومتى ، وأين ، ولماذا. ترتبط التأكيدات في شبكة اتساعها بالمثل ، وبالإمكان إعادة دمجها من خلال مفاعيل منطقية سببية مثل: و، أو ، ليس ، جميع ، بعض ، ضروري ، ممكن. ويسبب (8).

- لغة نستخدمها لكي نشارك الأفكار من منطقتنا العقلية إنها مبنية على معجم عقلي أو كلمات محفوظة لديها ، وقواعد لغة عقلية ، أو قواعد دمجية. القواعد تنظم أصوات الة والأصوات الساكنة في كلمات ، والكلمات في عبارات ، والعبارات في جمل ، حيث أن المعنى الكلي للجملة بالإمكان حوسبته من معاني الأجزاء وطريقة ترتيب هذه الأجزاء(9).

العقل له مستويات أيضا لدرجة يصعب علينا القول أين تقادر المعرفة وشيئا الناطقة ، تتضمن هذه المكونات نطاقا لتقويم الخطر مترافقا بشعور يسمى الخوف ، نطاق لتقييم التلويث contamination ، مترافقا مع شعور يسمى القرف ، وإحساس أخلاقي معقد بما فيه المكافاة لكي يستحق فصلا خاصا به.

هذه الطرق المعرفية والحدوس الأساسية مناسبة لتمط جهازا جماعات صغيرة غير منظمة. أتاس بلا دولة يعيشون بعيداً عن الهابسة ، يعيشون بنباهتهم ، ويعتمدون على ما يستطيعون حمله.

لقد ترك أسلافنا هذا النمط من الحياة من أجل عيش مستقر فقط قبل بضعة آلاف السنين ، لدرجة أن التطور لم يفعل الكثير في آدمقتنا. اشتهرت هذه القدرات

الملائمة للفهم الجديد المذهل للعالم الذي شكله العلم والتفانة بغياب هذه القننات بالنسبة لمجالات عديدة من المعرفة، ما سكان باستنائة العقل أن بطور الية مخصص. والدماغ والجنينوم لا يظهران آثارا للتخصص، ولا يبدي الناس فهماً غريباً حسبياً من، في الهدد أو فيما بعد ذلك. هذه المجالات تشمل الفيزياء الحديثة، ونشأة العنصر والنطور، وعلم الأعصاب، وعلم الجنين، وعلم الاقتصاد والرياضيات.

القضية ليست فقط أن علينا أن نذهب إلى المدرسة، أو نقرأ المكتب لنطوهر الموضوعات، بل القضية هي أننا لا نملك أدوات عقلية لفهمها حسبياً. إننا نضد على أوجه التشابه التي تدفع مقدرة عقلية قديمة إلى الخدمة، أو على بدع غريبة هشة تزيد سواها نترات وشذرات من قدرات أخرى. الفهم في هذه المجالات من المحتمل أن يغير غير سليم، ضحلاً ومشوباً بمعارف حسبية بدائية. وذلك يستطبع أن يشكّل مناظر في التزاغات الحدودية التي يحتك فيها العلم والثقافة بالحياة اليومية. غاية هذا الصر هي أن جميع العوامل الأخلاقية، والإمبريقية، والسياسية التي تدخل في بعد المناظرات، ينبغي أن نضيف إليها العوامل المعرفية: الطريقة التي تُوظف فيها عيون القضايا يشكّل طبيعي. تكويننا العربي هو قطعة مفقودة من الفاز كثيرة، مزينة التربية، والأخلاق الحيوية bio - ethics، الطعام، السلامة، الاقتصاد، والفهم البشري بعد ذلك.

الحياة الأكثر وضوحاً، التي تواجه فيها طرق لتكبير بدائية هي في التعليم إلى نظرية تربوية يجب أن تقوم على نظرية للطبيعة البشرية. وفي القرن العشرين، كتبت تلك النظرية - غالباً - الصفحة البيضاء أو الهجسي التبيل.

- التربية التقليدية مبنية - في معظمها - على الصفحة البيضاء: الأطفال يتر إلى المدرسين فارغين، ويتلقون معرفة تُودع في رؤوسهم لكي يتم استرجاعها لاحقاً أثناء الامتحانات. نقاد التربية التقليدية يسمون ذلك نموذج مدرّد ودين، فالصفحة البيضاء تكتمن وراء الفلسفة الشائعة بأن السنوات الأولى من السن الدراسي هي منطقة فرصة مناسبة بتشكّل فيها القيم الاجتماعية، طو الحياة، فهي أيامنا هذه تستخدم مدارس كثيرة الصفوف الأولى لكي تشد مواقف مرغوبة تجاه البيئة، والجندر gender، والميل الجنسي والتنوع الإثني

- ومن جانبته، التدريب التربوي المتقدم مبني على المهجي النهج. فكمما كتبت أ. من نيل في كتابه المهم / summer hill / الطفل حكيم وواقفي فطريا. فإذا ما ترك لوحده دون أي تدخل مهما كان نوعه من إنسان بالغ، فإنه سيتطور قدر استطاعته على التطور(10).

نيل ومنظرون تقدميون من ستينيات وسبعينيات القرن العشرين نادوا بأن المدارس ينبغي أن تتخلص من الامتحانات، والمراجعات، والمناهج الدراسية، وحتى من الكتب. فلي الرغم من أن مدارس قليلة نعت ذلك النقص إلا أن الحركة تركت بصمة على الممارسة التربوية. فهي طريقة تعليم القراءة المعروفة باسم " اللغة المتكلمة " لا يعلم الأطفال أي حروف لتتراق مع أي صوت بل ينغمسون في بيئة كتاب غنية حيث مهارات القراءة من المتوقع أن تزدهر عفويا (11). في فلسفة الرياضيات، التعليم المعروف بالتركيبية، لا يدرّب الطلاب بجداول حسابية بل ينخرطون في إعادة اكتشاف حقائق رياضية بأنفسهم عن طريق حل المسائل جماعيا. (12) شكلتا الطريقتين مردودهما سبه عندما يتم تقويم تعلم الطلاب موضوعياً، لكن المدافعين عنهما يبدون ميلا إلى احتقار الاختبار النموذجي.

هجم للمثل كنظام معقد شكلته التطور يسير عكس هذه الفلسفات. لقد ظهر البديل من خلال عمل علماء المعرفة من أمثال سوزان سكاراي، هاوارد غارونر، وديفيد نيبي (13) هالتربية ليست كتابية على صفحة بيضاء وليست السماح لنيل الطفل أن يزهر ليصبح زهرة. إنها ثقافة تحاول أن تموض عما ليس العقل يارع فيه. فليس على الأطفال أن يذهبوا إلى المدرسة لكي يتعلموا المشي، الحديث، يتعرفوا على الأشياء، يتفكروا شخصيات أسدقائهم. على الرغم من أن هذه المهام أصعب بكثير من القراءة والجمع، أو تذكر التواريخ في مادة التاريخ. بل عليهم الذهاب إلى المدرسة لكي يتعلموا اللغة المكتوبة، والحساب، والعلوم، لأن هذه الكفايات من المعرفة والمهارة قد ابتكرت في وقت متأخر جدا بالنسبة لهمة أي نوع لكي بطوروا.

بعيدا عن تكوين الأطفال متلقين فارغين أو متعلمين شاملين، الأطفال مزودون بطبعا أدوات عدة من أجل المحاكاة العقلية والتعلم في طرائق محددة، وتلك الأدوات ينبغي أن تكون منتقاة بشكل ذكي لكي تتحكم بالمشكلات التي من أجلها صممت هذه الطرائق. يتطلب ذلك ليس فقط إدخال حقائق ومهارات جديدة في عقول الطلاب، بل أيضا تحية وإفاء الحقائق القديمة. لا يستطيع الطلاب أن يتعلموا فيزياء،

نوتن حتى ينسوا أنهم تعلموا الفيزياء المنبئية على تهور حدسهم (14) لا يستطيعون
يتعلموا البيولوجيا الحديثة حتى ينسوا بيولوجياهم الحدسي، الذي يفكر من خلال
أساسيات فعالة. ولا يستطيعون تعلم التطور حتى ينسوا هندستهم الحدسية التي تسر
التصميم إلى مقاسد مصمم. (15)

التعليم يطالب أيضا الطلاب أن يعرضوا أو يمزجوا مهارات تكون عادة معزولة في
الصناديق السوداء، في لا شعورهم. عندما يتعلم الأطفال أن يقرؤوا فإن أصوات عين
والأصوات الساكنة التي تتداخل في الكلام يجب أن تتقوى داخل وعي الأطفال فورا
يستطيعوا ربطها بخريشات على صفحة. (16) قد تتطلب التربية الفعالة استبعاد
القدرات القديمة للتعامل مع مطالب جديدة، بالإمكان ضغط شذرات من اللغة لتقر
بالحساب، مثلما نتذكر اللازمة " الخمسة خمس مرات تساوي 25 (17). بالإمكان
استخدام منطق قواعد اللغة لفهم أعداد اكبر: أربعة الاف وثلاث مائة وسبع وخمسين
ذو بنية قواعدية كعبارة اسمية إنكليزية مثل " قبعة ، معطف. فعندما يعرب طالب
العبارة العددية يستطيع أن يستدعي إلى ذهنه العملية الذهنية التجميعية الربط
بالعملية الرياضية لعملية الجمع. (18) معرفة المكان مرحلة تؤدي إلى فهم العلاقات
الرياضية عبر استخدام الرسوم، التي تحول البيانات أو المعادلات إلى أشكال (19)
الهندسة الحدسية تميز تعلم التشريح والفيزيولوجيا (تقهم الأعضاء، كالجهاز
وظائف). ونمزز الفيزياء الحدسية تعلم الكيمياء، والبيولوجيا مادة تحتوي مادة جديدة
مكتونة من اشياء صغيرة جداً لرجة(20).

يستتج تجري *geary* معنى نهائياً ، لأن معظم مضمون التربية ليس معرفياً طيباً
فإن طريقة إتقانه قد لا تكون دائماً سهلة وممتعة ، عدم احتمال الماترا أن التعليم من
وتشلية، قد يكون الأطفال مهئين فطرياً لتكوين صداقات وبنائون مكاتب، وطريق
مهارات عقلية، ويستكشفون العالم المادي، لكنهم ليسوا بالضرورة معززين لأن
يكتفوا قدراتهم المعرفية وفقاً لهجات غير طبيعية مثل الرياضيات الشكلية الأسرة
أو جماعة أقران، والثقافة تعزو مكثافة عالية إلى إنجاز مدرسي قد لا تكون معزولة
لإعطاء الطفل الدافع للتقدم نحو مآثر تتطلب جهداً في التعلم، مكافأته جبة من
الدى الزمني الطويل فقط(21).

التسبوكولوجيا الحديثة لدى الإنسان العادي أو "نظرية العقل" هي واحدة من المفردات الدماغية الأكثر إذهالاً. إننا لا نعامل الناس الآخرين كأنهم دمي. بل نعدّم إحياء بالعقول، ككينونات ليست مادية لا نستطيع أن نراها أو نلمسها. لكننا حقيقة بالنسبة إلينا ككأجساد أو أشياء. بغض النظر عن السماح لنا أن نتبنا سلوك الناس من معتقداتهم وزيغياتهم، فإن نظريتنا للعقل مرتبطة بمقدرتنا على أن نفهم، ونصورتنا للحياة والوالت، الفرق بين جثمان ميت وجسم حي، هو أن جثمان الميت لم يعد يحتوي القوة الحيوية التي نسميها العقل. نظريتنا العقلية هي مصدر مفهوم الروح، الشبح في الآن متجذر بعمق في أسلوب تفكيرنا عن الناس.

إن الاعتقاد بالروح يتمشق - بدوره - مع فتاعاتنا الأخلاقية. طلب الأخلاقية هو معرفة أن لدى الآخرين مصالح مثلنا لدينا، وأنهم يشعرون بالحاجة، ويحزنون، ويحتاجون إلى أصدقاء. فكما قال شكسبير، ولذلك لهم الحق في الحياة، والحرية والسمي وراء مصالحهم، لكن من هم أولئك الآخرون؟ إننا نحتاج إلى حد يسمح لنا أن نكون قساة مع الصغور والنباتات، لكنه يجبرنا أن نعامل الآخرين "كأشخاص" لهم حقوق لا سبيل لانتزاعها منهم. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإننا نضع أنفسنا على منحدر زلق ينتهي بالتخلص من غير الملائمين، أو أن نفكر بطريقة شريرة في قيمة حياة الأفراد. فكما قال البابا بولس السادس، فنكرة أن لكل إنسان يحمل قيمة لا متناهية بفضل امتلاكه روحاً تعطينا ذلك المجال.

حتى وقت قريب، خدمنا المفهوم الحديث للروح جيداً جداً. فالأحياء لديهم أرواح تأتي إلى الوجود لحظة الحمل، وتفارق أجسادهم عندما يموتون. بينما ليس للحوانات والنباتات والأشياء الجامدة أرواح لكن العلم يبين أن ما نسميه روحاً - مسكون الإحساس، والعقل، والإرادة - تتكون من معالجة بيانات النشاط العقلي، أي عضو شبيه قوانين علم الحياة. فهي الفرد إنها تأتي إلى الوجود بالتدرج عبر عملية تمايزات differentiation في الأنسجة التامية من خلال خلية واحدة. وفي الأنواع، تأتي إلى الوجود بشكل متدرج، بينما قامت قوى التطور بتعديل أدغة الحيوانات الأبسط. فطلي الرغم من أن مفهومنا للأرواح كان يتناسب تماماً مع ظواهر الطبيعة: المرأة إما كانت حاملاً أم لا، والشخص إما ميت أو حي. أما البحث الطبي الحيوي فيمرقنا بحالات فيها الأثان خارج السجل. هذه الحالات ليست مجرد فضول علمي بل مرتبطة بقضايا ملحة مثل: منع الحمل، الإجهاض، قتل الأطفال، وحقوق الحيوان، والاستمساخ، والبحث الذي يشمل أجنة بشرية، نتائج الخلايا الجذعية بشكل خاص.

في مواجهة هذه الخبرات الصعبة من المقرري التطلع إلى البيولوجيا بغية إيجاد حد للحدود أو المصادقة عليها مثل " متى تبدأ الحياة " . لكن ذلك يسلط الضوء فقط على الصدام بين السبيلين غير القابلين للقياس لفهم الحياة والعقل. المفهوم الحدسي والتبر أخلاقياً لروح غير مادية لا يمكن مصادمته مع المفهوم العلمي للنشاط الدماغي التي ينبثق تدريجياً من تكوين الفرد. وعلم تطور السلالات بغض النظر عن أين نبدأ في ترسم الخط بين الحياة واللاحياء ، أو بين العقل واللاعقل ، لأن حالات ملتبسة ظهر لتتحدى معرفتنا الأخلاقية حدسياً.

الحدث الأهم الذي نجدد ككفص الرعد ، والأعلى دخول الروح إلى العالم هو لحظة الحمل . في تلك اللحظة يتكون جنين بشري جديد قد حُدّد ، وتكونت قدر لها في تطوّر إلى فرد هريد . فالكنيسة الكاثوليكية وبعض الكنائس المسيحية السيم تحدد الحمل بأنه لحظة نفع الروح ensoulment ، و بداية الحياة (التي تجعل الإجهت شكلاً من أشكال الجريمة) . لكن كما يوضح المجهز أن طرفاً مستقيماً بت تحطيمه ، ويهين البحث في التكاثر البشري أن " لحظة الحمل " ليست إطلاقاً لحظ فاحياً مني كثير يشرق غشاء البيضة الخارجي ، وتستغرق البيضة زمناً طويلاً عند الكروموزومات الزائدة ، فما هي الروح ، وأين تتكون أثناء هذه الفترة ؟ فحتى عند يدخل مني إلى النطفة ، فإن جيناته تبقى منفصلة عن جينات البيضة طوال يومين أكثر ، وتحكم الجنين المتولد حديثاً بالخلية يستغرق يوماً آخر أو نحو ذلك إن لحظ الحمل هي مدة زمنية تتراوح من 24 - 48 ساعة (22) . وليس مستمداً على النطفة نسمح طفلاً ، فما بين 2/3 و 3/4 النطاف لا تنجح في الانفراش في الرحم ويتم الإجهت تلقائياً ، لأن بعضها يتكون ناقصاً وراثياً ، أما الحالات الأخرى فليس لها سبب معروف .

فحتى الآن لا يستطيع المرء القول عند أي نقطة خلال هذه الفترة يتشكل الجنين الجديد ، مواصفات شخص جديد هريد قد أتى إلى الوجود . بناءً على هذا التبر بالإمكان تحديد الروح بالجنين . لكن أثناء الأيام القليلة التالية بينما تبدأ خلايا الجنين بالانقسام ، فإن باستطاعة الخلايا أن تنقسم إلى اجنة عدة تتطور إلى تون مماثلة أو ثلاثة تونم وهكذا . هل التوائم المتماثلة تتشارك في روح ؟ هل تتشارك خمسة تونم ، كل منها في 1 / 5 روح لكل منها ؟ فإذا كانت الإجابة كلاهما - فمن أين تأتي الأرواح الأربع الزائدة ؟ في حقيقة الأمر ، كل خلية في الجنين التام هي قادرة - بالأسباب الصحيحة - أن تصبح جنيناً جديداً يمكنه أن ينمو إلى طفل هل الجنين مستند الخلق

يتألف من روح واحدة لتشكل خلية ؟ فإذا كان الأمر كذلك أين تذهب الأرواح الأخرى عندما تفقد الخلايا تلك القدرة ؟ فالجنين الواحد لا يستطيع أن يصبح شخصين ، لكن جنينين قد يصبحان شخصاً واحداً ، أحياناً ، بهيئتان ملتصقتان تستمران لأن تصبعا نواتجين مختلفتين ، تتحدان في جنين واحد يتطور إلى شخص هو خيمبر وراثية ، بعض خلاياها له جنوم واحد ، والخلايا الأخرى لها جنوم آخر. فهل يؤدي جسدها روحين ؟

بالنسبة إلى تلك المسألة ، إذا ما أصبح الاستنساخ البشري ممكناً (يبدو أنه لا يوجد لماتق تفتي) ، كل خلية في جسم الشخص ستمتلك تلك القدرة الخاصة التي هي من القترض فريدة للرحم ، خاصة التطور إلى مكانن بشري. صحيح أن الجينات في خلية الخد تستطيع أن تصبح شخصاً من خلال تدخل غير طبيعي فقط ، لكن ذلك صحيح كذلك بالنسبة إلى بويضة مقلحة في أنبوب. مع ذلك لا يتكرر أحد أن الأطفال الذين يتم الحمل بهم في أنابيب لديهم أرواح.

فكفكرة أن بت الروح تحدث عند الحمل ليست فقط يصعب أن تتصالح مع البيولوجيا ، بل ليس لها السيادة الأخلاقية المخصصة لها. إنها تعني أن علينا أن نضطلع للمستخدمين لحبوب منع الحمل و"الحية الصباحية" من أجل القتل ، لأنهم يمتعون الرحم عن الإنشاز. إنها تعني أن علينا أن نحرف البحث الطبي في مداواة السرطان ، ومرضى القلب إلى منع الإسقاطات التلقائية لأرحام ميكروسكوبية أعدادها كبيرة. إنها تعرض علينا أن نعين أمهات عدد كبير من الأجنة في أنابيب الجالسرين في جمادات عيادات الإخصاب. إنها ستجعل البحث في الحمل غير قانوني ، وكذلك التطور الجنيني الذي يعد أن يقلل حالات العمم ، وتشوهات الولادة ، والسرطان السكري ، والأبحاث في الخلايا الجذعية التي قد تؤدي إلى علاجات لمرض الزهايمر ، وباركنسون ، والسكري ، وإصابات الحبل الشوكي. كلما أنها تهزأ بالمدس الأخلاقي الأساسي بأن أتأسأ آخرين يستحقون اعتباراً أخلاقياً بسبب مشارعهم: قدرتهم على الحب ، والتفكير ، والتخطيط ، وأن يستمتوا ويمائوا - لتمتد كلها على جهاز عصبي يقوم بوظيفته.

التكلفة الأخلاقية الهائلة لمساواة شخص برحم ، والبيولوجيات المعرفية المطلوبة لحفاظ على ذلك الاعتقاد في مواجهة البيولوجيا الحديثة ، تستطيع أحياناً أن تؤدي إلى إعادة اعتبار مولة لمتقدات يتم تبنيها من الأعماق. ففي عام 2001 انشق السيناتور أوين هاتش عن ولاية أوتاه UTAH عن خلفائه منذ زمن طويل في حركة مناهضة

للإجهاض، لصالح بحث في الخلايا الجذعية بعد دراسة التشوهات العلمية، ورمز التنكسر في إيمانه Momon⁷ : لقد بحثت في ضميري، إنني لا أستطيع أن أسأوي هذا جهاً في الرحم، مع أصابع قدم متحركة، وأصابع اليد، وقلب ينبض، مع جنين في تلاجع⁸ (23).

الاعتقاد بأن الأجسام مزودة بأرواح ليس فقط نتاج معتقد ديني، ولكنه موجود في سيكولوجيا الناس، ومن المرجح أن يظهر عندما لا يستوعبون اكتشافات في البيولوجيا، رد الفعل العام على الاستماع حالة في فكترة. يخاف بعض الناس من زوال الاستماع سيقدم لنا جهاز أن نصبح خالدين، ويمتد آخرون أن باستطاعتهم أن يتجنبوا شيئاً من الأضغاط الطبيعية، أو مصدرها لأعضاء للشخص الأصل لكي يتجنبوا عذاب الحاجة. في فيلم أرنولد شوارزنجر / اليوم السادس / المستمعون يسعون لثبات DNA لديهم بمطعمهم شكلاً فيزيائياً فقط، ولا يعطيههم عقلاً، إنهم يكسبون عقلاً عندما يتم تحميل تسجيل عصبي للشخص الأصلي في داخلهم، فمتدا جرى استنساخ النسخة دوللي عام 1997، أظهر غلاف مجلة دير شيفيل عرضاً لجموعة نسخ من كلوديا شيفرد، ونسخاً عن هنتر، ونسخاً عن اينشتاين، وسكانهم عارضوا هذا خارقون، أو مستنسخات، أو عبقري علمي بالإمكان استنساخهم ب DNA

المستمعون - في الحقيقة - هم نواتج تماثل تولد في أوقات مختلفة، فلو افترضنا اينشتاين نواتج فلن يكون أفضى متوحشة Zombie ولما استمر تيار الوعي لدى اينشتاين لو أن اينشتاين مات قبله، ولما كان تخلي عن أعضائه الحيوية دون صراع، ورمز المحتمل لما كان هناك اينشتاين (لأن الذكاء وراثي جزئياً فقط)، وسيكون النبي ذاته صحيحاً عن شخص مستنسخ من نسخة لأينشتاين. بالإمكان إرجاع سوء فهم هذا القريب للاستماع إلى الاعتقاد الراسخ بأن الجسم يتم استنساخه بالروح أم تصور الاستماع الذي يطرح خوفاً من جيش من أهلي، أو صفائح خالية، أو مزعاً أعضاء بتخيل العملية أن تكون تشكائر الجسم دون روح، وتصور آخر يطلق مغلوب من قبضة فاوستة في الخلود، أو هنتر قائماً من بين الموتى، ويتصور الاستماع كتشكائر الجسم مع الروح معاً. قد يكون هذا التصور وراء التوق لدى بعض الآباء الذين قدما أحد أطفالهم لأن يتم استنساخه، وسكاناً ذلك سيعيد الطفل إلى الحياة، فالاستماع لن يتزعزع في عالم مختلف عن العالم الذي نشأ فيه الميت، بل سيكون له نسج وعالم مختلف، وسيجتاز مساراً مختلفاً من تجربة حسنة.

اكتشاف أن ما نسميه "الشخص" يظهر في شكل متدرج، مطوراً بالتدرج قوي دماغية لكي تظهر ثمانية المشكلات في أخلاقيات البحث البيولوجي. لكن ملاحظاً أن علماء الأحياء اكتشفوا نقطة يجتمع عندها الدماغ، ويتفلس ويشغل للمرة الأولى. لكن ليست تلك هي الكيفية التي تعمل بها الأدمغة. فالجهاز العصبي يظهر في الجنين ككثيرون بسيط، ويتمايز في شكل دماغ وحبل شوكي. الدماغ يبدأ بالعمل في الرحم، ولكنه يستمر في وصل wires نفسه جيداً في الطفولة وحتى المراهقة. مطالبة علماء الأخلاق العلمانيين والمثقفين مما "أن تصرف" مبدأ تشكل الشخص personhood بتبرهن أن خطأ فاصلاً في تطور الدماغ بالإمكان العثور عليه. لكن أي زعم بأن خطأ كهذا قد تمت معرفته إنما يؤدي إلى مخاطر أخلاقية.

إن نضع حدود تشكل الشخص عند الولادة، يجب أن نكون مستعدين لأن نسمح بالإجهاض قبل الولادة بدقائقي، على الرغم من عدم وجود أي فارق مهم بين المصنفة المثلثة ومولود الأسابيع الأخيرة. يبدو أن رسم الخط عند قابلية النمو والحياة أكثر مقبولاً. لكن قابلية النمو هي استمرارية تعتمد على حالة التقلية الطبية - الحيوية الراهنة، وعلى مخاطر الأضرار التي قد يسمح الوالدان أن تحدث لطفلهما. كلما أن قابلية النمو تستدعي الجواب الواضح: إذا كان إجهاض مصنفة مخلقة عمرها 24 أسبوعاً أمراً مقبولاً، إذا لماذا لا يسمح بإجهاض جنين غير قابل للتمييز عمره / 24 / أسبوعاً ويوماً واحداً؟ فإذا كان ذلك مسموحاً، فلماذا لا يسمح بالإجهاض لجنين عمره / 24 / أسبوعاً ويومان أو ثلاثة الخ. من ناحية ثانية، إذا كان إجهاض جنين قبل ولادته يوم، إذن ماذا عن إجهاض قبل الولادة بيومين أو ثلاثة قبل الولادة، وممكننا طوال الفترة - رجوعاً - إلى وقت الحمل؟

إننا نواجه المشكلة ذاتها معكوسة عندما نتأقش القتل الرحيم، وإرادة العيش عند آخر الحياة معظم الناس لا يرحطون عن هذا العالم في نعت من الدخان، بل يعانون من انهيار تدريجي في الأجزاء المتنوعة من الدماغ والجسم. أنواع ودرجات كثيرة من الوجود تقع بين الأحياء والأموات، وذلك سوف يبدو صحيحاً أكثر بينما نتحسن لتقلية الطبية.

إننا نواجه المشكلة من جديد في التمسك بالمطالبة بحقوق الحيوانات. الناشطون الذين يمتنعون حق الحياة إلى شكل كائن بشري لديه إحساس يجب أن يستنجوا أن لكل الهمبرغر هو طرف في جريمة، وأن مييد أحد التوارض هو مرتكب قتل جماعي.

” يجب أن يمددوا البحث الطبي غير شرعي – الذي يضحى ببعض الفئران – لإفلاظ طير طفل من وفيات مولاة لأنه لا أحد يوافق على دفع قلة من الطلائع البشرية في تعبير معاكسة. وحسب رأيهم، الفئران لها الحقوق التي نعطها للناس. من ناحية ثانية، المعارض لحقوق الحيوانات الذي يبتنى أن الشخص يأتي من تكونه فرداً من الإنسا العاقل هو مجرد متعصب لنوعه. إذ ليس هناك من يعمل الفمكر أكثر من التصديق لعرفهم، الذين يعطون قيمة لحياة البيض أكثر مما يعطون قيمة لحياة السود. في نهج الطراف، هناك ثدييات أخرى تقايل كصي ثقبى حية، وكما يبدو أنها تعرف اللذ، وتمرض للألم، والخوف، والتوتر. عندما تقع مساومة على سلامة وجودها فاقول، الكبيرة تشارك أيضا ملذاتنا الأعلى من الفضول، وحب القريب، الأمان الأعزل من اللؤل، والوحدة، والحزن. فلماذا يجب أن تحترم تلك الاهتمامات لدى نوعنا، بينما تحترم لدى أنواع أخرى؟

يحاول بعض فلاسفة الأخلاق رسم نطاق عبر هذا المشهد الطبيعي الفداز، عبر طريق مساواة الشخصية الاعتبارية مع السمات المعرفية التي يمتلكها البشر. هذا تشمل مقدرة على تفكير المرء بنفسه على أنه مركز مستمر من الوعي. يشغل ويمدل خططا من أجل المستقبل، يخاف الموت، ويمبر عن خياره الآ يموت (الامر النظرة الأولى، المجال جذاب لأنه يضع البشر في جانب الحيوانات والأجنة على جنب الآخر. لكنته يعني أيضا، أن لا شيء خاطئ في قتل حديثي الولادة غير الترميم والتخريف، والموقين عقليا الذين يفكرون إلى السمات المؤهلة، ما من أحد – تقريبا – يرغب بيقول ميذا يحمل هذه المعاني.

ليس هناك حل لهذه الأحاجي، لأنها تشأ من عدم إمكانية قياس أساسية، سيمكولوجيا الحديثة، بكل مفهومها، أو عدم مفهومها لشخص أو روح ما، وحظر البيولوجيا القاسية التي تقول لنا إن الدماغ البشري نشأ تدريجيا، وينتشر بالتدرج، ويموت تدريجيا. هذا يعني أن المضلات الأخلاقية: صكإجهاض، والقتل الرحيم، وحقوق الحيوان لن تحسم أبدا في طريقة معرفية مرضية. هذا لا يعني أن لا يسا يمكن الدفاع عنها، وأن المسألة كلها يجب أن تترك للذوق الشخصي، أو السلفا السياسية، أو إلى العقيدة الدينية. فكما أوضح عالم أخلاق الحياة bioethics رونالد غرين: إن ذلك يعني فقط أنه يتوجب علينا أن نمد فهم المشكلة: من إيجاد مجال راد في الطبيعة إلى اختيار مجال يوازن نزعات الخير والشر المتصاعدة لكل معضلة سياسيا

(25) ينبغي أن تتخذ قرارات في شكل حالة يمكن تطبيقها عملياً. قرارات ترفع
المعاداة إلى الحد الأقصى، وتقلل المعاناة الراهنة والمستقبلية إلى الحد الأدنى.

فالتدبير من سياساتنا الراهنة هي مصالحات من هذا النوع: البحث على الحيوانات
سموح لكتفه منظم، إجهاض الجنين في أواخر الحمل لا يحتل مكانة قانونية تماماً
مثل شخص، لكن قد لا يتم إجهاضه ما لم يمكن ذلك ضروريا للحفاظ على حياة الأم
أو صحتها. ملاحظات خضراء أن التحول من إجهاض محدود إلى اختبار حدود هو ثورة
مفاهيمية لها نسيباً مثل ثورة كوبرنيكوس. لكن صياغة المفاهيم القديمة التي تبلغ حد
محاولات تحديد متى يدخل الشبح في الآلة أمر متعذر الدخاع عنه علمياً. وليس له فشل
سلسلة توجيهية في القرن الحادي والعشرين.

التقاش التلقيدي ضد البراغمانتي، قرارات حالة وراء حالة تؤدي إلى منزلقات
خطرة فإذا أجزنا الإجهاض فسوف نجهز فشل الأطفال. وإذا أجزنا البحوث على الخلايا
الجذعية فسوف نجلب عالماً جديداً شجاعاً فرواه بشر هندستهم الحكومة. لكن هنا
اعتقد أن طبيعة المعرفة البشرية تستطيع أن تخرجنا من المازق بدلاً من أن تدفعنا إلى
داخله. إذ أن المزالق الخطورة يفترض أن المجالات المفهومية يجب أن يتكون لها حدوداً
واضحة تسمح بقرارات إما إلى الداخل أو الخارج، وإلا أي شيء يعرضي لكن المفاهيم
البشرية لا تعمل بتلك الطريقة. فكمنا رأينا، الكثير من المفاهيم اليومية حدودها
مشوشة، والعقل يميز بين حد مشوش وبين عدم وجود حد على الإطلاق. "بالغ" و "طفل
"معالان مشوشان، اللذان مكاناتنا من رفع سن تناول المشروبات إلى 21 سنة، أو
تقليص سن الاقتراع إلى 18 سنة، لكن ذلك لم يضعنا على المزالق الخطرة الذي فيه
رفعنا سن المشروبات إلى 50 سنة، أو إذا خفضنا سن الاقتراع إلى خمس سنوات. تلك
السياسات تنتهك فضلاً مفاهيمنا عن "طفل" و "بالغ" مع أن حدودها قد تتكون
شبابية بالطريقة ذاتها، نستطيع أن ندخل مفاهيمنا عن الحياة والعقل في سجل ذي
والفئة بيولوجية دون أن نتزلق - بالضرورة - في منزلق.

عندما ترك إحصار ملايين البشر في مجاعة في الهند عام 1999، شجب بعض
التلطفين موقف جمعيات الإغاثة لتوزيعها وجبة قمع غذاء لأنها كانت تحتوي على
قمح معدل وراثياً، وفضل الصويا لثم تناول هذين النوعين دون ضرر ظاهر في الولايات
التعددية. عارض هؤلاء الناشطون أيضاً "الأرز الذهبي" نوعية معدلة وراثياً استطاعت
أن تمنع العمى في ملايين الأطفال في العالم التامسي، وتقلل من نقص الفيتامين A في ربع

مليون شخص (26) وحرب ناشطون آخرون مركزى البحوث الذي فيه تعتبر سلالة الأغذية المعدلة وراثيا، وتطوره فيه أنواع جديدة، إمكانية أن تكون مثل هذه الأغذية آمنة أمر غير مقبول بالنسبة إلى هؤلاء الناس. راجع تقرير الاتحاد الأوروبي في عام 1991 واحدا وشانين مشروع بحث آخر طوال خمس عشرة سنة، وفشل في العثور على أي مضاطر على صحة البشر أو على البيئة من خلال المحاصيل المعدلة وراثيا (27) هذا، ليس مفاجأة لعالم البيولوجيا. فالأغذية المعدلة وراثيا ليست أخطر من الأغذية الطبيعية لأنها - بالأساس - ليست مختلفة عن الأغذية الطبيعية. فعليا، شكل حيوان وخضار تربي في مخزن طعام صحي قد تم تعديلها وراثيا منذ آلاف السنين عن طريق تربية انتقائية ومن خلال التهجين. فالسلف البري لنبات الجزر كان جذرا أبيض اللون مرًا ورطبًا. وسلف الفصيح كان طوله إنش واحد، وسنبله سهلة الفرمط، وحبوب قمح صغيرة نسبيا كالصنوبر. النباتات هي مخلوقات داروينية دون رغبة كيميائية تكيف، لذلك لم نثرع بر طبيعتها لتتكون طيبة الطعم، صحية، أو سهلاً علينا زراعتها وحصادها. على العكس من ذلك، لقد خرجت عن طورها لتزدنا عن أكلها عن طريق تطوير مهيجات وسعوم، ومرسبات مرة الطعم. (28) بالتالي، لا يوجد شيء آمن بالنسبة إلى الأغذية الطبيعية. الطريقة الطبيعية لانتقاء أنواع محسنة لمقاومة الآفات فإنها بشكل بساطة تزيد من تركيز سموم النبات ذاته. لقد تم سحب أحد أنواع البطاطا الطبيعية من السوق لأن تبيّن أنه كان ساما للناس. (29) وكذلك الأمر بالنسبة إلى المتكثفات الطبيعية - التي عرفها أحد علماء التغذية " كتحفة مستمدة بثقافة خارج عصرها " وهي في أغلب الأحيان لا يمكن تمييزها كيميائيا عن نظيراتها الاصطناعية، وعندما يتغير بالإمكان تمييزها، تتكون النكهة الطبيعية هي الأكثر خطرا. فعندما تكون نكهة اللوز الطبيعية مستخلصة من بذرة الحرق فإنها تترافق بالآثار من Cyanide السامة. وعندما تتركب كتحفة اصطناعية فإنها لا تكون كذلك. (30)

الخوف العام من شكل الأطعمة المعدلة وراثيا والاصطناعية هو بشكل وضوح خوف غير عقلاني بناءً على أسباب صحية، وقد يجعل الطعام أكثر غلاء، وأقل وفرا لفقراء. فمن أين تأتي هذه المخاوف الخادعة؟ جزئيا، تنشأ من مدرسة Carozon-du-Pou للمصفاة التي تعد تقارير من دون نقد لها عن أي دراسة تظهر معدلات سرطانها على في الجرذان التي تتغذى بجرعات كبيرة من مرسبات كيميائية. كما تأتي جزئيا - من معرفة حديثة عن الأشياء الحية التي أول من عرفها هو الأستروولوج

جيمس فريزر عام 1890 ، ودرست في المختبر من قبل بول روزين . وسوزان ميلمان ،
وفرنك كليل ، وسكوت أتران وعلماء معرفة آخرون (31)

تبدا البيولوجيا الحديثة عند الناس بمفهوم الجواهر اللامرئي المستقر في الأشياء
الجمية الذي يعطيها شكلها وطاقتها. تظهر هذه المعتقدات الأساسية بأسفرا في
الفتوة ، وفي الثقافات التقليدية التي تهيم على المحافظة العقلية بما يتعلق بالنباتات
والحيوانات. في أغلب الأحيان ، تخدم الحدوس الناس جيدا. إنها تسمح لن هم في سن ما
قبل الدراسة أن يستلجوا أن الراكون الذي يشبه الطيران الأمريكي سوف يبرق
بإفرا راكون ، وأن بذرة تفاحة إذا ما زرعت مع الورود في أصيص فإنها سوف تصيح
شجرة تفاح ، وأن سلوك حيوان يعتمد على أجزائه الداخلية ، وليس على مظهره. إنها
تسمح للشعوب التقليدية أن تستلج أن مخلوقات مختلفة المظهر (كالدودة الفارضة
كقار بذر والفراشة قد تتغيمان إلى النوع ذاته ، ويحملها على استخلاص عصائر
رساق من أشفاء حية ويجريونها ككادوية وسموم وطعام رديف). إنها تستطيع أن تمنع
الناس من إمراض أنفسهم عن طريق أكل أشياء كانت على احتكاك مع مواد معدية
مثل الثالط ، والناس المرضي ، واللحم المتفنن (32)

لكن الأساسيات المعرفية الحديثة قد تقود الناس أيضا إلى الخطأ. (33) يعتقد
الأطفال أن مفلأ يتكلم والذاء الإنكليزية سوف يتكلم الإنكليزية حتى لو نرس في
لرا فرنسية. وأن الصبيان سيكفون شعرهم قصيرا ، وأن البنات يلبسن فساتين حتى لو
ثربن مع فرد آخر من غير جنسهن. فالشعوب التقليدية تؤمن بالسحر التماطفي ، وهؤلاء
بمرفون باسم هودو voodoo ، ويمتقدون أن الأشياء المتشابهة الشكل لها قدرات
متشابهة ، ولذلك فإن قرن وحيد القرن علاج لمرض عدم الانتصاب ، وأن أجزاء الحيوان
تستطيع أن تنقل قدراتها إلى أي شيء تمتزج به. بالتالي ، أكل أو لبس جزء من حيوان
توحش يجعل لاسه متوحشاً.

ينبغي على الغربيين المتعلمين ألا يشعروا بالاعتداد الكبير بأنفسهم. لقد بينت
روزين أن لدينا معارف شبيهة بمعارف الفودو. فمعظم الأمريكيين لا يلمسون صرصارا
نظما ولا بالاسيثيكيا حتى ، ولا يشربون العصير الذي لاسمه الصرصار حتى ولو لمدة
كسمر من الثانية (34). ويمتد طلاب ivy ليغ أن ما تأكله هو أنت. إنهم يحكمون على
قبلة تصطاد السلاحف لأكل لحمها ، والخنزير البري لشعره ، أنهم سوف يكتفون
سباحين ماهرين. وأن قبيلة تصطاد السلاحف من أجل دروعها والخنزير البري للحمه

سوف يصبح أفرادها مثاليين أشداء. (35) لقد أثبت إرنست ماير في تاريخه البيولوجي في علماء حياة فكثيرين رفضوا اصلاً نظرية الاصطفاء الطبيعي لاعتقادهم أن نوعاً طبعاً نعتياً تقياً يحدد عن طريق الجواهر. لم يستطيعوا أن يولفوا عقولهم حول مفهوم الأنواع هي سكان من أفراد متنوعين، وأن الواحد يستطيع أن يمتزج في آخر عبرز تطوري. (36)

إن الخوف من الأغذية المعدلة وراثياً لم يعد يبدو غريباً في هذا السياق. إنه يمسنا الحدس البشري التمثلي: أن شكل شيء حي يمتلك جوهره. يعتقد أن الأطعمة الخبيثة ذات جوهر نقي مثل الحيوان أو النبات، وتحمل معها طاقات متجددة للبيئة الربطية التي تنمو فيها. يعتقد أن الأغذية المعدلة وراثياً، أو أطعمة أخرى تحتوي على مواد اصطناعية مضافة، أنها منسكحة عن قصد بمواد مشوبة في مختبر أو مصنع بارود. هذه الفئتين التي تستحضر علم الوراثة، والكيمياء الحيوية، والتطور، ومفاهيم التحليل، يربحان تقع على أذان سماء عندما تصدم بهذا النوع من التفكير عميق الجذور.

المعارف الأساسية ليست هي السبب الوحيد الذي يجعل إدراك الخطر بعيداً عن الدلالة. لقد اكتشف محظوظ المفارقة أن المخاوف البشرية تكونون - في أغلب الأحيان - طريقاً خارج مسار أخطار موضوعية بذاتها؛ أناس فكثيرون يتجنبون الطيران. مع الله أن السفر بالسيارة أكثر خطورة بإحدى عشرة مرة. إنهم يخافون أن تاكلهم أسماك القرش مع العلم أن احتمالات غرقهم في حوض الاستحمام في منازلهم أكثر بأربع مرات مرة. إنهم يقومون بإجراءات باهظة لتطهير مياه الشرب من الكلور وما؛ تريكلوروتولين، مع أنهم عرضة لأن يصابوا بالسرطان من ستيروئيد زبدة الفول السوداني اليومية، (لأن الفول السوداني قد يحمل فطر carcinogenic (37) قد يسبب تدبير بعض هذه المخاطر لأنها متكاملة في مخاوفنا الداخلية من المرتفعات، والأمطار المظلمة، والسلب، والتسمم. (38) لكن حتى عندما تقدم معلومات موضوعية لفكر حول خطر ما، فقد لا يقدرونها بسبب الطريقة التي يقيم فيها العقل الاحتمالات فرصة الموت من جراء تسمم الطعام في سنة هي 0.000001 هو أمر غير مفهوم في النهاية بذاتيات بأصناف فكثيرة في البداية أو النهاية هي وراء فهمنا للعدد. لقد وجد عالم الفيزياء هول سلوفيك وزملاؤه أن الناس لا يتأثرون بمحاضرة عن مخاطر عدم وضع حزام أمان، التي تذكر أن اصطفاداً قاتلاً يحدث مرة واحدة في كل 3، 5 مليون رحلة خصية. لكنهم يقولون أنهم سوف يضعونه عندما تتم إعادة حساب المفاجآت التي ين أن امكانية الموت في حادث اصطفاد هي واحد بالمائة. (39)

السبب الآخر لعدم فهم إحصائيات كثيرة هو أن احتمال حدوث حدث وحيد مثل التوت في تحطم طائرة هو مفهوم محير حقاً حتى لعالم الرياضيات. (تقنياً تتكرر بعض الأحداث النسبية لأخرين). ما المتى الذي يمكننا أن نتكونه من المفاجآت التي يرضها. مؤلفو المصنف عن أحداث محددة كآسقف كاتانيري الذي يوصف المحي الثاني خلال سنة (1000 إلى واحد). أن السيد براهام لوتن في إنكلترا سوف يبتلع آلة حركتها دائمة (250 إلى واحد). وأن الفيس بريسلي حي وبصحة جيدة (1000 إلى واحد). (40) الفيس بريسلي هو حي أو ليس حياً. ما الذي نغنيه أن نقول إن احتمال أنه حي هو 5000 وبالمثل ماذا ينبغي علينا أن نظن عندما يخبرنا محطو سلامة الملاحة أن يمدل وسطى عند هبوط الطائرة. إما حياتي المتوقفة سوف ينخفض بأكثر من 15 دقيقة بكثير أو أنه لن يقاتل أبداً. يقول بعض علماء الرياضيات أن احتمال وقوع حدث واحد هو مثل شعور شجاع بالثقة. معبر عنه على مقياس صفر إلى واحد. أكثر مما هو مقدار رياضي ذو معنى. (41)

فالعقل أكثر ارتياحاً في حساب الاحتمالات من خلال التكرار النسبي لأحداث تم نذكرها أو تحيلها. (42) وهذا يجعل أحداثاً جديدة وعالقة بالذاكرة - تحطم طائرة، هجوم سمك القرش، إصابة أنتراكس - تتسع أكثر في قائمة قلق المرء، أكثر من أحداث متكررة مملّة - كاصطدام السيارة والسقوط عن السلالم - التي تطبع تحت التلية على الصفحة B14. ويمكن أن تقود خبراء المخاطر إلى أن يتكلموا لغة واحدة بينما يسمع الناس الماديون لغة أخرى. في جلسات استماع لإقامة موقع نقابات نووية، قد يقدم الخبير صورة خاطئة تقع خارج تسلسل الأحداث المتصورة، مما قد يؤدي إلى تسرب النشاط الإشعاعي فليس سبيل المثال: قد يسبب الحث، والشقوق، والقع الصخري، والتعب العرضي، أو الإغلاق غير المحكم، انطلاق النشاط الإشعاعي إلى المياه الجوفية، وقد تسبب حركة المياه الجوفية، والنشاط البركاني، أو تأثير نيزك كبير انطلاق نقابات مشعة في الفضاء الحيوي. بالإمكان تحديد احتمالية لكل سلسلة من الأحداث، وبالإمكان تقدير الاحتمالية الإجمالية لحدث من بين جميع الأسباب. وعندما يسمع الناس هذه التحليلات، فإنهم لا يتلقون تأكيداً ثانياً، بل يسمعون أكثر خوفاً مما كانوا من قبل - إنهم لا يدركون أن هناك طرفاً كثيرة لأن يحدث شيء بشكل خاطئ. إنهم يجدلون عقلياً سيناريوهات الكارثة بدلاً من جمع عقلي للاحتمالات سيناريوهات الكارثة. (43)

لا يعني أي من هذه الأسباب أن الناس أغبياء ، أو أنه يتوجب على الخبراء أن يصرقوا تقانات غير ضرورية حول بلعومهم. وحتى لو جرى فهم تام للمخاطر فقد يفتار المرء الطفلاء أن يحجموا عن تطورات تقنية محددة. فإذا ثار شيء من الأعمال. فن الديمقراطية تقتضي أن يسمح للناس برفضه سواء أكان عقلاً أم لا من خلال ما ما يتجاهل بنيتنا النفسية. سوف يرفض أناس مكثيرون الخضار المزروعة على فضلاء بشرية، ويتجنبون المصاعد ذات الأرضية الزجاجية، لا لأنهم يعتقدون أن هذه الأشياء خطيرة بل لأن المفكرة مستهجنة. فإذا كان لديهم رد الفعل نفسه على أطقم معن وراثياً، أو العيش بجوار مصنع نووي للطاقة، ينبغي أن يكون لهم خيار رفضها أيضاً طالما أنهم يحاولون فرض ما يفضلونه على الآخرين أو يحملونهم التكليف.

فحتى إذا قدم التكنولوجيا تقديرات معقولة لمخاطرة ما (التي هي بذاتها مشروعة ومشروطة)، فلا يستطيعون أن يرفضوا أي مستوى من المخاطرة ينبغي أن يتقبله المرء فقد يعترض الناس على مصنع طاقة نووية له مخاطرة مكتوبة بحروف صغيرة إلى انصهار، ليس بسبب مبالغت تقدير المخاطر بل لأنهم يشعرون أن هذه الطائرات ضئيلة جداً - بغض النظر عن مقدار بعدها. وبطبيعة الحال إن أياً من هذه التوازنات نظرية غير مقبولة إذا ما أدرك الناس أن الفوائد سوف تذهب إلى الأغنياء والمثقفين، يضاف أنفسهم يترضون للمخاطر.

مع ذلك، إن فهم الفرق بين أفضل ما لدينا من علم وبين أساليبنا القديمة في التصكير يستطيع أن يجعل قراراتنا الجماعية والفردية مستندة إلى معلومات أفضل. بإمكاننا أن نساعد العلماء والصحفيين أن يشرحوا الثقافة الجديدة في مواجهتها أخطر حالات سوء الفهم شائعة. كما أن باستطاعتها أن تساعدنا جميعاً على فهم اتفاق بحيث أننا نستطيع تقبلها أو نرفضها بناء على أسباب يمكننا أن نبرها لأنفسنا وللآخرين.

في كتابه / ثروات الأمم / قال آدم سميث إن هناك "مبدأً محددًا في الطبيعة البشرية... لأن ينقل، يقايض، ويبادل شيئاً بآخر." تبادل السلع والخدمات ممارسة بشرية عامة، وقد يكون تاريخها قديماً جداً. ففي المواقع الأثرية التي عمرها عشرات الآلاف السنين، وجدت أصداف البحر الجميلة والصوان الحاد على بعد مئات الأميال عن مصادرها، مما يوحي أنها وصلت عن طريق شبكات التجارة. (44)

لقد أحسس الأنثروبولوجي الآن فهسك الترات الإثنوغرافية. ووجد أن جميع التبادلات البشرية تقع في أربعة نماذج. لتشكل نموذج سيكولوجيا مميزة. (45)

النموذج الأول هو مشاركة جماعية. جماعات من البشر يشاركون الأشياء دون أن يتكفوا ثراً على من يحصل على ماذا. النموذج الثاني: ترتيب السلطة: يصادر السيطرون ما يريدونه من الأفراد الأخرى منهم مرتبة. أما النوعان الباقيان للتبادلات فيتم تحميدهما بالمبادلات. تشكل التبادل الأكثر شيوعاً هو ما يسميه هسك التبادل متساوي القيمة. شخصان يتبادلان السلع أو المنافع في أوقات مختلفة. والسلع المتاجر بها متطابقة. أو على الأقل متشابهة جداً. فالشركاء المتاجرون يقيمون ديونهم بالجمع أو الطرح. ويكفونون راضين عندما تستبعد الأهواء. فالشريكان يشعران أن التحدثي بينهما بملافة. ويجري التماس التبادلات من أجل بقائهم فقط. فعلى سبيل المثال. في العلاقات التجارية في جزر الباسيفيكي. توزع الهدايا من زعيم إلى زعيم. والمعطي الأول يدفقه أن يسرد هديته في النهاية. ويشككو أمريكيون كثيرون أن هذا هو ما يحدث فكانت فواكه عهد الميلاد. فعندما ينتهك شخص علاقة التبادل متساوي القيمة بمصرته على مكسب من دون - رده نوعاً. فإن القريق الآخر يشعر أنه قد عُشٌ وقد يتم بمداوية. التبادل متساوي القيمة هو الآلية الوحيدة للتجارة في معظم المجتمعات السيادة والجامعة للثمار. يتوه هيسك أن من المفترض بنموذج عقلي أن يتم التبادل واحدة مقابل واحدة. لقد أوضحت ليذا كوسميدس وجون توبي أن طريقة التفكير هذه تتأس بسهولة إلى أمريكيين أيضاً (46) ويبدو أنه لب اقتصادنا الحنسي

يقارن هيسك التبادل متساوي القيمة بنظام جديد اسمه التسعير حسب السوق. نظام إيجارات. أسعار. أجور. ومعدلات الربح التي تقع وراء الاقتصاديات الحديثة. يتم تسعير السوق على رياضيات الضرب والتقسيم. والظهور والأرقام الكبيرة مع للإسكات الاجتماعية المالية: الدين. المقود المكتوبة. وتقسيمات مفقدة للعمل بينما تسير السوق غير موجود في المجتمعات السيادة والجامعة للثمار. وتعرف أنه لم يلعب دوراً في تاريخ تطورتنا. لأنه يعتمد على تقانات مثل الكتابة. المال والرياضيات الشكلية التي ظهرت حديثاً فقط. فالتبادلات المنفذة من قبل تسعير السوق - حتى في يومنا هذا - قد يشعل سلاسل سببية من الحال أن يفهمها أي شخص تماماً. أضغط حض الفاتح لأدخل حروفاً في هذه المخطوطة اليوم. وأخول نفسي لأن ألقى بعض مواد لبقاة لسنوات من الآن. ليس لأثني ساقاوض نسخة من الصفحة البيضاء مع مزارع موز

بل بسبب شيككة معقدة من 1/3 و 1/4 و 1/5 (ناشرين، يأتي ككتاب - ناقلين - ساسر، بضائع) الذين اعتمدوا عليها دون فهم تام لما يفعلون.

عندما يكون لدى الناس أفكار مختلفة عن أي من هذه الحالات الأربع فهم النقاش بتطبيق على علاقة راضية، فإن النتيجة قد تتفاوت من عدم فهم تام إلى عدم ارتياح تام، أو عداوة مباشرة. فمفكر يضيف يمرض أن يدفع للمضيف لمن وجب. شخص يصور أمراً إلى صديق، أو موظف يعزم نفسه سكي بلتهم طبق رئيسه في العمل حالات سوء فهم قد تحدث عندما يفكر شخص بصفتها تبادل متساو، بينما يفكر آخر في شروط تسعيرة السوق. قد تلدو حالات خطيرة. إنهما يستفان سيكولوجيا شديدة الاختلاف، إحداهما شاملة وحسنية، والأخرى مختصة ومطلعة - ووقوع صدامات بينهما أمر شائع في التاريخ الاقتصادي.

يشير الاقتصاديون إلى المفالطة المادية^{٤٨} الاعتقاد أن شيئاً له قيمة دائماً وحقياً ككفترض للمفكرة أن قيمته مرهونة بما يرغب المرء أن يدفع شيئاً له في مكان وزمان محدد (47) هذا هو الفرق بين عقليتين: التبادل المتساوي وبين تسعير السوق قد تظهر المفالطة المادية عندما تبادل ثلاث دجاجات مقابل سكتين واحدة. بينما عندما تتم التبادلات بالمال، أو الدين فقد يكون للمفالطة عواقب وخيمة. يتضمن الاعتقاد بأن السلع لها "سعر عادل" أن فرض سعر أعلى يعني الجشع، وينجم عن ذلك خطط تسير إلزامية في العصور الوسطى وفي الأنظمة الشيوعية، وفي العديد من دول العالم الثالث هذه المحاولات للالتفاف على قانون العرض والطلب قد أدت إلى هدر، ونقص، وأسوأ سواد. نتيجة أخرى للمفالطة المادية هي الانتشار الواسع للفائدة غير الشرعية التي تأتي من الجشع بأن يطلب المرء مالاً إضافياً من شخص أعاد المبلغ الذي اقترضه السب الوحيد لافتراض مبلغ في وقت ويعيدونه لاحقاً هو أن المال يساوي - بالنسبة إلى المرء - أكثر من قيمته في وقت إعادته. لذلك عندما تمن الأنظمة قوانين القضاء على الربا، فالذين استطاعوا أن يضعوا مالاً لاستخدام منتج لا يستطيعون الحصول عليه، ويستمر يعيشهم ينفذ. (48)

فكما قد تتغير قيمة شيء مع الزمن مما يطلق فرصة للمقترضين الذين يحرصون الأشياء الثمينة في التوقيت المناسب، كذلك الأمر قد تتغير القيمة مع المكان. وقد يوجد فرصة للوسطاء الذين يحرصون الأشياء الثمينة تبعاً للمكان فبالنسبة لي أو

يؤدي أكثر في مخزن في أسفل الشارع. مما يساوي في مستودع على بعد مائة ميل. ذلك على اعتماد أن ادفع أكثر إلى البقال مما ادفع إلى المستودع - مع أنه من خلال اعتماد على الوسيط ادفع شيئاً أقل لكل موزع. لذلك فإن المستودع يرغب أن يهبط هذا أقل مما يفرض سعواً عليّ.

لكن بما أن المقرضين والوسطاء لا يهتمون بالأشياء الملموسة تأتي إلى الوجود فإن من الصعب فهم مساهمتهم، وفي أغلب الأحيان يمدون جامعي أرباح طبقليين. هناك حدث متكرر في التاريخ البشري هو انتشار الغيوتات، المصادرة، الطرد، عنف الفوضى ضد الوسطاء، وأقليات إثنية تطلعت التخصص بدور الوسطاء. (49) فاليهود هم المثال الأكثر شهرة على ذلك، لكن الصينيين المنفيين واللبانيين، والأرمن قد عانوا من ذريع اضطهاد مماثل لقد بين أحد الاقتصاديين - وفي طرف غير عمادي - كيف أن لثقافة اللدنية لا تعتمد على أي طرف تاريخي قريب، بل تنشأ بشكل سهولة من النفس البشرية. لقد شاهدت زامان تناثر المرض كغله يظهر أمام عينه بينما كان يعني فترة صجين حرب أثناء الحرب العالمية الثانية. وكان السجناء يتلقون شهرياً رزماً متماثلة من الصليب الأحمر، وقلعة من السجناء وزعموها في المعسكر تاجروا بها وأقرضوا شوكلات، والسجائر وسلماً أخرى، لأن بعض السجناء كانوا يفضلون سلماً على نر، أو أن بعضهم كان يستهلك مخصصاته قبل نهاية الشهر. كان الوسطاء يحنون بأقل من كل عملية، وفي النتيجة كانوا مكروهين كثيراً، المأساة هي ألقية بسطاء.

جاء في صحيفة الإيكونوميست وظيفة الوسيط، وعمله الشاق لجمع المشتري بالي سواً قد تم تجاهلها، والأرباح كانت تعد بمثابة مكافأة مقابل العمل، لكن نتيجة لممارسات ذكبة. على الرغم من حقيقة أن وجوده ذاته كان برهاناً على كس، فالوسيط كان ينظر إليه أنه زائد عن الحاجة. (50)

التربية هي العلاج الواضح لهذه الأخطاء المأساوية في المعرفة البشرية في عالم عالي أنه فالتربية تقدم الأولويات للمساهمة التربوية: تزويد الطلاب بأدوات معرفية هو ثرائعية لاستيعاب العالم الحديث، ولا تشبه الأدوات المعرفية التي ولدوا معها. لغات الخطرة التي رأيناها في هذا الفصل ستعطي أولوية عالية إلى الاقتصاد، لوجيا التطور، والاحتمالات، والإحصاء في أي مقرر دراسي سواء في مدرسة ثانوية كلية جامعية. لكن لسوء الحظ، نادراً ما نلتقي معظم المقررات منذ العصور

الوسطى، وإذا حدث ذلك فنتقبر قليلاً، لأن ما من أحد يريد أن يتكون المادي التزمع
يبدو أنه يقول أن ليس مهماً أن نتعلم لغة أجنبية أو الأدب الإنكليزي، أو الثالث، في
الكلالسيكيات، لكن بصرف النظر عن مدى قيمة المادة فلدنيا 24 ساعة يومياً.
وقرار تلهم مادة واحدة هو أيضاً قرار ألا نعلم مادة أخرى. المسألة ليست ما إذا كان
المثالث مهمة، لكنها ما إذا كانت أكثر أهمية من الإحصاء، وليست ما إذا ينبغي
على شخص متعلم أن يعرف الكلالسيكيات، لكن ما إذا كانت متعلمون
الكلالسيكيات أكثر أهمية من معرفة المبادئ الأولية في الاقتصاد. ففي عالم تتعز
تقدياته معارفنا باستمرار، فإن هذه التوازنات المتناقضة لا يمكن تجنبها بشخص
مسؤول.

لقد كتب الشاعر والاس ستيفنز في عام 1951 "طبيعتنا هي فضاء لا يتغير
تحديده، وبغيره يتحرك الذكاء دون الوصول إلى نهاية. (51) لا محدودية الذكاء، ناز
من مقدرة جهاز عالي الدمج، فكما أن نواتج قليلة تستطيع أن تندمج في أي نص
وجروف قليلة تستطيع أن تندمج في أي نص مطبوع، فإن أفضكاراً قليلة: شخص
مكان، شيء، سبب، تغير، حركة، و، أو، لا - تستطيع أن تندمج في فضاء لا يحد
من الأفضكار. (52) المقدرة على تصور عدد لا محدود من مدمجات جديدة من الأفضكار
هي بيت الطاقة للذكاء البشري، والمفتاح لنجاحنا كتفوع. لقد مضت عشرات الآز
السنين، فهم أسلافنا سلاسل أفعال جديدة استطاعت أن تحرك لعبة، تستخلص سماً.
تعالج مرضاً، أو تزمن تحالفاً. يستطيع العقل المعاصر أن يفهم من مادة كجمومنا
اندماجات من ذرات، الخطة لشيء، حي على أنه دمج DNA نيوكليوتات، وعلاقة بين
كصمات كدمج لرموز رياضية. فاللفة بحد ذاتها هي نظام دمجي يسمح لنا أن نشترك
في هذه الثمار المفكرية.

القدرات الدمجية للعقل البشري تستطيع أن تساعدنا في تفسير مفارقة حول
مكان نوعنا على الكوكب. فقبل مائتي سنة مضت، لفت الاقتصادي توماس ما
لتوس (1766 - 1834) الانتباه إلى سمتين دائمتين في الطبيعة البشرية: الأولى، أن العلم
ضروري لوجود الإنسان. الثانية المعاناة بين الجنسين ضرورية وسوف تبقى تقريباً في
حالتها الرهانة. وقد عرف عنه أنه توصل إلى أن: ازدياد المسكان هو أكبر بشكل لا
محدود من طاقة الأرض على إنتاج الغذاء للإنسان. فالمسكان يتزايدون بتوالي
هندسية، بينما الغذاء يتزايد بتوالي حسابية. ومعرفة بسيطة بالأرقام تبين خلفاً
الأولى مقارنة بالثانية.

لقد استنجد مالتوس - محيطاً - أن نسبة متزايدة من البشر سوف تتعرض للجماع، وأن جهوداً لمساعدتهم ستؤدي فقط إلى مزيد من الهمس لأن الفقراء سوف يكون أطفالاً حكيم عليهم بالجموع، وأنبأه الطباقية المعاصرون بذكورون ما قاله. ففي عام 1967 ألف ولينج ويول بادوك كتاباً يدعى / جماعة عام 1975 / تشا فيه أن 65 مليون أمريكي وأربع بلايين شخص آخر سوف يجمعون حتى الموت في ثمانينيات القرن العشرين. وفي عام 1972، قالت جماعة من المفكرين الكبار يعرفون باسم نادي روما أن الموارد الطبيعية سوف تضر بتناقض ككارثي في العقود التالية، وأن العالم سوف ينتج من القوتات.

التنترات المالتوسية لسبعينيات القرن العشرين لم تُؤكّد. وكان إلهريش مخطئاً في توقعاته بأن أربع بلايين ضحية ستعومت من الجوع، وحول تناقض الموارد الطبيعية. وفي عام 1980 راهن الاقتصادي جوليان سيمون على أن خمسة معادن إستراتيجية سوف تصبح نادرة بحلول نهاية التسعينيات، وأن سعرها سوف يرتفع. لكنّه خسر شكل رهائته، فالجماعة والتفصّل لم يحدثا على الرغم من ازدياد عدد الناس على سطح الأرض (سنة بلايين الآن)، وفي حكمية الطاقة والموارد التي يستهلكها شكل شخص (53) إن معامات مرعبة سوف تحدث، لكن ليس بسبب التناقض بين عدد الأفاء وحكمية الغذاء. لقد بين الاقتصادي أمارتها سين أن باستطاعتنا إرجاعها - بشكل دائم تقريباً - إلى ظروف ضغيرة الأمد، أو إلى اهتزازات معسكورية وسياسية تمنع وصول الغذاء إلى من يحتاجونه. (54)

حالة كوكبنا شاغل أساسي، ونحتاج إلى أوضح فهم ممكن لأين تكمن للشكلات، لئلا نخطئ في توجيه جهودنا. وبين الفضل المتكسر لتكبير المالتوسي سابع أنه لا يمكن أن تكون الطريقة الفضلى أن نحل التحديات البيئية. إن منطق مالتوس يبدو سليماً لكن أين الخطأ؟

الشكلية المباشرة بالنبوءات المالتوسية هي أنها تقلل من شأن تأثيرات التغييرات التقنية في زيادة الموارد التي تقدم حياة مرعبة. (55) ففي القرن العشرين ازادت مخزونات الغذاء أسياً وليس زيادة خطية. لقد زرع المزارعون محاصيل أكثر في قطعة محددة من الأرض، وحولت المالحات المزيد من المحاصيل إلى غذاء بؤككل. لقد جلبت الشاحنات، والسفن والطائرات الطعام إلى المزيد من الناس قبل أن يلف أو أن نأكله

الأفات. كما أن مخزونات النفط والفلزات المعدنية قد ازدادت بدلاً من أن تنفاس. في
المهندسين استطاعوا أن يجدوا المزيد منها وأن يفهموا سبباً جديدة للوصول إليها.

يتردد أناس كثيرون في إعطاء الثقة دوراً يبدو إعجازياً، فتصير الثقة بدموع
الصوت المتحمس لعرض مستقبلي في معرض عالمي. ربما تكون الثقة قد اشترت
إرجاء حكيم مؤقت، كما قد يظن المرء، لكنها ليست مصدر سحر لا ينضب إنها
تستطيع أن تدحض قوانين الرياضيات التي تخذل متحمساً للنمو السكاني ضد التمر
المحدد، أو في أحسن صورة، الزيادة بمعدل حسابي في الموارد. يبدو أن التنازل ينكس
إيماناً بإمكانية اختراق هذه الحلقة. لكن الاقتصادي بول رومر قد استنصر الطبيعة
الدعوية لمعالجة البيانات المعرفية لتبيان كيفية بالإمكان - في نهاية الأمر - كسر
الحلقة. (56) إنه يبدأ بالإشارة إلى الوجود المادي البشري محدود الأفكار. وليس
بالمادة لتدفعنا منازلهم، وأن يتواصلوا مع أناس آخرين، وأن يخزنوا معلومات لا ينفي
إشباع تلك الاحتياجات عن طريق زيادة توافر الموارد الأولية. بالإمكان تبينها باستخدام
افكار جديدة - وصفات طهو، تصاميم، وأساليب لإعادة ترتيب الموارد الموجودة. في
تعطي المزيد مما نريده، فعلى سبيل المثال، النفط المستخدم ككي يكون مغزناً، يلزم
آبار المياه، ثم أصبح مصدراً للوقود، فحل بذلك مكان نفس مخزون زيت العود
وكان الرمل - في الماضي - يستخدم لصنع الزجاج، أما الآن فيستخدم في صنع
الرقاقات الدقيقة والألياف البصرية.

التقطعة الثانية لدى رومر هي أن الأفكار هي ما يسميه الاقتصاديون "سلعاً
منافس لها". فالسلع المنافسة كالطعام، والوقود، والأدوات مصنوعة من مادة وطاق
إن يستخدمها شخص، فآخرون لا يستطيعون ذلك، كما تفهم من القول إننا
تستطيع أن تأكل كممتلكك وأن تمتلكها. بيد أن الأفكار مكونة من معلومات
بالإمكان زيادتها بكلفة زهيدة. وصفة لتحضير الخبز، مخطط لبناء، طريقة قبة
لزراعة الأرز، صيغة لدواء، قانون علمي مفيد أو برنامج حاسوب بالإمكان التخلي
عنها دون أن يؤخذ شيء من المعطي. الانتشار السحري للسلع غير المنافسة قد واجه
مؤخراً بمشكلات جديدة تتعلق بالملكية الفكرية، بينما نحاول تعديل نظام قانون
كان مبنياً على امتلاك المادة إلى مشكلة امتلاك المعلومات كالتسجيلات الوسنية
التي قد تصبح وبكل سهولة مشاركة على الإنترنت.

إن قدرة الصانع غير المناهضة قد يتكون لها حضور خلال تاريخ التطور البشري. لقد قال عالما الأثنوبولوجيا جون توبي وإرفن ديفور إنه عبر ملايين سنين خلت احتل أسلافنا "البيئة المعرفية" في النظام الحيوي العائلي فمن طريق تطوير حوسبات عقلية computations تستطيع أن تتمذج البنية السببية للبيئة. عقول البشر استطاعت أن تتفهم سيناريوهات في عين عقولها ، وتتصور طرقاً جديدة لاستغلال الصخور والتنباتات والحيوانات من حولها. هالذكاء العملي البشري ربما نشأ مع لغة (تسمح للناس أن يتأوتوا دون أن يلبثوا) منتجين نوعاً يعيش فعلاً بطاقة الانفجار. يوضح رومر أن سيورة الدمع لخلق أفكار جديدة تستطيع أن تلطق منطق مالتوس:

كل جيل قد فهم حدود النمو ، وأن الموارد لها نهاية ، وتأثيرات جانبية غير مرغوبة سوف تضرب قريباً إذا لم تكتشف وصفات أو أفكار جديدة. لقد قلل كل جيل في قدرته القدرة لإيجاد وصفات وأفكار جديدة. إننا - باستمرار - نقشل في فهم تكيفية الأفكار الباقية لكي تكتشف الصعوبة هي الصعوبة ذاتها التي واجهناها مع الدمع والتركيبة. المحسبات لا تضيف، إنها تكاثر. (57)

ففي سبيل المثال مائة عنصر كيميائي متحدة تسلسلياً، أربعاً في شكل مرة وفق عشر نسب مختلفة تستطيع أن تعطي 330 بليون مركب. وإذا قيمها العلماء بنسبة ألف مركب كل يوم ، فإنهم سوف يستغرقون مليون سنة لكي ينجزوا تلك المحسبات. عدد الطرق لتجميع أوامر في برنامج حاسوب أو أجزاء في آلة هي بعين عقلي فمن حيث البدا - على الأقل القدرة الاستثنائية للمعرفة البشرية تعمل على المدى نفسه مثل ازدياد البشر ، ونستطيع أن نحل مفارقة الضكارة المالتوسية التي لن تحدث أبداً. لا شيء من هذا يهيزر التبطة حيال استخدامنا للموارد الطبيعية، بالطبع. وحقيقة أن فضاء أفكار ممكنة كبير جداً لا يعني أن الحل لمشكلة محددة في ذلك الفضاء ، أو أننا سنجد في الوقت الذي نحتاجه. إن فهمنا لعلاقة البشر بالعالم المادي ينبغي أن يعترف ليس فقط بأجسامنا ومواردنا فقط بل عليه أن يعترف بمقولنا أيضاً.

الحقيقة البديهية أن جميع الأشياء الجيدة إنما تأتي بتكاليف وفوائد تطبق بشكل تام على قدرات العقل البشري على الدمع. فإن يمكن العقل عضواً بيولوجياً بدلاً من نالذة على الواقع فلايد أن يتكون هناك حقائق لا يمكن فهمها فعلاً ، وحدود الدرجة تمكننا من استيعاب استكشافات العلم.

احتمال أننا قد نصل إلى نهاية جبل معرفتنا قد تم جلبه إلى البيت من قبل الفيزياء الحديثة. لدينا شكل سبب كافي نعتقد أن أفضل النظريات في الفيزياء صحيحة. لدينا تقدم لنا صورة للواقع الذي لا يغطي معنى للمعرفة عن المكان، الزمن، والمادة التي نشأت في أدمغة الثدييات متوسطة الحجم. الانفجار العظيم الفيزيائي، - على حرسه المثال، أن الزمن جاء إلى الوجود مع الانفجار العظيم، وأن الكون محدد في التمدد الرابع، ومن الممكن أن له نهاية، وأن جزيئاً قد يتصرف مثل موجة. تجعل دأوس تولنا كلنا فمكرنا فيها أكثر. من المحال أن نتوقف عن التمهكبر بالانفجار التي هم فعلاً متماسكة مثل " كيف كانت المسألة قبل الانفجار الكبير ؟ أو ماذا يقع عند نهاية الكون ؟ أو كيف يستطيع الجزئية اللعين أن يمر عبر شقوق في الوقت ذاته؛ وحتى علماء الفيزياء الذين اكتشفوا طبيعة الواقع يطالبون ألا يفهموا نظرياتهم لند وضع موريه عيلمن ميكانيك الكوانتم: ذلك النظام المعرلة الغامض، المشوش، التز لا أحد منا يعرفه حق المعرفة، لكننا نعرف كيف نستخدمه. (SR) وكنت يشار فينمان يقول " اعتقد أن بإمكانني أن أقول إن لا أحد يفهم ميكانيك الكوانتم. لا تظن لسأل نفسك، فإن تستطيع تجنّب السؤال. (59) لكن كيف يكون الأمر كذلك؟ فلا أحد يعرف.

وبلا مقابلة أخرى أضاف " أن نعتقد أنك تفهم نظرية الكوانتم، فند لا تفهمها (60).

إن معارفنا الحديثة عن الحياة والعقل مثل معارفنا عن المادة والفضاء، ربما سار ضد عالم غريب صاغه أفضل ما لدينا من علم. لقد رأينا كيف أن مفهوم الحياة كروح سحرية متحدة مع أجسامنا لا يتسجم مع فهمنا للعقل على أنه النشاط لعدا، متطور باستمرار.

معارفنا عن العقل تجد نفسها مثل مسطح القدمين يسعى إلى الوصول إلى البنية المتطورة في علم الأعصاب المعرلة. لدينا شكل سبب كافي نعتقد أن الوعي والقرار ينتار عن نشاط كهربائي - كيميائي للشبكات العصبية في الدماغ، لكن كيف في الولات المنحركة يجب أن تلقى عنها مشاعر ذاتية (كتنقيض لجرد حسابات ذهنية). وكيف تجلب خيارات تقوم بها بكل حرية (كتنقيض لسلوك سببي) يبقى الغزاً عيب لتفسياتنا الجليدية. الألفاز لها نوع من قداسة مفيضة تلفها، فالوعي والإرادة الحرة ين

انهما يتمران الظواهر البيولوجية – العصبية عند ككل مستوى، ولا يمكن التحديد بدقة إلى أي مجموعة وتفاعل بين الأجزاء. التحذيلات الأفضل من عقولنا الدماغية لا تدم مشاجب نستطيع أن نعلق عليها هذه المكونات القريبة، ويبدو أن المفكرين يدانن إما لإنكارهم وجودها أو إلى التخليط في الفروض. سواء أكان إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، فعائلنا يحتوي دائماً خليطاً من سرور واستنماعه أحفادنا أن يمحصولاً إلى مالا نهاية أحجيات الدين والفلسفة المتينة التي تتعلق بمفاهيم المادة والعقل (61) أمبروز بيرسي Bierce يضمن في معجمه / قاموس الشيطان / المدخل الثاني

العقل (اسم). شكل غامض من المادة يحيطها الدماغ بالمسرية. نشاطه الرئيس فؤاده السمي لتوكيد طبيعته الخاصة، ولا جدوى من محاولة معرفته بسبب حقيقة أنه لا يملك شيئاً سوى ذاته ليعرف ذاته به.

الفصل الرابع عشر الجذور الكثيرة لمعاناتنا

ضمت الطبعة الأولى لكتاب ريتشارد داوكنيز / المورثة الأتانية / مقدمة كتبها
يالم البيولوجيا الذي أرسى بعضاً من أفكاره الرئيسة روبرت تريفيرز واختتمها بفقرة
سنة:

النظرية الاجتماعية الداروينية تعطينا لمحة عن تناسق ومنطق ككامين في العلاقات
اجتماعية التي عندما نفهمها أكثر ينبغي أن تعيد تفعل فهمنا السياسي، وأن تقدم
ربما فكرياً إلى علم وطب السيكلوجيا. وفي ذلك الفهم المعمق ينبغي أن تعطينا أيضاً
بها أكثر عمقاً للجذور الكثيرة لمعاناتنا. ⁽¹⁾

هذه السطور فكانت هي المطالب الجذابة للكتاب في البيولوجيا، ولكن تريفيرز
كان يعرف أنه كان على شيء. فعلم السيكلوجيا الاجتماعية يعالج كيف يتصرف
ناس تجاه بعضهم، وفي أغلب الأحيان إنه خليط من ظواهر ممتدة يجري شرحها
بإطائها أسماء خيالية. فقدان هو البنية الاستنتاجية الغنية للعلوم الأخرى التي فيها
نتبع بضعة مبادئ عميقة أن تولد ثروة من توقعات ذكية، إنه نوع نظرية يمتدحها
علماء بكونها جميلة أو أنيقة. لقد تناول تريفيرز النظرية الأولى في السيكلوجيا
اجتماعية التي تستحق أن تسمى أنيقة. لقد بين أن مبدأ بسيطاً بشكل مخادع - يتبع
الحيات - يستطيع أن يفسر منطق كلاً من الأنواع: الرئيسة للعلاقات البشرية، كيف
نحرم تجاه والدينا، أطفالنا، أقاربنا، عشاقنا، أصدقائنا، وتجاه أنفسنا. (2) غير أن
ينبغي كان يعلم أن النظرية قد فعلت شيئاً آخر أيضاً: لقد قدمت تفسيراً علمياً لمأساة
الشرط البشري.

فكما جاء في قول مألوف والطبيعة هي قاض مُلَقِّد. فمأس كثيرة مصدرها
تكويننا اللذي والمريع. أجسامنا هي عبارة عن ترتيبات من مادة غير محتلمة بشكل
غير عادي، وذات طرائق عديدة لأشياء تحدث عن طريق الخطأ، وطرق قليلة فقط لكي
تحدث الأشياء بشكل صحيح. من المؤكد أننا نموت، وأتينا اذكياء بما فيه الكفاية

صكي نعرف ذلك، وعقولنا مكيفة مع عالم لم يعد موجوداً، وميالة إلى حالات سوء فهم قابلة للتصحيح من خلال ثقافة عالية فقط، ومحكومة بالتمقيد تجاه أعمال المسائل التي لدينا.

لكن بعضاً من أكثر الصدمات إبلاماً يأتي من العالم الاجتماعي، من معتقد وخيانات الناس الآخرين. فوقنا لحكاية قديمة: طلب عقرب من ضفدع أن يحمله على ظهره عبر النهر بعد أن أكد للضفدع أنه لن يلدغه، لأنه إذا فعل ذلك فإنه سوف ينفذ أيضاً. وبما منتصف الطريق عبر النهر، لدغ العقرب الضفدع فسأل الضفدع العنبر لماذا فعل ذلك؟ فأجاب العقرب «إنه لا طبيعي». تلقياً، عقرب بهذه الطبيعة ما يمكن ممكناً أن يتطور، لكن تريفيز قد فسر لماذا يبدو - أحياناً - وكأننا الطبيعة البشرية هي مثل طبيعة العقرب في الحكاية، محكومة بصراع لا نهاية له، ضما يبدو.

السبب الذي يجعل العضويات يؤدي أحدها الآخر أحياناً ليس سراً، فالتطور ليس لديه ضمير، وإن يؤذ مخلوق مخلوقاً آخر صكي يفيد نفسه إما عن طريق الأكل، أو التطفل، الإخافة، أو الإغواء، فإن أفضاه سوف يأتون صكي يتفوقوا، بتلك العفان الصكرية تماماً. شكل هذا المؤلف من المعنى الماصي لكلمة داروينية هي الترافد لعم الرحمة، ومن وصف الشاعر لينيوس للطبيعة على أنها حمراء سناً ومخلاً، فإننا نعلم ذلك هو شكل شيء بالنسبة إلى تطور الشرط البشري، سيصكون علينا أن نوافق أغنية الروك: الحياة تمتص، ثم تموت أنت.

لكن - بطبيعة الحال - الحياة لا تمتص دائماً، فمخلوقات كثيرة تتعاون، تتدري وتقد السلام، والبشر على وجه الخصوص، يجدون الراحة والبهجة في أسرهم، وبين أصدقائهم ومجتمعاتهم فهذا - أيضاً - ينبغي أن يكون مبرهنياً لدى قراء الكورن الأثنية/ والكتب الأخرى التي تعالج تطور نزع الغيرية التي ظهرت عبر السنين (1) هناك أسباب عدة تدعو العضويات لأن تطور إرادة القيام بأشياء خيرة، فقد ساعد مخلوقات أخرى في سعيها وراء مصالحها الخاصة، عندما تشكل قديماً بربك الضواري، أو تعيش من دون حاجة إلى منتجات الآخرين الثانوية. فهذا يسمى التبادلية، التكافل أو التعاون بين البشر، والأصدقاء الذين لديهم ميول مشتركة، مولات، أو أعداء، إنه نوع من الثابته متكافلة. وأفضل مثال على ذلك الزوجان اللذان لديهما

يقال مورثتهما مرتبطة في التزمة ذاتها، أي أطفالهما، ولذلك ما يعد خيراً لأحدهما هو خير للآخر كذلك، وكل منهما لديه الحرص على إبقاء الآخر حياً ومعافى هذه الالتزامات المشتركة تهيئ المسرح لحب رفاقي، ولحب أسري أن ينشأ.

العضويات - في بعض الحالات - قد تفيد عضويات أخرى بكلفة على حسابها، وهذا ما يسميه علماء الحياة «التبعية». تستطيع التبعية بهذا المعنى التقني أن تنشأ في طريقتين رئيسيتين: الأولى: بما أن الأقارب يتشاركون في المورثات، فإن أي مورثة تميل حصواً نحو مساعدة قريب، سوف تزيد من فرصة بقاء نسخة عن نفسها التي تستقر في داخل ذلك القريب، حتى وإن يضغ المساعد بالتبعية في ذلك التصرف الضار. مورثات كل منهما سوف تأتي - بمعدل وسطي - لكي تتفوق، طالما أن التكلفة للمساعد هي أقل من الفائدة للمتلقى ولا تحسب من درجة قرابتهما. الحب الأسري، بتدليل الأطفال، الأقارب، الوالدان، والجدان، الأخوال والأعمام، أبناء وبنات الأخوة - وأبناء العم قد نشأ رابطة التبعية بينهم، وهذا يسمى شيرة محبة الأقارب.

يمكن أن تنشأ التبعية عندما تسوق العضويات المعروفة، فشخص يساعد آخر من خلال فائدته، أو إعلام أو حماية أو دعم له. وبالمقابل إنه يتلقى المساعدة عندما يتم رد الإحتياجات. وهذا ما نسميه بالتبعية التبادلية، ويمكنها أن تتطور عندما يتعرف الفردان إلى بعضهما، ويتفاعلان مراراً، ويستطيعان أن يقدمتا فائدة كبيرة للآخرين بكلفة بسيطة من جانبهم، والخدمات المقدمة أو المنوحة تبقى في الذاكرة، وهذا - بالتالي - يتطلب تبادلها. التبعية التبادلية يمكنها أن تتطور لأن المتعاونين يفعلون ما هو أفضل من السائد أو كمارهي البشر. إنهم يتمتعون بمكاسب تجارة فوائدهم مستمدين الرفعة من مشاعر بعضهم بعضاً، وبالتالي يلتفون بعضهم من الفرق أو الجوع، ويعلمون دور جلس الأطفال نيابة عن أطفالهم. يستطيع التبادليون أيضاً أن يفعلوا - مع الزمن - ما هو أفضل من الفشاشين الذين يأخذون الخدمات من دون ردها، لأن التبادليين سوف يتسولون إلى التعرف إلى المدلسين فيقاطونهم أو يعاقبونهم.

مطالب التبعية التبادلية تستطيع أن تقصر سبب نشوء الأحاسيس الأخلاقية والابتداعية، فالثقة والمحبة تحرضان على توسيع المعروف الأول، والامتنان والولاء بمرضا على رد المعروف والذنب والخجل يردعانهم عن إيقاع الأذى أو الإخفاق في رد المعروف إلى الآخرين والغضب والكراهية تحرضانهم على تجنب معاقبة الفشاشين وتجنب التعاطي معهم. وبين البشر، أي نزوع لدى فرد لكي يتبادل أو يفش يجب أن يرى

مباشراً، وبالإنسكان نقله عبر اللغة. بنجم عن هذا الاهتمام بسبعة الآخرين التي تنقل بالإشاعة والتقليد أو الإرادة العامة، وإلى اهتمام المرء بسمته. فهذه التشريعات والمدافعات والتحالفات، والجماعات تقوى بهذه المشاعر والهوى.

يبدأ أناس كثيرون بالمصيبة عند هذه النقطة، لكن الاستياء ليس من المرء التي شرحها تريفيرز. إنه يأتي من تصورين خاطئين، قد عرضنا لنقل منهما من ذي قبل فكل هذا الحديث عن المورثات التي تؤثر على السلوك لا يعني أننا مجرد سائلك كوكوكو أو آلات بهائن للمزف، ننفذ من دون عقل أو أمر DNA. فالمورثات المعنية هم تلك المورثات التي تهوينا مع الأجهزة المصيبة للضمير، والتفوي والإرادة. وعندما نتحدث عن اصطفاء مثل هذه المورثات فإننا نتحدث عن الوسائل المتنوعة التي استطاعت تلك القدرات تطويرها. فالخطأ يأتي من الصفحة البيضاء ومن الشبح في الآلة، فإن بعد المرء بالتفكير أن قدراتنا العظيمة الأعلى موسومة بالجمتع، أو ملازمة في روح، لم عندما يذكر البيولوجيون التأثير الوراثي، فإن البدائل التي تتبادر إلى الذهن هم خيطان دمي أو مسارات عربات متصلة trolley trucks. لكن إذا فككت القدرات الأمل - من بينها التعلم، والمحاسبة، والاختيار - لها تنظيم دماغي غير عشوائي. فلا بد من وجود مورثات تساعد على القيام بالتنظيم، وي طرح ذلك مسألة كيف تم اصطفاء تلك المورثات في مسار التطور البشري.

سواء الفهم الثاني: هو أن نتخيل أن الحديث عن التكاثيف والفوائد يتضمن أن الناس هم كلبيون cynics ميكافيليون، يحسبون بشكل برود الفوائد الوراثية من الصداقة والزواج الحك على هذه الصور، أو شجيتها لأنها قيحة يكون بخلط التنوير النهائي المباشر. فالتاس لا يزالون بعورثاتهم، بل يبأون بسعادتهم، وبالحب، والشفقة، وبالاحترام، وبمشاعر أخرى حساسيات الريح والتكثفة طريقة مجازية لتوصيف نقد مورثات بديلة عبر آلاف المنين، وليس توصيفاً فعلياً لما يحدث في الدماغ البشري في زمن حقيقي، لا شيء يمنع سيورة اللا أخلاقية للاصطفاء الطبيعي من تطوير دماغ من مشاعر قلب كبير حقيقي، يقال إن من يقدرين التشريح والنفاق يجب ألا يرونها كذا، تحضيرهما. ويصح الشيء ذاته على العواطف البشرية.

إذا استطاع الحب والوجدان أن يتطوراً، فإن المسألة لا حظ تريفيرز أن نتخذ الاهتمامات الوراثية التي تؤدي إلى نشوء عواطف اجتماعية هي فقط جزئية. وما لنا لسنا مستمسخين أو حشرات اجتماعية حتى نستطيع أن نشارك في ثلاثة أرباع مورثاتها

وفي النهاية ، ما هو أفضل للشخص ، ليس مطابقاً لما هو أفضل لشخص آخر ، وهكذا
لقد جعل علاقة بشرية - حتى أكثرها مودة وتقانياً - تحمل بذور الصراع فيها ، في فهم
(المثلث) نملة لها صوت وودي الان تشككو امرها إلى محلها النفسي.

إنها هذه غونغ - هو gung ho المعنوية الخارقة ، الشيء الذي لا يستطيع الحصول
عليه إنني أحاول ولا أحصل عليه ما هي؟ من المفترض أن أفضل ككل شيء من أجل
الشمسة... ماذا عن احتياجاتي أنا؟

تأتي الدعاية من الصدام بين نفسية النملة التي تنشأ في جهاز عصبي يجعل العمال
مرتبطين أكثر مع بعضهم ، أكثر من ارتباطهم بذريعتهم والسيكولوجيا البشرية التي
فيها يتووتا تمايزنا الوراثي إلى أن نتساءل وماذا عن احتياجاتي؟ لقد حدا تريفرز حدو
والم هاملتون وجود وليم ، فقام بحل بعض مسائل الخبر الذي يتشبا بالمدى الذي ينبغي
على الناس أن يسألوا أنفسهم ذلك السؤال (4).

بقية هذا الفصل هي حول ذلك الخبر البسيط الخداع وكيفية تحول مضامينه
مفاهيم كثيرة في الطبيعة البشرية ، إنه يكذب الصفحة البيضاء التي تشبا بأن نظرة
الناس لزمالاتهم تتحدد بدورهم ، كما أنه جزء مخصص عشوائياً إلى ممثل لكفته
بكذب - أيضاً - بعض الآراء الساذجة عن التطور ، والشائعة بين الناس الذين لا يؤمنون
بالصفحة البيضاء. لقدى معظم الناس معارف عن الحالة الطبيعية للأشياء ، وقد
يظنون أننا إذا تصرفنا ككما تريد الطبيعة ، فإن أسراً سوف تعمل كوحيدات
منجمة ، أو أفراداً يتصرفون من أجل خير نوعهم ، أو أناساً يقصصون عن الذوات
حظة تحت أقمعهم الاجتماعية. أو كما قال نوت ليويرش في عام 1995 ، الذكور من
نوعا سيمطاد الزرافات ، ويتقلب في خنادق مثل زرائب الخنازير (5). إن فهم نماذج
التماثل الوراثي الذي يربطنا ويفرقنا يستطيع أن يحل محل النظرة التبسيطية لجميع
الأنواع من خلال فهم أكثر براعة للشرط البشري. إنه يستطيع أن يضيء الشرط
يُدري بأساليب تكامل رؤى الفنانين والفلاسفة عبر آلاف السنين.

تأتي التماسه البشرية الأكثر وضوحاً عن الفرق بين مشاعرنا تجاه قريب ومشاعرنا
تجاه غير القريب ، إحدى أعقق الانقسامات في العالم الحي عندما يصل الأمر إلى
حب والتضامن بين الناس لتكوين اللزوجة النسبية للدم والماء واضحة في شكل شيء من

المشيرة، والسلالة، في المجتمعات القديمة إلى المطارات المكثطة خلال العطر
بالمسافرين عبر العالم كفي يكونوا مع عائلاتهم (6). لقد نشأت المسائل من خلال
الدراسات الكمية أيضاً، من المرجح أن الأقارب الوراثيين في مجتمعات تقليدية هيمنة
يعيشون معاً، ويعملون في حدائق مع بعضهم، ويحسون بعضهم، ويتبنون أطفالهم اليائس
والمتحاجين، واحتمال مهاجمة أو خصومة بعضهم أو أن يقتلوا بعضهم يكون في الحد
الادنى (7). فحتى في المجتمعات الحديثة التي تبدي فعلاً قطع أو أواخر القرن، كلما
كان شخصان مرتبطين وراثياً، ازداد مهلهما لمساعدة بعضهما، خاصة في حالات
ظروف الحياة أو الموت (8).

لكن الحب والتضامن نسبياً، فمقولة أن الناس أكثر اهتماماً تجاه أقاربهم يعني
أنهم أكثر حسوة تجاه غير أقاربهم، عبارة التصدير في كتاب روبرت رابن في
سيكولوجيا النشوء مقبسة من كتاب غراهام غرين / السلطة والجد / الذي يظفر
فيه البطل بابنته: «قال: يا إلهي ساعدها، إلهي، إنني أستحق اللعنة، لكنك دعها تمشي
إلى الأبد». وكان هذا هو الحب الذي كان عليه أن يحس به تجاه شكل روح في العالم
شكل الخوف والرغبة أن تثقت قد تركزت بشكل غير مبرز على الطفلة الوحيدة، يا
بيبي... . ظن: أن هذا هو ما ينبغي عليّ أن أشعر به تجاه شكل شخص طوال الوقت».

فالحب الأسري يخرب فعلاً المثل الأعلى لما يجب أن نشعر به تجاه كل روح في
العالم. يتلاعب فلاسفة الأخلاق بالمأزق الافتراضي الذي يستطيع الناس فيه أن
يركضوا عبر الياق الأسرى في بناء محترق كفي يتقدوا عدداً من الأطفال، أو عبر الد
اليمين كفي يتقدوا طفلهم هم (9). فإن تكمن والدأ فحصر ملياً بالسؤال الأني هل يوجد
أي عدد من الأطفال سيجعلك تختار الباب الأسرى؟ إننا نكشف انحيازنا - جميعاً - في
كتب الجيب عندما ننفق المال على أشياء تافهة لأطفالنا نحن (دراسة)، نعلم في مرنا
أو جامعة خاصة الخ). بدلاً من إنقاذ حياتنا من أطفال لا ترتبط بهم في العالم النظم
بالتبرع بالمال إلى الجمعيات الخيرية، ومثل ذلك عادة الآباء ثورث ثروتهم إلى أطفال
واحد من أخطر الموائق في مجتمع مساواة اقتصادية، مع ذلك، قلة من الناس يسمون
للحكومة بمصادرة شكل ممتلكاتهم، لأن معظم الناس يرون في أطفالهم امتداداً
لأنفسهم، وبالتالي المستفيدين المناسبين لكفاحهم طوال حياتهم.

محاكاة الأقارب منعطف بشري فاعل، وكفارة شاملة لتنظيمات كثيرة لها
معرفة في البلدان الضعيفة التي تقودها سلالات وراثية، وكذلك في حكومات وأفراد

لنا في العالم الثالث. كان هناك حل تاريخي متطور من خلال إعطاء مراكز سلطة محلية للناس لم يمكن لديهم روابط عائلية: المخلصين، المبيد، أو غير المتزوجين. أو الناس مبدئين عن أوطانهم (10). وهناك حل أكثر حداثة هو أن ننظر إلى معياد: الإثارة على أنها خارج القانون على الرغم من أن الإجراءات ذاتي دائماً بتوازنات متناقضة واستثنائية، فالمشروعات الصغيرة، أو طعنا تسمى في أغلب الأحيان بالشرركات المائتية أو الشركات الأمومية والأبوية التي هي شديدة الانحياز إلى الإثارة، وبذلك تستطيع أن تتصارع مع مبادئ الفرض المتساوية، وتحسب كعقوبة المجتمع المحيط بها.

كتب ب. ف. سكينر - الماوي إلى الأبد - في سبعينيات القرن العشرين، أن الناس يجب أن يكافأوا على الأكل في قاعات طعام جماعية بدلاً من أن يأكلوا مع أسرهم في البيت، فالتدور الكبيرة توفر طاقة أكثر من التدور الصغيرة. فالنتطق لا يثار عليه لكن هذه التركيبة الذهنية اصطلحت بالطبيعة البشرية مرات عدة في القرن العشرين: شكل مرعب في التجمعات الإجبارية في الاتحاد السوفييتي، والصين، وبشكل معدل في الصهيونيات الإسرائيلية التي سرعان ما تخلت عن سياستها في تربية الأطفال منضامين عن أباؤهم. فالشخصية - في رواية للكاتب الإسرائيلي يتباهون بتقطيع نوع بلطفة التي أدت إلى هذا التغيير: أريد أن أعطي أطفالتي بنفسها ليلاً... وعندما يرون طفوساً. أريدهم أن يأتوا إلى سروري، وليس إلى نوع من اتصال الي، وألا يجعلهم ينجون ليلاً في الظلام يبحثون عن شرفتنا. يتشرون بالحجارة، معتقدين أن تكال ظل هوروش وفي النهاية واقفين أمام باب مغلق، أو يتم سحبهم إلى بيوت الأطفال (11).

للساعة ليست فقط أحلام الجماعة تلك التي تخربت بضمأن القريسي. لقد وثق الصحفي فريدرياند ماونت أن الأسرة هي مؤسسة مهدمة خلال التاريخ فالروابط الأسرية تقطع الروابط: الروابط الرفاقية، والأخوة، وبذلك هي مصدر إزعاج للحكومات والمقاتلين، والمصائب، والحرصكات الثورية، وللأديان الراضخة. لكن حتى منظر متحمس للطبيعة البشرية مثل نموم تشومسكي لا يقر أن الناس يشعرون بشكل مختلف تجاه أطفالهم عن شعورهم تجاه المعارف والقرباء إليك فقرة من مقابلة مع عزاف الفيتار المعروف في موسيقى الراب على الآلة Rage. Rage: ففكرة أخرى لا جدال فيها أن الناس يتنافسون بشكل طبيعي، ولذلك فالرأسمالية هي السبيل الملائم لردم تنظيم المجتمع. هل توافق؟

تشومسكي، انظر فيما حولك. في الأسرة مثلاً، إذا تكلم الأبوان جليئين فهل يسرقان طعاماً من الأطفال؟ إنهما سيفعلان ذلك إذا تكلمتا متفاسحين في وصف التجمعات الاجتماعية التي هي نصف عاقلة حتى، يدعم الناس شكل منهم الآخر، وهم متعاطفون، ومساعدون، ويهتمون بالآخرين، وهكذا. تلك هي مشاعر إنسانياً سوية إنها تتطلب تدريباً كثيراً لنزع تلك المشروبات خارج رؤوس الناس، وهي تظهر في أبرز المكان (12) .

ما لم يعامل الناس أفراداً آخرين من المجتمع بالطريقة نفسها التي يعاملون بها أطفالهم فالجواب هو حالة غير متوقعة. يستطيع الناس أن يهتموا بعمق بأطفالهم. لكنهم يشعرون بشكل مختلف تجاه ملايين الناس الآخرين الذين يشكّلون مجتمعاتهم فالسؤال ذاته والإجابة يفترضان أن البشر هم تافهسيون أو متعاطفون عبر الرفق، بدلاً من امتلاك عواطف متباينة تجاه الناس الذين لديهم علاقات وراثية مختلفة.

يقصد تشومسكي أن الناس يولدون بمشاعر أبوية تجاه جماعاتهم المجتمعية. وإن المشاعر تطرد من رؤوسهم من خلال التدريب. لكن يبدو الأمر غير ذلك. فغير التراب عندما حاول القادة توحيد جماعة اجتماعية فقد دربوا أعضائها على أن يدعوا كعاسرة، وأن يبعدوا توجه عواطفهم الأسرية إلى داخلها (13). الأسماء التي تستخدمها الجماعات التي تسمى إلى تحقيق التضامن: أخوة، أخويات، منظمات آباء، أخويات إناث، أندية نسائية إلخ تتنازل في تمييزاتها إلى أن القرابة هي الصيغة التي يطعن إليها. (ما من مجتمع يحاول تقوية الأسرة من خلال تشبيهها باتحاد تجارة، حزب سياسي، أو جماعة كنسية). التكثيف فعال بشكل ثابت، لقد أوضحت تجارب يدي أنه يتم تصور الناس من خلال خطاب سياسي إذا توجه المتكلم إلى قلوبهم وعقولهم بتبسيطات تتلوي على قرابة (14). فالعبارات اللفظية هي إحدى الطرق لدفع الناس طم يعاملوا معارفهم كعاسرة، لكن تكثيفات أخرى أكثر قوة أمر مطلوب. لقد أظهر الآن فيسك - في استبيانه الأثوغرافي - أن روح الجماعة المشاركة الجماعية تنشأ بقوة بين أعضاء الأسرة، لكنها تنسج لتشمل جماعات أخرى بمساعدة علامات وابدولوجيات محكمة (15). فالتناس غير المتراطبين الذين يريدون أن يشاطروا كعاسرة يخلقون أساطير حول لحم ودم مشتركين، وجد مشترك، وراثة فاصلة بمكسبان (أرض الطفولة، أرض الأبناء، أرض الأمهات، أو البلد الأم). إنهم يبدون الأساطير بوجبات مقدسة، دم أضاح، وطقوس متكررة، تقهر الذات في الجماعة.

وتنطلق انطلاقاً من بعضوية واحدة بدلاً من اتحاد مكون من أفراد. دياناتهم تتكلم عن الهجس عن طريق الأرواح، وأنواع أخرى من التصريحات الذهنية التي - وفقاً لفيستك - يترجم أن الناس يريدون - غالباً - أن يكون لهم علاقات مشاركة جماعية محضة أو أكثر تركيزاً من قدرتهم على أن يميزوها في الكائنات البشرية العادية (16) ، تجانب الظلم من هذه النتيجة هو التكبير الجماعي، عهدة، عقلية، وأساطير نفاة عرقي، وإحساس بأن من لا ينتمون إليها هم شوائب يندسون قدسية الجماعة.

لا شيء من هذا يعني أن غير الأقارب منافسون من دون رحمة تجاه بعضهم. إنهم - فقط - غير متعاونين ككأقارب بشكل عفوية. بالمقارنة - بعد ككل هذا الحديث عن التضامن والتعاطف والدم المشترك - سوف نرى أن العائلات ليست وحدات متجانسة أيضاً.

ملاحظة تولستوي الشهيرة: إن الأسر السعيدة متشابهة جميعاً. لكن ككل أسرة غير سعيدة، فهي غير سعيدة بطريقتها هي. هذا ليس صحيحاً عند مستوى السببية وتنبؤة للتطور لقد أوضح تريفرز كيف أن بذور التماس في ككل أسرة لها المصدر الكامن ذاته (17). فمع أن الأقارب لديهم اهتمامات مشتركة بسبب مورثاتهم المشتركة، إلا أن درجة التداخل ليست متطابقة ضمن جميع الاندماجات والتغيرات لدى أفراد الأسرة. غالباً، مرتبطون بجميع أبنائهم وأحفادهم بعامل متساو 750، بينما ككل طفل مرتبط بنفسه أو بنفسها بعامل 7100. هذا له معنى عميق وذلك من أجل استمرارية الحياة الأسرية، استثمار الأبناء في أطفالهم، واستثمار الوالدين هو مورد محدود. طول اليوم 24 ساعة، والذاكرة قصيرة الأمد تستطيع أن تستوعب أربع كميات من المعلومات، وكما قالت بعض الأمهات القلقات «لدي يبدان فقطه. يتعلم الأطفال أن الأم لا تستطيع أن تضع تياراً غير محدود من الحليب، كلما أنهم يتعلمون في مسار الحياة أن الوالدين لا يتذكّان ورأهم مبرأناً غير محدود.

ككما قال تريفرز، إلى الحد الذي فيه تعكس العواطف بين البشر مدى ارتباطهم الوراثي التنمطي. فإن أفراد أسرة ينهني إلا يتقوا على التكيفية التي يتوجب استثمار حب الوالدين أن يوزع. ينهني على الوالدين أن يقسما استثمارهما بالتساوي بين أطفالها، وإذا لم يتم ذلك بشكل متساو، فوفقاً لقدرة ككل طفل أن يتنازل منه. لكن جيد من الأب أن يعطيه ضمني مقدار الاستثمار لنفسه مما يعطيه لذريته، لأن نصف

جينات الأطفال تتشارك مع شكل قريب تام، لكن يتشاركون بكل مورثاتهم لأنهم هاترة لديها طفلان وخطيرة واحدة، فشكل طفل يريد أن يقسمها بنسبة 2/3 إلى 1/3. بينما يريد الوالدان قسمتها مناصفة، فتتكون النتيجة أن ما من توزيع سوف يسعد طفل واحد، ليس لأن الوالدين والطفلين يتشاجران على الفطيرة أو الحليب، أو البيرات مع أنهم قد يفعلون ذلك، ويشكلون مشكلة لا يتشاجران على المورثات، فهي تاريخ تطوري. لقد أثر استثمار الوالدين على بقاء الطفل، مما أثر - بالتالي - على احتمالية أن جنود عواطف أسرية متنوعة لدى الوالدين والأطفال قد تم نقلها إلينا في أماننا هذه التبرم أن توقعات أفراد الأسرة أحدهما للأخر ليست تماماً في حالة تزامن.

صراع الأبناء مع الوالدين وتفضيه، وصراع أبناء مع أبناء، بالإمكان رؤيته في عالم الحيوان (18). زملاء القمامة، ونزلاء العش تتقاتل فيما بينها أحياناً حتى الموت، وتتقاتل مع أمهاتها على الحصول على الحليب، والطعام والرعاية. (وكعنا نمرضها وودي الآن في دور النملة Z عندما تتكون الطفل الأوسط في أسرة مكونة من خمس ملايين، فإنك لا تتال عنابة ككبيرة)، والصراع أيضاً يلعب دوراً في فيزيولوجيا تطور البشري ما قبل الولادة. الأرحام تفتح صنابير ثبات الدم لتغذية من هو بحاجة ملأ إلى الغذاء من جسمها، بينما يقاوم جسم الأم ككي يقيه في شكل جيد من أجل أطول قادمين مستقبلاً (19). ويستمر الرحم في الحفاظ على نفسه بعد الولادة حتى يولد قريب - في معظم الثقافات - الأمهات اللواتي كان لديهن فهم سين الإبقاء طفل جديد الولادة حياً حتى التضع تكن يقطعن حبلتهن ويركبنه ليومت (20). الخدان الطقش، والاستجابة المبكرة في وجه الطفل قد تكونان إعلاناً عن الصعة المصممة ليجر القرار في صالحه (21).

تكون الصراعات الأكثر أهمية هي الصراعات النفسية التي تخاض في مسرحيات عائلية. لقد استطاع تريفز الطبيعة التحريرية للموسيوبيولوجيا عن طريق تفضير متاسق ككامن في علاقاتنا الاجتماعية، ومصممين مضمورين في العالم الاجتماعي (22) إنه كان يشير إلى النساء، فكما سوف نرى في الفصل بعنوان الجنس gender، وإز الأطفال. تقول نظرية صراع الآباء مع الأبناء أن الأسرة لا تحتوي على والدين ظلم لمعرفة والسلطة وأطقالم الممتنئين السليبين. لا بد أن الاصطفاء الطبيعي قد يذ لأطفال بأساليب سيكولوجية تسمح لهم أن يتخذوا مواقفهم الخاصة بهم في صراعهم مع والديهم، أي لا يملك أي من الفريقين اليد العليا بشكل دائم. الوالدان لهما ميزا

تصديراً الأمد في عضلات قوية ، لكن باستطاعة الأطفال أن يقاوموا من خلال تكوينهم الذهنياء ، يتكفون ، يرمون نوبات غضبيهم ، شادين رحلات ذئب ، معذبين أقرانهم ، داخلين بين والدهم ، جاعلين أنفسهم رهائن مهددين بسلوك بدمرون فيه أنفسهم (23) ،
فكهما يقال: الجنون وراثي، إنك تراه من أطفالك.

بافس درجات العمق ، لا يسمح الأطفال لشخصياتهم أن تتشكل من خلال متلفعة والدهم ، ومداهناتهم ، أو محاولات لمب دور نماذج models (24) . فكما سترى في النسل عن الأطفال ، تأثير أن يترسى على يدي والدين ضمن ثقافة قليلة بشكل مثل: الأطفال الذين يكفون في البيت نفسه ، ينتهون غير متشابهين في الشخصية عن الأطفال الذين تم فصلهم عند الولادة. الأقران الذين تم تبنيهم يكفون ليكفونوا ليسوا أكثر شياً من مجرد غرباء. الاكتشافات تناقض تماماً توقعات شكل نظرية في تاريخ علم النفس ما عدا نظرية واحدة، ترفيزز وحده قد تنبأ.

الولد لا يستطيع أن يتشكل على والديه من أجل إرشاد لا مبالاة فيه. يتوقع المرء أن يكون الولد مبرمجاً مسبقاً لمقاومة بعض مصائد الوالدين ، بينما يكون منفتحاً على المشاكل الأخرى. عندما يفرض أحد الوالدين نظاماً عشوائياً من التمييز (العقاب والثواب) لكي يحتال على الولد أن يتصرف ضد أفضل اهتماماته ، فإن الاصطفاء سوف يتحاز إلى الابن الذي يقاوم مخططات التمييز هذه (25).

لا يصبح الأطفال كلما يريد أباهم - بالتسمية لأناس كثيرين - هذا أحد الدروس الملونة - المرة من الأبوته. لقد قال الشاعر جبران خليل جبران وأطفالك ليسوا أطفالك ، يمكنك أن تعطيم محبتك ، لكنك لا تستطيع أن تعطيم أفضلك ، لأن لديهم انكارهم الخاصة بهم + (26).

التوقع الأكثر وضوحاً لنظرية صراع الأبناء مع والديهم هو أن الآباء والأبناء ينبغي أن يكون لديهم جميعاً تصورات متباينة عن كيفية تعامل الآباء مع الأبناء. دراسات الأفراد الصغار في الأسرة تبين أن معظم الآباء يزعمون أنهم يعاملون أطفالهم بالتساوي ، بينما يزعم معظم الأبناء أنهم لم يحصلوا على نصيبهم العادل (27). يسمى الباحثون هذا تأثير الأخوة الخائق ، يعد الشاخي الكوميدي الفرد الأكسل ، نال حظ التوقع «أي أحبك دائماً أكثر مني».

لكن منطق صراع الأبناء مع والديهم لا ينطبق فقط على الأبناء المعاصرين فقط. للأبناء - من أي عصر - يتناقضون ضمناً مع الأحفاد الذين لم يولدوا بعد ، صراعات

مصالح مهمة بين الآباء والأبناء تبقى معلقة فوق رؤوس الجيلين الذين قد يهتزقدهم الوالدان إذا كلفنا مناسبين سنأً وطاقة. طالما أن باستطاعة الرجال أن يطوروا أبنائهم (خاصة في المجتمعات التي تبيع تعدد الزوجات) التي وسمت معظم المجتمعات حتى وقت قريب، وطالما أن كفلا الجنسين يبالغون في الاستثمار في الأحفاد. فقدمنا يرتب الأبناء زيجات، ولبنائهم قد يقدمون صفقة. فقد يثنى الآباء والأبناء آراء مختلفة حول ما إذا يتوجب أن يبقى الابن حولهم لكي يساعد الأسرة، أو أن يبدأ بمهنته الإنتاجية. وينبغي على الأبناء المتزوجين أن يخصصوا وقتاً وطاقة بين الأسرة النوواة التي تكونونها في حصص متساوية. التي ولدوا فيها. وعلى الآباء أن يقرروا ما إذا يوزعون مواردهم في حصص متساوية. أم يعطونها إلى الابن الذي يستطيع أن يستغلها أفضل استقلال.

فنطلق صراع الآباء مع الأبناء، والذرية مع الذرية يلقي ضوءاً جديداً على صراعات القيم الأسرية، المهم في اليمين الثقافية والديني المعاصر. فوفقاً لهذا المبدأ، الأسرة هي ملاذ تربية وخير، ويجوز للوالدين نقل القيم إلى الأبناء لكي نتم خدمة مصالحهم بشكل أفضل. هناك قوى ثقافية حديثة، السماح للنساء بقضاء وقت أقل مع الأبناء الشبان، ويتوسع عالم الأبناء الأكبر سنأً خارج دائرة الأسرة، هذا يعني أن نوعاً من قبلة رميت داخل هذا العرش، ملحقة الضمور بالأطفال والمجتمع على السواء. إن جزءاً من هذه النظرية يتسم بالدقة بشكل تأكيد، إذ أن الآباء والأقارب لديهم اهتمام أكبر بمصالح الابن من اهتمام أي فريق ثالث. لكن صراع الأبناء مع الآباء يتضمن أن هناك ما هو أكثر مما في الصورة.

إذا ما استطاع المرء أن يسأل ماذا يريدون، سيكون الجواب هو الاهتمام التام بهم من قبل أمهاتهم 24 ساعة يومياً. لكن ذلك لا يعني أن الأمومة التي لا تعرفهم المعيار البيولوجي، فالحاجة إلى إيجاد توازن بين الاستثمار في الأبناء والبقاء أصعب مسألة ملازمة لجميع الكائنات الحية. فالأمهات لسن استثناء، وفي أغلب الأحيان يتوجب عليهن أن يقاومن مطالب المستبدين بهن لكي لا يساو من على يقالهن وبأن أطفالهن المولودين وغير المولودين على السواء. لقد بينت الإثنوبولوجية سارة بالفرغرين أن التوازن بين الأمومة والعمل لم تخترعه نساء المسيطرين على السلطة في ثلاثينيات القرن العشرين، فالنساء - في مجتمعات الغزو - يستخدمن ترتيبات متنوعة في تربية أطفالهن من دون الجوع، من ضمنها السعي إلى مكانة ضمن الجماعة التي تحسن من

مصلحة الأطفال) ومشاركة وأجبات رعاية الأطفال مع نساء أخريات في الجماعة. أما الآباء فهم - عادة - الممولون الرئيسيون أكثر من الأم. لكن لديهم عادات سيئة مثل الاحتضار، الجسر، عدم مكنس المش، وبالتالي الأمهات لا يمتنعن على الرجال فقط(28).

إن إضعاف سيطرة الآباء على الأبناء الأكبر سناً ليس حادثة عرضية لقوى مدعرة، بل جزء من اتساع طويل الأمد للحرية في الغرب الذي منح الأبناء تحقيق رغبتهم الحاضرة والسماح باستقلالية ذاتية أكثر مما يرغب آباؤهم بالتنازل عن ذلك فهي المجتمعات القديمة مكان الأطفال مقهدين بأرض الأسرة، ويرتبطون في زيجات مرتبة، ونحت سيطرة بطريك الأسرة (29). لكن ذلك بدأ يتغير في أوروبا القروسطية، ووجداد بعض المؤرخين أنها مكانت الخطوة الأولى في اتساع الحقوق التي تربطها بالتوير، وبلغت الذروة في إلغاء النظام الإقطاعي والمبودية (30). إن هذا صحيح من دون شك في يومنا هذا، إن بعض الأطفال يتوهون في الطريق على يد مجموعة سيئة، أو تربية شعبية. لكن يتم إنقاذ بعض الأطفال من أسر نسيه إليهم. لقد استفاد أطفال كثيرون من القوانين، التعليم الإلزامي، منع الزواج بالإكراه، وربما استفاد البعض للمعلومات مثل موانع الحمل أو المهن التي يحاول والداهم تبتئها. بينما يحاول البعض الهروب من غيتو ثقافي يتسم بالكميت لاكتشاف المسرات الشاملة في العالم الحديث. رواية سنغرشوشا للكاتب إسحاق باشغيز تبدأ بذكرى بالغة من طفولة البطل في انتم اليهودي من مدينة وارسو في بداية القرن العشرين:

لقد تربيت على ثلاث لغات مهتة: العبرية، الأرامية، واليديشية. وفي ثقافة تطورت في بابل: التلمود. كانت غرفة المدرسة حيث درست غرفة، كان الأستاذ يأكل وينام، وزوجته تلهو الطعام فيها. هناك درست لا الحساب والجغرافيا والفيزياء والكيمياء، أو التاريخ فقط، بل درست أيضاً القوانين الحاكمة لبهضة توضع في يوم عطلة، والأضاحي في معبد قد دُمّر قبل ألفي سنة مضت. على الرغم من أن أسلاحي قد استقروا في بولندا قبل نحو 600 - 700 سنة قبل ولادتي، إلا أنني عرفت بضع كلمات من البولندية، فمن كل ناحية، لقد كنت مفارقة تاريخية، لكنني لم أكن أعلم ذلك.

ذكريات سنفر هي أكثر حينياً مما هي ذكريات مريرة، ومعظم الأسر تقدم تربية أكثر مما تقدم الكميت والصراع. كان تولستوي محقاً عندما قال إن هناك أسراً سعيدة وأخرى تئمة، وأن تلك الأسر التئمة كانت كذلك بأشكال مختلفة، معتمدة

على كيمياء الناس المرميين معاً من قبل علم الوراثة والقدر. وذلك يعني أن توارث الصالح المتنافسة الذي يحكمهم جميع العلاقات البشرية لا ينتهي عند باب الأسرة.

من بين مجموعات الناس التي ناقشنا تريفيرز نجد الزوجين: رجلاً وامراً، ومنظر علاقتهما متجنس في القوقع الجوهرية بين الجنسين: ليس ككروموزوماتهما، وليس تركيبيهما بل استثمارهما الأبوي (31). في عالم الثدييات نجد أن الاستثمارات من قبل الوالدين هي في حددها الأدنى بين ذكر وأنثى، وشديدة الاختلاف. فالذكر يستطيع أن يمضي بعيداً بعد دقائق قليلة من الجماع وملقحة من المني. بينما المرأة تحمل طفلاً طوال شهر - في بطنها، وتذنيه قبل وبعد ولادته. وكما يقولون عن المساهمات للذكور: للدجاج والخنزير بالبيض واللحم، فإن الذكر معني لكن الأنثى ملتزمة. وطلاتها تأخذ فرداً واحداً من كل جنس لصناعة طفل، فالوصول إلى الإناث هو المورد المحد للذكور في التوالد. هلكي يزيد من عدد أحفاده، عليه أن يماشر أكبر عدد مضفر من الإناث. ولكي يزيد الأنثى عدد أبنائها إلى الحد الأقصى عليها أن تعاشر أفضل أنواع الذكور المتوفرين. هذا يفسر الفروق الجنسية واسعة الانتشار في أنواع عديدة في عالم الحيوان. فالذكور يتنافسون، والإناث يختنن، الذكور يسمون إلى الكمية. بينما تسعى الإناث إلى النوعية.

البشر هم ثدييات، وسلوكنا الجنسي مشتق مع نوعنا. يلخص دونالد سابين السجل الأثولوجيا في هوراق الجنس في الدافع الجنسي sexuality:

«في جميع الشعوب، الرجال هم الذين يخطبون، يتوددون، يباذرون، يفرون، يستخدمون تعبيرات وسحر الحب، ويقدمون الهدايا مقابل الجنس، ويستعملون خدمات الماهرات» (32). أما بين الشعوب الغربية، فقد بينت الدراسات أن الرجال يسمون إلى عدد أكبر من الشريك جنسياً أكثر مما تفعل النساء. إنهن أقل إرضاء في اختيارهن لشريك لمدة قصيرة، ومن المرجح أكثر أن يكونوا زبائن لصور إباحة بصرية (33). لكن ذكر الإنسان الماقل يختلف عن ذكر معظم الثدييات الأخرى. الرجال يستثمرون في أطفالهم بدلاً من ترك كل الاستثمار إلى الأنثى. مع أنه معروف من أعضان تستطيع أن تعد أطفاله بالهداء إلا أنه يستطيع أن يساعدهم بشكل غير مباشر من خلال، إتمامهم، وحمايتهم، وتعليمهم وتربيتهم. فالاستثمارات الأدنى - للرجل

والمرأة - ما تزال غير متكافئة ، لأن صبية غير متزوجة رسمياً من شخص قد تلد طفلاً . بينما لا يحدث العكس للرجل . لكن استثمار الرجل هو أكبر من صفر - مما يعني أن من المتوقع أيضاً أن تناقص النساء في سوق الشراكة ، مع أنهن يجب أن يناهضن على الذكور أكثر من ترجيح أن يستثمرن أكثر من الذكور الأكثر رغبة بالشراكة .

الاقتصاد الوراثي للجنس يتشابه أيضاً أن لدى كلا الجنسين حافظاً وراثياً لا ارتكاب الزنا . ولأسباب مختلفة . فرجل محب للمعاشرة يمكنه أن ينجب أولاداً إضافيين من خلال تجميل نساء غير زوجته . وامرأة تحب المباشرة يمكنها أن تلعب أطفالاً أفضل بالمثل من رجل ذي جنات أفضل من زوجها ، بينما يكون زوجها حولها يقوم بتربية الطفل لكن بينما تتال زوجة ما هو الأفضل من كلا العائلين من قصة حبها ، يتال الزوج الأسوأ من العائلين لأنه يستثمر في جنات رجل آخر . اغتصب مكالماً خاصاً به . وهكذا نعمل على الجانب الآخر من تطور مشاعر أبوية نشوء غير ذكورية جنسية معصما لمنع زوجته من أن تحمل طفل رجل آخر . بينما غير النساء يهين مبالاً أكبر إلى منع استلاب عواطف الرجل ، وهذا دليل على رغبة الأ يستثمر في أطفال امرأة أخرى على حسابها هي (34) .

مساءة الجنسين البيولوجية هي أن المصالح الوراثية للرجل والمرأة قد تكون وثيقة جداً ، لدرجة أنهما يصبحان عضوية واحدة تقريباً . لكن ممكنات مصالحهما أن تتبرهن بعيدة جداً . يوضح عالم البيولوجيا ريتشارد الكسندر أن إذا تزوج رجل وامرأة طوال الحياة - علاقة أحادية - ويفضلان أسرتهما التواء على مائتينهما (الوسمة) . فإن مصالحهما الوراثية تكون متطابقة ، ومحصورة في المسلة الواحدة التي تضم ابنتها (35) . في تلك الحالة المثالية ، الحب بين رجل وامرأة يجب أن يكون الرابطة العاطفية الأولى في العالم الحي «قلبان ينضبان كقلب واحد» . وبالطبع بعض المراسل الحفظيات تكون هذه هي حالتهم . لكن لسوء الحظ كلمة إن - الشرطية هي في الاستنتاج إن قدرة محبة الأقارب تعني أن الزوجين تشدهما بشكل متبادل علاقة المصاهرة وبنائه أولاد الزوجية ، أو الزوج ، هذا إن وجدوا . فدوافع الزنا تعني أن الزوجين دائماً قد يتقاعدن بسبب الديوثين وخرابي البيوت . هلمس مستفرباً في عالم البيولوجيا أن من بين الأسباب الرئيسية في الصراع بين الزوجين هي الخيانة الزوجية ، وأبناء الزوج أو الزوجة ، وعلاقات القرين الناجمة عن المصاهرة .

ليس مستغرباً كذلك أن فعل الحب بعد دامه يجب أن يكون مشحوناً بالمرارة فالجنس هو الصدر الأكثر تركيزاً للثمة الجسدية التي يمنحها جهازنا العصبي لتكون لمذا هو مثل شجرة علق عاطفية الجنس في جميع المجتمعات - على الأقل بعد «فتره» لحد ما ، ويمارس بشكل سري ، ويُعدّ بعض الناس هاجساً ، وتطعمه العاد والمحرّم ، وهو موضوع الإشاعة البيهض ، ومشعل غضب غيور (36). ففترة وجيزاً في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين حلم الناس بـ «يوتوبيا جنسية» . يستطيع الرجال والنساء فيها أن يتفمسوا في الجنس من دون محظورات وممنوعات. بطل كل هذا /الخوف من الطيران/ لولفته إريكسا جونج Jong تباهي بجنس سهل المثال . مجهول عرضي . خال من الذنب والغيرة . «إذا لم يمكن باستطاعتك أن تكون مع من تحب. فأحب الشخص الذي أنت معه» هذا ما غناه ستيفن سثيل Still. «إن تحب شخصاً ما فأطلق سراحه» كلما غنى سثيل Sting. لكن ستيفن غنى أيضاً «ككل حركة تقوم بها ، سأكون أراقبكه. لقد استنتجت إزيدورا وينغ «أن الجماع الخالي من السرور هو أكثر ندره من وحيد القرن». فحتى عندما يبدو ككل شيء أنه بعضي ، فإن معظم الناس لا يتشاركون في الجنس مثملاً يتشاركون في الطعام أو المحادثة. وهذا يشمل المسكن الجامعي في أيامنا هذه ، ويروي عن أسره ساخنة للاتصالات الجنسية الضميمة المعروفة باسم «hooking up». تلخص عالمة النفس إليزابيث بول بحثها في هذه الظواهر: «الجنس العرضي ليس عرضياً. قلة قليلة من الناس يخرجون دون أن يصابوا بإذى» (37) فالأسباب عميقة مثل أي شيء في البيولوجيا. فأحد مخاطرات الجنس هو الطفل. الذي ليس مجرد شيء وزنه سبعة أرطال ، بل من وجهة نظر نشوء ، علة وجودنا. فكل مرة تمارس المرأة فيها الجنس مع رجل ، يكون هناك فرصة لأن تحكّم على نفسها بسنوات أومعة ، مع المقامرة الإضافية بأن نزوات شريكها قد تجعلها أومعة وحيدة. إنها تخصص مقداراً وافراً من إنتاجها التكاثري للجنينات والنوايا لدى ذلك الرجل. مضية الفرصة لتستخدمها مع رجل آخر ربما يكون لديه نعم أفضل لكل منهما أو لكلهما فالرجل - من ناحيته - قد يكون ضمناً يقدم عرفه وعمله إلى الطفل الأولي ، أو يحد شريكته حول نواياه.

ذلك يشمل المشاركين المباشرين فقط ، وكما قالت جونج في مكان آخر - لا يوجد في السرير شخصان فقط ، بل يرافقهما في عقليهما آباؤهم ، عشاقهم السابقون. وعنافسوهم الحقيقيون أو المتخيلون. بكلمات أخرى ، فريق ثالث له اهتمام بالتبعية

المكيفة للعلاقة الجنسية. النافسون الرومانسيون للرجل أو المرأة، الذي تم إغوازه ونحو إلى وحيد بسبب ممارسة الحب. لديهم أسباب تدفعهم لأن يكونوا في مواقفهم ساعداً اهتمامات الفريق الثالث أن تفهم لماذا تتم ممارسة الجنس في جو من السرية. يوضح سايهون أن نجاح التكاثرات لدى الرجل محدد تماماً بامتلاكه النساء. وفي أذهان الرجال، الجنس دائماً بضاعة نادرة. فقد يمال الناس الجنس سرراً للسبب ذاته الذي يدفع الناس إنشاء جماعة أن يأكلوا سرراً: لكي يتجنبوا إثارة غيرة خطيرة (38).

كان المرير ليس مزدحماً بما يكفي. فكل من رجل وامرأة هو أيضاً الابن الذكر للرجلين أو امرأتين آخرين. يستمتع الوالدان بتكاثرات أطفالهم، لأنهم من نتاجهم على المدى الطويل. فتلاوة المقدره الإيجابية الأنثوية تجعلها مورداً جيداً لدى الرجال الذين يتكفون بها في المجتمعات البطريركية التقليدية، خاصة والدها وأختها. باستطاعتهم مبادلة ابنة أو أخت بزوجة إضافية أو موارد لأنفسهم، وبذلك لهم مصلحة في حماية استثمارهم بأبنائها بعيدة عن أن تحمل من رجل غير الذي يريدون بها له. فمن يهتمون بالتشامك الجنسي للمرأة ليس فقط الزوج أو الصديق بل والدتها وأختها أيضاً (39).

الغريبيون فكانت ترعيتهم معاملة طالبان للنساء في أفغانستان من عام 1995 حتى 2001 عندما فكانت النساء يلبسن - البرقع - ويمنعن من العمل، أو من الذهاب إلى المدرسة، أو مفارقة البيت دون مرافق. لقد أثبت ويلسون ودالي أن القوانين والتقاليد بنس الضموم نفسه تعطي الرجال السيطرة على زوجاتهم، والميل الجنسي لدى بناتهم فكان شائعاً عبر التاريخ وفي مجتمعات كثيرة. من بينها مجتمعنا (40). ككثرة من آباء الفتيات الرامقات فكانوا يستقنون أن البرقع ليس فكره سبباً في نهاية المطاف.

بناء على أسباب عقلانية، تطالب الجنس مفارقة، لأن في عصر فيه مائع للحمل ومفروق النساء، هذه المأزق القديمة، ينبغي ألا يكون لها دعوى على مشاعرنا. ينبغي أن نكون محبين جنسياً للشخص الذي نحن معه، ويجب ألا يذهب الجنس مزيداً من الشائعات، الموسيقي، والقصص، والدعاية البذيئة، أو انفعالاً قوياً. إنكثير معاً في الأطل أو الحديث. حقيقة الأمر هي: أن الناس يمدون بالانقصاد الدارويني لأطفال ما عدوا يمتلكون، هي شهادة إلى الطبيعة البشرية في مسارها الطويل.

ماذا عن الناس غير المرتبطين برابطة دم أو بأبنائه؟ ما من أحد يشك أن الضمير البشرية تقدم تضحيات للناس غير المرتبطين بهم. لكنهم لم يستطيعوا القيام بذلك بم طريقتين مختلفتين. إن البشر مثل النمل، استطاعوا أن يملكوا عضوية خارقة عليهم تحفزهم كسبي يملأوا شكل شبيه من أجل المستمرة. وهكذا، إن الناس هم غريزة جماعيون هي مبدأ مهم من المعتد الرومانسي للهمجي التنبيل. وقد تجلت في نظرية أنجلز وماركس: «إن الشيوعية البدائية» وكانت أول نظام اجتماعي⁴¹. وفي فوضوية ككرو يونسكين الذي كتب «النمل - والنمل الأبيض» - قد دحض حرب هوبس. وير الأفضل لها. وفي النزعة الطوبوية - أسرة الرجل في ستينيات القرن العشرين. وفي كتابات علماء راديكاليين معاصرين مثل ليونتاين وتشومسكي (41). يتخيل عمر العلماء الراديكاليين أن البديل الوحيد هو نزعة فردية كمما نادي بها إيلان راتين. فيها شكل إنسان هو جزيرة. ستيفن روز والنوسولوجية هيلاري روز مثلاً سبيل سيكولوجيا التطور «هجوم بعيني مزيد لحرية الإرادة على الجماعية» (42). لكن من الاتهام ليس صحيحاً كما سنرى في فصل السياسة. فالعديد من علماء نفس التطور في اليسار السياسي، كما أنه مفهومياً غير صحيح. البديل الحقيقي للعالمي الرومانسية ليس حرية إرادة بعينية، بل معرفة أن الضمير الاجتماعي يتأتى من بين معتقد للأفكار والمواظف متجذرة في منطق التبادلية. ذلك يعطيها سيكولوجيا مطلقة جداً عن المشاركة الجماعية التي تمارسها حشرات اجتماعية، أسرياً. وعقائد تحاول أن تزعم أنها عائلت (43).

لقد بنى ثيرفرز على نقاشات ولهمز وهاملتون، أن الغيرة الصرفة الوجة إلى على الناس، رغبة لإفادة الجماعة أو النوع على حساب الذات، من غير المرجح أن تشابه غير الأقارب، لأنها هشة لغزو يشنه الفشاشون الذين تزدهر أحوالهم من خلال نهب الأعمال الخيرة من قبل الآخرين، دون مساهمة الفشاشين. لكن كما ذكرت، قد أوضح ثيرفرز أيضاً أن درجة محددة من الغيرة التبادلية قد تنشأ. والتبادليون الذين يساعدون الآخرين الذين ساعدوهم، والذين يعفون أو يعاقبون الآخرين الذين فعلوا مساعدتهم، وسوف يتمتعون بمزايا المكاسب في التجارة، والأفراد المتنافسين والفشاشون، والثيريون (44). فالبشر مزودون تماماً من أجل مطالب الغيرة التبادلية يتذكر شكل منهم الآخر كالأفراد، ربما بمساعدة منطقة مخصصة من الدماغ ويملكون عين نسر، وذاكرة سريعة بالنسبة للفشاشين (45). إنهم يحسون بشأن

إخلاقية: المودة، الحب، الامتنان، الذنب، العار، والتضحية تلك إنجازات خارقة لإستراتيجيات الفيزياء التبادلية في محاكاة حاسوبية simulations ونماذج رياضية. لقد أثبت التجارب أن الناس يميلون أكثر إلى مساعدة قريب عندما يستطيعون ذلك بكلفة منخفضة، عندما يكون القريب بحاجة، وعندما يكون القريب في موقع مكفي يبادل (46). إنهم يحمون الناس الذين يقدمون لهم خدمات، ويقدمون خدمات لمن يحمونهم، ويشعرون بالذنب عندما يمتنون مبرهنًا ممكنًا. وماجور من يمسك عنهم المعروف (47).

إن روحاً تبادلية عامة تستطيع أن توجد ليس فقط تبادلات من واحد إلى واحد، بل مساهمات في الصالح العام، مثل صيد الحيوانات الضخمة جداً، على أن ياكلها الصيد وحده، ويساهمون في بناء منارة ترشد السفن بعيداً عن الصغور، أو يشككون جماعة مكفي يسيروا على جيران، أو لعند غزوات جيرانهم المشككة الملازمة للسلع العامة لتفهمها في حكايات يسوب من سوف يمسك اللقطة؟ الفئران في منزل لتلق أن تحسن أمانها إذا كان للقطعة جرس حول رقبته مكفي تحذرها عند قدومها. لكن ما من قار يخطر بجهاته مكفي يضع الجرس. رغبة بوضع جرس اللقطة - أي المساهمة في الصالح العام بالإمكان أن تظهر إذا ما توافقت مع رغبة بمحاكاة من يحملون الصيد، أو لمحاكاة الضحايا الذين يتهربون منه (48).

مسألة الفيزياء التبادلية هي أن التضحيات من جانب غير الأقارب لا يمكن أن تدوم من دون شبكة من مشاعر غير مستحبة مثل الخلق، عدم الثقة، الذنب، العار، والتضحية الصغرى مات وإبدلي بصوغ الأمر في بحثه عن تشوه التوازن:

يقف التبادل - مثل سيف داموقليس - فوق شكل رأس بشري. إنه قطع بظالمني أن انضم إلى فريقه، لذلك سوف أعطي كتابه مراجعة جديدة. لقد تناولوا الغداء مرتين، ولم يطلبوا منا التحية مرة. بعد أن فعلت ذلك له، مكفي استطاع أن يفعل ذلك لي؟ إن مثل هذا لي، سوف أعرضه لاحقاً. فما الذي فعلته أنا مكفي استحق ذلك؟ أنت مدِين به لي الواجب، الدين، المعروف، صفقه، عقد، تبادل، اتفاق... حياتنا ولقتنا مليئة بالفضائل التبادلية (49).

لقد سلطت دراسات الاقتصاديين السلوكيين للفيزياء ضوءاً على سيف داموقليس، من خلال تبيان أن الناس ليسوا أنانيين غير أخلاقيين في النظرية الاقتصادية الكلاسيكية، وليسوا كذلك، الشكل الواحد، والواحد للشكل جماعةيون لأوهام

طوباوية. في لعبة الإنذار الأخير ultimatum game على سبيل المثال، يحصل أحد المشاركين على مبلغ مالي كبير كشي يقسمه مع مشارك آخر. يستطيع بطرف يأخذه أو يتركه. فإذا تركه لن يحصل كلاهما على أي شيء. مقترح لاني سوف يحتفظ بحصة الأسد. ومستجيب اناني سوف يقبل الفئات المتبقية مهما كان قليلاً. إن جزءاً من الرغبة أفضل من لا شيء. بيدي المقترح لأن يعرض تقريباً نصف المبلغ المتبقي، والمستجيب لا يقبل أقل من النصف، مع أنه رفض حصة أقل. فهذا فعل نظري يحرم كلا المساهمين. يبدو أن المستجيب مسوق بإحساس غضب مباشر. وبالتالي يعاقب مقترحاً انانياً تبعاً لذلك. المقترح يتوقع هذا فيقدم عرضاً كبيراً بما يكفي لكي يتم قبوله. إننا نعلم أن ككرم المقترح دفعه الخوف من ردة الفعل. النكبات - بسبب نتيجة كلا المختلفين في التجربة. وفي لعبة المستبد، المقترح يقوم بتقسيم المبلغ على اللاعبين، إذ ليس هناك ما يستطيع المستجيب فعله حياله. دون خوف من الانتقام، يتقدم المقترح بعرض لاذع أكثر. يعمل العرض لأن يكون أكبر مما كان يتوقع أن يكون عليه، لأن المقترح يخشى من أن ينال سمعة اللعاب التي قد تترتب لتفضيه على المدى الطويل. إننا نعلم هذا من نتيجة لعبة المستبد الأعمى المزودة. حيث مقترحاتهم لاعبين كثير تقبل، لكن لا المستجيب ولا المجرّب يعلم من الذي عرض عليه. كذا. في هذه الرصاصة في الفان للكرم المتزوج يحتفظ أغلبية المقترحين بجزء شيء لأنفسهم (50). بعد ذلك هناك اللعبة الجيدة المشتركة التي يقدم فيها لكل أحد مساهمة طوعية في وعاء للمال مشترك. المجرّب يضاعفه، ويقسم مال الوعاء بالتساوي على المشاركين بنض النظر عما ساهم بكل منهم فيه. الإستراتيجية الأفضل لعلم لاعب يتصرف إفرادياً هي أن يكون لاعباً حراً، ولا يشارك بشيء. أملاً أن الأخرى سوف يساهمون بشيء، ويستطيع أن ينال حصة من مساهمتهم بطبيعة الحال. نظراً هذه الفكرة لكل لاعب، فيبقى الوعاء فارغاً، ولا يكسب أي واحد منهم ولو فرناً واحداً. فالشيء الأفضل للمجموعة هو أن يساهم جميع اللاعبين بكل ما يستطيعون بحيث يستطيع الجميع أن يضاعفوا أموالهم. عندما تلعب اللعبة مراراً، يحاول كل لاعب أن يكون لاعباً حراً، والوعاء يتضامل ليصبح هزيمة للذات إلى معدل الصفر من ناحية ثانية إن يسمح للنام أن يساهموا في مال الوعاء، وأن يفرضوا غرامات على من لا يشاركون، فالوجدان يجعلهم جميعاً جيئاء. وكل واحد يساهم بالصالح عند وبالتالي يسمح لكل واحد لأن يحقق مكسباً (51). لقد وثق علماء النفس الإنجاب

الطاهرة ذاتها، وهي ما نسميها تشكيباً اجتماعياً. عندما يتكون الناس جزءاً من جماعة، فإنهم يشدون على حبل القل، ويمسكون بحماسة أقل، ويفكفرون بالفكر الأقل في الجماع عصف عقلي، مالم يفتنوا أن مساهماتهم في الجهد الجماعي تحت الدافئة (52).

قد تكون هذه التجارب مصطنعة، لكن الدوافع التي تتكشف قد تم لها في تجارب الحياة العقلية المروعة بأسم التجمعات الفاضلة. ففي القرن التاسع عشر ومطلع المئود الأولى من القرن العشرين، ظهرت في أرجاء الولايات المتحدة حكومات مغلقة تقوم على فلسفة مشاركة جماعية. لكنهما ما لبثت أن انهارت بسبب توترات داخلية، للحكومات التي توجهها الأيدولوجيا الاشتراكية انهارت بعد سنتين، والأخرى الوجهة بإيدولوجيا دينية انهارت بعد عشرين سنة (53). أما الكمبيوترات الإسرائيلية المغلقة أصلاً بالاشتراكية والصهيونية سرعان ما كشفت فلسفتها الجماعية عبر عقود. لقد نسقت رغبة أفرادها بالعيش مع عائلاتهم، وأن يملكوا قماشهم الخاص بهم، أو أن يحتفظ برغباتهم قليلة، أو مبالغ مألوية قليلة تكسب خارج الكمبيوتر. لقد دمرت التناقض والعيوب في الكمبيوترات، لأن مشكلة اللاعب الحر كانت على لسان أحد سكان هذه الكمبيوترات، «فردوس للطفليين» (54).

في ثلاثيات أخرى، كان السخاء يقدم وقتاً لحساب عقلي ممتد، تذكر البحث والإثبات في الذي أجراه فيسك، الذي يثبت أن المحاصصة الجماعية تتيح عقوباً ضمن الأسر - بشكل رئيسي - وفي مناسبات ثانوية كالأعياد، التبادل متساوي القيمة، أي تجزية تبادلية، هي المعيار في المعاملات اليومية وسط أقارب بعيدين أكثر وبين غير الأقارب (55). الاستثناء الممكن هو توزيع اللحم من قبل مجموعات من النهاريين الذين يهوضون متاسرات اسطفاً لعبة كبيرة بمكاسبها الكبيرة غير المتوقعة، من خلال مشاركة ما يصطادونه (56). فحتى هنا، الأخلاق بعيدة عن أن تكون كترماً غير لاصع *unstringing*، وتوصف المشاركة على أنها مثل امتلاك «طرف عداوة» (57). ليس لدى الصيادين سبيل سهل يمكنهم من الاحتفاظ بصيدهم، لذلك لا يشاركون كثيراً بصيدهم، فيبقون منتظرين حتى يصادره الآخرون. تعد محاولاتهم الصيد بمثابة خبز عام، ويتم معاقتهم بالإشاعة، والنيذ الاجتماعي إذا ما رفضوا الصادرة وينالون امتيازاً إذا ما سماحوا به فقد يكونون مؤهلين أن يذهبوا عندما تقلب الطاولات، قد توجد سيكولوجيا معاملة بين الجامعين - الصيادين في ثقافتنا - صيادي السمك التجاريين، مكتب سيسنتان يونغ في /العاصفة المثالية/:

إن قبالة قوارب صيد سمك (السيف) يساعد شكل منهم الآخر في أعالي البحر
كلما استطاعوا ذلك. إنهم يهرون بمض قطع المحرك، ويعرضون التصبحة التي
ويتربعون بالطعام والوقود. فالمناظرة بين عشرات القوارب المتدفة إلى سعة التصوب في
السوق لا تقتل - لحسن الحظ - الإحساس اللازم بقلق ككل منهما على الآخر. فها، في
بدو نبيلاً جداً لكنه ليس كذلك، إنه أيضاً اهتمام بالذات. فشكل قبطان يطمأن
سيكون الشخص التالي الذي لديه محرك معطل، أو زيت الهيدروليك المتسرب (19).

البداية كانت مع أشلي مونتا جوية عام 1952، لقد حاول مفكرون لديهم مشاعر
جماعية أن يخلصوا مكاناً لكسرم غير محسوب من خلال استحضار أسطر
جماعي، منافسة داروينية بين جماعات من عضويات بدلاً من أن تكون منافسة
عضويات فردية (59). فالأمل هو أن الجماعات التي يضمها أعضاؤها بمصالحهم
أجل الصالح العام سوف يتنافسون، أي شكل رجل يتنافس لنفسه، وكتيجة، سوف
تأتي الدوافع السخية كهي تسهيتر في النوع ككله. لقد اقتحم ولعزم الحزم عام 1966
عندما أوضح أنه ما لم تكن جماعة ثابتة وراثياً ومصداق عليها، فإن النظرية في
المهاجرين سوف يتسلطون إليها باستمرار (60). سوف يستولي تمثال أناني فوراً على
الجماعة وأحفاها الأكثر عدداً لأنهم قد حصصوا فوائد تضحيات الآخرين من دون
تقديم تضحياتهم هم. فهذا يحدث قبل أن تتمكن الجماعة من أن تستغل تأسفي
الداخلي في نصر على جماعات مجاورة، وتزدهر في جماعات أبناء يكرزون العنفة.

المصطلح (الاصطفاء الجماعي) يبقى في بيولوجيا التطور، لكن بعمان مختلفة من
الغنى الذي في ذهن مونتا جوجو. بالنسبة، كانت الجماعة جزءاً من بيئة التطور.
وقد طور أسلافنا خصائص كالأهتمام بسمعة المرء وقادتهم لأن يزددهروا في جماعات
فمصالح الفرد ومصالح الجماعة قد تتزامن أحياناً، مثلاً ككل الطرفين يفعل ما هم
أفضل عندما لا تتأسهل الجماعة على أيدي أعداء، يستحضر بعض النظرين الاصطفاء
الجماعي ليفسروا رغبة معاقبة اللاعبين الأحرار الذين لا يساهمون في الصالح قبل
(61). علماء البيولوجيا ديفيد سيمون ويلسون والفيلسوف إليوت سوبر أعادوا - مؤخرًا -
تعريف الجماعة كجموعة من مساهمين تبادليين، وقدموا لغة بديلة لوصف نظرية
ترينغز، لكن ليس بديلاً للنظرية ذاتها. (62). لكن لا يصدق أحد الفكرة الأسفاز
الاصطفاء بين الجماعات أدى إلى نشوء التضحية بالنفس. وتتحية الصعوبات النظرية
التي شرحها ولعزم جانباً لأننا نعرف عملياً أن الناس في جميع الثقافات يفعلون أشياء

تقوم لأن تزدهر أحوالهم على حساب جماعتهم، مثل الكذب، والتنافس على شرفاء، عيش قصص حب، وإحساس بالغيرة، والقتال من أجل السيطرة.

الاصطفاء الجماعي لا يستحق أن ينال سمعة الرضا عن النفس سواءً أمدنا بالعقول تجاه أفراد جماعتنا أم لا، إنه - بالتاكيد - يعدنا بكمراهبة لأفراد جماعات أخرى، أن يفضل أي شخصاً نؤذي لأن نسود جماعة على منافسيه. ننظر ان الاصطفاء الجماعي مكان تسطة عن الداروينية التي تحولت إلى تازية، هذا لا يعني أن الاصطفاء الجماعي غير صحيح، فمن ينسب إلى نظرية علمية من أجل تسويق سياسي واضح إنما يشمل ناراَ خفية، وكما قال وليمز: «إن نزع من الاصطفاء الطبيعي عند مستوى جماعات متنافسة، يعني أنه متفوق أخلاقياً على الاصطفاء الطبيعي عند أفراد متنافسين سوف يعني بلا تطبيقه في المجال البشري أن مجزرة منجبة هي أعلى أخلاقياً من القتل المشاوي» (63).



يؤدي الناس لزملائهم ما هو أكثر من رد الخدمات ومعاينة الفاشين إنهم يودون عملاً من دون أدنى أمل بأن يرد إليهم؛ من ترك إكراهية في مطعم لن يزوره المرة مرة ثانية، أو رمى المرأة نفسه على قنبلة لإنقاذ إخوته في السلاح. لقد أوضح تريغور والإقتصاديان روبرت فرانك وجاك هيرشيفر أن الشهامة الصرفة يمكن أن تنشأ في بيت ناس يسعون إلى التمييز بين أصدقاء النعمة عن الحلفاء المخلصين (64). دلائل على إخلاص يثمر به القلب وكفرم بلعبان دوراً كعضمان لوعود شخص ما، وتقلل مخاوف شريك من أن يتم إهمال الواجب تجاهه. الطريقة الأفضل لتتبع شككناً بأنك جدير بالثقة وكفرم هي أن تكون موثقاً وكفرماً.

لا يمكن أن تكون فضيلة كهذه المزاج المسيطر على التمايلات البشرية، وإلا لننا استئنها عن جهاز كفضالات مصمم لإبقاء التبادلات عادلة: المال، سجلات نقدية، البنوك، مؤسسات محاسبية، أقسام تنظيم الفواتير، والمحاسب، وأن نيني اقتصاداً على نظام الشرف وفيه الطرف الآخر، يرتكب الناس أفعالاً بدافع الخيانة، كالمصومية، والتزوير، والسلب، والقتل، وطرفاً أخرى لتحقيق مكاسب على حساب طرف آخر. فالرؤى نسبياً الذين يفتخرون إلى أي ذرة وجدان هم المثال الأكثر تطرفاً. لقد وثق علماء النفس الاجتماعي أن ما يسمونه خصائص ميكافيلية لدى أفراد كثيرين من

حدود الاضطراب النفسي (65). بطبيعة الحال، معظم الناس هم في وسط الميزان. فمعرضون خلائط من التبادلية، والتكريم العرّف، والجدح.

فماذا يتوزع الناس على طيف واسع كهذا؟ ربما أننا - جميعاً - قادرون أن نكون قدسيين أو مذنبين اعتماداً على الإغرامات والتعهديات المتواضعة. وربما نحن موزعون على واحد من هذه المسائل في مطلع حياتنا من خلال تربيتنا أو من خلال مجموعة من أقراننا. فربما نختار هذه المسائل ميكسراً في حياتنا لأننا مسزودون بدهة توجيه استراتيجيات طرفية في كثرية تطوير شخصياتنا: أن نكتشف أنك جذاب وسامح، تحاول أن تكون متلاعباً، وإن تكن ضخماً ومسيطرأ تحاول أن تكون بطعياً، وإن تكن محامأ بكرماء، تكن كترياً مع طيب وهلم جرا. ربما نحن مبالون لأن نكون أشقى أو الطف من قبل مورثاتنا. ومن المحتمل أن التطور البشري كطعمة الهامس، وأن القمر يخصص لنا شخصية يشكل عشوائياً. من المرجح أن فروقاتنا تتأثر من العديد من هذه القوى أو من الهجانن فيما بينها. فعلى سبيل المثال، قد يتطور لدينا إحساس بالتكريم إذا كان عدد من أصدقائنا وجيراننا كترماء. لكن العامل الكثر يكترس فيما هذا الفعل قد يتفاوت فيما بيننا وراثياً أو عشوائياً: فبعض الناس يتحيز إلى فئة من جيران طرفاء فقط لكي يتربوا بشكل طريف، بينما يحتاج آخرون إلى أغلبية منهم.

المورثات - بشكل تأكيد - هي عامل: حيوية الضمير، درجة القبول، العصابة المرضية، والاضطراب النفسي، والسلوك الإجرامي، شكل هذه وراثية أساساً، وقد تكون العنبرية وراثية أيضاً(66)

لكن السؤال الأساس هو: لماذا يتفاوت الناس في أمانيتهم؟ الاصطفاء الطبيعي يعمل لأن يجعل أفراد نوع متشابهين في خصائصهم المعدلة، لأن أي نسخة من خاصية ما هي الأفضل من الأخرى التي تم اصطفاءها، والتسخ البديلة سوف تقترض هذا هو السبب الذي يجعل علماء نفس التطور يعزون فروقات منتظمة بين الناس إلى بينهم. بينما يعزون الفوارق العشوائية فقط إلى المورثات.

تأتي هذه الضجة الوراثية من مصدرين على الأقل: داخل السلملة الوراثية سأ rust لا ينم: تغيرات عشوائية لرحف باستمرار داخلية، ويتم استئصالها ببطه من بدون انتظام من قبل عملية الاصطفاء(67). والاصطفاء - بدوره - يفضل قابلية التنوع الجزئية

لذاته ككي يتقننا أعلى درجة من العطفيات التي تنشأ باستمرار لتتسلل إلى خلايانا ونسجتنا. فالفروقات في آلية عمل الجسم كله والأعضاء قد تكون نواتج ثانوية لهذه العمليات البروتينية churning المحنونة(68).

يعد أن نظرية التغيير التبادلية تشير إلى إمكانية أخرى: إن بعض الفروقات الوراثية بين الناس في مشاعرهم الاجتماعية هي منهجية. استثناء للقاعدة هو أن الاصطفاء يقلل التبع الناس عندما تعتمد الاستراتيجية الأفضل على ما الذي تعلمه العضويات الأخرى. إن لعبة الأطفال مقص - ورقة - حجر هي مثال مشابه. ومثال آخر نجده في القرار حول أي طريق يسلكه المرء إلى العمل. بينما تتصح البدائل بتجنب طريق سريع مزدحم، واختيار طريق أقل ازدحاماً، هلن يسكون الطريق الجديد مطروفاً أقل في السفر. كثيرون يختارون الطريق الأول حيث الازدحام على أشده، مما يحرض بدائل أخرى على اختيار الطريق الثاني، وهلم جرا. فالبدائل توزع نفسها بنسبة ما على الطريقين. والشبه ذاته قد يحدث في التطور عند ما يسمى انتقاء متمدناً لتكرار الحدوث.

تظهر نتيجة طبيعية للتغيير التبادلية في عدد من المظاهر غير الحقيقية على شكل محاكاة simulations . فالاصطفاء المعتمد على التكرار قد يولد خللًا استراتيجيات دائمة أو مؤقتة. فعلى سبيل المثال، إذا سيطر التبادليون في مجتمع أو جماعة، نستطيع أيقه من الملمسين أن تميش مستقلة ككرم التبادليين طالما لا تتزايد أعدادهم كثيراً، فلا يلتفتون بهم، ولا يتم التعرف إليهم لمعاقبتهم. فهل ينتهي الأمر بالسكان لأن يصبحوا متجانسين، أو بحالة خليط من الاستراتيجيات. فهذا يتوقف على أي استراتيجيات تتنافس بناء على أيها أكثر عدداً، وسهولة دخول وخروج السكان فيها، وعلى الأرباح من أجل التعاون والارتداد(69).

في عالم الواقع، لدينا شبيه مخادع، لأن الناس يختلفون وراثياً في ميولهم الأنانية. وفي نماذج نشوء القومية قد تطور فاعلون فروقات في ميولهم الأنانية، وقد تكون من قبيل المصادفة، لكن من المحتمل أنها ليست كذلك. لقد قدم العديد من علماء الحياة دليلاً على أن الاضطراب النفسي هو استراتيجية غش من خلال الاصطفاء المعتمد على التكرار(70). فالتحليلات الإحصائية تبين أن المضطرب نفسياً، بدلاً من أن يسقط في نهاية السلسلة المتصلة لصالح خاصية أو اثنتين ذات مجموعة خصائص مميزة (فتة سطحية، ثور، عدم المسؤولية، القسوة، الخطيئة، الكذب، وحب الاستغلال) التي تبعد عن بقية السكان (71) لا يظهر محبوبون كثيرون أباً من هذه الحالات الجسدية

الشاذة الناجمة عن صخب بيولوجي، مما يوحي أن الخليل ليس خطأ بيولوجي، على العكس (72) قالت عائلة النفس لندا ميلي Mosley إن الاصطفاة المتعمد على التصريح قد ولد نوعين - على الأقل - من الاضطراب العقلي، نوع يحل في أناس مضطربين جداً للخليل بغض النظر عن الظهنية التي يترعرعون فيها. والأخر قوامه أناس محترقون للخليل في ظروف محددة، خاصة عندما يدركون أنفسهم أنهم ثقافياً ليسوا مبرمجين في المجتمع، ويجدون أنفسهم في البيت وسط جماعة من اقربان لهم غير اجتماعيين.

تشير إمكانية أن بعض الأفراد يولدون وضميرهم قليل، عكس مبدأ البصيرة النبيل وهذا يستحضر في الذهن الأفكار القديمة عن مجرمين ولدوا مجرمين، والنسبة السيئة، لكن حل محلها الاعتقاد بأن مرتكبي الخطأ هم ضحايا الفقر أو التربية السيئة. في أواخر سبعينيات القرن العشرين، تلقى نورمان مايلر رسالة من سجين يدعى جاك هنري أبوت قضى معظم حياته خلف القضبان على جرائم تفاوتت من إسقاط شبيكات زائفة إلى قتل أحد زملائه السجناء، وكان مايلر يكتب كتاباً عن لعمري غاري، فعرض أبوت مساعدته للدخول إلى عقل فانتل من خلال مشاركته مذكراته سجنه، ونقده الجبزي لنظام العدالة الجنائي. لقد ذهب مايلر بشر أبوت، وأعلن الصفات المثالي الجديد والمفكر مثقف، راديكالي، قائد فذ، رجل مسكفه ملائحة إنسانية أرقى في عالم أفضل من العالم الذي تستطيع الثورة أن تصولفه. لقد ردا نشر رسائل أبوت في مراجعة الكتف في صحيفة نيويورك، وبعد ذلك في كتاب بعنوان في بطن وحش/ عام 1980. واليك المقطع الذي يصف فيه أبوت كيف يبدو الأمر إن تعلم امرأة حتى الموت:

تستطيع أن تحس حياته ترتجف من السكين في يده تقريباً تتلذب عليك، رقا الإحساس أثناء عمل يشع برتقبه قاتل... إنك تمضي إلى الأرض معه لكي نمد انقاسه. الأمر مثل اقتطاع قطعة زبدة ساخنة، لا مقاومة على الإطلاق إهم، تأهمسون شيئاً واحداً في النهاية؛ أارجوك. يتألمك انطباع غريب، إنه لا يتوسل بكه لكي لا تؤذيه، بل أن تفعل ذلك بشكل صحيح.

بناء على اعتراضات الطبيب النفسي للمجن، الذي رأى أن أبوت قد نال الخليل مكتوباً على وجهه كغله. لقد ساعده مايلر والقسم الأدبي في صحيفة نيويورك أن يحق بوعده شرف ميكر. وسرعان ما تم تكريم أبوت في حفلات عشاء أدبية وتم نسجه بسولز هينشتاين وجاكوب تيمارمان، وأجريت معه مقابلة في برنامج متلفز أصح

فيلد أميريكسا/ وفي مجلة /الناس/. وبعد أسبوعين تاليفين دخل في جدال مع كتابات سحرى طموح سكان يعمل ككنادل في مطعم عندما طلب من ابوت الا يستخدم دورة مياه الخسنة للمستخدمين في المطعم. طلب منه ابوت أن يخرج خارج المطعم وعندما نزل التقل ذلك، طمته في صدره، وترسكه ينزف حتى الموت على المشى الجانبي (73).

الطبولون قد يحكوتون أنظكيها، وجذابين، ومايلر سكان الأخير في سلسلة من التلقين من ككل تنوعات الطيف السياسي الذين ككاتوا موجبين في الستينيات والسيئيات من القرن العشرين. في عام 1973 يساعد وليم بكنلي Buckley في الحصول على إطلاق سراح ميخكر لإدغار سميت، رجل كان محكوماً بانتصاب قلادة هتافات التي ككاتت في الخامسة عشرة من العمر، وحطم رأسها بحجر، نال سميت حرية مقابل الاعتراف بالجريمة. وبينما سكان باكنلي يجري مقابلات متلفزة معه أنكر سميت الاعتراف وبعد ثلاث سنوات تم اعتقاله لأنه ضرب امرأة أخرى شابة بحجر، ويقضي في محكوميته في السجن أمد الحياة لمحاولته القتل(74).

ليس بالضرورة أن ككل واحد من هؤلاء سكان موجهاً. لقد وصف الممثل الكوميدي ريتشارد براوير تجربته في إصلاحية حكومية في ولاية أريزونا أثناء تصوير فيلم /هياج جتون/:

لقد جعلت هذه التجربة قلبي ينظر المأ نروية هؤلاء الرجال السود الوسيين في هذه الإصلاحية، هؤلاء المحارون ينفي أن يكونوا في الخارج هناك يساعدون الناس قد شمرت بذلك. لقد ككنت سادجاً حقاً. بقيت هناك ستة أسابيع، وتحدثت إليهم... ينظر حوله مرعباً) الحمد لله أن لدينا إصلاحيات، سألت أحدهم لماذا قتلت ككل من كان في المنزل؟ فأجاب هم ككاتوا في المنزل، قابلت شخصاً آخر خطف وقتل أربع مرات وتلك ككاتت آخر مرة لك، أهذا صحيح؟ ماذا حدث؟ (يجيبني بصوت عالٍ): لا، بالطبع أن أحصل على هذا الشيء التافه، صحيح! لكطني أحصل على وعد شرف في سكرية.

لم ينكر بروير الظالم التي تستمر بوضع أعداد غير مناسبة من الأمريكيين الأفارقة في السجن، إنه كان يقارن فقط الإدراك العام لدى الناس العاديين برومانسية التلقين، ولربما عرى موقفهم المتواطئ، لدرجة أن القراء لا يمكن أن تتوقع منهم امتناع عن القتل، وأنهم ينفي الا يتلقوا تحذيراً من القتل الذين يعيشون بين ظهرانيهم.

الفكرة الرومانسية السائدة هي أن جميع الأشرار هاسدون بناء على إحصائياتهم محرومون لدى الخيراء والناس العاديين على السواء. لقد عاش الكثير ممن يفترون اضطراب عقلي حياة صعبة، لكن ذلك لا يعني أن المعيشة الصعبة تحول المرء إلى مضطرب عقلياً. هناك مزحة قديعة عن عاملين في الخدمة الاجتماعية يناقشان هذه مشاكساً:

«جونني أنت من بيت معطم». نعم، جونني استطاع أن يحطم منزلي. بالإعصار المشور على شخصيات ميخائيلية في جميع الطبقات الاجتماعية. هناك الهوس بالسرقة، بارونات، لصوص، مستبدون عسكريون، وخبراء ماليون مختلفون. وبسر المضطرب عقلياً مثل أكل لحم البشر المدعو جيفري دامر *Jeffrey Dahmer* الذي يتعمر أسرة متوسطة محترمة. لاشيء من هذا يعني أن جميع من يلجأون إلى العنف أو الجريمة مضطربون عقلياً، بعض من هؤلاء فقط هم مختلفون عقلياً.

فالاختلال العقلي - كما نعلم - لا يمكن علاجه. لقد بينت مارينا داهم على النفس أن بعض الأفكار الطائشة للعلاج مثل استعراض تقديرهم لذواتهم، وتلبيد مهارات اجتماعية تجعلهم أكثر خطراً (75). بيد أن ذلك لا يعني أنه ليس هناك يمكننا أن نفعله لهم.

فعل سبيل المثال نوضح مبلي أن من بين نوع الاختلال العقلي ميزت الكثيرين الذين لا يتحسرون بمرامح تحاول دفعهم إلى فهم الأذى الذي يحدثونه. لكنهم قد يستجيبون لطويات مرصدة أكثر تدفهم كصي يتصرفوا بمسؤولية واحترام الذات. من ناحية ثانية، مختلفون عقليون طرفيون قد يستجيبون بشكل أفضل للتغيرات الاجتماعية التي تمنعهم من الانزلاق عبر شقوق المجتمع. فهل هذه هي أفضل الطرق؟ إنها مجرد نماذج للتكيفية التي بها يتوصل العلم والمساسة إلى الإمساك بمشكلة. لقد حاول الكثير أكثر أن يتنوا زوالها في القرن العشرين، لكن هذا الأمر ومدد زمن طويل، هو شغل الدين والفلسفة والرواية: إنه وجود الشر.

وفقاً لثريفرز، ككل علاقة بشرية: علاقاتنا مع آبائنا، أقاربنا، شركتنا الرومانسيين وأصدقائنا وجيراننا، ذات سيكولوجيا مميزة صيغت بنموذج تغيير متغيرة. فماداً عن العلاقة والحب الأعظم من الجميع، كلما جاء في إحدى أفهم البوب، العلاقة مع الذات؟ فني نص بالبح ومرووف مكتب ثريفرز:

إذا كان الغش أساسياً في التواصل الإنساني - إذن يجب أن يكون هناك اصطفاة
تؤدي بلع الغش، وهذا بدوره يفتحي أن ينتقي من أجل درجة من غش النفس - محولاً
بعض الحقائق والدوافع اللاشعورية لكي لا تكون - من خلال الملاقات الشخصية لمعرفة
ذاتك - الغش التمازس - فالنظرة التقليدية الخائفة إن الاصطفاة الطبعي يفضل الأجهزة
المصممة التي تولد صوراً للعالم أكثر دقة ، لا بد أنها نظرية ساذجة عن التطور
الطبي(76).

قد تكون النظرة التقليدية صحيحة بالنسبة إلى عدد كبير عندما نأتي إلى العالم
الوطني الذي يسمح بتحريرات الواقع من خلال مراقبين كثيرين، وحيث من المحتمل
أن التصورات الخاطئة أن تلحق الضرر بالشبه المدرك لكن كلما بنوه نريرفرز - إنها قد
لا تكون صحيحة عندما يتعلق الأمر بالذات التي يستطيع المرء بلوغها عبر سبل لا
يشتملها الآخرون - وحيث قد تكون التصورات الخاطئة مفيدة - قد يريد الوالدان -
أحياناً - إقناع الطفل أن ما يفعله هو لصالحه وقد يريد الأطفال إقناع الوالدين أنهم
بحاجة - بدلاً من أنهم جشعون، وعاشقون قد يريدون إقناع أحدهما الآخر أنهم
مفنونون جديرون - هذه الآراء - في أغلب الأحيان - مجرد زخرفات، إذا لم تكن هناك
مخاطبة طويلة، وتمريرها تحت رادار الشرية يجب أن يؤمن المتكلم بها بحيث لا
يشتم، يتعرق، أو يوقع نفسه في مناقضات. وقد يمضي المتكلمون بارادو الأعصاب
جهداً في رواية الأكاذيب إلى غرباء لكنهم سوف يمانون من متاعب في الاحتفاظ
بالاصطفاة الذين لن يأخذوا وعودهم على محمل الجد.

شأن أن يبدو المرء مقبولاً هو أن يكون غير قادر على الكذب وجهاً لوجه، مما
يأتي أن جزءاً من العقل يجب أن يكون مصمماً لكي يصدق دعايته الخاصة به، بينما
جزء آخر يسجل حقائق ككافية لإيقاظ المفكرة عن الذات على صلة بالواقع

لقد صاغ عالم الاجتماع إرفنغ غوفمان نظرية خداع النفس في كتابه عام 1959
اعرض الذات في الحياة اليومية / الذي دحض المفكرة الرومانسية الكافئة خلف
الأقمة، إننا نظهر للناس الآخرين ذات الشخص الحقيقية. قال غوفمان: شكلاً، إنها
تيسر التناق طوال الطريق، وقد أبدته في ذلك اكتشافات كثيرة في العقود التالية(77).

فعل الرغم من أن علماء نفس وأطباء نفسانيين يميلون إلى رفض تشدد النظرية
الغرويدي، ويقر المتكثيرون أن فرويد كان محقاً في موضوع آليات الأنا في الدفاع، فإن
أي معالج نفسي سيخبرك أن الناس يحتجون كثيراً ، ويتكفرون أو يكتبون حقائق

غير سارة، ويستقلون عيوبهم على الآخرين، ويحاولون الزعاجهم إلى مشكلات فطرية مجردة. إنهم يشتمون أنفسهم بنشاطات تهدد الوقت، ويقدمون مميزات عقلية لدوافعهم. لقد قال المالجان النسيان راندولف نيسي والآن لويد أن هذه المبادئ لا تحمي الذات من رغبات ومخاوف جنسية منحرفة (مثل ممارسة الجنس مع الأم)، لكنها مجرد وسائل لخداع النفس، إنها تكثبت الدليل على أننا لسنا أضعفاء أو مفيدين فكما نريد نظن(78). وكما قال جيف غولد بلوم في كتابه /الشخصية المكسبة/، «التبهرير العقلية هي أكثر أهمية من الجنس». وعندما اعترض أحد قراءه سال «هل مضر عليكم أسبوع من دون تبرير عقلي؟».

فكما رأينا في الفصل الثالث، عندما يعاني شخص من أزمة عصبية، فإن الأجزاء السليمة في الدماغ تهتمك في أحداث غير عادية لتفسير نشاط الضعف التي سببها الأجزاء المتضررة (التي تكون غير مرئية للذات، لأنها هي جزء من الذات)، ولكي تقدم كناية الشخص كفاعل عقلائي ومقتدر. مريض يفشل في معرفة *visonality* عندما يرى زوجته، ولكنه يعرف أنها تبدو وتتصرف مثل زوجته تماماً. قد يستجيب إن دجالاً مذهلاً يعيش في منزله. ومريض يعتقد أنه في البيت، ويرى مصعد المشفى فيقول: «إنك لن تصدقكم بكفافتنا لكي نركب هذا المصعد» (79). وبعد محاكمته في المحكمة العليا تعرض ولهم أودو غيلاس لضميرية تركبته مشلولاً على جنب واحد، ومحتجراً في كورسي متحرك. لقد دعا المراسلين للخروج في نزهة، فأخبرهم أنه يريد أن يجرب *Red skins* في واشنطن. لكن أجبر على النزول عندما رفض أن يترف أن هناك أي خطأ في قدرة محاكمته العقلية (80).

في تجارب السيكولوجيا الاجتماعية، يباليح الناس باستمرار في تقدير مهاراتهم، ونزاهتهم، وكبرهم، واستقلاليتهم. إنهم يباليحون في مساهماتهم في جهد مشترك، ويعززون نجاحهم إلى البراعة، وفشلهم إلى الحظ، ويشعمرون دائماً أن الطرف الآخر قد حصل على الصفقة الأفضل من التسوية (81). يحتفظ الناس بهذه الأوهام التي تحدهم الذات، حتى عندما يكونون موصولين بما يعتقدون أنه جهاز الكذب، وهذا بين أنه لا يكذبون على المجرى بل يكذبون على أنفسهم فطوال عقود تعلم لكل طالب على النفس عن تقليل تناهر معرفته بغير الناس أي رأي من أجل الحفاظ على صورة إيجابيا للذات(82). يوضح ذلك رسام الرسوم الشخصية مسكوت أدامز.

إنها طغنت هذه الرسوم المتحركة صريحة تماماً ، مع أن التهاء ستظنون عبارة من صغرات نشار فإن خداع النفس هو من أعمق الجذور في الصراع والحماسة اليونان إنه يتضمن أن القدرات التي يجب أن نسمع لنا أن نسوي خلافاتها ، وسبينا إن الحقيقة ومنافستها بمقلانية قد أسبه لتدبيرها ، بحيث أن جميع القراء بدون لشوم أكثر حكمة ، وقادرين أكثر ، وأنبل مما هم في الواقع ، فلنصفي بصراع ككل مرة ، يستلحق أن يعتقد مخضماً أن النطق والدليل إلى جانبه ، وإن خصمه مضال ، أو يبرئيه أو يكلاهما(83) ، خداع النفس هو أحد الأسباب التي تؤدي بالمش الأخلاقي إلى إنتاج أذى أكثر مما يفعل الخير ، وهذا سوء طالع بشري سوف نطالعه في الفصل التالي



لا متاهية هي الممكنات الدرامية التي تتبع من حقيقة أن شخصين قد يرتبطا بغوى الروابط العاطفية في العالم الحي ، وفي الوقت ذاته لا يريد ككل منهما ما هو وينزل للأخر ، فربما كان أرسطو هو أول من أشار إلى القصص المساوية تركيز على العلاقات الأسرية ، قصة حول غريبين يتقاتلان حتى الموت ، لن تكون ممتعة مثل قصة حول المحبين يتقاتلان حتى الموت ، فكما أوضح أرسطو ، لدينا قصص حول قابيل وعليل ، ياقوب ويعيسو ، أوديب ولايوس ، ميشال وفريدو ، جي آر وبوبي ، فريز ونيلز ، سيد وأخوته ، إيريناته ، حنة وأخواتها الخ ، فكما يشير مفهرسو القصص الدرامية طوال قرون «المدارات بين الأقارب» و«تناقض الأقارب» هي الصيغة الدالمة ، (84) .

لقد أوضح الناقد الأدبي جورج شتاينر في كتابه «انتيفون» / أن أسطورد انتيفون نيل مكاتة فريدا في الأدب الغربي ، مكاتة انتيفون ابنة أوديب وجوكاستا ، وحقيقة أو الدعا مكان أخوها ، وأن أختها مكاتت أمها ، مكاتت هي البداية لتتابعها الأسرية ، دفناً عن الملك ككريون ، دفنت أختها الذهب بوليفكس وعندما اكتشف الملك ذلك ، أمر أن تُدْفَن على قيد الحياة ، إلا أنها خدعته بقتل نفسها أولاً ، إلا أن ابن الملك الذي كان متماً بها ، لم يمكن قادراً أن يجلب الضو لها ، قتل نفسه على قبرها ، وينوه شاير إلى أن انتيفون تعد «لهيست فقط الأجل من بين الماسي الإغريقية ، بل العمل التي الأقرب إلى التكامل من أي عمل فني آخر أبدعته الروح الإنسانية» (85) ، لقد عرض طوال أكثر من ألفي سنة ، وألهمت لتوعات واقتباسات لا تحصى ، ويشرح شتاير ذلك في مديح خالد :

اعتقد انه قد أعطيت إلى نص وحيد فقط قدرة التعبير عن جميع التواتر النسبية للصراع في الشرط الإنساني. هذه التواتر خماسية الجوانب: مواجهة تجزئة النساء، والشهوانية والشباب، المجتمع والفرد - الأحياء، والأموات - والشهوانية والصراعات التي تنجم عن هذه المستويات الخمسة للمواجهة ليست فقط لتفهم الرجال والنساء، الشيوخ والشبان، الفرد والمجتمع أو الدولة - الفلاني والعامس السريعين والموتى. تعرف نفسها في سيرة الصراع في تعريف كل منها للأخرى لأن الأساطير الإغريقية تُشعر مواجهات اجتماعية وبيولوجية جوهرية محددة. وهذا ذاتها في تاريخ الإنسان لذلك فإنها تستمر كمتغيرات حي في الذائفة الحسب والمعرفة (87).



إذا طغى الرأفة سجيما فر
عقلنا الاستراتيجي هو خطأ

ويحدث لك تغير معرفي

إنه ليس بارعاً مع الأرقام

الجذور الكثيرة لعائلتنا - التي سلطت تفرغز عليها الضوء - ليست سبباً يدهش من التدب والعميل. فالتداخلات الوراثية التي توحدنا وتقسمننا مأساوية، لكن ليس بلهم اليومي لكلمة كثرارة، بل بالمعنى الدرامي لحافز يشجعنا على أن ندفع التجربة شرطاً. فوفقاً لتعريف في /موسوعة ككامبريدج/، الغاية الرئيسية من التأسياد كانت - كما قال أرسطو وإنها تأثير في المشاهدين الإحساس بالرهبة والشفقة - إحصاء بالعجب، وتهيئة تجاه القدرة الضعيفة البشرية، ومن ضمنها القدرة على الفداء له تقدم تأكيدياً للقيمة الإنسانية في مواجهة تكوين معاد. توجسيف ترفيزر للصراع لللازمة داخل الأسر، وبين الزوجين، والمجتمعات، والذات، تستطيع أن تتولد من الهدف.

ربما لعبت الطبيعة دوراً في خدعة قاسية من خلال MISSISSIPPI - إعادة معايرة -
مشاعر الناس الذين يتشاركون في دعمهم ولحمهم. لكن الطبيعة قدمت عملاً راسخاً
لأجبال من المرفلين والكتناب المسرحين، إن مفاهيم الذات في التاريخ البشري لا
متغية. لكنها تدوم بصفتها ميراثاً حياً في الذائفة والمعرفة اليمعيتين (87)

المجورة الحلو - المرة لتعريف أنفسنا من خلال صراعاتنا مع الآخرين ليست
مجرد موضوع للأدب، بل بإمكانها أن تصور طبيعة مشاعرنا ومضمون وعينا. فإذا ما
برفت مورثة علينا الاختيار بين الانتماء إلى نوع مثل نوعنا الذي فيه علاقتنا مع
والدين، والأقارب، والأبناء شينة بشكل فريد - أظن واضحاً أننا سنقتار الأول
فأقرنا للقيوم يحتلون مكانة خاصة في قلوبنا فقط بسبب المكان لكل مكان
بشري آخر - هو بالتعريف أقل خصوصية، ولقد رأينا أن العديد من المطالم الاجتماعية
يحت خارج تلك الصلقة. والاحتكاك الاجتماعي - أيضاً - هو نتاج فريدتنا وسعينا إلى
لعداء. إننا قد نحمس مستعمرة من النمل على انسجامها، لكن عندما اشتكى الأنا
الأخر Z لدى وودي الآن إلى معالجتها النفسية من أنها شكلت لشعر بدم أهميتها،
أينها لقد حققت اختراقاً حقيقياً يا Z. إنك لست بذات أهمية.

لقد جدال دونالد سايمون بأن لدينا سراً وراثياً لتشكر عليه حقيقة أن لدينا
مشاعر تجاه الآخرين عامة. (88) إن الوعي هو أحد مظاهر الحوسبات العصبية
الضرورية لكي نستوعب كفيف نحصل على الأشياء النادرة وغير التوقفة التي نحتاجها.
إننا نشعر بالجوع، وتدخر الطعام، ولدينا فنجان لأطعمة لذيذة لا نحصى، لأنه كان
ببب الحصول على الطعام خلال معظم تاريخ تطورنا. إننا - عادة - لا نشعر بالشوق،
والسرور، أو التجاذب تجاه الأوكسجين مع أنه يلعب دوراً حاسماً في وجودنا، لأنه لم
يكن الحصول عليه أمراً صعباً، وإننا نستشقه فقط. قد يبعث الشيء ذاته في صراعاتنا
على قريب، شريكنا، وأصدقائنا. لقد ذكرت أنه إذا كان زوجان مخلصين بشكل
أبعد بحيث يفضل شكل منهما الآخر على أقربهما، وأن يموت في الوقت ذاته، فإن
انساناتهما الوراثية ستكون متطابقة، مختلفة في أطفالهما المشتركين. يستطيع المرء
خر أن يتخيل نوعاً فيه شكل زوجين على جزيرة طوال حياتهما، وتفرق أبنائهما عند
التفوق ولا يعودون أبداً. بما أن المصالح الوراثية لدى الشريكتين متطابقة فقد يظن المرء
- في البداية - أن التطور سوف يهبطهما كلياً سعيداً من الجنس، ورواسياً، وحباً
شياً.

لكن سايمون يقول إن لاشيه من هذا القبيل سيحدث. فالملاقة بين الشريك
ستتطور لتكون مثل الملاقة بين خلايا الجسم الواحد ، الذي مصالحه الوراثية متشابهة
أيضاً. خلايا القلب وخلايا الرئتين ليس لزاماً عليها أن تقع في الحب للمضي في السعد
تمام الشبه ذاته مع الزوجين من هذا النوع ، سيما راسان الجنس من أجل هدف الإمبر
(لذا نهر الطاقه).

ولن يطلب الجنس المزيد من المتعة أكثر من بقية الوظائف الإنجابية؛ فبمجرد
الهرمونات أو تشكّل المشائج، لن يكون هناك وقوع في الحب لأنه لن يكون هناك
شركاء بدائل للاختار من بينهم ، والوقوع في الحب سيكون تديداً ضخماً. إنك لن
ستحب شريكك محبتك لنفسك. لكن تلك هي المفكرة؛ إنك لا تحب نفسك في الواقع
في شكل مجازي. إنك أنت تكون نفسك. ككلاكما الاثنان ستكونان جسماً واحداً
طالما يتلقى الأمر بالتنظير. وستكون علاقتك محكومة بالفيزيولوجية التي لا عقلها
.. قد تشعر بالألم إذا لاحظت شريكك تجرح نفسها. لكن جميع المشاعر التي لدينا
تجاه شريكنا التي تجعل الملاقة رائعة جداً عندما نعمل عليها جيداً (ومولنا جداً
عندما لا نعمل عليها)، فلن تتطور أبداً. حتى إذا امتلكتها أحد الأنواع عندما سافر
هذه الطريق الحالية، سيتم انتقالها بشكل تأكيد. مثلما أن عيني سمكة تملر في
ككيف يتم اصطفاها، لأنهما ستكونان ككل التكلفة ودون ربح (89)

الشبه ذاته صحيح بالنسبة إلى مشاعرنا تجاه الأسرة والأصدقاء؛ إن غنى وترهق
المشاعر في عقولنا هما البرهان على غلاوة وهشاشة تلك الروابط في الحياة. ياخذ
من دون إمكانية المتانة، ما سيحكون لدينا هو ليس سعادة منسجمة، بل بالأحرى
حالة شعورية تماماً.

الفصل الخامس عشر

الحيوان المناق

إحدى أعظم المخاوف التي لدى الناس من فهم بيولوجي للعقل هو أنه سوف يؤدي إلى بدمية أخلاقية. فإذا لم يكن الله هو خالقنا من أجل غاية أسس - فكما يقول النقاد على الجانب الأيمن - أو إذا كنا نحن نتاج مورثات أنتية - فكما يقول نقاد اليسار - إذا ما الذي سمعنا من أن نصبح أنانيين ولا أخلاقيين - هؤلاء الذين يتعلمون إلى الرقم واحد طفلة أظن سيكون علينا أن نرى أنفسنا مرتزقة فاسدين لا يتوقع منهم أن يبالوا بمن هم أقل حقاً؟ فحسباً الجانيان يشيران إلى التنازية على أنها النتيجة لتبني نظريات بيولوجية للطبيعة البشرية.

لقد التضح أن هذا الخوف ليس بلا محله ، بل الفصل السابق إذا لا شيء يمنع عملية إنشاء الطبيعي غير الأخلاقية ولا رد لها من تطوير أنواع اجتماعية ذات دماغ كبير مزودة بحس أخلاقي دقيق. (1) حقاً ، قد لا تكون المشكلة مع الإنسان العاقل أن لدينا أخلاقاً قليلة جداً ، فقد تكون المشكلة أن لدينا الكثير من الأخلاقية.

ما الذي يدفع الناس إلى أن يحكموا على عمل على أنه غير أخلاقي (القتل خطأ) كمنهض بعض وغير مواكب لعصره مثل (أنا أكثره نبات البيروكسلي) تجنب الخمر أثناء طيران طويل ، فالتناس يشعرون أن القواعد الأخلاقية هي قواعد عامة. فالأوامر التي تهي على القتل والاعتصاب - على سبيل المثال - ليست مسألة ذوق أو موضة ، بل ذات تدبير متسام وعالمي. يشعر الناس أن الذين يرتكبون مخالفة أخلاقية ينبغي أن يعاقبوا. ليس من الضروري إيقاع الأذى على من يرتكب مخالفة أخلاقية ، وليس خطأ أن ندعم يستمرون بلا فعلتهم. يستطيع المرء أن يقول ويكفل سهولة «أنا لا أحب نبات البيروكسلي لكن لا أباي أن تأكلها». لكن لا أحد يقول أنا لا أحب القتل ، لكن لا أباي أن تقتل شخصاً ما. ذلك هو السبب الذي يجعل المدافعين عن حرية الاختيار يندون الفكرة عندما يقولون: «إن تكن ضد الإجهاض فلا تمارسه». فإن يعتقد

شخص أن الإجهاض غير أخلاقي، إذن السماح به من أجل أن يعارضوه ليس جيداً أكثر من السماح للناس أن يقتلوا أو يقتلوا هو خيار. لذلك يشعر الناس أن لهم ميبراً في استثناء المقاب الإلهي، أو القدرة الرادعة للدولة ككي تسن القوانين في برتراند راسل «إنزال عقوبة قاسية بضمير خير هو منعة للأخلاقين. ولهذا السبب اخترعوا الجحيم».

يجب إحساننا الأخلاقي المدون على الآخرين ككوسيلة لمنع أو معالجة الأفعال الأخلاقية. هذا شيء حسن عندما يحكم على الفعل أنه غير أخلاقي فملاً بما في سبب. كغالباً اغتصاب والقتل، وعندما يقابل الاعتداء بعدل، ويستخدم كمرار غيراً من الفصل هي أن الحس الأخلاقي الإنساني ليس مضموناً أن ينقضي تلك الأفعال على أهداف لتفضيه الحق. الحس الأخلاقي هو جهاز - مثل الستيريرو- أو معارف حسية من رقم. إنه اجتماع دارات عصبية ترتصف سوياً من أجزاء أقدم من الدماغ لظني وتتشكل باسطقاء طبيعي للقيام بالعمل. هذا لا يعني أن النزعة الأخلاقية هي شيء من اختلاق مخيلاتنا. أكثر مما يعني التطور الإدراكي يعني أن فضاء D3 هو اختلاق مخيلاتنا. فحسنا رأينا في الفصلين التاسع والحادي عشر، أن النزعة الأخلاقية ليست داخلية، وحس من الممكن أن لها وجوداً خارجياً، أي مجموعة مفكرين نازيون يوضحون تماماً، مثلما جماعة من علماء الرياضيات يستطيعون أن يشرحوا العنق المتلفة بالمدد والشكل، لكنه لا يعني أن الحس الأخلاقي محمل بكواركات على ويمال لخطأ منهجي، فهذه أوهاام أخلاقية، وكانما مثل قدراتنا الأخرى ناملت من الآلية:

جولي ومارك أخ وأخته، مسافران معاً في فرنسا لتمضية إجازة صيفية مزفر الجامعة. ذات ليلة يتزلان لوحدهما في كابينة قرب الشاطئ. قرروا على سبيل لمتعة أن يجريا ممارسة الحب. فكانت جولي تتناول حبوب منع الحمل من ذي فز. لكن مارك كان يستخدم الواقي الذكري ليكون في مأمن. كلاهما استند بممارسة الحب، لكنهما اتفقا ألا يفعلا ذلك ثانية. يمضيان الليل محتضنين بصره. وهذا ما يجعلهما يشعران أنهما أقرب إلى بعضهما، ما رأيك أنت بذلك، وهل كان الله على ما يرام بالنسبة إليهما؟

لقد عرض عالم النفس جونشان هايدت وزملاؤه القصة إلى أناس كثيرين وأعلن معظمهم مباشرة أن ما فعلته جولي ومارك كان خاطئة، وقدعدوا أسبباً لها

خلقت خطبة. ذكروا مخاطر الإنجاب، لكن تم تدسيرهم أنهما استخدمتا شكلاين من برامج الحمل اقترحوا أن جولي ومارك سوف يتأذيان عاطفياً. لكن القصة توضح أنها لم يتأذيا. إنهما ينامران بأن هذا الفعل يخطن الجماعة. لكن يتم تدسيرهم أن لا يرتي سراً. ثم يسلمون أن الفعل قد يتداخل بعلاقات مستقبلية، لكنهما اتفقا ألا يوجد الخطرة ثانية. في نهاية الأمر يقر معظم الذين تم استطلاع آرائهم أنهم لا يعرفون، ولا يستطيع شرحه، أعرف فقط أنه خطيئة. يسمى هايديت ذلك مصمماً أخلاقياً، وقد يخضره بأشياء غير مقبولة، لكنهما سيناريوهات لا ضحايا لها.

إسراء: تلفظ خرائطها فتجد عالماً أمريكياً قديماً، إنها لا تريد العلم، لذلك تملطه مرةً وتستخدمه كخندق لتلطيف حمامها.

طلب أسراء قتل بسيارة أمام منزلها. سمعوا أن لحم الضأن كان لذيذاً، لذلك بشرارة الضأن وطورها وأكلوها على العشاء.

رجل يذهب إلى الدكان مرةً في الأسبوع ويشترى دجاجة مينة. لكن قبل طهوها يوزن بمصالح جنسي معها، ثم يطهوها ويأكلها.

يقول الكثيرون من فلاسفة الأخلاق أنه ليس هنا ما هو خطأ في هذه الأفعال، إن أفعالاً خاصة وسط بالذين موافقين لا تؤدي طعائات حساسة، ليست أفعالاً غير لائقة وقد ينتقد البعض الأفعال مستخدماً نقاشاً أكثر براءة، نقاشاً على علاقة بتراتب بالسياسات، لكن الأخطاء سوف يحكم عليها على أنها ثانوية مقارنةً بالمال الشائنة حقاً، والتي يقدر الناس أن يقوموا بها. لكن بالنسبة إلى شكل امرئ نمر، مثل هذا النقاش إنما هو إلى جانب المتكسرة. الناس لديهم مشاعر داخلية لتطعيم تلك الأخلاقية مؤسسة، ويصالحون حكمي يفتنوا القناعات وفقاً للثقافة. (3) قد يكون لهذه القناعات علاقة بسيطة بالأحكام الأخلاقية التي باستطاعة المرء أن يبررها لأخرين، من حيث تأثيراتها على السعادة أو المماناة. إنها تتشأ من التصميم البيولوجي البشري والتطوري للأعضاء التي تسمىها مشاعر أخلاقية.

لقد جمع هايدت - مؤخراً - تاريخاً طبيعياً للمشاعر التي تشكل الحس الأخلاقي. الأسر الرئيسية الأربع هي فقط ما نتوقفه من نظرية نوربرغ عن الفيرية التبادلية. نبلغ حاسوبية لتطور التعاون الذي تلا ذلك، المشاعر المدانة الأخرى: الحقد، الغضب،

العرف، تحفز المرء أن يعاقب المدلسين المشاعرة الأخرى التي تنال الشاء: الإضرار وشعور بالإمكان تسمية الارتقاء، الرهبة الأخلاقية، أو أن يحفز المرء كصبي يحفز الغيورين المشاعرة الأخرى: المعاناة، النودة، الترحام، والتقصص الماطفي، للفساد، الخجل، والارتباك، تحفز المرء أن يتجنب الفس أو يرمم نتائجها.

إذا ما تحرينا هذه المجموعات من المشاعر، نجد فرقاً بين ثلاثة عوامل للزمت الأخلاقية، ككل منها يشكل أحكاماً أخلاقية بطريقة مختلفة. أخلاق الاستقلال الذاتي تتلزم بمصالح وحقوق فردية. يؤكد الإتيصاف على أنه الفضيلة الأساسية. وهم نواة النزعة الأخلاقية كما يفهمها المتعلمون العلمانيون في الثقافات الغربية. إنها أخلاق الجماعة تتلزم بمصالح الجماعة الاجتماعية لأنها تشمل الواجب، الاحترام، الالتزام بالتقاليد، وإذعاناً للتراتبية. أخلاق الألوهة تتلزم بإحساس قداسة وتفاء مجيد. يتفكر الإحساس بالتدينس والتشوية. أول من طور ثلاثية الاستقلالية، والجماعة والألوهة هو الأثريولوجي ريتشارد شويدر الذي نوه إلى أن التراثات غير الغربية تمتلك نظم معتقدات وقيم غنية بجمع بصمات الوعظ الأخلاقي، لكن من دون المفهوم الغربي لتفوق الفرد (5) والمعتقدات الهندوسية التي تتعلق بالتطهير مثال ساطع على ذلك. لقد بنى هابيد وعالم النفس بول روزين على مؤلف شويدر، لكنهما فسرا العوامل الأخلاقية لا كمعتقدات ثقافية عشوائية، لكن كمعتقدات عقلية شاملة ذات أصول ووظائف نظير مختلفة (6). إنها توضح أن العوامل الأخلاقية تتباين في مضمونها المعرفية، وتمامها في حيوانات أخرى، علاقتها الفيزيولوجية، وأساساتها المصيبة.

فالغضب - على سبيل المثال - هو الشعور الآخر - الذي يقاس الإدانة في عالم الاستقلالية الذاتية - نشأ من أنظمة تؤيد العدوان، وتم تمييزه لتطبيق استراتيجيات معاقبة المدلس التي تطالب بها الفيزية التبادلية. القرف - الشعور المدان في عالم الأرواح - نشأ من نظام لتجنب المندسات البيولوجية، كالممرض والتلف، وربما جرى تمييزه لتبين حدود الدائرة الأخلاقية التي فصلت بين الكيانات التي نهتم بها أخلاقياً (مثل القران) لدى الذين تعاملهم وسكانهم مجرد وسائل (كالحوانات)، والذين تتجنبهم بكل فاعلية (كالكذين يعانون من مرض معد). الإرياك، شعور بعدم وعي لذات في عالم المجتمع، هو مشارك غير قانوني في حالة ملامح الهدوء والاستسلام التي نجدها عند ثدييات أخرى. فالمسبب في ذلك يرجع إلى أن المسيطرة أعلنت مع الأخلاقية في المقام الأول، وأن التبادلية لا تعتمد على رغبة الشخص فقط على منح واسترجاع الخدمات بل على مقدرة الشخص على أن يفعل ذلك، والمسيطر عليهم لديهم تلك المقدرة.

قد يفسر انصار النسبية عوالم الأخلاق الثلاثة ككتيبيان أن حقوق الفرد هي عادة برية فحسب، وأن علينا أن نحترم الإثباتات الجماعية والوهتها في الثقافات الأخرى بقدر احترامنا لنفسه لثقافتنا. أستنتج بدلاً من ذلك أن بنية الحس الأخلاقي لتترك جس، في جميع الثقافات لثقلاتها. أستنتج بدلاً من ذلك أن بنية الحس الأخلاقي لتترك وتعرضون للإم وأهواء ليست بذات علاقة. أخلاقية الاستقلالية أو الاتصاف ليست برية فريدة، لقد بين أمارتها شين وعلامة الفاتون ماري أن غنيدون انها ذات جذور مينة في الفسفر الأسوي(7). بالاقبال نجد أن اخلاق الجماعة والأوهة مسيطرة في تربية اخلاق الجماعة التي تساوي الأخلاقية بالالتزام بالمعايير المحلية تقع تحت النسبية وثقافة التي أصبحت نموذجاً في سكن الطلاب. لقد لاحظ علماء الخرون أن طلابهم نجوا فلدن على تفسير لماذا مكثت النازية على خطأ، ذلك لأنهم يشعرون أن من غير لسمح لهم انتقاد فهم ثقافة الأخرى(8). وأؤكد أن طلاب ايماننا هذه يسبحون انظافهم الأخلاقية قائلين: إن مجتمعتنا بعلي قيمة أن يكون المرء خيراً تجاه الآخرين بلق بونالد مسايون على الطريقة التي يتم فيها تقويم الناس بانحناء إلى الخلف بدلاً عندما يتحولون من الاستقلالية إلى الأخلاقية مينة على الجماعة:

إذا امسك شخص فتاة صغيرة لتسرخ، وتقاوم مذعورة، ويقطع جزءاً من عضوها لتسلي بموسى عفة، وخاطله ثانية، تاركها فتحة صغيرة من أجل البول وشفق الطمث فظ، سيكون السؤال الوحيد نكتم سنكون قساوة المطوية التي يجب أن يعاقب بها ذلك الشخص، وما إذا عقوبة الإعدام قاسية بما فيه الكفاية. لكن عندما يفعل هذا ملايين الناس بدلاً من الجريمة المتكررة التي تم تكبيرها ملايين المرات، فإنها فجأة تصبح ثقافة، وبذلك تصبح سحيراً أقل رعباً، بدلاً من أن تصبح أكثر رعباً. وحتى أن بعض للفكرين الغربيين يداخعون عنها، من ضمنهم مناصرون للحركة النسائية. (9)

تضمن اخلاق الجماعة أيضاً إزعاناً لتراتبية راسخة، والمقل (الغربي ضمناً) يدمج التراتبات بالأخلاقية بشكل سهولة. إننا نرى هذا الدمج في كلمات تساوي ضمناً الكلمة الاجتماعية مع الفضيلة: فروسى، طيقي، سيد مهذب، مشرف، نبيل، والرتبة لتتبع مع الذب، طبقة منحطة، أجرة متدنية، حقير، كبريه، رث، وغد التي تمنى بالأصل فلاحاً، مؤقياً. تتوضح أسطورة النبيل في عبادة المشاهير المعاصرة: فأفراد الأسرة اللكية - مثل الأميرة ديانا، ونظيرها الأمريكي جون كينيدي - يتم إسباغ

أفراح القداسة عليهم مع أنهم كانوا أناساً غير استثنائيين أخلاقياً. أتمتع قد دعوت
ديانا أعمال الخير، لكن ذلك كثير أن توصف بأميرة في هذه الأيام وهذا الصرا
تظنرهم الجميلة تنسب هالاتهم أكثر، لأن الناس يقدر أن النساء والرجال
الجمائين هم أكثر فضيلة(10). الأمير شارلز الذي يدعم أيضاً أعمال الخير لن نس
عليه أفراح القداسة، حتى وإن يمت مينة مأساوية.

يخلط الناس - أيضاً - الأخلاقية بالنقاء أو الطهارة حتى في الغرب العلماني هن
كلمات كثيرة تستخدم للتعبير عن النظافة والقدارة، وهي أيضاً كلمات تستخدم
للتعبير عن الفضيلة والخطيئة (نقي، غير ملطخ، مدنس وما شابه) يبدو أن موضوع
هابدت قد دمجت الجنس بالخطيئة عندما أدانت أسكل كلب، وممارسة الجنس
دجاجة مينة، والاستمتاع بسفاح القريس الجماعي (الذي يعمكس مكرهيتها للزينة
تجاه الجنس مع الأقارب، شعور نشأ كدروع ترويي).

قد يكون للخلط العقلي لما هو خير ونظيف عواقب سيئة. فالعنصرية والتمييز ضد
النساء غالباً ما يعرفان كترغية لتجنب ملوثات، كلما في عملية التيد في طبقة البيور
في الهند، وفصل النساء الحائضات عن الرجال في اليهودية المتزمنة، والخوف من
التقاط مرض الإيدز من احتكاكك عرضي برجال شاذين، والمرافق المنفصلة للأطفال
والشرب، والاستحمام والنوم وفق السياسات العنصرية وجيم كراول، والقوانين
والصحية العرقية في ألمانيا النازية، إحدى القضايا المزعجة في تاريخ القرن العشرين
كم عدد الناس الذين ارتكبوا مجازر في الحرب. لقد وثق الفيلسوف جونان غولفر
التشهير العنفي هو تحقير: تخفيض مكانة الضحية أو النظافة أو كليهما. فضعنا يبر
شخص شخصاً من كرامته من خلال المزاج على ممانته، وإعطائه مظهراً مذلاً
مفل، أو إجبارة أن يعيش في شروط قذرة، قد يتبخر تراحم الناس العاديين، ويجوز
سهولة في معاملته وكناته حيوان أو لاشيه(11).

الخلط الغريب بين الإنصاف والمكانة الاجتماعية، والطهارة المكونة لعم
الأخلاقي ينبغي أن يثير شكوكنا بالتوجهات إلى نزعة عاطفية خام في حسم قضايا
أخلاقية عويصة. ففي مقالة بعنوان /حكمة الكراهية/ جادل ليون كاس (الذي سز
منصباً في مجلس جورج دبليو بوش في المبادئ الأخلاقية التي تؤثر على مجرى الأحداث
في الطب والبيولوجيا (Bioethics) أنه ينبغي علينا أن نتخلص عن الحاكمة الأخلاقية
عندما يتعلق الأمر بالاستسماخ، وأن نعضي مع مشاعرنا الشجاعة.

إننا نشعر بالنفور من منطلق استمساخ الكائنات البشرية، ليس لغرابة أو جدة في الموضوع، بل لأننا نعرف حدسياً، ونشعر فوراً ودون نقاش، أنها انتهاك للأشياء التي ندها غالية حقاً. فالعكراهية هنا، وكما في مكان آخر تنثور ضد مبالغات الرغبة البشرية، محذرة ألا نتجاوز ما هو عميق لا يمكن الكلام عنه. لقد غدا - في هذا العصر - بكل شيء مباحاً، طالما أن بالإمكان إنجازها بحرية، العصر الذي فيه طبيعتنا البشرية المعطاة لنا لم تعد تلقى الاحترام الذي فيه تُعدُّ أجسامنا مجرد أدوات لدى إرادتنا العقلية المستقلة. فقد تكونت العكراهية هي الصوت الوحيد المتبقي الذي يعلو كهي ندافع عن التواء المركزية لإنسانيتنا. ضحلة هي الأرواح التي نسبت كصيف زينة (12).

ربما هناك نقاشات جيدة مناهضة للاستمساخ البشري، لكن اختبار الرجفة ليس إبداعاً. لقد ارتجف الناس من جميع الانتهاكات التي لا علاقة لها أخلاقياً بمعايير الطهارة في ثقافتهم. لم مالا يسمع بلسمه، الشرب من ينبوع الماء ذاته كشخص ملون، السماح للدم اليهودي أن يختلط بالدم الأري، التساهل تجاه اللواط بين رجال يلبسون به. فحتى عام 1978 ارتجف أناس كثيرون من الثقافة الحديثة - من بينهم صكاس - في موضوع الإخصاب خارج الرحم، أو وكما سُمِّيَ لاحقاً «أطفال الأنابيب». لكنته بعد الآن ليس استثنائياً، ومصدر سعادة لمئات الآلاف من الناس. أو غداً أنه الحياة بحد ذاتها.

الفرق بين موقف أخلاقي ممكن الدفاع عنه، وبين إحساس دساسة وراثية هو: أن مع الفرق الأول نستطيع أن نقدم أسياً بماً لماذا فتاعتنا صحيحة. نستطيع أن نفسر لماذا تنديب والقنل والأغصصاب أمور خاطئة. أو لماذا يتوجب علينا أن نعارض التمييز المضري والظلم، من ناحية ثانية، ليس هناك أسباب وجيهة يمكن تقديمها وراء الطالبة بقمع الشذوذ الجنسي، أو لماذا ينبغي أن تنصل الأعراق عن بعضها. فالأسباب الوجهية لوقف الأخلاقي ليست مستمدة من هواء رقيق؛ ينبغي أن يكون لها - دائماً - علاقة بما يجعل الناس أفضل حالاً، أو أسوأ حالاً، ولها جذورها في المنطق بأن علينا أن نامل الآخرين بالطريقة ذاتها التي نطالبهم أن يعاملونا بها.

هناك سمة أخرى للمشاعر الأخلاقية هي أن بالإمكان إشعالها أو إطفائها مثل فتاح كهربائي. هذه spinks العقلية تسمى التصعيد الأخلاقي وغير الأخلاقي، وقد درسها روزين مؤخراً في المختبر (13). إنها تتألف من فتاعات عقلية متقلبة تقوم السلوك

من خلال التفضيل مع شاعرات عقلية تقوم بالسلوك من حيث القيمة. هناك نوعان من الناس التنبهيين: من يتجنبون اللحم لأسباب صحية، فيقللون الحمية عن اللحم والسموم، والذين لا يأكلون اللحم لأسباب أخلاقية. خاصة الذين يعتبرون خيلو الحيوان. لقد بين روزين أن بالمقارنة مع نباتية الصحة، يقدم التنبهيون الأخلاقيون أسباباً أكثر لعدم أكلهم اللحم، ولديهم رد فعل شعوري أقوى تجاه اللحم، وهم المحتمل أن يعانون من اكتئاب؛ فليس سبيل المثال، يرفضون أن يأكلوا زبانية حسد سقطت فيها قطعة من اللحم. أما التنبهيون الأخلاقيون فيعتقدون أن الآخرين ينتهزوا ويكفروا تنبهيهم أيضاً. ومن المرجح أن يستثمروا حميتهم بفضائل غير واضحة. كالاتقاد أن أكل اللحم يجعل الناس أكثر عدوانية وحيوانية. لكن ليس التنبه فقط يرتبطون عادات الأكل بقضية أخلاقية. فعندما يعطى طلاب الجامعة الفرصة لطلب الناس، ويطلب منهم أن يصفوا شخصياتهم، فإنهم يقدمون أن شخصاً يأكل سمير الجبن ومفضوض الحليب هم أقل طيبة واعتباراً من شخص يأكل الدجاج والسلق ويشير روزين إلى أن التدخين قد نال مؤخراً سمعة أخلاقية. فطوال سنوات معينة كان قرار التدخين يعد مسألة تفضيل أو حرص: بشكل بسيط، لم يكن الأمر يتمتع بالتدخين، أو كانوا يتجنبونه لأنه ضار بالصحة. لكن بعد اكتشاف نيكوتين التدخين الضارة، فإنه يامل إلى أيامنا هذه، كعقل غير أخلاقي يتم إبعاد الناس وتحميهم، وقد تم استحضار ميكولوجيا الشرف والتدخين كشيء مثير. فالذين لا يدخنون يتجنبون لا التدخين فقط، بل كمثل شيء له احتكاك به هم الشائقي يملكون عرفاً خالية من الدخان، أو طوابق من دون تدخين بالتالي لم يظن الرغبة يفرض عقوبة على المدخنين. لقد صممت هيئة المحلفين شركات التبغ بفرصة مالية ضخمة تسمى وأضراراً عقابية. أوردت هذا لا لكلي أقول أن هذه الفرزات غير مبررة، بل يجب أن تكون حذرين من المشاعر التي قد تكون لدفعها.

في الوقت ذاته، لقد عدت سلوكيات كثيرة أنها غير أخلاقية، التحول من غير أخلاقية إلى خبارات نعت حياة. تشمل الأعمال غير الأخلاقية: الطلاق، اللانزاهية، الأمومة العاملة، استخدام المازيجوانا، الشذوذ الجنسي، العادة السرية. الولد الجنس العموي، الإلحاد، وأي ممارسة لثقافة غير غربية. كلما تم إعادة تعريفنا كشرة من ألمان الخطيئة إلى نزعات الحظ النقص، وأعيدت تسميتهما بشكل مناسب.

فالتشردون فكانوا يُسمون bums، والمتسكعون tramps، وكانت أمراض تشتلل جنسياً تسمى الأمراض الزهرية. ومعظم الذين عملوا على إيمان المخدرات يصدرون على أنه ليس خياراً سيئاً، بل نوعاً من مرض. شكل هذا بوضوح أن الأخلاق هي تحت هجوم بنه النخبة الثقافية، فكما نرى ذلك في الطائفة التي تسمى نفسها الأغلبية الأخلاقية. أما في أوساط اليسار، فالرغبة لإعشاء، أو تشويش stigmatize السلوك الشخصي هي متفرقة وفعمية فكما في تعريف هـ، ميتكنن للتطهر التزمزت (البيوريتانية) «خوف مربع إن شخصاً ما - في مكان ما، قد يكون سعيداً، فكلا الجانبين على خطأ. إننا نخوض حتماً لأن نعد سلوكيات أنها أخلاقية، وكانها حملة تشن تمريضاً عن السلوكيات التي عدت لا الأخلاقية في العقود الأخيرة. لقد حل الناشطون من أجل الدولة الراحية، والذين الجامعية بسياسة اجنبية محل محبي جمع المال والبلو نوز blue nose، لكنن سيكولوجيا إسباغ السمة الأخلاقية هو نفسه، اليك بعض الأمثلة التي البيست لونا أخلاقياً مؤخراً فقط:

الإعلان للأطفال سلامة السيارة: دمية باري سلسلة متوازن الصندوق الكبير. بطاقت مع فكانو الجين ملابس من مصانع العالم الثالث. سلامة مُنتج المستهلك. مزارع ملكيتها جماعية. بحث تمويله وزارة الدفاع، حفاضات الأطفال التي ترمى ككفرون للتوسيد مزحات إثنية، رواتب المدرء، الوجبات السريعة. المفارقة في مكان العمل المواد المضادة إلى الماشغولات، القصور، السمود الهيدروكربونية. اختبارات الذكاء، قطع الأشجار، التمددين، الطاقة النووية، التنقيب عن النفط مزارع العواجن، العطل العامة. عيد كولومبس، عيد مارتن لوتركينغ البحث في الإيدز، البحث في سرطان الثدي، الصلع المُكثَّر، اقتطاعات ضريبية، ألعاب البنادق، المنف على شاشة التلفاز، عيبه بوبلات الموضة.

قد يكون لكثير من هذه الأشياء عواقب ضارة، وما من أحد يريد أن نُستخد. للسائق هي هل تم التعامل مع سيكولوجيا الأخلاق بالمشكل الأفضل (بالبحث عن الأوغاد، إعلاء من شأن المتهمين، واحتكار السلطة لفتح العقاب) أم من حيث التكاليف والفوائد، الحرس والقفاصرة، أو الذوق الجيد أو السمين، فطس سيبيل المثال، يملل التوث كجريمة ندينس المقدس فكما جاء في أغنية staffers لماذا لا نحاول أن نغذ هذه الأرض، ونقطع عهداً ألا نُؤذي ثانية هذه الأرض القدسة. بالإمكان مقارنة هذا الموقف بموقف الاقتصاديين من أمثال روبرت فرانك الذي قال ملمحاً إلى تكاليف

حملات التنظيف: هناك تكلفة هائلة من التلوث في البيئة، وتوجد تكلفة هائلة من القدرة في بيئنا.

إن جميع النشاطات البشرية لها عواقب، وبما أن أغلب الأحيان بدرجات متفاوتة من الفائدة والضرر إلى أقران، مختلفين، لكن لا تفهم جميع النشاطات أنها لا أخلاقية. إننا لا نهدى كراهية تجاه من لا يغير بطاريات إنذار دخان سيارته، ويأخذ أسرته في إجازة، بالتالي يضامف من مخاطر الموت العرضي في حادث، أو ينتقل إلى منطقة زينة مسيياً مزيداً من التلوث واستخدام الوقود في التزود والتسوق. قيادة سيارة تعمل ببطء SUV بعد امرأ ملتبساً أخلاقياً. لكن قيادة سيارة فولفو غازية لا تعد كذلك أهل Big Mac شبيهة، لكن أكل الجبنة المستوردة أو tiramisu ليس كذلك. أن يصبح المرء مدرسياً لسيكولوجيا إضفاء الأخلاقية ينهي الأجمعنا متيلدي الذهن أخلاقياً. باستطاعته أن ينيها إلى إمكانية أن نتخذ قراراً، أن نتعامل مع فعل من مبدأ النية والخطيئة كتنقيض لمنطلق الكلفة والفائدة، وهل تم اتخاذ قرار بناء على أسباب ليس بذات علاقة أخلاقياً. إن معظم ما يسمى اليوم «النقد الاجتماعي» قوامه أفراد الطغاة العليا التي تشجب أدواق الطليقات الأدنى منها (سواءً تسليية رخيصة، وجبات سريعة، وفترة سلع استهلاكية) بينما يعدون أنفسهم من دعاة المساواة.

هناك جانب آخر من السيكولوجيا الأخلاقية التي ترتبط - عموماً - بالتمسك بالبدائي، لكنه حي ومعاش في عقول عصرية: مفهومنا المقدس والمحرّم لبعض أفعالهم تعد ليست ذات قيمة فقط بل مقدسة جداً أيضاً، إنها ذات قيمة متعالية لا نهاية. تتسامى فوق جميع الاعتبارات، ولا يسمح للمرء حتى أن يفكر بعرضها مقابل قيم أخرى، لأن الفكرة بعد ذاتها هي خاطئة وتستحق الإدانة والسخط.

لقد استتبعت عالم النفس فيليب تيلتوك سيكولوجيا المقدس والمحرّم لدى طلاب الجامعات الأمريكية (14)، مسألهم عما إذا كان ينبغي أن يسمح للناس أن يشربوا ويبيعوا أعضاء للزروع، وتراخيص مزادات لتبني الأطفال، وأن يدفع المرء المال كضريبة حق أن يصبح مواطناً، أو أن يبيع الناس أصواتهم في الانتخابات، أو أن يدفع شخصاً شخصاً آخر مالياً كضريبة محكوميته في السجن بدلاً عنه، أو يمضي عنه ضمت إلزامية. ليس مفاجئاً أن معظم الطلاب ظنوا أن هذه الممارسات غير أخلاقية، وبم

إن نمد خارج القانون. لكن ردود أعمالهم سارت حسناً خارج عدم الاتفاق: لقد شعروا بسخط على من يتنادى بقوتنا هذه الممارسات، وشعروا بالإهانة من توجيه هذه الأسئلة إليهم، وأرادوا أن يعاقبوا أي امرئ يتسامح مع هذه القضايا. وعندما ستلوا أن يبرزوا رأيهم، نكل ما استطاعوا قوله هو أن الممارسات ظلمات محفورة، ونحط من الإنسانية، وغير مقبولة. لقد سمع الطلاب إلى التلوع في حملة ضد حركة (مزعومة) لقوتنا إقامة مزاك لمضوق التبني. فطفت مسخطهم قليلاً، وكان لا بأس بقولته بعد سماع النقاشات لصالح السياسات المحرمة مثل إقامة سوق لليناس يضع المزيد من الأطفال في بيوت محبة، وأن ذوي الدخل المحدود سوف يعطون شهادات كفي بشاركتهم.

سالت دراسة أخرى عن مدير مشفى سكان عليه أن يقرر ما إذا ينفق مليون دولار على زرع كبد لطفل. أو أن يستخدم المبلغ على احتياجات أخرى لصالح المشفى. (بالطراء يواجهون هذا النوع من الخيارات طوال الوقت. لأن هناك إجراءات إنقاذ الحياة مكلفة جداً، ولا يمكن تقديمها لكل من يحتاجها). يريد من ستلوا معاقبة الإداري الذي أراد أن ينفق المال على المشفى. وأرادوا أن يعاقبوا المدير الذي اختار إنقاذ الطفل، لكنهم فشروا ملياً قبل اتخاذ القرار. مثلما فعل الممثل الكوميدي جاك بيني عندما قال لى (إما مالك أو حياتك).

ما هو محرم التفكير فيه هو التقييم الأساسية، أمر ليس غير عقلائي. كقولاً: إننا نقيم الناس ليس على ما يفعلونه، بل على ما هم عليه، وليس على ما إذا أعطى شخص أكثر مما أخذ، لكن على ما نوع الشخص الذي سيببلك إذا كان هو في أسفل النهر أو يطفلك في الظهور إذا ما اقتضت مصلحته ذلك. تنقرر ما إذا شخص ملتزم عاطفياً بهلاقة، كصافلاً صدقية وعوده، ينقني على المرء أن يتأكد من كيف يفكر هذا الشخص: ما إذا يمدُّ أن مصالحك مقدسة أم يزينها باستمرار مقابل بعض الفوائد التي يبنها من خلال بيعك. إن مفهوم الشخصية يشارك في الصورة الأخلاقية، ومعه مفهوم الهوية الأخلاقية، مفهوم شخصية المرء التي يتم الحفاظ عليها داخلياً ويتم إسقاطها على آخرين.

يوضح تيتولوك أن في طبيعة التزاماتنا بأناس آخرين فإننا نتفكر أننا نستطيع أن نضع سعراً لهم: تجاوز هذه الحدود المعيارية، وربط قيمة نقدية بصدقات المرء أو أطفاله، أو ولاء شخص لبلاده، يعني أن يحط المرء من مؤهلاته في لعب أدوار اجتماعية محددة، مما يعني ذاته لا يحصل عليها، لا يفهم الشخص ما الذي تعنيه بأن يكون

صديقاً مخلصاً أو أباً أو مواطناً حقاً (15). هذه الموازنة المتناقضة، هذه الموازنات للحرمات التي تفرض قيمة مقدسة مقابل قيمة دنوية (كالمال - أمر بحثنا التالي) فكلما فُكر الإنسان أكثر بمقترحات غير لائقة، ساوم المرء على هويته الأتلي ملتحقاً الضرر بها(16).

لسوء الحظ، السيكولوجيا التي تتعامل مع رغبة ما على أنها ذات قيمة لا تلتزم قد تقضي إلى مخافات. يراجع تيتلوك بعض الأمثلة: شبه الجملة التي قالها ديلاي عن الطعام والمخدرات في قانون 1958 سمحت لتحسين الصحة العامة من خلال منع بيع المواد المضافة الجديدة إلى الطعام، التي تتلوي على أي مخاطرة من التسرطن بد الأمر جيداً، لكنه لم يكن كذلك. لقد تركت السياسة الناس معرضين لزيادة المواد المضافة للطعام الأكثر خطراً وكانت منتشرة في الأسواق. لقد خلقت حفلات الزوار المصنوعين لإدخال مواد مضافة جديدة خطيرة طالما أنها ليست مسرطنة وقد طورت منتجات ربما أتقنت أكثر مما عرضت حياة الناس للخطر مثل polychlorinated بنستخدمه مرضى السكري. وبعد اكتشاف قمامة هائلة في /قناة الحب/ عام 1974، أصدر الكونغرس مادة التمويل الخارقة مما تطلب إزالة ثامنة لجميع مواقع إنتاج الخطرة. لقد اتضح أن ذلك يكلف ملايين الدولارات لتنظيف 10٪ من التفاهات في موق واحد، مبلغ بالإمكان إنفاقه على إزالة مواقع أخرى، أو تقليل مخاطرة صعباً غير لذلك توقف التمويل الوافر قبل أن يزال قسم من التفاهات من مواقعها. فكان نيك على الصحة الأمريكية مثار جدل بعد تسرب النفط في إكسون فالديز، 45٪ تضر تم استجوابهم في أحد الاستطلاعات قالوا إن البلاد يجب أن تتبع وسائل حلها بين أكبر بعض النظر عن التكلفة. فإذا أخذنا ذلك حرفياً، فإنه كان يعني أنهم كانوا مستعدين لأن يتفخوا جميع المدارس والشايف ومراسكز الإطفاء، والشرطة، وبنوقاير تمويل البرامج الاجتماعية، والأبحاث الطبية، والمنومات الخارجية، والدفاع الوطني، /يزيدوا ضريبة الدخل إلى معدل 799 إذا كان ذلك ما تكلفه حماية البيت.

يشير تيتلوك إلى أن هذه الإخفاقات قد حصلت لأن السياسي الذي يقدم بطل نزاهة بهذه الميزانيات التي لا ترحم سوف يصب لأنه انهمك محرماً. سيُعد منبأ أن سمح للسموم في طعامنا ومياهنا، أو أسوأ من ذلك «فرض قيمة دولار على البنية البشرية». لقد أشار محللون سياسيون إلى أننا «عالقون ببرامج إسرائيلية لا نؤمن المساواة، لأن أي سياسي يحاول إصلاحها، فإنه يرتكب انتهاكاً سياسياً. أما للذين

الأطباء فسبغوا الإصلاح بلفظ المحرم «التهالك إيماننا بمن هم أكبر سنًا». «خيانة
تلك الجنود القدسة الذين خاطرنا بحياتهم من أجل بلدهم»، «وتخفيض الموازنات
المخصصة للرعاية وتعليم الشباب».

في مقدمة الكتاب، أسهمت الصفحة البيضاء عقيدة مقدسة، والطبيعة البشرية
محرماً، فهذا بالإمكان قوله ككفر ضربة تنقية. ضرورة الحركة العلمية الراديكالية
كانت أن تسبخ الأخلاقية على الدراسة العملية للعقل، ولضم عقلية التحريم لقد رأينا
في الجزء الثاني، السخط، ومعاينة البراطنة، والرفض مناقشة مزاعم حكماء قبل
عنها، التطهير الأخلاقي عبر البيانات والمظاهرات، ووسائل الإدارة العامة. واهتزت بأول
أركان الفكر والتفكير فيها لا بد أن يؤدي إلى إثارة مشاعر الكراهية. وشجب العلماء
الأقل إنسانية الذين يستطعمون أن ينكروا بشي كهداء، لكن وظيفة العلماء هي أن
ينكروا بالأشياء، حتى لكي يوضحوا لماذا هي خاطئة، بالتالي فإن إسباغ الأخلاقية
والدراسة العلمية تجدان نفسيهما في مسار تصادمي.



التعليل الذي لا يرحم للخصم الأخلاقي البشري لا يعني أن الأخلاقية رياء، أو أن
كل شخص أخلاقي مثزمت هو شخص مستقيم. فقد تكون سيكولوجيا الأخلاق
عميقة في العاطفة، لكن فلاسفة عدة قالوا إن الأخلاق لا يمكن أن تتربص في العقل
وعدم باي شكل من الأشكال. حكماء كتب هوم «ليس نقياً للعقل أن تفضل معار
العالم كله على (خريشة) من (صعبي)» (17). فمشاعر المحبة، والامتنان، والذنب هي
الأسل لأفعال طيبة ككبيرة وصغيرة لا تحصى، وغضب محق محدود، وبقية أخلاقية
لا بد أنها كانت لدى قادة أخلاقيين عظام عبر التاريخ.

بنوع غلوفر أن مجازر القرن العشرين قد وضعت في حالة في حركة، عندما تكون
الشاعر الأخلاقية عاجزة عن الفعل. لقد تم إسكات أناس محترمين بارتكاب أعمال
مرعبة من خلال قضايا لا أخلاقية متنوعة، مثل الأيديولوجيات الطوباوية، وقرارات
مرحلة (الأهداف فيها القصف بالقنابل، ربما انخرقت عن مصانع ممزولة إلى مصانع
قرب لندن أو إلى جوارها)، وانتشار غياب حمس المسؤولية ضمن الطبقة البيروقراطية،
هذا الإحساس بالمسؤولية فكان يعد حساً أخلاقياً، والشعور بالتعاطف مع الضحايا، أو
أن يطرح المرء على نفسه سؤال الهوية الأخلاقية «هل أنا هو ذلك الشخص الذي استطاع

أن يفعل هذا؟ هذا السؤال أوقف الناس في منتصف الجزيرة. الحس الأخلاقي الذي يتقوى ويتسع بالمحاكمة العقلية ، وبمعرفة التاريخ - هو الذي يقف بيننا وبين ظهور مجنون مختلين عقلياً لا رحمة لديهم.

بهذا أن هناك المزيد مما نعتز منه في إسباغ الأخلاقية على البشر: خلق الأفعال مع مرتبة اجتماعية ، والتطهر - في الإغراء أن نبالغ في إسباغ الأخلاق على صقل التقويم والحكم. إننا بذلك نهبج العدوان على من لا نتفق معهم، فالحرمان المورث على التفكير بالتوازنات المتناقضة لا يمكن تجنبها ، والرذيلة عقلية الحضور في إنز الذات، عندما توضع الذات إلى جانب الملائكة. فكان هنتر داعية أخلاقياً لتبني أخلاقياً) وكان مقتنماً بصحة قضيته التي فكان يسوق لها مبررات كثيرة فكان لا المارخ إيان بورما: هذا يوضح - من جديد - أن المؤمنين الصادقين قد يظنون لغير خطأ من فاعلين نهكهم بين فالتوع الأول عليه أن يمضي إلى النهاية - وجر العالوس إلى أسفل ، بينما النوع الثاني قد يمزق لشفاً (18).

القسم الخامس

أزوار ساخنة

غالباً ما يرافق بعض النقاشات هوية الناس الأخلاقية لدرجة أن المرء قد يبش من يخطئها حسماً عن طريق العقل والبينة. لقد وجد علماء النفس الاجتماعي أن في تصانبا الأخلاقية التي ينقسم الناس حولها - خاصة تلك القضايا التي لا يتفق حولها الليبراليون والمحافظون - أنهم متأكدون من أنهم معرّضاً على صواب، وأن خصومهم لهم دوافع أخرى. إنهم يجادلون بدافع الاحترام للتقاليد الاجتماعية بأن على المرء أن يتم دائماً عللاً لأرائه. وعندما يدحض النقاش حججهم، فإنهم لا يغيرون أراهم، بل يملون جاهدين لإيجاد نقاش بديل. فالنقاش الأخلاقي - بعيد عن حسم العدوات - قد يسدها، عندما الناس على الجانب الآخر لا يدعون مباشرة، مما يثبت أنهم غير ينتج على العقل(1).

لا يتضح هنا - ولا في مكان آخر - أكثر مما يتضح في الموضوعات التي سوف نعرضها في هذا الجزء من الكتاب. فإزاء الناس في السياسة، والنفق، والجنس، والإقبال، والفنون تساعد في تحديد نوع الشخص الذي يعتقدون أنهم ذلك النوع، وكذلك نوع الشخص الذي يريدون أن يكونوا مثله. إنهم يثبتون أن الشخص مناهض للاضطهاد، وعدم إنصاف النساء، وكرهامية الآداب والفنون، وإساءة معاملة الأطفال أو إعادتهم لكن لسوء الحظ، في هذه الآراء افتراضات حول البنية النفسية للإنسان عامل وقد يجد الوجدانيون أنفسهم - دون فطنة منهم - أنهم عالقون في مراكز ذات سائل تجريبية في موضوعات علم الحياة أو علم النفس. عندما تدخل الحقائق العلمية قسا يتزعم تماماً بتوقعاتها. وإذا ما فعلت ظن يكون علينا أن نمارس العلم في المقام الأول فتدعنا نسيح حقائق على بقررة مقدسة، وبالتالي يعيل الناس إلى طمس الحقائق. يبدو ثقيلة على المناقشة، لأن الحقائق تهدد شكل ما يعنونه مقدساً. وهذا الأمر يترسنا غير مزودين للتعامل مع تلك المشكلات فقط، التي يحتاج لها إلى حقائق جديدة وتحليلات كفي نعالجها.

مشهد علوم الطبيعة البشرية منشور بهذه المسارات الثلاث: مناطق ساحنا. وكثير
سوداء. وتشير نوبل. لقد اخترت خصماً عنها كفي تناولها في الفصل التالي. بعد
شرك الصرق. والميل الجنسي. والتربية، وإيمان الطهرات، والاختلال العقلي للم
اكتشف علماء النفس أنه حتى في ممالك إيدولوجية جامية، هناك أرضية مشتركة
بالإمكان العثور عليها. إذ يتبني على شكل جانب أن يعترف أن الآخر بجوار من من
أيضاً. وأن كلاهما يتشاركان قيمياً محددة، ويختلفان فقط على ماذا يؤمنان
فضايا يتصارعان عليها. وإيجاد تلك الأرضية المشتركة هو الهدف في هذه التفرقة
القائمة.

الفصل السادس عشر

في السياسة

اعتقد أن الأمر كوميدي

كهدف لخدمة الطبيعة دائماً

أن كل ولد يولد

مولود في العالم جيداً

إما ليبرالياً قليلاً، أو محافظاً قليلاً (1)

لقد تلقت جيلبرت وسوليفان الأمر بشكل يكاد يكون صحيحاً في عام 1882. فالواقف السياسية الليبرالية والمحافظة هي موروثه، إلى حد كبير، مع أنها بعيدة عن أن تكون موروثه تماماً. فعندما يتم فحص توأمين متماثلين منفصلين عند الولادة، عند بلوغهما يتضح أن مواقفهما السياسية متماثلة (مع معامل علاقة 0.62 على مقياس من -1 إلى +1). فالواقف الليبرالية والمحافظة موروثه ليس لأن المواقف تصاغ مباشرة من قبل د. ن. أ. بل لأنها تأتي بشكل طبيعي إلى الناس ذوي طبائع مختلفة. فليس سيبل مثال، يميل المحافظون إلى أن يكونوا سلطويين، ولديهم وجدان، وتقليديين وملتزمين بالثوابن لكنهم يمكنهم المصدر المباشر، فإن توريث المواقف السياسية يستطيع أن يسر بعضاً من الشرارات التي تتطاولر عندما يلتقي الليبراليون والمحافظون. فعندما يتلقى الأمر بمواقف وراثية يتفاعل الناس بسرعة وعاطفية أكثر، ويكون تغيير آرائهم أضعف، ويتجددون أكثر إلى من يماثلونهم في الذهنية(3).

التزعة الليبرالية والمحافظة ليس لهما جذور وراثية وحسب بل جذور تاريخية وفكرية أيضاً. لقد صيغت الفلسفتان السياسيستان في القرن الثامن عشر في كلمات ماكوف لدى قارئ صفحات التحرير اليوم، وبالإمكان تتبع أساساتها إلى آلاف سنين، إلى الجدالات السياسية في اليونان القديمة. خلال القرون الثلاثة الماضية، وقد

حدثت انتفاضات كثيرة في هائلين الفلسفتين، على شاكله الانتخابات الهما في الديمقراطية الحديثة.

يدور هذا الفصل حول الروابط الفكرية بين علوم الطبيعة البشرية والحدس السياسي بين اليمين واليسار في الفلسفات السياسية. فالرابطة ليست سرية. ففي أشار الفلاسفة - منذ زمن بعيد - إلى أن شكلا الفلسفتين ليستا مجرد نظم فكري سياسية، بل نظم تجريبية تمت جذورها في مفاهيم مختلفة حول مفاهيم الطبيعة البشرية، وقابلية تفجر علوم الطبيعة البشرية يلقى عجباً قهلاً، فسيكولوجيا التطور وعلم الوراثة السلوكي، وبعض أقسام علم الأعصاب المعرفية يُعدّان أنهما على البير السياسي على نطاق كبير. لا أحد يمكنه أن يفهم الجدالات الدائرة حول العقل والدماغ، والوراثات، والتطور من دون فهم ارتصافها في مسارات سياسية فيها خاطئة. لقد عرف ي. و. ويلسون هذا الأمر متأخراً؛

لقد كنت منحازاً - وبشكل أعمى - إلى الهجوم على علم الحياة الاجتماعي وبعد أن توقفت بعضاً من النار من المقدمة من علماء اجتماع بناء على أسباب واضحة لكنني تقيت - بدلاً من ذلك - بطلقة سياسية من الخاصة، فهدش مراقبون قليلون من أتم فوجئت بذلك جون مينيارد سميت، عالم أحياء تطور، وماركسي سابق قال إنه لا يجب الفصل الأخير من كتاب علم الأحياء الاجتماعي، وكان ذلك واضحاً تماماً لي؛ لا أستطيع أن أصدق أن ويلسون لم يكن يعلم أن هذا سوف يهدد عدوة كبيرة لدى أمريكيتين ماركسيين، ومن الماركسيين في شكل مسكان. في عام 1971 كنت سائماً سياسياً؛ لم أكن أعرف شيئاً عن الماركسية، سواء كعقيدة سياسية أو طريقاً في التحليل لاني اعترت اهتماماً قهلاً، إلى ديناميات التشطاء اليساريين، ولم أكن قد سمعت بالعالم لصالح الناس. كما أنني لم أكن متقناً حتى بالعض الأوروبي في كامبريدج للكلمة(4).

فكما سوف نرى، كانت علوم الطبيعة البشرية الجديدة تردد صدى الافتراضات كانت تاريخياً أقرب إلى اليمين من قريها من اليسار. لكن مساراتها - في يومنا هذا - ليس بالإمكان توقعها. فالثمة بأن هذه العلوم هي محافظة لا علاج لها إنما تأتي من القطب اليساري، المكان الأسطوري الذي منه تتكون جميع الاتجاهات صحيحة يد أن التداخات السياسية لبدا الطبيعة البشرية لم تقطع تماماً البعد المحافظ الليبرالي.

يستحضر منظرون وسياسيون كثر علم التطور والوراثة لكي يناقشوا دعاماً عن
حليلات اليسار.

علم الطبيعة البشرية خاضعة على زرين ساخنين سياسياً. وليس على زر واحد.
إريك هو، وكيف تصوغ مفهوم الكهبان الذي يسمى «مجتمعا»؟ لقد أوضح الفيلسوف
جوليس روجر ماسترز كيف أن السوسيوبولوجيا (ونظريات متعلقة به يستحضر
تطور، والوراثة وعلم الدماغ)، فانحاز - دون أن يدري - في نزاع قديم بين ثرائين في
هم النظام الاجتماعي. (5)

ففي تراث علم الحياة الاجتماعي، المجتمع كبنوة عضوية متماسكة،
وطاؤها الأفراد هم مجرد أجزاء. فالتاس يمتدنون أنهم اجتماعيون بحكم طبيعتهم
زائها، ويملون كعضونات لعضوية خارقة أكبر. هذا هو تراث أفلاطون. هيلن،
ماركس، دوركهايم، وفيسر، ككروبير، وعالم الاجتماع تالكوت بارسونز،
الثنويولوجي ليفي شتراوس وحركة ما بعد الحدثة في الإنسانيات والعلوم
الاجتماعية.

في تراث المقد الاجتماعي والاقتصادي، المجتمع هو تدبير تتم التفاوض عليه عن
طريق أفراد عقلانيين ومهتمين بذواتهم. فالمجتمع ينهض عندما يتفق الناس أن يضخوا
بعض من استقلاليتهم مقابل حصولهم على الأمن. إنه تراس ماخوس في جمهورية
نلاطون، وميكافيلي، وهوبس، وروسو، وسميث، وبينهام. في القرن العشرين أصبح
الاساس للعامل العقلاني أو نماذج «الإنسان الاقتصادي» في الاقتصاد وعلم السياسة
بصالح تحليلات التكلفة والربح في الخيارات العامة.

فالنظرية الحديثة للتطور تسقط مباشرة في تراث العقد الاجتماعي إنها تصون
تلك التعديلات المقددة (ومن بينها) استراتيجيات سلوكية نشأت لكي تفيد الفرد،
والورثات لمصالح تلك الخصائص داخل الفرد) وليس المجتمع، أو التسوع أو المحيط
الحيوي (6) بنشأ التنظيم الاجتماعي عندما تتكون الفوائد بعيدة المدى للفرد أثقل وزناً
من التكاليف المباشرة. لقد كان داروين متأثراً بأدم سميث وبالعديد من خلفائه الذين
يطلقون تطور الميل الاجتماعي باستخدام أدوات تخرج مباشرة من الاقتصاد مثل نظرية
بنا، وأساليب أخرى في بت روح التنازل.

الفكرة التبادلية - على وجه الخصوص - هي مفهوم تقليدي للمقد الاجتماعي في ثانياً في كلمات بيولوجية. بالطبع، لم يكن البشر انزاليين أبداً، (كما افترض روسو وهوبس، فكاننا على خطأ). ولم يدشنوا العيش الجماعي من خلال اللامع على عقد في مكان وزمان محددين. فالجماعات، والعشائر، والقبائل، وجماعات اجتماعية أخرى هي أمر مركزي للوجود البشري، وهي كذلك طالما نحن نوع لفظ منطلق المقود الاجتماعية ربما حرك تطور القدرات العقلية التي تبيننا في هذه الجماعات.

التأثيرات الاجتماعية هي جائزة تطويرية تنشأ عندما تتفوق مكاسب جماعة ما على التكاليف. (7) فمع محيط حيوي مختلف قليلاً، وتاريخ تطور، ربما انتهينا من أبناء عمومنا القدرة التي كانت منزلة كلياً تقريباً. ووفقاً لبيولوجيا التطور، تضطرب جميع المجتمعات - الحيوانية والبشرية - بصراعات المصلحة، وتتماسكها بخلاط متفجرة قوامها السيطرة والتعاون.

لقد رأينا في هذا الكتاب كيف تصادمت علوم الطبيعة البشرية مع تراث البيولوجيا الاجتماعية. لقد سيطر اعتقاد على العلوم الاجتماعية أن الحقائق الاجتماعية تعيش في عالمها الخاص بها، منفصلة عن عالم عقول الأفراد. وفي الفصل الرابع، رأينا مفهوماً بديلاً في الثقافات والمجتمعات ينشأ عن أفراد يراسمون استراتيجياتهم ويفرضون الاتفاقات الضمنية التي تلعب خلف الواقع الاجتماعي. ورأينا كذلك، كيف أن هزافاً عن الشكل الاجتماعي كان هرطقة رئيسة لعلم الاجتماع لدى ويلسون، وأر أولوية المجتمع كانت أساساً في الماركسية، ولعبت دوراً في احتقارها لصالح الأفراد.

التقسيم بين التراثين الاجتماعي والاقتصادي منحاز إلى التقسيم بين اليسار السياسي واليمين السياسي، لكنه انحياز أولي فقط. فالماركسية هي بكل جلاله التراث الاقتصادي، ونزعة السوق الحرة المحافظة هي بكل جلاله في التراث الاقتصادي. ففي ستينيات القرن العشرين الليبرالية، أراد ليندن جونسون أن يصوغ مجتمعاً عليه بينما أراد بيير تروودو مجتمعاً عادلاً. وفي سنوات الثمانينيات المحافظة قالت مارتريت تانشر ولا وجود لشيء اسمه مجتمع. هناك أفراد - رجال ونساء - وهناك أسود لفظ فكما يوضح ماستر، ودور كتابهم، وبارسونز الذين كانوا لصالح التراث الموسيولوجي، إلا أنهم كانوا محافظين أيضاً.

يستطيع القرء أن يرى بشكل وضوح مكثيف أن المعتقدات المحافظة تفعلل الحفاظ على الوضع كحكيان ، وبذلك تلعب على رغبات الأفراد . بالمقابل ، مكان لوك لا تراث جسد الاجتماعي ، لكنهم مكان قديساً حامياً للبرالية . وكان روسو الذي صاغ مصطلح العقد الاجتماعي؛ إلهاماً للمفكرين الليبراليين والثوريين. العقود الاجتماعية - على أي عقد - قد تقدم غير عادلة لبعض الطرفين عليها . وقد يتوجب إعادة التفاوض عليها باستمرار ، أو أن ترسم ثانية من مسودة إلى ثور.

وبذلك يستطيع العدماء بين التراثين السوسولوجي والاقتصادي أن يفسر بعض حمرة التي يتكلم علوم الطبيعة البشرية. لكنها ليست مماثلة لمحافظة النار بين تيار السياسي واليمين السياسي. وبشيء الفصل سوف تتحرى الزر الأكثر سخونة:

نور الثاني



يضم محور اليمين - واليسار مجموعة مدعشة من المعتقدات التي تبدو للوهلة الأولى ، ليس هناك ما هو مشترك بينها. فإذا علمت أن شخصاً ما هو في صفوف جيش قوي - في سبيل المثال - فمن المستحسن أن تراهن على أن ذلك الشخص هو إلى جانب تضابط القضائي بدلاً من الحماسة القضائية. أن يعتقد شخص بأهمية الدين ، يكون من الصعب أن يتخذ موقفاً مؤيداً للجريمة أو لصالح ضرائب أقل. ويميل مار سياسة عدم التدخل الاقتصادي إلى تمييز النزعة الوطنية والمالية ، ومن المحتمل يكون جلهم كقولاً أكثر مما يكونون شيئاً . وبرغماتيين بدلاً من مثاليين ، بلين للقد بدلاً من متسامحين ، ومهالين إلى العكفاء بدلاً من المساواة ، ويؤمنون بزع بدلاً من الثورة ، وفي المعامل التجاري بدلاً من الجامعة أو وكالة حكومية. إن لك التناقضة لتجمع بشكل مألوف: فإذا ما كان شخص متحمساً لإعادة تأهيل زين أو إلى عمل يؤكده الذات ، أو إلى برامج سخية في خدمة الصالح العام . أو إلى اهل مع الشؤون الجنسي ، فإن الفرص جيدة لأن يكون أيضاً داعية سلام ومن ار البيئة ، ونشطاً سياسياً ، وداعية للمساواة ، وعلمانياً وأستاذاً جامعياً أو طالباً .

لماذا ينفص على معتقدات الناس حول الجنس أن تبنى بمعتقداتها حول حجم كرك؟ وما هي علاقة الدين بالضرثها؟ وما هي الرابطة بين بنية صرامة للسنور بتار الصادم للفر؟ قبل أن نتمكن من فهم لماذا المعتقدات حول الطبيعة البشرية

التفورية قد تحفل بمتعدات ليبرالية أو محافظة. ينبغي علينا أن نفهم لماذا تلتقي
المتعدات الليبرالية مع متعدات ليبرالية أخرى، ومتعدات محافظة مع متعدات
محافظة أخرى.

إن معاني الكلمات لا تقدم عوناً، فالماركسيون في الإتحاد السوفييتي وماله أطلق
عليهم اسم محافظين، وسمي ريفان وتاتشر ثوريين، هالليبراليون هم كذلك عمال
السلوك الجنسي لكنهم ليسوا كذلك تجاه ممارسات التجارة والأعمال، ويهدد
المحافظون الحفاظ على المجتمعات والتراث، لكنهم يفضلون اقتصاد السوق الذي
يفسدهم فالذين يسمون أنفسهم وليبراليين ككلاسيكيين، من المرجح أن يسمون
محافظين من قبل أنصار النسخة اليسارية المعروفة بالصوابية السياسية.

لا يستلخ معظم الليبراليين والمحافظين المعاصرين إدراك أنهم هم نوى (جمع نوى)
نظمهم العقائدية. إذ يظن الليبراليون أن المحافظين هم مجرد بوتسوافراطيين لا
أخلاقيين، ويمتد المحافظون أنك إذا لم تكن ليبرالياً قبل بلوغك العشرين من العمر
فليس لديك قلب، وإذا غدوت ليبرالياً بعد العشرين فلا دماغ لديك (ينسب هذا القول
إلى جورج شكليمنصو، ودين انجي Inge، وبينيامين ويزابلي، وموريس مائزليشكا).
التحالفات الاستراتيجية - مثل الأصوليين القديسين، وتكنوقراط السوق الحرة، على
اليمن، أو سياسيو الهوية وأنصار الحرية المدنية على اليسار - قد يحيطون البعث من
أي جزء، كمشترك ثقلياً بحل النقاشات السياسية: ما إذا معدلات الضريبة التي ينبغي
أن تكون تماماً كما هي، أو بضع نقاط أعلى أو أقل هي فقط لا تحتوي على معلومات
تقضي بها.

المحاولة الأبرز لاستقصاء البعد الضامان وراء ذلك قام بها توماس سويلowell في
كتابه (صراع الرؤى) (8)، إذ ليس شكل صراع أيديولوجي يناسب خبطة توماس، لكن
مثما تقول في علم الاجتماع، لقد تمكّن من تحديد عامل يستطيع أن يواجه نسبة
كبيرة من التباين، يشرح سويل نظريتين لطبيعة الضكائنات البشرية، وتم التعبير عنها
في أنفسي مسوورها من قبل إدموند برونك (1729 - 1797) راعي النزعة الحافظ
العلمانية، ووليم غودوين (1756 - 1836) المقابل البريطاني لروسو. في العصور الثامنة.
ربما أشير إليهما كتنظريتين مختلفتين لإمكان بلوغ كمال الإنسان، وبسببهما سويل
النظرة المقيدة، والنظرة غير المقيدة، وسوف أشير إليهما بمصطلحي النظرة الأسلوبية.
والنظرة الملويابية (9).

في النظرية المساوية محدودون بطبيعاً في معرفتهم، وفي الحكمة والفطنة، وجميع الترتيبات الاجتماعية ينبغي أن تترتب بتلك الحدود. لقد قال بنديك الأشياء التالية، تناسب الفئتين أكثره، وكتبه كعناصير من الخشب المتحني للبشرية، لا يمكن صناعة أي شيء مستقيم، فالنظرية المساوية مرتبطة بـ: هوس، بريك Burke، حيث، ألكسندر هاميلتون، جيمس ماديسون، الفقيه القانوني ونادل هولز N، والإقتصادي ريتشارد وسينسر.

في النظرية الطوباوية، الحدود السببولوجية هي مستطمة تتأتى من تراثياتنا الاجتماعية، ولا ينبغي أن تسمح لها أن تقيد نظرتنا عما هو ممكن في عالم أفضل. بيدوما قد يكون بعض الناس يرون الأشياء كما هي ويسألون لماذا؟ إنني أحلم بإنهاء لم تكن موجودة أبداً أو أسأل لم لا؟ هذا الاقتباس ينسب في أغلب الأحيان إلى ليون ستينهات القرن العشرين الليبرالية، روبرت. فـ كينيدي، لكن الذي صاغها أصلاً هو الاشتراكي الغامبي جورج برنارد شو (الذي كتب أيضاً، لا وجود لشيء بالإمكان تغييره أكثر من الطبيعة البشرية عندما تؤخذ المهمة باليد ميكراً بما فيه الكتابية 10K). ترتبط النظرية الطوباوية، بروسو، غودوين، كوندورسكيت، توماس بين، والعلامة القانوني إهرل وراي، والاقتصادي جون كينييث غالبريث، ودرجة أقل بالفيلسوف السياسي رونالد دوركين.

في النظرية المساوية مشاعرنا الأخلاقية – بصرف النظر عن حكم هي خبرة – مرتبطة على أساس متخري، من الأناثية أكثر عمقاً. فالأناثية هي ليست القسوة أو عنوان للخلل عقلياً، بل خلق على وجودنا الذي هو جزء من تكويننا الذي نادراً ما ننظر به، ونسجد وقتنا نندب عليه أو نحاول إلهامه. في كتابه /نظرية المشاعر الأخلاقية/ مكتب آدم سميث:

دعنا نفترض أن إمبراطورية الصين العظيمة، وبشكل تعداد سكانها، يتم ابتلاعها بجزء أرضية، ودعنا نتأمل كيفية رجل من البشر في أوروبا ليس له أي علاقة مع ذلك الجزء من العالم، سوف يتفاعل بناء على ذكاه مكتسب لهذه البلية المرعبة.

ففي البداية، تصور أنه سوف يعبر عن أساء بشكل قوة على سوء حظ التصماء، وسوف يفكر بأفكار سوداوية حول شكوك الحياة البشرية، وغرور بكل أعمال البشر التي تنتهي على هذا النحو في لحظة. وربما سوف يدخل في تعليقات تتلقت بالنتائج الناجمة عن هذه الصكارة على تجارة أوروبا، والتجارة والأعمال العالمية عموماً. وعندما

تنتهي شكل هذه الفلسفة الجديدة حول جميع هذه المشاعر الإنسانية التي تم التعبير عنها بشكل جميل، سوف يتابع عمله أو ممتته، أو يأخذ راحته أو تحولته، بالسوء والتهور، لنفسهما وكان حاداً كهذا لم يقع المكارثة الأسخف التي قد تلج به سوف ظهر انزعاجاً حقيقياً أكثر. فإذا كان سيقتد اسميه الصغير غداً، فإنه لن ينام لهذا، لكن شرط ألا يراها أبداً، إنه سوف يشخر وهو في أعظم درجات الأمن على انفسر مائة مليون شخص من أخوته البشر. (11).

زد على ذلك، في النظرة المأساوية، لم تعتبر الطبيعة البشرية. فالثورات التي، العائلة، التقاليد الاجتماعية، شركها الجنس، والمؤسسات السياسية هي بعض خلاصة لأساليب اختبارها الزمن، تسمح لنا أن نعمل على أخطاء الطبيعة البشرية إما قابلة للتطبيق على البشر اليوم كما كانت عندما طورت، حتى لو لم يتمكن شخص أن يفسر مبررها المطلق. فالجتمع الذي يشكو من نفس ينبغي أن يتخسر بسوء واستلاب الماضي الحقيقي، ولا يتخسر بانسجام ووفرة مستقبل متخيل. إننا محظوقين بما فيه الكفاية لكي نميش في مجتمع يعمل، بشكل أو بآخر، وأوليتنا ينبغي ألا تكون إلاغلافه لأن الطبيعة البشرية دائماً تتروكنا متأرجحين على حافة البرية. وما أنه ما من ذكي يستطيع أن يتبأ بسلوك كائن بشري واحد، ناهيك عن ملايين البشر المتفاعلين مع المجتمع، لذلك ينبغي ألا نثق بأي معادلة لتغيير المجتمع من القمة إلى القاعدة، لأن من المحتمل أن تتولد عواقب لا نريدها، والتي قد تكون أسوأ من المشكلات التي من أجلها تم إيجاد الصيغة. أفضل ما يمكننا أن نأمله هو تيرين إضافية يتم تعديلها باستمرار وفقاً للتقنية الراجعة حيال كمية العواقب العنا والسببية. كما يتوجب علينا ألا نهدف إلى حل المشكلات الاجتماعية كالعرياء في القفر، لأن في عالم يتنافس أفراد، فإن مكسب شخص قد يكون خسارة شخص آخر. أفضل ما يمكننا فعله هو أن نوازن بين تكلفة مقابل تكلفة أخرى من الكلمات الشهيرة التي كتبها بيرك بعد نهاية الثورة الفرنسية:

ينبغي على المرء أن يقارب أخطاء الدولة مثلما يقارب جراح أب، برهة تقرب واستشارة مرتعشة. بهذا الانحياز الحكيم نتعلم أن ننظر برعب إلى أولئك الأطفال من يدهم الذين يحرّضون بكل طيش كي يقطعوا ذلك الأب الكهل قطعاً، ثم يوضع في قدر المسحرة على أمل أنه عن طريق أعشابهم المسامة، وتوميذاتهم الوحشية أن يربوا المستور الأبوي ويجددوا حياة أبيهم. (12).

في النظرة الطوباوية لتغيير الطبيعة البشرية مع الظروف الاجتماعية، بالتالي للإسناد التقليدية ليس لها قيمة ملازمة. هذا ما كان آنذاك، وهذا ما هو الآن، التقليد هي يد الماضي الميتة، وهي تحاول التحكم من القبر. يجب أن نقال وبشكل واضح، لكي نكون بالإسكان تطبيق مبررها ومساكناتها الأخلاقية أن يتم تلييها. وإن تقليد كثيرة تفشل في ذلك الاختيار: إغشاء النظرة تجاه وثائق الجنسي، والجنس في مرحلة ما قبل الزواج، خرافات الدين، ظلم الأبناء وأرثيات الفصل العنصري، مخاطر النزعة الوطنية فكما يوضحه شعار «بلدي، سواء كان ذلك عن حق أم باطل»، إن ممارسات مثل المكعبة المطلقة، والرقق، والحرب، نظام البطريركي، التي بدت لا بد منها، قد تلاشت أو خبت في أصقاع عديدة من عالم عبر تيارات في المعارف الحديثة التي ظن في الماضي أنها كانت تمد جذورها في الطبيعة البشرية. زد على ذلك، وجود المماتاة والظلم يقدم لنا إلزاماً أخلاقياً لا سبيل إنكاره؛ إننا لا نعرف ما الذي يمكننا إنجازه حتى نحاول، والبدل هو أن نقبل أنفسنا عند ارتكاب هذه الشرور على أنها سبيل العالم، هو أمر يتم عن انعدام الضمير.

في جنازة روبرت كينيدي، اقتبس أخوه إدوارد من أحد خطبه الأخيرة:

في نهاية الأمر سوف نحاسب، وبينما نتقضي السنون سوف نحاسب أنفسنا بشكل نضيد، ما الجهد الذي شاركنا فيه لبناء مجتمع عالمي جديد؟ وإلى أي حد سحكت يه منّا العليا وأهدافنا ذلك الجهد؟

الاستقبال لا ينتمي إلى الذين هم راخسون عن اليوم، لا مبالين تجاه المشكلات البمة وتجاه زملائهم البشر، جبناء وخائفين في وجه الأفضكار الجديدة، والشروعات المبسرة بالأحرى سيخون وقتاً طويلاً لمن يستطيعون أن يعجزوا رؤية العقل والشجاعة مع التزام شخصي بالمثل العليا والشروعات المطيعة في المجتمع الأمريكي. قد يقع سبقتنا خارج نظرتنا، لكننا ليس خارج سيطرتنا كلياً. إنه التنبؤ المشكل لأمريكا أنه لا القدر ولا الطبيعة ولا أحد وجزر التاريخ الذي لا سبيل لمقاومته. بل عمل أيدينا نحن منسجماً مع العقل والمبدأ، سوف يحدد مصيرنا. هناك اعتزاز في ذلك، بل حتى معرفة، لكن فيه أيضاً تجربة وصدق، ففي أيّ حادثة إنه السبيل الوحيد الذي تستطيع أن تعمش. (13).

من هم في صف النظرة المساوية لا تحريكهم التصريحات الوثائق التي تسيطر
المستطعم الجمع نحن ، نا . من المحتمل أكثر أنهم يستخدمون الضمائر مثل حوار
البورسوم الكورنوي pogo بولو: لقد قابلنا العدو ، والعدو هو نحن. إننا جميعاً أفراد من
النوع تنقسم ذي العيوب. وضع نظرتنا الأخلاقية في حيز التطبيق يعني فرض إرادتنا على
الأخرين. فالشهوة البشرية للسلطة والتقدير تتراقبان مع هشاشة خداع النفس
والاستقامة الذاتية. فيخلق ذلك دعوة إلى صكارتة وتكون أسوأ شيء عندما تكون تلك
الطاقة موجبة إلى هدف دونكيشوتي صكاستعمال المنفعة الذاتية البشرية فكما يحضر
الفيلسوف المحافظ أوكشوت oakshot أن نحاول فعل شيء محال فطرياً. فإن
معاولتك هي مشروع مقصد.

يصطف شكل النوعين من الحاليين على جانبيين متقابلين بقضايا كثيرة: يدور
هو مشترك بينها قليل جداً. فالنظرة الطوباوية تسعى إلى صياغة أهداف اجتماعية.
ورسم سياسات تستهدف بشكل مباشر: الظلم الاقتصادي يتم القضاء عليه في حرب
على الفقر، والتلوث بإجراءات بيئية، واختلال التوازنات العرفي: بإعطاء الأفضلية
والسرطانات يمنع استخدام المواد المضادة إلى الطعام. تشير النظرة المساوية إلى
دوافع الصلحة لدى من سيطرت هذه السياسات - خاصة اتساع المجالات النصا
البيروقراطية - وعدم مهارتهم في توقع عواقب كثيرة، خاصة عندما تكون الأمد
الاجتماعية متنازعة مع ملايين الساعين إلى مصالحهم الخاصة بهم وكما يولد
الحاليون الماساويين بأن الطوباويين يفشلون في إدراك أن الحرب قد تشجع الاتكالي.
أو أن قياداً على أحد الملوثات قد يهجر الناس على استخدام ملوث آخر.

تتطر النظرة المساوية إلى نظم تنتج نتائج مرغوبة حتى عندما لا يكون في تلك
عضو حكيم أو فاضل. اقتصاديات السوق - في هذه النظرة - تحقق ذلك الهدف نظير
جزر سميت، وخمار الجمعة، والخباز الذي يقدم لنا الخبز بدافع مصلحته الذاتية بدلاً
من الخيرية. لا يتوجب على أي إنسان عاقل أن يفهم الأسباب المعقد للسلع والتمتد
الشي تشككل اقتصادياً أن يتوقع من يحتاج ماذا، ومتى وأين. حقوق الملكية تعطي
الناس الحافز للعمل والإنتاج، وتسمح المقود لهم أن ينعموا بمكاسب التجارة. يقدم
الأسعار معلومات عن الندرة والطلب إلى المنتجين والمستهلكين بحيث يستطيعون
يتقاعوا باتباع بضع قواعد بسيطة.

صنوع المزيد مما هو مربح، وشراء أقل مما هو غالي الثمن، والبعد الخفية سوف تدمر بالبطي هذكَه النظام موزع عبر ملايين المنتجين والمستهلكين الذين ليسوا ليكفاء بالضرورة، يشير ذُوو النظرية الطوباوية إلى إخفاقات السوق التي قد تنجم عن إيمان الناس بالأسواق الحرة، إنهم يعيرون اهتماماً إلى التوزيع غير العادل للثروة الذي يؤده الأسواق الحرة. ويجادل الخصوم - ذُوو النظرية الماساوية - أن فكرة العدالة لها معنى عندما - فقط - تطبق على القرارات البشرية ضمن إطار القوانين، وليس عندما يلجأ على ما يسمى المجتمع. ككتب فريد ريش هايلك: «الطريقة التي تقسم فيها الأرباح والأعباء تحددها آلية السوق، إلا أبعاد كثيرة يجب أن تعد غير عادلة أبداً، إذا كانت نتيجة للتخصيص متمم لأناس محددين» لكن الاهتمام بالعدالة الاجتماعية يقوم على ذلك، لأن خصائص عقوبة لنظام ما لا يمكن أن تكون عادلة أو غير عادلة (14).

بعض من المارك التي تحدث اليوم بين اليمين واليسار ناجمة عن هذه الفلسفات الثنائية: حكومة كبيرة تقابلها حكومة صغيرة، ضرائب عالية مقابل ضرائب ضئيلة، حمائية مقابل تجارة حرة، إجراءات تهدف إلى تقليل النتائج غير المرغوبة فقط، عدم المساواة، عدم التوازن العرقي، تقابليها إجراءات نسوي فقط ميدان اللعب وتميز القوانين كعما تخاض معارك أخرى إلا أساليب أقل وضوحاً من الرؤى المناقضة للقيمة البشرية. فالنظرية الماساوية تشدد على واجبات التزامية، حتى عندما ينفذها الناس، لا يستطيعون رؤية قيمتها المباشرة، لأنها تسمح لكائنات ناقصة أن تساهم إلا نظام مجرب، إلا الوقت الذي لا تستطيع فيه أن تكون متأكدة من قيمتها أو رؤيتها المستقبلية تشدد النظرية الطوباوية على المسؤولية الاجتماعية التي تتطلب من الناس أن تكون انعمالهم وفقاً لمبادئ أخلاقي أعلى، إلا نظرية لورانس كوكولبيرغ الشهيرة إلا التطور الأخلاقي، رغبة تجاهل القواعد لمصالح مبادئ مجردة، كانت تعد فعلياً كممرحلة أولى (لا يستطيع معظم الناس بلوغها أبداً).

النال الأكثر وضوحاً هو حول النزعة البنيوية الصارمة والقيود القضائية من جانب، والقيود القضائية سعياً إلى العدالة الاجتماعية من جانب آخر، كان إيلر وارن - رئيس المحكمة العليا إلا الولايات المتحدة من عام 1954 حتى 1969 - الناشط القضائي النرويجي الذي قاد المحكمة إلى تطبيق الاندماج العرقي، وتوسيع حقوق المتهمين لقد عرف عنه مقاطعة المحامين إلا سير دفاعهم بالسؤال هل من المصواب هل من الجيد إلا ما النظرية المعارضة له فقد عبر عنها أوليفر ويندل هولمز الذي قال إن وظيفته

كانت هي «أن يرى أن اللعبة تلعب وفقاً للقواعد سواء أحب تلك القواعد أو لا» لقد توصل إلى أن «يحسن ظروف الحياة والعرق هو الشيء الرئيسي». وأضاف قائلًا «كهدف بمهكتني أن أعرف ما إذا كنت أشهدا إلى أسفل في مكان آخر» (15) فالذين يتبنون النظرة المأساوية يرون النشاط القضائي بمثابة دعوة إلى الأناقة والهدوء وغير عادلة للذين لعبوها وفقاً للقواعد التي تم التمييز عنها علانية. بينما الذين يتبنون النظرة الطوباوية يمدون القيد القضائي كضمانة - دون عطل - لعدم العدالة الاضطراري. وهذا ما عبرت عنه شخصية Bumble بميل إلى إحدى روايات تشارلز ديكنز:

«القانون حمار» (16). مثال سبه السمعة هو قرار دريد مسكوت عام 1836 الذي بموجبه مكثت المحكمة العليا تحكيم بموجب أسباب قانونية ضيقة التطور أن عمداً محرراً لم يكن باستطاعته أن يقاضي حكلي يجعل حرته رسمية، وأن الحكومتين لم يستطع منع الرق في المناطق الفيدرالية.

إصلاح سياسي جذري - مثل إصلاح قضائي جذري - سيكفون - يشكل أو يافتح جذاباً اعتماداً على ثقة المرء بالذكاء والمحكمة البشريين. في النظرة الطوباوية المشكلات الاجتماعية وحلولها متوفرة وجاهزة. لقد قال ليندن جونسون في حديثه عن الظروف التي تولد العنف في خطاب له عام 1967: «إننا نعرف - جميعاً - ما هي تلك الظروف: الجهل، التمييز المنصري، الأحياء الفقيرة، الفقر، وعدم توفر وظائف كافية» (17). فإذا ما عرفنا الحلول مسبقاً، فنشكل ما علينا فعله هو أن نختار نظم تطبيقها، وهذا يتطلب المصادقية والتفاني. فحسب هذا المنطق ذاته، من يعارض الحل لا بد أن يكون محرراً بالعمى، وعدم النزاهة، والقسوة. والمؤيد لنظرة مأساوية يتقبل إن الحلول للمشكلات الاجتماعية مرادفة. فالصراعات الملازمة للمصلحة بين التمر ترتكنا مع خيارات قليلة، وكثافتها غير تامة. بينما يهدى المدافعون عن الإصلاح الجنري عدم ثقة حكومية بالبشرية المتجرفة.

التوجه السياسي للجامعات مظهر آخر للرؤى المتصارعة للسلطة البشرية. أنظر النظرة المأساوية لا يتقون بالمعرفة المعبر عنها في مقترحات علنية واضحة ومبررة. فعلاً التي هي المخزون في الجامعات والعلماء، ولدى محلي السياسة وهذا يولد الصعق في الجامعات والبورصة، والتجارة والعلماء، ولدى محلي السياسة. بدلاً من ذلك، يتبنون بالعلم المنتشر في أرجاء نظام (مثل اقتصاد السوق، أو مجموعة من SORES الاجتماعي، والمتأغمة بتعديلات لعوامل بسيطة عديدة باستخدام التقنية الراجعة في

تعاليم. وسوف يتم تذكريه علماء المعرفة بالفارق بين الأشكال الرمزية والشبكات
لصحية الموزعة، وذلك ليس مصادفة: هايك، المدافع الأبرز عن توزيع الذكاء في
الشبكات، وكان شبكة عصبية مبكرة وصانع نماذج (18).

طوال معظم القرن العشرين كانت نزعة المحافظة السياسية مشوية بآثر معار لما
هو فكري، حتى قرر المحافظون أن يلعبوا دوراً ويلحقوا بسرعة في ميدان المعركة من
لدى كسب الطوب والمقول، ومولوا سياسة خزانات فكرية لتككون تقاليداً مقابل
تعاليم.

أخيراً، وجهات النظر غير المثقة حول الجريمة والحرب تقع تماماً خارج النظريات
للتصاير للطبيعة البشرية. فاللويديون للنظرة الطوبايوية وقد أعطوا التبريد الواضح
والنمو في الحروب، يرونها نوعاً من مرض ينجم عن حالات سوء فهم، وقصر نظر.
وشاعر غير عقلانية. يتوجب منع الحرب من خلال التسييرات العامة للمشاعر السلمية،
والتواصل الأفضل بين الأعداء البارزين، بلاغة أقل حدية، وأسلحة أقل، وتحالفات
مبكرة أقل، والتقليل من التأكيد على النزعة الوطنية، والتفاوض لتجنب الحرب
بأي كلفة. أما أنصار النظرة المساوية بنظرتهم الساخرة من الطبيعة البشرية - يرون
حرب كإستراتيجية مفيدة وعقلانية للناس لكي يعتقدوا أن باستطاعتهم أن يحكموا
شيئاً لأنفسهم أو لأمتهم. قد تكون الإحصاءات خاطئة في أي مثال، وأخلاقياً قد
تكون مدعاة للأسى لأنها تعطي وزناً لعائد الخاسرين، لكنها ليست فطلياً مرضية أو
غير عقلانية. وفقاً لهذه النظرة، السبيل الوحيد لضمان السلم هو رفع تكلفة الحرب
بنسبة للمعتدين من خلال تطوير السلاح، واستنهاض الشعور الوطني، ومكافحة
شجاعة، والتباهي بالقوة والحسم، والتفاوض من موقع القوة لردع الأبتزاز.

الناقشات ذاتها تقسم الآراء في موضوع الجريمة. إذ يرى أنصار النظرة الطوبايوية
جريمة أنها غير عقلانية، ويمتقدون أن السبب الجذري هو أن ككل شيء واضح جداً:
تاس يسرقون مصادف لأنها المكان الذي يخزن فيه المال والبرامج الأكثر فاعلية لمنع
الجريمة هي: ضرب مباشرة على الحوافز المقولة. فاحتمالية عالية لعقوبة شديدة تثير
تنكفة للتوقفة للجريمة. تشديد معام على المسؤولية الشخصية يساعد في تقوية
لحوافز لإغلاق أي ثغرات يتركها القانون مفتوحة. كلما تسمح التربية الأهلية الصارمة
لأبناء أن يستبطنوا داخلهم هذه الواجبات في مرحلة مبكرة من حياتهم.

وعلى أرض هذه الحركة خطأ بريه يدعى ي. و. ولسون الأفكار المستمدة من بيولوجيا التطور وعلم الوراثة السلوكي الذي أصبح عاماً في سبعينيات القرن العشرين لم تكن أكثر من إهانة للذين يتبنون النظرة الطوباوية. تلك النظرة شكلت منية علم الصفحة البيضاء (لا على طبيعة بشرية دائمة)، الهجسي التبديل (دون غرائز شبيهة بالإنثاء)، والشبح في الآلة ونحن؛ دون قيود تستطيع أن تختار الترتيبات الاجتماعية (أفضل) فهنا كان علماء يتحدثون عن مورثات إنثاء، ويقولون إن التكيفات ليست في صالح النوع بل في صالح الأفراد وأقاربهم (وكانما كفي يبرروا دعوة ناتشر «لا وجود لنسب» اسم مجتمع. الناس يقتنون في الفيوية لأنها هشة أمام المدلسين. ففي مجتمعات ما قبل الدولة سكان الرجال يذهبون إلى الحرب عندما سكانوا مشبعين بالطعام. لأن العطفة والنساء حواجز داروينية دائمة. والحسن الأخلاقي قد أصبح لغزاً بالأهواء. من ضمنها ميل لخداع النفس وصراعات المصلحة الوراثية تنبئ في الحيوانات الاجتماعية وترتبط في حالة مأساة دائمة. لقد بدأ الأمر وسكان العلماء شكلوا يقولون لأنصار النظره المساوية: إنكم محقون. وهم مخطئون.

في الحركة العلمية الراديكالية على وجه الخصوص، رد الطوباويين على الاكتشافات الراهنة في مجال الذكاء والتحفيز البشريين. أنهما لا علاقة لهما هذه الاكتشافات بمسئلتها أن تخبرنا عما قد أنجزناه في مجتمع اليوم. وليس عما قد نتصور في مجتمع الغد. فيما أننا نعرف أن الترتيبات الاجتماعية تستطيع أن تحدث تغييراً إن نستطيع ذلك، فإن أي عالم يتكلم عن قيود على الطبيعة البشرية لا بد أنه يريد أن يستمر الظلم والاضطهاد.

أما وجهة نظري فهي أن العلوم الحديثة في الطبيعة البشرية تبدو .. فعلاً .. روبايا للنظرة المساوية، وتلصف النظرة الطوباوية التي هيمنت على شرائح كبيرة من العلة الفكرية حتى وقت قريب. فالعلوم لا تقول شيئاً عن الفوارق في القيم المرتبطة بجنس يعني معدد، ومواقع اليسار (مثل الموازنة بين البطالة، وحماية البيئة، والتصديق والكفافية الاقتصادية)، أو الحرية الفردية والتماسك الاجتماعي. كلما أنها لا تلغظ مباشرة سياسات مبنية على خليط فرضيات معقد. إنها تحاطب فعلاً أجزاء التفرات التي هي مزاعم عامة عن كيفية يعمل العقل. بالإمكان تصويم تلك المزاعم بناءً على الحقائق مثل أي فرضيات تجريبية. زعم النظرة الطوباوية أن الطبيعة البشرية قد تتغير جذرياً في مجتمع متخيل ما في المستقبل البعيد، هي - فعلاً - غير قابلة للتزييف. لكنني

ابتدأ أن العديد من الاكتشافات التي أوردناها في فصول سابقة تجعل ذلك أمراً غير
مختل من بين هذه سأورد ما يلي:

- أولوية الروابط العائلية في جميع المجتمعات البشرية، والتوجه الناجم معاباة
الملكة والبراث (20)

- الذي الحدود للمشاركة الجماعية في الجماعات البشرية، الروح العامة الأكثر
شوعاً للتبادل، والظواهر الناتجة للعلاقات الاجتماعية، والنهار المساهمات
بالسلع العامة عندما لا يمكن تطبيق التبادلية. (21).

- تمولية الهمة والعتف في المجتمعات البشرية (من بينها المجتمعات الصيادة
والجماعة (المسألة). ووجود البات وراثية وعصبية وراء ذلك. (22).

- تمولية التمرركز الإنشي وأشكال أخرى من عداوة جماعة ضد جماعة عبر
الجماعات، والسهولة التي قد تثار فيها هذه العداوة بين الناس ضمن مجتمعنا
نحن. (23).

- وراثية النكفاء الجزئية، وحبوية الوجدان، وميول المجتمع العادية، من بينها من
درجة من عدم المساواة تنشأ في النظم الاقتصادية العادلة تماماً، ولذلك نواجه
توازناً بين المساواة والحرية. (24).

- سيطرة آليات الدفاع، وانحيازات خدعة، واختزال متساخر ذاتية، وتشويش
مربكة، يخدع به الناس أنفسهم باستقلالهم الذاتي، والحكمة والسيادة. (25).

- انحيازات الحس الأخلاقي البشري، مثل تضليل القريب والأصدقاء، وحساسية
للعنبة المُحرّم، وميل لتخلص الأخلاقية بالالتزام، والصفحة الاجتماعية،
والنظافة والجمال. (26).

فالحقائق العلمية التقليدية لا تُحرباً فقط أن العقل ليس مطواعاً بلا حدود. إنني
اعتد أن المقدرات المشتركة بين المثقفين في ستينيات القرن العشرين، الديمقراطيون
عنفون، والشورة مرغوبة، ولا يمكن الاستثناء عن الشرطة والقوات المسلحة،
واسكانية تصميم المجتمع من القاعدة إلى القمة، هي الآن أكثر ندرة. فالنظرة
التساوية والنظرة الطبواوية ألهمت أحداثاً تاريخية تفسيراتها أوضح مما كانت قبل
نحو مئتين. تلك الأحداث يمكنها أن تُخدم كحقائق إضافية لاختبار مزاعم النظرين
إن البيطولوجيا البشرية.

تتناقض التطورتان بحدة بالغة في الثورات السياسية التي فقتسناها. الثورة الأزرق- ذات النظرة الطوباوية – كانت الثورة الفرنسية – تذكر وصفاً وردنورث للأرض والطبيعة البشرية أنها مولودة ثانية. لقد قلبت الثورة النظام القديم، وسعت اليدهم بداهات بالمثل العليا للحرية والمساواة والأخوة. واعتقاد بأن الخلاص سوف يأتي من الهدمة لسلطة نخبة من القادة الخارقين أخلاقياً. لقد أرسلت الثورة قادتها وأعدائهم آخر إلى القفص بعد أن فشلوا في التصدي للمتصبي السلطة الذين شعروا أن لهم مطلباً أقوى تجاه الحكمة والفضيلة. ما من بنية سياسية نجت من النظر الشخصي، تاركها فراغاً سيملؤه نابليون. أما النظرة الطوباوية فقد أحببت اللون الروسية، وقد احترقت عبر تماكب قادة قبل أن تستقر في عبادة الشخصية – سنك كما أن الثورة الصينية وضعت إيمانها في خيرية وحكمة الإنسان الذي أظهر جرم قوية من تقاطع الضعف البشري مثل الهمنة، والشهوة، وخداع الذات. ثبت الجور الدائمة في الطبيعة البشرية عدم جدوى الثورات السياسية المبينة فقط على طموح الثوريين الأخلاقية. في كلمات الألفية عن الثورة The who من: قابل الرئيس الجديد. نسخة طبق الأصل عن الرئيس القديم.

يشير سويل إلى أن الماركسية هي هجين من النظرتين (27). إنها تستحضر النظر: المساوية لتفسير الماضي، عندما لم تترك وسائل الإنتاج خياراً سوى أشكال التطبيق الاجتماعي المعروفة كالأقطاعية والرأسمالية. لكنهما تستحضر نظراً طوبوي للمستقبل الذي نستطيع فيه أن نشكل طبيعتنا في تفاعل جدي مع البنية التي الاجتماعية. في ذلك العالم الجديد سيتم تحفيز الناس من خلال تحقيق الذات. بدلاً من الصلحة الذاتية، سامحة لنا أن نحقق المثل الأعلى «من ككل واحد حسب قدراته، إلى ككل واحد وفقاً لأحتياجاته». كتب كارل ماركس يقول إن مجتمعاً شوبعياً سوف يكون: القسم الحقيقي للمداوة بين الإنسان والطبيعة، وبين إنسان وإنسان. إنه القسم الحقيقي الصحيح للصراع بين الوجود والجوهر، تشبه الإنسان، وتأخذ الذات بين الحرية والضرورة، والفرد والتوع. إنها أحجية التاريخ وقد تم حلها (28).

إنها لا تصبح أقل مساوية أو أكثر طوباوية من ذلك. لقد استمد ماركس القز لأن الأناية والهمنة ستفسدان لتقيد الإرادة العامة. فليس سبيل المثال، نحي خوف الفوضوي ميخائيل بوخاين جانباً من أن المسؤولين العمال سوف يصبحون مستن: «إذا كان السيد بوخاين عارفاً فقط بوظيفة مدير في تعاونية عمالية، فإن باستقلته أن يرسل جميع ضواييسه حول السلطة إلى الشيطان» (29).

في أوج العلم الراديكالي - أي اقتراح حول الطبيعة البشرية يتعارض مع الماركسية فكان يتم استيماده على أنه خاطئ. لكن التاريخ هو نوع من التجربة على الرغم من كونه تاريخياً محصلاً بشكل غير تام، وتوحي حقائقه أنه قد فهم التسييم الراديكالي بشكل مفلوط. فالماركسية الآن تعد عالمياً تجربة قد فشلت على الأقل في تحقيقها المالية. (30). والأمم التي تتبعها إما أنها انهارت، أو تخلت عنها، أو ما تزال راضة في نخلف أنظمة مستبد. فكما رأينا في فصول سابقة، الطموح لإعادة صنع الطبيعة البشرية قد حول قادتها إلى مستبدين شموليين وقتلة جماعات. والافتراض أن الخططين الماركزيين كانوا أخلاقياً غير مهتمين ومناضسين ممرهين أكفاء لتوجيه فتسايد بأكملة، أدى إلى نواقص حكومية ذات عواقب خطيرة. فحتى الأشكال البشرية للاشتراكية الأوروبية قد تمت سقايتها إلى حد أن ما تسمى بالأحزاب الشيوعية لديها منصات ما تسمى رجعية. ويسون - الخبير المالي بشؤون العمل - ربما كانت لديه الضميمة الأخيرة في حكمه على الماركسية. نظرية رائدة. نوع ناطق (31).

هناكنا للديمقراطية - فكما طالب ي. م. فورستر. وقال تشوشل «الديمقراطية هي لربا لشكال الحكم عدا تلك الأشكال الأخرى التي تم تجريبها. هذا المدبح يستحق تقيرة المناسوية، فعلى الرغم من جموح عيوب الديمقراطية الليبرالية إنها تبدو الشكل الأفضل لجمال من التنظيم الاجتماعي الذي توصل إليه نوعنا حتى الآن. إنها تقدم عزاء وحرية أكبر، وحيوية فنية وعلمية أكثر، وحياد أطول وأكثر أمناً، وأقل مرناً، وثباتاً من أي من البدائل الأخرى. فهي الديمقراطية الحديثة لا وجود لجماعات فيها، وتكاد لا تشن حروباً على بعضها، وهي الخيار الأفضل للناس في جميع أصقاع العالم الذين يقترحون بأقدامهم أو بقواربهم. النجاح المعتدل للديمقراطيات - مثل حالات النشل للثورات الراديكالية والحكومات الماركسية ليس متفقاً عليه على نطاق واسع. لدرجة أنه قد يخدم ككامتحان تجريبي آخر لنظريات منافسة في الطبيعة البشرية.

ظهر المفهوم الحديث للديمقراطية في إنكلترا القرنين السابع عشر والثامن عشر، وتم تشديده في حملة من التنظير الذي أحاطت بحركة الاستقلال الأمريكية. ليس صادف أن المنظرين البارزين للمعد الاجتماعي مثل هوبس، لوك وهيوم كانوا أيضاً

أساتذة في علم النفس وكما قال ماديسون: «ما هي الحكومة بعد ذاتها سوى الأطماع في جميع التاملات في الطبيعة البشرية»⁽³²⁾

الأدمنة التي شكلت وراء الثورة الأمريكية، والتي وضعت شعاراً لها حرية محافظه قد ورثت النظرة المتساوية لمفكرين مثل هوبس وهيوم (33) بيكول المؤسسين لم يكونوا متأثرين بروسو إطلاقاً، بينما هناك اعتقاد شعبي أنهم أخذوا فكرة الديمقراطية عن الاتحاد Iroquois مجرد نزعة تحريرية في مشيقات القرن العشرين. جادل علامة القانون جون ميفيس أن نظريتهم في الطبيعة البشرية ربما خرجت من علم النفس التطوري الحديث. (35) ويشير برغبة الأفراد أن يوسعوا مصالحهم في شكل حق لا يمكن استلابه بـ الحرية، والحياة، والسعي إلى السعادة، تتبثق الدولة من اتفاق مؤسس لحماية تلك الحقوق، بدلاً من كونها تجسيدا لعضوية خارقة مستترة فالحقوق بحاجة إلى حماية، لأن الناس عندما يعيشون معاً، فإن مصلحتهم العطف وظروفهم سوف تدفع بعضاً منهم إلى امتلاك الأشياء التي يريدها آخرون فكما نرى ماديسون «يملك الناس قدرات متباينة وغير متساوية لاكتساب الممتلكات» (36) هناك سبيلان للحصول على شيء تريده من الآخرين: إما أن تسرقه، أو أن تتاجر للحصول عليه. الخيار الأول يشمل سيكولوجيا الهيمة، والثاني سيكولوجيا الفيرة التبادلية. فغاية مجتمع مسالم ومزدهر هي تقليل استخدام الهيمة التي تؤدي إلى العنف والتبديد. وتؤدي زيادة استخدام التبادلية إلى مكاسب في التجارة، وتجعل كل شخص أفضل

بين مقياس أن المستور مصمم بكل وصي لإنجاز هذه الأهداف إنه يتبع المبادلات التبادلية من خلال قانون التجارة الذي هوام التكنولوجيا بزيادة الحوامز لم التجارة التي تفرضها الدولة. وتعت حماية الناس من المداخلين من خلال قانون المقود الذي يمنع الدول من إضعاف قوة المقود. وقد منع الحكام من مساندة الممر للمواطنين الأكثر إنتاجية عبر قانون يمنع الحكومة من نزع الملكية الخاصة من تمويض.

سمة الطبيعة البشرية التي أثرت على من وضع الإطار العام كانت الدافع الهينة والتقدير اللذين شكلتاوا يخشونهما من أن يهددا جميع أشكال الحكم بالنظر بين أن يكون لدى شخص القدرة على اتخاذ قرارات ويمرر القوانين، وهو نفسه هش أمام الفساد فطرياً. ككيف نستشرف ونضع حداً لذلك الفساد، هذا ما أصبح هاجس المؤطرين. كتب جون آدمز: «بالرغبة لاحترام الآخرين التي هي حاجة فحقيها من

الطبيعة، مثل الجوع، والغاية الأساسية للحكم هي تنظيم هذه الرغبة (37). كتب
البيكوني هاميلتون: «حب الشهوة هو الشعور المسيطر على أنبل العقول» (38). وكتب
جيمس ماديسون «لو كان البشر ملائكة، فلن تكون الحكومة أمراً ضرورياً، ولو
فقط للملائكة أن تحكم البشر. فلا ضرورة لوجود ضوابط أخلاقية ولا خارجية على
الحكومة» (39).

بالتالي وجود ضوابط داخلية وخارجية أمر ضروري. «عوائق الشهادة الجامعة -
كما قال ماديسون - لم تكن كافية». بل «يجب أن تجعل لكي تناقض طموحها» (40).
مجلات التنقيح والموازنات قد رسمت لكي تطيح بأي فريق أصبح متسلطاً أكثر مما
يجب لقد صنعوا تقسيم السلطة بين فيدرالية وحكومات ولايات، فصل السلطات
التنفيذية والتشريعية والقضائية، وتم تقسيم التشريع إلى نوعين:

كان ماديسون صلياً جداً لكي يسود الدستور إلا ما يخص الطبيعة البشرية التي
تضع الحرب، التي ليست شهوة بدائية للدم. بل شهوة متطورة من أجل التقدير:

الحرب إلا حقيقتها هي المحرض الحقيقي للتجديد التنفيذي. إلا الحرب تخلق قوة
مادية، وهي الإدارة التنفيذية لكي توجهها. إلا الحرب يجب أن تقنع الشروات العامة،
واليد التنفيذية التي تصرفها كذلك. إلا الحرب تقاب الشرف وتعويزات المكتسب
يجب أن تضاعف، ويتم ذلك تحت رعاية المشرف التنفيذي. إلا الحرب يتم صنع أشكال
نار، واليمين التنفيذي الذي توضع الأشكال عليه. أقوى الانفعالات والضعف الأكثر
نظرة على الصدر البشري هي: الطموح، الجشع، الفرور، حب الشهوة الحميد أو
الذل. هذه كلها تكون إلا حالة مؤامرة ضد الرغبة - وواجب السلام. (41).

هذه الفقرة كانت مصدر الإلهام لقوانين قوى الحرب التي أعطت الكونغرس وليس
الرئيس السلطة لإعلان الحرب، وقد استخدمت هذه السلطة بشكل مشوه إلا سنوات
الحرب الفيتنامية، خلالها لم يعلن جونسون ونيكسون رسمياً حالة الحرب.

بنوه منفتحين أن حريات التعبير، والاجتماع، والصحافة، وكانت تحفزها سمات
الطبيعة البشرية. يبرر المؤطرون هذه الحريات كوسيلة لمنع الاستبداد: شبكة من
مواطنين متواصلين بحرية تستطيع أن تقوم بعمل مضاد لسلطة أفراد إلا الحكومة.
فكما تقول الآن يمكنهم «قول الحقيقة للسلطة». دينامية مشاركة السلطة محمية
بند الحقوق قد تمضي بعيداً إلا تاريخ التطور. لقد أثبت فرانس دو هال، وروين دنبر،
وكريستوفر بوم كيف يستطيع تحالف ثدييات من المرتبة الدنيا أن يخلق ذكراً بارزاً

من منصبه (42) يقترحون أن هذا قد يكون تشابهاً هجياً لديمقراطية السياسة هذا لا يعني أن الدستور الأمريكي مكان ضمانات لمجتمع سعيد وأخلاقي. فمن خلال العمل ضمن الحلقة الأخلاقية صغيرة الحجم المتألفة في حينها ، فشل الدستور في أن يخلق عبء لمنع منبحة بين شعوب أصلية ، والعبودية ، وفصل الأمريكيين الأفارقة . وجرمان النساء، من الاقتراع. لقد ذكر الثليل عن تسيير الشؤون الخارجية التي هي موجهة غالباً بسياسة عملية تدعو إلى السخرية (عدا ما يتعلق بالحلفاء الاستراتيجيين). الفشل الأول ووجه بالإجراءات العنيفة لتوسيع الحلقة القانونية ، مثل قانون الحماية المتساوية للتصويت الرابع عشر ، والثاني غير محسوب ، وربما غير قابل للحل. لأن دولاً أخرى هي بالضرورة خارج أي دائرة تنص عليها وثيقة قومية. (مكان الدستور يقترن إلى أي رحمة متعسفة تجاه من هم في الأسفل في بلد يحصل فيه الناس على المال أو السلطة بشروطهم، مقترضاً أن تكافؤ الفرص مكان الآلية الوحيدة المطلوبة لمعالجة توزيع الثروة. فكما أنه غير قادر على التمهيد بمجموعة القيم والتقاليد التي تبدو أنها ضرورية من أجل ديمقراطية صحي تقوم بعملها في واقع التطبيق. الإقرار بالنجاح النسبي للديمقراطية الدستورية لا يتطلب أن يكون الرء محباً لموطنه وملوحم بالعلم. بل يعني أن شيئاً ما، ربما مكان صحيحاً بما يتعلق بالطبيعة البشرية التي وجهت مهندسي الدستور.

اليسار بحاجة إلى خطة جديدة.

بيتر سينفر ، اليسار الدارويني 1999.

المحافظون بحاجة إلى تشارلز داروين.

لاري آرتهارت ، المحافظون ، التصميم ، داروين 2000 م (44).

ما الذي يحدث؟ أصوات اليسار المعاصر واليمين المعاصر تبتسئ سيكولوجيا التطور بعد عقود من شتمها إنما يوضح شيئين: الأول هو أن حقائق البيولوجيا قد بدأت تعبا في فلسفات سياسية راجحة. واعتقاد اليسار أن بالإمكان تغيير الطبيعة البشرية حسب الإرادة ، واعتقاد اليمين أن الأخلاقية تعتمد على أن الله وهبنا روحاً غير قابلة وهكذا تغدو صراعات يمداد خوض جدالها ضد قوة العلم الهائلة. آثار منقطع عند مسألة السلطة في تسعينيات القرن العشرين. ورد عليه آخر بإشارة مسألة الجينية فندما تتحول جدالات جميع الفلسفات السياسية إلى تساؤل حول الجاذبية، ينبغي أن نأخذ قرار بشأن هذه الفلسفات.

التطور الثاني: هو أن الإقرار بالطبيعة البشرية لم يعد مرتبطاً باليمين السياسي بعد أن تم ترك النظرية الطوباوية كشي تستقر. بقي ميدان الواقع السياسية مفتوحاً في عصره. وأما النظرية المأساوية فلم يتم تبريرها في أي شيء، مثل شكلها الأكثر كفاءة في النسبة إلى كل أنانياتها، العقل مزود بحس أخلاقي قد اتسمت دائرة تطبيقه بالشرار، وقد تستمر بالاتساع بما أن المزيد من العالم أصبح مستقلاً. أما بالنسبة إلى جمع عيوبها فإن المعرفة البشرية هي نظام دعوي نهايته مفتوحة، ومن حيث المبدأ يتطلع أن يزيد من سيادته على الشؤون البشرية، مثلما زاد سيادته على العالمين، تيزيالي والعالم الحي.

أما التقاليد فإنها لتتكيف لا مع الطبيعة البشرية وحدها بل مع الطبيعة البشرية في حق البنية التحتية للتقانة والتبادل الاقتصادي. إذ ليس على المرء أن يكون ماركسياً كي يقبل هذه النظرية من ماركس. إن بالإمكان تعديل بعض المؤسسات التقليدية والأسرا، وحكم القانون، وفقاً لسمات دائمة في السيكولوجيا البشرية. فقد تطورت ميكوية (حق الولد البكر)، وفق مطالب نظام إقطاعي وكان يتطلب المحافظة على راضي المائلة قائماً، لكنه أصبح مهملأ عندما تغير النظام الاقتصادي في بداية عملية تصنيع العرصة النسائية فكانت - مؤخراً - رداً على التقانات الإنتاجية المتطورة والانتقال إلى اقتصاد خدمات، فالتقاليد الاجتماعية لا تكيف وفق الطبيعة البشرية وبمعا، بل لأن احترام الطبيعة البشرية لا يتطلب الحفاظ على جميع التقاليد. لهذه الأسباب كلها، اعتقد أن المقائد السياسية مستجاوز - وبشكل متزايد - التقسيم تديم عبر القرون بين النظرين المأساوية والطوباوية. إنها ستتحول من خلال استحضار جرت مختلفة من الطبيعة البشرية بإعطاء أوزان مختلفة إلى أهداف متضاربة، أو تديم تقييمات مختلفة للنتائج المحتملة لمسارات عمل محددة.

أهم هذا الفصل بجولة على بعض مفكري اليسار الذين يتسلفون المسار التقليدي لطبيعة البشرية والسياسات اليمينية. فكلما يوحي العنوان (يسار دارويني)، هو المحاولة الأكثر منهجية لرسم حدود المسار الجديد (45) يكتب سينغر: بالنسبة ليسار، لقد حان الوقت لأن يأخذ بجدية حقيقة أننا حيوانات متطورة، وأتانا نحمل دليل على ميراثنا ليس فقط في بنية أنسجتنا ود. ن. أ لدينا، بل في سلوكنا أيضاً. (46) هنا يعني - بالنسبة لسينغر - الإقرار بتوافق الطبيعة البشرية مما يجعل إمكانية عمل الجنس البشري هدفاً محالاً. كلما يعني أيضاً الإقرار بمكونات محددة لطبيعة

البشرية. إنها تشمل المصلحة الذاتية (التي تتضمن أن الأنظمة الاقتصادية التفاضلية سبب
تعمل بشكل أفضل من احتكارات الدولة، والمحفز على اليمين). ما يجعل حظوظنا
قوية خصيفة أمام الأوثوقراطيين المفسورين، والثقافة الأحادية الشبكية التي نفس
الحركات الوطنية معرضة لخطر الانزواء بالتميز والمذابح الجماعية، والفولكلور
الجنسين التي سوف تسم إجراء بمساواة فاسية بين الجنسين في جميع مسارات العمل
بالتالي، ما الذي تبقى من اليسار، كما قد يسمأ مراقب، يجب سينتر.

«نهر أكتافنا لا مبالين تجاه المعاناة التي لا يمكن تجنبها وسط الضحك
والغشاء، بين المستقلين والمزقون، أو من لا يملكون ما يكتفي لحياة لانفا. فبنا
لسنا من اليسار. إن نقل أن تلك هي حالة العالم، وأنه سيكون دائماً كذلك. وإن لم
هناك ما يمكننا فعله حيال ذلك، فإننا لسنا جزءاً من اليسار. فاليسار يريد فعل شيء
حيال هذه الحالة (47). يسارية سينتر مثل اليسارية التقليدية، تتحدد بمقارنة مع نظراً
مأساوية انهزامية. لكن هدفها هو «فعل شيء» قد خفض حجمه كثيراً لدى روبرت
كينيدي وهدفه في ستينيات القرن العشرين ببناء مجتمع عالمي جديد.

لقد تفاوت اليسار الدارويني من تعابير غامضة قيمة، إلى سياسة مبارات على
لقد قابلنا - سابقاً، منظرين عند النهاية الأكثر غموضاً. لقد كان تشومسكي الذي
الأعلى صوتاً عن نعمة معرفية فطرية منذ أن استهل أطروحته عن مقدره لتبني نظري
على باب السلوكيين في خمسينيات القرن العشرين. لقد كان أيضاً ناقداً بسان
للمجتمع الأمريكي وألم جيلاً جديداً بأكملة من راديكالي الجامعات لكامران
في مقابته من فضبه ضد الآلة). يصر تشومسكي على أن الروابط بين علم
وسياساته هي ضئيلة لكنها حقيقية:

«نظرة لنظام اجتماعي مستقبلي.. مبنية على مفهوم الطبيعة البشرية. فبنا على
الإنسان - مطلقاً - مطواعاً بشكل غير محدود، ككائنات بلاستيكية تماماً ليس لديه بن
عقلية فطرية، ولا احتياجات جوهرية لشخصية اجتماعية أو ثقافية، إن هو موضوع
مناسب من أجل تشكيل السلوك، من قبل سلطة الدولة، المدير الوحد.
التكنوقراط، أو اللجنة المركزية. فالذين لهم ثقة بالنوع البشري سياملون أن هذا لن
كذلك، وسيحاولون تحديد السمات الجوهرية التي تقدم الإطار من أجل نقل
فكري، والنمو لوعي أخلاقي، وإنجاز ثقافي، ومشاركة في مجتمع حر» (48).

إنه يصف نظورته السياسية بـ «اشتراكية تحريرية» ، و«التقاضي الفوضوي» . هذا نوع من الفوضوية الذي يقدر التعاون العفوي (تكنيفض لراسمالية فوضوية ، التي تقدر نزعة الفردية) ، (49) . تحكمن هذه النظرة في التراث الديسكارتي الذي يضم معامضة راسمالية للاستبداد والظلم ، والسلطة الراسخة- دفاع عن الحرية ، والليبرالية ما قبل راسمالية عند هامبولد ، بتأكيدهما على الحاجة البشرية الأساسية للطلق بحقل حرية تحت ظروف الرابطة الطوعية. وانتقاد ماركس للعلم المقسم المتطلب الذي يحول الناس إلى آلات ، ويحرمهم من شخصية نوعهم ، ومن النشاط الواعي الحر ، والعيادة المنتجة بخلافه مع أخوتهم البشر. (50) يتردد صدى معتقدات تشومسكي السياسية مع نقده التلمي أن البشر لديهم رغبة فطرية بالجماعية ، ودافع للتعبير الحر المبدع ، ولذا هي الأنموذج المرسوم. فهذا يزيد الأمل بمجتمع منظم من خلال التعاون والإنجابية الطبيعية بدلاً عن التحكم التراتبي ودافع الربح.

إن نظرية تشومسكي في الطبيعة البشرية مع أنها فطرية بقوة ، إلا أنها بريئة من بلوجيا التطور الحديث. بإيضاحه لصراعات المصلحة الوراثية كغاية الحضور ، تخفي الصراعات إلى نظرة أكثر قتامة تجاه الطبيعة البشرية ، نظرة شكلت على الدوام مبدأً لن لديهم أحلام فوضوية. لكن المفكر الذي أوضح هذه الصراعات هو روبرت نيفز الذي كان أيضاً راديكالياً يسارياً ، وواحداً من النور السود. فنكماً رأينا في عمل السادس ، عدّ تريفيز علم البيولوجيا الاجتماعي نظاماً مدمراً. حساسية صراعات المصلحة يمكنها أن تضيء مصالح القوى المضطهدة ، كالتساء والأجبال ثلثة ، ويمكنها أن تكشف الخداع ، وخداع الذات اللذين تستخدمهما الخيبة كفي نزع هيمنتها. (51).

بتلك الطريقة يتبع السوسيوبيولوجيا التراث الليبرالي لدى لوك باستخدام العلم والمقل نفع زيف عمليات إضفاء تيريرات على الحكام. لقد استخدم العقل في عصر لوك شألة الحق الإلهي للملوك ، وبالإمكان استخدامه في عصرنا لمسألة الإدهاء أن تزيينات السياسة الراهنة تخدم مصالح كل واحد.

مع أن الأمر قد يأتي الأمر كصدمة لأساس كثيرين ، استخدام اختبارات لنظام ، ومعرفة فروقات فطرية في الذكاء ، قد تبرز - كما عززت في الماضي - الأهداف السياسية لدى اليسار. ففي مقالته بعنوان (ليبراليو تحذب التحنن البيهائي)

يوضع الصعاب إندريان ولدرج أن اختبارات الذكاء قد لاقت الترحيب وسط اليس
البريطاني على أنها المدمر النهائي لمجتمع طبقي تحكمه طبقة عليا من اللاتينيين
فإن جانب ليبراليين واشتراكيين آخرين كان سيدني وبياتريس ويب يأملون في تحويل
النظام التبروي إلى آلة تستوصب القدرات التي استطاعت أن تتخذ الفقراء الوهبين من
السكان أو المحارب. وتوجههم إلى داخل النخبة الحاكمة. لكنهم لاؤوا مراضة من
المحافظين مثل ت. س. إليوت، الذي عبر عن قلقه من أن نظاماً يصنف الناس من غير
المقدرة، سوف يفسد المجتمع المدني بتعطيم روابط الطبقة والتراث في كلاً من
السُّم الاجتماعي، ففي طرف سوف يتم تقسيم الطبقة العاملة من خلال الوهبية في
الطرف الأخر، سوف يزعج إلزام النبل الأخلاقي من الطبقات العليا، التي حازت نظر
نجاحها فليس مسؤولة أمام أي امرئ، بدلاً من توريثه تكون مجبرة أن تساعد من
أقل حظاً. يقول كولييدج إن اليأس لا يكاد يمكنه أن يتجاهل اختبارات النظر
الفطري، التي على الرغم من كمال عيوبها، ما تزال السبيل الأفضل المصمم لتعريف
مكان الوهبية حيثما توجد، في داخل المدن إضافة إلى الممتلكات الثرية في الليل
وضمن أن الوهبية منسجمة مع التيارات التبروية الملائمة وفرص العمل

لقد جادل ريتشارد هيرنشتاين وتشارلز موري مؤلفاً (تحديد المنحني النهائي) في
قابلية توريث الذكاء ينفي أن تطلق اليأس بالتزام أكبر بالعدالة الاجتماعية عند
راولز Rawls (53)، فإذا كان الذكاء مكتسباً كلياً، فإن السياسات من أجل توفير
مساوية ستكون كافية لضمان توزيع متساو للثروة والسلطة. لكن إذا كان من
البشر ذوي طالع سيء لأنهم ولدوا بأدمغة قدرتها أقل، فقد يستقون في الفقر من
لا ذنب لهم، مع أنهم في نظام عادل تماماً في مجال المنافسة الاقتصادية.

إذا كانت العدالة الاجتماعية تتألف من نظرية إلى الصالح العام لمن هم الأسوأ
إن إدراك تلك الفروقات الوراثة يستدعي إعادة توزيع فعالة للثروة لقد عبر
هيرنشتاين محافظاً بينما كان موري تحريراً وميلاً إلى اليمين. لم يكونوا مغرورين
لإجراءات توزيع بسيط للثروة مثل ضريبة دخل سلبية لمن أجورهم متدنية. وهذا سيجب
فرصة لمن يتلاعبون بالقوانين لكنهم لا يستطيعون الهروب من الساطة نزعاً من
التحرورية فادته إلى معارضة برامج حكومية هي أكثر فعالية من ذلك، لكنهم
هيرنشتاين، أشار إلى أن يساراً وراثياً هو وظيفة شاذرة بانتظار أن تملأ.

لقد أتى تحتم مهم للتطرية السياسية من الاقتصاديين السلوكيين مثل ريتشارد ثالر وديوجي أكيرلوف اللذين صكنا مثنائين بالمسيكولوجيا المعرفية التطورية لهربرت آيخون، وجاموس تفرسكي، وداينيل كاهنمان، وغيرد غنيرتيز، وبول سلوفيك. بدلاً من علماء النفس هؤلاء جادلوا أن التفكير البشري، واتخاذ القرارات هي تكيفات جلوبية أكثر مما هي محركات عقلية محضة. هذه الأنظمة العقلية تعمل على توفير معلومات محدودة، وعليها أن تتوصل إلى قرارات في وقت زمني محدود، وفي حالة الأمر تخدم أهدافاً تطورية مثل الأمن والمكانة الاجتماعية. لقد أثار المحافظون - رثاً - النواقص في العقل البشري بقية تسببها متذرعين أننا نستطيع أن نفهم السلوك الاجتماعي بما فيه الكفاية لإعادة تصميم المجتمع لكن تلك النواقص قد نسفت نبدأً فخرية المصلحة الذاتية العقلانية التي تكمن خلف علم الاقتصاد الكلاسيكي ونزعة المحافظة العلمانية. فمذد آدم سميت جادل الاقتصاديون الكلاسيكيون أن في يجب تدخل خارجي فإن الأفراد الذين يتخذون قرارات في مصالحهم الخاصة سيفعلون ما هو أفضل لأنفسهم وللمجتمع. لكن إذا كان الناس لا يحسبون دائماً ما هو الأفضل لأنفسهم فقد يكونون في حبال أفضل مع الضرائب والإجراءات التي يجدها الاقتصاديون الكلاسيكيون أنها منحرفة جداً.

فليس سهلاً المثال، عوامل عقلية مطلقة من حيث نسب المصلحة وتوقعاتهم المعنوية يجب أن يكون لها النسب المتفاوتة نفسها من أجورهم بغية الراحة لشيوختهم. فالأمن الإضياعي والمدخرات الإلزامية: يجب أن تكون غير ضرورية - بل ضارة - لأنها تأخذ غير وبالتالي الفرصة لإيجاد التوازن الأفضل بين الاستهلاك الآن وبين الأضرار من أجل المستقبل. لكن نجد الاقتصاديون أن الناس يتفقون أموالهم كلما يفعل البحارة لتدوير إنهم يتصرفون وكنائهم يمتدنون أنهم سوف يموتون في خلال بضع سنوات، فكلمنا المستقبل لا يمكن التنبؤ به أبداً، وهذا قد يكون أقرب إلى واقع من قربة لسلطانا التطوريين، من الحياة اليوم. (55)، إذا كان الأمر كذلك، إن ينبغي أن نسمح للناس أن يتدبروا أمر مدخراتهم (أن ندعمهم بيقون شبك مدفوعاتهم واستثمارهم كما يشاؤون) وهذا قد يعمل ضد مصالحهم. مثل أوديسوس المقرب من جزيرة سيرين 1998، قد يوافق الناس عقلياً أن يسمحوا لرب عملهم، أو للحكومة أن ترضعهم بطري مدخرات إلزامية.

لقد توجه الاقتصادى روبرت فرانك إلى سيكولوجيا المسكينة التطوري ليويس
صوباً أخرى في نظرية العامل العقلي، في الاقتصاد عدم التدخل. (56). فالمعامل العقلي
يجب ألا يتجنب فقط مدخرات التعاقد الإلزامية بل سياسات أخرى تحميم ظفر
مثل المزايا الصحية الإلزامية، إجراءات السلامة في مكان العمل، والتأمين ضد
البطالة، ورسوم الحداية. فهذه كلها تكلف مالمّ لولا ذلك لكان يذهب في شيفر
مدفوعاتهم. استطاع العمال أن يقرروا بأنفسهم فيما إذا يأخذون مبلغاً مقطوعاً
يعملوا في شركة تطبق معظم السياسات الأبوية أو أن يذهب العامل إلى أعلى مرتبة
ويتحمل مخاطر أكثر في وظيفته. الشركات في التفاوض على أفضل العاملين يتم
إن الناس يطمحون إلى مسكينة أفضل مما هم عليه. داغهم الأول هو إتفاق التاجر
سبيل أن يضعوا أنفسهم في المقدمة (منازل، سيارات، ملابس، تعليم في مدارس مبررة)
بدلاً من الإتفاق في سبيل يعلمون عنها (رعاية صحية، تأمين وظيفي، مدخر
تقاعدية). لكن لسوء الحظ، المسكينة هي لعبة محصلتها صفر. فعندما يملك
شخص مالمّ أكثر كفي يتفقه على السيارات والمنازل، فإن المنازل والسيارات تسمى
أكبر، بينما الناس ليسوا أكثر سعادة مما كانوا عليه من ذي قبل إنهم مثل لآخر
الهوكي، قد يوافقون على إجراءات تجبر ككل واحد على دفع ثمن فوائد غير
كالرعاية الصحية التي تجعلهم أكثر سعادة على المدى الطويل، حتى إنهم
الإجراءات على حساب دخل معد للصراف، ويقول فرانك، للسبب ذاته، سنكون في
حال أفضل بكثير إذا طبقنا ضريبة متدرجة على الاستهلاك، باستبدال الضريبة
المتدرجة الراهنة على الدخل، ضريبة الاستهلاك مستقل من سباق التسليح الذي لا جبر
له، وسيارات فارهة، ومنازل، وساعات، وستعوض الناس بموارد تزيد السعادة مثل
أوقات الراحة، وشوارع أكثر أمناً، وظروف عمل مريحة أكثر.

يتحرى اليساريون الداروينيون سيكولوجيا التطور لعدم المساواة الاقتصادية عند
الاقتصاد سموتيل بولز وهيربرت غيننس - اللذان كانا سابقاً ماركسيين وتحولوا إلى
داروينيين - راجعا الأدبيات من الأثوغرافيا والاقتصاد السلوكي الذي يقترح أن الناس
ليسوا غيريين مثل النمل وليسوا بخلاء متمركزي الذات. (57).

وكما رأينا في الفصل الرابع عشر، يشارك الناس مع الآخرين الذين يتقيد
أنهم يرغبون أن نشاركهم، ونماقب الذين يرغبون بالتشارك. أسس غيننس هذا

بدائية قوية، مثلها مثل المبرنة التبادلية أو التبادلية ضعيفة، إنها تهدف إلى رغبة آخرين بالمساهمة في السلع العامة بدلاً من تبادلها واحدة بواحدة (58). هذه التكنولوجيا تجعل الناس يمارضون التمييز التنصري، والبرامج الاجتماعية الموسعة، ليس لأنها هامة أو جشعة، بل لأنهم يعتقدون أن برامج تكافؤ تكافؤ الخاملين وتعاقب المجددين، ويشير بولز وغيتس أنه حتى المناخ المناهض للصالح العام افتراضياً في أيامنا هذه، فإن الاستنتاجات تبين أن معظم الناس يرغبون بدفع ضرائب أعلى مقابل بعض أنواع من التأمين الاجتماعي الشامل، إنهم يرغبون بالدفع لضمان احتياجات أساسية كالتعليم والسكن والرعاية الصحية، لمساعدة عائلتي الحظ، وللمساعدة الناس الذين في أسفل السلم لكي يصبحوا مستقلين ذاتياً. بكلمات أخرى، يعارضون شريعة إنعاش عامة ليس بدافع الجشع بل بدافع الإنصاف فنظام إنعاش لا يحاول أن يمد مكتبة الوعي العام، ويميز بين الفقراء الذين يستحقون، والذين لا يستحقون سيكون إجراء متوافقاً تماماً مع الطبيعة البشرية.

سياسة عدم المساواة الاقتصادية تعلق في النهاية على الموازنة بين الحرية الاقتصادية والمساواة الاقتصادية. وضع أن العلماء لا يستطيعون أن يفرضوا الكيفية التي يجب أن تكون هذه الرغبة، إلا أنهم يستطيعون أن يساعدوا في تقدير التكاليف ذات العلاقة أخلاقياً. وبذلك يمكننا أن نتخذ قرارات مبنية على حقائق أكثر. سيكتسبنا الكفاءة الاجتماعية، والجمعة لهما دور تلعبانه في هذا التقويم، إن فقراء اليوم هم ماديأ أفضل من الأرستقراطية قبل قرن مضى. إنهم يعيشون حياة أطول، ويأكلون طعاماً أفضل، وينعمون برهايميات لم يكن بالإمكان تخيلها سابقاً: مثل التلذذ المرطبة، والبرادات، والهواتف، ووسائل الترفيه على مدار الساعة من أجهزة التلفاز والإذاعة. يقول المحافظون إن هذا يجعل من الصعب أن نجدل إن مكافئة ذوي الدخل الأقل هي سطح أخلاقي ينهي إعادة ترميمه بأي تكلفة.

لكن إن يتألى إحساس الناس بالصالح العام من تقويم لمكانتهم الاجتماعية التي هي بدورها نسبية، فإن عدم المساواة المتطرفة قد تجعل الناس في الدرجات الأدنى يشعرون أنهم مهزومون، حتى ولو كانوا في حال أفضل من معظم البشرية. القضية ليست مسألة مشاعر مجروحة: فذوو المكانة المنخفضة هم أقل صحة، ويموتون في سن مبكر أكثر، والمجتمعات التي فيها عدم مساواة أكثر تكون الصحة فيها أسوأ، وأجال الحياة أقصر (59). الباحث الطبي ريتشارد ويلكنسون الذي وثق هذه النتائج

يقول: إن المسكنة المتدنية تشمل فئيل رد فعل مثوثر قديم يضمحى بترميم خلوي وعمر
مضى من أجل رد فعل، إما حارب وقاوم أو اهرب هوراً. لقد أشار ويلكنسون وبنار
دالي، ومارغو ويلسون إلى تضايف أخرى بالإمكان حسابها لعدم المساواة الاقتصادية
معدلات الجريمة أعلى بكثير في المناطق التي تشكو من عدم توازن في توزيع الثروة
بعد التصحيم من أجل مستويات مطلقة الثروة لأن المسكنة الاجتماعية تاريخياً تفر
الناس لأن يصعبوا ممسوسين بهاجس الطبقة وقتل الآخر على إهانات سخيقة الكو
ويقول ويلكنسون إن تقليل عدم المساواة الاقتصادية سيجعل ملايين النفوس أظفر
سعادة وأمناً، وأطول حياة.

هذا العرض المكثف للجناح اليساري الفطري يجب ألا يأتي كمتفاجأة، حترمد
قرون مكثت الطبيعة البشرية فيها حافظة لليمين اليسار الدارويني التي فكرتياً من
في العلم أو التاريخ قد ترك النظرة الطوباوية التي جلبت ككوارث عديدة عن غير قصد
ما إذا كان هذا اليسار غير الطوباوي هو فعلاً ذلك المختلف عن اليمين العلم
المعاصر، وما إذا مكثت سياساته الخامسة تستحق تكفاليها، فهذه أمور لن نلتم
هنا.

الفكرة هي أن الاحيازات السياسية التقليدية ينبغي أن تتغير بينما نعلم انه
عن المكائنات البشرية. لقد أخذت أيدولوجيا اليسار واليمين شكليهما قبل دالين
وقبل ماندل، وقبل أن يعرف أي امرئ ما هي المورثة، أو المصوبون أو الهرمون عطر
طالب في العلوم السياسية يتعلم أن الأيدولوجيات السياسية قائمة على نظريات الهند
البشرية. فلماذا يجب أن تكون مبنية على نظريات عتيقة عمرها ثلاثمائة سنة غير
تاريخها؟

الفصل السابع عشر

الهدف

قصه الجنس البشري قصة حرب ، ولولا فصول مستقطعة موجزة ، لما كان هناك سلام أبداً في العالم . ومنذ زمن طويل قبل أن يبدأ التاريخ كان الصراع القاتل شاملاً ولا نهاية له .(1).

هذا الموجز الذي قدمه وينستون تشرشل عن نوعنا بالإمكان استبداده على أنه نيلام إنسان خاض أروع حرب في التاريخ ، وكان حاضراً عند ولادة الحرب الباردة التي كان يوسمها أن تدمر البشرية كلها . في حقيقة الأمر ، لقد وقعت حزينه أمام امتحان الزمن . فعلى الرغم من أن الحرب الباردة هي ذكوري والحروب الساخنة بين الأمم الضعيفة نادرة ، إلا أننا مازلنا لا نتمتع بالسلام في العالم . فحتى قبل عام 2001 الشروع بالهجمات الإرهابية المروعة على الولايات المتحدة والحروب الناجمة عنها في أفغانستان ، ما تزال هناك قائمة من الصراع العالمي في 68 منطقة من العنف المنظم في ألمانيا والجزائر وزامبيا وزيمبابوي .(2).

أما ما قاله تشرشل عن فترة ما قبل التاريخ ما يزال ماثلاً الباحثون المعاصرون . الذين يقدمون لحة عن الحياة في مجتمعات ما قبل التاريخ ، كانوا يعدون - فيما مضى - لهم منخرطون في معارك احتفالية فكانت تتوقف عندما يسقط أول رجل في المعركة . كما لم يكن معروفاً عنهم أن أحدهم يقتل الآخر ، بمعدلات تقلل الإصابات عما في حربنا نحن .(3) ، أما السجل الأركيولوجي فليس أكثر سعادة . فهي باطن الأرض وداخل الكهوف هناك شهود صامتون على فترة قبل تاريخية دامية تمتد إلى مئات الآف السنين إنها تشمل هياكل عظمية تحمل آثار سلخ فروة الرأس ، وأسناناً على شكل حرف X ، وقد ثبتت بها رؤوس سهام . أسلحة على شاكله صواريخ توماهوك والمواد الكيميائية المخصصة للقتل ولأنستخدم في الصيد . كما نجد تحصينات دفاعية - كارتاد خشبية لعصي مدبية الرأس ، ولوحات - من عدة قارات - تصور رجالاً يطلقون

السهام والرمح أو قطعاً خشبية معقوفة فكانت تطلق على العدو ، وأنهم قد سقطوا
أموثاً بهذه الأسلحة. (4) فعوال عقود ، أنكر أنثروبولوجيو السلام وجود جماعة بشرية
مارست أكل لحوم البشر ، لكن الدلائل التي بثت المعكس لدينا الآن أطروحات من
فني موقع عمره 850 سنة في الجنوب الغربي الأمريكي وجد علماء الآثار عظاماً بشرية
مقطعة مثل عظام حيوانات فكانت تستخدم من أجل الطعام لقد وجدوا أيضاً
هيوغلوبين بشري على عكسرات قديم ، وبعض براز آدمي متحجر (5) ، ففلسفة
الإنسان البدائي ، أقرباء الجد المشترك نياندرتال ، والبشر المعاصرون قد سقطوا ونسوا
بعضهم أيضاً ، مما يعني أن العنف وأكل لحم البشر يرجع إلى ما لا يقل عن ثمانين
الف سنة.

فالحرب هي إحدى الوسائل التي يقتل فيها الناس أناساً آخرين. ففي معظم العز
لثقي الحرب ظللاً من العنف على مجال أصغر ، كالكالصراع الإثني ، ومعارك الرمي
وثارت دموية ، وقتل الأفراد. ههنا أيضاً ليس لدينا أي شيء بمائل السلم ، على الرغم
المتغيرات التي حدثت ولا سبيل إلى إنكارها. لقد شهدت المجتمعات الغربية عدداً
جرائم القتل هي بين عشرة أضعاف ومائة ضعف في الألفية المنصرمة ، وفقدت الازيد
التعددة مليون شخص في عمليات قتل في القرن العشرين.

وإمام الأمريكي تسمية 70.5 إلى واحد من مدة حياته لأن يتعرض للقتل في
والتاريخ يتهم نوعاً ليس بعدد جرائم القتل بل بطريقة القتل ، مئات الملايين من
المسيحيين يزنون بيوتهم وأجسادهم بصورة لوسيلة أوقعت موتاً معذباً لا يمكن توب
بالذين فكانوا مصدر إزعاج للسامية الرومان. هذا مثال واحد فقط من التووعات التي
تنتهي للتذبذب الذي صممه العقل البشري عبر آلاف السنين ، والعديد من هذه الأساليب
شائع بما يكفي لكي تقدم كلمات في ما جمعنا ؛ يصلب ، يسحب ويقطع ، يبل
يضغط ، يرمم ، الإعدام بطوق حديدي ، الخازوق ، الخلعلة ، قتل الإبهام. الخ قاريز
ككارامازوف بعد أن علم بالقطاعات التي ارتكبها الأتراك في بلغاريا ؛ ما من مؤن
كان باستطاعته أن يكون فاسياً جداً مثل الإنسان ، بقنية عالية ، وحرفية قلبه
بينما التقارير السنوية التي تصدرها لجنة المفو الدولية تبين أن وحشية حرفة هم مر
الماضي فقط.



تقبل العنف على مقاييس كبيرة وصغيرة هو أحد أعظم اهتماماتنا الأخلاقية. لذلك ينبغي أن نستخدم ككل وسيلة فكرية متوفرة لفهم ما يتعلق بالعقل البشري والتربيات الاجتماعية التي تقود الناس لأن يؤذوا ويقتلوا كثيراً. لكن السعي لتصور ماذا يجري قد تم اختطافه بمحاولة شرعنة الإجابة الصحيحة. ففي حالة العنف، الإجابة الصحيحة هي أن لا علاقة للعنف بالطبيعة البشرية، بل إنه مرض تسببه عوامل خارجة. العنف سلوك نلغمه التربية، أو مرض معر وبائي في بيئات محددة.

لقد أصبحت هذه الفرضية المعقدة المرصنة في الإيمان العلماني المحكوس تكراراً في إعلانات يومية، في صلاة يومية، أو عربون ولاء، أما قرار اليونسكو - أن البيولوجيا تدعم مبدأ أخلاقياً يقول بمخالوة كونيّة، والأنتروبولوجيون الذين اعتقدوا أن اللاعنّف والمسلم مكان - على الأرجح - المعيار طوال معظم حقبة ما قبل التاريخ البشري، ففي ثمانينيات القرن العشرين، وقمت منظمات علمية اجتماعية عديدة على إعلان أشبهها الذي أعلن عدم صحة علمية تقول إن البشر لديهم دماغ عنفي، وأنهم خضوعاً لاصطفاء باتجاه العنف (8)، فحكما قال أورتيفانغاسبت مقارناً زعمه بأن الإنسان ليس لديه طبيعة بل تاريخ فقط، والحرب ليست غريزة بل اختراع (9)، فالإعلان الحديث الذي أصدرته الأمم المتحدة بمناسبة القضاء على العنف ضد النساء أعلن أن العنف جزء من سيورة تاريخية، وليس طبيعياً أو مولوداً من حتمية بيولوجية، وإعلان عام 1999 التمويل الدولي المشترك لمنع العنف والعنف هو سلوك يتم تلغمه. (10).

دليل آخر على هذه المقاربة للعنف القائمة على الإيمان هي اليقينة الموصدة أن تنبؤات بيئية محددة هي صحيحة. إننا نعرف أسباب العنف - ونقال تكراراً - ونعرف أيضاً كيفية استئصالها ولم ينعنا من ذلك سوى الفشل في الالتزام بذلك. فإذا ما تذكرنا قول ليندن جونسون: إننا جميعاً نعرف أن الظروف التي تولد العنف هي الجهل، والتمييز، والفسر، والمرض، وهناك مقالة من عام 1997 عن العنف نشرت في مجلة علمية مشهورة اقتبست عن عالم ورائة رددت صداها LBJ:

إننا نعرف ما الذي يسبب العنف في مجتمعنا: الفقر، التمييز، وفشل نظامنا التربوي. فليست المورسات هي التي تسبب العنف في مجتمعنا، بل نظامنا الاجتماعي (11).

ورافقه على ذلك كتابها المقالة المورخان بيبي ودانييل ككيفيلز:

إننا بحاجة إلى تربية أفضل، وتذنية، وتدخلًا في الاختلال الوظيفي في بيوتنا. إلى جهة الأطفال الذين أسوتت معاملتهم، وربما لدرجة إبعادهم عن سيطرة أبائهم غير الأكفأ. لكن استجابات كهذه ستكون مختلفة وجدلية اجتماعياً. (12).

يشير الاعتقاد بأن العنف سلوك مكتسب إلى عناصر محددة في الثقافة الأمريكية على أنها هي السبب، مؤخراً، أخبر عضو في جماعة مراقبة ألعاب مراهقة والعنف هو سلوك يتم تعلمه، وشكل دموية هي تربية. لكن السؤال هو: لماذا تزيد أن يتعلم أطفالنا؟ (13)، هتفت وسائل الإعلام هو موضع الشبهة عادة، بينما كُتب حينها في الصحة العامة: الحقيقة هي أن الأطفال يتعلمون أن يحترموا العنف ويستفيدوا من مشكلاتهم، وللتعامل مع مشاعر قوية. إنهم يتعلمون من نماذج في أسرهم ومجتمعهم يتعلمونه من الأبطال الذين نضعهم أمامهم على شاشة التلفاز، ومن الأفلام والميديو. (14).

الإساءة إلى الأطفال كلما جاءت في كتاب ريتشارد رودس لماذا يقتلون هم سبب مقترض، والمأساة هي أن الناس الذين كانوا ضحايا يصبحون في أغلب الأحيان هم القاتل، كلما قال رئيس مؤسسة سياسة العدل الجنائية: «إنه حلقة تستغل كسرهما، لكن ذلك يتطوي على بعض التكاليف، إننا كمجتمع لم نضع موازن هنالك». (15).

لاحظ في هذه البيانات إطلاق الاعتقاد بأن العنف هو سلوك مكتسب والبيئية بأنه صحيح واتهام بأننا نماني من نقص في الالتزام (لم نضع موازناتنا من بدلاً عن جهل بكيفية حل المشكلة، تلقي تفسيرات عديدة اللوم على التربية، وقد جرى تصورها كعضوية خارقة يتم تعليمها، وتصدر أوامر، وتمنح ثواباً وغالباً إن أراد كتاب أعمدة في جريدة يوسطلون غلوب لا يبدو أنه كان غافلاً عن دورانية تعلمه عند مكتب:

إن، لماذا أمريكنا هي أكثر عنفاً من الديمقراطيات الغربية الصناعية الأخرى؟ إنها ثقافتنا الهائلة إلى العنف. إننا تلصق بعضنا، ونسحق بعضنا، ونظن بعضنا، ونظر النار على بعضنا، لأن ثقافتنا الأمة تأمرنا أن نفعل ذلك. (16).

عندما ترى التربية كسككيان ذي معتقدات ورغبات، معتقدات ورغبات لمر حقيقتين ليست مهمة. بعد أن فجر تيموثي ماسكفيلج مبنى المكتبة الفيدرالي في مينا

إيكلاموما عام 1995، وقتل 168 شخصاً. سخر الصحفي القبي كوهين من الأمريكيين الذين يشكون من المسؤولية الفردية، وعزا التقدير إلى النزعة الفردية الأمريكية مدنياً إدمان تريوي للتناض في هذا البلد، إننا نعلم في الصفوف وفي اللامب أن الآخرين هم عوائل أمام نجاحنا الخاص، (17). ووضع تفسيراً ذا صلة بالتجديد اللوم على رموز أمريكية، النسر الذي يمسك بالسهم على الشعار الوطني، وشعارات الدولة، من بينها «عش حراً أو فلتنته»، و«بالسيف نسمى إلى السلم، لكن تحت راية الحرية»، (19).

وتمزو نظرية حديثة شهيرة العنف الأمريكي إلى مادة سامية، خاصة تصور أمريكي غريب للذكورة الذي يتم تلقينه في الطفولة. شرحت عالمة النفس الاجتماعي اليس الخلي التسمية بإطلاق الرصاص عشوائياً بالقول «هذا النوع من السلوك هو جزء من الدور الذكوري كلما فهم في التربية الأمريكية، منذ بداية التراث فصاعداً»، (19). لقد عمدت النظرية في مكتب حقت أفضل المبهمات مثل كتاب /قابين القائم/ مؤلفة دان كيندلون، وكتاب /سببة حقيقيون/ للكاتب ولیم بولاند. وفقاً لهذه النظرية إننا نسير في صكارة قومية للصبيان في أمريكا. سبب هذه الصكارة حقيقة أن الصبيان يجربون على الانفصال عن أمهاتهم وإخمد مشاعرهم. سألت مقالة في بوسطن لظوب بالنازين «إقبال الرجال؟ سلوك عنيف، بعد عاطفي، ومعدلات أعلى في الإدمان على المخدرات لا يمكن تفسيرها من خلال الهرمونات»، بقول الخبراء إن المشكلة هي معتقدات ثقافية حول الذكورية، شكل شيء ملتب في عبارة «رجل حقيقي»، (20).

القول إن العنف هو سلوك مكتسب عبارة عن مانترا يكررها الناس الذين زعمتهم بعينية، صكي يوضحوا أنه ينبغي تقليل العنف، وهذا القول ليس مبنياً على أي بحث سليم. الحقيقة المحزنة هي أنه على الرغم من التاكيدات المتكررة بأننا نضرب الظروف التي تولد العنف، لا نكفد نعلمك دائماً على ذلك. التذبذبات الشديدة في معدلات الجريمة - علت في ستينيات القرن العشرين وأواخر الثمانينات، وانخفضت في أواخر التسعينات، ما يزال يمثل تحدياً لأي تفسير بسيط. والشكوك المتبادلة لهم العنف غير مثبتة تماماً وأحياناً تكون زائفة هذا هو الأمر الأكثر وضوحاً في حالة العوامل «كالثقافية»، والمرضى اللذين يرميان في قوائم التوافق الاجتماعي، ويجلبان العنف كلما يزعم الباحثون. تنصغ الأمر بهدوء، ليس هناك دليل على أن العنف يسببه نفس فيتايمين أو عدوى جرثومية. لكن الأسباب المزمنة الأخرى تعاني من افتقارها إلى الدليل أيضاً.

الوالدان المدونتان يكون أطفالهما عدوانيين أيضاً ، لكن الذين يتوصلون إلى العنف مكتسب من الوالدين في حلقة عنف لا يعبرون اهتماماً إلى إمكانية أن تكون العنيفة بالإمكان أن - رث ومكتسبة أيضاً. ما لم ينظر الإنسان إلى الأطفال المبررة بينهم، ويتضح أنهم يتصرفون مثل آبائهم بالتبني أكثر مما يتصرفون على شدة آبائهم البيولوجيين. فإن حلقات العنف لا تبرهن شيئاً. وعلماء النفس الذين يتوجهون الرجال برتكيبون أعمال العنف أكثر من النساء. ومن ثم يلقون اللوم على التربية الذكورية إنما يرددون غمازات ثقافية تمنعهم من ملاحظة أن الرجال والنساء يتصرفون بيولوجياً أيضاً في ادوارهم الاجتماعية. يمرض الأطفال الأمريكيون إلى نماذج أدوار العنف، ويمرضون أيضاً إلى مهرجين، وواعظين، ومفتين شعبيين، وطلقات اللهل، فالسؤال هو لماذا يجد الأطفال أن بعض الناس يستحقون معاقبة لمجرد يستحقها الآخرون.

لتبين أن العنف ناجم عن موضوعات خاصة في التربية الأمريكية، سيكتفي المر الأدبي من الدليل متوافقاً مع الثقافات التي توجد فيها مثل هذه الموضوعات التي تميز أيضاً لأن تكون أكثر عنفاً. وإذا ما وجد هذا العامل فإنه لن يبرهن أن الموضوع التربوية تسبب العنف بدلاً من العكس. لكن قد لا يكون هناك هذا الترابط في تلك الأول.

التربية الأمريكية ليست متفرقة في العنف، وجميع المجتمعات فيها ضد وأمريكا ليست البلد الأكثر عنفاً في التاريخ. أو حتى في عالم اليوم معظم بلدان العالم الثالث، والعديد من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق هي أكثر عنفاً. تملك شيئاً مثل التراث الأمريكي في نزعة الفرد. (21).

أما ما يتعلق بالمعايير التربوية الذكورية، والانحياز ضد النساء، نجد في أسير ماسوشيين، وإيطاليا فيها عجرفة، وفي اليابان أدوار جنس قاسية، مع أن مداد الجريمة هو كسبر من معدلات الجريمة في الولايات المتحدة المتأثرة بالحركة النسائية فالنموذج للبطال الذكر قد تم إعداده لاستخدام العنف في قضية عادلة، هو أحد لغير الدوافع شيوعاً في الأساطير، وبالإمكان العثور عليه في ثقافات عديدة، ذات ساد جريمة متخففة. فطس سيبيل المثال - جيمس بوند الذي لديه إجازة بان قتل ام بريطاني، وأفلام الفنون القتالية شائعة في عدة دول آسيوية صناعية. فقط دولة العنف

التي لم تر فعلاً قبلها سيمائياً أمريكياً. يصدق أنهم يجدون أعمال قتل مرعبة مثلما فعل تيموثي ما كفتيخ، أو مراهبون يطلقون النار عشوائياً على زملائهم في الصف في كلياتها المدرسة. أبطال ذكور في وسائل الإعلام الجماهيرية لهم نزعة اخلاقية عالية إنهم يحاربون الأشرار.

فوسط السياسيين المحافظين ومهربي الصحة الليبراليين على السواء هناك قضية إيمان بأن العنف في الإعلام سبب رئيس في جرائم العنف الأمريكية. فغاية الأطباء الأمريكيين، والرابطة النفسية الأمريكية، والأكاديمية الأمريكية لأمراض السكري شهدت أمام الكونغرس أن أكثر من 3500 دراسة قد تحرت العلاقة، و18 دراسة فشلت في أن تجد علاقة بينهما. يستطيع أي عالم اجتماع أن يشمل أعداداً مشكوكاً بها هنا، فقرر عالم النفس جونان فريدمان، أن يبحث الأمر بنفسه. نحو 200 دراسة تحرت عن العلاقة بين العنف ووسائل الإعلام وبين السلوك العنيف، فتحو أكثر من نصف الدراسات فشلت في إيجاد علاقة (22) لقد وجد الآخرون روابط صغيرة، فسرت حالاً في أشكال أخرى، على سبيل المثال: يسمى الأطفال العنيفون إلى نسبة عينية، وأن الأطفال يتأثرون مؤقتاً (كحتمهم لا يتأثرون بشكل دائم، بأفلام العنف، راجع فريدمان وعلماء نفس آخرون التراث فتوصلوا إلى أن المرض لعنف ووسائل الإعلام له تأثير قليل أو لا تأثير له على السلوك العنيف في العالم) (23) دلائل حقيقية من التاريخ الحديث توحى بالشبه ذاته. فكان الناس أكثر عنفاً في قرون ما قبل التنافس والأفلام، فالكننديون يشاهدون عروض التنافس ذاتها مثلما يشاهدها الأمريكيون، لكن معدل الجريمة في كندا هو فقط 0.25، وعندما بدأت المستعمرة البريطانية سانت هيلين بث إرسال متلفز لأول مرة عام 1995 لم يصبح سكانها أكثر عنفاً. (24) بدأت ألعاب الحاسوب العنيفة في تسعينيات القرن العشرين، حين كانت معدلات الجريمة عالية.

ماذا عن المشبهين العاديين الآخرين؟ المسدسات، التمييز العنصري، والتفكر لقب دوراً في العنف، لكن ما من حالة هي بسيطة أو حاسمة، فالمسدسات تسهل القتل على الناس بكل تأكيد، والتوصل إلى منع تعاضد شجار أكثر صعوبة قبل أن يقع اللت، وبذلك تتضاعف النزاعات القاتلة بكثيرها وصغيرها. مع ذلك هناك مجتمعات كثيرة معدلات الجريمة فيها عالية قبل اختراع المسدسات، ولا يقتل الناس أحدهم الآخر ألياً لأن أحدهم لديه مسدس.

الإسرائيليون والسياسيون مسلحون حتى أسلحتهم، لكن معدلات جريمة المند الشخصي منخفضة، وولاية Maine وبلا شمال داكوتا جرائم القتل منخفضة. مع أن كل بيت فيه بندقية. (25) من الصعب جداً إثبات أن البنادق تزيد من جرائم القتل. عام 1998 نشر فقيه القانون جون لوت كتاباً فيه تحليلات إحصائية يوسي عن الكتاب يعمكس النتيجة التي توصل إليها (مستندات أكثر، جريمة أقل). حتى كان مخطئاً، وأنا أشك في أنه كان كذلك، ليس سهلاً إثبات أن المزيد من البنادق يعني جريمة أكثر.

أما بالنسبة للتمييز العنصري والفسق، يصعب تبين علاقة علاقة مباشرة بنتيجة، فالتأجرون الصينيون إلى كاليفورنيا في القرن التاسع عشر، والحرب الأهلية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية وأجوها تمييزاً عرقياً قاسياً، لكنهم لم يربوا على ذلك بمعدلات عنف عالية. فالتساء أكثر من الرجال، وأكثر حاجة إلى المال لكي يعلمن أطفالين، لكن احتمالية أن يسرقن أشياء بالقوة هي أقل. لقد أقرت تقارير فرعية مختلفة، وهي تتفاوت جذرياً في معدلات العنف فيها، وكما سنرى في تقارير عديدة، قد يكون الرجال الأغنياء نسبياً أسرع ما يلجأون إلى استخدام قوة فتك (26). على الرغم من أن ليس باستطاعة أحد أن يعترض على برنامج جيد تم عرض ليقفل الجريمة، فالمره لا يستطيع أن يلوم معدلات الجريمة لعدم وجود برامج اجتماعية. لقد ازدهرت هذه البرامج في ستينيات القرن العشرين، وهي الفترة التي علت فيها معدلات الجريمة حتى بلغت غنان السماء.

يرد الباحثون الموجهون علمياً في الجريمة ما نتره مختلفة: والعنف مشكلة صعبة عامة، فوفقاً للمعهد الوطني للصحة العقلية: «بالإمكان فهم السلوك العنيف بشكل أفضل - بل وأن يمنع حتى - إذا ما تم التصدي له وكانه مرض معزز ازدهر في أوساط أفراد شحين وبلا الجوار الفقير الموارد...». ونجد نظرية الصحة العامة في منظمات مهنية عديدة مثل جمعية علم النفس الأمريكية، ومراكز السيطرة على الأمراض، ولدى شخصيات سياسية متنوعة مثل الجراحين العاميين في إدارة الرئيس كلينتون والسيناتور الجمهوري آرلين سبيكتور (27). تحاول مقارنة الصحة العامة أن تعد دعوامل الخطر الأكثر انتشاراً في المناطق الفقيرة من انتشارها في المناطق الثنية. لها تشمل الإهمال، وسوء المعاملة في الطفولة، وبلا نظام قاس غير متسق، والطلاق، إسو، التغذية، والتسمم بالرصاص، وإصابات في الرأس، واضطرابات سلوكية غير معالجة. واستخدام الكحول، والكوكايين أشاء الحمل.

ينخر الباحثون في هذا المجال بأن طبيعتهم بيولوجية، يفسون السوائل الجسدية ويأخذون صوراً للدماغ - وتربوية معاً، يبحثون عن أسباب بيئية لحالات الدماغ التي قد يكون بالإمكان تحسينها من خلال إجراءات صحية عامة فعالة. لكن لسوء الحظ هناك عيب ساطع في هذه الطريقة كلها، تعريف جيد لمرض أو اضطراب هو عبارة عن مائة يمر بها الفرد بسبب خلل وظيفي في آلية ما في جسم الفرد (28). لكن فكما أوضح أحد الكتاب في مجلة علمية مؤرخاً «ما هو مختلف عن معظم الأمراض عادة إنه ليس المرض الذي يحدد العدوان كمشكلة». بل البيئة، فالمنهون قد يشعرون أنهم يذون وطاقاتهم بشكل اعتيادي، وقد يستمتع بعضهم بانفجارهم بين حين وآخر، ويقامون العلاج (29)». هناك بديهية مفادها أن العنف أكثر انتشاراً في بعض الناس والأماكن مما هو في بعضهم الآخر، غير أن نظرية الصحة العامة لا تحظى إلا بالقليل من بزمكونها، فكما سئرى العنف ليس مرضاً بالمعنى الطبي.

نظريات البيئة المحضة للعنف تبقى مادة اعتقاد، لأنها تجسد الصفة البيضاء والهجي النبيل، فالعنف - وفقاً لهذه النظريات ليس استراتيجية طبيعية في المفكرة البشرية، بل سلوك يتم تعلمه، أو تتسمم بهادة سامة، أو أحد أعراض مرض معد. في ضوء سابقة، رأينا التوجه الأخلاقي لاعتقادات كهذه، لتفريق بين حاملي المعتد عن قسّم الشرف لفترات سابقة، والمتوحشين من طبقات مختلفة. وللوكد للسامعين أنهم لا يتقدون أن العنف طبيعي بمعنى «جيد». وتعتبر عن تقاؤل أن بالإمكان استئصال العنف، خاصة ببرامج اجتماعية معتدلة بدلاً من اللجوء إلى الردع التأديبي، وللبقاء على مسافة أميال من الموقع التشط إشعاعياً القائل بأن بعض الأفراد أو الطبقات، أو الأعراق هم فطرياً أكثر عنفاً من الآخرين.

فالسلك المكتسب ونظريات الصحة العامة هي إعلانات أخلاقية، أيما عنفة بان المن هو خصم للعنف. إذانة العنف شيء جيد طبيعاً، لكنها لن تكون كذلك إذا كانت مقمّة كترزم امبريقي حيال تكويننا الميكولوجي. أفضل مثال على هذا الخطأ في التمني يأتي من رامزي كلارك - المؤلف العام في إدارة كلينتون، ومؤلف كتاب حقق أفضل البيعات الذي صدر بعنوان «الجريمة في أمريكا»/ 1970 عن الجدل بان نظام العدالة الجنائي يجب أن يستبدل العقوبة بإعادة التأهيل. كما قال كلارك:

تقوم نظرية إعادة التأهيل على الاعتقاد بأن الناس العقلاء السليمين صعبون
بإثارة الآخرين ، وأنهم يدركون أن الفرد ومجتمعه تتم خدمتهم بشكل أفضل بتأجيل
الذي لا يوقع ضرراً ، وأن مجتمعاً عادلاً لديه القدرة على تقديم الصحة ، والهدوء
والفرص لجميع مواطنيه. الفرد - بعد أن تتم إعادة تأهيله - لن يكون له القدرة
على إيذاء شخص آخر ، أو أن يأخذ ملكية ليست له ، أو أن يدمر ملكيته (30)

هل سيكون الأمر مجدداً لو كان الأمر كذلك؟ هذه النظرية هي مثال جيد على
المغالطة الأخلاقية: سيكون الأمر جيداً جداً لو كانت الفكرة صحيحة. إننا نجد
يجب أن نعتقد أنها صحيحة ، لكن المشكلة هي أنها ليست صحيحة. لقد أربح
التاريخ أن العديد من الأصحاء والمعتادين قد يذهبون بأنفسهم إلى أندية الأندية
ويدمرون الملكية لأن مصالح الفرد تتم خدمتها بإيقاع الأذى بالآخرين. أخلاقيات
الحياة المقبولة الجنائية على إيذاء الآخرين ، وهذه مفارقة غفل عنها كحللنا في
صراعات الصلحة ملازمة للشرط البشري. ويوضح ككل من مارتن دالي ومارغريتيس
إن قتل المرء لخصمه هو الأسلوب الأخير لحسم النزاع. (31)

إننا نعرف أن من اليسير أن نساوي بين الصحة والعقلانية مع الأخلاق
فلااستمارات تملأ اللغة الإنكليزية عندما نسمي مرتكب الشر: أحمق، منحط،
فاسد، مجنوناً، شديراً، مختلاً، مريضاً الخ. لكن هذه الاستمارات تتلخظ
عندما نفكر في أسباب العنف وفي سبل التقليل منه. فعندما يأكل النمل الأبي
المواضع الخشبية في المنازل فإنه يقوم بعمله ، وكذلك البعوض عندما يلدغ شما
وينشر الملاريا. إنها تعمل تماماً ما صممها التطور لكي تقوم به ، حتى لو أدى ذلك
جعل الناس يعانون. فإذا هُتِر العلماء أخلاقياً سلوك هذه المخلوقات أو أسماؤها
مرضياً فإنهم يرسلونها جميعاً في أرفق ضيقة ، مثل البحث عن التأثيرات السامة في
المخلوقات ، أو البحث عن علاج سوف يمدنا إلى الصحة. فالعنف البشري ، وليس
ذاته ، ليس مرضاً يستحق الحرب ، وإذا كان أي شيء فإنه الاعتقاد أن العنف لن يرد
خطير لأنه يميلنا ننسى إلى أي درجة قد يثور في أماكن هادئة ، وبشكل سيول.

الصفحة البيضاء ، والجمعي النهيل مدينان بدسهما لا إلى توجيه الأثام
وحسب بل إلى الاستقواء بالإيدولوجيا البوليسية. التشهير الدامي ضد نابليون شانو
على توثيقه الحرب بين قبيلة الهانومامو هو أشنع مثال على إنزال المقاب بالواقعة.

لكنها ليست الحالة الوحيدة. ففي عام 1992 في مبادرة محاربة العنف الناجم عن التطهير، والإساءة التاجمة عن المخدرات، وإدارة قسم الصحة العقلية، قد تم إلغاء المبادرة بسبب اتهامات باطلة، أن البحث كان يهدف إلى تهنة شيان وسط المدينة، وإيحاء بصرهم على أنهم مهالون إلى العنف وراثياً. (في الحقيقة فكانت تدافع عن مقاربة الصحة العامة) عقدت حلقة /مؤتمر وكتاب/ حول القضايا القانونية والأخلاقية التي تعيق بيولوجيا العنف. فكانت تضم مدافعين عن جميع وجهات النظر. لقد اتفق بيرتا دين هيبي - المدير العام للمعهد الوطني للصحة - هذا المؤتمر بموجب قرار بالإجماع بسبب مخاوف متعلقة بحساسية وقوة المؤتمر المقترح. (32) لكن الجامعة الرابطة للمؤتمر استأنفت القرار وكسبت الحكم بإقامته. لكن عندما انعقد المؤتمر بعد ثلاث سنوات لاحقة، غزا المجتمعون القاعة وكانه كان يقدم مادة لمثلين كوميديين، وبدأوا مبادرة تدافع مع المشاركين في المؤتمر. (33)

حول ماذا كان شكل واحد حساساً؟ الخوف الذي عبر عنه هو أن الحكومة سوف تعدد الاضطراب الميغاسي رداً على ظروف اجتماعية تذيب عنها المساواة كعروض نفسي، وأن تمسكت الباحثين من خلال جرهم إلى ما هو أسوأ. لقد أسس العلاج النفسي الراديكالي بيتر بريفن مبادرة العنف الأكثر رعباً، والأكثر عنصرية، والإبغية فطاعة يمكن تخيلها. ومنوع من خطة يربطها القره بالنايا التازية. (34) شملت الأسباب إسياع سمة طيبة على قضايا اجتماعية، والإعلان عن ضحايا الاضطهاد، فالضحية هي في حقيقة الأمر شخص غير مكتمل بيولوجياً وراثياً، وتمتبه الفولة لأهداف من أجل تحسين التنسل وراثياً، وأهداف بيولوجية، والاستخدام التثليل للملاج النفسي في تطوير برامج مسيطرة اجتماعية. (35) بالفعل، هذه قرابة خيالية وفضامية، لكن بريفن يكرر ذلك من دون شكال - خاصة إلى السياسيين الأمريكيين الأفارقة - وإلى وسائل الإعلام. هذي شخص يستخدم كلمات تنم عن عنف وبيولوجيا في الفقرة ذاتها قد يوضع تحت سحابة شك بتهمة العنصرية. لقد أثر هذا على المناخ العسكري بما يتناقض بمسألة العنف. ما من أحد دخل في متاعب لأنه قال إن العنف مكتسب تماماً.

هناك أسباب كثيرة للاعتقاد أن العنف في البشر ليس فعلاً مَرْتَبِياً أو نَسَمَياً بل هو جزء من تكويننا. وقبل تقديم الأسباب دعني أخبر عن خوفين اثنين.

الأول: إن تحري جنود العنف في الطبيعة البشرية يتكبدون من تقليل العنف إلى المورثات الشريرة لدى الأفراد العنيفين، مع المضمون البغيض أن الجماعات الإثنية ذات المعدلات الأعلى في العنف لا بد أن لديها المزيد من هذه المورثات.

قد يكون هناك شك بسيط في أن بعض الأفراد هم بنوياً أكثر ميلاً إلى العنف من ميل آخرين. فغير الشائعات هناك رجال يقتلون بمعدل من 20 - 40 مرة أكثر مما تفعل النساء. (36) وحصاة الأسد من القنطة هم شبان تتراوح أعمارهم بين 15 إلى 30 سنة. (37) وبمض الشبان أكثر عنفاً من آخرين. هوفقاً لإحدى التقديرات 77 من الشبان يرتكبون 779 من أعمال العنف المتكررة. (38) يجد علماء النفس أن الأفراد البالغين إلى العنف ذوو ملف شخصي مميز. إنهم يميلون إلى التهور، وقليلو الذكاء، ولديهم فرط في النشاط، وقليلو الانتماء، ويوصفون بأنهم ذوو هطبع عدائي. إنهم محبون للانتقام، سريعو الغضب، مقاومون للسيطرة، ومزعجون عن قصد، ويلتقون اليوم على أساس آخرين(39). والأكثر عناداً من بين هؤلاء هم المختلون عقلياً. إنهم يفتقدون إلى وجدان، ويشكلون نسبة مئوية كبيرة من القنطة(40). تنبئ هذه الخصائص في بداية العقولة، وتبقى طوال الحياة، وهي - على الأرجح - وراثية.

الساديون، وتوو الرؤوس الحامية، وقتلة فطريون آخرون هم جزء من مشكلة العنف، ليس فقط بسبب الأذى الذي يحدثونه، بل للوضع العدواني الذي يجسبون الآخريين عليه للردع والدفاع عن النفس. لكن فكري هنا هي أنهم ليسوا الجزء الرئيس من المشكلة. تبدأ الحروب وتتوقف، وتتفاوت معدلات الجريمة، وتتقل المجتمعات من عسكرية إلى مسالمة أو يصبح العكس ضمن جيل، والجميع من دون أي تكراريات في المورثات المحلية. فمع أن الجماعات الإثنية تتباين في متوسط معدلات العنف فيها، والقروقات لا تستدعي تفسيراً وراثياً لأن المعدل بالنسبة لجماعة في فترة تاريخية بالإمكان مقارنته مع معدل أي جماعة أخرى في فترة زمنية أخرى فالاسكتديناهيون الطمعون تحددوا من الفايكنغ المتعشقين للدماء، وأفريقها التي تمزقها الحروب بعد سقوط الاستعمار، تشبه كثيراً أوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية. إن أي جماعة أثنية تمكنت من الانتقال إلى الحاضر يتجاح، من المحتمل أن أسلافهم كانوا مولدين بالقتال في الماضي غير البعيد.

الخوف الثاني: إذا سكان الناس لديهم دواضع عنف، إذن ليس بيدهم حيلة إلا كانوا عنيفين، أو ينبغي أن يكونوا عنيفين طوال الوقت مثل الشيطان التاماني في

البحان مجنونة / الذي يمزق منطلقاً بأصغرها ، مختلفاً وراية رقعة من الدماغ في مسارها هذا العرف هو رد فعل على الأفضكار المنفردة لقرود قاتلة ، تمثّل للدم ، رغبة بالموث ، واجب إلهي ، ودفاع عنيف . فإذا كان الدماغ مزوداً باستراتيجيات للعنف ، هي إستراتيجيات وجوب ، مرتبطة بدورة معقدة يتم حوسبتها متى وأين يجب أن تنتشر .

فالحوانات تشتر العدوان بأساليب اصطفاية جداً ، والبشر الذين أجهزهم الطبيعة تقع في شبكة التصيين الأماميين خارج القياس تقوم بالحساب أكثر . فمعظم الناس يعيشون حياتهم بعد البلوغ من دون أن يضغطوا على الزرار عندهم

إن ما الدليل على أن نوعنا - ربما - طوّر الهبات من أجل عنف حذر؟ فالشيء الأول الذي نضعه في ذهننا هو أن العدوان تشاطت منظم موجه بهدف ، وليس حادثة قد تأتي من سوء تصرف عشوائي . فإذا استمرت جزالة المشب لديك بالعمل بعد تحرير المقبض ، وإنه قدميك ، فقد تشك بمفتاح عامل ، أو بمعلل آخر . لكن إذا بقيت الجزالة منتظرة حتى تخرج من المرائب ، ومن ثم طاردتك حول الحديقة ، سيكون عليك أن تستنتج أن شيئاً ما قد ركب فيها قطعة مبرمجة لكي تفعل ذلك . وجود Chimpeide المتعمد في لإلا عموميتنا الشمبانزي يطرح إمكانية أن قوى التطور ، وليس فقط خصوصيات نيوية بشرية معددة أعدتنا للعنف . وحضور العنف في المجتمعات البشرية طوال التاريخ وما قبل التاريخ أقوى دليل على أننا قد تم إعدادنا جيداً .

عندما ننظر إلى الأجسام والأدمغة البشرية ، فإننا نجد دلائل مباشرة على أكثر تصميم من أجل العدوان : القياس الأكبر ، القوة ، كتلة جسمية علوية للبشر هي مؤشر فيزيولوجي على تاريخ تطور للمنافسة بين ذكور وذكر آخر . (41) أمارات أخرى تشمل تأثيرات التانتستيريون على الهمنة والعنف (الذي سوف نتحدث عنها في الفصل الخاص للجنس) ، والشعور بالفضيب ، والضغظ على الأسنان ، وشد القبضات ، وذ الفعل الذي يسمى قاتل أو اهرب ، وذ الفعل الألي للجهاز العصبي ، وحقيقة أن وسائل التيبط الدماغني (بالكحول) ، وضرب الفصين الأماميين أو في ما جدالاً ، أو نفس جيني موجود في مادة كيميائية تؤثر على كيفية إرسال الرسائل من الدماغ إلى الجسم قد يؤدي إلى هجمات عدوانية تشنها دارات في الجهاز الحركي . (42)

في جميع الثقافات يخطر الصبيان في اللعب الخشن بكل عنوية - وهو بكل وضوح تدريب من أجل القتال . كما أنهم يقسمون أنفسهم إلى تحالفات لتنافس عدائياً

لذلك نرى بالملحوظة التي تنسب إلى دوق ويلينغتون أن معمرضة الرنك قد منضت على ملاعب إيتون. (43) فالأطفال عنفون قبل أن يصابوا بمدى دس الحرب أو الأخطار التنافسية المراهقة التي ليست هي السن الأكثر عنفاً بل فترة تعلم الطفل على المشي هي دراسة حديثة. تقريباً نصف الأولاد الذين تجاوزوا سن الثانية، ونسبة أقل من البنات، ينخرطون في الضرب والعض والرفس، وكما يوضح المؤلف «لا يقتل الأطفال الرضع بعضهم، لأننا لا نمكنهم من الوصول إلى المسكاتكين والمسدسات المسألة التي نحاول أن نجيب عنها طوال 30 سنة الماضية هي كيف يتعلم الأطفال ألا يمتدوا؟» (44)

السؤال الخاطئ، فالسؤال الصحيح هو كيف يتعلم الأطفال ألا يمتدوا؟
يشغل العنف الذهن طوال الحياة. فوفقاً لإحصائيات مستقلة في بلدان عديدة فلم يها عالم النفس دوغلاس كينريك ودافيد بوس Boss بتغليل نحو أكثر من 280 من النساء /90/ من الرجال قتلهم أناساً لا يحبونهم، خاصة منافسين رومانسيين، ثم الأم، وأناس أدلهم أمام الناس (45) يستمتع الناس في جميع الثقافات بالتصغير بجرائم قتل، فأسرار جرائم القتل وشعبيتها - ومسرحيات الجريمة، وقصص الجاسوسية، وأمسى شكسبير، وقصص النوراء، وأساطير البطولة، والمسلك الملحمية شخصية من كتاب توم سوليفارد ميتون Rosen crantz and Guil densten نسل ذلك منضط على الماسي العظيمة في الزمن القديم ليس كذلك؟ أعني عمليات القتل الطفلاسيكية؟ والناس يستمتعون دائماً بمشاهدة القتال الممنوع الذي نسميه (رياضات) مسابقات في التهديف، والمطاردة، أو القتال، وتنتهي بمنصرين ومهزومين. هذا كانت اللغة دليلاً، فإن جهوداً أخرى كثيرة يتم تسورها كأشكال من العدوان، الحدال الفكري لأن تستط، تهزم، تدمر فكرة أو حاملها، الإصلاح الاجتماعي، بحارب الجريمة، بنازل الانحياز، حرب على الفقر، الحرب على الخدرات، الخ، والملاح الطدي (محاربة السرطان، قاتلات الألم، هزيمة الإيدز، والقضاء على السرطان). في الحقيقة، المسألة كلها، لا يحدث خطأ اجتماعياً أو بيولوجياً عندما يخطر شخص في عنف، بل يبدان بشدة، كل امرئ يعرف الحاجة إلى العنف في حالة الدفاع عن النفس وعن ضحايا بويتين يوضح فلاسفة الأخلاق أن التعذيب مبرر في بعض الحالات، عندما يتقل إرهابي زرع قنبلة موقوتة في مكان مزدحم، ويرفض أن يقول أين وضعها؟ بمومية أكثر، ما إذا تسمى مجموعة معتقدات بطولية أم مرضية فتلك يتوقف على جرح من قرن ثور، مقاتل من أجل الحرية، أم إرهابي، روبن هود أو اللص،

لذلك الحارس أو عضو في لجنة أمنية - رجل نبيل أم لورد حرب، شهيد أم انتحاري
كالمسكين، قائد أم زعيم عصاة، فهذه كلها هي أحكام قيمة وليست لتسنيحات
علمية. إنني أشك أن الأدمغة أو المورثات في معظم الأبطال المعروفين تختلف عن المورثات
لدى نظرائهم المذمومين.

إنني أجد نفسي متفقاً مع العلماء الراديكاليين الذي يؤكدون أننا لن نفهم أبداً
الغضب من خلال النظر إلى مورثات وأدمغة الناس العنيفين فقط، فالغضب مشكلة
سياسية واجتماعية وليس مجرد مشكلة بيولوجية. فالظواهر التي نسميها (اجتماعية)
(وسياسية) ليست أحداثاً خارجية تؤثر - بطريقة غامضة - على الشؤون البشرية مثل بقع
شمسية، إنها تقاضعات مشتركة بين الأفراد في زمان ومكان محددين لذلك لا
يصلح المرء أن يفهم الغضب من دون فهم كصالح للعقل البشري.

فيما نبش من هذا الفصل أستكشف منطق الغضب، ولماذا تنشأ الانفعالات
والانفجار التي تنكرسه. هذا أمر ضروري لكي نملك عقدة الأسباب البيولوجية
والنفسية التي تجعل العنف مسألة محيرة جداً، وهذا قد يساعد في تفسير السبب وراء
استمرار الناس للعنف، لكنهم يعملون على تلك الهول في ظروف خاصة فقط. عندما
يكون الغضب بمعنى ما عقلاني وعندما يكون هزيمة لذات بشكل وضوح. لماذا يكون
الغضب أكثر سيطرة في بعض الأوقات والأماكن مما هو في أماكن وأوقات أخرى،
على الرغم من الانقراض إلى أي فارق وراثي بين من يمارسون العنف وأخيراً كيف
يمكننا أن نفلح الغضب ونمنعه.

الخطوة الأولى لفهم الغضب هي أن ننحي جانباً كبراً دائماً له مدة كافية لكي
تخبري لماذا يستطيع أحياناً أن ينجح في شروط تطورية أو شخصية. هذا يتطلب من المرء
أن يقلب صياغة المشكلة من لماذا يقع العنف إلى لماذا يتجنب الغضب. فالنزعة
الأخلاقية لم تدخل الكون مع الانفجار الكبير، ثم انتشرت في أرجائه مثل إشعاع لقد
اكتشفتها أسلافنا بعد بلايين السنين من سيورة لإمالة أخلاقياً تصرف باسم
الاستقاء الطبيعي. فمن وجهة نظري، أول من أوضح عواقب هذه الأرضية الأخلاقية
هو هوبس في كتابه لويثان /Leviathan/، لكن لسوء الحظ عبارة هوبس البليغة
تكره، وحشي، وقصير، وصورته لشخص لوثاني جبار) تمنعنا من أن نمسك بخناق
بضنا، أدت إلى سوء فهم لنقاشه. بشكل عام يفهم الناس هوبس وكانما يفتح أن

الإِنسان في حالة من حالات الطبيعة سكان مزودا بدافع غير عقلائي للعقد والتمسك
لنكون تطهيرة في حقيقة الأمر أكثر براعة، ولربما أكثر مأساوية حتى. لأنه قد أتت
كيف أن ديناميات العنف تنبثق من التفاعلات بين قوى عاطفة ومهمة بذاتها لقد أمهد
اكتشاف تحليل هوبس من قبل بيولوجيا التطور – نظرية اللعبة، وعلم النفس
الاجتماعي، واستخدمهما لأنظم مناقشتي لمنطق العنف قبل أن أتحوّل إلى الأسلوب
التي ينشر فيها البشر دوافع سلمية لكي تواجه غرائزهم العنيفة.

والهيك التحليل الذي سبق القشرة الشهيرة (حياة الإنسان).

لذلك نجد في طبيعة الإنسان أسباباً رئيسة للشجار. السبب الأول التناض التلمي
عدم الثقة بالثمن، الثالث العظمة، فالتنافس يجعل البشر يغزون من أجل الطعام
والثاني من أجل السلامة والأمن، والثالث من أجل الشهرة، الأول يستخدم العنف ظم
يجعلوا انتمسهم سادة على أناس آخرين، زوجات وأطفال، ومواشي والثاني للعدو
عنها، والثالث من أجل التواضع: كطعمة، ابتهامة، وراي مختلف، وأي شيء يمس
القيمة، إما مباشرة في شخوصهم أو بالتكبير في أقرابهم، أصدقائهم، أمهم، منهه
أو اسمهم. (46)

السبب الأول التنافس، فالقوة الدافعة للاصطفاء الطبيعي هي التنافس الذي يمن
أن نتاجات الاصطفاء الطبيعي – آلات البقاء في عبارة ريتشارد داوكنز – يجب أن تميز
أي شيء يساعد على البقاء وإعادة الإنتاج إنه يشرح ذلك:

«لآلية بقاء، آلة بقاء أخرى (التي ليست هي طفلتها أو إحدى قريباتها) إنها جزء من
بيئتها، مثل سفرة أو نهر، أو كومة من الطعام، إنها أحياناً ذلك الذي يعترض الطريق
أو شيء بالإمكان استغلاله، إنها تختلف عن سفرة أو نهر في جانب واحد مهم من
لأن ترد الضربة، هو لأنها أيضاً هي آلية تمتلك جيناتها غير القابلة بلقة بالمستقل، وهم
أيضاً ستوقف عند لا شيء لسكي تحفظها. الاصطفاء الطبيعي ينحاز إلى الجهات التي
تتحصن باليات بقائها بطريقة تجعلها تستغل بيئتها أفضل استغلال.

هذا يشمل الاستغلال الأمثل لآليات البقاء الأخرى، كلاهما من النوع ذاته، في
أنواع لآليات أخرى في آن معاً. (47)

إن يبرز عائق في الطريق إلى شيء تحتاجه العضوية، يجب أن تحبّد العائق
باستئصاله أو شله عن العمل، فهذه المواقف قد تكون ككائنات بشرية أخرى – طفل –
عواقب تتحصر أرضاً مرغوباً بها أو مصادر طعام، فحتى بين الدول القومية العنيفة.

المصلحة الذاتية الخام هي دافع رئيس للحروب. لقد حلل عالم السياسة بروس بوينودو
مبكرتها معروضات 251 نزاع عالمي حقيقي خلال القرنين الماضيين، فتوصل إلى نتيجة
ملامها أن المتدي - في معظم الحالات - قد حسب بشكل دقة أن غزواً ناجحاً سيكون
لمصلحة التومية. (48)

عالم بشري آخر قوامه رجال يحتكرون النساء، ولولا ذلك لَكُنَّ يصبحن زوجات.
لنت هويس الانتباه إلى ظاهرة من دون معرفة سببها التطوري الذي قدمه روبرت تريفرز
بعد مضي قرون تالية: الفرق في استثمار الوالدين في الحد الأدنى للتذكور والإناث يجعل
القدر التكاثرية للإناث بضاعة نادرة يتنافس عليها الذكور. (49) وهذا يفسر لماذا
الرجال هم جنس عنيف، ولماذا أيضاً لديهم ما يتقاتلون عليه، حتى عندما تلبس
اختراجات بقاتهم.

لقد وضحت دراسات الحروب في مجتمعات ما قبل العولمة أن ليس على الرجال أن
يمارتوا من نفس في الطعام أو في الأرض لكي يشنوا حرباً. (50) ففي أغلب الأحيان
خلفوا بلزون قري أخرى لكي يخطفوا النساء، أو ثاراً لعمليات خطف سابقة، أو دفاعاً
عن مصالحهم في نزاعات على مبادلات النساء للزواج. والنساء في هذه المجتمعات لم
يكن لديهن ما يقلته في هذه المسألة. لا يزال الرجال يتنافسون على النساء من خلال
التنافس على المكانة الاجتماعية والثروة التي كانت تجذبهن قد تكون المنافسة
هينة، فنكفما يوضح دالي وويلسون «أي مخلوق يتكون على المسار باتجاه فشل في
إعادة التكاثر التي تتطلب جهداً يبذله غالباً في مقاومة الموت، لكي يحاول تحسين
سنوى حياته الراهنة» (51). والشبان المقشرون من المرجح أن يشاروا بحياتهم لكي
يحققوا فروعهم في زمان من أجل المكانة الاجتماعية، والثروة، والحصول على زوجة.
(52) ففي جميع المجتمعات، القطع السكاني حيث يوجد فيه مشيرو الفن
والجائون، ومذخرو الدفاع وأحد أسباب رفع معدل الجريمة في ستينيات القرن
الشرين هو أن الميكان بدأوا يدخلون سنوات مهلمهم إلى الجريمة. (53) على الرغم من
وجود عدة أسباب يختلف فيها بلدان في رانيتها بشن حرب، إلا أن أحد العوامل هو أن
نسبهم إلى عدد السكان في سن تتراوح بين 15 - 29 سنة. (54)

قد لا يبدو هذا التحليل الساخر ككفه صحيح الوقع لدى قراء معاصرين، لأننا لا
يمكننا أن نعتقد أن أناساً آخرين هم مجرد أجزاء من بيتنا يتوجب تحييدهم
كأشباب في حديقة.

فما لم تكن نشككو من اضطراب عقلي. يتوجب علينا أن نتعامل مع الأعداء، ولا نعاملهم بحمافة وكرهاتهم وعوائلق أو ضحايا. فهذا التعاطف يمنع الناس من ارتكاب جميع أنواع الجسازر عبر التاريخ وما قبل التاريخ. بالإمكان حسم التعاطف من نظرنا أن الناس يدركون حلقة أخلاقية قد لا تضم جميع الكائنات البشرية. من فقط أفراد عشيرتهم، قريتهم أو قبيلتهم. (55) فداخل هذه الحلقة، إخوانهم البشره أهداف للمصبة، ومن هم خارجها يداس عليهم مثلما يداس على صنخرة أو نهر أو صخور طعام. وفي كتاب سابق ذكرتك أن لغة شعب واري Warl في الأمازون قد صحت تصنيفات تميز الأشياء التي تؤكل وتلك التي لا تؤكل. وأن الصنف الذي يؤكل يشمل أي واحد من خارج أفراد القبيلة. وهذا ما دفع عائلة النفس جوديث ريتش هاربر إلى إبداء ملاحظة:

في قاموس الواري، يعرف الطعام أنه ليس واري، ووجبات غذائهم هي مرص صير للجميع ما عدا من ليس من الواري.

فأصل لحوم البشر مسالة صكرهية بالنسبة إلنا، مع أن الأنثروبولوجين لم يظهروا أنها كانت منتشرة في فترة ما قبل التاريخ. من السهل أن نعتقد أن: هل من الممكن كائنات بشرية أخرى قادرة على عمل بعض كنهذا؟ بيد أن نشطاء حقوق الحيوان لديهم رأي متدرج بأكفلي لحوم البشر الذي لا يسبب وقوع ملايين الوفيات المعطورة. بل أيضاً هل ذلك بوحشية مطلقة؛ إحصاء، ووضع علامات على القطيع من دون استخدام مخدر، وتطويق السمك وترصمه بختق، وسلق الكرفسكند جيداً، فكفرتي ليست جيد قضية أخلاقية للتباين بل أن أسلط الضوء على بنية العنف والقسوة البشريين بلو التاريخ والإثنوغرافيا إن الناس يستطيعون التعامل مع الغرباء بالطريقة ذاتها التي تتغل فيها مع الكرفسكند الآن وخوفنا من أعمال كنهذه بالإمكان مقارنته مع مفرد نشطاء حقوق الحيوان. فليس مصاففة أن بيتر سينغر مؤلف /الدائرة التساعية/ هو أيضاً مؤلف كتاب /تحرير الحيوان/.

فالملاحظة أن الناس قد يكونون أخلاقياً غير مباينين تجاه من هم خارج دائرة العنيفة المباشرة تعني انتفاحاً على الجهد المبذول لتقليل العنف: فهم سيكولوجيا الدائرة بشكف جيد يكفني لتشجيع الناس لكي تشد البشرية كفلها إلى داخلها لقد رأينا كيف تكبر الدائرة الأخلاقية منذ آلاف السنين، ويتم دفعها إلى الخارج بتوسيع شبكات التبادلية التي تجعل كائنات بشرية أخرى قبة حبة أكبر من أن تكون

مئة (56) لقد صاغ روبرت رايب الأمر: «بين الأسباب العديدة، هاتني لا أعتقد أن علينا أن نقصف اليابانيين لأنهم يصنعون سياراتي الفان الصغيرة، لقد ساهمت وسائل أخرى عديدة في النظرة المعادية التي تجعل تخيل أماكن تجارية مع أناس آخرين أكثر سهولة. وهذه تشمل التعليم، السفر، معرفة التاريخ، و«فن الوصي يساعد الناس أن يستقلوا لنفسهم في حياة الناس اليومية»، أناس ربما في أوقات أخرى لكننا أعددناهم الفاتحين.

لقد رأينا أيضاً أن الدائرة قد تتكتمش. لقد برهن جوشان غلوفر أن الجازز غالباً ما ترفضها خطط مرحلية تحيط من قدر الإنسان: استخدام أسماء تحقيرية، ظروف سيئة، ملابس مثقلة، ومزحات باردة، تسيب معاناة. (57) هذه التكتيكات يمكنها أن تعرض حالة عقلية وتمديد تصنيف شخص جاعلة إياه سهلاً جداً تعذيبه أو قتله مثلما أن تلقى المكروستند حياً أمر يسير علينا.

لقد بين عالم النفس الاجتماعي فيليب زيمباردو أن بين طلاب جامعات النخبة قد تدفع لتكتيكات، غايتها الحط من القيمة الإنسانية، شخصاً إلى خارج الدائرة الأخلاقية لشخص آخر. لقد أوجد زيمباردو ما يشبه سجناً في قبو جامعة ستانفورد في قسم علم النفس، وحدد عشوائياً طلاباً أن يلبعوا أدوات سجين أو حارس وكان على السجناء أن يرتدوا منزواً، وأصفاداً حديدية في الساقين، وقباعت من النايلون، وكانوا يعرفون لا بأسمائهم بل بأرقامهم المتسلسلة، لكن لم تعض عليهم فترة طويلة حتى بدأ الحراس يمتسون عليهم، ويقفون على ظهورهم أثناء ممارسة السجناء للرياضة، ويدخلون أجهزة الإطفاء على وجوههم، ويجبرونهم على تنظيف المراحيض بأيديهم العارية. لم يلبث على أثرها أن ألقى زيمباردو التجربة حرصاً على سلامة الموضوع (58)

في الاتجاه الآخر، قد تتكسر الأوامر الدالة على إنسانية الضحية، وقد تصدده إلى حالة التعاطف. عندما حارب جورج أورويل في الحرب الأهلية الأسبانية، رأى مرة رجلاً يرتكض طلباً للتجاء بحياته نصف مرتد للباسه، وممسكاً بنظاله بإحدى يديه، أحجمت عن إطلاق النار عليه، إنني لم أطلق النار بسبب ذلك التصليل حول البنطال. لقد أتيت إلى هنا لكي أطلق النار على الفاشيين، ورجل يحمل بنطاله ليس فاشياً، إنه سبي، ومثلك» (59) يورد غلوفر مثلاً آخر أوردده صحفي أفريقي جنوبي:

في عام 1985، في جنوب أفريقيا المنصورية كانت هناك مظاهرة في دوربان فاجمت الشرطة المتظاهرين بمنف معهود، طارد شرطي امرأة سوداء، وحاول ضربه بدراجه، وبينما كانت تركض انخلع حذاءها من قدمها. وكان الشرطي الوحش شاباً

أهريشياً، فكان يعرف أن عندما تقعد امرأة حذامها فإنك تلتصق لها. التقت هينغما بعد
بسلامها المذاهم ثم تركها، لأن ضريحها بالهراوة لم يعد خياراً أمامه. (60)

- يجب ألا تضلل أنفسنا بالتشكيير أن ردة فعل أوزوبل - أحد أعظم الأسياد
الأخلاقية في القرن العشرين - والأهريشي حسن التربية هما رد فعل نموذجي بعد
مفكرون عديمون أن الغلبة الجنود لا يستطيعون دفع أنفسهم إلى أن يطلقوا القذائف
معرضة. هذا الزعم غير قابل لتصديق هذه الظاهرة، إذا ما علمنا أن مشرك ملان
الجنود قد قتلوا في حروب القرن الماضي. لقد دُكِّرت بالهروفسور في كتاب ستيو،
Jumpers الذي أشار إلى أن مفارقة زنون لن تمنح سهماً من الوصول إلى هدفه لأن
لذلك لا بد أن القديس سيستيان مات من الجوع. فكمما يتضح أن بالإمكان إزاحة
الاعتقاد إلى دراسة ملتزمة لجنود المشاة في الحرب العالمية الثانية. ففي مقابلات ستان
انكروا إطلاقهم النار، لدى سؤالهم ما إذا أطلقوا نيران أسلحتهم. ناهيك عن فرق
انهم لم يفعلوا ذلك. (61) استقصاءات حديثة على الجنود في معركة أو في أسوأ
شغب، أو في مجازر أشفة تجد أنهم يفتنون بمنصة، وأحياناً بحالة يصفونها بظفر
(سعادة) أو (نشوة).

نوادير غلوفر تقوي الأمل بأن الناس قادرين على وضع الفرياء داخل حلقة الخلق
تتسم بالنعف. لكنها تذكرنا - أيضاً - أن الخليفة الخاطئة تضمن بإفعالهم خارجها

في المقام الثاني، الحياء بمعنى الأصلي (عدم الثقة). لقد ترجم هوبس كترابح حرب
اليانكوز/ الذي كتبه توكهيديس، وصدم بملاحظته أن «ما جعل الحرب ضحاياهم
تتامي القوة الأينية والخوف الذي نجم عن هذه القوة في إسبارة. قد يشتهي هيرد
ما تملكه، بالتالي فقد غدوت عائلاً أمام رغبتهم، إن ينهي أن تستعد لأن تدفع بر
تفمك.

الدفاع مسألة غير محدودة حتى مع وجود التقانات: أسوار قلعة، خط مانجرار
دفاعات مضادة للصواريخ الباليستية. الخهار الوحيد لحماية الذات قد يكون القند
النائم على الجيران الماديين أولاً في ضربة وقائية. لقد نصح بيررا يولغي أن أفضل وسيلة
للدفاع هي الهجوم الجيد، والمعكس صحيح. ويشكل أساساً قد توصل إليه
النتيجة حتى لو لم يكن في جسدك عظم عدواني. وكل ما تتطلبه الحرب هو إزاحة
إن الآخرين قد يشتهون ما تملكه، ورغبة قوية ألا تتعرض للقتل بل ما مواضع

لمحاوية أن جيرانك لديهم سبب لأن يتوصلوا إلى الاستنتاج ذاته. وإذا كان لديهم هذا السبب، فإنه يجعل معاوذك أسوأ أكثر. مما يجعل ضربة استباقية أكثر إغراءً. كما أن الضربة الاستباقية ضدك مقربة أيضاً.

هذا الشرك الهويسي (من اسم العالم هوبس) كما يسمى الآن، سبب قوي المتصور في النزاع العلني. (63) لقد قدم عالم السياسة توماس شيلنج صورة مشابهة بين صلصلة صاحب بيت مسلح يهاجم سارقاً مسلحاً. فكل منهما قد يُدعى لإطلاق النار أولاً حتى يتجنب أن تطلق عليه النار أولاً. حتى لو كانا متكلاهما لا يريدان قتل بعضهما الآخر. فالشرك الهويسي يضع رجلاً مقابل آخر وهذا موضوع يتكرر كثيراً في الأدب الروائي: مثل حالات الهائس المشرد في أفلام الغرب الهوليوودية، أو جاسوس مقابل جاسوس في قصص الحرب الباردة، وفي أغاني بوب مارلي: «أنا أطلقت النار على الشريش. هذه الشرارة الهويسية تضع جماعات مقابل جماعات. لأننا نوع اجتماعي. هناك أمن في الأعداد والبشر الذين تربطهم مورثات مشتركة، أو أساليب متبادلة. يتكفون تحالفات من أجل الحماية. لكن وبالسوء الحظ - فإن الشرك الهويسي يعني أن هناك خطراً أيضاً في الأعداد لأن الجيران قد يخافون ويتكفون تحالفات بدورهم ويتهام الخطر المتزايد، طالما أن احتواء رجل هو إحاطة أخرى بالرجل، وهذا يرسل رسالة إلى الأعلى إن النزعة الاجتماعية لدى البشر هي التحالف - الرابط الأصلي التي فيه قد يجد فريقان - دين ميالفة - أنفسهم في حالة حرب عندما يهاجم حليف لبعضهما حليف الفريق الآخر. وهذا هو السبب الذي يجعلني أناقش القتل والحرب في فصل واحد. فسي الأنواع التي يتكفون فيها أفرادها روابط، ولاء، فالأولى قد تتحول لتصبح العامل الثاني.

يتكون الخطر كبيراً بالنسبة للبشر تحديداً، لأن البشر ليسوا على شاكلته معظم الثدييات، لأننا نميل إلى أن نتكفون استمرارية للعلاقة بين الأب والابن. ذكرهور دوي علاقات قرابة يعيشون معاً بدلاً من الانفصال عن الجماعة عندما ينضجون جنسياً. (64) الوسط الشمالي والديلافين، يعيش الذكر المرتبطون بقرابة معاً أيضاً، ويتكفون تحالفات عدوانية. وما نسميه «جماعات إثنية» هي عبارة عن هائلات موسمة جداً، مع أن في جماعة إثنية حديثة تتكون الروابط العائلية بعيدة جداً بالنسبة للقرابة القائمة على درجة القرابة، بالتالي لا تتكون الروابط مهمة. لم يكن هذا صحيحاً في التحالفات الأسرية التي نشأنا فيها. فالجماعات الإثنية - حتى في يومنا هذا - غالباً ما تترك أنفسها

مخططات كبيرة ، ودور الولايات الإشيية في عتف جماعة ضد جماعة يتكون شديد الوضوح(65)

السمة الأخرى المميزة للإتسان العاقل مكنوع هي صناعة الأداة إذ يتشكل التساخر هنا: تؤدي إلى صناعة السلاح وقد يفرض عدم الثقة بالنفس إلى سباق تسلح ، فسباق التسلح - مثل التحالف - يستطوع أن يجعل الحرب محتملة أكثر بتسريع عاملي العرف وعدم الثقة. المقدره المتبجعة لتوعنا في صناع الأدوات هي إحدى الأسباب التي تبطئ بارعين في قتل بعضنا.

تستطوع الدائرة الشريرة للشرك الهويس أن تساعدنا في فهم لماذا يتم التسعيد من الاحتكاك إلى الحرب (وأحياناً تراجع الوفاق) التي قد تقع بتشكل مغاير من صمم علماء الرياضيات ومحاسكو الحاسوب نماذج يحوز فيها لاعبين عدة على السلاح. إذ يتشكلون تحالفات رداً على ما يفعله اللاميون الآخرون. ففي أغلب الأحيان تظهر هذه النماذج سلوكاً هوضياً ، فيه هوارق صغيرة في قيم البارامترات ، التي قد يتكون لها عواقب كبيرة وغير متوقعة. (66) إن شرك هويس بين الجماعات بعيدة عن أن تكون افتراضية ، كلما نستنتج من الماحة هويس إلى حرب البلونيز. أما شاختون فيصف قرى قبائل البانومامو وهاجسها وخوفها من خطر أن تتعرض للقتل على يد قرية أخرى وأحياناً تتورط في هجومات استباقية. وبذلك تعطي القرى الأخرى سبباً وجهياً لشج هجمات استباقية ، وتعرض جماعات قرية على تشكيل تحالفات كفي تجعل جيرانهم أكثر عصبية. (67) بوعضبات الشوارع وعائلات الماغي تتخرد في الاعيب كعبد فالحرب العالمية الأولى ، وحرب الأيام الستة ، والحروب البوغوسلافية في تسعينيات القرن العشرين نشأت جزئياً من شرك هويس. (68)

لقد صاغ عالم السياسة جون فاسكيز الفكرة كصياً. فمن قاعدة بيانات ثلاث النزاعات في القرنين الماضيين ، استنتج أن مكونات شرك هويس هي: القلق على الأمر وإقامة تحالفات ، وسباق التسلح ، تؤدي إحصائياً إلى توقع تصاعد الاحتكاك لبوني بدوره إلى حرب. (69)

حدث التلاعب الأكثر وعياً لمنطق الشرك الهويسية بين الاستراتيجيين النوويين خلال الحرب الباردة ، عندما كان مصير العالم معلقاً فعلياً بها. ولذ المنطق يعض المغارقات التي تدعو إلى الجنون في الإستراتيجية النووية. لماذا امتلاكنا لصواريخ

كافية لتدمير عدواً أمر خطير جداً ، لكن ليست كافية لتدميره بعد أن هاجم تلك
تواريخ (لأن العدو سيكون لديه حافظ قوي يكفي بوجه ضربة استباقية). ولماذا نسب
دفاعات منعمة ضد الصواريخ العادية قد يجعل العالم مكاناً أكثر خطراً (لأن العدو
يحب حافظ لأن بوجه ضربة استباقية قبل أن يحوله الدفاع التام إلى بطة جالسة).

فندما نشن جماعة أقوى على فريق أقل سلاحاً غارة مفاجئة ، يجب أن تكون
مناجاة لساخر هوبسي لكن عندما يهزم جانب جانباً آخر في معركة شاركتها فيها
كلاعما ، فإن المنطق ليس شديد الوضوح لدى المنتصر والمهزم الكثير مما يخسرانه
في معركة. لذلك يتوقع المرء أن يحسب ككل جانب قوة الآخر ، وأن يتغلى الضعيف عن
جميع الوارد التي هي موضوع التفاوض دون سلفك دماء لا طائل ورائه والذي سيؤدي إلى
نتيجة ذاتها. يعتقد معظم أنصار البيئة السلوكيين أن طفوس التهمة والاستسلام بين
ديورات قد نشأت لهذا السبب (وليس من أجل مصلحة النوع، كلما افترض لورينز،
باجناً ، يكون الجانبان منسجمين تماماً ، وغنادق المعركة عالية جداً ، لدرجة أن
ينخرط في معركة لأنها السبيل الوحيد لمعرفة من منهما الأقوى. (70)

لكن يسير قائد أو يسير جنود - أحياناً في وادي الموت من دون أي أمل معقول
نصر. لقد حيرت عدم الكفاءة العسكرية المورخين منذ أمد بعيد ، ويقول عالم
الحيات ريتشارد ورنتهام أنها قد تنشأ من الإيهام وخداع النفس. (71) فإقناع عدو بأن
ينسب حرباً لا يعتمد على أن تكون قوياً بل على أن تظهر أنك أقوى ، وهذا يظهر
مات الدفاع ، وأن تكون بارعاً في كشف حالات (البلف) ، وطالما أن (البلف) الأكثر
تأثراً هو الذي يصدق (بلفه) ، بالتالي قد تنشأ درجة محدودة من خداع النفس في حالة
تساعد عدلياً ، بتوجب وضع حد لذلك ، لأن استحضار (بلفات) الشخص قد يكون
أبداً من التستر على الجولة الأولى. لكن عندما تكون الحدود مكشوفة ، ويذهب
غلا الجانبين إلى الحافة ، فقد تكون النتيجة كقارئة بشرية. لقد سلطت المورخة
برارا لوشمان الضوء على الفور الذي يلعبه خداع النفس في حروب تجر ويلات طوال
تاريخ في كتابها (مدافع شهر آب/ عن الحرب العالمية الأولى/ ومسيرة الحماقة: من
قزاة إلى هيتلر).

الاستعداد للقيام بضربة استباقية سوف ذو حدين. - - يجعل المرء هدفاً متناً لضربة استباقية من الجانب الآخر. ولهذا السبب فقد اخترع الناس، أو ربما طوروا بدلاً وفقاً، سياسة الردع الإعلاني المعروف باسم *lex talionis*، قانون الردع الانتقامي المعروف من الوصية التوراتية (العين بالعين والسن بالسن) (72) إن تستطع أن تقول ويشترط معقول إلى أعدائك الأقوياء لمن نهاجم أولاً، لكنك إذا ما هوجمنا، فإننا سوف نتعم ونرد الضربة. إنك تحمّل الحافظين الأولين لهيوس إلى النزاع، والقوز وعدم التقدير السياسية التي سوف تلحق ضرراً كبيراً بالآخرين مثلما الحقوا ضرراً بك تلقي حافظهم لأن يفهروا من أجل الكسب، والسياسة بأنك لن تضرب أو لا تلقي حافظهم للإفزاز يدافع عدم الثقة. بتعزز هذا بسياسة الانتقام التي لا تسبب ضرراً أكثر من الذي وقع عليك، لأنها تهدئ الخوف من استخدامك سياساً نزواتياً لتبرر غارة ضخمة انتهازية.

الإستراتيجية النووية به الدمار المؤكد المتبادل هو المثال المعاصر الأكثر وضوحاً لقانون الانتقام لكنه ليس نسخة واضحة عن دافع قديم - شعور الانتقام الذي ربما قد تم تركيبة في أدمغتنا من خلال الاصطفاء الطبيعي. بيدي دالي وويلسون ملاحظاً مع مجتمعات من كل أركان العالم، نستطيع أن نقرأ أيماناً بالانتقام لأب قنبل، أو إن وتعرف طقوساً تسمخ القداسة على تلك الأيمان. أم تربي ابنها لينتقم لأبيه الذي مات أثناء طفولة المنتقم، أيمان بجانب القبر، شرب دم القريب المتوفى كعهد للانتقام، أو الاحتفاظ بملاسه المدعاة كتذكارة (73). غالباً ما تجد الدول الحديثة نفسها في حالات غريبة مع مواطنيها التواقين إلى الانتقام. إنها تضطهد من يأخذون القرنين بيدهم، ومع أمثلة استثنائية قليلة تتجاهل صراخ ضحايا الجريمة وأقاربهم بما تفرق في فترات تضطهد أو تعاقب أو سكي يعقدوا صلحاً.

وكما رأينا في الفصل العاشر، سكي يكون الشار قوة رادعة ينهني أن يكون رهيباً. تحديد وقت الانتقام عمل خطير، لأنه إذا كان خصم خطراً بما يكفي كي يرد عليك أولاً، فإن من المرجح أن يتلقى العقاب مستقبلياً. وبما أن الأذية قد وقعت فإن ضحية عائلية باردة قد لا ترى أن من مصلحتها أن تنتقم. وبما أن المعتدي يوسع أن يتوقع هذا، فياستطاعته أن يستمر في تضليل الضحية ويسه إليها بإفلاته من العقاب ومن ناحية ثانية إذا كان الضحايا الأساسيون وقريبهم منخرطين في شهوة العقاب قد يرون فضلاً سكي ينتقم لأبيه الذبيح بشرب من دم القريب كعهد يقطعه على نسما وهم جرا، فالمتدي قد يفكر مرتين قبل الاعتداء. (74)

يتطلب قانون الرد الانتقامي أن يكون للانتقام سياق أخلاقي كفي بميزه عن مجرد هجوم بدائي، ينبغي أن يكون المنتقم مستثاراً بعمل عدواني مسبق، أو ظلم تبين الدراسات النزاعات والحروب والمنف الإثني أن الضاعين دائماً مدفوعون بحزن على المراهقين (75) الخطر الملازم في هذه السيكلوجيا واضح، قد لا يتفق جانبان على ما إذا كان عمل عنف مبرراً (ربما كدفاع عن النفس، أو استعادة مكاسب ثم الحصول عليها بطريقة شريرة، أو عقاب على خطأ سابق)، أو أنه فعل عدوان دون استفزاز. فقد يمد أحد الجانبين واحداً من الانتقامات، ويشعر أن ميزان العدالة قد أعيد توازنه، بينما يمد الجانب الآخر غريباً، ويشعر أنه ما يزال عليهم أن يتصرفوا كفي يسواً للثأر. (76)

تضليل النفس قد يتويج اعتقاد كفل جانب في عدالة قضيته وبالتالي التسوية تكاد تكون أمراً محالاً. فلنكني بعمل الانتقام ككرداع، ينبغي أن تكون الرغبة في تنفيذ عقوبة، لأن الغاية التكفير للردع هي إعطاء المهاجمين المحتملين أمثلاً ثأرية سبباً. وهذا يوصلنا إلى السبب النهائي للشجار فكما يراه هوبس.



ثالثاً: الجعد، وهناك كلمة أكثر دقة هي (الشرف) ملاحظة هوبس بأن الرجال يتشامرون على (كلمة)، ابتهامة، اختلاف في الرأي، وأي إشارة أخرى تقتل من قديمها) هي مسيحة الآن فكما كانت مسيحة في القرن السابع عشر. فظالما أن إصنافات الجريمة في المدينة تسجل، إن السبب الأكثر تكراراً للقتل هو «الجدال» الذي يصفه رجال الشرطة كمشاحنة أصلها سخيف نسبياً، إهانة، شتم، تدافع في نزاع الخ. (77) يذكر مفتش شرطة في دالاس أن جرائم القتل تنجم عن جولات سيرة حول لا شيء إطلاقاً: تشعل الطبايع، ويبدأ المراك، ويطعن شخص، أو يطلق عليه النار. لقد عملت على حالات كان المسؤول يجادل على عشر سننات من ثمن سنون موسيقى، أو على رهان فمار بمبلغ دولار في لعبة النرد. (78)

أما الحروب بين الدول القومية غالباً ما تكون على شرف قومي، حتى عندما تكون الكاسب المادية صغيرة. ففي أواخر الستينيات ومطلع سبعينات القرن العشرين، أصبح معظم الأمريكيين غير متحمسين لتورط بلادهم في حرب فيتنام، أنهم كانوا يعدونها غير أخلاقية، ولا يمكن كسبها، أو كليهما معاً. لكن بدلاً من الإقفة على انسحاب القوات الأمريكية دون شروط - مثلما كانت تطالب حركة

السلام - وكانت هناك أغلبية تدعم ريتشارد نيكسون وشعاره «السلام المشرف» نمر
هذا الشعار عملياً إلى سحب بطني للجيش الأمريكي مما أطلال الوجود المصغر
حتى عام 1973 وبكلفة 20 ألف قتيل أمريكي وحياة المزيد من الفيتناميين، وبالتهمة
نفسها هزيمة الحكومة الفيتنامية الجنوبية. الدفاع عن شرف قومي فكان خلف حروب
أخرى مثل إعادة الاحتلال البريطاني لجزر فوكلاند في عام 1982، والغزو الأمريكي
لفرندياد عام 1983، والحرب المدمرة بين الملقادور وهندوراس 1969 التي بدأت بمر
على لعبة فكرة قدم بين منتطبي البلدين.

فالحروب على شرف شخصي أو قومي ليست حروباً حقاء حكماً قد تبدو. بسب
منطلق الروع فهي بيئة مادية، يجب أن يعنى الناس والبلدان عن رغبتهم بالانتقام من
امرئ يجني مكسباً على حسابهم، وذلك يعني إبقاء شناعة الانتقام على أي ثمن.
مهما يكن قليلاً، يجب أن يجعل الأمر معلوماً، وبلا كلمات أغنية جيم كوكوك بين
هناك لا تدوس على قيمة سوبرمان، إنك لا تصدق في الريح، لا تشرع القناع عزازر
الجوال المعجوز، ولا تسب الفوضى مع جيم Nit.

ذهنية غريبة لمن يستطيع منا أن يحصل على لوثيران وأن يظهر بضرب الرقم اليتم
911، لكن ذلك الغبار ليس متوقفاً دائماً، لم يكن متوقفاً لأناس مجتمعات ما قبل
الدولة، أو على الحدود في أباشي أو في القصر الفريسي، أو في المرتفعات الأسكوكتية
الثانية، البلقان، أو في الهند الصينية. إنه ليس متوقفاً لغير الدراخين بقلب الشرق
بسبب طبيعة عملهم؛ متع مهربي الخمور، بالتمى المخدرات داخل المن، ورجال الله
الأضياء. وليس متوقفاً كذلك للدول القومية في تعاملاتها مع بعضها، بل قد
ويؤسرون على الذهنية التي تتورط في جميع هذه المترسكات:

في مجتمعات متعازية، نزاعاتها مستصعبة، تشكل القدرة على الضميمة
رجولية أساسية؛ صيد الرؤوس، ووعده بانقلاب قد يصبح امتيازاً، وقد نفوس عملة فن
شعيرة عبور إلزامية، وإدارة الخد الأخر ليست دليلاً على القداسة بل حماقة (17)
ضعفاً يدعو إلى الفت.

ولذلك فإن أنصار البيوية الاجتماعية الذين ذكرتهم سابقاً ليسوا على خطأ في
إشارتهم إلى تربية ذكورية محاربة ككسب رئيس للعنف، لكنهم مختلون في عفا
أمريكية بشكل خاص - أي إنها تسبب انفصال الطفل عن أمه، أو عدم الرخاء
يمر المرء عن التفاعلات، وأنها بنية اجتماعية عشوائية بالإمكان تعطيطها من خلال

ترجى والتي وأتصار مقارنة الصحة العامة محقون في قولهم إن معدلات العنف تتفاوت تبعاً للطرف الاجتماعي، لكنهم على خطأ في عدّهم العنف مرضياً في كل شيء، مثل الإحساس الطبيعي، وتظهر ثقافات الشرف في جميع أنحاء العالم لأنها تصحح المشاعر البشرية التي تشمل: الكبرياء، الفخر، الانتقام، ومحبة الأقارب. وتظهر كمردود فعال عاقلة على ظروف محلية. (80) إن المشاعر بعد ذاتها مألوفة تماماً حتى عندما لا تنجر في نطف كعما في غضب الطريق، سياسات الحكاتب، مهارات سياسية، واللعن الأكاديمي في الظهور، والحرب الملتهم عبر رسائل إلكترونية.

في كتاب /ثقافة الشرف/ عالمًا السيكولوجيا الاجتماعية ريتشارد نيسبت وريف كوهين يوضحان أن الثقافات العنيفة تنشأ في المجتمعات التي هي خارج نطاق القانون، التي تسرق فيها الممتلكات الثمينة بكل سهولة. (81) والمجتمعات التي تربي الحيوانات تربي كذلك الشرطيّين. يميل مربي الحيوانات إلى العيش في مناطق غير مناسبة لزراعة المحاصيل. وبالتالي بعيداً عن المراكز الحكومية. وسرقة ملكيتهم الأساسية. ويخزنون مبيشتهم أكثر سهولة من ممتلكات المزارعين الرئيسية. الأرض. فهي المجتمعات الرعوية قد يجرد الإنسان من ثروته، ومن قدرته على حيازة الثروة في رمشة بين يني الرجال. في تلك البيئة، شعيرة تشعل نار الانتقام العنيف ليس ضد اللصوص فقط بل ضد من يخترق قرارهم عبر بوارد عدم الاحترام التي توحي أنهم ضحايا سهلة للصوص. يسكنان المرتفعات الأستقوتلندية، وجبال أبلاتشي، وريعا البقر الأمريكيون، ومحاريو ماساي Masai، وهنود سيوكس Sioux، وقبائل البندو، ورجال قبائل البقان، ومونتيفرو، والهند الصينية هم أمثلة معروفة. "شرف الرجل هو نوع من حياة اجتماعية" بالمعنى الذي قصده جون سيرل: إنه موجود لأن شكل واحد يوافق على أنه موجود، لكنه ليس أقل حقيقية من ذلك، وأنه يستلزم في منح مشترك للسلطة. عندما يتغير أسلوب حياة شعب ما، فإن ثقافته في موضوع الشرف تبقى معه لمدة طويلاً، لأنه يصعب على أي واحد منهم أن يتكون أول من يتخلى عن الثقافة. وقد يكون التنكر لها بمثابة انحدار إلى الضعف والمكانة المذنية عندما تصبح القطعان والجمال ذكوري من الماضي.

معدلات العنف في الجنوب الأمريكي أعلى مما هي في الشمال منذ فترة طويلة، من ضمن ذلك تقليد مبارزة بين رجال الشرف مثل أدمو جاكسون. ويتوه نيسبت ويظنون أن مربي القطعان الأستقوتلنديين والإرلنديين هم الذين استوطنوا معظم

الجنوب، بينما استوطن المزارعون البريطانليون في الشمال، وكانت قبضة التاجر تصل إلى معظم الحدود الجبلية في الجنوب والثقافة الجنوبية التاجعة عن ميم، الشرف، لا تزال حية في بداية القرن الحادي والعشرين في قوانين ومواقف احتشام الولايات الجنوبية تفرض قيوداً أقل على حيازة السلاح مما يسمح للناس إطلاقاً من على مهاجم أو لس دون أن يتحسبوا أولاً، وتحظى بالتسامح من قبل الناس والقوانين الكتييرة من قبل المدارس، إنها أكثر سقرية في قضايا الدفاع الوهم وتعدم الكثيرين من مجرميها. (82)

لا تعود هذه المواقف في سحاية لدى « التربية »، لكننا مرئية في سبطوليين الجنوبيين. لقد أعلن نيسبت وكوهين عن تجربة سيكولوجية زائفة في جلس ميتشيفان الليبرالية. كان على المستطلعة أراهم أن يمحسروا من قبل عمل غير يهزون أوراقاً في المر قبل وصولهم إلى المختبر، وبينما كان مستطلع رايه يمر بجانب كان العامل يطلق الدرج بقوة ويتصم غبي. كان الطلبة من الولايات الشمن يضحكون عليه، لكن الطلاب من الولايات الجنوبية كانوا قلقين بكل وضوح أن رفع الجنوبيون معدلات التيسيرين (هرمون التوتر)، وذكروا مستويات أدنى من امتز النفس. وكانوا يمحسون بمصافحة أقوى والتصرف بسيطرة أكبر تجاه من يهز التجربة. وفي الطريق خارج المختبر، كانوا يرفضون الجلوس مع عامل آخر اقترب من شيق. كان عليه إما أن يتحس جائباً وبذلك لم يكن الجنوبيون يتجولون غاضبين جماعة سيطرة لم تتعرض لإهانة فكانت باردة، واجتمعت مثل الشماليين فالجنوبيون؟ يوافقون على العنف في المطلق بل على العنف التاجع من إهانة أو تجاوز.

الأمريكيون الأفارقة الذين يسكنون وسط المدينة هم من بين البشاش الذين بنتها من بين الديمقراطيات الغربية، وثقافة الشرف عندهم مسؤرة. في مقالته الشهير (عرف الشارع) عالم الاجتماع إيليا أندرسون يصف هاجس الشبان باحترام ويعتبه لسمة الخشونة، ورغبتهم بالانخراط في انتقام عنيف لدى أي هفوة، وإقرارهم أنه قواعد هذا المرف. (83) وإذا انتزع شخص منك شيئاً، عليك أن تقوم سلوطة وحد أندرسون لهذا المرف لا يمكن تمييزه عن أوصاف ثقافة الشرف بين البيض الجزيين فالأمريكيون الأفارقة الذين يسكنون وسط المدينة لم يكونوا دائماً مرهين فطام، ماعز، فلماذا طوروا ثقافة الشرف؟ الاحتمال الوحيد هو أنهم جلبوه معهم من البند.

عندما هاجروا إلى مدن ككبيرة بعد الحربين العالميتين وهذه مفارقة جميلة بالنسبة إلى المتصرفين الجنوبيين الذين يلوغون العنف في وسط المدينة على شيء هو أمريكي أفريقي بشكل مميز. وهناك عامل آخر هو أن بالإمكان سرقة ثروة الشبان بشكل سهولة طالما أنها على شكل مالٍ نقدي أو مخدرات. والعامل الثالث هو أن الفيتوات هي نوع من حدود حماية، الشرطة لا يمكن الاعتماد عليها. فالعدد العام - مجموعات المصبات - لديها سجل يديس «911» هو مزحة. والعامل الرابع هو أن الناس فقراء - الثبان منهم على وجه الخصوص - هؤلاء لا يستطيعون أن يتفخروا بأي وظيفة تدل على الامتياز، سواء أكان منزلاً جميلاً أم إنجازات مهنية. قد يكون هذا صحيحاً جداً فيما يخص الأمريكيين الأفارقة بعد قرون من الرق والتمييز المتصري. سمعناهم في الشوارع هي زعمهم الوحيد بالهكاشة الاجتماعية. يستتج أندرسون، أن عرف الشوارع يرد نفسه. هناك أغلبية من عائلات أمريكية أفريقية في وسط المدينة تشترك بقيم الطبقة الوسطى المسألة التي يسمونها «محتشمة» (84) لكن هذا ليس كافياً لإنهاء ثقافة الشرف:

كل واحد يعرف أنك إذا ما انتهكت القواعد، هناك عقوبات بانتظارك، معرفة العرف دفاعية بمعظمها، إنها ضرورية من أجل العمل في العائلية. فمع أن عائلات لها توجهات حشمة فإنها تكون عادة معارضة لقيم العرف، وتشجع مترددة بتوفير أطفالها على هذه الحشمة لكي تمكنهم من التصالح مع بيئة داخل المدينة. (85).

إن دراسة الهبات عنف الغيتو متنسجمة مع تحليل أندرسون. والقفزة في معدلات الجريمة في المدينة الأمريكية من عام 1985 و1993 بالإمكان ربطها جزئياً بظهور تجارة الكوكايين واقتصاد السوق السوداء. فكما يوضح عالم الاقتصاد جيف غوجورج: «العنف وسيلة لتميز حقوق الملكية في غياب وسائل قانونية» (86) وظهور العنف داخل اقتصاد المخدرات الجديد ينهي الشرك الوبسي المتوقع لقد أشار عالم الجريمة جيفري فانان إلى أن استخدام المسدسات قد انتشر بشكل مبرح بينما «الشبان الذين لا يحملون مسدسات شعروا أن عليهم أن يفعلوا ذلك لكي لا يكونوا ضحايا الأرتام المسلحين» (87).

فكما رأينا في الفصل السابق، أن عدم المساواة الاقتصادية ينبئ بالعنف (أكثر من الفقر ذاته). لأن الرجال المحرومين من وسائل مشروعة للحصول على مصكاته

اجتماعية، يتفادسون عليها في الشوارع. (88) ينفي الا تفاجأ عندما يتم سحر المراهقين الأمريكويين الأفاقة من الدراسة، ان يكونوا أكثر عنفاً، أو جاني أكثر من المراهقين البيض. (89).

تحليل هوبس لأسباب العنف المحتمل الذي تقدمه البيانات الحديثة عن الجريمة والحرب بين أن العنف ليس بدائياً، أو حافظاً لا عقلانياً، وليس مرضياً - عدا - مجازي أن ككل امرئ يود أن يستأصله. إنه نتيجة تكساد تكون حتمية لبدء منها لديناميات المصلحة الذاتية لدى عضويات اجتماعية عاقلة.

لقد اشتهر هوبس ليس فقط بتحري أسباب العنف بل أيضاً بالتوصل إلى سبر منه، سلطنة عامة تفهم جميعاً في رعية، ثروته العامة ككائنات وسيلة لتطبيق اليد. وأن يكون المرء والمياً، عندما يكون الآخرون والميين أيضاً، أن يطبق هذا الحق على جميع الأشياء. وأن يكون مرتبطاً بحرية ككبيرة ضد رجال الآخريين، بحيث يسمع لرجال الآخريين ضد نفسه. (90) يقتل الناس السلطنة في شخص سيد، أو مجلس يستغل أن يستخدم قوة جمعية من المتعاقدين بحيث يجعل شكل منهم يوافق على الاتفاقية. إذ والمواثيق من دون سيف، ليست سوى كلمات لا قوة لها ككي تؤمن إنساناً تماماً. (81)

إن هيئة حاكمية هوضت احتسكار الاستعداد المشروح للعنف تستطيع أن تحد على سبب من أسباب النزاع التي ساقها هوبس، وفرض العقوبات على المتدي ينزع من الين الحاكم رعية الفزو من أجل المكسب، وهذا بدوره يلقي شرك هوبس القتل أناساً لا يتلون ببعضهم يتم إجراء شكل منهم بشن ضرية استباقية ككي يتجنب ثرم لاعتداء من أجل مكسب. إن نظاماً قانونياً يحدد الخروقات والجزاءات، ويطلبها من دون تعبير، يستطيع أن يتجنب الحاجة إلى إشعال نار الانتقام وثقافة الشرف الراقية يستطيع الناس أن يرتاحوا وهم متأكدون من أن شخصاً آخر سيفرض عقوبات على أعدائهم، وبذلك يندو من غير الضروري بالنسبة إليهم البقاء في موقف متوتر لإبد أنهم ليسوا حقلب مثوبة. وجود فريق ثالث يقيس الخروقات والعقوبات المحيطة ببناء النفس المضلل الذي يفتح عادة من يشعرون أنهم قد عاثوا من عدد كبير من الأخطأ هذه المزايا لتدخل فريق ثالث قد يأتي من أساليب ليست حكومية لحسم النزاع، يحاول وسطاء مساعدة الخصوم ككي يتفاوضوا للتوصل إلى اتفاق، أو وسطاء يصدرون

حقيقاً ، لكنهم لا يستعملون فرضه (92) المشككة في هذه الإجراءات هي أن الفرقاء لا يستعملون الضني بعداً عندما لا تكون النتيجة كما يريدون.

التصكيم الذي تقوم به سلطة مسلحة ، يبدو أنه الأسلوب الخفيف للنف الأثقل فبالإضافة ، بشكل عام ، فتح أننا نناظر فيما إذا كان إحداث تغيير في السياسة الجرمية ، كإعدام القتل مقابل سجنهم أمم الحياة ، يمكنه أن يقلل العنف بنسبة مئوية أدنى ، وقد لا يكون هناك إجماع على النتائج الهائلة لوجود نظام عدالة جرمي مناضح للعيش في فوضى. معدلات الجريمة في مجتمعات ما قبل الدولة تتراوح بين 10٪ إلى 60٪ من الرجال يموتون على أيدي رجال آخرين. وهذه النسبة نوع واحد من الدلائل (93). دليل آخر هو ظهور ثقافة شرف عنيفة في أي زاوية من العالم لا تصل إليها يد القانون (94). جبال مورخون عديدون أن الناس وافقوا على سلطات مركزية خلال المصهور الوسطى ، وفي فترات أخرى ، لكي يريحوا أنفسهم من عبء الانتقام ممن يلاحقون بهم (95). ولتأني تلك السلطات قد يفسر تراجع النسبة المئوية في معدلات الجريمة في المجتمعات الأوروبية منذ المصهور الوسطى. (96). لقد شهدت الولايات المتحدة تراجعاً في معدلات الجريمة في وسط المدن منذ بداية التصف الأول من القرن التاسع عشر حتى نصفه الثاني ، وتزامن هذا مع تشكيل قوى شرطة محترفة في المدن (97). أسباب التراجع في معدلات الجريمة الأمريكية في تسعينيات القرن العشرين ، وفي أنواع جرمية عديدة ، يرجعها العديد من العلماء إلى مجتمع أكثر بوليسية ، ومعدلات سجن أعلى للمجرمين العنيفين. (98).

العكس صحيح أيضاً ، فعندما يتلاشى فرض القانون تنتشر جميع وسائل العنف ، والتهب ، وتصفة الحسابات القديمة ، والتطهير الإثني ، وحروب العصابات فيما بينهم ، ولوردات الحرب والمافيات. وكان هذا واضحاً في ما تبقى من يوغوسلافيا ، والاتحاد السوفييتي ، وأجزاء من أفريقيا في تسعينيات القرن العشرين ، لكنه قد يحدث أيضاً في بلدان ذات تراث طويل من المدنية. فكمما قال مراهق في كندا المسألة الفظيرة أثناء السنين الرومانسية فكانت مؤمناً فعلاً بفوضوية باسكتونين: فكانت أسخر من نقاش والذي ، إذا ما وضعت الحكومة أسلحتها ، فإن الجحيم كله سينفك من عقابه. نوقشتا المتناقضة وضعت على المحك في الساعة الثامنة صباحاً في 17 أكتوبر عام 1999 عندما أضربت شرطة مونتريال بحلول الساعة 11 صباحاً سبقت مصرف ، ولم يكن وقت الظهيرة حتى أغلق معظم الوسط التجاري بسبب أعمال النهب ، وخلال بضغ

ساعات أحرق سائقو التاكسي كعلاج خدمة سيارات الليموزين التي كانت ترفض على زبائن المطار. وقتل قناص على سطح منزل ضابط شرطة اتحادي. والتمس المشاغبون قنادق عدة ومطاعم، وذبح طبيب لهما في بيته في الضواحي. وفي آخر الليل مكثت قد تعرضت ستة مصاريف للسرقة، ونهب نحو مائة دكان. وأشعل الناظر حريقاً، وسلبت حمولات نحو أربعين سيارة من أمام واجهة المستودعات. ووقعت أسوأ تفرد بثلاثة ملايين دولاراً، قبل أن تتمكن سلطات المدينة من استدعاء الجيش لإخماد النظام. (99)، هذا الامتحان العملي ترك فهمي لعلم السياسة هباءً (وقدم لي مبدأ مبتكراً لحياتي كعالم).

تعميم أن الفوضى بمعنى عدم وجود حكومة يؤدي إلى الفوضى، بمعنى فهم عتيفة، قد يبدو نافعاً، لكن يتم إغفاله في المناخ الرومانسي الهادي في ألبانيا عند الحكومة بشكل عام بمقتضا محافظون كثر، والبراليون كثيرون يعتقدون بقدرة الشرطة والسجن يستشهد بساريون عديدون بعدم اليقينية حيال الجوى الرئسي لقوية الإعدام مقارئة مع السجن أمد الحياة، ويذكرون أن الردع ليس فعالاً عموماً. ويعارضون سياسة أكثر فاعلية تطبق في وسط المدن، مع أنها قد تكون طريق الأشر فاعلية بالنسبة لسكانها المحتشمين كفي يهذبوا عرف الشارع يجب علينا بالتأكد - أن نحارب عدم المساواة المنصوية التي تضع العديد من الأمريكيين الأفارقة في السجن. لكن كما قال علامة القانون راندال كينيدي: يجب علينا تصدي للمطالب العرفية التي تشرك العديد من الأفارقة الأمريكيين مكشوف للمجرمين (100)، العديد من الميئوسين يعارضون عدم تجريم المخدرات، والسر والقتال من دون أن تضع في الحسبان التكاليف في مناطق الفوضى التي من خلال منطق سوقها الحرة التي ظهرت حتماً من سياسات التمتع والخطر. فعندما يكون الطب على سلعة عالمياً، سوف يستغل الموردون مادياً، وإذا سكانوا لا يستطيعون حماية حقول ملكيتهم باستدعاء الشرطة، فإنهم سوف يحمونها بثقافة الشرف الضعيفة. (هذا واضح من الجدال الأخلاقي بأن سياسات المخدرات الرافضة تودع في السجن أناساً ليسوا عتيفين). تتم تنفيذ الأطفال - واهناً - بمعلومات أن الأمريكيين الأصليين وشعباً آخر في مجتمعات ما قبل الدولة مكثت مسألة فظرياً، غير فاهمين، وشرطون حادين على واحد من أعظم ابتكارات نوعنا: حكومة ديمقراطية وحكم القانون

التعامل مع مشكلة بولسة الشرطة هو الموضوع الذي يقصر فيه هوبس. فمن نظره كانت الحرب الأهلية بلية كبيرة لدرجة أن أي شكل من أشكال الحكم سواء ملكياً، أو دستراطياً، أو ديمقراطياً، كان مفضلاً على الحرب. فكما يبدو، لم يكن يقدّر أن في التطبيق لن يكون لوثنان غولاً بحرباً أخروبياً بل كانتا بشرباً أو حمامة من البشر. لهم أخطاؤهم القاتلة من الجشع وعدم الثقة والشرف. (فكما رأينا في الفصل السابق، غدا هذا الهاجس لوارثي هوبس الذين وضعوا الإطار العام لل دستور الأمريكي). فالرجال المسلحون هم دائماً مصدر خطر. لذلك، فإن الشرطة التي ليست تحت إدارة ديمقراطية ضيقة قد تكون أسوأ من سكارثة. لدرجة أن الجريمة والثارت الشخصية قد تستمر من دونهم. في القرن العشرين - وفقاً لعالم السياسة ر. ج. رومل في كتابه (الوت على يد الحكومة) قتل نحو 170 مليون شخص على أيدي حكوماتهم. فالتقل على يد الحكومة ليس من آثار نظم الطفاة في منتصف القرن. لقد أوردت قائمة النزاعات العالمية لعام 2000 في تقريرها:

الصراع الأكثر غباء في هذه السنة هو في الكاميرون. فني مطلع العام كانت الكاميرون تتعرض إلى مشكلات واسعة الانتشار في جرائم العنف. فرددت الحكومة على هذه السكارثة بتشكيل وتسليح ميليشيات، ومجموعات شبه عسكرية لكي تبعث الجريمة بشكل قضائي استثنائي. الآن وقد تراجعت جريمة العنف، إلا أن الميليشيات والمجموعات شبه العسكرية قد سببت فوضى أكثر، وموتاً أكثر مما سببت الجريمة. فالقوبو الجماعة قد اكتشفت وتبين أنها كانت مرتبطة بالمجموعات شبه العسكرية. (101).

النموذج مألوف في مناطق أخرى من العالم (من بينها مناطقنا)، ويوضح أن قلق التحريين مديناً تجاه الممارسات البوليسية السيئة، هي العبة المقابل الذي لا غنى عنه عن احتكار العنف الذي تمنحه إلى الدولة.

غيلان ديمقراطيون اثبتوا أنهم مناهضون لإجراء قتال ضد العنف، لكنهم يتركون الكثير مما هو مرغوب فيه. لأنهم يحاربون العنف بالعنف، أو بالتهديد بالعنف، فهم أنفسهم قد يكونون مصدر خطر. وسيكون من الأفضل كثيراً لو استطنا أن نجد سبيلاً لجعل الناس يبتذون العنف. للبدأ به بدلاً من معاقبتهم الشيء

الأسوأ، لم يفهم شخص بعد كيف تركب غولاً ديمقراطياً في أرجاء العالم بملف التفاضل العرقي، وببطل الشراك الهوسية، ويستأصل ثقافات الشرف التي تجمع بين مرتكبي العنف الخطرين من جميع الدول القومية. فحكما أشار كانط: «فساد الطبيعة البشرية جلي دون فتاع في العلاقات غير المفيدة التي تقام بين الأمم المتنوعة» (102). السؤال الكبير هو كيف ندفع الناس والأمم لكي يعنوا العنف من البداية، متى تساعد العداة قبل أن يتمكنوا من الإقلاع.

بدا الأمر يسيراً جداً في ستينيات القرن العشرين. الحرب أمر غير صحي للأطفال وللأشياء الحية الأخرى وإذا ما شنت حرب ولم يأت أحد؟ ما الشيء الذي نصلح له الحرب؟ لا شيء على الإطلاق. المشكلة مع هذه المشاعر هي أن الجانب الآخر عليه أن يشعر الشعور ذاته وفي الوقت ذاته. في عام 1939 عرض نيفيل تشمبرلين شواره المناصر للحرب والسلام في زماننا. تلا ذلك حرب عالمية وهولوكوست، لأن خصمه لم يوافق على أن الحرب كانت مناسبة للشيء، وشرح خلفته تشرشل لماذا أن السلام ليس مساناً بسهولة أحادية التوجه السلمي: «لا شيء أسوأ من الحرب. فقدان الشرف أسوأ من الحرب، العبودية أسوأ من الحرب. وبتقط ملصق عام الشعور المتعلق بذلك: إن نريد السلم، فاعمل من أجل العدل. إلا أن المشكلة جعلت ما يراه جانب شرفاً وعدلاً قد يراه الجانب الآخر عدم شرف وظلماً. وقد يكون الشرف أيضاً رغبة جديرة بالثناء، دفاعاً عن الحياة والحرية، لكنه قد يكون أيضاً رفضاً طائشاً لعدم التصعيد.

يرى جميع الأفرقاء أحياناً، أنهم سيكفون في حال أفضل إذا ما أعادوا سيوفهم إلى أغمادها. لقد لاحظ العالمان جون كهيغان ودونالد هورويتز تراجعاً عاماً عن قبول العنف كوسيلة لحسم النزاعات ضمن الديمقراطيات الغربية في النصف الأخير من القرن العشرين (103). الحروب الأهلية، والعقوبات الجسدية والمعنوية، وأعمال شغب إثنية قاتلة، والحروب الأجنبية التي تتطلب القتل وجهاً لوجه، قد تراجعت أو تلاشت فمع أن بعض العقود في قرون حديثة كانت أكثر عنفاً من عقود أخرى، إلا أن مؤشر الاتجاه العام للجريمة في حالة تراجع.

هناك سبب محتمل ألا وهو القوى العائلية التي تعمل على توسيع الدائرة الأخلاقية لدى الناس والسبب الآخر، ربما، النتائج طويلة الأمد للعيش مع الوحش لوليان هالدين في أوروبا اليوم ثلث قرونًا من قطع الرؤوس والشنق العلني، والنفي إلى المستعمرات وقد

تكون كندا مسألة أكثر من جارتها ، لأن حكومتها سبقت شعبها إلى البلد. وليست على شاكله الولايات المتحدة حيث سكان المستوطنون يرغبون الاستقرار على مشهد طبيعي شاسع ذي بعدين وفيه زوايا وصدوع لا تحصى. فالجزء الصالح للسكن في كندا هو الشريط أحادي البعد على طول الحدود الأمريكية من دون حدود بعيدة ، وناقض قد تقصد فيها ثقافات الشرف. فوفقاً للدراسات الكندية التي أجراها العالم بيزومون مورتون: «غريباً قد اتسع بطريقة منظمة سلمية ، مع الشرطة التي وصلت قبل المستوطنين»(104).

لكن قد يصبح الناس أقل تردداً دون الحواجز الخارجية للدولارات ، أو قوة البطش الحكومية. لقد فطّر الناس في أرجاء العالم في عدم جدوى العنف (على الأقل عندما يتساوون مع خصومهم بشكل لا يستطيع أحدهم أن يسود على الآخر). يندد أحد سكان غوينا الجديدة: «الحرب سيئة ، وما من أحد يحبها ، البطاطا الحلوة تختفي ، والتماثيل تتوارى ، وتتدهور الحقول ، ويقتل العديد من الأقارب والأصدقاء. لكن ليس بيد المرء حيلة تجاهها» (105). يذكر شانون أن بعض رجال بانوامو يفككون في عدم جدوى مشاجراتهم ، ويعلمون أنهم لن يكون لهم علاقة بالفوز. (106) ، في حالات كهذه ، قد يبدو واضحاً أن سكان الجانبين قد يتوصلان إلى اقتسام الفواقي فيما بينهما بدلاً من استمرار الحرب على هذه الخلافات.

فإنشاء حفر الخنادق في الحرب العالمية الأولى كان الجنود البريطانيون والألمان يتكهنون بسبب نية الغداء لبعضهما ، بتأجيل لحظي للخصم المتبادل بينهما ، فإذا رد الجانب الآخر يقصف من الدرجة نفسها ، فإن هزات من سلام غير رسمي فكانت تحدث تحت أنظار قادتهم المباين للقتال. (107) ، قال جندي بريطاني فحنن لا نريد أن نتشكك ، وأنتم لا تريدون أن تقتلونا ، إذن ، لماذا نطلق النار؟ (108). الحادثة التي سمى فيها الحاربون إلى إطلاق العنان للقائل ، فكانت أزمة الموارخ الكوبية عام 1962 عندما اكتشفت الولايات المتحدة الموارخ السوفييتية في كوبا وطلبت إزالتها.

لقد تم تذكر كل من كينيدي وخرتشفوف بالتكاليف البشرية التي تترتب على نتائج الهواية النووية التي كانا يقتربان منها. خروتشفوف يذكرات من حربين عالميتين على ترابه ، وكينيدي بتقرير موجه عن نتائج القنبلة الذرية. فهم بكل منهما أهما وقما في شرك هوبس. سكان كينيدي قد فرغ من قراءة كتاب (مدافع شهر أب) ، ورأى كيف أن قادة أمم عظيمة قد وثورطون في حرب لا هدف لها. كتب خروتشفوف إلى

كينيدي: أنت وأنا ينبغي ألا نشد طرفي الحبل الذي ربطته بعقدة حرب. لأننا ظلمنا
شددنا أكثر أصبحت هذه العقدة أقوى. وقد باتت وقت تصبح فيه العقدة مشدودة جداً
لدرجة أن من ربطها لم يعد قادراً على حلها، عندئذ العقدة تستوجب أن تقطع (109).

لقد استطاعا صياغة هدف مشترك يتجنب الشرك من خلال التعرف إليه فقاما
بتأزلات مكنتهما من تجنب الكارثة على الرغم من معارضة الكثيرين من
مستشاريهما ومعارضة قطاعات كبيرة من عامة الناس.

المشكلة مع العنف هي أن فوائد تجنبه أو شجبه تعتمد على ما يفعله الجاني
الأخر.

بعض السيناريوهات هي متطوق نظرية اللعبة، ومنظرو اللعبة أثبتوا أن القرار
الأفضل لكل لاعب بمفرده هو أحياناً القرار الأسوأ لكلهما مجتمعين المثال الأضمر
شهرة هو معضلة السجين شريكان في الجريمة يودعان في زنزانتين منفصلتين. تقر
كل منهما وعداً بالحرية إذا كان السبأق في توريض شريكه (الذي سينال حكماً
قاسياً فيما بعد). الإستراتيجية المأمولة لكل سجين هي الخلاص من شراكتهما نظر
عندما يفعل كلاهما ذلك، فإنهما ينتهيان بأسوأ نتيجة مما لو بقي كل منهما مخلصاً
لصاحبه. مع ذلك لا يستطيع أي منهما أن يبقى مخلصاً بسبب خوفه من أن الشريك قد
يفك علاقته به، ويرتكه مع النتيجة الأسوأ. معضلة السجين مماثلة لمعضلة السلام.
فما هو خير لواحد يتكون شيئاً لكليهما، لكن ما هو جيد لكليهما (السلام).
لا يمكن بلوغه عندما لا يستطيع أي منهما أن يتأكد من أن الآخر سيستخدم خياراً له

السهيل الوحيد للفوز في هذه المعضلة هو تغيير قواعد اللعبة، أو إيجاد سبل
للخروج من اللعبة. لقد غير جنود الحرب المالية الأولى القواعد بطريقة ناقشتها كثيراً
في سيكولوجيا التطور: المعها تكررراً، وطبق إستراتيجية التبادلية، وتذكر أن العمل
الأخير هو للاعب الآخر، ورد منيحه بنفس نوع عمله. (110)، لكن ذلك ليس خياراً في
العديد من المواجهات العدائية، لأن عندما يتفصل اللاعب الآخر، فإنه يستطيع أن
يدعرك. وفي حالة الصواريخ الكوبية يدمر العالم، في تلك الحالة، على اللاعبين أن
يدعركوا أنهم كانوا في لعبة لا طائل ورامها، ويتخذوا قراراً بالخروج من اللعبة.

يرسم غلوفر نتيجة هامة عن كيفية أن المصون المعرياً للطبيعة البشرية قد يسمح
لنا بتقليل العنف حتى عندما يظهر أنه إستراتيجية عقلانية في حينه:

أحياناً، يبدو أن استراتيجيات المصلحة الذاتية العقلية تنتهي (كصفاً في معضلة السجناء)، إنها تهزم نفسها، وقد يبدو هذا مثل هزيمة العقلانية، لكننا ليست كذلك يتم إنقاذ العقلانية من خلال نهايتها المفتوحة. فإذا قبلت استراتيجية المتابعة فزائد العقلانية، فإنها تهزم ذاتها، أحياناً، وهذه ليست هي النهاية، إننا تراجع القواعد لكي نضع هذا بالحسبان، وبذلك ننتج استراتيجية عقلية ذات مستوى أعلى. وهذا بدوره قد يفشل، لكننا من جديد - نصعد إلى مستوى أعلى. وعند أي مستوى ننتقل هناك دائماً عملية التراجع، إلى الخلف، والصعود إلى مستوى أعلى. (111).

ضمالية التراجع والصعود إلى مستوى أعلى، قد تكون ضرورية للتغلب على العوائق الدائرية، باتجاه السلام، إضافة إلى الموائق الفكرية. يحاول صانعو السلام الدبلوماسيون أن يصروا على المظاهر التي تحرض الخصوم على تخليص أنفسهم من لمة فائقة، إنهم يحاولون أن يفشلوا منافسة من خلال صياغة تسويات على الموارد المتنازع عليها. إنهم يحاولون أن يستكفوا شركاء هوبس من خلال إجراءات بناء الثقة مثل جعل التنازلات الحربية شفافة، وتدخل فريق ثالث كمتكفيل ويحاولون جلب الطرفين إلى داخل دائرتهم الأخلاقية لشكل طرق من خلال تيسير التجارة، والتبادلات الثقافية، والأنشطة بين الشعوب.

هذا أمر جيد طالما أنه مستمر، لكن الدبلوماسيين يتم إحيائهم أحياناً عندما يدرون في نهاية النهار أن الجانبين يكرهان بعضهما كما كانا في البداية، إنهما يستمران في شيطنة خصومهما، ويفلقان الحقائق، ويشجان المواقفين بينهما على أنهم خونة. فالدبلوماسي ميثون جي ويلكنسون، فشل في حمل اليونانيين والأتراك على دهن نزاعهم على قبرص. يقول ويلكنسون أنه يجب على صانعي السلام أن يفهموا الصعوبات العاطفية لدى الخصمين، ألا يعيدوا الدوافع العقلية الرائجة فقط. أفضل الخطط الموضوعية لصانعي السلام تخرج - في أغلب الأحيان - عن الخطط المرسوم من قبل الخصمين إلى أحادية ثقافية إثنية، وأحاساس بالشرف، وعملية التبرير الأخلاقي، والخداع الذاتي. (112) نشأت هذه المبادئ العقلية للتعامل مع عادات في الماضي، وينبغي جلبها إلى العلن إذا كان علينا أن نعمل عليها في الحاضر.

تؤكد على النهاية المفتوحة للعقلانية البشرية بتزود مع ما تجده في علم المعرفة بأن العقل هو نظام دمجي وتكراري recursive. فنحن لا نملك أفكاراً وحسب، بل نبينا أفكار حول أفكار، وأفكار حول أفكارنا وأفكار أفكارنا. حالات التقدم

في جسم النزاعات البشرية التي عرضناها في هذا الفصل - الخضوع لحضرم القهر
تصور سيول لثكلال الطرفين ككي يدعماه من دون هتدان ماء الوجه . والإقرار بلطعب
أن يتخدع الرء نفسه ، وقبول المعادلة التي تضمن مصالح الرء ومصالح شب الرء -
هذه تعتمد على هذه القدرات .

لقد حول منطكرون ككثيرون نظرتهم عن المنطق التطوري للعنف . عاتينهم من
الاعتراف به مساو لقبوله أو حتى الموافقة عليه . بدلاً من ذلك لقد عزوا القوم الخبيث
للهجي التبييل ، الذي فيه العنف هو نتاج عشوائى للاكتساب . أو ككائن معرض ينتقل
من الخارج إلى داخلنا . لكن إنكمار متعلق العنف يجعل من السهل نسبان طبعاً
العنف يشتمل فوراً ، وتجاهل الأقسام العقلية التي تشعل العنف يجعل من السهل إغراء
الأقسام التي تستطيع أن تطفئه . الحالة مع العنف - ككعماً هي الحالة مع مغاوب عقلية
- الطبيعة البشرية هي المشكلة ، لكن الطبيعة البشرية هي الحل أيضاً .

الفصل الثامن عشر

الجنس - الجنوسة

أما وقد ورد اسمه ومضى فإن فيلم عام 2001/أوديسا الفضاء/ يقدم فرصة لقياس نخبة مقال الواقع. لقد تتبع الطقائب آرثرسي كلارك مصير نوعنا من الإنسان - الفرد في المسافرات - إلى تجاوز الزمان والمكان والأشياء التي نستطيع أن نفهمها بشكل أولي فقط في روايته الخيالية العلمية 1968. لقد قَدَّمَ كلارك ومخرج الفيلم ستيفي كوبريك نظرية راديكالية للحياة في الألفية الثالثة، وبعض التواحي قد أتت لتقل نبؤة محطة فضائية دائمة، وبرد صوتي واتترنت هما جزء روتيني من حياتنا. لقد كان كلارك وكوبريك مغرطين في تقاليدنا حبال مسيرة التقدم، إذ ليس لدينا نشاطاً موجلاً، ومهمات إلى المشتري، أو حاسبات تقراً الشفاء وتخطيط لعمليات عميان. لقد أضاعوا السفينة تماماً. في روايتهما لعام 2001 فقد سجل الناس كلماتهم على آلات كتابية، ولم يتبأ كلارك وكوبريك بمعالجات الكلمات أو الحاسبات المحمولة. وفي تصويرهما للألفية الجديدة، كانت النساء الأمريكيات فتيات مساعدات، أمينات سر، موظفات استقبال، ومضيفات طيران.

بما أن هذه الرؤى لم تستشرف الثورة في مكانة النساء في سيميةيات القرن العشرين، فإن ذلك منطوق مؤلم بالسرعة التي تستطيع الترتيبات الاجتماعية أن تتغير. لم بعض وقت طويل حتى كان بالإمكان رؤية النساء مناسبات كقرينات بيوت، وأمهات، وشريكات جنسياً، ومحبطات من دخولهن المهن لأنهن سياخذن مكان الرجال. وقد تعرضن إلى التمييز روتينياً، وإلى الكهامة والابتزاز الجنسي التحري النسائي الراهن بعد آلاف سنوات من الاضطهاد هو أحد الإنجازات الأخلاقية لنوعنا، وأعد نفسي محفوظاً لأنني عشت بعضاً من انتصاراته الرئيسة.

التغير الذي حدث في مكانة النساء له أسباب عديدة. أحد هذه الأسباب هو منطق توسع الدائرة الأخلاقية الذي لايرحم، والذي أدى إلى إلغاء: الاستبداد والرق والإقطاع

والفصل المنعصري (1) في وسط عصر التصوير كتبت المؤيدة الأولى للحركة المرز
مارسي استيل (1688_1731): إذا مكثت سلطة مطلقة ليست ضرورية في أي دولة.
فكيف حدث أنها أصبحت ضرورية في الأسرة؟ أو إذا مكثت في الأسرة فلماذا لم يرفع
دولة؟ فيما أنه لا يوجد سبب مزعوم يدعم أحدهما ، فلن يكون الخطر قوة بالنسبة
للآخر.

إذا كان جميع الناس يولدون أحراراً ، فكيف حدث أن تولد النساء جميعاً بأمراء؟
كفما يجب أن يمكن إذا خضعن إلى إرادة الرجال غير المستمرة ، وغير التقنية.
والعشوائية لمصيبن الشرط المثالي للمؤيدة ؟ (2)

سبب آخر هو التقدم الاقتصادي والتقني الذي جعل من الممكن لرجل وامرأة أن
يعارسا الجنس ويربوا أطفالاً من دون تقسيم لا يرحم للعمل ، الذي فيه على الأم أن
تتكسب كمثل لحظة من يقظتها إلى إيقاظ الأطفال أحياناً ، الماء النظيف ، والملابس
الصحية ، والطب المعاصر قلل من وفيات الأطفال ، وقلل الرغبة بإنجاب أطفال كثيرين
عبوات الحليب ، وحليب البقر المعقم ، وبعدهم مضخات ومجمدات الثدي جعلت تربية
الأطفال الرضع دون أن تكون أمهاتهم ملتصقات بهم على مدار الساعة أمراً ممكناً.

لقد جعل الإنتاج الضخم أن من الأرخص شراء الأشياء بدلاً من صنعها باليد.
وكذلك الأمر فيما يتعلق بالمسكوكات ، والكهرباء ، والأجهزة التي قللت من عبء
العمل فالجدوى المتزايدة للأدوية على المضلات في الاقتصاد وزيادة قدرة حياة الإنسان.
والتوسع في التعليم قد غيرت في قيم خيارات النساء في الحياة. مانعات الحمل وعبوس
سائل الرحم لمعرفة ما إذا كان الجنين مريضاً ، والأصوات الأخرى ، وثقافات التفكير
جعلت من الممكن للنساء أن يخضعن تربية الأطفال إلى نظام أفضل في حياتهن.

السبب الرئيس الآخر لتقديم النساء هو الحركات النسائية: السياسية ، والأبوية.
والحركات الأكاديمية التي حولت هذه التطورات الملموسة إلى تغييرات ملموسة في
سياسات ومواقف. فالوجة الأولى من الحركة النسائية دعمها في الولايات المتحدة قنين
Seneca falls عام 1848 ، وأعطى التعديل التاسع عشر للدستور عام 1920 النساء حق
الإفترار وأن يكن عضوات كمحلفات ، وأن يتملكن في الزواج ، وأن يظنن الطلاق.
وأن يظنن تعليماً. أما الموجة الثانية فازدهرت في سبعينيات القرن العشرين ، فجلت
النساء إلى المهنة ، وغيرت تقسيم العمل في البيت ، وكشفت الانهيازات الجنسية في

العمل، والحكومة، وفي المؤسسات الأخرى. كلما اقتضى الضوء على مصالح النساء في جمع مسارات الحياة. فالتردد الحالي في حقوق النساء لم يهبط الحركة النسائية من مجرد وجودها. فهي معظم المائل الثالث. لم تتحسن مكانة النساء منذ التصور الواسع، وفي مجتمعنا نحن، مازالت النساء يتعرضن للتمييز والاضايقة والعنف.

ينظر إلى الحركة النسائية على أنها مناهضة لطوم الطبيعة البشرية، إذ يعتقد العديد من العلماء أن عقول كلا الجنسين مختلفة عند الولادة. بينما أوضح أنصار الحركة النسائية أن هذه المعتقدات قد استخدمت في الماضي لتبرير المعاملة غير العادلة تجاه النساء. سكان يعتقد أن النساء خلقن لتربية الأطفال والحياة البهية، وأنهن غير قادرات على امتلاك المستوى المعرفي الضروري لممارسة السياسة ومزاولة المهن وسكان يعتقد أن الرجال يخبثون دوافع لاتقاوم جعلتهم يتعرشون وينتخبون النساء، وقد لعب هذا الاعتقاد دوراً في التماس عزير لمن يتعرش أو ينتصب، كلما أجاز للأباء والأزواج أن يتحكموا بالنساء تحت فتاح حمايتهن لذلك قد يبدو أن التطريبات الأكثر وداً للنساء هي المنفعة البيضاء. فإذا لم يكن هناك شيء فطري، فلا يمكن أن تكون الفوارق بين الجنسين فطرية. وإذا خبأنا دوافع وضعية، واستغلاً جنسياً، يمكننا أن نساها من خلال إحداث تغيير في مؤسساتنا.

الاعتماد أن الحركة النسائية تتطلب سفحة بيضاء وهجياً نبيلاً قد أصبح واقعاً أولاً لنشر معلومات مقلوبة. لقد أعلن عنوان رئيس في عام 1994 في الصفحة العلمية في صحيفة نيويورك تايمز أن "الجنسين متساويان في south sea isle". (3) لقد كان ذلك متشاماً على عمل الأنثروبولوجية ماريا ليبويسكي التي قالت إن العلاقات بين الجنسين في جزيرة فانواتي *vanuatu* أثبتت أن "خضوع النساء للرجال ليس مبدءاً إنسانياً شاملاً، وإنه ليس حتمياً". وفي نهاية القصة نطم ما الذي تعنيه هذه "المساواة" إن الرجال يجب أن يؤدوا خدمات لزوجاتهم، وأن الحرب يشنها الرجال فقط، وأن النساء يرضين فترة أطول أثناء العناية بالأطفال، وسكنس قذارة الخنازير، وأن الرجال يقضون وقتاً أطول في بناء سمعاتهم وفي صيد الخنزير البري. كلما ظهر انقطاع معانيل بين النوان والحقيقة في صحيفة بوسطن غلوب عام 1998 بعنوان / فتيات يظهرون أنهم يبلن قبوة العدوان مع الصبيان/. فبالإي درجة قد أغلقن هذه القبوة ؟ فوقفاً للضمة، إنهن يرتكبن القتل بنسبة واحد إلى عشرة من معدل الصبيان. (4) وفي عام 1988 مساعدة مخرج مجلة / خذ بناتنا إلى يوم العمل / شرحت عمليات إطلاق النار في

المدارس الثانوية مع تأكيد ملحوظ أن الصبيان في أمريكا قد درهم أبائهم، وبالغ
الخبرون، ودرهنا وسائل الإعلام على التحرش، ومهاجمة، وانحطاب، والفتيات
(5)

من ناحية ثانية، يؤكد بعض المحافظين أن أسوأ مخاوف الحركة النسائية
تكمثل بإثارة هزوات جنسية ملتبسة لإدارة اختيارات النساء. ففي افتتاحية أول سنين
جورنال مكتب عالم السياسة هاريز مانسفيلد قاتلاً إن "العامل الوقائي للرجولة مهدد
بالخطر على يد النساء لأن لديهن إمكانية متساوية في الحصول على وظائف خارج
البيت". (6) وهناك كتاب الفتش في ككارولين غراجيليا يدعى / الهدوء المنزلي موجع
ضد الحركة النسائية / نظرت فيه أن الحواجز المادية والجنسية عند النساء قد تم
تشويهها من خلال العقل التحليلي والتأكدات التي تتطلبها مهنة ما. وقد نص
الصحفي ويندي شاليط ودانييل كفيرتدين النساء أن يتزوجن في سن مبكرة، وأن
يؤجلن مهتهن، ويعتنن بالأطفال في زيجات تقليدية، ولو تبعت النساء نصيحتهما لما رأى
هذا الكتاب. (7)

بينما أخذ ليهون نكاس الأمر على عاتقه عندما توجه بالحديث إلى الشابات ليد
يردن "وللمرة الأولى في التاريخ البشري أن تعيش الآلاف من الشابات عند العشرين من
أعمارهن - سنوات الخصوبة - لا في منازل آبائهن، ولا في بيوت أزواجهن، بين
حمية، وحيقات وخارج سنة طبيعتهن الفطرية. بعض النساء يرحبن إيجابياً بهذا
الحالة، بينما معظمهن لا يرحبن بها. (8)

هنالك عدم النجاس بين مبادئ الحركة النسائية وبين إمكانية عدم تشبه
الرجال والنساء سيكولوجياً. لتكثرت ثانية، المساواة ليست مطلباً تجريبياً بأن جميع
البشر ثنائليون، بل مفاد المبدأ الأخلاقي أن الأفراد يجب ألا يتم تقويم أو تقييد الأفراد
بالخصائص المتوسطة للجماعة، ففي حالة الجنس إن التصديل للوحيد لتحقيق الإنسار
الذي لاقى الهزيمة صاغ الأمر بوضوح: "المساواة في الحقوق تحت القانون يجب ألا يتم
التكثرت لها أو اختصارها في الولايات المتحدة أو من قبل أي ولاية بسبب الجنس". هذا
اقرتاً بهذا المبدأ، لن يكون على أي امرئ أن يحوك الأساطير حول عدم إمكانية
التمييز بين الجنسين كفي يميز المساواة. ولا ينبغي أن يستحضر أحد الفروق بين
الجنسين كفي يميز السياسات التمييزية أو ليرغم النساء على القيام بما لايردن فيه
يد. إن ما نعرفه فعلياً عن الجنسين لا يستدعي أن عملاً سيعاقب أو يتقيد جنساً أو آخر

والسمات النفسية المتعلقة بالجو العام - كالتذكاء العام - هي بمعدل متوسط لدى الرجال والنساء ، وبالإمكان أن توجد جميع السمات النفسية وبدرجات متفاوتة بين الأفراد من كلا الجنسين ، ما من فارق جنسي ثم اكتشافه ينطبق على طفل رجل ، مقارنة مع ككل امرأة ، وبالتالي نستكون التعميمات حول جنس دائماً غير صحيحة للأفراد عديدين ، ومفاهيم مثل " دور مناسب " و" مكان طبيعي" عملياً لا معنى لها ، ولا تقدم مبررات لتقييد الحرية.

على الرغم من هذه المبادئ ، حركات نسائية كثيرة تهاجم بضراوة البحث في الجنسية والفوارق بين الجنسين ، سياسية الجنس هي السبب الرئيس في تطبيق التطور ، وعلم الوراثة ، وعلم الأعصاب على العقل البشري تتم مقاومتها بمرارة في الحياة الثقافية الحديثة. لكن تقسيمات بشرية أخرى كالعرق والإثنية حيث تكون أي فروقات بيولوجية ثانوية جداً ، وبغير مهمة ، وموضوعاً رئيساً في بيولوجيا التطور وعلم الوراثة وبيولوجيا السلوك، فهي حالة نوعنا نحن سيككون أعمال الجنسين خطأ في فهم مكاننا في الكون فالفروقات بين الرجال والنساء تؤثر على شكل ناحية من حياتنا نحن جميعاً لدينا أم وأب، وتتجذب إلى الجنس الآخر (أو نلاحظ تقيضنا بالناس من الجنس المقابل) ، ولنا مدرسين لجنسنا وأطفالنا وأصدقائنا. إن تجاهلنا الجنس يعني تجاهل جزء رئيس من الشروط البشري.

الهدف من هذا الفصل هو إيضاح العلاقة بين بيولوجيا الطبيعة البشرية والبدالات الراحة على الجنسين ، من بينها الفجوة بين الجنسين والتهمج الجنسي ، وبين الزوون السالخين ساجادل ضد الحكمة التقليدية المرتبطة بالناس معددين ، الذين يزعمون أنهم يتكلمون نهاية عن الحركات النسائية مما قد يطلق وهماً بأن البدلات هي ضد الحركات النسائية بشكل عام ، أو حتى ضد مصالح النساء. إنها ليست كذلك - وعلياً أن أبين كيفية ذلك.



غالباً ما يتم ازدياء الحركة النسائية بسبب نهايات جدالاتها الحقاء - على سبيل المثال إن شكل الضلال جنسي هو اغتصاب ، وأن جميع النساء يجب أن يكن سفافيات ، أو أن 10٪ من السكان فقط يجب أن يسمح لهم بكونوا ذكوراً (9) يد نصار الحركات النسائية أن خصوم حقوق النساء بالآ يتكلموا بصوت واحد ، وفضوة ذلك التمييز النسائي تضم مواقف عديدة ينبغي تقييدها ككل على حد. (10) ذلك

مشروع تماماً لأنه يتطوع ككلا السبيلين. فلكي نتقده اقتراح أحد الأنصار لا ينبغي
نتهجم على الحركة النسائية عموماً.

من يعرف الأساطير الأكاديمية، يعلم أنها تولد مذاهب إيديولوجية جديدة،
للمفاد، ومقاومة للتقد، وهذا ماتتقدمه نساء ككثيرات بالنسبة للحركة النسائية فهم
مكتبتها /من سرق الحركة النسائية / رسمت الفيلسوفة ككريستينا هوف سومرز فاز
مفيداً بين مدرستين فكريتين (11) حركة نسائية تنادي بالمساواة وتعارض التمييز
على أساس الجنس، وتهاضشكناً أخرى من عدم العدالة تجاه النساء. بها جزء من
التراث الإنساني والليبرالي والكلاسيكي الذي نأ من عصر التنوير، وقد التزم
الأول للحركة النسائية، وأطلق الموجة الثانية. حركة التمييز ضد النساء تقدر
النساء يتم استبعادهن من قبل نظام هيمنة ذكوري مسيطر، ونظام الجندر الذي فيه
يتم تحويل الأطفال شائبي الجنس إلى ذكور، فمطرف بقود والطرف الأخر عليه
يطبع (12)

إنه تقيض للتراث الليبرالي الكلاسيكي ومتحالف مع الماركسية، ومع بلد
الحدائق، والبنائية الاجتماعية، والعلم الراديكالي. وقد غدا عقيدة في بعض جوانب
الدراسات النسائية، ومنظمات نسائية، ولدى متحدثين لصالح الحركات النسائية.

فالحركات المطالبة بالمساواة للنساء لديها عقيدة أخلاقية جمال التنافر
المتكافئ الذي لا يفرض التزامات بما يتعلق بقضايا عملية، ملتزمة بثلاثة مطالب
علاقة بالطبيعة البشرية. المطالب الأول، أن الفروقات بين النساء والرجال لا علاقة
بالبيولوجيا، بل لها علاقة بالبنية الاجتماعية في أزميتها. والمطلب الثاني، أن لدى البشر
دافعاً اجتماعياً واحداً - السلطة - وأن بالإمكان فهم الحياة الاجتماعية من خلال
كيفية ممارستها فقط. المطلب الثالث، أن التفاعلات البشرية لا تتبع من دوافع التمر
الذين يتعاملون مع بعضهم كأفراد، بل من دوافع الجماعات المتعامل مع جماعات
أخرى. وفي هذه الحالة الجنس الذكوري مسيطر على الجنس الأنثوي.

فهي تبني هذه المبادئ، المؤيدون للفروقات بين النساء والذكور يكتلون الحركة
النسائية بمسارات مثل مسارات المسكوك الحديدية التي يسير عليها القطار. فضع
سنرى، يقوم علم الوراثة والمسيكولوجيا، والإثنوغرافيا بتوثيق الفروقات الجنسية ثم
لها أصل في البيولوجيا البشرية. وتوثق سيكولوجيا التطور شبكة من الدوافع

مبطرة جماعة على جماعة (مثل الحب، والجنس، والأسرة والجمال) التي تورطنا في نزاعات كثيرة، وفي التقامات المصالح مع أفراد الجنس نفسه مع الجنس الآخر. فلنصار النساء ويريدون إما إزاحة القطار عن سكة، أو أن يجعلوا نساءً أخريات ينضمن لهم في الشهادة، لكن نسوة أخريات لمن متعاونات. فعلى الرغم من إمكانية رؤية التحسسات لفضية جنسهن من النساء، لا يتكلمن نهاية عن جميع أنصار المرأة، بلعك عن جميع النساء.

فلبداً - إذن - بالبحث عن الأساس البيولوجي للفروقات بين الجنسين الذي فادته النساء يقال غالباً إن هذا البحث هو مزامرة لإبقاء النساء في الأسفل، لذلك يجب علي أن أذكر الأسماء، تشمل أسماء الباحثات في الفروقات بين الجنسين كلاً من عالقات الأعصاب، وراشيل غور، ميليسيا هاينز، دورين كيمورا، جيري ليني، مارغا ماسكيتونوك، سالي شافيتز، وسارة ويتسون وفي ميدان علم النفس كاميلا بينو، ليندا غونترديسون، ديان هالبيرن، جوديث كلابندفيلد، وديان ماسكوتونز. فلم الأحياء الاجتماعي، وسيكولوجيا التنوع، قد نُطما كتبهج يسن للنساء وربما هو للجال الأكاديمي الشائبي الجنس الذي اعرفه أنا. وأسماء العاملات الرئيسات فيه نضم: لورا بيتزيغ، إليزابيت كاشدان، ليدانكوسميدس، هيلين كورتين، بافارهاردي، ماجدولين هورتادو، بوبي لو، ليندا ميلي، ميريديث سمول، باربرا سموتس، نانسي ويلمن ثورنهل، ومارغوريلسون.

الفضية ليست فقط تصادم نسوية جنسية مع العلم الذي يتشاور مع حركات نسائية كثيرة. مثلها مثل إيديولوجيات مولدة أخرى، فقد أنتجت زوائد غريبة مثل الفرع المعروف باسم الاختلاف بين الجنسين difference feminism. لقد أصبحت كارول كيليفان أيقونة نسائية لزعمها أن الرجال والنساء يوجهون محاسنهم الأخلاقية بمبادئ مختلفة: فالرجال يفكرون في الحقوق والعدل، والنساء لديهن مشاعر الرحمة، والتربية، والسكنى المسألة (13) فإذا صح ذلك فإنها ستزع الأهمية عن النساء من أن يصبهن محاميات دستويات، وقضاة في المحكمة العليا، وفلسوفات أخلاق، اللواتي يكسبن العيش من خلال المحاكمة حول الحقوق والعدل. لكن هذا الزعم ليس صحيحاً. لقد أخبرت دراسات كثيرة فرضية كيليفان فوجدت أن الرجال والنساء يختلفون قليلاً أو لا يختلفون إطلاقاً من حيث المحاكمة الأخلاقية (14) لذلك فإن الفروق بين الجنسين تقدم للنساء الأسوأ من كلا العالين

من فقط بالإمكان اعتبارهن المدافعات عن حقوق النساء، فعلى سبيل المثال - في عام 1999 قالت غلوريا شينغ من باغلبا " أن تسميتها لنفسها نصيرة المرأة: femi ist هو نوع من النزاهة القائلة إنها ليست معادية للسامية". (20) وقد ابتكرن قاموساً يضم كلمات نساء لما يعنى في أي منقطة أخرى عدم اتفاق: "كلم النساء" "عدم فهم" "إمكانات نساء" و"مضايقة فكرية". (21)

هذا كله خلفية أساسية للنقاش القادم. والقول إن النساء والرجال لا يملكون عقلاً تبادلية، وأن الناس لديهم رغبات غير السلطة، ودوافع تخص أفراداً وليست فقط نفس اجناساً متكاملة، فهو لا يعدو مكوّنه هجوماً على الحركات النسائية والمساومة على مصالح النساء، على الرغم من سوء الفهم أن الحركات النساء التي تقول بوجود فوارق بين الرجال والنساء وأنها تتكلم باسمهن، فجميع الجدالات في ما تبقى من هذا الفصل فقد تقدمت بها النساء بشكل بقوة.

لماذا يخاف الناس كثيراً من فكرة أن عقول الرجال والناس عموماً ليست متطابقة في شكل ناحية؟ هل سنكون - حقاً - أفضل لو كان شكل واحد مثل نيربات need pat الخشن من كتاب Saturday night live ؟ الخوف هو أن الفرق يتضمن عدم المساواة إذا ما اختلف الجنسان في أي ناحية، عندئذ سيكون الرجال - حقاً - هم الأفضل، أو مسيطرين أكثر، أو يتألون بشكل التسلية. لا شيء أبعد عن التفكير البيولوجي من هذه الفكرة. لقد أشار تريفيرز إلى "تأخر في العلاقات الإنسانية" يتبنى مساواة وراثية بين الجنسين. (22)

فمن وجهة نظر وراثية أن توجد في جسم ذكر أو في جسم أنثى إنما هما استراتيجيتان جيدتان متساويتان على الأقل بمعدل وسطي (الظروف قد تبدد الفرية - نوعاً ما - في أي من الاتجاهين) (23).

ولذلك يميل الاصطفاء الطبيعي إلى استثمار متساو في كلا الجنسين بعد مساوية وتنفيد متساو في كلا الجسمين والدماغين، وتصميمان فعالان متساويان من أجل البقاء. هل من الأفضل أن تكون بحجم فرد بابون baboon ذكر وذئ أسنان طولها 6 إنشات أو أن تكون بحجم أنثى بابون ولاتملك أسناناً فمجرد طرح السؤال هو كشف لا هدفهته. يقول عالم البيولوجيا أنه من الأفضل أن يكون هناك تكيفات

ذكورية للتعامل مع مشكلات ذكورية ، وتكيفيات انثوية للتعامل مع مشكلات انثوية الرجال ليسوا من المربخ ، وليس النساء من كوكب الزهرة ، ككلا النساء والرجال هم من أفريقيا مهد نشوئنا حيث تطوروا معاً كتنوع واحد. والرجال والنساء لديهم المورثات ذاتها ، عدا بضعة مورثات تكروموزم Y ، وأدغنتهم مشابهة جدا لدرجة انها تأخذ عالم تشريح اعصاب عينه كعين النسر ليجد فروقات صغيرة بينهم فمستوياتهم المتوسطة من ذكاء عام هي نفسها ، وقتاً لأفضل التسفيرات السيكومترية (24) .إنهم يستخدمون لغة ، ويفكرون بالعالم المادي والعالم الحسي بالأسلوب العام نفسه . إنهم يشعرون بالمشاعر الأساسية نفسها ، ويستمتعون بالجنس ، ويسعون إلى شركاء زواج طبيين وأذكباء ، ويفارون ، ويضحون من أجل أطفالهم وينافسون على المكانة وعلى الشركاء ، وأحياناً يرتكبون أفعالاً عدائية سيئاً ومضالهم.

بيد أن عقول الرجال والنساء ليست متطابقة ، والأبحاث الحديثة حول الفروق الجنسية قد تغيرت فيما يخص فروقات موثوقة (25) . فأحياناً تكون الفروق كبيرة يتداخل خفيف فقط في تحذب النحني البياني هلدي الرجال ميل أقوى بكثير إلى جنس دون خطوط مع شريكات عديدات أو مجهولات ، فكما نرى في قاعدة الهرم الذكوري العمومي للمهر والأفلام الإباحية البصرية (26) .

يتنافس الرجال بعنف ، وأحياناً لحد الموت أحدهم ضد الآخر على مكاسب كبيرة وصغيرة (ككما هي حالة جراح ومخدر اللذين توصلنا إلى توجيه التكلمات في غرفة العمليات بينما مريضة مستلقية على طاولة العمليات منتظرة استئصال المرارة) أما بين الأطفال ، فيفضي الصبيان وقتاً أكثر في التدرج على الصراع العنيف في شكل يسمه علماء النفس اللعب الخشن(28) . فكما أن المقدرة على احتكار الأشياء ثلاثية الأبعاد وحيز في العقل تبين أيضاً فارقاً كبيراً لصالح الرجال (29) .

فمع خصائص أخرى تكون الفروقات ضئيلة بشكل متوسط ، لكنها قد تكون كبيرة في حدودها القصوى ويحدث ذلك لسببين . عندما يكون تحذب النحني اليتمى للثلاثين يتداخلان جزئياً ككلمة بعد عن طول الذيل أكثر ازادات التفاضل بين الجماعات . فملى سبيل المثال ، الرجال - بمعدل متوسط - هم أطول من النساء ، والتعارض أكبر من أجل قيم أكثر نظرفاً . فملى ارتفاع خمسة أقدام وعشرة إنشاً

يوجد عند الرجال على عدد النساء بمعدل 30 إلى واحدة، وعند طول ستة أقدام يزيد عند الرجال عن عدد النساء بنسبة الفين إلى واحد. أيضاً تأكد متوقع من بيولوجيا التطور، بالنسبة لخصائص كثيرة، تُدب المنحنى البياني لدى الذكور أكثر سطوحاً والسامعاً من التحدب عند النساء. أي أن هناك ذكوراً أكثر نسبياً عند التهايز على طول الذيل الطويل للمنحنى بعد المرة أن الصبيان يرجح أن يكونوا عرضة لاضطراب دماغي بسبب صعوبة في القراءة والتهجئة، والتركيز غير كاف، ولديهم اضطراب عاطفي، ومعرضين للإعاقة العقلية (بعض أنواع من الإعاقة) (30). عند نهاية الذيل الأيمن، بعد المرة أن في عينة من الطلاب الكوهويين الذين يسجلون أكثر من 700 من 800 في قسم الرياضيات في التقويم الامتحاني المدرسي، عدد الصبيان أكثر من الفتيات بنسبة 13 إلى واحد مع أن نقاط الصبيان والفتيات تكون متشابهة من حجم المنحنى (31).

ومع خصائص أخرى، القيم المتوسطة لكل الجنسين تختلف بمقادير أصغر وفي زيجات مختلفة من أجل خصائص مختلفة (32). ومع أن الرجال - بمعدل وسطي - هم أفضل في الأجسام الدوارة والخرائط، إلا أن النساء أفضل في تذكر علامات مميزة، وبيئات الأشياء. الرجال رماة أفضل، والنساء حاذقات أكثر. الرجال أفضل في سائل كلمات رياضية، والنساء أفضل في الحساب الرياضي. النساء أكثر حساسية للأصوات والروائح، ولديهن إحساس أعمق، ويتأسبن الأشكال أسرع من الرجال، وهم أفضل من الرجال كثيراً في قراءة تعابير الوجه ولغة الجسد. النساء مهجئات أفضل ويستحضرن كلمات بطلاقة أكثر، ولديهن ذاكرة أفضل لمادة عملية.

تتمتع النساء بالشاعر الأساسية بشكل أكثر تركيزاً، إلا الغضب (33). لدى نساء علاقات اجتماعية أكثر مودة، وهم أكثر اهتماماً بها، ويشعرون بمودة أكثر تجاه أصدقائهم، وليس تجاه الغرباء. (الظفرة المشائفة بأن النساء هن أكثر تأكيداً لأنسبن تجاه كل امرئ، هي غير صحيحة، من المحتمل نظوياً). إنهن يبقين عنياً أكثر على علاقة، ويتأسبن ويضحكن أكثر (34). من المرجح أن الرجال يتأفسون فيما بينهم على المكثفة مستخدمين العنف أو إنجازاً مهناً، بينما النساء يستخدمن العطف من القدر وأشكالاً أخرى من عدوانية طفيلة.

لدى الرجال احتمال أعلى تجاه الألم، ورغبة أكبر للمجازفة بالحياة من أجل المكانة والاهتمام، ومكافآت أخرى ملتبسة. المكافآت الداروينية التي تقدم سنوياً

إلى الأفراد لضمان البقاء لفترة أطول لتوعنا بتخليص أنفسهم من بركة المورثة طريد
حمتاء جداً، وينال الرجال دائماً - تقريباً - هذه الجوائز. المتكرومون حديثاً من ربه
الرجل الذي هرس نفسه تحت آلة كطوكسا كطولا بعد دفعها إلى الأمام ليحصل طرف
كطولا مجانية، وثلاثة رجال تناهسوا فيما بينهم على من يستطيع أن يدفع الآلة
لفم مضاد للدبابات، وطهار المستقبل الذي ربط منا طويد الطقس الجوي بطرس
المدنية، وانطلق إلى ارتفاع ميلين في الهواء وطار في الجو ليستط في البحر الحصر
على ذكر تكريمي لأنه ثم إنقاده بطائرة هيلوكبتر).

النساء أكثر اعتماداً بأطفالهن وببكتاتهن اليومي (مع أن ككلا الحنيد
يستجيبان - بشكل متساوٍ - لصراخات ضيق شديد)، ويقدمن المشورة لأطفالهن
بشكل عام (35). تلعب الفتيات لعبة الوالدين ويحاولن لعب أدوار اجتماعية. بينما يميز
الصبيان إلى المراك، والمطاردة، واحتكار الأشياء. يختلف الرجال والنساء في تعاملهم
في موضوع الفيرة الجنسية، وفي ما يفضلن الشريك، وفي دوافعهم للمغازلة.

هناك فروقات جنسية كثيرة لا علاقة لها بالبيولوجيا. فتسريحات الشعر واللباس
تختلف كثيراً عبر القرون والثقافات وفي عقود متأخرة، المشاركة في الجامعات والهر
والرياضات قد تهيئت من كونها رياضات ذكورية إلى نسبة 750 أو معظمها أنثوي قد
تكون بعض الفروقات الجنسية الواهنة مؤقته فقط. وتجادل الحركة النسائية القوي
بوجود فروق بين الجنسين أن جميع الفروقات الجنسية - عدا عن الفروقات
التشريحية - تأتي من توقعات الوالدين، وشركات اللعب، والمجتمع اللان
الرايكية أن فلوستو ستيرلنغ كتبت تقول:

الحقيقة البيولوجية الأساسية هي أن الصبيان والفتيات لديهم أعضاء جنسية
مختلفة، وهذا الفارق البيولوجي يقود البائتين إلى أن يتفاعلوا بشكل مختلف
أطفال رضع مختلفين، الذين نعيمهم برمز لوني - زهري أو أزرق - لتجعل من غير
الضروري أن ننظر إلى حفازاتهم ككي نعرف جنس الطفل (36). لكن نظرية الزهري
والأزرق تصبح معقولة أقل، إليك عشرة أنواع من الدلائل التي توحى أن الفارق بين
الرجال والنساء أكثر عمقاً من الأعضاء الجنسية:

1- الفروقات الجنسية ليست سمة عشوائية في الثقافة الغربية، إنها مثل قرار
قيادة السيارة على يسار أو على يمين الطريق. ففي جميع الثقافات البشرية، ينظر إلى

الرجال والنساء أنهم يمتلكون طبيعتين مختلفتين. وجميع الثقافات تقسم العمل على أساس الجنس، مع مسؤولية أكبر على تربية الأطفال التي تختص بها النساء. بينما يسهل الرجال أكثر على المجالات العامة والسياسية. (لقد ظهر تقسيم العمل في الثقافة حيث شكل واحد ملتزم بأن يترك بصمته وإنجازته على العمل). وفي الثقافات جميعها الرجال أكثر عدوانية، وأكثر ميلاً إلى السرقة والعنف القاتل (من ضمنه العرب)، ومن المرجح أن يتوعدوا إلى النساء ويغروهن ويعرضون عليهن خدمات من أجل الجنس. ويعد المرء الاغتصاب والعقوبات المفروضة عليه في جميع الثقافات (37).

2- العديد من الفروقات السيكولوجية بين الجنسين هي تماماً ما عرفها أحد علماء بيولوجيا التطور على أنها ما توقعه فروقاتهم الجسدية (38). فني أرجاء عالم الحيوان، عندما يكون على الأنثى أن تستثمر حيريات أكثر، وتقامر في شكل ولادة له حالة الشبهات عبر الحمل والإرضاع)، فإنها أيضاً تستثمر أكثر في تغذية المولود بعد الولادة، لأنه بالنسبة للأنثى أكثر تكلفة أن تستبدل طفلاً من الكلفة التربوية على الذكر باستبدال طفل. الفارق في الاستثمار يترافق مع تناقص أكبر بين الذكور على فرص التزاوج، لأن التزاوج مع شركاء عدة، من المرجح أن يضاعف عدد إنجاب الذكر أكثر من عدد إنجاب الأنثى عندما يكون الذكر المتوسط أكبر من الأنثى المتوسطة (كما يصبح الأمر على الرجال والنساء)، فإنه يوضح تاريخ تطور تناقص عتيف من قبل الذكور على فرص التزاوج. خصائص جسدية أخرى عند الرجال: مثل البلوغ المتأخر، قوة بلوغ أكبر، وحياة أقصر، ثماني أيضاً تاريخ اصطفاة للمنافسة على الأفضل.

3- العديد من فروقات الجنسين توجد على نطاق واسع في مجتمعات بدائية أخرى في شكل صنف الثدييات(39). تعمل الذكور إلى أن تتنافس بعدوانية أكثر وأن تكون متعددة الزوجات، بينما الإناث تعمل لأن تستثمر أكثر في الأبوة. في الثدييات كثيرة هناك مجال منطقة أكبر تتوافق بقدرة متزايدة على الإبحار باستخدام مساري الهندسة والفضاء (ككتيش لذكور فردي للعلامات الأرضية). وفي أغلب الأحيان الذكر هو الذي لديه مجال أكبر، وهذا صحيح بالنسبة للإنسان الصياد وجامع الثمار. مزية الرجال في استخدام خرائط عقلية، واستخدام الدوران العقلي ثلاثي الأبعاد قد لا يكون مجرد مصادفة (40).

4- لقد وجد علم الوراثة أن تعددية د. ن. أ. في mitochondria (جزء صغير موجود في معظم الخلايا تطلق فيه الطاقة) لدى أناس مختلفين (والتي يرثها الرجال والنساء من أمهاتهم) هي أكبر بكثير من تعددية د. ن. أ. في كروموزومات Y التي يرثها الرجال من آبائهم). وهذا يعني أن طوال عشرات الآلاف السنين سكان لدى الرجال تنوع أكبر في نجاحهم التنكاثري مما كان لدى النساء. كان لدى بعض الرجال أكبر كيتيون، وآخرون لم يكن لديهم أحفاد (تارصكين إيانا) مع عدد أصغر من كروموزومات Y (مهمزة). بينما كان عدد أكبر من النساء لديهم عدد موزع من الأحفاد بشكل مناسب (تارصكين إيانا) مع عدد أكبر من جينومات mito chon dria مهمزة. من هي بدقة الشروط التي تسبب الانتقاء الجنسي الذي فيه يتنافس الذكور من أجل فرص التزاوج، والإثاث يختن الذكور الأفضل نوعية (41).

5- يحتوي الجسم البشري على آلية تجعل أدمغة الصبيان وأدمغة البنات تتباين أثناء التطور (42). كروموزوم Y يشمل نمو الاختبارات في الجنين الذكري الذي يفرز منشط الذكورة، من بينها (التستوستيرون) وهرمونات الذكورة لها تأثيرات دائمة على الدماغ أثناء تطورات الجنين، في الشهور التي تلي الولادة، وخلال البلوغ. بالإضافة إلى تأثيرات عابرة في أوقات أخرى. الاستروجين الهرمونات الجنسية الأنثى تؤثر أيضاً على الدماغ طوال الحياة. مستقبلات لهرمونات الجنس توجد في هيبوثالاموس وهيبوثالاموس، واللوزتين في جهاز الأطراف من الدماغ. بالإضافة إلى القشرة الدماغية.

6- أدمغة الرجال تختلف عن أدمغة النساء بوضوح وفي أشكال عدة (43) الرجال ذوو أدمغة أكبر، وفيها عصيونات أكثر، بينما النساء لديهن نسبة متساوية أكبر من المادة الرمادية. فيما أن الرجال والنساء متساويين - إجمالاً - بالذكاء، إلا أن أهمية هذه الفروقات غير معروفة. النوى الفرجية intersiti alnuclei في منطقة هيبوثالاموس، ونواة strial terminalis هي في الرجال أكبر من النساء، وهي متنية في السلوك الجنسي والعدوان أقسام من خط الانتقاء الدماغية التي تصل التصغير اليساري والأيمن الدماغيين تبدو أنها أكبر لدى النساء، وأدمغتهن قد تعمل بطريقة التفاضلية. lopsided. التعلم والاندماج الاجتماعي يؤثر على البنية الدقيقة وعلى عمل الدماغ البشري، طبعاً، لكن من المحتمل ليس على حجم بناء التشريحية المرئية.

7- التفاوت في مستوى التستوستيرون لدى رجال مختلفين. وفي الرجل نفسه في فصول مختلفة، أو في أوقات مختلفة من النهار. يرتبط مع الدافع الجنسي للبيدو، والفتنة بالنفس، والدافع إلى السيطرة (44). المجرمون العنيفون لديهم مستويات أعلى منه من المجرمين غير العنيفين، ولدى محامي المحاكم مستويات أعلى من المحامين الذين يرافعون على الورق. العلاقات معقدة لأسباب عديدة. تغير طيف واسع من القيم تركيز التستوستيرون في الجدول الدموي ليس بأي أهمية. فيعض الخصائص مثل القدرات المعنوية يبلغ الذروة في مستويات معتدلة بدلاً من مستويات عالية. وتتوقف التأثيرات التستوستيرون على عدد وتوزيع المستقبلات للجزء، وليس فقط على تركيزه. كلما أن الحالة النفسية للفرد تؤثر على مستويات التستوستيرون أيضاً لكن هناك علاقة سببية على الرغم من كونها علاقة معقدة. فعندما تستعد النساء لعملية تغيير الجنس، يتم إعطاهن أندروجينات، ويشعرن بالتحسن على فحوصات الدوران الذهني، ويصعبن أسوأ في اختبارات الطلاقة الفعلية. فالصحفي أندرو سوليفان الذي نظمت حالته الصحية من مستويات تستوستيرون لديه بصف تأثيرات حقن التستوستيرون أندفاع مقلدة T ليس مثل اندفاع الاستمرار في الموعد الأول أو التكلم أمام مستمعين. أشعر أنني متشجع. بعد حقنة واحدة سكوت أن أدخل في شجار علني لأول مرة في حياتي. هناك دائماً ذروة شهوة - وسكل مرة تأخذني من دون وعي مني (45). مع أن مستويات تستوستيرون في الرجال لا تتداخل، إلا أن التباينات في المستوى لها أنواع من التأثيرات المتماثلة في سكان الجنسين. نساء لعمهن مستويات عالية من التستوستيرون يبتسمن أقل. ولديهن قمص خارج الزواج (زناً أو سفاح)، وحضور اجتماعي أقوى، ومضايقة أكثر قوة.

8- نشاط قوة وضعف المعرفة التمسائية تتباين مع طور دورة الحيض (46). عندما تكون مستويات الأستروجين عالية تقفو النساء أفضل في مهمات يوديتها أفضل من الرجال، مثل العلاقة الفعلية. وعندما تكون المستويات منخفضة، تصبح النساء أفضل في مهمات يوديتها الرجال بشكل أفضل مثل الدوران الذهني. وهناك تنوع حوافز جنسية من بينها أن ذوقهن في الرجال يتفاوت مع الدورة الطمثية أيضاً (47).

9- الأندروجينات لها تأثيرات دالمة على الدماغ المنظور، وليست تأثيرات عابرة على الدماغ البالغ (48). القنحات اللواتي لديهن تضخم في المدة الكظرية خلقي بيزر an drostene diene ، إطرار في إفراز هرمون الأندروجين الذي اشهر من خلال

لاعب البيسبول مارك ماسكوفوير. مع أن مستويات الهرمون لديهن أصبح في مستويات العادية بعد الولادة، إلا أن الفتيات يكسبن في شكل صبيان، ويلعبن بخشونة مثل الصبيان، ويعرن اهتماماً أكثر للشاحنات من اهتمامهن بالدمى، ولديهن قدر من مسكانية أفضل. وعندما يكسبن في السن لديهن خيالات جنسية أكثر، وانجذبات إلى التفاهات الأخريات. اللواتي يعالجن بهرمونات في مرحلة لاحقة من الطفولة يظهرن نمواً ميولاً لذكورية جنسية عندما يصبحن بالغات، من ضمن ذلك استئثاراً سريعة بالصور الإباحية، وادافع جنسي مستقل مركز على إشارة العضو الجنسي والمكشوف للاحتلام(49).

10- التجربة الخيالية النهائية للفصل البيولوجيا عن الدماغ الاجتماعي
ستكون أن نأخذ صبياً صغيراً، ونجري له عملية تغيير الجنس، ويربيه والداً كفنتاة. ويعامله الآخرون على أنه فتاة. فإذا كان الجنس يتم بناؤه اجتماعياً، فإن الطفل ليس أن يكون لديه عقل فتاة عادية، وإذا كان الجنس يعتمد على هرمونات ما قبل الولادة، فإن الطفل ينبغي أن يشعر أنه صبي مسجون في جسم فتاة. لقد أجريت هذه التجربة في الحياة الواقعية، وليس بدافع فضول علمي بل كنتيجة لمرض وجوات نظرت إحدى الدراسات إلى 25 صبياً ولدوا دون قضيب (تشوه وُلادي يعرف باسم colocal extrophy) وبعدئذ تم إخصالهم وتمت تربيتهم كفنتيات. لقد أظهروا جميعاً نماذج لذكورية باللعب الخشن وكانت مواقفهم واهتماماتهم لذكورية. وأعلن أكثر من نصفهم أنهم صبيان وأعلن أحدهم ذلك عندما كان في الخامسة من عمره (50).

في دراسة مشهورة حول صبي عمره ثمانية أشهر فقد قضيبه في خنان خاضع على يد طبيب متهور فاستشار والده باحث الجنس المشهور جون موني الذي كان يعتقد أن (الطبيعة هي استراتيجية سياسة لأولئك المتترمين بالحفاظ على الوضع القائم للفرقات بين الجنسين). فنصحهم بأن يسمحوا للأطباء أن يخلصوا الطفل، ويضعوا له مهلاً اصطناعياً، وأن يربوه كفنتاة دون إخباره بما حدث له (51). لقد علمت بالقضية عندما كتبت طالباً في سنة التخرج في سبعينيات القرن العشرين، وعندما عرضت الحاف كدليل على أن الأطفال الرضع يولدون حيدايين ويكتسبون جنساً من خلال الطريقة التي تتبع في تربيتهم. وذكرت مقالة في صحيفة نيويورك تايمز - في تلك الفترة - أن بريندا (كانت تبصر وعن فتاة في طفولة كفنتاة حقيقية) (52). لكن تم إخفاء الحقائق حتى عام 1997، عندها اكتشفت بريندا أنها كانت صبياً سجيناً في جسم

بنات، ولها دور جنسي (53). لقد مزقت فضائلها المزعومة، ورفضت اللعب بالدمى واخذت تلعب بالمسدسات، وغدت تفضل اللعب مع الصبيان واخذت تفضل تناول وافق. في سن الرابعة عشرة فكانت باسمة جداً لدرجة أنها قررت إما أن تعيش حياتها كصبي أو أنها تنتهي حياتها، عندئذ أخبرها والدها الحقيقة. ثم أجريت لها عمليات جديدة. وبنت هوية ذكورية، ثم تزوجت امرأة وهي سعيدة معها.

الأطفال الذين يشككون من متلازمة تيرنر هم حياديون وراثياً لديهم كروموزوم X وحيد وروثو إما من أمهم أو أبهم بدلاً من اثنين ككروموزوم X لفتاة (واحد من الأم، والآخر من الأب)، أو ككروموزوم X ولا لصبي (ككروموزوم X من أمه وككروموزوم Y من أبيه). طالما أن تصميم جسم انثى هو النشوء بين الثدييات، فإنهم ينسرفون مثل فتيات. لقد اكتشف علماء الوراثة أن جسمي الوالدين باستثناءهما - جزئياً - أن يعطيا مورثات على ككروموزوم X بحيث تصبح فاعلة في الأجسام المتطورة وفي أجنة الأطفال. إن فتاة مصابة بمتلازمة تيرنر تحصل على ككروموزوم X من أبيها، قد يكون لديها مورثات تكوّن تطورياً اثنين أنها فتاة لأن ككروموزوم X أبوي ينتهي دائماً بانة. فتاة تعاني من متلازمة تيرنر تحصل على ككروموزوم X من أمها قد يكون لديها مورثات تبشر تطورياً بصبيان (لأن ككروموزوم X أمومي - مع أنه قد ينتهي بأي واحد من الجنسين - سيعمل دون مقاومة في صبي فقط، لا يملك نظيراً لمورثات X على ككروموزوم الضعيف). وفي حقيقة الأمر تختلف فتيات تيرنر سيكولوجياً اعتماداً على أي من الوالدين أعطاهم المورثة X. الفتيات اللواتي لديهن مورثة X من أمائهن يكن أفضل في ترجمة لغة الجسد، وقراءة العواطف، والتعرف إلى الوجوه، والتعامل مع الضغوطات، وسابرة الآخرين، بالمقارنة مع الفتيات اللواتي لديهن مورثة X من أمهاتهن (هذه المورثة الفعالة تماماً في صبي فقط) (54).

خلافاً للاعتقاد الشعبي، لا يعامل الوالدان في أمريكا المعاصرة أبنائهم وبناتهم معاملة مختلفة جداً (55). تقويم حديث (172 دراسة تشمل 28 ألف طفل، وجدت أن الصبيان والبنات يتناولون مقادير متماثلة من التشجيع والحنان والتربية وفرض القيود والانسباط ووضوح التواصل). الفرق الجوهرى الوحيد كان أن نحو ثلثي الصبيان كانوا ينعون من اللعب بالدمى - خاصة من قبل أمهاتهم بدافع خوف الآباء من أن يسبحوا شاذين جنسياً (فالصبيان الذين يفضلون دعى البنات غالباً ما يصبون شاذين جنسياً لكن منهم من اللعب بالدمى لا يغير النتيجة). تعتمد الفروقات بين الصبيان

والبنات على التزامهم بسلوك ذكوري لدى أبائهم وسلوك أنثوي لدى أمهاتهم فصد
يكون لدى صها أماناً فإنه يتصرف تماماً مثل صبي وكان لديه أباً وأماً

لا تبدو الأمور جيدة بالنسبة للنظرية القائلة إن الصبيان والبنات يولدون مثلاً
إلا في أعضائهم الجنسية، وأن جميع الفروقات الأخرى تأتي من الطريقة التي يتعلم
بها المجتمع. فإذا صاحب ذلك ستكون مصادفة مذهلة أن في شكل مجتمع لعبة الكو
والنقشة (coin flip) أي رمية القطعة النقدية في الهواء التي تحدد شكل جنس لصبي
واحدة من الأدوار سوف تسقط بالطريقة نفسها (أو أن تلك الرمية القليلة عند لعب
النوع كان يتوجب الحفاظ عليها من دون انقطاع عبر شكل تلك الزلازل خلال مئات
الآلاف السنين الماضية). سيخون مذهباً أن التحديدات العشوائية للمجتمع كانت
تتسم مع التوفعات بأن عالم أحياء من المربخ سوف يتوقعها نوعاً، لأنها منية بطر
بنيتا التشريحية وعلى توزيع مورثاتها. وسيبدو غريباً أن الهرمونات التي تجعلنا نظن
أولئنا تقوالب أيضاً الخصائص العقلية المميزة للذكور وللأنثى. كلاهما عامل
حاسمان في بداية التطور الدماغي المبكر، وفي درجات أقل عبر حياتنا. وسيكون الأمر
برمته أكثر غرابية أن ميكانيزم - آلية وراثية أخرى تسرق الجنسين الطلي
الجنومي يثبت أيضاً مواهب مميزة ذكورية وأنثوية. وأخيراً هناك نوعان مهمان نظري
البنية الاجتماعية: أن الصبيان الذين يعاملون كبنات سوف يتكيفون بمقول بنات
الفروقات بين الصبيان والبنات بالإمكان عزوها إلى فروقات في كيفية تعلم
الوالدين، وهذه الأخيرة قد خبا لهاب شعلتها.

ككون فروق جنسية عديدة متجذرة في البيولوجيا لا يعني أن أحد الجنسين هو
أكثر تقوفاً وأن الفروقات سوف تظهر لجميع الناس في شكل الظروف. وأن التميز
القائم على الجنس مبرر، أو أنه ينبغي على الناس أن يقوموا بأشياء نموذجية لغير
جنسهم قسراً. لكن الفروقات ليست من دون عواقب تترتب عليها. في الوقت العاصر
الناس سعداء لأنهم يقولون ما لم يكن بالإمكان قوله في رفقة مهذبة قبل سنوات قلي
مضت مثل: إن الذكور والإناث لا يملكون عقولا تبادلية. فحتى الصحف الكومبية
قد علقت على التثير الذي طرأ على مسار النقاش فكما نرى في هذا الحوار بين
(التداعي الحر) free-association: زيبي zippy (الحب للوجبات السريعة) والأنا الأخرى
لرسم الصور المتحركة شريفي:



عمل المسنات والبنات مخلوقين من
الدياب، أم أنه يتوجب عليهم دفع
الجنس، أو حراس السلطة يحبس
بالتقوى

- سنناً بينما هناك بعض التوابت
الاجتماعية التقليدية لمعدت فعلاً،
هناك أيضاً الأعراس الروائية

-الطبخ- بعض النظر عما أحاول
جاءها التهام به- فإني لا أستطيع
الاقول من منحنى إلى دبي المسعود

-الهرم- رأيت سبياً في التفتيح من
عصره ويظهر مغزوتاً إلى سيارة فضفاضة
بها أخته التزم لا لتفاد الرفق نظرياً
من مديتها صحبة.

الذكور يورسون لتلبية أمصال
محمد

سيارة التفتيح مكثت على الأرجح
من طرفها مستنويون بالنسبة لمداع
بهي من جنس الكهوفه
حينما أرى سيارة فضفاضة أريد أن
أحلبها بمسعود، إنك لا تعرف أبداً
علم هذه الفتيات السريوما التي لم
يرجع، تجربها في التفتيح.

لكن وجود فروقات جنسية بين العديد من النساء المهنيات ما يزال مصدر عدم
رياح وكما قال أحد زملائي لي: (النظر أعرف أن الذكور والإناث ليسوا متطابقين
إني أرى ذلك في أطفالي وأراء في نفسي إني أعرف البحث. أنا لا أستطيع شرحه،
لكن عندما أقرأ مزامع حول فروقات جنسية يطرح البطار من أذني). يمكن العثور
على السبب المرجح لعدم الشعور بالارتياح في مقال حديث للصحفية بيتي فريدان -
الشريكة المؤسسة للتثقيم القومي من أجل النساء ومزلفة كتاب/السر الأنثوي/1963:
'مع أن حركة النساء قد بدأت تتجزئ المساواة للنساء في إجراءات سياسية واقتصادية
كبيرة إلا أن النصر يبقى ناقصاً. نأخذ اثنين من أبسط وأوضح الأدلة: مازالت النساء
يكتسبن لا أكثر من 72 سنناً مقابل كل دولار يكسبه الرجال، ونحن لا نجد مطلقاً
توتراً من المساواة في الأعداد في قمة اتخاذ القرار في التجارة والحكومة أو في
الهن⁵⁶⁷.

يعتقد أناس كثيرون على شاكفة فريدان - أن هجوة الجنس في الأجور والمسقف
الزواجي) تضع النساء من الترقية إلى أعلى مستويات السلطة، وهذا المظلمان
الريئسان اللتان تواجهان النساء في الغرب في أيامنا هذه. ففي خطاب بيل كلينتون إلى

الاتحاد عام 1999 قال (نستطيع أن نكون هخورين بهذا التجاح، لكن 75 سناً مضى دولار يوضح أن أماننا ثلاثة أرباع الطريق. ولا يمكن أن يكون الأميركيون - بعد حتى تقطع جميعا هذا الطريق إلى هناك). لقد أهدت الفجوة بين الجنسين، والسفد الزجاجي دعاوى قضائية ضد الشركات التي فيها قلة من النساء في أعلى الرتب والضغط على الحكومة لتنظيم جميع الرواتب بحيث تدفع للرجال والنساء وفقاً لـ (الجدارة والكفاءة) في وظائفهم. وإجراءات عدائية لتغيير مواقف الفتيات تجاههن مثل اليوم السنوي لأخذ بناتنا إلى العمل. أما العلماء والمهندسون فواجبون الفسي وبكاتها (أنبوب يسرب المياه)، فمع أن النساء يشكلن نحو 60٪ من طلاب الجامعات ونحو نصف عدد الطلاب الذين يتخصصون في مجالات عملية عديدة. إلا أن نسبة التقدم إلى المهن تتناقص بينما ينتقلن من كونهن في السنوات الأخيرة إلى خريجات جامعات إلى زملاء ما بعد شهادة الدكتوراه إلى أساتذة مستجدين ثم إلى أساتذتين مثبتيين تشكل النساء أقل من 20٪ من قوة العمل في العلم والهندسة والثقافة النظرية. و9٪ فقط من قوة العمل في الهندسة (57). لقد رأى قراء الصحف العلمية والظهير عديدين من المناوين الرئيسية مثل (التعددية) والصفلام أسهل من الفعل (المعبرون) لتعزيز التعددية تواجه مشكلات مقبلة). (58) قصة نموذجية تعلق على التجار الوض المشككة لتقسمي المشككة قالت (أريد لهذه الأنشطة أن تستمر في شق طريقهم مشككة، يقول الخبراء إنها تبدأ برسائل سلبية في المدارس الابتدائية. وتستمر عبر برامج حتى سنوات التطرح، هذه البرامج تمد عوائل: مالية وأكاديمية وثقافية للجميع عدا أفضل المرشحين. وتستمر في مكان العمل). دعا اجتماع لروساء الفخر سبع جامعات أمريكية عقد في عام 2001 لإحداث تغييرات هامة) مثل تخصيص وزمالات لكليات النساء وإعطائهن أفضل مواقف السيارات في السكن الجامعي والتأكد من أن النسبة المئوية من قدرة استيعاب الكليات أن تكون نسبة نظير النساء المئوية مساوية للنسبة المئوية من الطالبات. لكن هناك شئ غريب في عدم الفحص عن رسائل سلبية، وعوائل خفية وانحيازات جنسية. فالطريقة العلمية للفحص تطبق ككل فرضية تجنب عن ظاهرة ما، وأن يتم القضاء على جميع الطرق من الطريق الصحيح. يضمن العلماء المقدررة على التفكير بتفسيارات بديلة، ومن للفقر. يحرص أنصار فرضية حتى الفرضيات غير المحتملة، مع ذلك إن نقاشات الأنوب تدر يسرب في العلم نادراً ما تذكر حتى كعبدال نظرية العوائل والانحيازات.

الاستبيانات النادرة فكانت قصة من عام 2000 تم اقتباسها من عرض في أكاديمية الهندسة القومية على يد عائلة الاجتماع باتي هاوسمان.

السؤال لماذا لا تختار نساء كمبيوترات مهناً في الهندسة؟ له إجابة واضحة: لأنهن لا يردن ذلك فحيثما تذهب تجد إناثاً، من المرجح أقل بكثير من الذكور لزيارة ما هو متبع تجاه موضوعات المقاومة ohms والمفحومات أو الكواركس quarks ذات الصيغة فضائية البحتة. إعادة صياغة المتهاج الدراسي لن تجعلني أكثر اهتماماً بمعرفة تقنية التي تعمل بها غسالة الصحون لدي. (61) شجبت مهندسة مرموقة من كندا حين تحللها على أنه (علم زائف). لكن كندا غوتفريد سون - الخبيرة في الأدب وفي مجال الهول المهنية - أوضحت أن البيانات فكانت في جانب هاوسمان: (يشكل متوسط النساء، أكثر اهتماماً في التعامل مع الناس، بينما الرجال أكثر اهتماماً بالدراسات (الواقعية) والنظرية ودراسات التقصي، والفتيات أكثر اهتماماً في الدراسات الفنية والاجتماعية.

هاوسمان وغوتفريدسون صوتان وحيدان، لأن الفجوة القائمة بين الجنسين يتم تحليلها دائماً تقريباً بالطريقة الأثية: أي عدم توازن بين أعداد الرجال والنساء سواء في الفن أو الدخل هو برهان مباشر على التحيز جنسي، هذا إذا لم يكن تمييزاً مكشوحاً في شكل رسائل محبطة وعراقيل خفية. إمكانية تفاوت الرجال والنساء ككل منهم عن الآخر، في أشكال تؤثر على الوظائف التي يشغلونها، أو على المبلغ الذي يحصلون عليه قد لا يتذكر علانية، لأنه سوف يرجع قضية المساواة في مكان العمل إلى الوراء، وبالتالي يلحق الضرر بمصالح النساء. هذه القناعة هي التي قادت فريدان وكينيتون على سبيل المثال إلى القول إننا لن نحقق المساواة بين الجنسين إلا إذا كانت المكاسب والتثيل في المهن متساوية بالنسبة للرجال والنساء. في مقابلة منقذة عام 1998 أسمت غوريا شتاينم وامرأة أخرى هي بيلا أبروغ فكرة الفروقات الجنسية (هراء) وتفكيراً أعمق أمريكياً). وعندما سئلت أبروغ ما إذا كانت مساواة الجنسين تعني أعداداً متساوية في شكل مجال إجابات: 50٪ مقابل 50٪ تماماً (62) هذا التحليل للفجوة بين الجنسين أصبح أيضاً الموقف الرسمي للجامعات، رؤساء الجامعات التخبئة سعداً بالهام بلاتهم بالتحيز مخجل من دون التصكير حتى بتفسيرات بديلة (ما إذا ستهي قبولهن أم لا) وهذا يظهر مقدار العمق الذي يضرب فيه المحرم (التابو) جنودم.

المشكلة مع هذا التعليل هي أن عدم مساواة النتيجة لا يعكس استدلاله
كدليل على عدم تكافؤ الفرص، ما لم تكن الجماعات التي تتم مقارنتها متشابهة
في جميع خصائص أفرادها السيكولوجية، وهذا صحيح إذا كنا صنفنا صفاتنا بعيد
لكن القول إن الفجوة بين الجنسين قد نشأت من اختلافات بين الجنسين قد تظن
ككلمات متعاربة، ومن يشرها سوف يتعرض للتهام بكل تأكيد (إنه يريد إيحاء التسد
في أمانتهن) أو (تبرير الواقع الراهن). ينطوي هذا القول على معنى كبير مثل القول
إن علما يدرس لماذا تميش النساء مدة أطول من الرجال أي (يريد الرجال المشوار
يعولوا) وبمبدأ عن تكون هذه الفجوة خدعة لرجال يخدمون أنفسهم، فإن التعليلات
التي تكشف عيوب نظرية السقف الزجاجي قد أتت بغالبيتها من النساء من بين
هاوسمان وغونترديسون وجوديث ككلانفيلد، وكارين لاهرم وكاترين يونغ
وكاميليا بينيو، والاقتصاديات جينيفر روباك، وهيليس شورارتز، ودايانا فوشن
روث، وكريستينا ستوليا، وعالمة القانون جينيفر براسكيراس، والاقتصادية كلابيا
غولمن، وعالمة القانون سوزان استرش(63).

اعتقد أن هؤلاء قد أعطينا فهما أفضل للفجوة بين الجنسين أكثر من فهم
التمودجي لأسباب عدة: تحليلهن ليس خائفاً من إمكانية أن الجنسين قد يتغير
ولذلك لا يجبرنا على الاختيار بين المكتشفات العلمية في الطبيعة البشرية، والاعمال
النصفية للنساء، تحليلهن يقدم فهماً أكثر تعقيداً للأسباب الكامنة خلف الفجوة
الجنسين، فهم متسق مع أفضل مالدنيا من علم الاجتماع، إنه يأخذ نظرة أكثر اعتدالاً
للتساء وخياراتهن، وفي النهاية يهد تحليلهن بعلاجات أكثر إنسانية وفاعلية لهد
المساواة بين الجنسين في أمانكن العمل، قبل تقديم التعليل الجديد للفجوة بين الجنسين
من قبل المساواة النسائية دعني أكرر ثلاث نقاط ليست موضوع خلاف: الأول عد
تشجيع النساء على متابعة تحقيق طموحاتهن، والتميز ضدهن على أساس جنس
ومظالم يجب إبقاها حيشا تكتشف.

النتيجة الثانية: هي أن النساء من دون شك قد واجهن تمييزاً واسع الانتشار فيما
مضى، ولازآن يواجهن في بعض القطاعات اليوم، وهذا لا يمكن إثباته من خلال نيز
أن الرجال يكسبون أكثر من النساء وأن نسبة الجنس تزيد عن 750 مقابل 580 لفرز
بإمكان إثباتها بوسائل أخرى. يستطيع المجريون أن يرسلوا سير حياة زلقة،
يقدموا اقتراحات متطابقة من جميع الجوانب عدا جنس صاحب الطلب، وزيارة ما

كان يمانين بشكل مختلف. يستطلع الاقتصاديون إجراء تحليل رجعي بأخذ بالحسبان مؤهلات الناس وميولهم - ويضربون ما إذا يكسب الرجال مبالغ مختلفة أم يرفقون بنسب مختلفة عندما تتكون مؤهلاتهم واهتماماتهم ثابتة إحصائياً. الفارق في النتيجة لا يبرهن نموذجاً ما لم يجر المرء مساواة خصائص أخرى متعلقة هي من أولويات علم الاجتماع (تلا تذكر الإدارة السليم) ويتم قبولها من قبل جميع الاقتصاديين عندما يحتلون مجموعات البيانات بحثاً عن دليل على تمييز في الأجر (64).

النقطة الثالثة: لا وجود لمسألة حول ما إذا النساء مؤهلات لأن يصبحن عالمات وقد الأمة أو مديرات أو مهنيات النخبة من أي نوع. لقد تمت الإجابة عن هذه المسألة بشكل حاسم قبل سنوات خلت: بعضهن مؤهلات، وبعضهن لسن مؤهلات تماماً. متكما أن بعض الرجال مؤهلين وبعضهم الآخر ليسوا كذلك. السؤال الوحيد هو ما إذا يجب أن تكون نسب الرجال والنساء المهلهين متساوية.

كما هي الحال في موضوعات أخرى كثيرة مرتبطة بالطبيعة البشرية - أدت إرادة الناس أن ينظفروا من خلال مكملمات إحصائية إلى ثنائيات زائفة لا غاية وراها. وهنا نجد مسألة كيف ننظر في التوزيعات الجنسية في المهن دون أن يكون مزماً الاختيار بين الطرفين (النساء غير مؤهلات) و(50/مقابل 50/تماماً) أو (لا يوجد تمييز) و(لا يوجد شيء سوى التمييز).

ففي سوق عمل حر وغير منحاز يتم استئجار الناس والدفع لهم وفقاً لتلبية مؤهلاتهم متطلبات العمل فعمل يتطلب خليطاً من مواهب معرفية (مثل المهارة في الرياضيات أو اللغة) وخصائص شخصية (مكاثقيا بمخاطرة أو التعاون) والتسامح تجاه مطالب أسلوب الحياة (برامج قاسية ومهارات عصرية). يقدم سوق العمل بعضاً من خليط قوائم مكافآت شخصية: أجهزة، أفكار، ماعو خارج المنازل، الاعتراف بإلتقان العمل فمن ضمن أشياء أخرى يتأثر الراتب بالمرض والطلب، حكم شخصاً يريدون لتل، وكما واحداً قادر على القيام به، وكلم شخصاً يستطيع رب العمل أن يدفع له ليربيه فالأعمال التي تملاً بسرعة قد تدفع رواتب أقل، والأعمال الشاقة قد تدفع أكثر. يتفاوت الناس في الخصائص المرتبطة بالتشغيل إذ يستطيع معظم الناس أن ينكروا منطقياً، وأن يعملوا مع الناس أو أن يتساهلوا في نزاع أو مع محيط غير مريح وما شابه ذلك، لكن ليس إلى درجة تتطابق فيها مواقفهم لأن شكل واحد منهم لديه صف فريد من القوى والميول. وعلى الرغم من تقديم جميع الأدلة على فروقات وراثية (بعضها بيولوجي وبعضها ثقافي وبعضها كلاهما) فإن من المرجح ألا تكون التوزيعات

الإحصائية للرجال والنساء في هذه القوى والبيول متطابقة. فقد يناسب أمر توزيع السمات للرجال والنساء مع توزيع متطلبات الوظائف في الاقتصاد، فإن فرصاً أن تكون النسبة للرجال والنساء في كل مهنة ستكون متماثلة، أو أن الراتب القليل للرجال والنساء سيكون مطابقتاً، فهذا يكاد يكون مقبولاً من الصفر حتى لو لم تكن هناك عوائق أو تمييز. لا يعني أي من هذه الحالات أن النساء سوف تتهن بالهنر القصيرة من العاص.

فالامر يتوقف على قائمة الفرص التي يجعلها مجتمع ما متوفرة، فإذا وجد وظائف ورائتها أعلى تطلب قوى ذكورية نمطية (الاستعداد لدى المرء أن يعرض نفسه إلى خطر جسدي، أو اهتمام بالآلات) فقد يودي الرجال العمل أفضل من النساء. وإن كان هناك الكثير مما يستدعي قوى أنثوية أكثر (كالكفاءة الفوقية، أو اهتمام بالناس) فإن النساء عموماً يقمن بذلك العمل أفضل من الرجال. ففي كلتا الحالتين يوجد أفراد من كلا الجنسين في كلا النوعين من الوظائف، لكن بأعداد مختلفة وهذا هو السبب وراء أن بعض المهن التي تعد مرموقة تسيطر عليها النساء. وكنت على ذلك هو مجالي أنا، دراسة تطور اللغة عند الأطفال، في هذا المجال عدد النساء أكثر من عدد الرجال بفارق كبير (65). الأنثروبولوجية هيلين فيشر تتوقع في كتابها /الجنس الأول: مواهب طبيعية للنساء، وكيف يفرزين العالم / أن ثقافة العالم في معرفتنا التي دافها العلم، وفي ظل اقتصاد معلوم سوف يفضل النساء قريباً. فالتساو أكثر وضوحاً وتعاوناً، ولنس مهووسات بالمكائنة الاجتماعية، وقدرات على التفاني، وكسب النتائج، وكما تتوقع الكاتبة، أن أماكن العمل - في القرن الجديد - سوف تطلب هذه المهارات، وأن النساء يمكنهن التفوق على الرجال في المكان والمكاسب.

أما في عالم اليوم، فإن الفجوة تفضل الرجال، لأن التمييز سبب في بعض هذه الفجوة. فأرباب العمل قد يقللون من شأن مهارات النساء، أو يفترضون أن مكان عمل رجولي بالكامل هو أكثر كفاءة، أو يشعرون بالقلق من أن موظفيهم الذكور سيكبرون المشرفات الإناث عليهم، أو يخشون المقاومة من زبائن منحازين لكن الدليل يعني أنه ليس جميع الفروقات الجنسية في المهن تسببها هذه العوائق (66). فطر سبيل المثال بين الأكاديميين، خريجو الرياضيات منحازون بشكل غير عادي ضد النساء، وعلماء اللغة التفسيرية التطورية من الإناث منحازات بشكل غير عادي ضد

رجال، وعلماء نفس النشوء هم غير متحيزين بشكل غير عادي. وفي مهن قليلة الفروقات في القدرة قد تلعب دوراً هاماً. لكن حقيقة أن الرجال أكثر من النساء لديهم قدرات استثنائية في المحاكمة الرياضية وفي التلاعب الذهني بأجسام ثلاثية الأبعاد، هم بسبب كثافة لتفسير الانتماء عن نسبة 750 / مقابل 750 بين المهندسين والفيزيائيين والطبائيين المعنويين، والأساتذة في بعض فروع الرياضيات (مع أن هذا لا يعني أن نسبة النساء يجب أن تكون قريبة من الصفر). في معظم المهن، الفروقات المتوسطة للقدرة ليست بذات علاقة، لكن الفروقات المتوسطة في الأشياء المفضلة قد تضع الجنسين في مسارات مختلفة، يأتي المثال الأكثر درامية من تحليل إجراء دافيد لويسكي وكاميليا بينو على هيئة من الرتبة السابعة في الرياضيات تم اختارها في بحث وطني للموهوبين (67). ولد هؤلاء المراهقون أثناء الموجة الثانية من الحركة النسائية، و تلقوا التشجيع من آبائهم لتطوير مواهبهم (هأرسلوا جميعاً إلى برامج صيفية في الرياضيات والعلوم)، وكانوا مدرسين تماماً لقدرتهم على الإنجاز. لكن الفتيات الموهوبات أحياناً الباحثين أنهن مهتمات بالناس أكثر العلوم الاجتماعية "وأهداف إنسانية وغيرية النزعة. بينما قال الصبيان الموهوبون أنهم كانوا مهتمين بالأشياء ليشر، "قيم نظرية" وبالبحث العقلي المجرد. في الكلية اختارت النساء الشابات مجموعة واسعة من الدورات في الإنسانيات، والفنون والعلوم، بينما كان الصبيان ينتخبون بالرياضيات والعلوم. وبشكل مؤسف أقل من نسبة 71 من الشابات تابعن التحضير للذكوراء في الرياضيات والعلوم الفيزيائية أو الهندسة، بينما 78 من الشبان فعلوا ذلك. نهبت النساء إلى الطب والقانون والإنسانيات والبيولوجيا.

هذا التناقض موجود في أبحاث هائلة بالتهتم المتعلقة بالعمل واختيارات المهنة. نوع آخر من الدراسة التي يقول الرجال والنساء فيها ما يريدونه فضلاً بدلاً من أن يتكلموا للظن بالتياباة عنهم (68). يعمد وسطى، تقدير الرجال للذات مرتبط كثيراً بمكانتهم، ورواتبهم، وثروتهم، وكذلك هي جانبيتهم كمشركاء جنسيتين وشركاء إيجاب، كما يتضح من دراسات حول ما الذي يتطلع إليه الناس في الجنس الآخر (69). لا إزابة أن يقول الرجال إنهم أكثر حرصاً على أن يعملوا ساعات عمل أطول، وإن ضحوا بجوانب أخرى من حياتهم - أن يعيشوا في مدينة أقل جاذبية، أو يتركوا صدقات وأسرة عندما ينتقلون ككي يتسلفوا السلم الوظيفي أو يبلغوا الشهرة في مجالات "أداء قال حال - - وسطياً - أكثر استناداً للخضوع إلى مزعجات جسدية وخطرة،

لذلك من المرجح العثور عليهم في مكان قدر، لكن في وظائف مرعبة نسبياً مثل إصلاحات معدات مصنع، أو العمل في منصات حفر آبار النفط الخ... أما النساء فمن المرجح أن يخرتن وظائف دعم إدارية تقدم راتباً أقل وفي مكاتب مضيئة يهتف الرجال بمقارنات أكثر، وهذا ينمكس في مسارات مهنة حتى عندما تُعد الوظائف من الثوابت. يفضل الرجال أن يعملوا في شركات، والنساء في مكاتب حكومية ومنظمات ليست ربحية، من المرجح أن يختص الأطباء الذكور ويفتحوا عيادات خاصة، بينما الطبيبات يفضلن أن يكن ممارسات عامات براتب في المشافي والعيادات من المرجح أن يكون الرجال مدراء في مصانع، والنساء مديرات في موارد بشرية، أو في مؤسسات اتصالات.

الأهميات أكثر ارتباطاً بأطفالهن من ارتباط الأباء وهذا صحيح في جميع المجتمعات وفي جميع أرجاء العالم. من المحتمل أنه قد أصبح صحيحاً لسناً منذ أن تطورت بعض الثدييات الأولى قبل نحو مليوني سنة خلت. وكما تصوغ سوزان استيبر الأمر الانتظار من أجل العلاقة بين الجنس والتثنية كفي تفكك هو انتظار قدوم غوبو هذا لا يعني أن النساء في أي مجتمع غير مهتمات بالعمل، فبين الصيادين - الجامدين للثمار مكثت النساء يقمن بمعظم الجمع وبيع الصيد، خاصة إذا كان الأمر ينطج شباكاً بدلاً من الحصص والرماح (70). كلما أنه لا يعني أيضاً أن الرجال في أي مجتمع غير مبالين تجاه أطفالهم، لأن الاستثمار الذكري الأبوي معروف في علم الحيوان. وهو سمة غير عادية لدى الإنسان العاقل. لكن هل يعني ذلك أن التوازن الموجود بيولوجياً في كل مكان بين الاستثمار في طفل والعمل للبقاء بصحة (في النهاية لإنجاب أو استئجار في أطفال آخرين) بالإمكان موازنته في نشاط محددة لدى الذكور والإناث. فبست النساء من الجنس الذي يرعى فقط، لكنهن الأكثر اهتماماً بصحة أطفالهن والأبحاث تضع قيمة أعلى على تمضية الوقت مع أطفالهن (71).

لذلك حتى لو يقدر الجنسان العمل وكلا الجنسين يقدران الأطفال، فالأيد المختلفة قد تدفع النساء أكثر مما تدفع الرجال إلى اختيار مهنة تسمح لهن قضاء وقت أكثر مع أطفالهن - ساعات أقصر، أو ساعات أكثر مرونة - مهارات لا تسيء مهمة بسرعة مقابل أجور أقل أو امتياز أقل، وكما تشير عالمة الاقتصاد جينيفر ريبك * عندما نلاحظ أن الناس يضعون بالدخل المادي من أجل أشياء تدخل السرور أكثر، يمكننا أن نستنتج أن لأشئ جدير بمقارنة دخل أي شخص مع شخص آخر (72) كما

أوضح الاقتصادي غاري بيكسر أن الزواج يستطيع أن يكسب ثابرات ظروفات الجنسين، مع أنها قد تكون صغيرة جداً للبدء بها، بسبب مايسميه الاقتصاديون قانون الفائدة المثار. بحيث يستطيع الزوج أن يكسب أكثر قليلاً من زوجته، لكن الأم تقوم بدورها بحام أفضل من الزوج، فقد يفران عقلانياً أن من الأفضل لهما أن تعمل أقل مما يعمل هو (73). لتكسر من جديد، لا يعني أي من هذه الحالات أن التمييز الجنسي قد تلاش، أو أنه مبرر عندما يقع، فالمفكرة هي أن فجوات الجنسين لا تقول شيئاً عن التمييز من نشاء نفسها، مالم تكن صغتنا الرجال والنساء، بيضاوين، وهما ليستا كذلك. الطريقة الوحيدة لترسيخ التمييز هي أن نقرن هذه الأعمال أو الأجر عندما تتساوى الخبرات والموهلات، دراسة حديثة للبيانات من البحث الوطني للشبان وجدت أن النساء اللواتي ليس لديهن أطفال بين أعمار 27 و33 سنة يكسبن 68 سنناً مقابل كل دولار يكسبه الرجال (74)، حتى للنساء الساعرين من جواهر أرباب العمل الأمريكيين فهذا لا يحدث صدمة. في سوق عمل تاجر، أي شركة غيبة بما يكفي وإقبال نساء موهلات، أو تدفع كثيراً لرجال غير أكفاء، سيكون خروجاً من ميدان العمل على يد منافس يبحث عن التميز.

الآن ليس في العلم أو في علم الاجتماع شيء يلقى سياسات توزيع أجزر تطبيق نسبة 750 مقابل 750 أو في الوظائف على كلا الجنسين، إذا ما قررت إحدى الديمقراطيات أن هذا مكان هدفاً جديراً بشكك فطري. فما تقوله نتائج البحوث هو أن مثل هذه السياسات سوف تأتي مع تكاليف وفوائد أيضاً. الفائدة الجلية للمساواة - ومن سياسات نتائج هي أنها قد تحيد التمييز المتبقّي ضد النساء. لكن إذا لم يكن الرجال والنساء تبادلين، عندئذ ينبغي أخذ التكاليف بعين الاعتبار أيضاً.

سيتحمل الرجال بعض التكاليف أو يتحملها كلا الجنسين التكاليف الأكثر وضوحاً هما إمكانية أن يتحول التمييز ضد الرجال، وافترض رائف بانجيز لصالح النساء ضد الرجال، اللواتي يتخذن القرارات في التشغيل والراتب في أياهما هذه كلفة أخرى تصدر عن كلا الجنسين هي عدم الكفاءة التي قد تنجم إذا كانت قرارات العمل مبنية على عوامل غير التماسب الأفضل بين مايتطلبه العمل وخصائص الشخص. لكن الكثير من تكاليف المساواة للسياسات الناتجة سوف تتحملها النساء. تعارض الكثيرات من العائلات انجازات جنسية قاسية في العلم، تخصيص مراكز بينها إلى النساء، أو سياسة منح البحوث القهدرية بنسب مساوية تماماً بعدد النساء والرجال

الذين يتقدمون إلى هذه الأبحاث. المشكلة مع هذه السياسات جيدة المضمون هي أنه
تستطيع أن تفرس بذات الشك في أذهان الناس حول: تمييز المستفيدين من هذه
فكما قالت الفلكية لين هيلينبراند "إذا ما أعطيت فرصة لكونك أنثى، فلكذا
يقدم أي خدمات لأي أحد، إنها تجعل الناس يتساءلون لماذا أنت هناك؟" (75).

هناك عوائق مؤسسية أمام تقدم النساء بشكل تأكيد. فالناس هم لبيدات
ويجب أن نفكر من خلال المعاني الأخلاقية لتحقيق أن النساء هن التواني يلدن
ويرضعن، ويربين الأطفال بشكل غير متناسب. لا ينبغي على المرء أن يفتخر
الضمان البشري هو إنسان خالٍ من الميول وأن الأطفال هم ورثة أو حادث عبر
يحدث لمرءة شاذة. ولذلك بالإمكان استخدام الفروقات الجنسية للتبرير بدلاً من
تهمد السياسات الودية تجاه المرأة مثل إجازة الأمومة أو رعاية إضافية للطفل. ساعد
مرئة، أو التوقف عن العمل ساعة، أو إلقاء الإشتغال الوظيفي برمته (إمكانية الترحيل
مؤخراً عائلة الأحياء في جامعة برنستون شيرلي تيلفمان).

طبعاً لا وجود لشيء مثل غداء مجاني، وهذه السياسات أيضاً هي قرارات - ربما
تكون مبررة - لمعالجة الرجال والنساء الذين لا أطفال لديهم، أو لديهم أطفال كبير.
أو يختارون البقاء في البيت مع أطفالهم. لكن عندما يحين وزن هذه المقارنات بين
التضحية بالطبيعة البشرية قد يثير أسئلة عميقة جداً. وتستطيع في النهاية أن تفسر
كثيراً من قدر المعاملات. أي من العمل المجهد يطلب أن تدع النساء يساهم فعلاً في
المردود الاقتصادي، وأي الأعمال هي مسارات عراقل فيها يتنافس الرجال من أبرز
الحصول على المركز الأول في المحاسبة العقلية حول العدالة في مكان العمل. هذا
يتوجب علينا أن ننظر إلى الناس كعناصر موزولين، أم يجب أن ننظر إليهم كعناصر
لديهم أسر، ربما يكون لديهم أطفال في مرحلة من حياتهم، وربما يهتمون بأبائهم
في مرحلة من حياتهم؟ فإذا ماتخيلنا عن بعض المردود الاقتصادي من أجل شروط عمل
أكثر راحة في جميع الوظائف، فهل يكون هناك زيادة صافية في السعادة؟ ليس لدينا
إجابات، لكن هذه التساؤلات جديدة بأن تطرح.

هناك سبب آخر أن الإقرار بالفوارق بين الجنسين قد يكون أكثر إنسانية من
إنكارها. إنهم الرجال والنساء، وليس الجنس الذكوري وليس الجنس الأنثوي الذي
يزدهر أو يعاني، وهؤلاء الرجال والنساء لهم أدمغة - ربما ليست أدمغة متطابقة -

نظهم قهراً ومقدرة على القيام بخياراتهم. تلك الخيارات ينبغي أن تُحترم سمة منتظمة من منفعات تمتد الحياة هي القصة حول نساء أجبرن أن يشعرن بالخجل من البقاء في البيت مع أطفالهن. فكما يقلن دائماً "ظننت أن الحركة النسائية من المفترض أن تكون حول خيارات". الشيء ذاته يجب أن يطبق على النساء اللواتي يخترن أن يعملن، لكن أيضاً لكي يكسبن دخلاً من أجل أن يكون لهن حياة "والبطبع يطبق على الرجال الذين يأخذون ذلك الخيار). إنه ليس تقديمياً أن نصر على أن أعداداً متساوية من الرجال والنساء أن يعملوا أسبوعياً ساعتين ساعة في مؤسسة قانونية موحدة، أو أن يتركوا عائلاتهم طوال شهر دفعة واحدة لكي يركبوا قساطل فولاذية على منصة نطلة باردة. من الجيد أن نطالب (ككما فعل مدافعون عن المساواة بين الجنسين على منصات مجلة العلم) أن المزيد من الشابات يشترط عليهن أن يخترن الهندسة" وكانهن مجرد فئران في لعبة سكينتر Skinner (76).

تستتج غونثريدسون أنك إن تصر على تطبيق المساواة بين الجنسين كإجراء تتخذ من أجل العدالة الاجتماعية، فذلك يعني أن عليك أن تبقي الرجال والنساء خارج العمل الذي يحبونه، وتدفعهم إلى العمل الذي لا يحبونه (77). وقد عبر عن ذلك كلانيفيلد عندما تحدث عن المأسورة التي تسرب في العلم: "يجب الانسحاب إلى نساء موهوبات رسائل أنهم كائنات بشرية أقل قدرأ، أقل قيمة في حضارتنا، كسولات أو ذوات مكانة متدنية من خلال اختياراتهن أن يكن مدرسات بدلاً من أن يكن مدرسات رياضيات، وصحفيات بدلاً من فيزيائيات، ومحاميات بدلاً من أن يكن مهندسات (78). هذه ليست مخاوف افتراضية. لقد وجدت دراسة حديثة أجرتها المؤسسة العلمية لقومية أن نساءً أكثر من الرجال يقلن أنهم تخصصن في العلوم، والرياضيات، أو الهندسة تحت ضغط من مدرسين أو من أفراد الأسرة بدلاً من متابعة تحقيق طموحاتهن، والكثيرات غيرن اختصاصهن لذلك السبب (79). ساعطي الكلمة الأخيرة إلى مارغريت ميد التي شككت على خطأ في بداية حياتها المهنية فيما يتعلق بطوعية الجنس، لكنها كانت محقة عندما قالت "لو قدر لنا أن نتجز ثقافة أكثر غنى بقم متناقضة، لكان علينا أن نميز السلسلة الكاملة من القدرات البشرية، وذلك نتسج نتسجاً اجتماعياً أقل عسفاً، فيه كل موهبة بشرية متنوعة ستجد مكاناً مناسباً لها.

عدا عن الفجوة بين الجنسين، فإن طبيعة وأسباب الاغتصاب هي القضية التي تلتفت إليها أكثر من سواها، بعلاقتها بالجنين. فعندما نشر عالم البيولوجيا والديتورنويل والأنتروبولوجي كورايج بالتر كتابها/التاريخ الطبيعي للاغتصاب/ عام 2000، فقد هددا الإجماع الذي بنى قوياً في الحياة الثقافية طوال ربع قرن. وقد جلبها المزيد من الإدانة لسيكولوجيا التشوه أكثر من أي قضية طوال سنوات (80). فالإغتصاب قضية المكتنبة عنها مؤلمة، لكنها قضية لا يمكن تجنبها. ما من مكان آخر في الحياة الثقافية الحديثة يتم التأكيد فيه على إنكار الطبيعة البشرية بكل حماسة، ولا في مكان آخر يساء فهم التبدل بعمق أكبر. إن إيضاح هذه القضايا - كما اعتقد - سيمنحني باتجاه مصالحة ثلاثة مثل عليا قد وضعت في حالة صراع: حقوق النساء، فهم للطبيعة البشرية مبني على معلومات بيولوجية، والإدراك السليم.

رغم الاغتصاب يعطيه جاذبية خاصة في فهمنا لسيكولوجيا الرجال والنساء، هناك إلزام أخلاقي مهمين في دراسة الاغتصاب: أن نقتل من وقوعه. أي عالم يسلط الضوء على أسباب الاغتصاب يستحق أن يقال إيجابياً، مثل الباحث في ميدان الطب الذي يسلط الضوء على أسباب مرض، لأن فهم الداء هو الخطوة الأولى للقضاء عليه. وربما أنه ما من أحد يمتلك الحقيقة بالهام إليهم لذلك يجب علينا أن نحترم من يستكشفون نظريات قد تبدو غير صحيحة، وسيدو النقد الأخلاقي في محله، فقط بالنسبة لأولئك الذين يعززون المعتقدات، ويتجاهلون البيئة، أو يفلقون بحثاً. لأنهم بذلك يحمون سمعتهم على حساب ضحايا الاغتصاب التي ربما لما حدثت لو أننا فهمنا الظاهرة فهماً أفضل.

الحساسيات الراهنة - لسوء الحظ - شديدة الاختلاف، ففي الحياة الفكرية الحديثة الإلزام الأخلاقي المهمين في تحليل الاغتصاب هو إعلان أن الاغتصاب لا علاقة له بالجنس. وهذه المنترا يجب أن تتكرر كلما يطرح موضوع الاغتصاب الاغتصاب هو سوء استخدام للقوة والسيطرة، والذي فيه يسعى المتغصب إلى الإلال، والحق المر. والمضايقة، والحد من القدر، وإرعاب الضحية. هذا ماجاء في إعلان الأمم المتحدة في عام 1993/، "الهدف الأساسي هو معارسة القوة والسيطرة على شخص آخر (81) واتمعكس هذا في صحيفة بوسطنون غلوب لعام 2001 / الاغتصاب ليس حول الجنس. إنه حول العنف" واستخدام الجنس لممارسة القوة والسلطة والتحكم. - فالتف الأسري، والإساءة الجنسية هما مظهران للقوى الاجتماعية المتسلطة نفسها: الأثرة

شد النساء، وتجهده العنف" (82). عندما كتبت أحد المحررين - المحطم للأقنونات - مقالاً متسقاً عن الاغتصاب والعنف، رد عليه أحد القراء: كرجل ممثي - وبشكل فاعلة - طوال أكثر من عقد كعمري ومستشار لمساعدة الرجال على التكيف من العنف ضد النساء، أجد كتابتي يوبخ في عمودها المنشور في 15 أكتوبر مزعجة ومحبطة. إنها تخلط القضايا من خلال فشلها في فهم أن الرجال قد تربوا مجتمعياً في ثقافة بطريركية مازتزال تدعم عنفهم ضد النساء إذا أرادوا ذلك (83). لقد كان هذا الانتشار عميقاً جداً في الإيديولوجيا السائدة، لدرجة أنه لم يلاحظ أن يوبخ كانت مجالل ضد الاعتقاد الذي ثبناه على أنه صحيح ويفصح عن نفسه، وليس فشلاً في إنزارة. وفي كلماته "الرجال تربوا اجتماعياً في ثقافة بطريركية" إنما يعيد إنتاج شعارالوف بسبب الخدر.

ظهرت نظرية الاغتصاب الرسمية في كتاب مهم في عام 1975 / ضد إرادتها/ للكاتبة المداخنة عن الثراء سوزان براون ميلر. فأصبح شعار ثورة في معالجة الاغتصاب على أنه أحد أعظم إنجازات الموجة النسائية الثانية. فحتى سبعينيات القرن العشرين، كان الاغتصاب يعامل - غالباً - من قبل النظام القضائي والثقافة الجماهيرية باعتماد معايير تجاه مصالح النساء. وكان على الضحايا أن يثبتن أنهم قاومن منتصبيهم، حتى مسافة إتش من جهاتهن. والأمكن يمتدنين موافقات. وطريقة لباسهن كانت كمد عاملاً ملطفاً، وكان الرجال لم يمكن باستطاعتهم ضبط أنفسهم عندما نمر امرأة جذابة بالقرب منهم. فكما أن التاريخ الجنسي للمرأة كان له دور ملطفاً، وكاننا اختيار ممارسة الجنس مع رجل واحد وفي مناسبة واحدة كان مثل الموافقة على ممارسة الجنس مع أي رجل وفي أي مناسبة. فمعايير الإثبات لم تكن مطلوبة في جرائم عنف أخرى؛ مثل شاهد العيان كان يفرض على نهم الاغتصاب وموافقة النساء فكانت وسائل الإعلام الشعبية تتعامل معها بخفة. لم يكن الأمر غير شائع في الأفلام أن نامل امرأة متروكة بخشونة من قبل رجل، ثم تنوب بين ذراعيه. إن معاناة ضحايا الاغتصاب قد عولمت باستخفاف أيضاً. أتذكر فتيات مراعاتات في بداية الثورة الجنسية - في مطلع سبعينيات القرن العشرين - كن يتمازحن إذا كان الاغتصاب أمراً لا مفر منه، فإنك يمكنك أن تملتي وتستمتعي به. اغتصاب الزوجة لم يكن بدم جريئة، والاغتصاب أثناء موعد لم يكن مفهوماً، وتم ترك الاغتصاب أثناء

الحروب خارج مكتب التاريخ. هذه الإهانات للبشرية قد ولت. أو أنها في طريقها إلى الزوال في الديمقراطية الغربية، وتستحق الحركة النسائية التقدم على هذا المقعد الأخلاقي.

لكن نظرية براون ميللر سارت بشكك حمن خارج المبدأ الأخلاقي. إن النساء لديهن الحق الأتمرضن لهجوم جنسي، قالت إن الاغتصاب لا علاقة له برغبة الرجل الغربية بالجنس. بل تشكتهك من خلاله ككافة الجنس الذكري لضطهد ككافة العرس الأنثوي وفي ككلماتها الشهيرة:

اكتشاف الرجل أن عضوه الذكري يعكفه أن يستخدمه ككسلاح لتؤيد الخوف يجب أن يعنف ككأحد أهم الاكتشافات في عصور ما قبل التاريخ إلى عرس استخدام النار وأول فأس حجرية. من عصور ما قبل التاريخ حتى الحاضر - اعتقد أن الاغتصاب قد لعب دوراً حاسماً. إنه لا شيء أكثر أو أقل من عملية واعية لإخضاع التي بها يُقي الرجال والنساء جميعاً في حالة من الخوف (84).

هذا نما في شكل تعليم شفوي معاصر: الاغتصاب ليس حول الجنس. فتقن تربي الرجال ليتصوبوا، إنها تمجد العنف ضد النساء. هذا التحليل مستمد مباشرة من نظرية النسائية الجنسية للطبيعة البشرية، الناس هم صفحات بيضاء (يجب أن يديروا أو يديجوا اجتماعياً لكي يريديوا أشياء). الدافع الوحيد المهم إنسانياً هو القوة الذكورية الرغبة الجنسية لا علاقة لها، وجميع الدوافع والمصالح يجب أن توضع في مجموعات (مثل الجنس الذكري والجنس الأنثوي) بدلاً من وضعها في سياق أناس أفراد.

تبدو نظرية براون ميللر جذابة إلى أناس ليسوا مناصرين للنساء بسبب الاعتدو بالهجمي النبيل. فمنذ ستينيات القرن العشرين، توصل معظم المتعلمين لأن يفتقوا أن الجنس يجب أن يعدّ أمراً طبيعياً وليس معيباً أو دنساً. الجنس جيد. لأنه طبيعي والأشياء الطبيعية جيدة. لكن الاغتصاب سيء. لذلك الاغتصاب ليس موضوعه الجنس. الدافع للاغتصاب يجب أن يتأتى من مؤسسات اجتماعية، وليس من أي شيء في الطبيعة البشرية.

شعار العنف وليس الجنس. أمر محق في أمرين: ككلا الأمرين صحيح تماماً بالنسبة للضحية: فالمرأة المتقصبة تشعر بالاغتصاب ككهجوم عنفي عليها، وليس فلأ جنسياً. الجزء المتعلق بالعنف صحيح بالنسبة للمرتكب من خلال تعريف الاغتصاب.

يزا لم يكن هناك عنف أو إكراه فإننا لا نسميه اغتصاباً. لكن حقيقة أن الاغتصاب
لا علاقة بالمتف لا تعني أن لا علاقة له بالجنس، مثل قولنا أن السطو المسلح لا علاقة
له بالجنس، أي لا علاقة له بالجس. فالرجال الأشرار قد يستخدمون العنف للحصول
على الجنس، مثلما يستخدمون العنف للحصول على أشياء أخرى يريدونها. اعتقد أن
مخون الاغتصاب ليس حول عقيدة الجنس، سوف تنزل في التاريخ كمتقال على أوام
شعبية غير عادية، وعلى جنون الجماهير. إنه في ظاهره مناهض للطبيعة، ولا يستحق
قيلتها. ويناقض حكمية ككبيرة من الأدلة، ويقع في الطريق للهدف المتعلق أخلاقياً
والذي يهيئ بالاغتصاب، وبالجهنم ككي نخدمه.

فكر بالأمر: الحقيقة الواضحة الأولى: أن الرجال - غالباً - يريدون الحصول
على الجنس مع النساء اللواتي لا يردن ممارسة الجنس معهم. إنهم يستخدمون ككل
وسيلة يستخدمها الكائن البشري ككي يؤثر على سلوك كائن آخر: التودد، الإغواء،
تعلق، التمس، العبوس، ودفع المال هناك حقيقة ثانية جلية: يستخدم بعض الرجال
الجنس ككي يحصلوا على ما يريدون، غير مباليين بالألم الذي يسببونه. لقد عُرف عن
الرجال اختطاف الأطفال من أجل فدية (برسلون - أحياناً - إلى آباتهم أذن أو إصبعاً
بأننا أنهم يبنون تقييد ما يهددون به). يرطون عيني الضحية ككي لا تتعرف عليهم في
قائمة المحكمة، ويطلقون النار على عظام ركبتيه شركتائهم عقاباً لأنهم وشوا بهم إلى
الشرطة، أو لأنهم أغروا متعلقتهم، ويقتلون إنساناً غريباً ككي يأخذوا حذاءه الرياضي
فإذا لم يستخدم الرجال العنف للحصول على الجنس، فهذه ستكون حقيقة غريبة جداً
مخالفة لككل ما نعرفه عن الناس.

دعنا - أيضاً - نطبق الإدراك السليم على الاعتقاد أن الرجال يفتنسون ككي
يبدوا مصالح جنسهم. فالتغصب يفامر بالخطر على يدي المرأة وهي تدافع عن نفسها.
وبه مجتمع تقليدي يخاطر بأن يعذب، وتمرضه للبر، والموت على أيدي أقارب الضحية.
أما في مجتمع حديث فإنه يفامر بعدة سجن طويلة، فهل يقوم الفاصيون بهذه المخاطر
ككتمنية غريبة للمصالح بلايين من الغرياء الذين يشككون الجنس الذكوري؟ تبدو
تفكيراً أقل مقبولة حتى عندما نتذكر أن الفاصيين يملون لأن يكونوا خاسرين
ونكترات، بينما من المفترض أن المستفيدين الرئيسيين من النظام البيطري ككي هم
الأغنياء والمتقنون. فالرجال يضعون بأنفسهم فعلاً من أجل المصالح العام في أوقات
الحرب طبعاً، لكن إما أنهم مجنونون ضد إرادتهم أو أنهم تلقوا وعداً بدهانة عظيمة

عندما تصبح إنجازاتهم علنية. لكن الفاسيين يرتكبون أفعالهم سرّاً ويحاولون الحفاظ سرية. ففي أغلب الأوقات والأماكن، يعامل من يقتصب امرأة في مجتمعه على أنها حثالة. فكثرة أن جميع الرجال متخرطون في حرب وحشية ضد النساء نصفه بالحقيقة الأساسية أن لدى جميع الرجال أهبات، وأخوات، وزوجات يهتمون بهم أكثر مما يهتمون بجميع الرجال الآخرين. لتضع المكسرة ذاتها في سياق بيولوجي. فهورنان شكل شخص تُحمل في أجسام أناس آخرين نصفهم من الجنس الآخر.

نعم ينبغي علينا أن نأسف لفهمنا المسطح، لاستقلالية النساء في الثقافة الشعبية. لكن هل يستطيع أي شخص أن يعتقد أن ثقافتنا فعلاً تعلم الرجال أن يلتصبوا أو أنها "تجد المتصّب"؟ حتى المعاملة القاسية التي تلقاها ضحايا الاغتصاب في النظام القضائي فيه تفسير أبسط من أن جميع الرجال يجنون فائدة من الاغتصاب حتى فترة حديثة، المخلوقون في دعوى الاغتصاب كانوا يلقون تحذيراً من قاضٍ من القرن السابع عشر هو اللورد ماثيو هال: بأن عليهم أن يقوموا شهادة المرأة بشكل حذر. لأن نعمة الاغتصاب بالإمكان أن توجه بشكل سهولة، ويصعب الدفاع ضدها، وإن يمكن التهم بريئاً (85). البداً متسق مع افتراض البراءة الوجود في نظام القضائي، ويتفضله إطلاق سراح عشرة مدّنين على سجن شخص بريء. وإن يكر الأمر كذلك، دعنا نفترض أن الرجال الذين طلبوا هذه السياسة لينتصبا قد ارتكبوا ذلك تجاه مصالحهم الجمعية الخاصة.

ودعنا نفترض أنهم انكسروا على ميزان العدالة لتقليل فرص اتهامهم بوزن الاغتصاب، (أو أن يتموا تحت ظروف ملتبسة)، أو أنهم وضعوا قيمة غير كافية غير الظلم الذي تتحملة النساء اللواتي لايرين من هاجمهن بعد وضعهم خلف القضبان سيصبحون ذلك عملاً غير عادل، لظلمة ليس مثل تشجيع الاغتصاب كتكتيك وإع إيقاظ النساء في الأسفل. فإذا كانت تلك هي تكتيكات الرجال، فلماذا يمتلأون الاغتصاب جريمة في المقام الأول؟

أما فهما يتعلق بالجانب الأخلاقي من الاعتقاد بنظرية ليس الجنس، فلا أخلاقياً فيها. إذا كان علينا أن نقر أن الناحية الجنسية قد تكون مصدر نزاع وليست مجرد لذة متبادلة شاملة، سنكون قد اكتشفنا حقيقة أن مراهبي الشرط الإنساني قد نبوا الاغتصاب عبر التاريخ. وإن يقتصب الرجل من أجل الجنس فذلك لا يعني أنه كسب به

مهلة تعامه" ، أو أن علينا أن نعدده ، أكثر مما نعد الرجل الذي يطلق النار على صاحب خسارة ، أو أن يشزو أمين صندوق أو يضرب سائق سيارة على رأسه لسرقة سيارته الفارهة به م. ديلو. المساهمة النسائية الكبيرة لأخلاقية الاغتصاب هي أن نضع قضايا القبول والممانعة في موقع مركزي هام. الدوافع النهائية للغاصب ليست ذات علاقة.

أخيراً ففكر بانسانية الصورة أن نظرية الجنس التساوي ، النساء قد رسمتها. فكما لطالبة بالمساواة - فكما توضح ويندي ماسكروبي - فكما تقول النظرية الزوج الأكثر لطفاً وحياً ، الأب ، الابن هم مستفيدون من اغتصاب النساء اللواتي يخبون. من ابيولوجيا تجعل هذه التهم الواقعية ضد الرجال كطريقة تستطيع أن تشفي أية جراح إنها تستطيع أن تستحضر العداوة بالمقابل (86).

لقد سألت براون ميلر سؤالاً بليغاً ،

هل يحتاج المرء إلى أساطير علمية لكي يستتج أن الدعابة المضادة للإنثا التي تنظّل النتائج الثقافية لأمتنا تروج لناخ فيه أعمال العدا ، الجنسي الوجه ضد النساء لا يلقى التساهل معه وحسب ، بل يلقى تشجيعاً إبيولوجياً ؟ أجابت ماسكروبي : الجواب هو نعم ، بشكل وضوح وبساطة. المرء بحاجة إلى منهجية علمية لكي يثبت أي زعم إبيوبي . فكما أنها لفتت الانتباه إلى عواقب موقف براون ميلر أحادي مصائب الطبيعة الجديدة للاغتصاب ، لأنه فكما يعرف أي شخص يفكر بطريقة صحيحة بديارات حول أسباب الاغتصاب ، أن هناك سبباً واحداً فقط: إنه النظام البيطري. فقبل عقود خلت - أثناء ذروة المرضة النسائية التحررية والمعرفة السيكولوجية - كانت طريقة البحث أكثر نتيماً (87). لقد ولدت شيكوك ماسكروبي من استقصاء عميق لدراسات منشورة حول الاغتصاب ، والتي خلصت إلى النتيجة أن أقل من واحد من كفل عشرة أبحاث كانت تخبر فرضيات أو استخدمت طرقاً علمية (88).

البحث العلمي في الاغتصاب وعلاقته بالطبيعة البشرية قد سلط الضوء عليها في عام 2000 بنشر كتاب /التاريخ الطبيعي للاغتصاب/ للمؤلفين ثورنهيل وباتر اللذين بدأ بالملاحظة الأساسية ، قد ينجم عن الاغتصاب حمل يفضح جنات الغتصاب ، من هنا أيا جنات جعلته يقدم على الاغتصاب. ولذلك فإن سيكولوجيا الذكر تتضمن مشرة على الاغتصاب لن يتم اختيارها ضد ، ومن المحتمل اختيارها من أجل الاغتصاب.

جادل ثورنهيول وبالمز أنه ليس من المرجح أن يكون الاغتصاب جماعياً تعودجياً بسبب مقاومة الضرب الذي قد يجل بالضحية وأقاربها ومقاومة التبدد من قبل المجتمع كخض قد يكون تكثيفاً أنتهازياً، ويصبح أمراً محتملاً أكثر عندما يكون الرجل غير قادر على الفوز بقبول النساء، مبعداً عن المجتمع (وبالتالي لا يردعه التبدد الاجتماعي). وعندما يكون في مأمن من العقوبة وانكشاف أمره (كصما في الحروب أو لدى الجماعة المنظمة). لقد لخص ثورنهيول وبالمز نظريتين فالاغتصاب الانتهازي قد يطور تكيفاً داروينياً ثم اختياره لصالح أمر ما (كصما في حشرات محددة لديها لاحقاً) وطفيفة لها سوى تعقيد الأثنى أثناء الجماع الإجباري). أو قد يكون الاغتصاب نازاً ثانوياً لعاملين آخرين في عقل الذكور: رغبة بالجنس، ومقدرة الانخراط في نصف طريق سعيها وراء غاية. لا يوافق المؤلفان على أي فرضية تدعها الحقائق بشكل أفضل وتركها تلك القضية من دون حل.

ما من قارئ نزيه يمكنه أن يستتج أن المؤلفين يظنان أن الاغتصاب طبيعي بالمعنى العامي، لكونه يلقي القبول أولاً يمكن تجنبه. الكلمات الأولى في التخذ هي "كصما العلماء الذين يودون أن يروا الاغتصاب مستأصلاً من الحياة البشرية" التي بالتاكيد هي ليست كلمات من يمتقدون أن الاغتصاب لا مفر منه ينفذ ثورنهيول وبالمز الظروف البيئية التي تؤثر على احتمالية وقوع الاغتصاب. ثم يقدم اقتراحات حول كيفية نقل الاغتصاب. فحكرة أن معظم الرجال لديهم مقدرة على الاغتصاب تعمل. - وأن تكون لأي شيء - في مصالح النساء لأنها تستدعي الحد من اغتصاب أحد المعارف، اغتصاب الأم، أو الاغتصاب أثناء الانهيارات الاجتماعية فعلاً التحليل ينحرف ببيانات براون ميللر بأن الرجال العاديين - من بينهم صبار أميريكويون طرفاء في فينشام. قد يفتصبون في زمن الحرب، لتلك المسألة فرضية ثورنهيول وبالمز أن الاغتصاب هو استمرارية مع بقية الدافع الجنسي الذكوري تجعله خلفاء غريباء مع أكثر أنصار الحركة النسائية راديكالية مثل كاترين ماكين. وأندريا مورسكين اللتين قالتا إن "الإغواء يصعب تعمييره عن الاغتصاب في أغلب الأحيان ففي الإغواء لا يزعج المقتصب نفسه بشراء زجاجة من الخمر" (89).

ماهو أكثر أهمية، هو أن الكتاب يركز في جزء منه على الم الضحايا اذعان عنوان مسودته: لماذا يقتصب الرجال، ولماذا تعاني النساء). يشرح ثورنهيول وبالمز كلمات داروينية لماذا تقاوم الإناث - في أقسام عالم الحيوان الإكتراد على معازة

الجنس، وناقشان الحزن الذي تشعر به ضحايا الاغتصاب. وطكيف ان الحزن يضرب جذوراً عميقة في طبيعة النساء. فالاغتصاب يقوض خيار الأناث. لب أثار الانتقاء الجنسي الموجود في شكل محتمل اختيار الذكور الظروف لممارسة الجنس. تستطيع الأناث أن تزيد إلى الحد الأقصى أن تكون مورثات ولبدها من ذكر مورثاته جيدة. ولديه رغبة ومقدرة على المشاركة في مسؤولية تربية المولود أو كليهما. وصفا عبر جون توبي ووليد كوسميدس عن ذلك: هذا التكامل الحمسي يفسر لماذا طورت النساء ممارسة تحكم بعملياتهن الجنسي، على مفردات علاقاتهن، وعلى اختيار أي من الرجال يكون أباً لأطفالهن. "أنهن يقاومن الاغتصاب، ويمائين عندما تشمل مقاسمتين لأن التحكم بخياراتهن وعلاقاتهن الجنسية قد سلبت منهن" (90).

تميز نظرية ثورنهيل وبالتر نقاطاً عديدة من تحليل المساواة النسائية. إنها تتبنا أن وجهة نظر المرأة إن الاغتصاب والجنس برضا الطرفين أمران مختلفان تماماً. وتؤكد ان تطور النساء من الاغتصاب ليس عرضاً من أعراض كبت عصبي، وليس بنية اجتماعية يمكن عكسها بسهولة من خلال تربية مختلفة. إنها تتوقع ان المعاناة التي يسببها الاغتصاب هي أعمق من المعاناة التي تسببها الترضوض الجسدية الأخرى أو الانتهاكات الجسدية. وهذا يبرز عمقنا الجاد لمنع الاغتصاب ومماقبة مرتكبيه بقسوة لكثير، اكبر مما تقابل أنواعاً أخرى من الاعتداءات. مقارنة هذا التحليل مع الزعم الراسخ من قبل الثنتين من أنصار المرأة: ان التقور من الاغتصاب يجب ان يتم تجاوزه في النساء من خلال شكل تأثير اجتماعي يستلزم التفكيك فيه.

ينجم الخوف الأنثوي لا من الخلفيات الذاتية لدى النساء، بل مما استوعبته النساء كجماعة: من التاريخ، والدين، والتربية، والمؤسسات الاجتماعية، والتعاملات الاجتماعية اليومية. لقد تعلمت مبكراً في الحياة أن الخوف الأنثوي يميز باستمرار من مؤسسات اجتماعية كهنده: كالمدرسة، والكنيسة، والقانون والصحافة. لقد تعلمن الكثير من الوالدين، والأقارب، والمدرسين، والأسدقاء (91).

لكن على الرغم من ملامحة تحليلهما لبيول النساء، إلا أن ثورنهيل وبالتر قد انتهكا محرماً، فكان الرد مألوفاً: حدثت مظاهرات تملق محاضرات ووطن تجعل شريك يتف هلعاً، فكما عبرت عنها زلة لسان. آخر النظريات العلمية المرفقة كانت رد فعل نموذجي، وطبق علماء اديكاليون معابريهم المتادة من الدقة لشجبتها. في مناقشة هيلاري روز وعرض للنظرية من قبل عالم أحياء آخر، قالت: "عالم البيولوجيا

الاجتماعية ديفيد باراش يتوجه في الدفاع عن مزاعمه لبعض النساء للمحاكمة نظراً أن الرجال مهيون ويشكل طبيعي ككي ينتميوها فإن تكمن الطبيعة متحازاً حسب فلا تم أبنائها. ماعدادوا يستلهمون الانحراف في الاحترام القديم للعلم على أنه الزيادة من لا مكنان (192). باراش - طبيماً - لم يقل أشياء ككهذه، لكنه أشار إلى المنصبين كمنجرمين يجب معاقبتهم. الكاتبة العلمية مارغريت ويرثم بدأت مراض لكتاب ثورنهيل وبالمر بلغت الانتباه إلى انتشار مرضي معاصر للاغتصاب في جنوب أفريقيا (193). ثاقباً النظرية أن الاغتصاب هو نتاج ثانوي للتكيف الاجتماعي والفوضى، ضد نظرية أن الاغتصاب له أصول تطورية ووراثة. كتبت ساخره: إنه في كانت النظرية الثانية صحيحة فإن جنوب أفريقيا يجب أن تكون مستتباً ليرتد ككهذه، وصممان بشمن وصمة واحدة. هذا القول يضع ثورنهيل وبالمر على البرء الأيسر من ثاقبة زائفة (في حقيقة الأمر، إنهما يخصمان صفحات عدة للظروف الاجتماعية التي تعزز الاغتصاب، وينزلقان في الإسائة المبطلة: إن نظريتهما عنصرا أيضاً). عالم النفس جيوفري ميللر - في مراجعته المضطلة للكتاب شخص رد العز الجماهيري: لقد تعرض كتاب / التاريخ الطبيعي للاغتصاب / لأسوأ مصير يمكن أن يتعرض إليه كتاب علمي معروف، مثل / هبوط الإنسان / وتعدب المنحني البيئي. أصبح حجر مملك إيديولوجي. فالذين يرغبون بإظهار تماثلهم مع ضحايا الاغتصاب ومع النساء عموماً علموا مسبقاً أن عليهم أن يستمدوا هذا الكتاب على أنه متعاً جنسياً ضد النساء، علم زائف رجعي الأخبار التي تعامل الكتاب ككمارض مرض دليل على انحطاط ثقافي شوقني فاق عددها المراجعات التي تقومه ككلم وإلا ما نظر إلى الكتاب من وجهة نظر اجتماعية فقد يتكون تحويل الكتاب إلى حجر معد إيديولوجي أمراً مفيداً. يستطيع الناس بككل كفاءة أن يصنفوا أنفسهم في طب متشابهة الذهنية من دون محاولة القراءة أو التفكير. على أي حال، قد يكون هناك هو أكثر لخطاب بشري، أكثر من دعاية إعلانية للذات في قالب إيديولوجي.

إن من سوء الحظ أن ثورنهيل وبالمر وضعا ثاقبة بينظرية بين أن الاغتصاب هو تكيف (بالتحديد امثرتيحية جنسية متقاة) ونظرية أنه منتج ثانوي (نتيجة لاستعداد المنف بشكل عام)، لأنها حولت الانتباه عن الزعم الأكثر أهمية أن الاغتصاب علاقة ما بالجنس. أعتقد أن ثاقبتهما مرسومة بحددة ككبيرة. ربما نشأ اليل الجنس لدى المذكور في عالم كانت النساء فيه أكثر تمييزاً من الرجال تجاه شركه.

ومناسبات من أجل الجنس. وهذا فاد الرجال لأن يماثلوا التردد الأنثوي كعائق ينبغي التغلب عليه. (طريقة أخرى للتعبير عن ذلك، يستطيع المرء أن يتخيل نوعاً يستطيع الذكر فيه أن يصبح مستمتعاً جنسياً إذا ما التقط إشارات تبادلية فقط تدل على الاهتمام من قبل الأنثى، لكن لا يبدو أن البشر مثل هذا النوع). التكيفية التي يتم بها التغلب على تردد المرأة تعتمد على بنية سيكولوجية الرجل وعلى تقويمه للطروف. تضمن تكيفه كعائته المعتادة أن يكون لطيفاً ومقنعاً المرأة بنواياه الحسنة، ومقدماً زجاجة الخمر، لكنته قد يصبح قسرياً بشكك متزايد، لأن عناصر المقامرة قد تتضاعف: الرجل ذو اضطراب عقلي (لأنه غير حساس تجاه معاناة الآخرين، ومتبوء لوبالتالي محصن ضد الإهماد)، وخامس (لا سبيل آخر للحصول على الجنس، أو جندي، أو مشاغب إثني يعد عدواً هامشياً. ويمتد أن باستطاعته النجاة بقلته، بكل تأكيد لا يضمن معظم الرجال - في الظروف العادية - تبة الاغتصاب ووفقاً للاستقصاءات، الاغتصاب العنيف غير مألوف في الإباحية والخيالات الجنسية ووفقاً لدراسات مطوية على استتارة الرجل جنسياً، فإن صور عنف حقيقي تجاه امرأة أو دلال على انها وإدلتها هي نقطة تحول(95).

ماذا عن المسألة الأكثر أهمية، لماذا إذن دوافع المتصين تشمل الجنس؟ جدال الزميين بوجود هوارق جنسية بين الرجال والنساء لا يشير إلى الفاصين الذين يستهترون نساء مكبر سنّاً ولسن خصصات، واللواتي يمانين من الخلل ويطهين جنسي أثناء الاغتصاب، واللواتي يجبن على الأفعال الجنسية غير التكافرية. والذين يستخدمون الواقي الذكري. هذا النقاش غير مقنع لسببين: الأول هذه الأمثلة تشكل نسبة قليلة من حالات الاغتصاب، لذلك بالإمكان توجيه النقاش لتبيان أن معظم حالات الاغتصاب ذات دافع جنسي فعلاً. لذلك بالإمكان توجيه النقاش لتبيان أن معظم حالات الاغتصاب دافعها جنسي، وجميع هذه الظواهر تحدث في الجنس بالتراضي أيضاً. لذلك يتقود الجدال إلى العبث بأن الجنس بحد ذاته ليس له علاقة بالجنس. والاغتصاب أثناء موعد قضية إشكالية للنظرية القائلة بعدم الجنس يوافق معظم الناس على أن النساء لهن الحق أن يقتلن لا عند أية نقطة أثناء العملية الجنسية، وإذا أمر الرجل فإنه يكون غاصباً، لكن هل يجب علينا أن نمتد أن دافعه تغير لحظياً من طلبة الجنس إلى اضطهاد النساء ؟

على الجانب الآخر، هناك مقدار من الأدلة الملزمة (راجعها شكلها وبشكل مختصر
الفتية القانوني أوبن جونز أكثر مما راجعها ثورنهيل وبالمر)، إن الدوافع للاغتصاب
تتداخل مع الدوافع من أجل الجنس (96). الجماع القسري واسع الانتشار وسط الأنواع
في عالم الحيوان. مما يوحي أنه ليس مختاراً ضد، وأحياناً قد يكون مختاراً من أجل
إنه موجود في أنواع كثيرة من الحشرات والطيور والثدييات. من بينها أفاريتا السليطان
نوع من القرود، والثوربولا، والشيمبانزي).

- الاغتصاب موجود في جميع المجتمعات البشرية.
- يستخدم الفاصيون - عموماً - القوة حسب الحاجة لإجبار الضحية على
الجنس. نادراً ما يوهنون أضراراً خطيرة، أو قاتلة تؤدي إلى الحمل والولادة
من حالات ضحايا الاغتصاب. يستعملن أضراراً خطيرة، وأقل من واحدة في مئة
خمسائة ضحية لتقتل.
- ضحايا الاغتصاب هن على الأكثر في ذروة سنوات التكاثر بين سن 15 و35 من
متوسط. في معظم مجموعات البهائم سن 4 سنة. مع أن الكثيرات من ضحايا
الاغتصاب يمتنن كحماة أطفال (تحت سن السادسة عشرة)، معظم هؤلاء من
مراهقات متوسط أعمارهن 14 سنة. سن التوزيع مختلف جداً عن سن ضحايا
الجرائم العنيفة الأخرى، وهي النقض لما يحدث إذا تم اختيار ضحايا
الاغتصاب لضعفهن جسدياً أو من خلال احتمال أنهن يشغلن مراكز سلطة.
- تتعرض ضحايا الاغتصاب إلى الأذى النفسي أكبر عندما يؤدي الاغتصاب إلى
الحمل، الذي هو الأكثر المألوف لدى النساء في سنوات خصوبتهن. ولغضنا
الاتصال الجنسي القسري كمنقبض لأشكال أخرى من الاغتصاب.
- المختصون ليسوا ممثلين ديموغرافياً للجنس الذكوري. غالبيتهم من الشبان
في سن التفاضل الجنسي الأكثر نواتراً، والشبان الذين يُزعم أنهم قد تروا
اجتماعياً أن يقتصبوا بشكل سرري يفقدون الاندماج الاجتماعي فيما
يصكبون في السن.
- على الرغم من أن معظم حالات الاغتصاب لاتؤدي إلى حمل، إلا أن العديد منها
يؤدي إلى الحمل. نحو 25% من ضحايا الاغتصاب في سن الإنجاب يصعب
حوامل، ويبلغ عدد حالات الحمل الناتج عن الاغتصاب 32 ألف حالة في
الولايات المتحدة كل سنة. لهذا السبب، الإجهاض في حالة الاغتصاب قضياً

مهمة. فكانت النسبة أعلى في فترة ما قبل التاريخ عندما لم تكن النساء يستخدمن موانع حمل طويلة المدى (97). قال دراون ميلنر أن النظريات البيولوجية للاغتصاب "طهيالية" لأن من حيث استراتيجية الإنجاب، إصابة أو إخطاء الفذقات لضربة مختصص واحد هي مثل لعبة القمار الروليت الروسي. مقارنة مع الجماع بالتراضي (98). لكن الجماع المستمر ليس خياراً لكل ذكر، وترتبهات تنتهي بجنس أمسية أو هزّت mass قد تكون تطورياً أكثر نجاحاً من ترتبهات تنتهي من دون جنس إطلاقاً. يستطيع الاصطفاء الطبيعي أن يعمل بشكل فعال مع مزاجها إنجابية قليلة حتى نسبة 1/1.

الردود تفهم مبني على الواقع للاغتصاب هو الأمل إما بتقليله أو استئصاله. فإذا ما ريمت النظريات على الطويلة، المواقع الممكنة لروايع تأثير تشمل العنف، والمواقف الجنسية، والرغبة الجنسية.

يوافق شكل امرئ أن الاغتصاب جريمة عنف ومن المحتمل أن المضخم الأكبر للاغتصاب هو حالة غياب القانون law lessness أو النسب. فالاغتصاب وعطف النساء - هو في أغلب الأحيان - هدف الفزو في مجتمعات اللادولة، والاغتصاب شائع في العروب بين الدول وأثناء أعمال الشغب بين الجماعات الإثنية. ففي وقت السلم تقرب نسبة الاغتصاب من نسبة جرائم العنف الأخرى. ففي الولايات المتحدة مثلاً ارتفعت نسبة الاغتصاب القسري في ستينيات القرن العشرين لكنها انخفضت مع نسبة الجريمة الأخرى في التسعينيات (99). القائلون بوجود هوارق بين الجنسين يلقون اللوم في ممارسة العنف ضد النساء على الحضارة والمؤسسات الاجتماعية، لكن هذا هو السير خطأ بكل دقة. العنف ضد النساء يزدهر في مجتمعات تقع بمناى عن الحضارة، وينقصر كلما تهاور الحضارة.

مع أنني أعرف دراسات كميّة quantitative، استهداف المواقف المتحازة، لايمون أنه واعد، بالتحديد من أجل تقليل الاغتصاب، مع أنه مرغوب به لأسباب أخرى الدول التي فيها أدوار جنس عامة أكثر صلاية من الولايات المتحدة، كاليابان مثلاً مدلات الاغتصاب فيها أقل بكثير، وضمن الولايات المتحدة المتحازة ضد النساء في الخمسينيات من القرن العشرين فكانت أكثر أمناً للنساء بما لا يقاس من فترات

التصور في السيميائيات والثمانينيات. إن هذه العلاقة المتحوّلة قد تمضي في الاتجاه المعاكس، فهنما تكسب النساء حرية أكبر في الحركة لأنهن مستقلات عن الرجال. فهنّ سيُجِدْنَ أنفسهنّ في ظروف خطيرة أكثر من ذي قبل.

ماذا عن الإجراءات التي تركز على المكونات الجنسية للاغتصاب؟ لقد فرورتهيل وبالرّ إن الصيغان المراهقين مجبرون على اتباع دورة تمنع الاغتصاب كطريق للحصول على إجازة قيادة السيارة، وأنه ينبغي تشجيع النساء أن اللباس بطريقاً جاداً جنسياً قد يزيد من مخاطر الاغتصاب. هذه الوصفات غير المجزئة ايضاح ممتاز لما ينبغي على الطمء أن يبقوا خارج سياسة التجارة، لكنهم لا يستحقون المسخط الذي تلا ذلك. ماري كوكس والتي توصف كمتسلطة في موضوع الاغتصاب - قالت: التعليم غير مقبول إطلاقاً في مجتمع ديمقراطي (النظر سيكولوجيا التحريم - قالت: التعليم اقتراحهم خاطئ بل التشجيع "غير مقبول إطلاقاً") وتتابع قولها: لأن الاغتصاب جرماً ضد النساء، مثل هذه التصانح تلحق الضرر بالنساء. إنه اعتداء على حرية النساء أكثر من الرجال" (100).

يستطيع المرء أن يفهم الثغور من أي اقتراح مفاده أن امرأة جذابة اللباس تشترطاً للاغتصاب لايقاوم، أو أن اللوم في أي تجربة يجب أن يُحرّف من المرتكب إلى الضحية لكن ثورتهيل وبالر لم يقولوا أي من هذين الأمرين. لقد قدما نصيحة مبنية على خبر وليس لوماً مبنياً على العدل. فالنساء لهنّ ككل الحق أن يلبسن كطما يشئن، لكن القضية ليست عن حق النساء في أن يتصرّفن في عالم مثالي، بل كيف يستطعن اللوم عن سلامتهنّ في هذا العالم. الاقتراح أن النساء في ظروف خطيرة يجب أن يتوخين العزم من ردود أفعال قد تكون مستمدة، أو إشارات قد تكون مرسله، هو مصدر إلهام سليم. ويصعب أن نعتقد أن أي ناضج سيضكر بتغير ذلك. مالم تكن المرأة قد تتقدم برامح منع الاغتصاب النموذجية التي تحبر النساء أن الاعتداء الجنسي ليس فعل إثبات جنسي، وأن المظهر والجاهلية ليس لهما علاقة (101). لقد لفتت المطالبات بالنسوة الانتباه إلى عدم مسؤولية ناصح كعدهنّ، من حيث أنها أكثر نسوة من أي شيء. لقد ثورتهيل وبالر. كتبت فاجليا paglia:

طوال عقد من الزمن درب أنصار المرأة تلاميذهم على القول "الاغتصاب هو جريمة عنف، لكنّه ليس جنسياً". هذا الجراء الخفضي بعلقة من المسكر لشيرلي شير قد عرض النساء الشابات إلى صكارة. لقد تعرضن للتضليل على يد الحركة النسوية.

هذه لا يتوقف الاغتصاب من قبل شبان طرفاء من بيوت مرموقة يجلسون إلى جانبهم في
زينة الصفه.

تقول هذه الفتيات "حسناً ، يجب أن أكون قادرة أن أسكر في حفلة الجمعية
الأخوية ، وأن أصدق إلى الطابق الثاني إلى غرفة شباب من دون أن يحدث أي شيء " وأنا
المؤلمة حقاً وعندما تقودين سيارتك إلى نيويورك ، هل تترسكين مفاتيحك على ظهر
السيارة ؟ فذكرتي هي ، إذا سرقت سيارتك بعد أن تفعلين شيئاً كهذا ، نعم ، يجب أن
تخاره الشرطة اللص ، ويجب أن يلقى عقاباً . لكن في الوقت ذاته ، الشرطة وأنا لنا
حق أن نقول لك " أنت أيتها البلهاء الغبية ، ماذا كنت تفعلين ؟" (102).

ويوضح ماسكروبي - وكذلك - أن شباب منطلق النقاشات - مثل نقاش مكوس
- أنه يجب عدم تقديم التصبيحة العملية إلى النساء : "تتفك حريات النساء أكثر مما
تتفك حريات الرجال".

حقيقة أن النساء أكثر عرضة للاعتداء تعني أننا لا نستطيع امتلاكها جميعاً . لا
نستطيع السير ليلاً عبر مسكن جامعي غير مضاع ، أو في زقاق خفي دون التعرض إلى
خطر حقيقي . فهذه الأشياء ينبغي أن تكون شكل امرأه قائمة : أن تملكها ، لكن بكلمة
يجب تنتمي إلى عالم طوباوي . النساء ينتمين إلى عالم حيث تسقط حافظة نقودك وسط
حشد ، ولماذا إليك ومن دون أن تمس بطاقتك الائتمان أو البليغ التقدي الذي بداخلها .
عالم فيه سيارات البورش غير مغلقة توقف داخل المدينة ، والأطفال يترسكون من دون
رعاية في المنزه . هذا ليس هو الواقع الذي يواجهنا ويحيط بنا (103).

الهرب من حقيقة أن الاغتصاب ليس جنسياً بقصد لا التصالح المقدمة للنساء
فقط بل السياسات المثيرة لردع الفاحشين بعض أنظمة السجن تخضع مرتسكي
الجنس إلى علاج جماعي واجتماعات مسيكوندرامية هدفها القضاء على تجارب سوء
العلاقة أثناء الطفولة . الهدف هو إقناع المرتسكين أن العدوان على النساء هو سبيل
لحلب السخط إلى أمهاتهم وأبائهم ومجتمعهم تتناول قصة عاطفية في البوسطن غلوب
أن كس هناك سبيل لمعرفة ماهي نسبة نجاح العلاج (104) . وبرناتج آخر بعيد تعليم
المرتسكين والفاحشين بعلاج مؤيد للنساء ، يتألف من محاضرات في النظام
البيرويرسكي ، والشاذين جنسياً والعلاقات بين العنف الأسري ، والاضطهاد العنصري .
في مقالة بعنوان "النظام البيرويرسكي جعلني أفضل" ، تطلق عائلة النفس سالي مسائل : "بينما
من المفري أن نستنتج أن العلاج المؤيد للنساء ربما هو ما يستعفه الرجل العنيف ، لكن
الحقيقة المسايوية هي أن النساء الضحايا قد وضعن في خطر أكبر عندما يلخص

أزواجهن لمعالجة تافهة (105). المرتكبون الأذكى الذين تعلموا التشقق بطرق
المضطرب عقلياً، أو شعارات متاجرة لنسائية، بالإمكان اعتبارهم تلقوا معاملة نامحة.
مما يؤدي إلى إطلاق سراحهم مبكراً، وفرصة جعل امرأة جديدة ضحية لهم
في مراجعته الممقنة فكرياً، يستكشف جونز كيف إن بالإمكان إيهام
القضايا القانونية المحيطة بالانحصاب، من خلال فهم أكثر تعقيداً لا يستبعد النظر
الجنسي من الدافع إلى الانحصاب. إحدى الأمثلة "إحصاء كيميائي"، حثفت طويلاً
من عقار Dep - proves الذي يمنع إطلاق الإندروجين، وينقل من الدافع الجنسي لدى
السجين ويعطس أحياناً إلى الهوسين بالجنس فيرتكبون جرائم كالاغتصاب،
والتهرش غير المحتشم، والإساءة إلى الأطفال. يستطيع الإحصاء الكيميائي أن يتر
نسب وقوع الجرائم ككثيراً، ففي إحدى الدراسات من نسبة 1746 إلى 13. استخدام هذا
العقار يولد قضايا دستورية خطيرة حول الخصوصية والعقاب، التي لا تستطيع أن تقر
البيولوجيا وحدها. لكن القضايا تصبح غائمة أكثر، وغير واضحة، عندما يفر
المفسرون عن شرط سابق أن "الإحصاء لن يعمل لأن الانحصاب ليس جريمة من
الجنس بل الأخرى جريمة حول القوة والعنف".

لإدافع جونز عن الإحصاء الكيميائي (وكذلك أنا)، إنه يطلب من التمس
ينظروا إلى جميع الخيارات لتقليل الانحصاب، وتقويمها بدقة وبمقل متفتح أي شخص
يشعر بالسخط من فكرة ذكر الانحصاب والجنس بالدرجة نفسها يجب أن يفر
الأرقام ثانية. وإذا ما رفضت سياسة بصلتها أن تقلل حالات الانحصاب بمعدل 15. إن
نساء كثرات سوف يتعرضن للاغتصاب، ولولا ذلك لما اغتصبن ربما بتوجب عن
الناس أن يتبرروا أي حالة ذات جدوى أكثر، هايدبيولوجيا تطالب بتقديم مصاب
الجنس النسائي، أو ما يحدث فعلاً إلى النساء في الواقع في أرجاء العالم.

على الرغم من شكل الضباب المتصاعد من أذان الناس في المناظرة الحديثة حول
الجنسين، هناك مساحات واسعة لأرضية مشتركة. ما من أحد يريد أن يقبل التبرير
على أساس الجنس أو الانحصاب. ما من أحد يود إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، وأن
يفرغ الجامعات والمهن من النساء، حتى لو كان ذلك ممكناً. ما من عاقل يستطيع أن
ينكر أن التطورات في حرية النساء أشاء القرن الماضي هي إغناء لاحد له الشرط
الإنساني.

فالمثل يقتضي ألا تأخذ مسارات جانبية عن خلال شحن عاطفي بل من خلال
بدم وجود علاقة أخلاقياً لسمك الرنضفة red herrings تستلعب علوم الطبيعة البشرية
إن نمزج مصالح النساء بلصعل سمكيات الرنضفة تلك عن الأهداف المهمة جداً الحركة
النسائية هي حركة من أجل مساواة اجتماعية وسياسية مهمة لكن الحركة النسائية
كجماعة أكاديمية ملتزمة بمعتقدات شاذة حول الطبيعة البشرية حركة ليست بذات
أهمية. استئصال التمييز ضد النساء أمر مهم. لكن الاعتقاد أن النساء والرجال
مولودون بطول لا يمكن التمييز بينهما ليس كذلك. حرية الاختيار أمر مهم. لكن
التأكيه على أن تشكل النساء تماماً نسبة 50 من جميع الفون هامر لا أهمية له
والنضاه على التمتعيات الجنسية أمر مهم. لكن تقديم النظرية أن الناسجين يلومون
ذورهم في مؤامرة ذكورية واسعة أمر لا أهمية له

الفصل التاسع عشر

الأطفال

تبدأ مقالة حديثة بعنوان / ثلاثة قوانين من علم الوراثة السلوكي، وما الذي تعنيه بالجملة التالية: "مناظرة التربية الطبيعية قد انتهت" (1). جريئة مثل جعلها الافتتاحية. مناظرة التشبث الطبيعية بعيدة عن أن تكون انتهت عندما يتعلق الأمر بتحديد القدرة الطبيعية المشتركة بين جميع الكائنات البشرية، وفهم كيف نسمح لنا أن نتعلم، وهو الموضوع الأساسي للفصول السابقة. لكن عندما يتعلق الأمر بمسألة ما الذي يجعل الناس ضمن التيار الرئيس للمجتمع مختلفين أحدهم عن الآخر، سواء كانوا الذكور أم ملين أكثر، أظرف أو مشاكسين أكثر، جريئين أم أكثر خجلاً - إلا أن التشبث الطبيعية، كما لعبت دوراً طوال آلاف السنين قد انتهت فعلياً أو يجب أن تنتهي.

في إعلان نهاية النقاش للتشبث الطبيعية، لم يكن عالم النفس إريك توركهام يستخدم أسلوب مدرب - اليفال mule-trainer التقليدي للاستحواذ على انتباه أفراد مجتمعه، خاصة الضرب على الرأس بـ 4X2. بل كان يلخص كمية نتائج إمبريقية راسخة بشكل عادي بمعايير علم النفس. وقد ذكرت في العديد من الدراسات والدول طوال أربعة عقود. فبينما زادت المعينات (غالباً إلى عدة آلاف)، تحسنت الأدوات، ووجهت الاعتراضات والنتائج مثل التشبه الوطني. كانت مازال هناك.

قد تكون القوانين الثلاثة لعلم الوراثة السلوكي الاكتشاف الأكثر أهمية في تاريخ علم النفس. مع ذلك، لم يتوصل معظم علماء النفس إلى التمكن منها، ومعظم التلقين لا يفهمونها حتى عندما شرحت في قصص أظفة مجلات الأخبار. هذا ليس لأن القوانين عويصة؛ إذ بالإمكان قول كل منها في جملة دون أي أدوات في الرياضيات. لكن لأن القوانين تجري بقوة على الصفحة البيضاء، والصفحة البيضاء محصنة جداً لدرجة أن العديد من المثقفين لا يستطيعون فهم بدليل لها، ناهيك عن عدم قدرتهم أن يحكموا ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة.

إليك هذه القوانين الثلاثة :

- القانون الأول: جمع الخصائص السلوكية البشرية هي قابلة للتوريث
- القانون الثاني: تأثير التربية في العائلة نفسها هو أقل من تأثير المورثات.
- القانون الثالث: جزء مهم من التباين في الخصائص السلوكية البشرية القديم لا يمتد إلى تأثيرات المورثات أو الأسر.

القوانين هي حول ما الذي يجعلنا ما نحن عليه (بالمقارنة مع أبناء بلدنا). ومنذ إننا حول القوى التي لها تأثير علينا في الطفولة ، تلك المرحلة من الحياة التي يتقدر عقولنا وشخصياتنا تتشكل فيها. لقد قال ألكسندر بوب الشاعر الإنكليزي قصيد يروي الفحص تميل الشجرة. وكتب الشاعر وروز ورت "الطفل هو أب الرجل" يعطس ما قال الشاعر جون ميلتون "الطفولة تبين بالإنسان ، مثلما يري الصبح النهار" والشعر كان يستخدم كصيت لازمة في سلسلة الأفلام الوثائقية لبيخاتيل أبندلر الذي يشرح عملية أفعال بريطانيين شكل سبع سنوات وهلم جرا. في هذا الفصل سأخذك إلى هذه القوانين لتستكشف ما الذي تعنيه في موضوع الطبيعة البشرية ، ولا شيء غير ذلك.

القانون الأول ،

جميع السمات السلوكية وراثية ، ودعنا نبدأ من البداية. ماهي السمة السلوكية فحسب ماورد في دراسات عديدة؛ هي خاصية ثابتة عند شخص ، وبالإمكان قياسها بإجراء اختبارات نفسية وفقاً لمعايير نموذجية. فاختبارات الذكاء تطلب من المراد بلقاء سلسلة من وحدات وجوعاً إلى الوراء ، وأن يقدموا تعريفات لكلمات مثل: مترو. وتأتيب الضمير ، وماهو المشترك بين البيضه والبنيرة ، وأن يجمعوا أربعة مثلثات في مربع ، وأن يستتجوا سلاسل نماذج هندسية. وتطلب اختبارات الشخصية من المراد يوافقوا أولاً يوافقوا على أقوال مثل "غالباً ما أعبر الشارع ضكي لا أقابل شخصاً أعرف " ، أو "لا ألوم شخصاً على الإهانة من شخص ما يضع نفسه عرضه للإهانة منه" ، ثم "قبل أن أقبل شيئاً أحاول أن أفحصه فكيف سيكون رد فعل أصدقائي عليه" . وأتبر يقولون أشياء مهينة وسوقية عنى "وهذه الأسئلة تبدو مراوغة ، لكن الاختبارات تلت موافقة تاماً؛ إنها تقدم النتيجة ذاتها في شكل مرة يتم فيها اختبار الشخص كلما تم تلباً إحصائياً بما ينبغي أن تتوقعه بشكل جيد ومعقول فاختبارات الذكاء تلبتاً لآلاف

تحتل جيد ومعقول في المدرسة وفي العمل، فكما أن اللغات الشخصية مرتبطة
لمعظم الناس الآخرين على الشخص، وبالتالي الحيانية مثل: تشخيصات الحالة
نفسية، واستقرار الزواج، والانصياع للقانون. (2)

وفي دراسات أخرى، يتم تسجيل السلوك بطريقة مباشرة أكثر. فالطلاب
يخرجون مصطفون في باحة مدرسة مع ساعة توقيت ولوح مشبكي يراقب ماذا يفعل
بالفعل ويتم تصنيف التلاميذ من قبل المدرسين بمدى ميلهم للعدوانية ويكون إعطاء
التصنيف حسب معدل متوسط. يذكر الناس حكم عدد الساعات التي يقضونها في
مشاهدة التلفاز، أو حكم عدد السجائر التي يدخونها. ثم يقوم الباحثون بتصنيف النتائج
وإصدارها مثل نسب تخرج دراسي عالي، فتاعات جرمية أو حالات طلاق.

بعد أن تتم القياسات، يصبح بالإمكان حساب متغير (أو متحول) العينة. مربع
متوسط الانحراف لكامل نقاط الشخص من متوسط المجموعة. المتحول له رقم يلتصق
الدرجة التي يختلف فيها أفراد المجموعة ككل منهم عن الآخر. فعلى سبيل المثال، متغير
الوزن في عينات وأجناس لايرادور Labrador retrievers ستكون أصغر من متغير الوزن في
عينة تضم كلاباً من بيئات مختلفة. بالإمكان تقسيم المتغير إلى أقسام فردياً لأنه
ينطوي على معنى أن نقول أن نسبة مئوية محددة من متغير المجموعة تتداخل مع أحد
البرامل (ربما، مع أنه قد لا يتداخل بالضرورة - أي كصليب له). وقد تتداخل نسبة
مئوية مع عامل ثار وهكذا دواليك. حاصل جمع النسب المئوية هو عامل مائة. أما درجة
التداخل فيالإمكان قياسها بمعامل العلاقة - كثافة العلاقة عدد بين 1- و1+،
يتوبم الدرجة التي يكون فيها الناس على درجة عالية في إحدى القياسات، بالتالي
يكونون على درجة عالية على مقياس آخر. إنه يستخدم في البحوث الوراثية السلوكية
تقدير نسبة المتغير الذي يسميه عامل ما. (3)

قابلية الوراثة هي نسبة متغير في خاصية ترتبط بفرقات وراثية، وبالإمكان
قياسها في عدة طرق (4). أبسط الطرق هو أخذ العلاقة بين ثوائم متماثلين ثم فصلهم
عند الولادة، وترعرعوا منفصلين. إنهم يشتركون في جميع مورثاتهم ولا يتشاركون،
بينهم، (نسبية المتغير بين البيئات في العينة)، لذلك درجة الرابطة فيما بينهم ينبغي أن
تكون نتيجة للمورثات. بالمقابل يستطيع المرء أن يقارن بين الثوائم الذين ترعرعوا معاً -
أي يشتركون في مورثاتهم وفي معظم بيئتهم. مع الثوائم المختلفين الذين ترعرعوا معاً
الذين يشتركون في نصف مورثاتهم وبمعظم بيئتهم (كفي أكون دقيقاً، يشتركون في

نصف المورثات التي تختلف بين الناس ضمن العينة)، ويشاركون - بشكل ضئيل - بجميع المورثات التي هي عامة بين النوع البشري. هذا مكنتنا العلاقة أعلى بالنسبة لأرواح من التوائم المتماثلين، فإن من المفترض أن تعكس نتيجة للمورثات الإضافية التي لديهم بشكل مشترك. كلما كان الشقيق أكبر بين الرابطين، كلما كان نسبة قابلية الوراثة أعلى. هناك طريقة أخرى هي أن نقارن الأخوة والأخوات البيولوجيين الذين يشاركون نصف مورثاتهم ومعظم بينهم، بالأخوة الذين تم تبنيهم - فمن لا يشاركون أيًا من مورثاتهم، ولا معظم بينهم.

تظهر النتائج - بشكل أولي - أنها نفسها، بغض النظر عما يقاس أو يفهم يقاس. التوائم المتماثلون الذين ترعرعوا منفصلين متشابهون جداً، والتوائم المتماثلين الذين ترعرعوا معاً يكونون أكثر تشابهاً من التوائم المختلفين الذين ترعرعوا مع الأخوة والأخوات البيولوجيين متشابهون أكثر من تشابه الأخوة الذين تم تبنيهم (3) تتم ترجمة هذا كله في قيم قابلية وراثية أساسية، عموماً بين 0.25 و 0.75. تشير تقليدي هو أن نحو 1/2 التباين في الذكاء والشخصية والنتائج الحياتية هو وراثي في رابطة أو نتاج غير مباشر للمورثات. يصعب أن نكون أكثر دقة من ذلك، لأن نسبة القابلة للوراثة تتفاوت ضمن هذا المجال لعدة أسباب (6). أحد هذه الأسباب هو حدود خطأ في القياس (ضجة عشوائية) موجودة في المتغير الإجمالي يجب سحبه أو تقديره، أو يلح من المساواة (7). وسبب آخر هو إذا ما تمارس جميع تأثيرات المورثات التي تم تقديرها، أم تقدير فقط التأثيرات الإضافية؛ التأثيرات التي لها التأثير نفسه، بصرف النظر عن المورثات الأخرى لدى الشخص. بكميات أخرى، مورثات تؤدي إلى سمات حقيقية، سبب ثالث هو حجم سكان مقدار التنوع في العينة التي بدأنا بها: عينات يتخذ متجانسة تعطي تقديرات وراثية صغيرة، والبيئات المتفاوتة تعطي تقديرات أقل. سبب رابع، عندما تقاس سمّة في مدة حياة الشخص. قابلية توريث الذكاء - على سبيل المثال - تزداد عبر مدة الفترة الزمنية الحياتية، وقد تبلغ مستوى 0.8 في أواخر الحياة ثم "تتباطأ بنحني القوس"، وفكر بـ "يا إلهي، إنني أتحوّل إلى والدي". القول إن جميع السمات قابلة للوراثة ينطوي على مبالغة يسيئة، وليست مبالغة كبيرة (8).

السمات السلوكية الملموسة التي تعتمد على المضمون كلياً الذي يقدّمه الفرد الثقافة، هذه السمات ليست وراثية على الإطلاق. أية لغة تتكلم، أي دين تتعبد به، وأي حزب تنتمي إليه. لكن الخصائص السلوكية التي تعكس الواهب الكفء

والطابع هي قابلية اللورثة؛ درجة إتقانك للغة، ودرجة تدبيرك، ودرجة تكوينك لبرالياً أو معاشية. الذكاء العام وراثي، وكذلك هي الطرق الخمس الرئيسية، التي فيها نستطيع التخصصية أن تتفاوت؛ وقد لخصت هذه الطرق بالحروف التالية: OCEAN: حرف O يعني الانتشاح على التجربة، وحرف C التزعة الوجدانية، و E الانبساط والانتواء، و A نزعة إلى العداء والمعارضة والقبول، و N نزعة عصبانية السمات المحددة تماماً بتضح أنها قابلية للورثة أيضاً مثل الاعتماد على التبعوثين أو المعقول، أو عدد سمات مشاهدة التلفاز، واحتمال وقوع الطلاق أخيراً هناك الأخوان المقربيت Malinck في مكتب براءة الاختراع لملكه شاس أدامز، ونظائهما من العالم الواقعي: تتصل هذان التوسمان المتماثلان عند الولادة، وترعرعا ليصبحا رئيسين متطوعين في فصحين للإطفاء. كلاهما يلعبان بقلادتهما عندما يجيبان على أسئلة، وكلاهما اخيرا الباحث الذي نقلهما من المطار (ككلاً على حدة) أن رومان سيارته بحاجة إلى استعمال

شاهدت - ذات يوم - مقابلة مع مارلون براندو على التلفاز. سئل براندو عن مؤثرات الطفولة التي جعلته مثلاً. فأجاب: أن التوائم المتماثلين المنفصلين عند الولادة قد يستخدمان مقوي الشعر ذاته، ويذخنان النوع نفسه من السجائر ويقضيان العطلة على الشاطئ ذاته، وهلم جرا. المذمبة - تكويني تشونغ - التي كانت تجري المقابلة نظرت أنها كانت تشخر، فكانها كانت جالسة في معاصرة مملدة، ولم تدرك أنه كان يجيب على سؤالها. أو بدقة أكثر - يشرح لماذا لم يستطع أن يجيب عليه. فظاناً إن إمكانية توريث المواهب والأنواع ليست مساوية للتصفر، فليس لدى أحدنا سبيل لمعرفة ما إذا سمة هيذا أثرت فيها مورثاتها؛ تجاربنا في مرحلة الطفولة. كلاهما أو ولا أي منهما. تشونغ ليست الوحيدة في إخفاها فهم هذه المفكرة. يتضمن القانون الأول أن أي دراسة تقميس شيئاً في الوالدين، وشيئاً في أبنائهما البيولوجيين ومن ثم تستمد استنتاجات عن تأثيرات الأبوة هي لا قيمة لها، لأن الروابط قد تمسكس ببساطة مورثهما المشتركة (والدان عدوانيان، قد يتجيان أطفالاً عدوانيين، والدان ثرثاران يتجيان أبناء ثرثارين). لكن هذه الدراسات المكلفة مستمرة، وتستمر ترجمتها في نماذج أبوية وكانما توريث جميع السمات يساوي التصفر. ربما كان ينبغي أن يقدم سؤال براندو وعلى لجنة تقويم لإعطاء منحة.

علم الوراثة السلوكي له منتقدوه الذين حاولوا أن يجدوا تفسيرات بسيطة من القانون الأول. ربما أن الأطفال المنفصلين عند الولادة يوضعون عن عمد في أسرة معاك لأسرهم لكي يتبناهم، وربما أن لديهم احتكاكاً ببعضهم أثناء انفصالهم ربما ينجب هؤلاء من التوائم المتماثلين أن يكونوا أكثر شجراً، ولذلك يعاملونهم بالتساوي فالنوام يشترك في الرحم، وليس فقط في مورثاتهما، وتتشارك التوائم المتماثلة أحياناً في chorion (أي الغشاء الذي يحيط بالرحم)، وبمشيمة أيضاً. ربما أن تجربتهما المشتركة قبل الولادة، وليس مورثاتهما المشتركة هي التي تجعلهما أكثر تشابهاً.

لقد تم تحري هذه الاحتمالات، على الرغم من أن بعض الحالات تستبعد احتمالية الوراثة بنقاط قليلة، إلا أنها لا تستطيع تعقبها كثيراً (9). سمات آباء النبي والبيوت قد تم قياسها سواء من ناحية لتعليمهم، والمكانة الاقتصادية - الاجتماعية، وشخصياتهم، وهكذا، فهم ليسوا متجانسين بما فيه الكفاية لكي ينجبوا توائم متماثلين أن يكونوا في الشخصيات، والطلائع ذاتها (10). فالتوائم المتماثلون ليسوا مصممين لكي يكونوا نسخة عن بيوتهم التي تشجع اللعب بالقلادة، أو العطار في المصاعد. فما هو أكثر أهمية هو أن بيوت التوائم المتماثلين المنفصلين عند الولادة ليست أكثر تشابهاً من بيوت التوائم المختلفين الذين تم فصلهم عند الولادة، مع ذلك التوائم المتماثلون أكثر تشابهاً بكثير (11). والأكثر أهمية، هو أن الفروق في البيئات البيئية لا تنتج فروقات في ذكاء الأطفال، وفروقات في الشخصية بأي شكل من الأشكال (كما سترى في عرضنا للقانون الثاني)، وبالتالي فإن هذا الجدول لم يستمد لا يستحق أن نخوض فيه.

أما بالنسبة للاحتكاك بين التوائم المتفصلين، فإن من غير المحتمل أن تجد بعض المصادفة بين شخصين أن يحدد شخصيتهما وذكاهما. على أي حال، ينبغي أن مقدار الاحتكاك لا علاقة له بدرجة الشبه بين التوائم (12). وماذا عن توفاك الوالدين والأصدقاء والأقران ؟ فحص دقيق قدمه توائم متماثلون - سكان قد ظن بر طريق الخطأ - أنهم مختلفون حتى أظهر اختبار وراثي غير ذلك، فإذا كانت التوائم التي تجعل التوائم المتماثلين متشابهين، فهذا التوأمان يجب ألا يكونوا متشابهين. إذا كان الأمر يتعلق بالمورثات، فإنهما يجب أن يكونوا متماثلين. في حقيقة الأمر التوائم المتماثلون مثلما يعرف الآباء أنهم متماثلون (13). القياسات المباشرة لدرجة التعامل في التوائم متماثلاً من قبل والديهم لا علاقة لها بقياسات الدرجة التي هم متشابهين في

الذكاء أو الشخصية (14). أخيراً، أما موضوع الاشتراك بالمشيمة فقد يجعل التوائم المتماثلين أكثر اختلافاً، وليس فقط أكثر تشابهاً إلا أن أحد التوائم قد يمد الأخرى، ولهذا السبب، فقد بينت الدراسات تأثيراً قليلاً، أو تأثيراً ليس ثابتاً للاشتراك في المشيمة (15). لكن حتى لو كانت المشيمة تجعلهم أكثر تشابهاً، فإن إمكانية الورثة ستكون متواضعة. فكمما أشار عالم نفس السلوك مات ماغو McGue في نموذج رياضي حديث حاول أن يستعمل تأثيرات ما قبل الولادة لتقليل تدبيرات الورثة قدر الإمكان، أن جدول اختبارات الذكاء يتركز الآن على ما إذا كانت اختبارات الذكاء هي 750 يعني أم 750 وراثي، هو إشارة مهمة إلى كيف أن الجدول حول دور الطبيعة والتربية قد تغير عبر القديين الماضيين(16). على أي حال، الدراسات التي تقارن التوأمين بالأخوة والأخوات البيولوجيين، لا تنظر إلى التوائم إطلاقاً، وتتوصل إلى النتائج ذاتها التي تتوصل إليها دراسات التوائم. لذلك ما من خصوصية للتوائم قد تسقط القانون الأول. الطرائق السلوكية فيها ثلاثة عيوب بنوية. دراسات التوائم والأحفاد والتوأمين يمكنها أن تساعدنا في تفسير العامل الذي يجعل الناس مختلفين " لكننا لا نستطيع أن نفهم ما هو مشترك بين الناس، أي الطبيعة البشرية العامة. القول إن قابلية توريث الذكاء هي 0.5 - على سبيل المثال - لا يعني أن نصف ذكاء شخص هو موروث (لهما مكان ذلك عنده)، إنه يعني فقط أن نصف التباين بين الناس هو موروث. الدراسات الوراثية السلوكية للشروط الباثولوجية - كالكآبة نالفتناها في الفصليين الثالث والرابع تسلط الضوء على الطبيعة البشرية المشتركة، لكننا ليست مرتبطة بوضوعات هذا الفصل.

ثانياً، تصدى طرائق الورثة السلوكية للتباين ضمن جماعة من الناس الذين تم اختيارهم وليس بين مجموعات من الناس. فإذا كان التوائم أو التوأمين في عينه جميعاً أيضاً أمريكيين من الطبقة الوسطى، فإن باستطاعة التقدير الوراثي أن يخبرنا لماذا تباينت البيض الأمريكيين من الطبقة الوسطى عن بيض أمريكيين آخرين من الطبقة الوسطى، لكنه لا يخبرنا عن سبب اختلاف الطبقة الوسطى عن الدنيا أو العليا، أو لماذا يختلف الأمريكيين عن غير الأمريكيين، أو لماذا يختلف البيض عن الآسيويين أو الزنوج.

ثالثاً، نستطيع طرائق الورثة السلوكية أن تبين فقط أن السمات ترتبط بالمورثات وليس أن المورثات تسببها. لا نستطيع الطرائق أن تميز السمات التي هي نتائج مباشرة

عن المورثات - نتيجة المورثات التي تؤثر على التسليك wiring او العمليات الجينية meabolism في الدماغ - عن السمات التي هي نتائج غير مباشرة. تتأثر نتيجة امتلاك مورثات لمظهر جسدي محدد. إننا نعرف أن الناس الطوال القامة - يعمل وسطى - تتم ترفيقهم في وظائفهم بسرعة أكبر من ترفيقه قصار القامة. والشعر الجذابون هم أكثر تأكيدهم لشخصياتهم - بمعدل متوسط - من الناس غير الجذابين (17). في تجربة يخضع أناس لمقابلة زائفة. فكان عليهم أن يهدتوا بصحبة عندما استدعي من يجدي المقابلة خارج الغرفة. فالتاس بسيمطوا انظهور انظهورا نسب دهائقي قبل أن يتذمروا، بينما انتظر الجذابون ثلاث دقائق وعشرين ثانية (18). من المفترض أن يكثر الناس بالطوال والوسيمين، وذلك يجعلهم أكثر نجاحاً وتأثيراً للشباب أكثر. فالطول والتطورات وراثية بشكل وضوح. فإذا كنا لا نعرف عن تأثيرات التطورات، فقد نظن أن نجاحات هؤلاء تأتي مباشرة من مورثات. فالطموح والثبات بدأ من أن يتأثرا بطريقة غير مباشرة عن مورثات سيقان طويلة أو آنف مستقيم اللوز الأخرى هو أن قابلية الوراثة ينبغي أن يتم تفسيرها في ضوء جميع الأدلة. آية لا يفسر معناه على كمنه. أما وقد قبل ذلك، فإننا نعلم أن إمكانية الوراثة في الشخصية لا يمكن أن يتم تخفيضها إلى مورثات المظهر. تأثيرات التطورات على الشخصية صغيرة ومعدودة، مزجات الشقراوات لا تقاوم، إلا ليس جميع النساء الجذابات مؤثرات ومفرورات. إمكانية وراثية سمات الشخصية - بالمقابل - كبيرة وكاسحة، كبيرة لدرجة لا يمكن تفسيرها كتنافس ثانوي للتطورات (19). فكمما رأينا في الفصل الثالث. نستطيع السمات الشخصية - في بعض الحالات - أن ترتبط بمورثات حقيقية بتأثيرات في الجهاز العصبي. فمع اكتشاف مشروع الجينوم البشري، فإن من المحتمل أن علم الوراثة سيكتشفون - سريعاً - المزيد من هذه الروابط.

القانون الأول آثم في الرقبة بالنسبة للعلماء الراديكاليين، الذين حاولوا ان يحدوه، لكنهم لم يحرزوا نجاحاً في مسعاهم. في عام 1974 كتب ليون كامين أن لا توجد حقيقة ينبغي أن تقود إنساناً حصيفاً لأن يقبل الفرضية القائلة ان اختيار الذكاء هي وراثية بأي درجة. وقد ككرر هذه النتيجة التي توصل إليها مع يوناتان روز Rose بعد عقد تال من الزمن (20). فعلى في سبعينيات القرن العشرين كان الجدال شديد التعقيد وصعب الفهم، لكن مع حلول الثمانيات كان يائساً، وهو في يومنا هذا إنه فضول معرفة تاريخي (21). كلما جرت العادة، لم تات الهجومات دائماً في تعليقات

بعضها موضوعية. توماس بوخارد الذي أشرف على أول دراسة واسعة النطاق على التوائم الذين كُتبوا منفصلين هو واحد من رواد دراسة تأثيرات الوراثة على الشخصية. نشطاء المدينة الجامعية في جامعة مينيسوتا وزعموا منشورات تتهمه بالانحياز، وربطوه بـ"الفاشية الألمانية" وأسمته شعارات بخاخ السيري "نازي" وطالبت بطرده من الجامعة. كما اتهمه عالم النفس باري ميهر meher بأنه يعيد تأهيل عمل جوزيف مينغل meingel الذي عذب التوائم في معسكرات الموت النازية تحت غطاء الأبحاث. كانت الاتهامات - كما جرت العادة - طائفة ليس فكرياً فقط بل شخصياً حتى: إنه يعيد حل البعد عن أن يكون فاشياً، لأن بوخارد كان مشاركاً في حركة حرية التمييز في جامعة بيركلي في ستينيات القرن العشرين. وسجن فترة قصيرة لنشاطه السياسي، ويقول إنه سيفعل ذلك ثانية اليوم (22). هذه التهجيمات كانت سياسية بشكل جلاء ومن السهل إسقاطها من الحساب.

ما هو أكثر أهمية هي الطريقة التي تم من خلالها تفسير القانون الأول: "إن إنك تقول إن الأمر سكه في المورثات" أو بغضب أكبر "الحمية الوراثية". لقد عقلت سابقا على رد الفعل الغريب هذا في الحياة الفكرية الحديثة: عندما يتعلق الأمر بالمورثات يقد الناس - فجأة - قدرتهم على التمييز بين 750 عن 7100، وفي التمييز بين كلمتي "بعض" و"شكل التأثيرات" عن كلمة "تقرر". تشخيص هذا العجز الفكري واضح: إذا كانت التأثيرات المورثات يجب أن تكون - بناء على أسباب لاهوتية - صفر إن فإن جميع قيم غير الصفر هي بالمقابل مرطوقية. لكن النتيجة الأسوأ من الصفحة البيضاء ليست هي أن الناس يسيئون فهم تأثيرات المورثات، بل إنهم يسيئون فهم تأثيرات البيئة.



التأثير التلي،

تأثير التربية في العائلة نفسها هو أقل من تأثير المورثات. إنك تستحسن أن مورثاتنا تلب دوراً في جعلنا مختلفين عن جيراننا، وأن بيئتنا تلب دوراً مهماً كذلك. عند هذا الحد يتوصل شكل واحد إلى النتيجة ذاتها. إن مورثاتنا، وتربيتنا الأسرية هما اللتان تشكلتا: وكيف عاملنا آباءنا، وما نوع البيت الذي ترعرعنا فيه.

بسم لنا علم الوراثة السلوكي أن نميز سبيلين مختلفين جداً، ومن خلالهما تؤثر بيئتنا علينا (23). البيئة المشتركة هي ما يفرض علينا وعلى أقاربنا على السواء:

والدانا، حياتنا البيئية، وجوارنا (مقارنة مع آباء آخرين، وجوارات أخرى في البيئة) أو البيئة غير المشتركة أو الفريدة فهي شيء آخر: أي شيء يفرض على ابن لعنك ليعر على آخر من بينها انجهاز الوالدين (أمي تحبك أكثر)، ووجود اقارب آخرين، وتغير فريده مثل الوقوع من على دراجة، أو الإصابة بفيروس، وأي شيء يحدث لنا طول حياتنا، لا يحدث بالضرورة إلى أختنا.

بالإمكان قياس تأثيرات البيئة المشتركة في الدراسات التي تطبق على التوائم بر طريق تجريد القيمة الوراثية عن الارتباط correlation بين التوائم المتماثلة. السبب هو أن التوائم المتماثلة متشابهة (ويتم قياسهم بالعلاقة) بسبب مورثاتهم المشتركة (قياسا بمامل الوراثية) وبيئتهم المشتركة. لذلك بالإمكان تقدير تأثيرات البيئة المشتركة من طرح الوراثية من العلاقة. بالمقابل، بالإمكان تقدير التأثيرات في دراسات التبنى بطرح بساطة بالنظر إلى العلاقة بين قريبين تم تبنيهما: إنهما لا يتشاركان في الموراث، لذلك أي أوجه شبه (نسبة إلى البيئة) يجب أن تأتي من التجارب التي تشاركتها وهما يتكبران في نفس البيت. طريقة ثالثة لمقارنة العلاقة بين الأخوة الذين ترعرعوا معا (الذين يشتركون في مورثات وبيئة بيئية) مع العلاقة بين الأخوة الذين تربوا بصيغر من بعضهم (أي الذين يتشاركون في المورثات فقط).

بالإمكان قياس تأثيرات البيئة الفريدة بطرح العلاقة بين التوائم المتماثلة إلى الذين يشتركون في المورثات والبيئة من واحد (الذي هو مقدار تأثيرات المورثات، والبيئة المشتركة، والبيئة الفريدة). عن طريق نفس المحاكمة العقلية، بالإمكان قياسها في دراسات التبنى بطرح التقدير الوراثي والتقدير البيئي من واحد. عملياً، جميع هذه الحسابات هي أكثر تعقيداً، لأنها قد تحاول التمرض إلى نتائج غير إضافية حيث الشكل ليس ناتج جميع الأجزاء، ومن أجل ضجة في القياسات. لكنك أصبح لديك الآن المنطق الأساسي خلفها. إذن ما الذي نجده 9 تأثيرات البيئة المشتركة قليلة (أقل من 10 بالمائة من المتحول) وفي أغلب الأحيان لا أهمية له إحصائياً، كما أنه لا ينظر - غالباً - في دراسات أخرى، وغالباً ما يكون صفراً سميماً (24). وكان نورسكا يمر حذراً في القول إن التأثيرات هي أصغر من تأثيرات المورثات. لكن العديد من علماء الوراثة السلوكية يمتنون إلى ما هو أبعد من ذلك ويقولون إنها يتم إهمالها، خاصة في فترة البلوغ. فاختبارات الذكاء تتأثر بالبيئة المشتركة في الطفولة، لكن مع مرور السنين يترجع التأثير إلى حد الصفر.

من أين تأتي هذه النتائج ؟ الاستنتاجات النمطية سهلة الفهم أولاً، الأخوة الباليون
منشأون سواءً تروبو معاً أم يهيدين عن بعضهم. ثانياً، الأخوة القشتون ليسوا أكثر
تتبعها من شخصين التقطاً من الشارع عشوائياً. ثالثاً، التوائم المتماثلة ليست متشابهة
أكثر مما يتوقع المرء من تأثيرات مورثاتهم المشتركة. كلما مع القانون الأول،
الاتساق الكبير في النتيجة عبر ثلاثة طرق مختلفة تماماً (مقارنات توائم متطابقة مع
توائم أخوة، الأخوة تروبو معاً مقارنة بأخوة تروبو منفصلين، وأخوة تم تبنيهم مع أقارب
يولدون)، وهذه النتيجة تشجع المرء على أن يستنتج أن النموذج هو حقيقي إن أية
تجارب يتشارك فيها الأخوة أثناء نموهم في نفس البيت، لا تشكل سوى هارق بسيط،
أو لا تشكل هارقاً في نوعية الشخص الذي سيصبحون عليه.

هناك شرط مهم: إن الفروقات الموجودة بين البيوت لا أهمية لها ضمن عينات
البيوت التي هي موضوع هذه الدراسات، لأنها بيوت من الطبقة الوسطى أكثر مما هي
عين من السكان ككل. لكن الفوارق بين تلك العينات، وأنواع أخرى من البيوت قد
يكون لها أهمية. فالدراسات تستبعد حالات الإهمال الجرمية الإسائة الجنسية
والجسدية، والهجر في ميتم مكتئب - لذلك لا تظهر أن حالات متطرفة لا بد وأن تتركه
نوعاً. ولا تستطيع هذه الدراسات أن تقول أي شيء عن الفروقات بين الثقافات، ما الذي
يجعل طفلاً من أسرة متوسطة أمريكية خصماً لحارب من قبائل البانوامو. أو لراهب
من اليتيم، أو حتى لفرء من عصابة شوارع في المدينة. بشكل عام، أن تأتي عينه من
مجال محدود من المنازل، فقد تقلل من قيمة التأثيرات المنزلية على نطاق أوسع (25).

على الرغم من هذه المحاذير، القانون الثاني سخيذ. (الطبقة الوسطى التي تضم
معظم الآباء المثبتين) تستطيع أن تضم مجالاً واسعاً من أنماط الحياة: من مسيحيين
أسوليين في الوسط الغربي الأمريكي، إلى أطباء يهود في مانهاتن، مع بيئات بيئية
مختلفة جداً، ولسفات مختلفة في تربية الأطفال. لقد وجد علماء الوراثة السلوكية أن
يتألف من الآباء تلطي مجالاً تماماً من الأنماط الشخصية. حتى لو أن الوالدين التتبيين
هم غير معطين في طرق أخرى، فإن القانون الثاني سيبقى لأنه ينشئ من دراسات
نخبة للتوائم أيضاً (26). مع أن نماذج للآباء المثبتين تلطي مجالاً أضيء وأعلى من
اختبارات الذكاء من السكان بشكل عام، مما يفسر لماذا لا ترتبط اختبارات
الذكاء لأطفالهم الباليون وليست بذات علاقة، لأنهم سكان لهم علاقة عندما سكان
الأطفال مسافراً (27)، قبل استكشاف المعاني الثورية لهذه الاكتشافات دعنا نتحول
إلى القانون الثالث.

قسم مهم من التباين في السمات السلوكية المعقدة لدى البشر لا يجب عليه التأثيرات الوراثية أو الأسر. يستتبع هذا مباشرة من القانون الأول، مفترضاً أن الأُسرة الوراثية هي أقل من واحد، والقانون الثاني. فإذا استطعنا تحديد التباين بين البشر إلى تأثيرات المورثات، فإن تأثيرات البيئة المشتركة والبيئة الفريدة، وإذا كانت لتأثيرات المورثات أكبر من الصفر وأقل من واحد، وإذا كانت لتأثيرات البيئة المشتركة أكبر من الصفر، عندئذٍ تأثيرات البيئة الفريدة يجب أن تكون أكبر من الصفر في الحقيقة إنها نحو 750، ويتوقف ذلك - كما هي الحال دائماً - على ما الذي نقيسه وبالضبط على كيفية تقديره. بشكل ملموس، هذا يعني أن التوائم المتطابقة غير تترس معاً (أي يتشابهون المورثات والبيئة الأسرية) هم بعيدون عن أن يكونوا متطابقين في عقولهم وشخصياتهم. لا بد أن يكون هناك أسباب ليست وراثية وغير مشتركة للأسرة التي تجعل التوائم المتطابقين مختلفين، وعموماً تجعل التوائم ما هو عليه (28). فكما هي الحال مع بوب ديلان /مستر جونز/ شيء ما يحدث هنا، لكن لا نعرف ما هو.

ملخص بسيط للقوانين الثلاثة: المورثات 750، البيئة المشتركة صفر، البيئة الفريدة 750 (أو إذا أردت أن تكون محباً للإحسان) المورثات من 40 - 750، البيئة المشتركة من صفر، 710، البيئة الفريدة 750). طريقة بسيطة لتذكر ما نحاول شرحه هو: التوائم المتماثلون هم متماثلون بنسبة 750 سواء ترووا معاً أم ترووا منفصلين (في وضعنا هذا في ذهننا وواقعنا ما يحدث لأضفكارك المفضلة حول تأثيرات التربية في مرثا الطفولة.

مع أن علماء الوراثة السلوكية قد عرفوا ما يتعلق بوراثية السمات الفعلية (التنظيم الأول) طوال عقود، إلا أن الأمر استغرق فترة بسبب غياب تأثيرات البيئة المشتركة (القانون الثاني)، وجاذبية التأثيرات للبيئة الفريدة (القانون الثالث) كي يوضعوا فيها مكان روبرت بلومين ودينس دانيالز أول من أطلق الإنذار في عام 1987 في مقالة بعنوان / لماذا الأطفال في الأسرة ذاتها، يختلف شكل منهم عن الآخر؟ / هذا النشر كان قد لاحظ علماء الوراثة السلوكية، آخرون مثل توماس بوتشارد، وسالندرا سكار

ويهدف لإيصال، وسلط الضوء عليها ديفيدرو في كتابه /حدود تأثير الأسرة/ 1994. وكان أيضا لوح القفز للمورخ فرانك سلوي وكتابه الذي نوقش على مجال واسع حول ترتيب الولادة birth order، والطبع الثوري /مولود سكي يتمدد / ما تزال فلة من الناس خارج علم الورثة السلوكي الذين قدروا فعلاً أهمية القانونين الثاني والثالث.

هذا كله صدم الأنصار في عام 1998 عندما نشرت المألة جوديث ريتش هاريس /سرعان ما وصفتها الصحافة بـ "جدة من نيو جيرسي" كتابها / فرضية التثنية لريتش /. غلاف عدد من مجلة نيوزويك لخص الموضوع: "هل الوالدان مهمان؟ ناقش حان حول كيف يتطور الأطفال". أخذت هاريس القوانين الثلاثة من المجلات، وحاولت جعل الناس يفهمون مضامينها: أن الحكمة التقليدية حول تربية الأطفال وسط الخبراء والانس المتدين على السواء كلاهما على خطأ. روسو هو الذي جعل الوالدين والأطفال المتينين الرئيسين في الدراما البشرية (29). فالأطفال هم همجيون نبيلون. وتربيتهم وتعليمهم إنما أن يسمحا لطبيعتهم الأساسية أن تفتح أو تتركهم في المؤخرة القاسية للضخامة. نسخ من القرن العشرين للهمجي النبيل والصفحة البيضاء قد أثبت الوالدين والأطفال في وسط المسرح لقد زعم السلوكيون أن الأطفال يتم تشكيلهم بإجراءات تمييزية جائزة rein forcem ent contingen cies of، ونصحوا الآباء ألا يتجاوزوا مع مشكلات أطفالهم، لأن ذلك يعني مكافأتهم على الصراع، ويزيد من تكرار السلوك التصاريحي. بينما قال أنصار فرويد أن درجة نجاحنا في الضطام هي التي تشكلنا: تدريب الواليت، وتقليد الوالد من نفس الجنس، كما نصحوا الآباء ألا يربوا الأطفال الرضع في أسرهم، لأن ذلك سوف يسبب أضراراً في رغباتهم الجنسية. لقد نظرت كل منهم أن في الاضطرابات السيكولوجية يلقي اللوم على الأمهات: التوحد على برودنهن، وقصام الشخصية على "روايطنهن المضاعفة، وفقدان الشهية للطعام على الضبط الذي يمارسونه على الفتيات كصي يمكن مثاليات. عدم تقدير النفس حق قدرها عزى إلى "والدين سامين" وكل مشكلة أخرى ترمز إلى "خلل وظيفي في الأسرة". مرضى في أشكال كثيرة من علاج سيكولوجي بينما يتحدثون نحو خمسين دقيقة عن عيش صراعات الطفولة، ومعلم السير الحياتية تكشف موضوعات الطفولة بحثاً عن جذور ماسي واتسارات البالغين.

في هذه الأثناء، معظم الآباء ذوي الثقافة الجيدة يعتقدون أن مصائر أطفالهم بين أيديهم يريدون أن يكون أطفالهم محبوبين وواثقين من أنفسهم، وأن يحملوا على درجات جيدة وأن يبقوا في المدرسة، ويتجنبوا المضدرات والكحول والسجائر، وأن

يتجنبوا الحمل والأبوة لكونهم مازالوا مراهقين ، كما يطلبون منهم الالتزام بالقول.
وأن يصبحوا سعداء في زيجاتهم ، وناجحين مهنياً ، كوكعبة من خبرة الأبوة قدمت لهم
النصائح – فمع أنها متفيرة في محتواها ، إلا أنها لا تشتر في يقينيتها ، ولا كفيها
الحصول على النتيجة. فالوصفة الراهنة تشير على هذا النحو. يجب على الآباء
يحفزوا أطفالهم من خلال دمج ملونة وخبرات متنوعة. (خذهم إلى الخارج. دعهم
يتحسسوا لحاء الشجر بحرية ، هذا ما يصح به أحد أطباء الأطفال ، والذي انضم إلي
في عرض متفرج ذات صباح). يجب أن يطالعو ويتحدثوا إلى أطفالهم قدر ما يستطيعون
كفي يمزوا تطور لغتهم. ويجب أن يتفاعلوا ويتواصلوا مع أطفالهم من شكل الأعمار.
وما من وقت يقضونه معهم بعد وقتاً كثيراً. (نوعية التوقيت " فمكرة مهمة. لأن
الوالدين الماملين يمكنهم أن يقضوا فترة مع أطفالهم بين العشاء ووقت النوم لهم
عن غيابهما أثناء النهار ، لكن سرعان ما أصبح الأمر مزجة قومية ، وقد عُدَّ عتقة من
جانب الأمهات اللواتي لا يترفن أن وظائفهن كانت تتصالح مع مصالح أطفالهن. ينهي
على الآباء أن يعضوا حدوداً معقولة ، دون أن يمارسوا دور الرئاسة على أطفالهم. وإلا
يعطوهم إجازة تامة. ينهي إلغاء العقاب الجسدي مهما كان نوعه. لأن الغش
الجسدي يؤدي إلى استمرارية حلقة العنف. كما يجب على الوالدين ألا يعطوا من فتر
اطفالها أو يقولوا أنهم سيئون ، لأن ذلك يضر في احترامهم لنفسهم. بل على العكس
من ذلك ينبغي عليهم أن يعطوهم بالمناقب ، ويتأكدوا من غير مشروطة من الحب
والقبول. يجب أن يتواصل الآباء – وبشكل مكثف – مع أبنائهم المراهقين وأن يهتموا
بكل جانب من حياتهم.

فلة من الآباء قد بدأت تسائل الأمر الإلزامي كفي يصبحوا آلات أبوية على مدار
الساعة.

ذكرت قصة غلاف عدد من مجلة نيوزويك بعنوان / الفخ الأبوي/عن الأمهات
والآباء الذين يعكسون كل دقيقة خارج معلمهم إلى تسليمة وإشراف على أطفالهم خوفاً
من أن يتحولوا إلى أبناء فاشلين أو جالسين في الكافيتريا. بينما تنصح قصة معلقة في
مجلة بوسطن غلوب بعنوان / كيف تربي طفلاً مثالياً/

إنني مقيدة بشدة بنصائح تربية هذا ما تقوله أليس سكيلي من نيون. " إنني أفرا
شكل شيء عما يفترض أن أقدمه إلى أطفالتي بتجارب لعب إرائية. من المفترض أن أقوم
بالكثير من النشاط الجسدي معهم ، حتى أيقظهم في حالة لياقة جسدية ليكفوا

إسعاد، وتناجيين سلطيمين، ومن المفترض أن أقوم بجميع أنواع الألباب المنكوبة لكي
يخبروا إنكيا. هناك - أيضاً - شكل أنواع اللب. ومن المفترض أن أقوم بكل نوع
منه، الطين من أجل طلي الأصابع، والأعيب ككلماتية من أجل النجاح في القراءة الخ.
لنمران باستطاعتي أن أكرس حياتي إلى تصور ماذا اللب مع أطفالتي³⁰

إبراهيم وورد - طيبة تفتية - فكانت حادثة، لماذا يرغب الآباء أن يظفروا طيبة
بداً فصيحة، ويحضرون وجبتين أو ثلاثاً في الوقت ذاته ؟ لكي يفرحوا أطفالهم .. أحد
الأسباب هو الاعتقاد أن إخبار الطفل أن يختار بين أفضل ماقد قدم له أو تقويت وجبة،
يؤثر بؤدي إلى اضطرابات تفتية، هذه فكرة ما فكانت تخاطر ببال الوالدين في
الطرد الماضية (30).

الفكاهي ديف باري يعلق على تسمية الخبزا إلى والدي المراهقين، بالإضافة
إلى الرافية من أجل علامات تحذير، يجب عليك " أن تحافظ على مسارات التواصل
مفتوحة " بينك شخصياً وبين طفلك. ينبغي أن تهتم بالأشياء التي يهتم بها طفلك. بحيث
تتمكن من تطوير لغة معه كلما نرى من هذا الحوار:

الأب: ما تلك الموسيقى التي تستمع إليها بابني ؟

الابن: إنها فرقة تدعى Limp Bizkit ياوالدي.

الأب: إنهم مقرهون.

يجب عليك أن تسعى إلى هذا النوع من المودة في علاقتك مع طفلك. ولتذكر أن إذا
كان الشبه السمي يفضي إلى الأسوأ، وليس هناك وسيلة أبوية أقوى من عناق جيد. إن
تدبر أن طفلك في مشكلة، فمناقشة عناقاً حميماً طويلاً في مكان عام يحيط بكما
شبان آخرون، بينما تقول له بصوت عال إنك حبيبي، وأنا أحيك بغض النظر عن ماذا .
لك سوف يضايق ابنك كثيراً لدرجة أنه قد يهرب فوراً لينضم إلى سلك ديني صارم
حبيبه الكاملة تتكون من الحمص وإذا لم يجدي عناق كبير، فهدهم بأن تناقشه
تية (31).

هل من الممكن أن تسمية الخبزا قد تكون سلطمة ؟ ربما أن مصيدة الأب هي
الباركة المختلة لعلمان يعرفون المزيد المزيد عن تأثيرات التنشئة بالإمكان مسامحة
الآباء لتخصيص وقت لأنفسهم، لكن إذا كان الخبزا محققين يجب أن يدركوا أن
كل قرار من هذا النوع هو تسوية.

لذلك ما الذي نعرفه حقاً عن التأثيرات الطويلة الأمد للوالدين؟ يقدم التتبع الطويل بين الوالدين - المادة الخام لعلماء الوراثة السلوكي - سبيلاً وحيماً لاكتشاف ذلك. ففي أيّ عينة مكثيرة من العائلات يتباين الوالدان في مقدار التزامها بهنّهما المهيا المتعلقة بالتثنية (إن لم يضل البعض عن المثل الأعلى، لن يكون هنأ فائدة في تقديم النصيحة). تبقى بعض الأمهات في البيت، بينما تدمن الأخريات على العمل. كما أن بعض الوالدين يفقدون أعصابهم، بينما آخرون صبورون كثيراً وبعضهم مهذار، وآخرون صامتون، وبعضهم غير متحمض في حبههم، وآخرون أكثر حذراً. فكمما قالت إحدى الأكاديميات لي بعد أن سحبت صورة طلقها الصغيرة إلى تمديها، بعض البيوت مليئة بالكتب، بينما بيوت أخرى شغوفة بالتلفاز. بعض الوالدين يبرعون حبه الرومانسي بطريقة سخيفة، بينما آخرون يتشاجرون مثل ماغي وبيكز بعض الأمهات مثل جين كلينغر والأخريات محببات أو مضطربات أو غير منضات فوفقاً لحكمة قديمة هذه الفروقات يجب أن تشكل حارقاً. ففي الحد الأدنى، طلاق يترجمها في أحد هذه البيوت، ولديهما الأم والأب، والتلفاز والكتب نفسها وكل شيء آخر، ينبغي أن يصيها متماثلين أكثر من طفلين يترجمان في بيتين مختلفين. رؤية ما إذا كانا مختلفين هي امتحان مباشر وأكثر تأكيداً. إن ذلك لا يعتمد على أي فرضية حول ما على الآباء أن يفعلوه مكفي يديروا أطفالهم أو كيف سوف يستجيب أطفالهم فالأمر لا يعتمد على مقدار حسن قياسنا للبيئات البيئية. فإذا كان أي شيء يفعلها الوالدان يؤثر على الأطفال بأية طريقة منهجية، إذن الأطفال الذين يترجمون مع الوالدين نفسيهما سوف يصيكون أكثر تشابهاً من الأطفال الذين يصيكون مع والدين مختلفين.

لكنهم لا يفعلون ذلك. تذكر الاكتشافات التي يستند إليها الغانون التي الأخوة الذين تربوا معاً يفدون ليسوا أكثر تشابهاً من الأخوة المنفصلين عند الولادة والأخوة الذين جرى تبنيهم ليسوا أكثر تشابهاً من الغرباء. وقد تكون أوجه الشبه بين الأخوة تميز إلى مورثاتهم المشتركة. جميع تلك الفروقات بين الوالدين والبيوت ليس لها تأثيرات متوقفة طويلة على شخصيات أبنائهم. لثلاً نعلق هدفاً جميلاً عليها، لكن معظم التصالح من خبراء التربية لا تعدو كونها هراء.

لكن هل النصيحة - بالتأكيد - لها أصلها في البحث في تطور الأطفال؟ نعم، المعهد من الدراسات التي لا فائدة لها، التي تبين العلاقة بين سلوك الوالدين وسلوك

المصالح البيولوجيين، توصلت إلى نتيجة أن التربية تشكل الطفل، وكانها ليس
قوة دور. في حقبة الأمر، الدراسات هي أسوأ من ذلك، حتى لو لم يكن هناك عامل
قوة، فإن العلاقة بين الآباء والأبناء لن تتضمن أن ممارسات الوالدين تشكل الأبناء.
لها قد تتضمن أن الأبناء يشكلون ممارسات النشئة (32). فكلما يلم أي والد لأكثر
من طفل أن الأطفال ليسوا حكومات لا يمكن التمييز بينها على أنهم مادة خام بانتظار
أن تشكلك إنهم صغار مولودون بشخصيات. ويتفاعل الناس مع شخصيات الناس
الأخرين، حتى لو لم يكن المرء والداً والأخر أبنياً. فوالدا طفل محب قد يبدلان ذلك
حسب وبذلك يتصرفان بشكل مختلف عن والدي طفل يسمح قبيلات والديه ويشمر
بالانزعاج منها، وقد يشمر والدا طفل هادئ مدلل أنهما يتحدثان إلى حائط، ويثرثران
إبه اقل ووالدا طفل مطيع يستلعمان الضي ببهذا بخطوات ثابتة معقولة. والدا طفل
سوأ، قد يجدا نفسيهما في نهاية عقليهما أو يطبقان القتاون أو يستلما. بكللمات
أخرى، العلاقة لا تتضمن السببية. فالعلاقة بين آباء وأبناء لا تعني أن الآباء يؤثران على
الأطفال، لكن قد تعني أن الأطفال يؤثران على الآباء، وأن المورثات تؤثر على شكل
آباء والأطفال أو على شكلهما.

لكن الأمر يزداد سوءاً. ففي دراسات عديدة، الأقران أنفسهم (في بعض
الدراسات الوالدين، وفي دراسات أخرى الأطفال) يقدمون البيانات على سلوك شكل
الوالدين والطفل. فالآباء يقولون للمجرب كيف يماثلون أبنائهم، وما أطفالهم عليه، أو
مراقبون يخبرون المجرب بما هم عليه وكيف يماثلهم آباؤهم. تلك الدراسات -
برتيب - تبين علاقات أقوى بكثير من العلاقات التي يقوم فيها فريق ثالث، والوالدين
والأطفال (33). ليست المشكلة فقط أن الناس يميلون إلى النظر إلى أنفسهم وإلى
أسرهم عبر الورد الزهرية نفسها أو العدسات المنحازة بل أيضاً العلاقة بين الوالدين
والمرافقين هي شارع ذو اتجاهين. ويعلق هاريس عند تطبيقه على دراسة مرووفة على
نطاق واسع نشرت عام 1997، زعم المؤلفون - فقط على أساس ردود أفعال المرافقين
على استبيان حولهم وحول أسرهم: "إن الرابطة الأسرية الأبوية" روابط متينة، وتوقعات
عالية، ومحبة واهرة - هي وقائية ضد شرور المرافقة: كالكحدرات، والسجائر،
والجنس غير الآمن. وعن ذلك يقول هاريس:

شخص سعيد يميل إلى تقديم الإجابات المفرحة على جميع الأسئلة. نعم والداي
جيدان معي، نعم إنني أربي حسناً. بينما شخص يهتم بتقديم وجه مقبول اجتماعياً للعالم

يتمتع عن إعطاء إجابات مقبولة اجتماعياً، نعم والداي جبدان معي، ككلا لم اظهر اي شجارات، او لم ادخل اي شيء غير قانوني. بينما يتمتع الشخص الغاضب او المرسل عن تقديم إجابات غاضبية أو محيطية. والداي احمقان، وقد رسبت في امتحاننا من الجبر، وليذهب استصمامك إلى الجحيم.

ربما الذي خلال تلك الوصفالات التقديرية الثماني عشرة بالاعتقاد انها طرفة تحصل على 25 مليون دولار هي الطريقة الإيجابية التي صاغها الباحثون لاكتشافهم علاقات جيدة مع الوالدين تمارس تأثيراً حثيماً. إنها مصنوعة بطريقة مختلفة لكنها دقيقة، لكن النتائج تبدو أقل أهمية: فالمرهقون الذين لا تسيير أمورهم بشكل جيد مع والديهم، من المرجح أكثر أن يتعاملوا المخدرات، أو أن يتورطوا في ممارسة الجنس خطيرة، فالنتائج المصاغة بهذه الطريقة تبدو أقل أهمية: فالمرهقون الذين يتاملون المخدرات أو يتورطون في ممارسة جنسية خطيرة لا تسيير أمورهم سيراً حسناً مع والديهم(34).

مع ذلك، تبرز مشكلة أخرى عندما يوجه الباحثون ككل أسئلتهم إلى الوالدين بدلاً من توجيهها إلى الأبناء، فالناس يتصرفون بشكل مختلف في بيئات مختلفة، وتلك تشمل الأبناء الذين يميلون لأن يسلطوا بشكل مختلف داخل وخارج البيت لذلك حتى إن يؤثر سلوك الوالدين على كيفية سلوك أبنائهم معهم، فقد لا يؤثر على كيفية سلوك أبنائهم مع أناس آخرين. عندما يصف الآباء سلوك أبنائهم، فإنهم يصفون السلوك الذي يرونه في البيت، لئيبان أن الوالدين يشكّلان أطفالهم. سيكتون علم الدراسة أن تكون هي المسيطرة بالنسبة للمورثات (عن طريق الاختيار التواتم أو التميز تبنينهم) تميز بين والدين يؤثران على الأبناء، وأبناء يؤثران على الوالدين، ثم يقارن الآباء والأبناء بشكل مستقل. انظر كيف يسلك الأطفال خارج البيت بدلاً من داخله. اختبر أبناء آخرين وبالذين شيئاً ثلوية ما إذا كانت هناك أية تأثيرات عابرة أم دائمة ما من دراسة زعمت أن التثنية قد لبث هذه المعايير (35).

إن تبين الدراسات الوراثية السلوكية عدم وجود تأثيرات دائمة للبيت، دراسات ممارسة الأبوة هي غير معلوماتية uninformatic، فهاذا عن الدراسات التي تقارن البيئات المحيطة بالطفولة؟ النتائج مشجعة. لقد بنيت دراسات أجريت على مدى عقود أن جميع الأشياء بما أنها متساوية، فإن الأطفال يقدون بالطريقة ذاتها سواء كانت أمهاتهم ينهين إلى العمل أو يبقين في البيت، سواء وضعوا في رعاية نهائية أم لا. ما

كان لديهم اقارب أو أنهم أطفال وحيدون، سواء والداهما زواجهما تقليدي أم منفتح، سواء يكسبون في بيت Ozzie and Harriet، أو في جماعة هيبية. ما إذا ضاقت معاملتهم مرتبة أم غرضية، أو حدثت في أنبوب اختيار. وما إذا كان لديهم والدان من الجنس نفسه، أو أب من شكل جنس(36).

فحتى إن يكبر الابن دون أب في المنزل، مما يتلزم مع متاعب مثل الطرد من المدرسة، والكسطل، وإنجاب أطفال عندما يكسبون في سن المراهقة قد لا يسبب المتاعب بشكل مباشر(37). الأبناء ذوو التجارب التي ينبغي أن توضع عن قدام الأب مثل أن يكسبون للطفل زوج أم، أو العيش مع جدة، أو احتكاك متكرر مع والده البيولوجي فهذه ليست حالات أفضل. عدد سنوات وجود الأب في المنزل قبل تركه له لا يشكل فارقاً. والأطفال الذين تولوا أبائهم ليس لديهم النتائج السيئة التي لدى من تركوا بعيداً عن والديهم، أو لم يكسبوا هناك بجانبهم أبداً. قد لا يكون غياب الوالد سبباً لمشكلات المراهقة، بل علاقة بالأسباب الحقيقية التي قد تشمل الفقر، أو علاقة بجوار أناس ليس بينهم روابط كالكثيرين يعيشون في حالة تعدد زوجات، ويتأخسون من أجل الحصول على المحكمة، منافسة تنسم بالمنفعة الانتقال المتكرر (الذي يجبر الأطفال أن يبدلوا من الصفرة في جماعات جديدة من اقربانهم، والوراثات التي تجعل كلاً الآباء والأبناء ترفيق ومحبين للشجار).

كان عقد التسمينات عقد الدماغ، والعقد الذي جرى فيه إخبار الوالدين أنهم مسؤولان عن أدمغة أبنائهم الصغار. لقد وصفت السنوات الثلاث الأولى من الحياة كتأنيذة مهمة للفرصة التي فيها ينبغي أن يتم تحفيز دماغ الطفل باستمرار لكي يبقى في حالة نمو وكما ينبغي. لقد وجه اللوم إلى الوالدين اللذين يتحدثان إلى الأطفال متأخرين لعدم تغطيتهم بكثرة الكلام، وكما وجه اللوم إلى مساوئ داخل المدينة لأنه قد فرض على الأطفال أن يحدقوا إلى حيطان فارغة. عقد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وزوجته هيلاري مؤتمراً في البيت الأبيض لكي يعلموا ما مصير الأبحاث. قالت السيدة كلينتون إن تجارب السنوات الأولى تستطيع أن تقرر ما إذا سوف ينمو الأطفال سائلي أم مواطنين متحفيين، عاملين غير منضبطين أم يركزون على عملهم، آباء مهتمين أم غير مهالين(38). كلما طلب حاكما ولايتي جورجيا وميسوري من المشرعين -مقابل ملايين الدولارات - أن يوزعوا لكل أم جديدة قرصاً مدمجاً موسيقياً لوزارت. لقد أربكت تجارب على تطور دماغ الطفل الرضيع - لأنها لم تكن تستحق المنايعة

زاعمة ان البالغين يجنون فائدة من الاستماع إلى دقائق من موسيقى موزارت(89)
طبيب الأطفال، والأستاذ في رعاية الأطفال ت. بييري برازلتون كان لديه الأثر
الأكثر نقاداً: ان التربية أثناء السنوات الثلاث الأولى سوف تحمي الأطفال من إقتر
التبغ عندما يصبحوا مراهقين (40).

في كتابه / اسطورة السنوات الثلاث الأولى / قال خبير علم الأعصاب الصريح
جون برور ان هذه المزاعم المدهشة لا تستند على أرضية علمية (41). ولم يوثق على
نفس فترة حرجة لتطور معرفي أو لغوي ينتهي في سن الثالثة. ومع ان حرمان حوار من
التحفيز (من خلال خياطة إحدى عينيه، أو إبقائه في قفص لوحده) قد يلحق الضرر
بنمو دماغه، وليس هناك دليل على ان تقديم المزيد من التحفيز (أكثر مما تقدمه
العضوية في حياتها العادية) يزيد من نموه الدماغي.

إن البحث في البيئات الأسرية لا شيء فيه يناقض القانون الثاني عند علماء الوراثة
السلوكي، الذي يقول إن النشأة في أسرة محددة ذو تأثير قليل، أو ليس لها تأثير
منتظم على عقل المرء وشخصيته. هذه النتيجة تترسكنا مع الفلز الذي يدفع إلى العنبر
ليس الأمر كله في المورثات، نحو نصف التباين في الشخصية، والذكاء، والسلوك
يأتي من شيء في البيئة. لكن مهما يكن ذلك الشيء، لا يمكن ان يشاركه طفلان
يتربعا معاً في نفس البيت ونفس الوالدين. وذلك يلغي جميع الأشياء السابقة ما هو
العامل المرافق لدى المستر جونز؟

راعضين التحلي عن دور الوالدين، فقد درب بعض علماء نفس التطور بصبرهم
على الإمكانية المتبقية التي تمنحها الوالدين دور البطلولة. يقول عجز البيئة المشتركة ان
ما يمنحه الوالدان لجميع أطفالهم فقط، هو أنهم عاجزون عن تشكيلهم. لكن كما
بيدو - لا يماثل الوالدان أطفالهم بالنسوي. ربما التشئة المتفردة ان الأمهات والآباء
يتكيفون وفقاً لكل طفل وهذا التكيف له القدرة على تشكيلهم. إنه التفاعل المتبادل
بين الوالدين والأطفال هو الذي يؤثر عليهم، وليس من قياس واحد يتناسب لكل فلسفة
التشئة(42).

في البداية بيدو هذا معقولاً، لكن عندما تنكسر فيه ملبأ تجد ان للوالدين دوراً
تشكيباً، أو لا يقدم نصائح التشئة في نهاية المطاف (43).

فماذا سيحسون شكل هذه التشبته المتفرقة؟ من المفترض ان يفصل الوالدان ابوتها وفقاً لاحتياجات ومواهب كل طفل. فطفل عند سوف يستطب طريقة أكثر خزاناً من طفل مطيع، وطفل خائف سوف يستطب حمائية أكثر من طفل جسور. للتشكته - كما رأينا في قسم سابق - هي ان الفروقات في الابوين لا يمكن فصلها عن الفروقات الموجودة مسبقاً في الأبناء. فإن يتحول الطفل الخائف إلى بالغ خائف، بلنا لا نعرف ما إذا كان ذلك نتيجة للحمائية المفرطة للأبوة أو استمراره كونه خائفاً بالطورة كما ولد.

ومن المذهل ان يستطب الأطفال فروقات منهجية في التشبته فإنها ستظهر على لها تأثير الوراثة: إنها سوف تدخل في بند قابلية الوراثة وليس في بند البيئة الفريدة. السبب هو ان قابلية الوراثة هي مقياس للعلاقة ولا يستطيع تمييز التأثيرات المباشرة لهوراث (بروتينات تساعد على تسليك wire الدماغ أو إطلاق هرمونات) عن التأثيرات غير المباشرة التي تشغل روابط عديدة. لقد ذكرت أننا ان الجداين هم أكثر تأسيماً بينهم، يعتقد لأنهم اعتادوا على تقبيل الآخرين لهم. وهذا هو تأثير غير مباشر للوراث، وسيجعل نزعاً تأسيماً الذات قابلية للوراثة حتى لو لم يكن هناك مورثات لأمنة تأسيذية للذات، فقط مورثات لعين بنفسجية لتتم من أجلها. وبالمثل فإن الأفعال الذين لديهم خصائص فطرية محددة يطمون والديهم أكثر سبراً، أو شجيين لهم أو صارمين أكثر، وبالتالي سوف يعد الصبر والتشجيع والصرامة من قبل الوالدين وراثية. فإذا كانت هذه التشبته المتفرقة تؤثر فعلاً على ما سيصبح عليه الأبناء، فإن باستطاعة منقذ - ويشكل مشروع - أن يقول ان التأثيرات المباشرة للوراث قد بولغ في تقديرها، لأن بعض هذه التأثيرات ستحسون تأثيرات غير مباشرة لوراث الأبناء على خصائص الأطفال الذين يؤثرين على سلوك والديهم، والذي يؤثر بدوره على الأطفال. الفرضية هي زخرفة كلامية، وسوف أبين لماذا يرجع الا تشبته سحيحة، لكن دعنا نفترض أنها صحيحة من أجل النقاش، لكن تأثيرات الوالدين - في أفضل الحالات - سوف تتحارب مع التأثيرات الوراثة الأخرى (سواء تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة) من أجل 740 إلى 750 الفروقات التي تعزى إلى المورثات. نسبة 750 التي نرى إلى البيئة الفريدة ما تزال من أجل الانتزاع.

فماذا ما لا بد من حدوثه إذا كان يتوجب أن تفسر تأثيرات البيئة الفريدة بالتفاعل التبادل بين الوالدين والأطفال (مستخدماً المعنى الإحصائي الذي كلفته أكتشاف

التبادل التي لها علاقة بلغزنا). وسيكون على ممارسته أن تؤثر على بعض الأطفال بطريقة ما ، وعلى أطفال آخرين بطريقة أخرى ، والتأثيرات ينبغي أن تلمس طين سيز المثال يؤدي عدم استخدام المحبة إلى تمبيح بعض الأطفال (مما يجعلهم أكثر غداً، وتعلم آخرين أن العنف ليس حلاً -مما يجعلهم أقل عنفاً). إظهار المحبة يجب أن يميل بعض الأطفال محبين أكثر (لأنهم يشعرون بالديهم) وأطفال آخرون محبون أقل الأهم يتفاعلون ضد والديهم). السبب الذي يجعل التأثيرات تنحيز في اتجاهات متعاكسة من أن ممارسة الوالدين مكان لها تأثير متسق - بمعدل وسطي - عبر جميع الأطفال. فهي سوف تصبح تأثيراً للبيئة المشتركة. الأقارب المتبنون سيكفون متماثلين. والأخت الذين يكفون معاً سيكفون أكثر شبيهاً من الأحفاد الذين كفيروا متباعين من بعضهم. وإذا ما طلق بنجاح على بعض أنواع الأطفال ، وتم تجنبه أو مكان غير فعال في أنواع أخرى من الأطفال ، فإنه سوف يصبح كتأثير من المورثات.

المشكلات مع فكرة التفاعل بين الوالدين - والطفل تصبح الآن جلية لمرء يكاد يقبل التصديق مفاده أن أي تصرفات من قبل الوالدين سيكفون لها تأثيرات مختلفة جذرياً على أطفال مختلفين ، وأن مجموع التأثيرات (للبيئة المشتركة) سيغير ناتجه سفيراً. فإذا كان التناقض فقط يجعل بعض الأطفال أكثر ثقة وليس له تأثير على الآخرين ، إذن فإن المتأثرين سيكفون أطفالاً متوسطي الثقة (بعضهم يصبح أكثر ثقة، بينما لا يبدي آخرون أي تغير) أكثر من السمك البارد. لكن مورثات التبن لا تقل كما يبدو. نضع ذلك بعلمات هنية ما لوفة لدى علماء النفس: قلما تجد تفاعلاً متماثياً عابراً ، أي: تفاعل دون تأثيرات رئيسة. وهذا أيضاً واحد من الأسباب الفاتحة إن الوراث ذاتها لا يمكن تقليل دورها إلى تشئة محددة خاصة بالأطفال. فما لم يكن سلوك الوالدين محدداً تماماً من قبل الخصائص الفطرية لدى طفلها فإن بعض الأب يدتصرفون بطريقة مطلقة نوعاً عن الآخرين عبر اللوحة ، وستجلى ذلك في تأثيرات البيئة المشتركة التي يكون لها تأثيرات قليلة بسيطة ، في حقيقة الأمر يمكن إعمالها.

لكن دعنا نقول إن هذه التفاعلات بين الطفل والوالد موجودة فعلاً ، وتشكل الطفل فعلاً. وبالتالي ستكون نصيحة الأب بلا فائدة من الجانب الأخلاقي للوحة. فتم شيء يفعله الوالدان هو لجمال بعض الأطفال أفضل ، وسوف يشكل عدداً مساوياً للأطفال أكثر سوماً.

على أي حال ، بالإمكان اختبار نظرية التفاعل بين الأب والابن مباشرة. ويستطيع علماء النفس قياس كيفية تعامل الآباء مع الأطفال المختلفين ضمن عائلة. وأن يروا ما إذا كانت التفاعلات ترتبط بالكيفية التي يبدو عليها الأبناء. من خلال ثابت المورثات. إلا أنهم لا يفعلون ذلك. بل بكل حالة تقريباً. فمن الناحية الافتراضية جميع الفروقات في تنشئة ضمن عائلة. بالإمكان تفسيرها كمرودود أطفال على فروقات وراثية ولدت مع الأطفال فالسلوك الأبوي الذي لا يتفاوت تبعاً للأطفال لأسباب غير وراثية مثل الصراخ المزيج الذي يشمله بعض الأخوة. أو المزيد من السمي التربوي الموجه إلى أخ أكثر من الآخر. ليس لهما أي تأثير (44). فالمسؤول عن دراسة بطولية حديثة - والذي كان يأمل أن يبرهن أن الفروقات في التفاعل تنشئت توتراً فعلاً على كيفية تشكل الأطفال - اعترف أن النتائج التي توصلت إليها الدراسة قد صدقته (45).

هناك طريقة أخرى. فقد تختلف البيئة البيئية بين الأطفال في الأسرة ذاتها بسبب لا علاقة لها بالمورثات: ترتيب الولادة birth order. إذ ينال البكر عادة عدة سنوات من اهتمام والدهم. ودون أخوة مزعجين حوله. وينبغي على المولودين لاحقاً أن يتفاوضوا مع أخوتهم على اهتمام الوالدين. وعلى موارد عائلية أخرى. وعليهم أن يفهموا كيفية الحفاظ على الاهتمام بهم ضد أي منافسين أقوى منهم.

فتي كتابه / مولود سكي بتسرد / تبدأ صلوي sulloway أن الأطفال البكر يجب أن يستلوا مزاياهم في شخصية أكثر ثقة (46). وبما أنهم يقدمون والدهم. ومن خلال تنوع الحالة الراهنة يجب أن يتكبروا لهكفونوا محافظين ووجدانيين أكثر. أما الأطفال الذين كانت ولادتهم متأخرة فينبغي أن يكونوا مهالين لأن يصبحوا توفيقين أكثر. ومنفتحين على الأفضكار والتجارب الجديدة. مع أن أطباء الأسرة والتاس المربين لديهم هذه الانطباعات منذ مدة طويلة. فقد حاول صلوي شرحها من خلال نظرية تريفيزر القائلة بصراع الآباء مع الأبناء. انسجام. ومنافسة الأخوة. وجد بعض دعم لهذه الأفضكار في مزيد من التحليل لدراسات ترتيب الولادة والشخصية (47).

تشرط نظرية صلوي أيضاً أن يستخدم الآباء الاستراتيجيات ذاتها خارج البيت - مع أقرانهم وزملائهم. الاستراتيجيات ذاتها التي خدمتهم داخل البيت. وهذا لا يتبع من نظرية تريفيزر. بل يناقض النظرية الأكبر حول سيكولوجيا التطور. أن العلاقات مع اقارب الدم يجب أن تكون مختلفة عن العلاقات مع غير الاقارب. فالتفككتكمات التي نعمل على قروب أو والد قد لا تفهد تماماً مع زميل أو غريب. لقد بينت التحليلات

اللاحقة أن أي تأثيرات لثربوب الولادة على الشخصية تظهر في الدراسات التي تنكسر القارب أو أبناء أن يصنف شكل منهم الآخر. أو يصنفوا بعضهم بما يتعلق بأحد الأمور الذي يستتبع أن يقوم فقط علاقاتهم الأسرية. عندما يجري قياس الشخصية من طرف أفراد جهادين خارج الأسرة، فإن تأثيرات ثربوب الولادة تتضائل أو تتلاشى (Kagan, 1984) في فروقات في التشبه مع البصقور والمتأخرين - سواء كانوا أبناء مبتدئين أم ذوي خبرة. أم اهتمام منقسم أو غير منقسم، وضغط من أجل استثمارية ميراث الأسرة، أو التنصت مع الأطفال - يبدو أنه ذو تأثير قليل أو لا تأثير له على الشخصية خارج البيت

أوجه الشبه ضمن البيت لا تتشكل الأطفال، كما أن الفروقات ضمن البيت تتشكل الأطفال. ومن المحتمل - كما يقول هاريس: يجب علينا أن ننظر خارج البيت

فإذا تركزت في مكان مختلف من العالم عن المكان الذي نشأ فيه والداك. فنفسك بالسؤال التالي: هل تبدو مثل والديك، أم مثل الناس الذين كبريت معهم؟ وما من طريقة ليسك أو الموسيقى التي تستمع إليها، أو كيفية تفضيتك لأوقات فراغك؟ فكفر بمسألة إذا ما فكبر أطفالك في جزء مختلف من العالم عن العالم الذي كبرين فيه. فسي شكل حالة تقريباً، تتم قولية الناس على نماذج أقرانهم، وليس على نماذج والديهم.

هذا هو التفسير الذي يقدمه هاريس للمكون البيئي المزاوغ للشخصية، ويسميه نظرية الاندماج الاجتماعي للجماعة. إلا أن الأمر ليس شكله في المورثات، وما هو ليس في المورثات فليس من الآباء أيضاً. فالاندماج الاجتماعي - أي اكتساب النمط والمهارات الضرورية لكي تتعمل في مجتمع ما - يحدث في مجموعة الأقران. كما أن لدى الأطفال ثقافات أيضاً، والتي تضم أجزاء من ثقافة البالغين، وطورون - أيضاً - قهياً ومعايير خاصة بهم. لا يقتضي الأطفال ساعات يقظتهم وهم يحاولون أن يصنعوا نسخاً أفضل. وأفضل من البالغين حتى إتهم يحاولون أن يصنعوا أطفالاً أفضل. أفضل يتومون بعمل جيد في مجتمعهم الخاص بهم. فلي هذه البوتقة يتم تشكيل شخصياتها.

هاريس الذي سكان هاجسه تامل الوالدين مع أطفالهما، فكانت دراساته معارسة نظرية حديثة. فلي مجتمعات غابرة، فكانت الأمهات يحملن أطفالهن على أوراكنهن، أو على ظهورهن، ويرضعهن وفق طلب الأطفال ذلك، حتى يصل الطفل التالي بعد سنة

أو سنتين. وأبناء عمومته، بعد ذلك كان الطفل يلعب مع جماعته وأبناء عمومته متحولاً من كونه المستفيد من شكل اهتمام أمه إلى من ليس محل اهتمامها. فالأطفال يتوسون أو يسبحون في بيئة أطفال آخرين.

لا يجنب الأطفال إلى معايير أقرانهم فقط، لكن إلى أي درجة هم محصنون من توقعات أقرانهم. لتتبع نظرية صراع الآباء مع الأبناء أن الوالدين لا يُدعيان دائماً قطعاً في الاهتمامات الأفضل لدى الطفل. لذلك فإن الأطفال يتألقون مكافآت والدعم وخطواتهم، ومضاتبات راعنة لأنهم أصغر وليس لديهم خيار. هوقفاً للنظرية، يجب ألا يسمحوا لشخصياتهم أن يتم تشكيكها بهذه التكتيكات. يجب أن يتعلم الأطفال ما الذي يتطلبه الفوز بمكافأة بين أقرانهم، لأن المكافأة في عمر ما تعطيمهم ركيزة في الصراع من أجل المكافأة في مرحلة عمرية تالية، من بينها مرحلتى - الشاب البالغ حين يتنافسون على اهتمام الجنس الآخر (50).

فالندي شدني إلى نظرية هاريس هو قدرتها على تفسير عشرات الحقائق المحيرة في قسم علم النفس الذي أجعل فيه، إلا وهو اللغة (51). يجادل علماء سيكولوجيا اللغة كثيراً حول دور الوراثة والبيئة، لكنهم جميعاً يساؤون البيئة مع الوالدين. لكن طواعير كثيرة من تطور اللغة عند الأطفال لا تتسجم مع تلك المساواة. ففي التربية التقليدية لا تقول الأمهات الكثير لأطفالهن حتى يصبحوا في سن كافية تمكثهم من أن يتوسعوا نهاية الحديث، فالأطفال يلتقطون اللغة من الأطفال الآخرين. فكلمات الناس - تقريباً دائماً - تشبه لكلمات أقرانهم في الطفولة، ولا تشبه لكلمات والديهم. ويختصب أطفال المهاجرين اللغة في وطنهم الثاني، تماماً، دون لكفنة أجنبية، طالما أنهم على احتكاك مع أقرانهم يتحدثون اللغة الأصلية. ويمتدح يحاولون إجبار والديهم على التحول إلى اللغة الجديدة، وإذا نجح الأطفال في ذلك فقد ينسون اللغة الأم كلياً. ويسمح الشيء ذاته على أطفال يستمعون إلى آباءهم الذين يتعلمون اللغة المنطوقة لجنتمهم دون أي عتد. أما الأطفال الذين يتربون مع بعضهم دون لغة مشتركة مع الطيار، سوف يتكلمون - وبسرعة - لغة مشتركة، وهذه هي الصيغة التي تبدأ بها اللغات، لغات الإشارة، للصمم، التي ظهرت إلى الوجود. فلفة محددة ككالإنجليزية أو اليابانية (كفتيخ لفريرة اللغة بشكل عام) هي مثال على سلوك اجتماعي مكتسب بانياز. إن ينمي الأطفال أذناً مرهفة لتروقات كلام أقرانهم، وإن يرموا مصيرهم بلفة قرانهم خارج والديهم، فإن ذلك يعني أن هوائياتهم الاجتماعية موجهة نحو أقرانهم.

يمتص أطفال المهاجرين ليس فقط لغة وطنهم الثاني، بل ثقافته أيضاً. لقد نقل أجدادي - طوال حياتهم كلها - غرباء في بلاد غريبة. سيارات، مصارف، لطا، مدارس، ومفهوم مدني للذين يؤدي إلى تركهم حائرين ومربكين لو أن الطفل العائلة غير الوظيفية " كانت قد صيغت في الثلاثينات وأربعينات القرن العشرين. لمكانت انطبقت عليهم. مع ذلك، فإن والدي الذي ترعرع في مجتمع مهاجرين وصلوا في عقود مختلفة قد انجذبوا إلى عائلات وأطفال أخرى، فكانت تعرف الجبال، وأصبوا سعداء وناجحين. مثل هذه القصص شائعة في تواريخ تجارب المهاجرين (52). لذلك لما نسر على أن والدي الأطفال هم المفتاح للكيفية التي سوف يصبحون عليها ؟

تؤكد الدراسات أن ما يعرفه نكل والد هو ما لا يهتم أمرؤ يتصالح مع نظريان تطور الطفل: ما إذا كان المراهقون يدخون، أم يدخلون في مناقشات مع القاتن، أو يرتكبون جرائم خطيرة، فذلك يعتمد على ما يفعله أمثالهم أكثر مما يعتمد على ما يفعله أبواهم (53). يعلق هاريس على النظرية المشهورة القائلة أن الأطفال يصبحون جانحين لكي ينجزوا "محاكمة البالغ"، أي سلطة وامتياز رجل بالغ. إذا أراد المراهقون أن يكونوا مثل البالغين، فإنهم لن يكونوا نشالين من الصيدليات، أو يهرشوا باللذذ، أو ليلقوا المارة بجملة "ليزا، أنا أحبك"، فهذا صكاتوا بطمحون فعلاً إلى محاكمة ناصح سوف يعملون أشياء يفعلها البالغون، مثل اختيار المصيفة، وتقدير ضرائب دخلهم (54).

حتى الاكتشاف التادير لتأثير البيئة المشتركة، والاكتشاف المراءع كذلك لتفاعل بين المورثات والبيئة، يظهران فقط عندما نستبدل الأقران بالآباء في ألبنة. فمن هي جزء من المعادلة. فالأطفال الذين يكبرون في البيت ذاته يعملون لأن يشبهوا بعضهم في مدى هشاشتهم للجنوح، بغض النظر عن متانة رابطتهم. لكن ذلك التشابه يتماسد فقط إذا كانوا متقاربين في السن، ويمضون الوقت معاً خارج البيت، وهذا يعني لهم ينتمون إلى الجماعة ذاتها من الأقران (55). في دراسة دامارضية كبيرة حول التبي سكان أطفال المحكومين - لحد ما - أكثر احتمالاً في الوقوع بمتابع أكثر من أطفال بيولوجيين لمواطنين يلتزمون بالقانون، مما يعني أن تأثير المورثات مساو للصفير لكن القابلية لجريمة سكان مضاعفاً، في حالة الأطفال الذين تم تبنيهم من قبل آباء، كانوا مجرمين، والذين عاشوا في مدينة كبيرة، مما يعني أن الأطفال العرضيين لخطر وراثي قد كبروا في محيط معدل الجريمة فيه عال (56)

ذلك لا يعني أن الآباء لا أهمية لهم^٩. فهي نواح عديدة للآباء أهمية كبيرة. بالنسبة لمظم الوجود البشري، ما هو الأكثر أهمية والذي يقدمه الآباء إلى أطفالهم هو الحفاظ عليهم على قيد الحياة، فالآباء - بالتأكيد - يمتثلون بإيذاء أطفالهم من خلال سوء معاملتهم أو إهمالهم، فالأطفال بحاجة إلى نوع من التربية في سنواتهم الأولى، مع أنها قد لا تكون أبوية بالضرورة، وقد لا تكون على يدي رجل بالغ حتى، فالشبان يناس، واللاجئون غالباً، يصبحون جديدين - نسبياً - إذا شعروا بالارتياح وسط الأطفال الآخرين، حتى لو لم يكن لديهم آباء أو ناضجون آخرون حولهم (57). هذا لا يعني أن الأطفال يكفونوا سعاداء، لكن خلافاً للاعتقاد الشائع - لا يتحول الأطفال النساء إلى البالغين فاشلين بالضرورة. يختار الوالدان بيئة لأطفالهم، وبذلك ينتقون جماعة أقران لأبنائهم. ويقدمون المهارات والمعرفة كالتقراءة، والعزف على آلة موسيقية. ويثرون على سلوك أطفالهم داخل البيت، تماماً مثلما تستطيع النساء الوجهات أن يوثن على السلوك داخل إطفائياتهم، لكن لا يبدو أن سلوك الوالدين يشكل شكلاً نظماً لغالبهما أو شخصياتهم على المدى البعيد. يسأل أناس كثيرون: "أنت تقول إن لا أهمية للكيفية التي أعامل بها طفلي؟" إنه سؤال موح، وسوف أناقشه في نهاية الفصل. لكن أولاً، دعنا نعرض رد الفعل العام على نظرية هاريس، وتقييمي الشخصي الخاص.

كانت فرضية التنشئة - بأي معيار نظرنا إليها - مساهمة رئيسية للحياة الفكرية الحديثة. فهي الرافد من أن المفكرة الرئيسية مضادة للمعرفة الهندسية للوهلة الأولى. إلا أن الكتاب له رنين الحقيقة: أطفال حقيقيون يربطون بين دفتيه، ولا شكوى من بنى نظرية صغيرة يدعى أن لا أحد يقابلها في الحياة الواقعية. لقد عزز هاريس فرضيته ببيانات ساطعة من مجالات شتى، وفسرها بعين تحليلية حاذقة قلما تتوفر في مجال العلوم الاجتماعية؛ مقترحات من أجل اختبارات تجريبية قد تثبت بطلانها. فكما يضم الكتاب سياسة أصيلة لمقترحات مشكلات معقدة، ولحلها نحتاج إلى أفكار جديدة مثل الفشل الدراسي، والتدخل في فترة المراهقة، وجنوح الأحداث. وإذا ما اتضحت أجزاء رئيسية أنها خاطئة، فإن الكتاب يجبر المرء أن يفكر في الطفولة، وبالتالي بما يجعلنا مانحن عليه وبطريقة جديدة ذات بصيرة عالية.

إن كفيف كان رد الفعل الشعبي عليها؟ كان العرض الجماهيري الأول للنظرية في بضع صفحات من كتابي / كفيف يعمل العقل / الذي عرضت فيه البحث استناداً إلى القرائن الثلاثة لعلم الوراثة الملوسكي، ورسالة هاريس المقدمة عام 1995 التي

نفسها. لقد اختارت مراجعات مكتب كثيرة تلك الصفحات للنقاش مثل التعليل التكرار
لمارغريت رينهايم Wertheim:

لم أر أبدأ - في السنوات الخمس عشرة التي قضيتها كطالبة في مجال العلم -
الموضوع الذي أحبه كثيراً، وقد أسس به إليه كثيراً... - ما هو مرعب جداً هنا - بفكر
النظر عن الفهم المضحك للديناميات الأسرية - هو التفسير الخاطئ للعلم قائلاً
يستطيع أبدأ أن يثبت ماهي النسبة المثوية من الشخصية التاجمة عن التربية... فلماذا
أن باستطاعته ذلك، بل ويفعل ذلك، فإنه يدعونا إلى أن نعد العلماء سذجاً في الفصل
صورة، وفي أسوأ صورة فاشحين. إنه - تماماً - هذا النوع من الزعم الذي - برأيي -
يعطي العلم اسماً سيئاً، ويساعد في إمداد هجوم تكبير ضده (58). لقد خلطت رينهايم
النسبة المثوية من الشخصية الناجمة عن التباين في التربية التي هي فعلاً لا مغزياً لها،
مع النسبة المثوية للتباين في الشخصية التاجمة عن التباين في التربية التي يدرسها علماء
الوراثة السلوكي طوال الوقت. يستطيع العلماء تبيان - وقد يتبوا - أن الأخوة هم
متشابهون عندما يتزعمون منفصلين، بمقدار تشابههم نفسه عندما يكبرون معاً. وأر
الأخوة الذين جرى تبنيهم ليسوا متشابهين على الإطلاق. وهذا يعني أن العصف
التقليدية حول "ديناميات العائلة" هي خاطئة بشكل بساطة.

رينهايم متماثلة مع العلم الراديكالي والبنائية الاجتماعية. ردة فعلها دليل على
كيفية علم الوراثة السلوكي، ونظرية هاريس، التي تهدف إلى تفسير مكتشفاتها -
تلامس عصبياً على الهماز السياسي بتأكيد التقليدي على مطواعة الأطفال كتب
عالم النفس أوليفر جيمس "إن بالإمكان تجاهل كتاب هاريس بشكل بساطة كخطيئة
آخر لعلم الاقتصاد لدى فريد مائت على العالم الاجتماعي" (إشارة إلى الاقتصادي
الذي - وفقاً لجيمس - يدافع عن فكرة أن الأفراد يجب أن يتحملوا المسؤولية عن
حياتهم الخاصة بهم). لقد اقترح أن هاريس كان يقلل من أهمية البحث في التربية لأنه
"سوف يقرض - بطريقة غير مباشرة - تحدياً حقيقياً للنظريات الراسخة
الإستهلاكية المتقدمة: إذا كان مايقعله الآباء له دور حاسم، فإنه يستدعي إلى
التساؤل عن الأولوية المتدنية المعطاة له، بالمقارنة مع السعي إلى الريح (59). في حجة
الأمر، هذا التشخيص الخيالي له خلفياته. أما الداعية الأكثر حقداً على أهمية دور
الوالدين فهي: شركات البيرة والتبغ التي ترعى حملات دعائية مثل "الأسرة تتحدث
عن الشروب"، و"الآباء يجب أن يتحدوا إلى الأطفال عن عدم التدخين". وتقدم إعلاناً

بشكلها: كنية تتحدث إلى الضحايا، وكان الضحايا يعانون منها، مؤكدة لها أن
بعضها عن عدم التدخل من مع أمها، حتى عندما تكون معها ليست معها (60).
ومن خلال لقاء المسؤولين على الوالدين لإيقاظ المراهقين رسميين وغير مدخنين،
يستطيع هؤلاء الراسماليون الاستهلاكيون المتطورون تحويل الانتباه عن تأثيرهم الهائل
من ثقافة الأقران المراهقين.

على أي حال، لقد نالت حقدًا أكثر من اليمين السياسي. فكتاب عمود صحتي
بمن جون ليو أسس النظرية بأنها "غيبية" وسخر، من عدم نيل هاريس شهادة
الدكتوراه والزمالة الجامعية، وقارنها بمن ينكرون وقوع البولوكست، ثم أنس
عموده قائلاً: "لم يكن الوقت للاحتفاء بكتاب غبي يبرر الاستفراق الذاتي، ويجعل
عدم التربية محترمة، ونشاطًا لتيار رئيس" (61).

لماذا يصكره المحافظون أيضا النظرية؟ لدى اليمين الأمريكي المعاصر بديهية هي
أن الثقافة التقليدية تتعرض لهجوم من أنصار النساء، ثقافة شعبية فاسقة، ومحللين
اجتماعيين يمينيين. فكما يمتد المحافظون أن جذور الشرور الاجتماعية هي في فشل
والذين أن يفسدوا أبناءهم الانضباط والقيم، فشل بالإمكان أن نمرؤه إلى الأمهات
فمسلات، والآباء الفاشلين، والطلاق السهل، ونظام الصالح العام الذي يكتاف
تجاهت على إنجابهن أطفالاً خارج إطار الزواج عندما الشخصية في sitcom (برنامج
يتم بصور الشخصيات ذاتها في ظروف مسلية مختلفة) غير التزوجة (موريل برادون
في رقت طفلاً، شجب نائب الرئيس دان كيلي سلوكها لأنها قدمت مثلاً سيئاً عن
تساء الأمريكيةات (هال عنوان الرئيس كان "موريل لديها طفل رضيع، وكيلي لديه
بنوة". ومراجعة هاريس التي تبين أن من المحتمل أن بنتي ابن موريل بمسير حسن لم
تلق الترحاب، لأن الاهتمامات تجاه عدم الأبوة قد لا تعد شراً، لكن المشكلة قد
تكون غياب الآباء عن جميع الأسر الجاورة، بدلاً من غياب أب عن أسرة بعينها).
فيولاء الأطفال بلا آباء يفتشرون إلى الوصول إلى عائلات أخرى التي يكون حاضراً
فيها نكر بالغ، وماهو أسوأ لديهم، الوصول إلى فئة من رجال عزاب تتسرب قيمهم إلى
جدايات من أقرانهم). كلما كان هناك أيضاً الشيطان الكبير، لقد ألفت هيلاري
تكتبون كتاباً حول الطفولة بدعي / إنه يحتل قرية، مبنية على المثل الإفريقي /
يطلب الأمر قرية كفي تربي طفلاً، مقت المحافظون الكتاب لأنهم حسبوا أن الفكرة
كلها كانت ذريعة لمهندسين اجتماعيين كفي يتولوا تربية الأطفال نيابة عن الآباء
يستندوا إلى الحكومة. لكن هاريس أفتيس المحكمة أيضاً.

وبعدئذ سكان هناك الخبراء. لقد أسس برازيلتون هذه المقولة "سخيفة" (62) في أحد أركان البحث حول الأطفال - جيروم كاهان إنني متضيق على غير النفس" (63). وعالم نفس التطور فرانك فارلي قال لجلة نيوزويك:

إن النظرية مخطئة في شكل سيء. إنها تنبئ موقفاً متطرفاً مبنياً على معيار محددة من البيانات. وطريقتها سخيفة في ظاهرها، لكن فكر فيها قد يحد من أمن الآباء بهذه المقولة. فهل ستضي البيض من إساءة معاملة أطفالهم، طالما أن الأمر ليس مهماً هل ستخبر الوالدين المتعبين بعد يوم طويل أن لا داعي لأن يكتفوا بتسمية عناء بذل أي اهتمام بأطفالهم طالما أن الأمر كذلك؟ (64). لقد أخبر كاهان وتطويع آخرون مراسلين عن العديد من الدراسات الجيدة التي تبين أن باستنطاق الوالدين يؤشروا على التكيفية التي سيصبح أبنائهم عليها⁴

فما هي هذه الدراسات العديدة الجيدة ؟ في جريدة اليوسطون غلوب أرسر كاهان ما اسماء "دلهيا كاهان" (65). لقد ذكر دراسات - انظر، ليس هناك ظم وراثية genetics - no - see مبنياً أن الآباء الأذكياء لديهم أبناء أذكى، والأب النشيطون لديهم أبناء نشيطون، وهم جراً. لقد لاحظ أن "طفلاً في السادسة من عمره ترعرع في نيواينغند سيكون شديد الاختلاف عن طفل في السادسة من عمره ترعرع في ماليزيا، أو أوغندا، أو في الأرجنتين البعيدة. السبب في ذلك هو أنهما يخضعان لتربية مختلفة على أيدي أبويهما. لكن طفلاً ترعرع في ماليزيا لديه والدان ماليزيان والقراب ماليزيون. فلو أن كاهان تناول ما يحدث لطفل في السادسة لوالدين ماليزيين تربية في بلدة في نيواينغند، فربما يفكر مرتين قبل استخدام هذا المثال لإيضاح قدرة الأبوذ اما الدليل الآخر فمكان عندما يكتب المؤلفون ذكرياتهم فإنهم يشهدون بأبائهم وليس بأصدقاء طفولتهم، على أن والديهم هما اللذان جعلوهم ما هم عليه. هناك مفارقة في هذه النقاشات الواهية هي أن كاهان نفسه - في مسار مهنة متميزة كثيراً ما يهبط زملاء علماء النفس على تجاهلهم عامل الوراثة، وقبولهم النظريات الشعبية في التربية بدلاً من رفعهم إلى مستوى التدقيق العلمي. أستطيع أن أتخيل فقط أن في هذه التلصق شعر أنه مجبر على الدفاع عن مجاله في وجه فضح من قبل إحدى الجدات من نيويورك. أما الدراسات الجيدة الأخرى فقد قدمها علماء النفس المداومون. لكنها لم تحتو على معلومات أكثر (66).

فهل ياترى تمكن هاريس من حل لغز القانون الثالث - البيئة الفريدة التي تأتي لا من المورثات ولا من الأسرة ؟ إنه لم يحله تماماً. إنني مقتنع بأن الأطفال يدمجون اجتماعياً - أي يكتسبون قيم ومهارات النقاطة - من خلال جماعات من أقرانهم، وليس من أسرهم. لكنني لست مقتنعاً - على الأقل ليس بعد - أن جماعات الأقران تنسر لنا كيف تطور الأطفال شخصياتهم؛ فإذا يصبحون خيولين أو جسرين، فلتين أو ثلاثين، منتحي العقول أو من مدرسة قديمة. الإدماج الاجتماعي وتطور الشخصية يسا الشئ ذاته. وقد يفسر الأقران الإدماج الاجتماعي دون تفسير تطور الشخصية.

إحدى الطرق التي فيها استطاع الأقران تفسير الشخصية هي أن الأطفال في أسرة ذاتها قد ينضمون إلى جماعات أقران مختلفة، ويستوعبون قيمها. لكن عندئذ كيف يتم تصنيف الأطفال ضمن جماعات من أقرانهم ؟ فإذا كان التصنيف بناء على خصائصهم الفطرية - سينضم الأطفال الأذكى إلى الأذمة، وسينضم العدوانيون إلى قطاع الطرق وهكذا. إذن تأثير جماعات الأقران سوف تظهر تأثيرات للمورثات غير مباشرة، وليس ككشائيرت للبيئة الفريدة. وإذا كان الأمر اختياراً أبائهم للحوار، ستكون تأثيرات للبيئة المشتركة، لأن الأقارب الذين تكبروا معاً يتشاركون جواراً بالإضافة إلى اشتراكهم في مجموعة من الآباء. ففي بعض الحالات، كلما في حالات الجرح والتدخين، قد يفسر الثباين المفقود على أنه تفاعل بين المورثات والأقران: يصبح الزامقون المحبون للتعف عشيقين في حوار خطر فقط. والأطفال المحبون للإدمان يصبحون مدخنين فقط في صحبة أقران يمتدقون أن التدخين هو متفهم لكن من غير المدخل أن نفس تلك التفاعلات معظم الفروقات بين الأطفال. والأن دعنا نعد إلى حجر للمك: التوائم المتماثلون يكسبون معاً. إنهم يتشاركون في المورثات، وفي بيئاتهم الثانية. ويتشاركون في جماعات أقرانهم، على الأقل بمعدل متوسط. لكن العلاقات فيما بينهم تكون نحو 750. لذلك، لا مورثات، ولا عائلات، ولا جماعات أقران تستطيع أن تفسر ما الذي يجعلهم مختلفين.

يقدم هاريس يد العون إلى هذا النقص، ويقترح أن الأطفال يميزون أنفسهم ضمن جماعة من الأقران، وليس من خلال اختيارهم لجماعة من أقرانهم. فضمن كل جماعة يصبح البعض قادة، وآخرون جنود مشاة، وآخرون مهرجين، وذلك اعتماداً على الكفاءة التوفرة، إلى أية درجة يكون الشخص مناسباً للعب هذا الدور، وكذلك على الحظ. فما أن يحظى الطفل بدور حتى يصعب التنازل عنه، لأن الأطفال الآخرين

يجربونه على أن يبقى على تلك الكفاءة، ولأن الطفل يتخصص في المهارات الضمنية كسبي يبيع بها. فكما بنوه هاريس، هذا الجزء من النظرية غير مُختبر. ويصعب اختياره، لأن الخطوة الأولى الخامسة – التي يملؤها الطفل في أمة جماعية – أمرناهم متقلب.

وله الكفاءات في جماعات الأقران هو إذن مسألة حظ. لكن ما أن تسبح لسبح الحظ بالدخول إلى الصورة، حتى تستطيع أن تفعل في مراحل أخرى من الحياة فتمتد تشكرك الحقيقية التي وصلنا بها إلى المكان الذي نحن فيه، يمكننا أن نطعم بتشعبات في الطريق حيث كان باستطاعتنا أن نمضي في دروب حياتية مختلفة ربما ظنوا أنني ذهبت إلى تلك الحفلة، لكنني قابلت زوجتي، ولو أنني لم التقط تلك البروشور، لما عرفت عن المجال الذي أصبح نداء حياتي، ولو لم أرد على الهاتف لما فاتتني تلك الرحلة، فالحياة هي لعبة سكرة وديابيس pinball نرتطم ونسقط بها.

ربما أن تاريخنا من الاصطدامات، وتصادي الاصطدام تقريباً، ينسر ما الذي جعلنا مانحن عليه. كان أحد التوائم قد ضربه عدواني، والآخر كان يحن إلى ربه ذلك اليوم. امرؤ استششق فيروساً والآخر لم يستشقه، أحد التوائم حصل على السرير العلوي لنام فيه، بينما حصل الآخر على السرير السفلي.

مزالنا لا نعلم ما إذا كانت هذه التجارب الفريدة تشرك بصماتها على أدمغتنا وشخصياتنا. لكن لعبة سكرة وديابيس استطاعت أن تفعل ذلك بكل تأكيد، الرادمان التي توصل بسلك دماغنا في الرحم والطفولة المبكرة. فكما ذكرت آنفاً، لا يمكن للجينوم البشري أن يحدد شكل علاقة أخيرة بين المصنونات، لكن البيئة يعضر المعلومات المشفرة من قبل أعضاء الحس ليست الخيار الآخر الوحيد. الحظ هو خير آخر. توام يستلقي في الرحم، ويحصل على نصيبه من المشيمة، والآخر عليه أن ينصر حولها. شعاع كوني يغير تمدد د. ن. أ ونافل عصبي gis بتبدلاً من zgs، مخروط التمو لحور عصبي يذهب مساراً بدلاً من أن يمضي يمينا، وقد يتحول دماغ أحد التوأمين إلى جيل مختلف قليلاً فيبدو صورة مختلفة قليلاً عن الصورة الأخرى (67).

إننا نعلم أن هذا يحدث في تطور عضويات أخرى. فحتى أوتار الذبذبات التجنسا وراثياً، فالفئران والبهيدان التي تنشأ في مختبرات مسيطر عليها دورياً قد تختلف إحداهما عن الأخرى. فذبذبة الفاصكة قد يكون لها هلبات bristles أكثر أو أقل تحد

المدخنها من زملاتها في القارورة. وقد تمليك هارة ثلاثة أضعاف من oocytes (خلايا خصم يوهنا) من أختها المتطابقة معها وراثياً والتي نشأت في نفس المختبر. وقد تعيش بونث واثرة ثلاثة أضعاف المدة التي تعيشها مثيلتها في الطبق المجاور. لقد علق عالم الأحياء ستيفن أو ستاد على مدة حياة الميهان الدائرية؛ بشكل مدتهى درجة التحول فتي تظهرها في الاستطالة ليست أقل بكثير من قدرة السكان البشر المختلطين وراثياً، الذين ياكلون وجبات متنوعة، ويهتمون بصحتهم أو يهملونها، ويخضعون إلى تلك الظروف جميعها؛ حوادث اصطدام، ولحم بشر ملوث، وعامل بريد غاضبون - في الحياة الصناعية الحديثة (68). دودة دائرية مسكونة فقط من 959 خلية (بينما الدماغ بشري فيه مائة بلون من العصيونات، لديه فرس أكثر ليثاثر بنتائج جزئية ورميات طفلة التقنية.

إن، الحظ في التطور هو لتفسير التشابه الأقل من التوائم المتماثلة، إنه يقول شيئاً مهماً عن التطور عموماً. يستطيع المرء أن يتخيل سيورة تطور فيها ملايين من أحداث الحظ الصغيرة لتفي إحداها الأخرى، ولاتترك هارفاً في المنتج النهائي. يستطيع المرء أن يتخيل سيورة مختلفة، استطاعت فيها حادثة حظ أن تخرج التطور عن مساره تماماً، أو أن ترسله في مسلك تطور فوضوي منتهياً في شمس غريب أو في وحش، بينما لاحد أي واحدة من هذه للتوائم المتماثلين. إنهما مميزات بوضوح يكفني لدرجة أن يمكننا الخيام نستطيع أن نتلطف الفروقات، مع ذلك ككلاهما مثالان لسلمان لما هو غير معتاد: نظام تمت هندسته بشكل جيوي ونسجيه ككائنات بشرياً. يجب أن يستمد تطور الضويات التلافات loops تذيية راجعة مقددة أكثر مما هي مخططات محددة سبباً. أحداث عشوائية تستطيع أن تحول مسارات النمو، لكن المسارات محددة ضمن طرف من تصاميم فاعلة لصالح النوع. ويشير علماء الأحياء إلى مثل هذه الديناميات بلم الصلابة *robustness*، والتشذيب، أو إحداث قنوات (69).

فإذا كان المكون غير الوراثي للشخصية هو النتيجة لرويت (لمبة القمار) التطور العسبي، فإنه يعدنا بمفاجأتين: إحداها هي: تماماً مثلما أن الشرط الوراثي في لفة الوراثية السلوكية ليست وراثية بحكم الضرورة، فإن العامل البيئي ليس بيئياً بالضرورة. وإذا كان التباين غير المفسر هو نتاج أحداث حظ في مجلس الدماغ (*brainassembly*)، مع أن مقداراً آخر من شخصياتنا سيكون "محدداً بيولوجياً" (مع أنه ليس وراثياً) وخارج مدى أفضل الخطط الموضوعية من قبل الوالدين والمجتمع.

أما المفاجأة الأخرى فهي: أنه قد يكون علينا أن نقسح مجالاً لثقوب نفسية
مقابل علمي في نظرتنا إلى الطبيعة البشرية. ليس إرادة حرة - كما افترض كل من
كثيرين، لكنه القدر. إنه ليس الإرادة الحرة لأن بين الخصائص التي قد تتفاوت بين
توائم متماثلين نرعرعوا معاً، هناك خصائص لا إرادية عنيدة، ما من أحد يفتن
يصبح فصامياً، أو شاذاً جنسياً، أو موهوباً موسيقياً، أو قللاً، أو ولقياً من نفسه، أو
متفحلاً على التجربة. لكن المفكرة القديمة القدر ليعنى الحظ الذي لا يسطر
التحكم به، وليس المصير المسبق الصارم، بالإمكان مصالحته مع البولوجيا الحديثة،
مجرد أن نتذكر الانتقاجات العديدة للحظ لأن يفعل فعله في التطور. وقال هاينر
منوهاً بكم هو حديث ومحدود الاعتقاد أننا نستطيع أن نتشكل أطفالنا، ويورد
امراء تعيش في قرية نائية في الهند في خمسينات القرن العشرين. عندما سئلت عن
الرجل الذي تأمل أن يصبح طفلاً هزت كتفها وقالت "هذا قدره، وليس سئله".
أريد أنا" (70).

لا يتقبل شكل امرئ القدر مثل المرأة الهندية، أو القوى الأخرى التي هي خارج
سيطرة الوالدين مثل المورثات والأقران. قالت إحدى الأمهات: "أمل من الله ألا يكون
هذا صحيحاً". إلى صحيفة شيكاغو تريبون "فقطرة أن شكل الحب الذي أسبغ في
ليس له مردود هو أمر مرعب أن تفكر فيه" (71). فكما هي الحال مع اكتشاف
أخرى عن الطبيعة البشرية، يأمل الناس من الله ألا تكون صحيفة غير ان الحظية لا
تهتم بأماننا، وأحياناً - يمكننا أن نجربنا على زيارة تلك الآمال ثانية لكن بقرينة
محدرة.

أجل! من الخيب أنه لا يوجد نظام حسابي لتربية طفل ناجح وسعيد لكن هل
نريد فعلاً أن نحدد خصائص أطفالنا مسبقاً، ولا نشعر بالسرور ونتمتع بمفاجآت غير
متوقعة يجلبها شكل طفل معه إلى العالم؟ فالتناس برصهم الاستمخ البشري ووجد
المثبث بأن الآباء يستطيعون أن يصمموا أطفالهم من خلال الهندسة الوراثية لكن إلى
أي درجة الأمر مختلف عن الوهم بأن الآباء يستطيعون أن يصمموا أطفالهم من خلال
كيفية تربيتهم؟ سيحكون الآباء الواقعيون آباء أقل قلقاً. باستطاعتهم أن يستنوا
بوقتهم مع أطفالهم بدلاً من المحاولة باستمرار تحفيزهم ودعمهم اجتماعياً، وتخص
شخصياتهم. باستطاعتهم أن يقرأوا قصصاً لأطفالهم من أجل متعة القراءة لهم، وليس
لأنها مفيدة لعصبتوتهم.

بهم منتقدون أكثر هاريس بمحاولة إغفاء الوالدين من المسؤولية عن حياة أبنائهم. فإن يبدو الأطفال سيئين، يستطيع الآباء أن يقولوا أن ذلك ليس خطاهم لكن من المنطق ذاته: إنها تحد للبالغين مسؤولية عن حياتهم؛ إذا لم تكن حياتك تسير سيراً حسناً، فتوقف عن التأوه والقول إن سكل ذلك هو خطأ والدك. إنها تتخذ الأمهات من بخرات سخيفة للومهن على سكل سوء حظ يحط برحال أطفالهن، ومن الرقابة: اعرجي كل من عن الأطفال، وهذا مايجعلهن مثل غيلان إن يخرجن خارج المنزل إلى العمل أو يخرجن في سهرة. فالنظرية تحملنا جميعاً مسؤولية جماعية عن سلامة الجوار، والتربية ثم فيها نشأ جماعات أقران.

الخبراً، إن تقل لديهم كيف أعمال أطفالنا ؟ ههاله من سؤال أجل إنه لأمر مهم. وينظر هاريس قراءه بالأسباب:

أولاً، يستخدم الوالدان سلطة هائلة على أطفالهما، وأفعالهما يمكنها أن تشكل برفاً كبيراً في سعادتهم. فقبل سكل شيء، تربية الأبناء هي مسؤولية أخلاقية. فليس من المنصن أن يضرب الآباء أو يحرصوا، أو يهملوا أبنائهم، لأن هذه أمور رهيبه يحد الأ يستخدمها رجل قوي كبير مع طفل لا حول له ولا قوة.

وكما كتب هاريس: " قد لا نحمل سباحتهم بين أيدينا، لكننا يسكل نأكده بانديم بأمامهم هذه، ونملك السلطة لأن نجعل أمامهم هذه بالسة جداً " (72).

ثانياً، العلاقة بين الأب والابن علاقة إنسانية. مامن أحد يسأل أبداً: " إنن إنك تقول نر معاً كيف أعامل زوجي أو زوجتي ". فلا أحد غير الزوج حديثاً يعتقد أن المرء ينبغي أن يبدل شخصية الشريك، فالأزواج والزوجات سكل منهما لاثنان ليمضهما (أو ينين أن يكونا كذلك)، وليس أن يسحق أحدهما شخصية الأخر في سشكل مرلوب. بل ينبغي أن يكون الهدف بناء علاقة مرضية وعميقة. تحيل إنك تلقيت خبراً أن أماً لا يستطيع أن يرمم شخصية زوج أو زوجة، وتجب " الفسكرة أن سكل هذا تب الذي أسقطه فيه (وظفها) لا يثمر في شيء، فهذا الأمر مجرد التسكير به أمر شديد سوء. سكتذلك هو الأمر مع الوالدين والأبناء: سلوك المرء تجاه امرئ آخر له عراف على نوعية العلاقة بينهما. فطوال مسار الحياة يتحول توازن السلطة، والأطفال حين يحملون ذكريات سكاملة للتكيفية التي سكانوا ياملون بها، لديهم المزيد مما يذرون في تعاملهم مع آبائهم. وسكما يمبر هاريس عن ذلك: " إن لاتعتقد أن الإزواج

الأخلاقي هوسيب وجيه بما يكتبني لكي تكون لطيفاً مع ابنك، فحرب مقلبي على
لطيفاً مع ابنك عندما يكتبون شاباً بحيث يكون لطيفاً معك عندما تلعو عيوناً (1)
هناك بالفن يملون بلاء حسناً، مايزالون يرتمشون غضباً عندما يتكلمون في
أبائهم عليهم عندما كانوا أطفالاً، وهناك آخرون، يطربون - في لحظات خاصة -
عندما يتكلمون لطفاً أو محبة أو تضحية قدمت من أجل سعادتهم، والربما زور
والأم نسيهاها مع مرور الزمن وإذا لم يكن هنالك سبب آخر، ينبغي أن يملل لايز
أطفالهم معاملة حسنة لكي يسمعوهم أن يكتبوا مع ذكريات مكهتد

لقد وجدت أن الناس عندما يسمعون هذه التفسيرات، فإنهم يخفضون لصرير
ويقولون شيئاً وهم محرجون أجل عرفيت ذلك، حقيقة أن الناس قد ينسون عند
الحقائق البسيطة عندما الثقافة التفسيرية عن الأطفال تبين إلى أي مدى قد أنتجت
المتعدتات الحديثة. إنهم يعدون من السهولة بمكان التفسير بالأطفال كما يكون
المعجون لهم تشككهم بدلاً من أن ننظر إليهم كمشركاء في علاقة إنسانية فخر
النظرية القائلة إن الأطفال يتكلمون وفقاً لجماعة الأقران، تصبح أقل إيماناً عند
نفسهم بهم كمشكلات بشرية مثلنا نحن، جماعة الأقران "كلمة راعية نستخدما في
علاقتنا مع الأطفال لما نسميه "أصدقاء وزملاء ومعارف" عندما نتحدث عن أنفسنا
إننا نألم عندما يتكلم أطفالنا كثيراً بالرشاء النوع المناسب من السؤال الصافي،
وتشعر بالإذلال، إذا ما أجربنا شخص ضخم أن نرتدي رداء زهري اللون نضرب
اجتماع مجلس إدارة موسم، أو بذرة بوليفستر ديسكو في مؤتمر أكاديمي، كونا
مؤهلين اجتماعياً من قبل مجموعة أقران" هي طريقة أخرى للقول "الميل بنجاح من
مجتمع" تعني العضوية الاجتماعية فيه "الميل". إنهم الأطفال - قبل كل شيء -
الذين يقال عنهم أنهم صفحات خالية، مما يجعلنا ننسى أنهم بشر.

الفصل العشرون

الفنون

الفنون في مشكلة، أنا لم أقل ذلك، لكنهم هم الذين قالوه: التفاد والدارسون، وكما نقول الآن من يقدمون المضمون، الذين يكسبون العيش من العمل في الفنون والإنسانيات. هوفقاً لمدير المسرح والناقد روبرت بروتشتاين:

لقد غدت إمكانية الحفاظ على ثقافة رفيعة في عصرنا إشكالية بشكل مطرد. فالكليات التي تباع كتباً جادة تخسر امتيازها، ودور النشر الصغيرة تغلق أبوابها، وتلس الجلات الصغيرة، والمسارح غير الربحية باقية أساساً من خلال بيع مستودعاتها نيواً، والأوركسترات المسمقونية تخفف من برامجها، والتلفاز العام يزيد من نقلاته من خلال عروض ثانية للمهاة البريطانية (برامج متلفزة عن الشخصيات نفسها في ظروف مختلفة). ومحطات الإذاعة الكلاسيكية تتضائل، وتلجأ المناحف إلى عروض ضخمة، والرقص يحتضر(1).

في السنوات الأخيرة، المجلات العالية الجبين، وكذلك الصحف - قد امتلأت بشاكل معاللة. وأليك عينة من العناوين التي توحى بذلك:

موت الأدب (2). تراجع وانهباء الأدب(3) انهيار الثقافة الرفيعة(4). هل انهارت ذرع الإنسانية؟ (5). الدراسات الإنسانية عند الفسق (6). الإنسانية في عصر الل(7). معنة الإنسانية(8). الأدب معنة قاتلة(9). ضياع الأدب(10). خريف احتضار الوبسيفي(11). نهوض وسقوط الإنكليزية (12). ما الذي حدث للإنسانيات؟ (13). من قبل الثقافة ؟ (14).

إذا صدقنا المتشائمين فإن التراجع مستمر منذ بعض الوقت. ففي عام 1948 كتب د. ب. إليوت " نستطيع أن نؤكد والتقين أن عصرنا هو عصر تراجع، وأن معايير الثقافة هي ادنى مما كانت قبل خمسين سنة، وأن دلائل التراجع مرئية في كل قسم من أقسام النشاط الإنساني " (15).

بعض الدلائل الحية على أن الفنون والإنسانيات حقيرة هملأً. ففي عام 1997 انجز مجلس النواب في الولايات المتحدة على وضع حد للمعونة الوطنية للفنون، وكان الحد الثواب قادراً على الحصول على الموافقة، فأقر اقتطاع نصف الميزانية المخصصة للفنون أما الجامعات فما عادت تستثمر في الإنسانيات، فمئذ عام 1960 نسبة الطلبة في الفنون الليبرالية قد تراجعت إلى النصف، وتأسست ظروف العمل والرواتب، والزياد في التدريس يجري على أيدي طلاب خريجين، وكلية بدوام جزئي (16)، وبلا غير الأحيان، لا يتم توظيف حاملي شهادات الدكتوراه الحديثة، أو أنهم أقبلوا إلى وظائف لمدة سنة في مكليات فنون ليبرالية عديدة، ثم تحجهم الدراسات الإنسانية، أو دمجها أو تم الاستغناء عنها تماماً.

أحد الأسباب المكافئة وراء هذا التراجع الأكاديمي هو المناقشة من وقع الدم والهندسة. وهناك سبب آخر، ربما زيادة عدد شهادات الدكتوراه التي تضغطها برمي الخريجين والتي فشلت في تطبيق التحصن في ولادة الأكاديميات. لكن المشكك بغير ماهي تراجع في الطلب عليها من قبل الطلاب، بقدر ماهي زيادة في عدد الأساتذة، بينما ارتفع العدد الإجمالي لخريجي شهادة الليسانس - آداب بمعدل 740 بين عام 1990 و1994، ولكن عدد الشهادات في اللغة الإنجليزية تراجع بمعدل 740، وقد يصعب الأمر أكثر سوءاً: نحو 79 فقط من طلاب المدارس الثانوية يبدون اهتماماً بالتخصص في الإنسانيات(17). إحدى الجامعات كانت محيطة جداً من إعادة التسجيل في كلية الفنون والعلوم لدرجة أنها استأجرت مؤسسة إعلانية تعلن عن حملة "فكر بعيشك" إليك بعض الشعارات التي توصلوا إليها:

- اقل ما تريد بعد أن تتخرج، أو انتظر 20 سنة لكفارة منتصف حياتك.
- التامين عندما تستولي أجهزة الإنسان الأكي على الوظائف الملة جميعها.
- حسناً إذن اتبع أحلامك في حياتك العادية.
- أجل - مثل والديك سعداء جداً.

التزعة المهنية careerism قد تقسر التحرر من الوهم الذي يشعر به بعض الطلاب تجاه الفنون الليبرالية، لكن ليس كلها. فالاقتصاد اليوم في حال أفضل مما كان في فترات كانت فيها الإنسانيات أكثر شعبية، وما زال شبان كثيرون يبدون انقسام عن مهنتهم، ويستخدمون سنوات دراستهم الجامعية لإقتناء أنفسهم بأشكال شتى لير

مقدّم سبب وجيه يحول دون أن تكون الفنون والإنسانيات قادرة أن تنافس على اهتمام طلاب لقاء هذه الفترة المبكّرة. ما تزال معرفة الثقافة، والتاريخ، والأفكار رصداً لمنظم الفن، معلماً هي في الحياة اليومية. غير أن الطلاب يتأخرون بانتمسهم عن إنسانيات.

في هذا الفصل، سأشخص العلة في الفنون والإنسانيات، وأقدم بعض الاقتراحات لتعديلها. إنهم لم يسألوني، لكن من خلال رواياتهم الخاصة يتولون إنها بحاجة أن تكال مساعدة ممكنة. وأعتقد أن جزءاً من الجواب موجود ضمن موضوع هذا الكتاب وسأبدأ بتحديد المشكلة.

حقبة الأمر، أن الفنون والإنسانيات ليست في متاعب، فوفقاً لتقويمات حديثة تبينة على معلومات من المساعدة القومية للفنون، والمعلومات الإحصائية المجردة في الولايات المتحدة، فإنها لم تكن في وضع أفضل (18). ففي العديدين الماضيين ازداد عدد الأوكسفترات الفنية، وسأتمو الكتاب، والكتيبات، والأفلام المستقلة الجديدة. والمضور قد ازداد، وفي بعض الحالات بلغ مستويات قياسية، سواء في الحفلات تجسبية الكلاسيكية، والمسرح والمروض الأبرالية، ومتاحف الفنون، كما نرى في عرض جماهيرية ينتظر الناس دورهم في أرتال طويلة، وتندو التذاكر نادرة. وعدد كتب الطبوعة (من بينها كتاب فنية، وشعرية، وأعمال مسرحية) قد ازداد كثيراً كما تؤكد ذلك مبيعات الكتاب، إن الناس لم يصعبوا مستهلكين للفن سلبين لقد طحت سنة 1997 الأرقام القياسية لتسمية البالفين الذين يرسمون، ويلتقطون صوراً فنية يتنون أعمالاً فنية، ويمارسون الكتابة الإبداعية.

إن التطورات في الثقافة قد جعلت الفن في متناول اليد أكثر مما كان من ذي قبل فاجر ساعتين - بالحد الأدنى - ككاف لشراء أي من عشرات الآف التسجيلات بتسليطة التوعية، من بينها العديد من تسع عديدة لأي عمل كلاسيكي قدمته الأوكسفترات المالية المنظمة. كما أن محلات الفيديو تسمح للناس الذين يعيشون في نطق الثانية عن المدن أن يربطوا عرضاً خاصاً رخيصاً لكلاسيكيات السينما، فبدلاً من شيكات التفرقة الثلاث يبرامجها حول نفس الشخصيات، وعروض التوعوات، يفسر اجتماعية، يستطيع معظم الأمريكيين أن يختاروا من بين قائمة من 50 إلى مائة محطة، من بينها المحطات المتخصصة في التاريخ، والعلوم، والسياسة، والفنون جهاز فيديو رخيص، وفيديو مستمر على شبكة واسعة wide web تسمح لصناعة

الأعلام أن تزدهر. وأي كتاب مطبوع متوفر خلال أيام إلى من لديه بطاقة التمنن وجهه مودم. على الشبكة يستطيع المرء أن يجد نصوص جميع الروايات المهمة، والتصنيف، والمسرحيات، والمؤلفات الفلسفية، والدراسات التي أصبحت خارج حقوق الطبع. إننا نرى إلى جولات إلى متاحف الفن العالمية. مجلات إنترنت فكرية جديدة، ومواقع على الشبكة قد انتشرت، وقضايا الإعادة متوفرة على الفور.

إننا نسيح في الثقافة، بل نلحق فيها لذلك لماذا شكل هذا الندب على معناها، وتاريخها، وسوقها وانهازها، فسقها ومواتها ؟

ردنا على القائلين بهذا المعسير هو أن جنون الاستهلاك السران يسلم كلاسكيات الماضي وأعمال متوسطة المستوى من الراهن، لكن عند الأعمال ذات المستوى الرفيع فهي قليلة في أرجاء العالم. ذلك أمر مشكوك فيه. (19). فكما يخبرنا مورغو الفنون مراراً، إن جميع العيوب المترتبة للثقافة المعاصرة: من توجه جماعي، دافع للربح، موضوعات الجنس والعنف، وتمديدات تتماشى مع أشكال جماعية (كعشر مسلسلات في الصحف) - بالإمكان العثور عليها لدى الفنانين النظام من قرون ماضية. فحتى في عقود حديثة - نظراً إلى فنانين عديدين في عصرهم على أنهم كتاب ماجورون تجاريون، لكنهم في مرحلة لاحقة نالوا التقدير الفني. أمثلة على ذلك تشمل الأخوين مارسكس، ألفريد هتسكوك، البيتلز (الخنائض)، وإذا كنا نقيم من خلال مآرض متحفية وتقديرات نقدية، حتى نورمان وكوبل. هناك المشترا من البروتيين المتنازين من بلدان من شتى أنحاء العالم. مع أن معظم التفرقة والسبنا مرعبة، إلا أن مساهم الأفضل قد يكون جيداً جداً فضلاً. كانت ككارلا في chess/مناهاة / أكثر فطناً من دوروثي بارسكر، وحيثما توت سبي tote أكثر نكاه من حيثات أي من المسرحيات الحكومية لشكسبير.

أما فيما يخص الموسيقى، فقد يكون صعباً على أي إنسان أن يناقش أفضل المؤلفين من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. لقد كان القرن العشرين أي شيء لكنه لم يكن عميقاً. موسيقى الجاز، برود وي، موسيقى الريف، البلوز، الشعبية، والروك، السول، السامبا، الريفا، هي موسيقى عالمية، والتأليف المعاصر قد ازدهر. لقد قدم شكل مؤلف موسيقى فنانين موهوبين، وأدخل تعديلات جديدة في الإيقاع، والآلات، وأسلوب الصوت، وإنتاج الاستديو، إلى تجربتنا الموسيقية إجمالاً. إننا هناك

يعلن تزدهر كما لم يحدث من قبل. مثل الاقتباس والتصميم الصناعي، لقد جاء
حين إلى الوجود لكنهم قد أنجزوا إنجازات عظيمة مثل: شرايفيك الحاسوب، وهيديو
فولك (على سبيل المثال بيتر شابريل بعنوان (مطرقة ثقيلة)

ظلال الآلاف المسنين نذب النقاد - في شكل هنرة - تراجع الثقافة. ويقول عالم
التصميم تابلور سكوير أنهم ضحية الوهم المعرفية. من المحتمل أن أفضل الأعمال كان
التصميم تابلور تظهر في عقد ماضٍ أكثر من ظهورها في العقد الحالي للسبب ذاته،
من المحتمل أن تظهر في آخر في مطرزن كبير يتحرك أسرع من المسار الذي تقف فيه: هناك
قريب منها. إننا نستمتع بأفضل المنتجات المفيدة من تلك العقود. نستمتع إلى موزارت
نخمين *selvage*. فالأجناس الفنية الأخرى: كمالأوبرا، والرسم الانطباعي، والحفلات
توسيلية في برودوي، وأفلام *noir* تزدهر عادة وتطبو في مدة زمنية محددة - إلا أن
الانكشاف الفنية الواحدة يصعب فهمها، خاصة عندما تكون في بداية ظهورها. لكن
مع مرور الزمن يتم تدفوها على نطاق واسع. يشير سكوير *cowen* أيضاً - مقتبساً من
موس - أن وضع الحاضر في أسلوب ما ضوي يعني الحط من شأن المنافسين: "وليس
يعوميت (20)".

لكن في مناطق محيطية ثلاث، فإن الفنون فيها أشياء تشعرنا بالإحباط تجاهها.
لنعاو نراثات الفن التنطوي الذي ينحدر من أجناس أوروبية مرموقة مثل الموسيقى
تني نرفها أوركسترات سيمفونية، وكذلك اللوحات الفنية المعروضة في صالات
بها وفي المتاحف، وكذلك الباليه التي تقدمها فرق مهمة. فهنا يوجد حط في مادة
جدا أسرة على سبيل المثال 790 من الموسيقى الكلاسيكية قد تم تأليفها قبل عام
1990، وأكثر المؤلفين الموسيقيين في القرن العشرين كانوا هاعلين قبل عام 1940
(21).

الثاني: نقابة النقاد وحراس الأبواب الثقافية الذين رأوا تأثيرهم يتراجع فني عام
1990 للرحبة الكوميديا /الرجل الذي أتى إلى المشاء / تدور حول ناقد أدبي نال
نوة كبيرة لدرجة أننا نصدق أن الهمبرغر في بلدة صغيرة من ولاية أوهايو سوف تقور
وتنقل عليه. من الصعوبة بمكان أن نعد ناقداً معاصراً استطاع أن يلهم بشخصية
كهن

الثالث: كنهفوف العمفة الففمفة ءفء ءءءمء نفءفء الضءءء لفء ءءء الفءم الففءففء عفلفء لرفءفءفء سآءرف؁ وموضوعأ لفءءءء ولءءفءل لآ نفءفة لءمآ؁ فءء ءءءفء 15 فضفلاً ءء ءءءءءفء أن ءءمءن أفن سآءءء عن ءءءفء لءهء العءل ءالفء؁ بالفءءفء الفءور عفلى ءمءلفء الأفءفءفءفء فء بفءفء / منسوب إلى ففرءفءفء وولفء / فء مءءصءفء فضفءفة لآ ءءمسى " فء نفو شهر ءفسمبر 1910 ؁ " ءفءرفء الطبفءفة البشرففة "؁ أفمآ ءءءفء ءءءه إلى فلسفة ءءءءة ءءءءة الففءفء الففء سوفء ءفءمءن عفلى فنون ءءءفة وعفلى ءءءفء ءول مءءم القرن العءشرفن؁ وءمءم ءنءكارهآ للطبفءفة البشرففة مع انءءفم إلى مآ بعء العءفء الففء ءفءفء المسبءرة فء عفوءهآ الآءرفءة؁ ءفءفة هءء الفءصء هفء أن فنون ءءءفة وءءء وءءرءسءفء فء مآرفق لأن بفءفء ءآءمفء ءمآمأ؁ فآءطبفءفة البشرففة لم ءءءفر لآ فءء عام 1910 ولا فء آفة سنة بعء ءلك المءة(22).

الفن موفوء فء طبفءءفآ - فء الدم والمءم - ءءمآ اعءفءء الفءس القول؁ فء العءفء والمورءفء؁ ءءمآ بفءءفءنآ أن ءقول فء آفءنآ هءءة؁ فآءنفس - فء ءءءل المءءمءفء - برهءسون؁ وففنون؁ وفزءرفهون المسءوح؁ وففرون؁ وفمءفون ءصءصآ؁ بفءآ الأفءل بالمءرفءفة فء هءءه الأنءءفة فء سن ءالفءة وءالفءة؁ والفنون ءءءءءس فء ءءم الفءفء البالفء؁ ءمرف عصبفء ءء بءرفء ءءمءمآ ءفءرفآ أن بسمء وفرف؁ لءءهءه ءفر ءفءر أن بءءوق الموفسقفى أو ءءمآل البصرفى (23)؁ إن وفءوء اللوحءفء؁ والمءوءهرءفء؁ والنءء وآءن الموفسقفى برءء إلى مآ لآءقل عن 35 ألف سنة فء أوروفآ؁ ورفمآ إلى ءفءرة أفءم من ءلك فء آءزءه آءرف من العآلم؁ ءفء ءءرفء ءءءفءفءة الآءرففة؁ الأرومفون الأمءرآلفون برهءسفن عفلى الصءفور منذ 50 ألف سنة؁ وآسءءءمء المءرة ءمءرء ءءمءءفءفء للءءء منذ لآ بقل عن ءمقفى ءلك المءة (24).

عفلى الرءم من أن آءءءفءالفء الفن ءءفءفة ءءءوع ءءءفرآ عبفر ءءفءفءفء؁ لأن فءمآفء ءءءءءفءل وءءءوق الففءفء موفءة فء ءءل مءءفء؁ لفء ءءء العفلمسوف بءفر ءفءون سفء منءلفءةء عآلمفة؁ (25)

- 1- الآءرة أو البرءعة الففءفة ءءمف مءرءفء ففءفة ءءففة؁ وءلقس الآءرفءفء بفءا وءءة الإءءفء؁
- 2- مءعة ءفر نفءفة؁ الفءس فمءءمءون بالفن لآءل الفن؁ ولا فءالفءونه أن بءءل ءءففن أو أن فضع طءمآمآ عفلى الطآولة؁

3- الأسلوب، الأشياء الفنية والمروض الفنية تلبس قواعد التأليف التي تضعها في أسلوب ممكن فهمه.

4- النقد، يبدى الناس تقويماً، تقديراً وتفسيراً للأعمال الفنية.

5- العاكسات، عدا استثناءات قليلة كالموسيقى والرسم التجريدي، تحفز الأعمال الفنية تجارب العالم.

6- تركيز خاص، ينحى الفن عن الحياة العادية، وتم تحويله إلى تركيز دراماتيكي للتجربة.

7- الخيلة، الفنانون ومستمعوهم لديهم عوالم افتراضية في مسرح الخيلة.

الجزء النسبية لهذه النشاطات غدت موضوع بحث وتقاش معاصرين يعتقد بعض الباحثين، مثل العلامة إيمان ديزانيسكي أن الفن هو تكيف نشوئي مثل شعور الخوف، والتمرد أن نرى في العمق (26). بينما يعتقد آخرون - وأنا شخصياً - أن الفن نتاج نوعي لتكيفات أخرى ثلاثة (عدا الفن القصصي). الجوع من أجل المكافأة، والمتعة بعامة لتجريب أشياء وبيئات متكيفة، والمقدرة أن نضع أشياء لكي نجز أهدافاً مرجوة (27). بناءً على هذه النظرية، والفن هو متعة فنية، مثل الخضرات والجنس أو طعام نخب - طريقة - تظهر وتركز فيها حوافز المتعة ونوصلها إلى أحاسيسنا. أما بالنسبة للناس في هذا الفصل، فلا يهمننا أي من النظريتين هي الصحيحة. فسواء كان الفن خيلاً أو نتاجاً ثانوياً، أم خليطاً من الاثنين، إنه متجدد عميقاً في قدراتنا العقلية. ويذهبنا من تلك الجذور:

تعمل العضويات على متعة من الأشياء التي ازداد تلازم أسلافها معها: مثل طعم طعام، وتجربة الجنس، وجود الأطفال، وكيفية بلوغ المعرفة. قد تزيد بعض أشكال لغة البصرية في بيئات طبيعية من التلازم أيضاً، فمثلما يستكشف الناس بيئاً، كذلك يبحثون عن تملّاح تساعدهم أن يفاوضوها ويستفيدون من محتوياتها. تتضمن تملّاح مناطق موصوفة جيداً، سمات - غير محتملة - لظنها معلوماتية مثل خطين منزيين، أو مثلثين، ومحاوير تناظرية، أو استقطاب. يستخدم الدماغ شكل هذه لكي يترجم التجال البصري على سطوح، ويجمع المسطوح في أشياء، وينظم الأشياء بحيث يستطيع الناس أن يتعرفوا عليها في المرة التالية التي يشاهدونها. لقد اقترح باحثو البصر أن الرؤية مثل ديفيدمار، وروجر شيبارد، وفه س. رامانساندران. أن الحوافز

البصرية الممتعة المستخدمة في الفن والزخرفة تبالغ في هذه التماذج التي تحجب المعاني. الجهاز البصري يقوم بوظيفته فكما ينبغي ويحلل العالم بشكل دقيق (28). من ملاحظتنا المنطق نفسه، يتم إدخال نماذج نيرة الصوت والإيقاع في الموسيقى في أليات يستغنى عنها الجهاز السمعي لتنظيم عالم الصوت (29).

فكما يحول الجهاز البصري الألوان والأشكال الخام إلى أشياء ومشاهد منظرية فتسببها بحيث يصبح اللون الجمالي لنتيجته أكثر غنى حتى الإحصائيات في ميادين الفن، والتصوير، وتصميم المشهد الطبيعي، وكذلك بالنسبة للذاتيات البصرية لدى الناس، قد وجدت دوافع مبتكرة في الرؤى التي تعطي الناس المتعة (30).

قد ينتمي بعض الدوافع إلى بحث عن صورة من أجل المكان البصري الأفضل. المسافران، أرض مفتوحة فيها بضعة أشجار وبركة ماء، تسكنها الحيوانات وتبث مزهرة ومثمرة.

لقد أوحى الاستمتاع بأشكال الكائنات الحية بصداقة البيئة للمؤلف في ويلسون تبدو أنها خاصية إنسانية عامة (31). وقد تكون نماذج أخرى في مشهد طبيعي معتمة لأنها دلائل على السلامة مثل المناظر البانورامية، لكنها محمية. هناك مناظر أخرى قد تكون أسيرة لأنها سمات جغرافية تجعل منطقة طبيعية سهلة الاستكشاف. وتذكر العلامات الأرضية المميزة، الحدود، والمعابر، وتوثق دراسة نشوء علم الجيولوجيا والنشوء القسمات التي تجعل جهأ أو جسمأ ما جملأ (32). القسمات التي تميز بالجائزة هي القسمات التي تشير إلى الصحة والقوة والخصوبة.

الناس حيوانات ذات مخيلة مبدعة، تعيد دمج الأحداث في عين عقولهم القدرية. إحدى محركات الذكاء البشري، وتسمح لنا تصور تقانات جديدة، وسبل اجتماعية جديدة (مثل إيقاع حيوان في شرك، أو تطوير مستخلص نباتي) (مثل تفاز وعود، أو إيجاد أعداء مشتركين) (33). يستغل الأدب القصصي هذه القدرة لاستكشاف عوالم افتراضية، سواء من أجل تشذيب - أو توسيع عدد السيناريوهات التي بالإمكان توقع نتائجها - أو من أجل المتعة، خووض تجربة الحب كجمل. الداعمة، الاستكشاف أو الانتصار (34). ومن هنا جاء تعريف هوراس لغاية الأدب: علم يلمم ويمتج.

في الأعمال الفنية الجديدة، هذه العناصر مرتبة بحيث أن الشكل هو أكثر من ناتج مع أجزاء (35). إن لوحة مشهد طبيعي جيدة أو صورة تستحضر مباشرة بيئة جميلة، وإن تكون مكونة من أشكال هندسية ذات توازن وتناظر ممتعين. وقد تحضر قصة ممتعة إشاعة لذيذة عن أناس مثقفين أو محبوبين، ونضمن في زمن أو مكان مشيرين، ويتبع فرائزنا اللغوية بكلمات اختيرت بعناية. ولعلنا شيئاً جديداً عن ارتباطات الأسراء، أو علم السياسة أو الحسب وكما تصاغ أنواع جديدة من الفن لكي تحرض نيلياً، وتطلق توتراً نفسياً محاكاة اشكالياً أخرى للتمعة. وقد يكون عمل فني عاماً تياً في أساس حدث اجتماعي من خلاله تثار مشاعر أفراد عديدين من المجتمع، وفي طرقت ذاته، يستطيع أن يضاعف المتعة ويمنع إحساساً بالتضامن. وتشد ذرايبنا لكي يلي هذا الجزء الروحي من التجربة الفنية الذي نسميه مظهراً خاصاً (36).

الذراع إلى المسكنة هو جزء آخر نفسي مرتبط بالفنون. أحد البنود في قائمة ديوتن سمات العالمية للفن هي لا عمليته impracticality. لكن أشياء لا فائدة منها قد تكون مبنية جداً لهدف محدد، تثير ممتلكات الحامل كورشتاين فيلين هو من طرح هذه الفكرة في نظريته حول المسكنة الاجتماعية (37). فطالما أننا لا نستطيع أن ننظر في دقتر الصارف أو حاسوب صغير جداً لدى جيراننا، فإن طريقة جيدة لتقدير حجم رسالتهم هي أن نرى إذا كان باستطاعتهم تبديدها في أمور الرفاهية والتسلية. كتب فيلين يقول: إن سيكولوجيا الذوق تحركها ثلاثة مبادئ مادية، استهلاك واضح، زينة واضح، وتبديد جلي، وهي تقسم لماذا أن رموز المسكنة هي نمطاً أشياء يعتمها عمل متخصص شاق ومن مواد نادرة، أو إشارات أن الشخص ليس مرتبطاً بعلمه بعمل شاق يدوي، مثل القماش التادر أو الباهظ الثمن، والوابيات التي تستهلك الوقت. وفي نمول جميل استخدمت عائلة الأحياء عاموتس زئيفي نفس اليدا لتفسير نشوء الزينة المتدورة من خارج البلاد مثل ذيل الطاووس (38). فالطاووس الأكثر معة هو الذي يستطيع التخلي عن ريشه. فإتات الطاووس تعجب بالذكر من خلال جمال ذيله، ويتنر التطور التذكور صاحبة الذبول الأفضل.

على الرغم من دهشة معظم الخبراء المختصين من القول إن الفن - خاصة فن النجا - هو نموذج كتاب مقرر لاستهلاك واضح. فن خلال التمريف تقريباً الفن ليس له وظيفة عملية. وكما يوضح ديوتن في قائمته أنه يستدعي الأفضلية (دليل على نوبة ودية، وقت فراغ لاكتساب المهارات أو كطيفهما). والتد يعلي من شأن الفن والفنان

فالفن الجميل والفعامة - خلال معظم التاريخ الأوروبي - يسيران بدأ بيد. فتما في التزيينات الفخمة لصالات الأوبرا والمسرح، والأطر المزركشة حول اللوحات. وليس الموسيقيين الرسمي، وأغلفة الكتب. سكان الفن والفنانون تحت رعاية الأرستقراطيين أو الأثنياء أو المساعين إلى احترام مباشر. أما في أيامنا هذه، فاللوحات والتماثيل والمخطوطات مازالت تباع بأسعار خيالية (82.5 مليون دولار ضمن لوحة الرسام العالي فان كوخ / لوحة الدكتور غاشيت Gachet عام 1990).

في كتاب / العقل الشريك / يجادل عالم النفس جيفري ميللر أن الدافع إلى إبداع الفن هو تمكثيك مشاركة طريقة للتأثير على شريكك زوج، وشريكك جنسيين مأمولين بنوعية دماغ المرء. وبالتالي وبشكل غير مباشر بمورثاته فكما ينوء، البراعة الفنية موزعة بشكل غير متساو، وأمره عصبياً، ومن الصعب تزييفها، وتقال الشاء على نطاق واسع في كلمات أخرى الفنانون هم جذابون جنسياً *bowers* فالطبيعة تعطينا تنافس طيور *bowers* في أستراليا وغونيا الجديدة. هالذكور تبني أعشاشاً صغيرة وتزيئها بأشياء ملونة مثل السحليات، وأصداف الحلزون، وشم العتيق، واللحاء. وبعض هذه الطيور تدهن *bowers* - ببقايا فاسكة، مستخدمة الأوزاق أو اللحاء كغفرشاء. والإناث تقدر الذكور وتعاشر في أفضل عش متاسق. ويقول ميللر إن التشابه تام، فلو كان يوسعك أن تلقي ذكر طير *bowers* لمجلة منتدى الفن لكان يقول لك "أجد هذا الدافع للمحاح للتعبير عن الذات، ولعب باللون والشكل لذاتهما. شبه لايمكن تفسيره. لا أستطيع أن أتذكر أول مرة طورت فيه هذا الطعماً الشهيد لتقديم مجالات لونية غنية داخل نصب وفي مرحلة دنيا، لكنتني أشعر أنني مرتبط بشيء ما خارج ذاتي عندما أمر بهذه المشاعر. عندما أرى سحلية عالية جميلة في شجرة، يجب أن أحضرها لأبني بها عشي. عندما أرى صدفة خارج مكان إبداعي يجب أن أضعها في المكان المناسب... إنها لمصادفة سعيدة أن الإناث أحياناً تأتي إلى فتحات مرضي وتقدر عملي، لكن أن أقول أنني أبدو من أجل أن أتكاثر فهذه إهانة". لكن لحسن الحظ، لا تستطيع طيور *bowers* أن تتكلم، لذلك نحن أحرار أن نستخدم اختياراتها الجنسي لتفسير عملها، دون أن نتوسل إليها أن تكون مختلفة (39).

إنني أميل إلى رؤية أضعف من النظرية، التي فيها إحدى الوظائف (وليس الوظيفة لوحيدة) لخلق وامتلاك فن هو أن تؤثر على الناس الآخرين (وليس أن تؤثر فقط على شركاء مأمولين)، إمكانية المرء الاجتماعية (وليس فقط بنوعية المرء الوراثية) فهذه

تذكراً تعود إلى فيبلن وقد ضخمها مزوخ الفن ككونتين بيل. وتوم وولف في قصصه. وفي أعماله غير القصصية (40). ربما أعظم أبطالها اليوم هو عالم السوسولوجيا بيير بولديو الذي يقول إن الخبرة بأعمال ثقافية وبميدة المثال تُخدم كمشاعر عضوية في تلميحات العليا من المجتمع (41). فالطبل المباشرة والغائية قد تكون مختلفة في جميع هذه النظريات. فطكتها مع طائر bower، المتكافئة والاستسجام ليسا بحاجة لأن تدخلتا بخل الناس الذين يبدعون أو يتدفقون الفن، فهياضكان الناس تفسير نشأ؛ دافع التعبير عن الذات، ونشأة عين من أجل الجمال والمهارة.

فيض النظر عما يمكن وراء دوافعنا تجاه الفن، إلا أنها تسبق عليه تجاوز الزمن والكان والثقافة. لقد أشار هيوم إلى أن "المبادئ العامة للنوع هي اتساق في الطبيعة البشرية، فهو ميوس الذي أمتع الناس في أثينا وروما قبل نحو ألفي سنة مضت، ما يزال يرض الإعجاب في باريس ولندن" (42). فمع أن الناس يمكنهم أن يجادلوا ما إذا كان تكاس نصف ممثل أم نصف فارغ، فإن حساً جمالياً إنسانياً يمكن رؤيته وراء التنوع في الثقافات ويعلق ديون فالتلو:

أمر مهم أن نلاحظ مقدار المسافة التي تقطعها الفنون الفنية خارج ثقافتها المحلية؛ فينثوهون وشكسبير محبوبان في اليابان، والعليمات اليابانية يفرح بها يورانيون، وتمثل المأساة الإغريقية في شكل أنحاء العالم، بينما يتحسر على ذلك العدد من الصناعات السينمائية المحلية، فأفلام هولود لها توجه عريض عبر الثقافات... حتى الموسيقى الهندية التي تبدو في البداية غريبة عن الأذن الغربية بالإمكان تبيان لها تستمد إلى نبض إيقاعي وتساوع، وتكرار، وتثوع، ودهشة بالإضافة إلى قوة وإنما سماوي حلوا؛ في الحقيقة جميع الأساليب موجودة في الموسيقى الغربية (43).

يستطيع المرء أن يوسع مجال الحس الجمالي الإنساني إلى ما هو أبعد؛ رسومات كهف Lascaux التي رسمت في أواخر العصر الحجري ما تزال تبهر المشاهدين في عصر الإنترنت. ووجهها ككل من تفرشتي، وفينوس بوتشلي باستطاعتها أن يظهرها على خلاف مدة أزياء في القرن الحادي والعشرين. قصة أسطورة البطل الموجودة في ثقافات تراثية لا حصر لها قد رُفعت بشكل فاعلية في أسطورة حرب التجمد. لقد نهج جامعو تحف غربيون ككونز ما قبل التاريخ من أفريقيا وآسيا والأمريكيتين لأن من يرفعونهم وجدوا التامل في هذه الكونز يعطي حساً بالجمال. وليس من أجل القيام بإضافة إلى المسجل التوثقراي.

مثال لا يخلو من مرارة على عالمية الذائقات البصرية الأساسية مستمد من مقابلة عام 1993 من قبل اثنين من الفنانين هما فيثالي ككومار والكسندر ميلاميد اللذان استخدمتا استنتاجات البحث التصويقية لتقويم الذوق الأمريكي في الفن(44)، لقد ساء الناس الذين استطلعت آراهم عما يفضلونه من حيث اللون والنوع، والتشكيل والأسلوب، فوجدوا (اتسافاً لا بأس به) قال الناس أنهم أحبوا المشاهد الطبيعية البهت - المرسومة بالأخضر والأزرق، وفيها صور حيوانات ونساء وأطفال، وشخصيات بطولية، لتلبية هذا الطلب الاستهلاكي رسم ككومار وميلاميد مجموعة من اللوحات مشهد طبيعي جانب بحيرة بأسلوب واقعي من القرن التاسع عشر، فيه أطفال وغزال، وجوز واشنطن. ذلك أمر ممل تماماً، لكن لا أحد كان مستعداً لما حدث بعد ذلك عندما أعاد الفنانان الاستبيان في تسع دول أخرى من بينها أستراليا، وتركيا، والصين، وكينيا، وجدا الحالات المفضلة نفسها: مشهد طبيعي في مرتبة مثالية، مثل المشاهد المطبوعة على التقويم السنوية، ومشاهد ثانوية وفق المعيار الأمريكي (فرض التهرب بدلاً من المشهد الطبيعي الذي عدُّ أنه أحسن الأشياء لنوعنا من قبل باحثين في علم الجمال الإرتقائي(45). لكن الناقد الفني آرثر دانتو كان لديه تفسير مختلف: التقويم الغربية مبروكة في أرجاء العالم، تماماً مثل بقية الفن والثقافة الغربية(46). إن عوالة الأساليب الغربية - بالنسبة إلى العديد من المثقفين برهان على أن الأذواق في الفن تصفية في يدي الناس تفضيلات جمالية متماثلة، ويقولون لأنه تم تصدير المثل العليا الغربية إلى العالم عن طريق الإمبريالية، والتجارة العالمية، ووسائل الإعلام الإلكترونية. قد يطرح هذا القول على جزء من الحقيقة، وبالنسبة إلى أناس كثيرين إنه الموقف الصحيح أخلاقياً لأنه يتضمن أن ليس هناك ما هو أعلى أو متفوق في الثقافة الغربية أو لغير مرتبة حول الثقافات المحلية التي تحل محلها الثقافة الغربية.

لكن هناك جانباً آخر للتصصة. فالمجتمعات الغربية تحسن تقديم الأشياء التي يريدها الناس: ماء نظيف، دواء فعال، طعام متنوع وفير، وسائل نقل واتصالات سريعة. إنهم يفضلون هذه السلع والخدمات لا من منطلق حب الخير بل من أجل مصلحة ذاتية. الأرباح التي تجنى من بيعها، وربما الصناعة الجمالية فضلت أساليب إعطاء الناس ما يحبون - في هذه الحالة - أشكالاً فنية تليق الأذواق الإنسانية الأساسية مثل مشهد طبيعية على التقويم السنوي، أغان شعبية، ورومانسيات ومغامرات هوليوودية. لذلك حتى إذا نضح شكل فني في الغرب، لا يصحكون ممارسة تعسفية انتشرت بواسطة

تخلو بحري قوي، بل لانه منتج ناجح يتطوي على حس جمالي إنساني عام. يبدو أن هذا كله ضيق النظرة جداً، ومتمركزاً أوروبياً، ولن أرفع الموضوع بعيداً جداً. لكنه ينبغي أن يكون فيه عنصر من الحقيقة؛ إذا كان هناك مكسب حتى في التوجه إلى نفاق إنسانية عالية، سيكون عدم استغلال الفرصة على يد أصحاب المشاريع التجارية نيراً مستغرباً. فالأمر ليس متمركزاً أوروبياً كما قد يظن المرء. فالثقافة الغربية مثل ثقافة الغربية، والوجبة الغربية، اختيارية نعمة، تسترضي أي خدعة تسر الناس من أمة ثقافة تقابلها، مثال واحد من أهم الممارسات الثقافية في أمريكا: الموسيقى الشعبية، Ragtime، والجاز، الروك، البلوز، soul والراب التي نمت من أشكال موسيقية أمريكية أفريقية دمجت أصلاً إيقاعات أفريقية مع أساليب صوتية.

ما الذي حدث في عام 1910 الذي قد غير - كما هو مقترن - الطبيعة البشرية ؟ تحدث الذي برز في استنكار فيرجينيا وولف وكان مرضاً لتدنياً للوحات لرسامي بهد الطباعية، من بينهم سيزان، غوغان، بيكاسو وفان كوخ. لقد كان إمامة للتم عن الحركة المسماة بالحدثة، عندما كتبت فيرجينيا وولف بيانها في عشرينيات القرن العشرين كانت الحركة تستولي على الفنون.

الحدثة قد انطلقت بالتاكيد وكانها الطبيعة البشرية قد تغيرت. جميع الحيل التي استخدمها الفنانين طوال الألف السنين لإمتاع الذوق الإنساني قد طرحت جانباً. في الرسم، والتصوير الواقعي فقد تم إضاح المجال إلى انحرافات عجيبة في الشكل والون، ومن ثم إلى شبكات تجريدية، أشكال، شرشات، طرطشات، كما في لوحة التي صنعها 200 ألف دولار التي رسمت في الحكوميدنا الحديثة بعنوان / فن / عبارة عن فماشة بيضاء خالية، وفي ميدان الأدب، سرد ممرية، موضوعات محبوسة، وتقديم التسق للشخصيات، وتم استبدال إمكانية القراءة بالنسبة لعامة الناس بتهار الرمي، أحداث مقدمة دون ترتيب، وشخصيات محيرة وأحداث متسلسلة سببياً، سرد ذاتي غير مترابط، ونثر غامض. أما في ميدان الشعر، فقد تمّ التخلي عن استخدام لفظة والوزن، والبنية الشعرية، والوضوح. وفي الموسيقى فقد وضع الإيقاع واللحن لتقليديان جانباً لصالح ما هو tonal (نغمة الصوت)، متسلسل، متناثر، ونوتات موسيقية مكونة من 12 نغمة. وفي الهندسة المعمارية، فالتزيين، والتوازن البشري، وضعة الحديثة، والحرفية المهنية التقليدية خرجت من النافذة لوكفانت التوافه

مفتوحة لمكانت خرجت منها)، أصبحت الأبنية آلات من أجل المعيشة مصنوعة من مواد صناعية على شكل سناديق. بلقت العمارة الحدائثة الذروة في أبراج التجارة والفولاذ للشركات المتصدرة الجتمسات وفي ظهور مشاريع الإسكان الاجتماعي السكنية، شقق بريطانيا ما بعد الحرب، وعمارات عمادها شقق سوفيتية.

لمذا قادت النخبة الفنية حركة طالبت بهذه المأسوسية 5 هجرتياً عُثت كغيره فير على الرضا الذاتي للمعد الفيكتور، والإيمان البورجوازي الساذج في معرفة معدد. وتقدم محتوم، وعدالة النظام الاجتماعي، فن حتمي ومزعج سكان من المفترض أن يذكر الناس بأن العالم مكان مزعج وحتمي. وسكان العلم يقدم الرسالة ذاتها، كصا هو مفترض، فوفقاً للنسخة التي تسريت في الإنسانيات، أثبت فرويد أن السلوك يتبع من دوافع لا شعورية، وغير عقلانية، وأثبت أينشتاين أن بالإمكان تحديد الزمان والطاير بشكل نسبي فقط، ونسبة إلى مراقب. وأثبت هايزنبرغ أن المكان والقوة العرطف لجسم مكانا غير يقينين لأنهما مكانا متأثرين بعملية الملاحظة. وبعد فترة طويلة تالي، هذا التطوير للفيزياء الهم الخدعة الشهيرة التي فيها نشر عالم الفيزياء، آلان سوتو، بكل نجاح ورقة مليئة بكتابة سرية في مجلة / النص الاجتماعي / (47).

لكن الحدائثة أرادت أن تقوم بما هو أكثر من مجرد إطلاق لما هو مرجح تنجيبا للشكل المحض، واحتقارها للجمال السهل وللمتعة البورجوازية، فكانت هذه العوارز بمثابة مبرر وأجندة روحية وسياسية، في مراجعة ككتاب يدافع عن رسالة الحدائثة، نشر الناقد فريدريك تيرنر المبادئ الحدائثة:

المشروع الكبير للفن الحدائث كان أن يشخص، ويعالج المرض حتم من البشرية المعاصرة، مهمته الفنية هي أن يحدد، ويعبري الإحساس الزائف للعين الروتينية، والتأطير التفسيري الذي يقدمه المجتمع التجاري الجماهيري القزم، وإر يصنع لنا تجربة عارية ومباشرة جديدة للواقع من خلال أحاسيسنا المتجددة والعالية هذا العمل العلاجي هو أيضا مهمة روحية، بحيث أن في مجتمع مكون من كائنات بشرية متحولة سوف يكون - نظرياً - قادراً أن يبني مجتمعا أفضل نوعية أعباء، عينا البناء هذه هي الإكراه على الانضمام إلى خيار، والاستغلال التجاري، وإعادة الإنتاج وخبرة خام ملازمة تافهة التي بإمكان الفنانين أن يبلغوها دون وساطة وبشكل طفيف - قد حولها المجتمع إلى حالة متبلدة من فقدان الوعي خاضعة للروتين، ومقسمة إلى أقسام (48).

بدأت الحداثة في سبعينيات القرن العشرين، وتم توسيع مهمتها من خلال مجموعة من الأساليب والفلسفات التي سميت ما بعد الحداثة. ما بعد الحداثة كانت نسبية وأكثر عدوانية حتى، ومصرة على أن هناك أملاً عديدة معقودة على العالم، وليس لأي منها امتياز على الآخر. لقد أنصرت حتى إمكانية الغزى، والمنطق المرعب، والتقدم، والقيم الثقافية المشتركة. لقد كانت ماركسية أكثر، وأكثر فصامية، برودة أن مزاعم الحقيقة والتقدم كانت تكتسبها الهيئة السياسية التي تعطي الإبتزاز لصالح الذكور البيض. وفقاً لمبدأ السلع المنتجة جمعياً وصور وسائل الإعلام المنتشرة والقصص كانت مصممة لجعل التجربة الحقيقية أمراً معالماً.

هدف فن ما بعد الحداثة هو مساعدتنا على الخروج من هذا السجن الفئاضل يحاولون تفرغ الدوافع الثقافية، والأساليب التمثيلية بأخذ الأيقونات الرأسمالية (مثل الإعلانات، وتصاميم التزيين، والصور المعلقة لشخصيات جميلة، وتشويهاً وبالغلة فيها، أو تقديمها في سياقات غريبة). التماذج الأولى كانت لوحات أندي وار هول وWiley للمصنعات علب الحساء، والصور مكررة الألوان المزيفة لمازلين مونرو. والصور لأكثر حداثة تشمل الذكر الأسود، لوحة "الذكر الأسود" في متحف Whitney المصوفاة في الفصل الثاني عشر، وصور سيندي شيرمان لعارضات الأزياء، الثاليات الجنس وهن مجتمعات. لقد رأيتها كجزء من معرض MIT معهد التكنولوجيا في ماساتشوستس الذي استكشف "الجسد الأنثوي كموهبة لرغبات متناقضة، والأنوثة كشبكة توقعات اجتماعية مسيطر عليها بإحكام، وفترضات تاريخية وبسبب نيويورك". في أدب ما بعد الحداثة يعلق المؤلفون على ما يكتبون أثناء كتابتهم له وفي عمارة ما بعد الحداثة، المواد والتفاصيل من أنواع مختلفة من الأنبة، وفترات تاريخية ترمي معاً بأساليب غير مناسبة، مثل swing مكون من سياج على شكل بسلة في مركز تسوق وهمي، أو أعمدة كورنثية لا تحمل شيئاً في أعلاها على قمة قطعة سحب. أما أفلام ما بعد الحداثة فتحتوي على إشارات مأكرة لعمليات صناعة التلم أو إلى أفلام أكثر قدماً. في جميع هذه الأشكال، الفارقة الساخرة، الإشارات ذات الرجوع، والتظاهر بعدم أخذ العمل بجدية، المراد منها كلها لفت الانتباه إلى الأشكال ذاتها (وفقاً للمبدأ) أننا في خطر ارتكاب أخطاء في سبينا إلى الحقيقة.

ما إن ندرك ما فعلته الحدائة، وما بعد الحدائة للفنون التخوية والإنسانيات.
حتى تصبح أسباب تراجعها، وانهارها شديدة الوضوح. فالحرصكتان مينيلان على
نظرية زائفة النفس البشرية، والصفحة البيضاء. لقد فشلنا في تطبيق قدرتنا
المتبجعة - أي تمرية الزيت - على نفسيهما. فكما أنهما تفرغان الفن من التند
الحدائة وما بعد الحدائة مرتبطتان بنظرية إدراك تم رفضها منذ زمن طويل:

إن الأعضاء الحسية تقدم للدماغ لوحة لألوان وأصواتاً خاماً. وأن شكل شيء آخر
في تجربة الإدراك هو بنية اجتماعية يتم اكتسابها. فكما رأينا في فصول سابقة، يضم
الجهاز البصري في الدماغ نحو خمسين منطقة تأخذ pixels الخام وتطلمها دونما جهد
في سطوح، ألوان، حركات، وأشياء ثلاثية الأبعاد. إننا لانستطيع إيقاف الجهاز عن
العمل، ونحصل على وصول مباشر لتجربة حسية صرفة، أكثر مما نستطيع أن
نركب ممدالتنا (من كلمة معدة)، ونخبرها متى تفرز أنزيماتنا الهضمية. فالجهاز
البصري لا يندرتنا في وهم هلوسة منقطع عن العالم الواقعي. لقد نشأ كفي بهذا
بمعلومات عن الأشياء المتعاقبة الموجودة في الواقع: صخور، جروف، حيوانات، وعن
الناس الآخرين ونواياهم.

كما أن الجهاز الفطري لا يتوقف عند فهم بنية العالم المادية. بل يكون أيضاً
تجربتنا البصرية تمتع عاطفية وجمالية. فالأطفال يفضلون المشاهد الطبيعية على
التقويم السنوي لصور الصحارى والغابات. ويتأمل الأطفال في سن ثلاثة أشهر - ولداً
أطول - وجهاً جميلاً أكثر مما يتأملون وجهاً لا يتسم بالجمال (49). ويفضل الأطفال
الرضع فترات موسيقية هادئة أكثر مما يفضلون فترات موسيقية متفارة: الألمان
والأطفال في سن السنيتين يبدلون بتأليف وتذوق قصص سردية عندما ينخرطون في لعب
مصطنع (50).

عندما نفهم نتائج سلوك الناس الآخرين، فإننا نقيمهم من خلال معرفتنا
السيكولوجية الحديثة، أي نظريتنا للعقل. إننا لاناخذ امتداداً لغوياً أو شيئاً بوعياً أو
عملاً فنياً كقيمة سطحية، لكن نحاول أن نخمن لماذا خرج المنتجون بها. وما هو
التأثير الذي ياملون بإحداثه علينا (كما رأينا في الفصل الثاني عشر). طبعاً قد يندع
الناس كذاب ذكي، لكنهم ليسوا محاصرين في عالم زائف من الكلمات والمسر
وبحاجة إلى إنقاذ على أيدي فناني ما بعد الحدائة.

هناك ونقاد الحداثة وما بعد الحداثة لا يقررون بوجود سمة أخرى في الطبيعة البشرية، خاصة تسهر الفنون- الجوع إلى المسكافة، خاصة جوع الفنانين الخاص للمسكافة. فكما رأينا، سيكولوجيا الفن مرتبطة بسيكولوجيا التقدير، تقدير تندر، الترف، التميز، والباهر. المشكلة هي: كلما يسعى الناس إلى الأشياء النادرة، فإن أصعاب الحرف يجهلون أقل ندرة، وعندما يتكون عرض مسرحي بأمره يتكون من أصعاب، فقد يصبح مسكافاً عاماً. النتيجة هي التحول الدائم للأسلوب في الفنون لقد ومعاً، وقد عالم النفس كوفون مارتندال: أن شكل شكل فني يزداد في التقيد، والزخرفة، والشحنة العاطفية حتى يتم استغلال الطاقة الأسلوبية التعرضية تماماً (51). يندد بعمل الاهتمام إلى الأسلوب ذاته، وعند هذا الحد يفرض الأسلوب إلى أسلوب آخر يبدد. يمزج مارتندال هذه الحلقة إلى مسكافة من قبل المترجمين، لكنها تأتي أيضاً من الرغبة بالاهتمام من جانب الفنانين.

في فن القرن العشرين، البحث عن الشيء الجديد أصبح معطياً بسبب تصاريح الإنتاج الكمي وبسر الطبقة الوسطى (كاميرات، نتاجات فنية متكررة، ومطبات الإذاعة، التسجيلات، المجالات، أفلام السينما، الكتب). أصبح بالإمكان ترواها، واستطاعة الناس العاديين شراء الأعمال الفنية من السيارة التي تبعها. بسبب أن يميز المرء نفسه كفناني جيد أو خبير عميق إذا كان الناس غارقين حتى زانهم في مادة الفن، فمعظم النتاجات ذات مميزة فنية معقولة. أما بالنسبة للفنانين والمشكلة هي: ليست أن الثقافة الشعبية سيئة جداً، بل إنها جيدة جداً. على الأقل بعض الوقت. لم يعد باستطاعة الفن أن يطمح إلى التميز من خلال الندرة أو جودة الأعمال ذاتها، لذلك عليه أن يهلفها عن طريق ندرة قدرات التذوق والتقدير. فكما ينتج بورديو فقط نخبة خاصة من مدخلين يستطيعون فهم الأعمال الفنية الجديدة. فمع الأشياء الجميلة التي تفيض بها المطابع والتسجيلات فإن الأعمال المتميزة لا حاجة بها لأن تكون جميلة. فمن الأفضل ألا تكون جميلة الآن أي schmo قد لا يكون لديه نبياه جميلة.

نتيجة واحدة هي أن الفن الحديث قد توقف عن محاولة التوجه إلى الأحاسيس لتد حشرُ الجمال على أنه مسكوري وخفة وزن (52). ففي كتابه الذي نشر عام 1913 بعنوان الفن-جدال الناقد كليف بيل (زوج أخت فيرجينيا وولف ووالد كوينتين) أن لعمال لا مكان له في الفن الجهد، لأنه كان متجذراً في تجارب بدائية (53). يستخدم

كلمة "جميل" في عبارات مثل "سيد جميل"، و"إطلاق جميل" أو أسوأ من ذلك للإشارة إلى نساء جميلات. لقد استوعب بيل علم النفس السلوكي في عصره، ووجد أن الناس العاديين يأتون كفي يستمتعوا بالفن من خلال الشرط الباطني. إنهم يتذوقون لوحة (أو كانت صورة لامرأة جميلة، ويستمتعون بالموسيقى التي تثير فيهم مشاعر معلقة لتلك التي تثيرها الشبابات في عروض (الفارس) الموسيقية، ويستمتعون بالشعر إن يثر فيهم مشاعر مثل المشاعر التي أحس بها تجاه ابنة الكاهن بعد انقضاء 35 سنة تالية أعز الرسام التجريدي بارثيت نيومن أن دافع الفن الحديث هو "الرغبة لتدمير الجمال" (54) أما ما بعد الحدائين فصفناوا إخصائين أكثر: قالوا إن الجمال يتكون من معايير نفسية تفرضها الطبيعة. إنه يستمد النساء بإجبارهن على الالتزام بالمثل الطبا غير الواقعية، وتقضي إلى جامعي الأعمال الفنية حسب ما يفرضه وجهة السوق (55).

كفي أكون منصفاً، تضم الحدائة فنائين وأساليب عديدة، ولم يرفضوا جيداً الجمال والمفاهيم الإنسانية الأخرى. في أفضل حالاته، التصميم الحدائى أفضل لأن بسرة وجمالية - الشكل الذي له - وظيفة تالية سكان بدائل أقيت الترحاب من 1990 a-broc الفيكتورية وعروض الثروة البلاخة. لقد فتحت الحركات الفنية مكثان أسلوبية جديدة من بينها دوافع من أفريقيا وأوقيانا. قدم الشعر والقصة نماذج ثقافية قوية، وتصدت ليرومانسية حسية رأت الفن تدفقاً عفوياً لشخصية الفنان ومشاعر كانت المشكلة مع الحدائة أن فلسفتها لم تعترف بالطرق التي عبرها كانت توجه إلى التمتع البشرية، كما أن إنكارها للجمال أصبح مقيدة، ونجاحاتها الجمالية قد تم استبدالها في ثقافة تجارية، وباختصار، لم تترك الحدائة مكثاناً للفنائين كفي يتفهموا إليه. اقترح كونتين بيل أنه عندما تكون الثباينات ضمن جنس فني قد استندت، فإن الناس يقتسمون لأنفسهم شريعة مكثانة مختلفة، والتي أضافها إلى قائمة قبيل فني حالة "هيجان واضح" يستعرض الصبيان والفنات الأشرار قوتهم للمضي بما يصم البيورجوازيين (56). الحملة التي يقوم بها فنائو ما بعد الحدائة لجذب اهتمام عامة الناس، والتخمين من مستمعين حائرين للقيام بشكل ما في وسعهم للإساءة إليهم مع كل أمرى بالضحايا الشهيرة: صور مابلورب ذات الأفعال المأسوسية والضحك السوفى/ لأندريه ميرانو (صورة صليب في عبوة زجاجية فيها بول الفنان). ولوحة كريس ريفيل، مريم الندراء ملطخة بروث فيل، والعرض الذي مدته تسع ساعات "Flag Back"، برقص فيه إيفان هوبايك على المسرح مرتدياً علماً أمريكياً ككحفاض، بينما يزين نفسه بـ

شيء. هذه الأخيرة لم تحدث أبداً. لكن كتاباً لصحيفة ساخرة /The Onion/ اخترعها في مقالة بعنوان "عرض هنري بوسدم الولايات المتحدة، خارج نوم خفيف شهر مبالٍ (57)، لكن أراهن أنني قد خدعتك.

النتيجة الأخرى، هي أن فن النخبة لم يعد بالإمكان تنوقه من دون هزيق دعم من النقاد والمنظرين له. إنهم لم يقيموا ولم يشرحوا الفن وحسب، (مثل نقاد السينما أو مراجعات الكتب)، بل زدوا الفن بمسوره العقلاني، كتعب نوم وولف/ الكلمة المطبوعة/ بعد قراءة مراجعة فنية في صحيفة /النيويورك تايمز/ التي انتقدت لوحة واقعية لاقتنارها إلى "شيء حاسم"، على الأخص "نظرية مقننة" كلما يقول وولف، ثم، شعرت هناك بومض يعرف باسم Aha ظاهرة، والحياة الخفية للفن المعاصر قد تكشفت لي للمرة الأولى... كل هذه السنين - أنا - مثل آخرين كثيرين - قد وقعت أمام الفن، أو الفين - الله يعلم عددهم من Pollocks dekoaning، نيومانز، تولاندز، روشكوز، olitskis، Johnses، Judds، Rausche berg، فرانكسكيت البيزو، كميلينز، وهرانك ستيلاز، الآن ينظر شدراً، فاتحاً مجبري عينيه، الآن متراجماً، الآن يقترب أكثر. منتظراً، منتظراً إلى الأبد منتظراً من أجلها لثاني في بيرة تركيز، خاصة المكافأة البصرية (بعد جهد كبير) التي لا بد أن تكون هناك، كل واحد كان يعلم أنها هناك، منتظراً شيئاً ما لبشع مباشرة من اللوحات فوق هذه الجدران البيضاء الثابتة. في هذه الغرفة، في هذه اللحظة، في هذا التصالب البصري لدي. كل هذه السنين - باختصار - ظننت أن في الفن إذا لم يكن في مكان آخر، كن ترى يعني أن تصدق "كلم كان ذلك قصر نظركم الآن أخيراً في 28تيسان 1974استطعت أن أرى. لقد استعدته تماماً أنت ninny، لكن "التصديق هو أن لا ترى" لأن الفن الحديث قد أصبح أدبياً تماماً: اللوحات والأعمال الأخرى توجد لكي توضح النص فقط (58).

من جديد، أخذ أنصار ما بعد الحداثة هذا الجانب إلى جانب أكبر كانت النظرية فيه تدعم مادة الموضوع، وأصبحت جنساً لفن استعراضي بحد ذاته. دارسو ما بعد الحداثة المتشوقون عن المنظرين النقديين: ثيودور أدورنو وميشيل فوكو لا يتحاشيان بالتلب من أجل "شغافية لغوية" لأنها تعيق القدرة على أن نفكر بالعالم بطريقة أكثر جذرية، ولأنها تضع سياقاً معرضاً لخطر أن يتحول إلى سلعة في سوق شعبي (59). هذا الوقت جعلها يفوزان في مسابقة الكتابة السبئية السنوية، التي تحثني بالفقرات التي

تدعو للثراء أسلوبياً، والموجودة في مكتب ومقالات الدارسين (60). وفي عام 1998 عقدت الجائزة الأولى من نصيب الكتاتبية المرموقة وأستاذة البلاغة في جامعة بيرسكلي جويهد بتتر على الجملة التالية:

الانتقال من عرض بنيوي فيه رأس المال يُفهم أنه يبنّي علاقات اجتماعية بأساليب مشابهة الآتية إلى التفكير في السيطرة مع نظرة فيها علاقات السلطة خاضعة للتكوير والتحول وإعادة الصياغة طرحت مسألة الآتية في البنية. وكان علامة تحول من شكل نظرية التوسرية (نسبة إلى التوسر) التي تأخذ الإجماليات البنيوية ككاشياء نظرية إلى بنية فيها الرؤى داخل إمكاناتية جائزة لبنية تدشن مفهوماً متجدداً للسلطة مفيدة بمرآة واستراتيجيات جائزة لإعادة تمظهرات اشكالات السلطة.

مجلة /الفلسفة والأدب/ التي هي راعية هذه المسابقة صاحبها ديوش، يؤكد أن هذه ليست سخرية، لأن قواعد المسابقة تمنع ذلك، "المحاكاة الساخرة للتمديد" يمكن السماح لها في مجال عرض ساخر متمعد لا يمكن السماح له في مجال عرض ذاتي ساخر غير مقصود واسع الانتشار".

بقعة عمياء - أخيرة - في الطبيعة البشرية هي: فشل الفنانين المعاصرين والنظيرين أن يفككوا مزاعمهم الأخلاقية. لقد اعتقد الفنانون والنقاد أن تنوق فن النخبة يسبب التبل، وتحذوا عن أشخاص لا يحبون الفن، بنبرات تقتصر على من يتحرش بالأطفال (كعنا نرى في معني بكلمة بريري). مزاعم الإصلاح الاجتماعي الذي يحيط بالعدا والما بعد الحدائة هو جزء من هذا التراث.

فعلى الرغم من أن التعقيد الأخلاقي يتطلب تقديراً للتاريخ وللتنوع الثقافي، إلا أن ليس هناك سبب كفي نعتقد أن فنون النخبة هي طريقة جيدة تحديداً كفي تطهيا في النفس، مقارنة مع الرواية الواقعية - ذات الجبين المتوسط - أو التزبية التقليدية الحقيقية الجلية هي: لا توجد عواقب أخلاقية واضحة للكيفية التي يمتع فيها التمر أنفسهم في أوقات فراغهم. هالافتتاح أن الفنانين والخبراء متقدمون أخلاقياً هو وهم مبرر، ينبع من الحقيقة أن دارتسا الأخلاقية متشابكة الأسلاك مع دارتسا من أجل لسعي إلى الحكاية (انظر الفصل 15). فكعما أوضح الناقد جورج شتاينر "نعلم أن رجلاً ستطيع أن يقرأ مؤلفات غوته أو رابلكه في المساء، ويستطيع أن يمزف مؤلفات لباخ شوبرت، ويذهب إلى عمله اليومي في أوشفتز في الصباح" (61). بالمقابل، لا يدل

هناك العديد من شير المتعلمين الذين يعطون دعماً، ويأمرّون بحياتهم كإطفاًلين متلعّنين، أو يتبنون أطفالاً معوقين، لكن رأهم بالنفن الحديث هو "باستطاعة ابنتي التي عمرها أربع سنوات أن تتجز ذلك".

سجل المسار السياسي والأخلاقي لفناني الحدائق ليس فيه ما يفخرون به، وكان بعضهم سبه السلوك في حياتهم الشخصية، واعتُقد الكثير منهم الفاشية أو الستالينية. فالؤلف الموسيقي الحدائشي كشارل هاينز شوتوكها وزن وصف 11 أيلول عام 2001: "العمل الفني الأعظم الممكن تخيله للكون كله". وأضاف مستأناً: "ان الفنانيين -أيضاً - يذهبون أحياناً خلف الحدود لما هو عملي ومفهوم، لدرجة أننا نستيقظ، ونفتح أنفسنا لعالم آخر." (62). وكما أن نظرية ما بعد الحدائشة ليست تقدمية، إنكار للواقع الموضوعي ليس صديقاً للتقدم الأخلاقي، لأنه يمنع الفرد من أن يقول ان العبودية أو البولوكسكت قد حدثت فعلاً. وكما أوضح آدم غوبنك الرسائل السياسية لمعظم ما بعد الحدائشين أنها مبتذلة تماماً مثل "العنصرية هي شر". لكننها مقولة للميحية لدرجة ان الشعاعين يشعرون أنهم متفوقون أخلاقياً لكونهم قادرين ان يفهموا.

أما بالنسبة للسخرية من البورجوازية على أنها قبضة جاهلة متشبثة بالمسكفانة، من دون زعم بغضيلة أخلاقية أو سياسية، الحقيقة هي: أن قيم الطبقة المتوسطة، المسؤولية الشخصية، والولاء للأسرة والجوار، وتجنب العنف الذكوري البائس، واحترام الديمقراطية الليبرالية، هي أشياء جديدة وليست أشياء سيئة. يريد معظم العالم أن ينضم إلى البورجوازية، ومعظم الفنانيين هم أفراد في مواقع جيدة تنبوا مزاعم بوهمية. فإذا ما استمرضنا تاريخ القرن الحادي والعشرين وتردد البورجوازية للانضمام إلى الانتفاضات الطوباوية الجماهيرية، فبالكفاد أن بالإمكان إثارتها ضددهم وإذا أرادوا أن يلقوا لوحة مطزّن خلال حمراء، أو صورة لمهرج بيكفي فوق أريكتهم فإن هنا ليس من شأننا.

ظهرت نظريات فن وتقد النخبة المسيطرة، في القرن العشرين من إنكار محارب للطبيعة البشرية، ميراشا قبيح، محير وفن مهين. الآخر هو مدع وعلم مدرسي غير ظهور أنهم يفاجأون أن الناس باقون بعيداً في قطعان؟

ثورة قد بدأت، وقد لحدا رواد المتاحف يشعرون بالمثل من عدد المعارض التي تهرم جسماً اتنوياً بشكل متكرر - لجنود تماثيل مقطعة، أو مئات من أرواط الزخارف فر لاحتها الفنن ويصفتها (63). ويشتكى خريجو الإنسانيات - في رسائل الكترونية، وفي قاعات المؤتمرات - من أنهم محرومون من سوق العمل ما لم يكتبوا كتابية سرية بينما يسقطون - بشكل تعسفي - أسماء السلطات مثل فوكو وبيتر. دارسون ذوي آراء خاصة بها Maverick يتخلصون من الستائر التي تمنعهم من النظر إلى التطورات التي في علوم الطبيعة البشرية. ويتجرب فنانون أصغر سنناً كيف أدخل عالم القرن نفسه في الموقع الغريب الذي فيه تعد كلمة الجمال كلمة قذرة.

تلقي هذه التيارات من السخط مع فلسفة جديدة للفنون، فلسفة متسجمة مع العلوم، وتحترم المقول والشاعر لدى الطقائات البشرية. إنها تأخذ شكلاً في مجتمع الفنانين وفي مجتمع النقاد والدارسين معاً.

في عام 2001 أعلنت المؤلفة شتيفانا دو كينسي، وبأسلوب مزعج، أن حركة جديدة في الفنون تدعى *Derriere Guard* تحثي بالجمال والأسلوب والسرد (64). وإذا لم يكن هناك ضرر فتنمدها حركة فكري برد فعل مخرج Whitney. مزار مؤسس الجنود التمثالية اللطمة - الذي أسس أعضاء الحركة "حقتة من روث البقر: معافطين، نازين، مشنيرين" (65). كلما ظهرت أفكار مماثلة لأفكار هذه الحركة في حركات تدعى المركز الراديكالي، والكلاسيكية الطبيعية، والشكلانية الجديدة، والسردية الجديدة، والصلقي، وعودة الجمال *No Mo Po Mo* (66). وتضم الحركات الثقافية المرموقة والمتدنية، وتعارض كذلك يسار ما بعد الحدائق، من خلال احتقارها للجمال والفنية، ولليمين الثقافي بمبادئه الضيقة للأعمال العظيمة والواعظ التارية عن سقوط الحضارة. إنها تضم في صفوفها موسيقيين متدربين على الموسيقى الكلاسيكية، لذلك يمزجون بين المؤلفات الكلاسيكية والمؤلفات الموسيقية الشعبية، كلما أنها تضم فنانيين واقعيين، ونحاتين، وشعراء نظاميين وروائيين صحفيين، ومدراء فرق رقص، وفناني عروض راقصة يستخدمون الإيقاع واللحن في عملهم.

ضمن الأوساط الأكاديمية، هناك أعداد متزايدة من السياسيين المستقلين الذين يتعلمون إلى سيكولوجيا النشوء، وعلم المعرفة في معنى لإعادة ترسيخ الطبيعة

شيرة في وسط أي فهم للفنون. فمن بين أعضائها نجد: بريان بويد، جوزيف كارول، ودينس ديوشن، ناتسي إسترلين، ديفيد إيفانز، جوناثان غوتشال، بول ميرادي، باثريك هوغان، إيليان سككاري، ويندي شتاينر، روبرت ستوي، فريدريك بينز ومارك تيرنر (67). فهم جديدي للكيفية التي يعمل بها العقل أمر لا غنى عنه في مجال الفنون والإنسانيات على الأقل لسببين:

السبب الأول: إن الوسيلة الحقيقية للفنانين - مهما كان الجنس الفني الذي ينتمونه - هو تمثيلات عقلية إنسانية. فالرسم الزيتي، والأعضاء التي تتحرك، والكلمات المطبوعة لا تستطيع أن تتفقد مباشرة إلى الدماغ، إنها تشعل شلالاً من أحداث حسية تبدأ بالأعضاء الحسية وتبلغ الذروة في افكار، وعواطف، وذكريات. علم تعرفه وعلم الأعصاب المعرفية الذي يخطط الشلال يقدمان ثروة من المعلومات إلى من يريد أن يفهم كيف يتجزئ الفنانون تأثيراتهم. ويستطيع البحث البصري أن يسلط الضوء على الرسم والتحت (68). وعلم نفس السمعيات واللغويات يستطيع أن يفتي دراسة ترسيقا (69). ويستطيع البحث العقلي المجازي أن يساعد في شرح أساليب النشر القصص. أن تقدم بصيرة في الشعر والصورة والأملوب الأدبي (70). وتستطيع نظرية نقل (سيكولوجيا الحدىس) أن تسلط الضوء على مشدرتا بيان نستنتج بموالم نيالها(72). دراسة الانتباه البصري والذاكرة القصيرة تساعدنا في تفسير تجربة فيرنا(73). ويستطيع علم الجمال التطوري أن يساعد في تفسير مشاعر الجمال واللذة التي نراها(74).

بالمناسبة، كان الرسامون الحدائون الأوائل مستهلكين نهمين لبحث الإدراك. ويرا أن غيرلرود شتاين الذي درس علم النفس مع وليم جيمس في هارفارد وأشرف على بحث الانتباه البصري هو الذي عرفهم عليه(75). وكان مصممو Bauhaus والفنانون أيضاً من متدحي السيكولوجيا المفهومية، خاصة مدرسة الفشتالت المعاصرة (76). لكن الانسجام قد قُتدَ بينهما انجرفقت الثقافتان وانفصلتا عن بعضهما، لكنهما ما لبثتا أن عادتا لتلتقيا حديثاً فقط. أتوقع أن تطبيق علم المعرفة وسيكولوجيا الشوء على الفنون سيصبح منطقة نمو في مجال النقد والمعرفة.

السبب الثاني: أما نقطة الاحتكاك الأخرى فقد تكون أكثر أهمية. في النهاية، ما يشدنا إلى عمل فني ليس فقط التجربة الحسية للوسيط بل محتواه الماطفي ومدى ميزته في الشرط الإنساني. وهذا ما يظهر في المأسى غير الزمنية لحنثا البيولوجية:

فأنا، معرفتها، وحكمتها المحدودتان، والفروقات فيما بيننا، وصراعات مصالحتنا مع أصدقائك، وجيران، وأقارب، ومحبين لنا. هذه كلها موضوعات علوم الطب البشري.

فمفكرة أن الفن يجب أن يعكس السمات الدائمة للنوع البشري ليست فكرة جديدة. يعلق صموئيل جونسون - في مقدمة طبيعته لمسرحيات شكسبير على التوجه الدائم إلى ذلك العالم النفسي الحدسي العظيم:

لا شيء يستطيع أن يعثع الكثيرين، ويعثع طويلاً، سوى تمثيلات فقط من طبيعة عامة. معايير محددة قد تتكون قلباً من الناس يعرفونها، وبالتالي قلباً من الناس فقط يمكنهم أن يحكموا إلى أي درجة من الدقة قد نسخت، عمليات الدماغ غير المنتظم للابتكار الخيالي قد يعثع لفترة، لكن تلك الجودة التي برسلنا فيها الإشباع المشترك الحياتي في البحث. بيد أن مفذات العجب المفاجئ سرعان ما تتضب، والفن يستطيع أن يركز إلى استقرار الحقيقة فقط.

في أيامنا هذه، ربما نشهد تحولاً جديداً في الاستكشافات للشرط البشري، التي يقدمها لنا الفنانين والعلماء. ليس لأن العلماء يحاولون الاستيلاء على الإنسانيات، بل لأن الفنانين وعلماء الإنسانيات قد بدؤوا يتطلعون إلى العلوم - أو على الأقل - إلى مجموعة ميادين علمية ترانا كمنوع ذي موهبة سيكولوجية معقد. في تفسير هذه العلاقة ليس لدي أمل أن أدخل في مناقشة مع كلمات الفنانين أنفسهم، وسوف اختتم باقتراحات ثلاثة روايتين جديتين.

إيريس مردوخ، مسكونة بأصول الحس الأخلاقي، تعلق على قدرة احتمالها في ميدان الرواية.

إننا نصوص - في نواح كثيرة - وليس في جميع النواحي - الأنواع نفسها من الأحكام الأخلاقية مثلما فعل الإغريق، فتميز الصالحين أو المحترمين في أوقات وأدب قصبة عن زمنا وأدبنا: باتروفولوس، أنتيجون، كورديليا، مسترناتالي، وأليوشا. طبة باتروفولوس الراسخة، وإخلاص كورديليا، وأليوشا وهو يخبر أباه الا يخاف من الحجم أمر مهم أن يكون بروفولوس طيباً مع الأسيرات مثلما ينبغي أن تتكون إما Emma طبة مع الأنسة بيثس Bates. إننا نشعر بهذه الأهمية بطريقة مباشرة وطبيعية في كلنا الحائتين على الرغم من حقيقة أن ثلاثة آلاف سنة تفصلنا عن هؤلاء الكتاب. وعندما يفكر المرء في هذا، فإنه شهادة ممتازة على وجود طبيعة بشرية دائمة.

1. من بيوت Byatt اختار قصة شهزاد عندما سألته محررو مجلة نيوزويك نايجز عن أفضل عمل قصصي في الألفية:

القصص في ألف ليلة وليلة هي قصص حول سرد القصص دون توقف لتتكون قصصاً عن الحب والحياء والموت والمال والطعام وضروب إنسانية أخرى. فالسرد في معظمه جزء من الطبيعة البشرية مثل التنفس ودورة الدم. لقد حاول الأدب الحديث الاستغناء عن قص القصص التي عندما سوقية واستبدلتها باستعادة الماضي، وشجيات، وإشارات الوعي. لكن قص القصص أمر جوهري للزمن البيولوجي الذي لا نستطيع الهروب منه. فحكما قال باسكال: الحياة مثل العيش في سجن، منه يؤخذ زملاء سجناء كل يوم ويمدعون. إننا جميعاً مثل شهزاد تحت احكام الموت، وتفكر بعيننا كسرديات، لها بدايات، ووسط، ونهايات (78).

طالب جون أديك updik أيضاً بالتأملات عند نهاية الألفية، وعلق على مستقبل بعينه: "كاتب القصص ككذاب محترف، إنه - بشعكل متناقض - ممسوس بما هو صحيح ووحدة الحقيقة - على الأقل بالنسبة لكاتب قصة - هي الحيوان البشري للتمي إلى نوع الإنسان العاقل. لم يتغير طوال ما لا يقل عن مائة ألف سنة.

يتحرك التشوه ببطء أكثر من حركة التاريخ، وأبطأ بكثير من لقاعة القرون الحديثة. السوسيوبولوجيا مفترى عليها - بشكل تأكيد - في بعض الأوساط العلمية - إذ يقدم خدمة مفيدة في تقصي ما هي الخصائص الفطرية، وما هي الخصائص المكتسبة. ما نوع البرنامج الحاسوبي الثقافي الذي يستطيع أن يدعم المكتابات القاسية writing - hard الناشئة؟ فالقصة في تلمسها طريقاً، مرسومة تلك التحفظات من الضيق عندما يطالب المجتمع بما هو أكثر من استطاعة أفراد أن يقدموا، أو أن يمتدوا أن يقدموا. يخضع الناس العاديون لاحتكاك بما على الصفحة، وهو ما يدفن أيدينا وقربنا بينما نكتب.

تتكون إنسانين يعني أن تكون في الشرط القاسي المتوتر لاستشراف الموت، وهي حيوانات شهوانية libidinous. ما من مخلوق آخر أرضي يعاني من مقدرة على التفكير، وتفريد كبير لممكنات متصوره لكن محبطة، مقدرة مزعجة لمسألة الأضرار السبقة والبيولوجية. مخلوق متناقض ومبدع جداً يخلق تركيزاً ممتاً لا نهاية له للتعبير التاملي القصصي. يبدو لي صحيحاً أن الإنسان العاقل لن يستقر في أية يونوبيا

(مدينة فاضلة)، راضياً عن نفسه بحيث يستريح من ككل الصراعات، ويلقي جميع الانحرافات المولدة للفقر والحاجة (79).

كما قال العلامة روبرت ستوري، الأدب له ثلاثة أصوات: أصوات المؤلف، وصوت المستمع، وصوت النوع (80). يذكرنا هؤلاء الروائيون بصوت النوع - الذي هو محور أساسي من مكونات جميع الفنون، وموضوع ملائم اختتم به قصتي الخاصة.

القسم السادس

صوت النوع

لقد كانت الصفحة البيضاء طويلاً جداً. لقد قدمت وعداً أن تجعل من المتعذر دفاع عن العنصرية، والتمييز ضد النساء، والتمييز الطبقي لقد بدت أنها متراس يحوّل ذلك النوع من التفكير الذي أدى إلى مذبحه إثنية. وكان هدفها أن تمنع الناس من الانزلاق في قدرة هجة حول المساواة الاجتماعية التي بالإمكان منع حدوثها. كلما سلط الضوء على التعامل مع الأطفال، والناس البارعين، والمهمشين بذلك، أصبحت الصفحة البيضاء جزءاً من إيمان علماني، وبدت أنها تشكل الديمقراطية العامة في عصرنا.

لكن الصفحة البيضاء كان لها، ولا يزال لها - جانب مظلم هائل الفراغ الذي نبشته في الطبيعة البشرية ملأته أنظمة شمولية متلفنة، ولم تفعل الصفحة البيضاء شيئاً لتعجز هذه الأنظمة. إنها تمنع التعليم، تربية الأطفال، والتفكير في أشكال من نسبة اجتماعية. إنها تعذب الأمهات اللواتي يملحن خارج المنزل، والوالدين اللذين لم يسمح أبناؤهما ككماً بحبان، إنها تهدد البحث الطبي الحيوي على أنه خارج عن تفكير، البحث الذي يستطيع أن يضع حداً للعباد الإنساني. لازمها: الهجي التبول - تدعو إلى الضكراهية لمبادئ الديمقراطية، ولحكم القوانين، وليس لحكم البشر. إنها تبني عن عيوبنا المعرفية والأخلاقية. وفي الأمور السياسية فقد رفعت عقائد جديدة فوق البحث عن حلول عملية.

الصفحة البيضاء ليست مثلاً أعلى علينا أن نأمل ونعطي لأن يكون صحيحاً. فلا إنها معاكسة للحياة، وتجريد نظري مناهاض للبشر، تجريد ينكر إنسانيتنا لتربكة، وإهتماماتنا القطرية، وما نفضله ككافراد. فمع أن فيها مزاعم الاحتفاء بأهميتنا، إلا أنها تفعل العكس. لأن أهميتنا تأتي من التفاعل الدمجي لقدرات مقدرة، رائدة، ولا تتأني أهميتنا من بياض سلمي للوح فارغ.

بعض النظر عن تأثيراتها الجيدة والسيدة ، الصفحة البيضاء الخالية هي فضية إمبريقية حول قيام الدماغ بعمله ، ويجب تقويتها من خلال ما إذا كانت صحيحة أم لا علوم العقل ، والدماغ ، والوراثات ، والتطور الحديثة توضح وبشكل متزايد أنها غير صحيحة. النتيجة هي مسمى ينادى نقاشه لإنقاذ الصفحة البيضاء من خلال تشويه العلم والحياة الفكرية: إنكار إمكانية الموضوعية والحقيقة ، وبشكلهم القضائيا في ثايات ، واستبدال الحقائق والمنطق بمواقف سياسية.

أصبحت الصفحة البيضاء محصنة جداً في الحياة الفكرية لدرجة أن منظور العمل دونها قد يكون غير حاسم وعميق. في موضوعات بدءاً من تربية الأطفال ، إلى الرغبات الجنسية ، من الأطعمة الطبيعية إلى العنف ، افكار بدت مسألتها أمراً غير أخلاقي ، واتضح أنها ليست فقط قابلة للمساءلة بل من المحتمل أنها خاطئة. فخر الناس الذين ليس لديهم فأس أيديولوجية لكي يشحنوها ، يشعرون بدوار عندما يظنون أن معمرات كهذه قد تم انتهاكها: أيها العالم الجديد الشجاع ، الذي فيه أمثال هؤلاء الناس! هل يفضي العلم إلى مسكان تمد فيه الأهواء أمراً حسناً ، حيث بالإمكان إهمال الأطفال ، وحيث تلقى النزعة المحكافية القبول ، وحيث عدم المساواة والعنف يتقابلان بلا مبالاة ، وحيث الناس يماملون ككالات؟ ككلا على الإطلاق فمن طريق فك أغلال قيم مشتركة على نطاق واسع عن معتقدات واقعية هاجمة. يصبح المبرر لتلك القيم أكثر وضوحاً. إننا نفهم لماذا ندين الانحياز ، والتسوية تجاه الأطفال ، والعنف تجاه النساء ، وبممكننا أن نركز جهودنا على تحقيق الأهداف التي نقدرها كثيراً. إننا بذلك نحمي تلك الأهداف من ثورات الفهم الحقيقي الذي يندمه العلم دائماً.

التخلي عن الصفحة البيضاء – في أي قضية – ليس أمراً جديراً كما يبدو للوهلة الأولى. صحيح أنه ثورة في قطاعات عديدة من الحياة الفكرية الحديثة. لكن باستثناء فئة من المثقفين الذين تركوا نظرياتهم تعطي أفضل ما عندها ، إنها ليست ثورة في الآراء العالمية لمعلم الناس. إنني أشك أن فئة من الناس تعتقد فعلاً – في أعماقهم – أن الصبيان والبنات هم قابلون للتبادل *inter changeable* ، وأن جميع الفروقات في النظاه تأتي من البيئة ، وأن الآباء يستطيعون تصغير *micromanage* شخصيات أبنائهم ، وأن البشر مولودون خالين من ميول إنانية ، أو أن قسماً محببة ، وأحياناً ووجهها هي عبارة عن تركيبات اجتماعية عشوائية. مارغريت ميد – أيقونة المطالبة بالمساواة في القرن

تشرين - أخبرت ابنتها أنها كانت تمزو موهبتها الفكرية إلى مورثاتها ، وأستطيع أن
إيت أن شخصيات منقسمة كهذه أمر شائع في أوساط الأكاديميين (1) ، العلماء الذين
يتكبرون علانية أن الذكاء هو مفهوم مكتمل المضم ، فإنهم يعاملونه مثل أي شيء
يكن دون معنى في حياتهم المهنية. والذين يجادلون أن الفروقات بين الجنسين هي بنية
بيماغية قابلة للمكس لا يعاملونها بتلك الطريقة في نصلاتهم إلى بناتهم ، وفي
تأملاتهم مع الجنس المقابل ، وغيبتهم غير الراقية ، والدعابة ، والتأمل في حياتهم.

الإقرار بالطبيعة البشرية لا يعني الانقلاب على وجهات نظرنا الشخصية عن
العالم ، ولن يكون لدي شيء اقترحه كبدل إذا ما كان انقلاباً. إنه يعني فقط سحب
الحياة الفكرية من عالمها الموازي ، وتوجيهها من جديد مع العلم ، عندما يكون العلم
حاملًا لها ، بإدراك سليم البديل هو أن نجعل الحياة الفكرية غير متعلقة بالشؤون
البشرية وبشكل متزايد ، وأن نحول المثقفين إلى مناققين ، وأن نحول شكل امرئ آخر
إلى مناهض للمثقفين.

العلماء والمثقفون العامون ليسوا الوجوديين الذين فكروا ملياً بالكيفية التي يعمل
بها العقل نحن جميعاً علماء نفس ، وبعض الناس دون استخدام أوراق اعتمادهم - هم
علماء نفس عظام. من بينهم الشعراء والروائيون الذين عملهم هو أن يبدعوا تصورات
عامة للطبيعة. في المناخ الثقافي اليوم قد يكون الروائيون مهتلين أكثر وضوحاً من
العلماء لقول الحقيقة عن الطبيعة البشرية. فالتاس المثقفون يزدهرون المسرحيات
الطوميدية التي (تفرش) - والرومانسيات المحلاة بطبقة من السكر ، التي نهاياتها
الضغامة مرتبطة بحياة من هم سعداء. فالحياة ليست كذلك ، لأننا نتطلع إلى الفنون
من أجل التوفير حول المعضلات المؤلمة للشرط البشري.

عندما يصل الأمر إلى علم الكائنات البشرية يقول هذا المستمع: أعطنا العاطفة
schmerz "فالتشاوم بعد انتقاداً شرعياً للملاحظات الطبيعة البشرية ، ويتوقع الناس أن
تكون النظريات رافعة وجدانية. فكما قال جورج برناردشو لم يكن لدى شكسبير
وجدان ، وليس لدي أنا كذلك. لم يكن هذا اعترافاً يتم عن اضطراب عقلي بل إثباتاً
لكاتب مسرحي جيد ، والزاعم بأن يأخذ وجهة نظر كل شخصية على محمل الجد.
لدى علماء السلوك البشري الواجب ذاته ، ولا يطلب منهم أن يتخلوا عن وجدانهم في
الأجزاء التي تمارس فيها هذه الضمائر.

لقد قدم الشعراء والروائيون أفكاراً عديدة لهذا الكتاب ببطانة أمكبر ومفردا أكثر مما قد يأمل أن يقوم به أي أكاديمي مبتدئ. إنهم يسمحون لي أن أختتم الكتاب بمراجعة بعض موضوعاته الرئيسية ، وليس لتكرارها وحسب. إليك خلاصة نصوص أدبية تحتوي – بالتسوية إلي – بعضاً من مناقبيات علوم الطبيعة البشرية. إنها تبرز أنه ينبغي أن تواجه اكتشافات تلك العلوم لا من منطلق الشوف والتكرار بل بالاتزان والفتنة اللتين تستخدمهما عندما تتعكفر بالطبيعة البشرية فيما ينشأ من حياتنا:

الدماغ / أكثر اتساعاً من السماء

لأنك إذا ما وضعتما جنباً إلى جانب

فإن الدماغ سوف يحتوي السماء

بشكل سهولة – واثت مضاهياً إليها.

الدماغ أعمق من البحر.

لان – إن تمسك بهما – أترق إلى أترق

فإن الواحد سوف يمتص الآخر

مثلما يمتص الإسفنج ، أو كلما تفعل الدلاء (جمع دلو).

الدماغ هو نعمة من الله

لأن وزنهما رطل مقابل رطل

وسوف يختلفان – وإن يختلفا

مثل اختلاف مقطع الكلمة عن الصوت.

هذه الأبيات الشعرية هي للشاعرة الأمريكية إميليا ديكتسون "الدماغ أوسع من السماء إما يعبر عن العظمة في النظر إلى العقل على أنه محتوى في نشاط الدماغ (2) فهنا وفي قصائدها الأخرى تشير ديكتسون إلى "الدماغ" ليس على أنه "الروح" أو حتى "العقل" وكأنما لتذكر قراءها أن مستقر فكرنا وتجربتنا كتلة من مادة. نعم، العلم – بمعنى من المعاني – "مقتضياً" إيانا إلى عمليات فيزيولوجية لعضو ليس جذاباً لا يبدو وزنه ثلاثة أرطال لكن بنا له من عضواً فسي تمقيده المذهل وحوسبته الدجيبة المتفجرة، وقدرته غير المحدودة على تخيل عوالم حقيقية وافتراضية، الدماغ حقا هو

أوسع من السماء، والقصيدة ذاتها تثبت ذلك. لفهم المقارنة في شكل بيت، دماغ القارئ يجب أن يستوعب السماء، والبحر، وأن يرى شكل واحد في المجال نفسه مثل الدماغ ذاته. أما البيت الأخير بصورته المنهضة لله والدماغ موزونان مثل نبات اللقوف قد حُبر اقراء منذ نشر القصيدة، فيقرؤه البعض على أنه نزعاً إبداعية creationism (الله خلق الدماغ، بينما يقول آخرون أنه يعني أن الدماغ هو الذي صاغ مفهوم الله. التشبيه في علم الأصوات). في استمرارية seamless، المقطع هو وحدة مفردة له، يوحي بنوع من وحدة الوجود. الله موجود في شكل ممكان، ولا في أي مكان، وشكل دماغ يتقنص مقداراً من الألوهة. وتنب الفظة loophole "إن يملوا" توحى بالصوفية: الدماغ والله قد يكونان - بطريقة ما - الشيء ذاته، وهذه الفكرة بطبيعة الحال هي فكرة عرفانية لخصوصية. ليس متعدد بشكل تأكيد، وأشك أن يتمكن من فهم ذلك أن يدافع عنه إنه التفسير الصحيح.

أحب أن أقرأ البيت على أنه يعني أن العقل - في التفكير بمكانه في الكون - في إحدى مراحل يصل حدوده، ويتحول في الغماز يبدو أنها تنتمي إلى عالم إلهي منفصل فالإرادة الحرة والتجربة الشخصية - على سبيل المثال - غريبتان عن مفهومنا للسببية نفسها مثل شرارة إلهية داخلنا. فالأخلاقية والمتمنى يبدو أنهما موجودان في واقع يوجد مستقلاً عن أحكامنا. لكن ذلك الانفصال قد يكون وهماً دماغياً يجعل من الحال - بالنسبة إلينا - ألا تفكر أنهما منفصلان عنا. في نهاية المطاف ليس لدينا سبيل لأن نعرف، لأننا نحن نكون أدمقتنا، وليس لدينا سبيل لأن نخطو خارجها لكي نتأكد. لكن إن تمكن بذلك في شركتي، فإنه شَرَكْتُ بالكساد نستطيع أن نندبه، لأنه أكثر اتساعاً من السماء، وأعمق من البحر، وربما ثقيل الوزن مثل الله.

قصة سكورت فون غوت بطوان /هاريسون بيرغريون Bergeron / قصة شفافة وغامضة مثل قصيدة إميليا ديكنسون، واليك بدايتها: كانت السنة 2081، وكان كل واحد في النهاية نداءً - إنهم لم يكونوا متساوين فقط أمام الله والقانون بل كانوا متساوين من كل ناحية. لم يكن أحد أكثر ذكاءً من أي واحد آخر، ولا واحد أكثر وسامة من أي شخص آخر. لا أحد كان أقوى أو أسرع من أي أحد آخر. كل هذه المساواة كانت بفضل تديلات المواد: 211، 212، و213 من الدستور، وإلى السهر الذي لا يتوقف لعملاء الولايات المتحدة Handicapper General (3).

الجنرال هاندي كاهن يفرض المساواة من خلال تحييد أي أصول موروثا (التميز غير مستحقة). على الناس الأذكى أن يضعوا أجهزة لاسلكي في أذانهم مولدة على محطة بث حكومية ترسل ضجة حادة ككل عشرين ثانية (مثل صوت زجاجة حلب ضربت بعطرفة) لمنعهم من القيام باستخدام شير مبرر لأدعيتهم ورافعات اليه مزودات بحقائب bird shot ، ووجودهن مطبأة بأقنعة بحيث لا يستطيع أحد أن يسمع بسوء لدى رؤية من هي أحلى أو أبهى منهن. أما مذهبو الأخيار فقد تم انتقالهم على عدم سلامة النطق لديهم. يظل القصة مراهق موهوب جداً مجبر أن يضع سماعات على أذنيه، ونظارات سميتكة مموجة، وثلاث مائة رطل من الخرقة، وتلبسات سوداء، على نصف أسنانه. القصة حول عصيان سيه المصير.

إنها ليست مابكرة، لكن هاريسون بيرغرون هو تبييه ونتاج لمغالطة شائعة للز الأعلى لمساواة سياسية ليس ضماناً. فالناس - فطرياً - لا يمكن التمييز بينهم إما سياسة لمعاملة الناس في أجواء محددة (العدالة، التربية، والسياسة) على أساس مراتب الفردية، بدلاً من إحصاء لأي جماعة ينتمون. وهي سياسة للتعرف على حقوق غير قبل للاستلاب من جميع الناس لكونهم كائنات بشرية عاقلة. السياسات التي تركد على أن الناس متطابقون في نتائجهم يجب أن تفرص تكاليف على البشر - مثل جميع الأشياء الحية - يتفاوتون في قدراتهم البيولوجية. وظالما أن المواهب نادرة - بحكم تعريف المواهب - وبالإمكان تمييزها في ظروف نادرة فقط، فإن من الأسهل أن تميز مساواة فورية بإزالة القيمة (وبذلك حرمان ككل واحد من ثمار مواهب الناس)، أكثر من رفع من هم في الأسفل. في قصة فون غوت امريكتكا عام 2081 الرئحية بتحقيق مساواة النتيجة تم تقديمها كمارس fierce ، لكن في القرن العشرين فقد أدت إلى حرمان حقيقة ضد البشرية، وفي مجتمعنا الضمنية ككلها تعد في أغلب الأحيان محرماً taboo فون غوت ككاتب محبوب لم يتهم بأنه عنصري، أو منحاز ضد النساء، /نخبوي، أو دارويني اجتماعي. تخيل ردة الفعل لو أنه قال رسالته في جمل سريحة بدلاً من لتضمينها في قصة ساخرة. ككل جيل لديه "جواكويره Jokers المصنوع من مبرم مسرحيات شكسبير إلى ليني بروس، الذي أعطى صوتاً إلى الحقائق التي لا يمكن ذكرها في مجتمع مهذب. الكتاب الفكاهيون - في يومنا هذا - من أمثال فون غوت الذين يعملون بدوام جزئي، والمفترغون للكتابة مثل ريتشارد براهور، وديف جاري. وكتاب /The Onion/ مستثمرون في ذلك التراث.

خيال فون غوت المخيف مُنَّت ككفارس كتصنعة كاملة ، تمكن الخيالات الأكثر شهرة فقد قدمت ككفابوس رواية طويلة. رواية جورج أورويل 1984 هي تصوير حي لما ستكون عليه الحياة إذا ما تم استقراء المسارات القمعية للمجتمع والحكومة في المستقبل. في منتصف القرن الذي تلا نشر الرواية تمت إدارة تطورات عديدة بسبب علاقته بالعالم أورويل: ككراهية الحكومة ، بطلاقة الهوية الوطنية ، ككاميرات المراقبة ، البيانات الشخصية على شبكة الإنترنت، وحتى في الإعلان التجاري الأول للترويج بحاسوب ماكنوتوش وIBMPC. ما من عمل قصصي آخر كان له مثل هذا التأثير على زواج الناس حول قضايا العالم الواقعي.

رواية 984 ، كانت أدباً لا يمكن نسيانه. وليست خبطة سياسية بسبب الطريقة التي فكّر بها أورويل عبر التفاصيل للكيفية التي يعمل بها مجتمعه. ككل مكتوب من الكابوس يتداخل مع مكتوبات أخرى ليشكل كلاً مقولاً وغنياً: الحكومة الكلية الحضور ، الحرب الأبدية ضد أعداء متغيرين ، السيطرة الشمولية على وسائل الإعلام والحياة الشخصية ، لغة الأخبار ، التهديد المستمر بتهمه الخيانة الشخصية.

ما هو معروف أقل هو أن النظام لديه فلسفة صيغت بشكل جيد. وقد تم شرحها إلى ونستون سميت في السلسل المذب الذي يربط (هو) فيه إلى طاولة ويعدبه ، ويحاضر به أحد عملاء الحكومة أوبرايان. فلسفة النظام ما بعد حدائيه بالكامل. كلما يشرح أوبرايان دون أن يستخدم الكلمة (طبعاً). عندما يعترض ونستون بأن الحزب لا يستطيع أن يحقق شعاره "من يتحكم بالماضي يتحكم بالمستقبل ، ومن يتحكم بالحاضر يتحكم بالماضي" فيجيبه أوبرايان:

إنك تعتقد أن الواقع هو شيء موضوعي، خارجي، موجود بذاته. أنت تعتقد أيضاً أن طبيعة الواقع توضح ذاتها بجلاء. عندما تضلل نفسك في الاعتقاد أنك ترى شيئاً ما ، فإنك تقرض أن ككل امرئ غيرك يرى الشيء ذاته كلما تراءى لكفني أخيرك يا ونستون أن الواقع ليس خارجياً. الواقع موجود في العقل البشري، وليس موجوداً في أي مكان آخر. ليس في عقل الفرد الذي قد يرتكب أخطاء، وفي أية حال يهلك سريعاً، فقط في عقل الحزب الذي هو جمعي وخالد (4).

يشرف أوبرايان أنه لأهداف محددة، ككالمبحار في المحيط، من المفيد أن نتخذ من الأرض تدور حول الشمس، وأن هناك نجوماً في المجرات البعيدة، ويتابع قائلاً: كان

باستقامة الحزب ان يستخدم أيضاً علوم فلك بدلية التي تدور فيها الشمس حول الأرض، والنجوم نثرات من النار على مسافة بضخ كيلو مترات. وعلى الرغم من أن أويرباين لا يفسر قوله إلا هذا المشهد، يقول إن ذروة الأخبار هي "سجن اللذة" التي تكفي تعكس بالإنسان وعالمه.

ينبغي أن تعطي محاضرة أويرباين فاصلاً لأن يتوقف المدافعون عن ما بعد الحرب إنها المفارقة أن فلسفة تعزز نفسها في تعكسك السلطة والإجهاد عليها ينبغي أن تنشر نزعة استثنائية تجعل التحديات للسلطة أمراً محالاً، لأنها تعكس وجود مركزيات موضوعية استناداً إليها يصبح بالإمكان تقويم خداع المتفادين في السلطة. والسبب الذي يجب أن توفى الفشرات العلماء الراديكاليين الذين يؤكدون أن علومك علمنا آخرين بنظريات ذات واقع موضوعي (من بينها نظريات حول الطبيعة البشرية) هي فضاء أسلحة للحفاظ على مصالح الطبقة، والجنس gender والأعراق المهمة (5). دون مفهوم حقيقة موضوعية، فإن الحياة الفكرية تتحدرو إلى صراع على من يستطيع أن يغير بشكل أفضل - القوة الخام "السيطرة على الماضي".

مبدأ ثانٍ لفلسفة الحزب هي عقيدة المضموية الخارقة super-organism:

لا تستطيع أن تفهم يا ونستون أن الفرد هو مجرد خلية؟ وإنهاك الخلية هو الفرد المضموية. فهل تموت عندما تقطع أطرافه إسمعك؟ (6).

الاعتقاد بأن الجممية (ثقافة، مجتمعاً، طبقة أو جنس gender) هي شيء حرل مصالحه الخاصة، ونظام معتقد يكمن خلف الفلسفات السياسية الماركسية والبرن العلمي الاجتماعي الذي بدأه دوركايم. بين أورويل الجانب العظيم لهذا الاعتقاد: استبعاد الفرد - الضميمة الوحيد الذي يشعر فعلاً بالسرور والألم - على أنه مجرد مُكوّن موجود من أجل زيادة مصالح الضميمة. تحريض ونستون وحببته جوليا تجلب في المسمى إلى المثلثات البشرية البسيطة - المسكر، والقهوة، وورق الكتابة الأبيض. والحديث الخاص، وممارسة الحب عن حب - يوضح أويرباين أن نزعة فردية كهنه لن يتم التسامح جهالها: كن يكون هناك ولاه، إلا الولاء إلى الحزب لن يكون هناك حب. إلا حب الأخ الأكبر Big Brother (7).

يعتقد الحزب أيضاً أن الروابط العاطفية بالأسرة والأصدقاء هي "عادات" تتبدد عاتقاً في سبيل مجتمع يقوم بدوره بكل يمس:

إننا - مسبقاً - نحطم عادات التفكير التي بقيت حية من فترة ما قبل الثورة. لقد قلنا الروابط بين الابن ووالديه، وبين الرجل والرجل، وبين الرجل والمرأة، ما من أحد جزئ أن يثق بزوجة أو بطفل أو بصديق بعد الآن. سيتم أخذ الأطفال من أمهاتهم عند ولادتهم مثلما يأخذ المرء البيض من الدجاجة. الفريزة الجنسية سوف يتم استئصالها. ... إن يكون هناك فارق بين الجمال والقيح (8).

من الصعب قراءة الفقرة دون التفكير بالحماسة الراهنة للمقترحات التي فيها مسؤولون مثقفون متورون يعمدون هندسة تربية الأطفال، والقنون، والعلاقة بين الجنسين في محاولة لبناء مجتمع أفضل.

روايات مطهفة، بالطبع، تعمل من خلال مهالفة مفرطة. بالإمكان جعل كل فكرة تبدو مرعبة في شكل ككارتوني، حتى وإن تكن معقولة في اعتدالها. إنني لا أعي أن أضمن أن اهتماماً بمصالح المجتمع أو في تحسين العلاقات الإنسانية هي خطوة باتجاه النزعة الشمولية. لكن السخرية تستطيع أن تبين كيف أن الأيديولوجيات الشعبية ربما قد نسيت المساوي - في هذه الحالة، كيف مفهوم أن لغة، ففكرة، وبعاطف هي تقاليد اجتماعية توجد فتحة لمهندسين اجتماعيين أن يحاولوا إصلاحها. فما أن تصبح مدرستين للمساوي، لن يكون علينا أن نتعامل مع الأيديولوجيات على أنها بقرات مقدسة نعتبر اكتشافات حقيقة أمراً ثانوياً.

وأخيراً نصل إلى لب فلسفة الحزب. لقد دحض أوبرايمان بدأً من جدال ونستون وديع شكل امرئ بعيداً عن أماله. لقد أخبره إذاً كانت تريد صورة للمستقبل، فتخيل فردة بوط تدوس على وجه بشري إلى الأبد. وبلا نحو نهاية هذا الحوار يكشف أوبرايمان عن الاقتراح الذي يجعل الكابوس كله أمراً ممكناً والذي زيجه - كما قد نفرض - سيجعل الكابوس أمراً محالاً.

كالمعتاد دفع الصوت ونستون إلى حالة العجز. زد على ذلك، فقد اعتراه الخوف من أن يستمر في معارضة أوبرايمان لأنها سوف تجدد مدة التعذيب لثانية. ومع ذلك لم يكن باستطاعته أن يبقى صامتاً. بكل وهن - ودون جدالات - لا شيء يدعّمه سوى ربه الخفي مما قد قاله أوبرايمان، فقد عاد إلى الهجوم.

لا أعرف - لا أبالي، بطريقة ما سوف تنشئ شيء ما سيهزمك الحياة، سوف تلحق بك الهزيمة؟

نحن نتحطمك بالحياة باونستون ، في جميع مستوياتها. إنك تتخيل أن هناك شيئاً يدعى طبيعة بشرية سوف تتورق لنا لتعمل نحن، وأنها سوف تتقلب ضدنا. لكننا نمر بتلق الطبيعة البشرية. فالتناس مطواعون بلا حدود" (9).

الأعمال الثلاثة التي ناقشتها تعليمية ولا تستقر في أي زمان ومكان موجودين أو العلمان الترقبان فهما مختلفان. كلاهما متجذران في ثقافة ، وفي بيئة محلية. وفي عصر. وكلاهما لهما نكهة لفة شخصياتهما ، وبيئاتها ، ولسانها الحيانية لقد حذر كلا المؤلفين قراءهما من إصدار تعميمات من القصتين مع ذلك ، كلا المؤلفين مشهوران بصيرتهما داخل الطبيعة البشرية ، وأعتقد أنني لا أبخسهما حقهما من خلال تقديم أحداث من عملهما في ذلك الضوء.

مغامرات هكلميري حين - مارك توين - على وجه الخصوص مصدر خطر لاستبطاء دروس ، لأنه يبدأ بالأمر التالي الذي يصدره المؤلف: الأشخاص الذين يحاولون أن يجدوا دافعاً في هذا المررد سوف يتم اضطهادهم. والأشخاص الذين يحاولون العثور على مبرر أخلاقي فيه سوف يتعرضون إلى النفي، والذين يحاولون التوبة بدرجة المزدوجة. يوضح هكلميري حين لنا أن تقاطع الضعف قبل الحرب في الجنوب، وتقاطع ضعف الطبيعة البشرية - كلما ترى من خلال عيون اثنين من الهج النبلاء الذين يمسدان تقاطع الضعف هذه أشياء ركوبهما القارب في مجرى نهر المسيسيبي.

هكلميري حين يمزج في عيوب بشرية كثيرة ، لكن العنصر الأكثر مأساوية وكوميدياً هو أصل العنف في ثقافة عمادها الشرف. ثقافة الشرف هي قلباً سيكولوجيا الشرف؛ رزمة عواطف تتضمن ولاهً للقررب، وجوعاً للانتقام، وحافزاً للحفاظ على سمعة الشجاعة والخشونة. فندما تشعل ذنوب بشرية أخرى الحسد، الشهوة، وخداع النفس ، فإن باستطاعتها أن تقدم وهوداً لدورة عنف شديدة، بينما يجد كل جانب نفسه غير قادر أن يتخلص عن الانتقام من الآخر. فدورة العنف قد تصبح موسعة في أماكن محددة، من بينها الجنوب الأمريكي.

لقد تعرف "هاك" إلى ثقافة الشرف في مناسبتين حدثتا في تعاقب سريع الأول عندما أوى إلى زورق على متنه خمسة رجال مضمورين فبعد أن أوشك أحدهم أن يهب

البيت الخامس عشر من أغنية جنسية، نُشبت مشاحنة حول شيء ثافه، واستعد الرجلان للقتال.

أضخم رجل على متن الشارب يدعى بوب قفز في الهواء ضارباً كعبيبه ببعضهما وصاح "وو.. وب"، أنا ذو الفك الحديدي الأصلي، المنطى بالتحاس الأصفر. صناع الجثث ذو البطن النعاسي الأحمر من براري أركانسو. انظروا إليّ. أنا الرجل الذي يسمونه الموت المفاجئ والدمار العام، بسيرتي إحصار. ويلمثني الزلزال، أخ الكولورا، وتقريباً على علاقة بالجديري على خصر الأما انظروا إليّ! التاول 19 تمساحاً وبرميلاً من الوبسكي على القطور عندما أكون في تكامل مسحتي، وبشلاً من أفاعي الجرس، وجسم ميت عندما أكون مريضاً. إنني أقسم الصطور العسدة بنظرتي، وأخرب الرعد عندما أتكلم! وو.. وب! تراجعوا إلى الخلف واعطوني حيزاً يناسب قوتي! الدم مشروب الطيب، ومنديبة المحترس هي موسيقى أذني. انظروا إليّ أيها السادة! وانبطحوا واحسوا أنفاسكم، لأنني على وشك أن بفلت مني زمام نفسي.

بعدئذ الرجل الذي بدأ التجديف قفز وضرب كعبيبه ببعضهما ثلاث مرات قبل أن يسقط ثانية.. وبدأ يصيح: "وو.. وب! احن رقبتيك وتمدد، لأن مملكة الحزن أتت! تثنوي إلى الأرض لأنني أشعر أن قدراتي تعمل!.. أنا أضع يدي على وجه الشمس فأجعل الليل يحل على الأرض، أعرض قطعة من القمر فأسرع القصور، أهز نفسي فتصدع الجبال! تأملوني عبر الجلد - لا تستخدموا العين المجردة! أنا الرجل الذي قلبه من صخر، وأحشاؤه من حديد! مجزرة الجماعات الممزولة هي نسائية لحظات خمولي، ودمار الأمم هي الشلل الجدي لحياتي! الاتساع اللامحدود للصحراء الأمريكية العظيمة هو ملكيتي الخاصة، وأدهن الموتى على مقدماتي!.. وو.. وب! احن رقبتيك وانتشر، لأن ابن البلايا المدلل أت!" (10)

دارا، وطار ككل منهما باتجاه الآخر، وأوقع ككل منهما قبعة الآخر حتى قال بوب،
كما يصفه هاك Huck:

لا بأس! هذه إن تكون الأخيرة من هذه الأشياء، لأنه سكان رجلاً لم يكن ينسى أبداً، ولا يسامح أبداً. لذلك من الأفضل للطفل أن يحترس لأنه كان هناك وقت أت. سلما أنني متأكد تماماً أنه كان رجلاً حياً، كان عليه أن يرد عليه بالدم الأفضل في بسده. قال الطفل أن ما من إنسان أكثر رغبة منه أن يحين ذلك الوقت، وأنه سيعطي

بوب إنداراً عادلاً، الآن، ألا يجتاز دريه ثانية، لأنه لا يستطيع أن يستريح حتى يحير
في دمه، لأنها تلك كانت طبيعته، مع أنه كان يبقي عليه الآن لأن وراه أسرة. في
كانت لديه أسرة (11) وبعدئذ، صبي ذو سالفين سوداوين أرسلهما متبلطحين تصافح
بعيون سوداء وأنفين حمراوين، وقالا أنهما كانا يحترمان بعضهما، وانفعا على أن
جري قد جرى.

لاحقاً في الفصل ذاته، يسبح هاك إلى الشاطئ ويتشر بكناين عائلة غرنتز
فورز. هاك متجهداً في مساره من كلاب خطيرة، حتى أتى صوت من النافذة يناديه:
يدخل الكناين ببطء. يفتح الباب، فيجد نفسه محددقاً إلى سبطانات ثلاث بنقل
وعندما يرى غرانتز فورز أن هاك ليس شيبيرسون – اسم الأسرة التي كانوا في شغل
معها – يرحبون به ويطلبون منه العيش معهم. يؤسر هاك بحياتهم الطيفة: أنهم
الجميل، ملابسهم الأنيقة، وأخلاقهم العالية، خاصة البطريرك الكولونيل
غرانتز فورز. لقد كان سيداً مهذباً من رأسه حتى قدمه، وكذلك كانت أسرته
كان نبول التسب، وذلك يساوي الكثير في الرجل بقدر ما يساوي في حصان.

ثلاثة من أبناء غرانتز فورز الستة قد قتلوا في النزاع، والتاجي الأسفر عند
صدقة مع هاك. عندما يذهب الصبيان في نزهة، ويطلق باك Buck النار على صبي من
عائلة شيبيرسون، يسأل هاك لماذا يريد أن يقتل شخصاً لم يفعل ما يؤذيه؛ يشرح له باك
مفهوم المبارزة:

يقول باك: حسنأ المبارزة هي كما يلي: رجل في شجار مع رجل آخر، ويقفه
بعدئذ أخو القتل يقتل القاتل، ثم يذهب أخوة الآخر في طلب الآخر ثم أولاد الدم.
وبالتدرج حتى يقتل كل واحد ولم يعد هناك ثار. لكنه بطن نوعاً ما، ويستغرق فترة
طويلة.

- هل هذا الثار مستمر منذ فترة طويلة يا باك؟
- حسنأ أظن ذلك. لقد بدأ قبل ثلاثين سنة. وكانت هناك مشكلات حول شي
ما، ومن ثم دعوى لحسم الأمر، فكانت نتيجة الدعوى ضد واحد من الرجال، لذلك
قتل الرجل الذي ربح الدعوى – هذا هو الشيء الذي يفعله بشكل طبيعي، وأي شخص
كان سيفعل ذلك.

- حول ماذا كانت المشكلة، يا باك؟ حول قطعة أرض؟

- اظن ذلك، ربما، لا أعلم.

- حسناً من قدام بإطلاق النار؟ هل هو فرد من غرانفورد أم من عائلة

شيبردسون؟

- "قوانين، كيف لي أن أعلم؟ كان ذلك منذ زمن بعيد"

- الا يعلم أي واحد؟

- أوما أجل، والذي يعلم، كلما اظن، وبعض من العجائز، لكنهم لا يعرفون

الآن دور من كان في المقام الأول" (12).

يضيف بانك أن الشار مستمر بين العائلتين بدافع الإحساس بالشرف كيمس هناك جيان في عائلة شيبردسون. وليس هناك جيان في عائلة غرانفورد أيضاً (13) يتوقع الفارق مشكلة لكن سرعان ما تحل فتاة من أسرة غرانفورد هربت مع صبي من شيبردسون، فيسرع أهل الفتاة في طلبهما. فيقتل جميع ذكور غرانفورد في كمين نصب لهم يقول هاك كن أروي كل ما حدث لأن ذلك سيجعلني أشعر بالغيثان إذا ما فعلت ذلك، تمثيت لو لم أت إلى الشاطئ تلك الليلة لأرى تلك الأشياء (14).

في مسار الفصل الثاني، تعرف هاك على نموذجين من ثقافة الشرف الجنوبية. وسط القراء كانت تملو لشير عاسفة، وكانت تلمب من أجل الضحك، ووسط الأرستقراطيين أدت إلى هلاك عائلتين، وعرضت في مأساة. اعتقد أن الكتاب كان يلق على المنطق المقلوب للتعف، وكيف أنه يُشرَح نماذجنا النمطية ككائنات من طبقات متدنية وخشنة. فعلاً، التنكسر الأخلاقي لا يقطع فقط الطبقات بل يعكسها: الرماع يخلون نزاعاتهم التي لا هدف لها بكلام فارغ، والسادة يتأبمون قضيتهم التي لا هدف لها إلى نتيجة مرعية.

مع أنها جنوبية كلياً، المييكولوجيا الضاللة للعداوة بين غرانفورد وشيبردسون أمر مألوف في التاريخ والأثوغرافيا في أية منطقة من العالم. (خاصة في تقديم هاك إلى غرانفورد الذي أعيد لعنه ثانية في الوصف الشهير للكتاب نابليون شاغنون لعمارته في الميدان العملي الأنثروبولوجي.) الذي تعثر فيه بعداوة قرية بانومامو، فوجد نفسه وقد حاصرته الكلاب، ويحشد إلى الأسفل فيرى فتحات فيها سهام مسمومة، وهو مشهور أيضاً في دورات العنف التي تستمر بين العصابات، والميليشيات، والجماعات الإثنية، والدول القومية المحترقة. تصوير توابن لأصول العنف المستوطن في سيكولوجيا

فخ الشرف لا زمن لها ، تجعلها - كلما أتوقع - ثدوم أكثر من التغيرات التتبية
وعلاجات المتف.

الموضوع الذي أود أن أعيد هو أن المأساة تكمن في الصراعات الجزئية للتصلي:
الملازمة لجميع العلاقات البشرية. إنني افترض أنني استطعت أن أوضحها في أي عمر
روائي عظيم. نص ادبي أبدي يميّر "عن جميع الثوابت الأساسية للصراع في الشر
الإنساني"، كما قال جورج شتاتير عن أنتيجون. أناس عاديون يجرون احتكاشاً على
الصفحة هو ما يدفن أدينا وقلوبنا بينما نكتب "كما قال جون أهداهن لكن رواية
لغت نظري من خلال عرض الفكورة في عنوانها / اعداء ، قصة حب/ للكاتب اسحق
باشيفز سينغر (15).

سنغر - مثل مارك توين يحتج كثيراً على إمكانية أن قراءه قد يستمرو
أخلاقيات من شريحة حياتية يقدمها لهم. "على الرغم من أنه لم يكن لدي امتياز للير
بتجربة البولوكوست الهلري ، إلا أنني عشت لسنوات في نيويورك مع ناجين من هذا
التمذيب. لذلك أسرع لأقول أن هذه الرواية هي قصة اللاجن النموذجي ، حياته.
وصراعه. . . الشخصيات ليست فقط ضحايا للتأزية بل ضحايا شخصها وأقدارها"
ففي ميدان الأدب ، الاستثناء هو القاعدة ، كما يقول سينغر ، لكن فقط بعد ملاحظ
أن الاستثناء متجذر في القاعدة. لقد كهل المديح إلى سينغر كملحظ حاد النظر: إلى
الطبيعة البشرية ، ليس أقله أنه يتخلل ما يحدث عندما يضع القدر شخصيات عادية في
سأزق غير عادية. هذا هو الخداع خلف كتابه ، والاقتراس الرائع لفيلم 1989 الذي
أخرجه بول مازورسكي من بطولة أنجليكا هيستون ورون سيلفر.

يعيش هيرمان بوردر في بروكلين عام 1949 مع زوجته الثانية يادفيغا yadwiga.
فتاة فلاحه عملت عند والديه كخادمة عندما كانوا يعيشون في بولندا. فقبل عقد من
الزمن أخذت زوجته الأولى تامارا علقليهما كتي تزور والديها ، وبينما كانتا منفصلين
غزا النازيون بولندا. فقتلت تامارا والطفلان ، ونجا هيرمان بعد أن خيأته يادفيغا ، وشقا
طريقهما إلى نيويورك ، بينما كانتا في معسكرات اللاجئين ، وقع هيرمان في حب مانا
التي يقابلها ثانية في نيويورك ، ويستمر معها في علاقة مشبوبة (يتزوجها في آخر
الكتاب). يادفيغا ومانشا هما - من ناحية - مجرد رغبات ذكر: الأولى نية لكنها

بسيطة ، والثانية ساحرة لكنها مدعية. ضمير هيرمان يمنعه من ترك بادفيها . وحبه يمنعه من ترك ماشا. هذا الصراع يجلب اليأس لكل من حوله. لكن سينقر لا بدعنا نكثره هيرمان كثيراً لأننا نرى تكيف أن الرعب التزواني للهولوكوست قد تركه مستشعلاً للقدر ، وليس لديه ثقة بأن قراراته قد تؤثر على مسار حياته. زد على ذلك، يعلق هيرمان - بشكوك كفاف - على ثقافته ، بالتلق الذي يعانيه بصور سينغر حياة هيرمان بأسلوب حكومدي ، وأحياناً أخرى بأسلوب سادي لهذا.

تستمر اللزجة الثاسية عندما يعلم هيرمان أن فيه الكثير من عنصر الخير. يتضح أن زوجته الأولى قد نجت من الرصاصات النازية وهربت إلى روسيا ، ثم انتقلت إلى نيويورك ، وأقامت مع خالها المعجز التقي وعمتها. ككل يهودي في فترة بعد الحرب يعرف عن التنام التمثل العاطفي للناجين الذين شردهم الهولوكوست. لكن التنام شمل الزوج والزوجة اللذين قد طُلِّقَ أنهما ماتا مشهد حرباً بارح لا يمكن تخيله. يدخل هيرمان شقة ريب Reb أبراهام:

- أبراهام: معجزة من السماء يا بوردر ، معجزة ، زوجتك قد رجعت (يقادر أبراهام ودخل تامارا)

- تامارا: مرحباً هيرمان.

- هيرمان: لم أكن أعلم أنك على قيد الحياة.

- تامارا: ذلك شيء لم تكن تعرفه أبداً.

- هيرمان: يبدو الأمر وكأنك قمت من بين الموتى

- تامارا: لقد حكومتنا في حفرة مكشوفة. وطلونا أننا كنا جميعاً موتى. لكنني

زحلت فوق بعض الجثث ، وهربت لبالاً. تكيفت حدث أن خالي لم يعرف أين كنت ، كان علينا أن ننزل إعلاناً في الصحيفة.

- هيرمان: لا أملك شقة خاصة. إني أعيش مع شخص آخر.

- تامارا: ماذا تفعل ، أين تعيش؟

- هيرمان: لم أكن أعلم أنك كنت على قيد الحياة و..

- تامارا: (تبتسم) من هي المرأة المحظوظة التي حلت مكانك؟

- هيرمان: يجيب مندهشاً: إنها خادمتنا. إنك تعرفينها ، بادفيها.

- تامارا: (توتشك أن تضحك)، تزوجتها ، سامحني ، لكن ألم تكن ساذجاً؟
لم تكن تعرف كيف تتعلم جداً. أتذكر أمك تخبرني كيف حاولت أن تضع العز
الأيسر في القدم اليمنى، وإذا ما أعطيت مالا لكي تشتري شيئاً ، كانت تضعه
- هيرمان: لقد أنقذت حياتي.

- تامارا: ألم يكن هناك طريقة أخرى لترد معروفها؟ حسناً ، من الأفضل إلا
أسال. هل رزقت بأطفال منها.

- هيرمان: كلا.

- تامارا: لن أصدق إذا ما كان لديك. ظننت أنك زحفت في السرير معها ، حتى
عندما كنت معي.

- هيرمان: ذلك هراء. لم أزحف أبداً في السرير معها.

- تامارا: أم ، حقاً. حسناً نحن لم نتزوج حقاً. سكل ما فعلناه كان أن نتجال بند
لم نتمكن لتكفّن لي احتراماً ، أو لأفكاراي.

- هيرمان: ذلك ليس صحيحاً. أنت تعرفين ذلك.

- أبراهام: (يدخل إلى الغرفة ، ويخاطب هيرمان) يمكنك أن تبقى معنا حتى تجد
شقة ، الضيافة فعل محبة ، أضف إلى ذلك أنت أحد أقاربنا. وكما يقول الكتاب
القدس أنت لن تخين نفسك عن لحمك.

- تامارا: (مقاطعة) خالي ، لديه زوجة أخرى.

أجل خلال ثوران للثام الشمال الإعجازي ، إنهما يتشاحنان ، ينشان معا تركه
عندما كانا منفصلين قبل عقد من الزمن بالفضى النفس الدهين في ذلك الشهدا ميل
الرجال إلى تعدد الزوجات ، والإحياءات التي يجلبها حكماً. ذكاء النساء الاجتماعي
الأكثر حدة ، وتضليلهن فعلاً عذواناً جسدياً على منافسات رومانسيات.

ثبات الشخصية طوال الحياة. الطريقة التي يستتبع بها السلوك الاجتماعي عن
طريق محددات طرف ما ، خاصة مواسفات أناس آخرين ، بحيث أن شخصين يلبان
على نفس الديناميكية عندما يكونان معاً.

مع أنه مشهد ينطوي على حزن كبير ، إلا أنه مشوب بدعابة بارعة ، بينما
نشاهد الروحين الحزينتين تصوغان فرصتهما لتتعمأ بفرصة نادرة ، فإنهما تتزلفان في

شجار باتس. والمزحة الأكبر لدى سينغر هي علينا. التقاليد الدرامية. وإيمان بالعدالة
الظهورية يقودنا أن نتوقع أن المعاناة قد جعلت هذه الشخصيات نبيلة، وأنا على وشك
أن نشهد مشهداً فيه دراما وانفعالات عظيمة. عوضاً عن ذلك ما كان علينا أن نتوقعه:
كائنات بشرية حقيقية بكل حماقاتها. ولبست الحادثة عرضاً تهكمياً أو معاداة
للإنسان: إننا لا نفاجأ - عندما - بتقاسم هيرمان وتامارا لحظات حب. أو أن تامارا
الحكيمة ستعرض عليه فرصته الوحيدة للخلاص. إنه مشهد فيه صوت النوع: صوت
منيفذ، محبب، غامض، متوقع، وشيء ساحر دائماً نسميه الطبيعة البشرية.

تم بمون الله تعالى

لقد كتب بنكر كتاباً جيداً جداً، وواضحاً، جيد العرض، منصفاً، واسع المعرفة، قوياً، نبهاً، إنسانياً، ومحفزاً. أمل أن يحرسه الناس بدقة قبل أن ينتفضوا أديبولوجياً ضده، إن فعلوا ذلك فإنهم سيرون أن فكرة الطبيعة البشرية فيها عيوب فطرية، لكنها طبيعة غنية بشكل رائع، وهي قوة من أجل الخير لا من أجل الشر.

كولن ماكورين – الواشنطن بوست

ستيفن بنكر ذو معرفة موسوعية، وأسلوب نقاش قاطع، نقاشه في - الصفحة البيضاء - هو أن الحياة الفكرية في الغرب، وأن معظم سياساتنا الاجتماعية والسياسية كانت محكمة - إلى حد كبير - خلال القرن العشرين بنظرة للطبيعة البشرية فيها عيوب أساساً، وأن هذه الهمهمة كانت مدعومة من شيء ما يبلغ درجة إرهاب أكاديمي (إنه لم يطرح هذا بقوة). إننا سوف نستفيد كثيراً من وجهة نظر أكثر واقعية، من الممتع قراءة عرض بنكر لأنه واضح بشكل يحسد عليه، فشرحه لمسألة تقنية صعبة مثل الاختلاف والانتكاس في دراسات التوائم، لن نجد شرحاً أفضل لها، إنه لا يخشى استخدام لغة قوية، يضاف إلى ذلك أن أجزاء من الكتاب مسلية تبعث السرور.

جون ر. سي تيريز – الملحق الأدبي لصحيفة التايمز

يصور كتاب الصفحة البيضاء الحالة الراهنة من التلاعب في مناقشة الطبيعة والتربية، اقرأه كي تفهم ليس فقط العمى الأخلاقي والجمالي لدى أصدفائك، بل أيضاً كي تفهم المتألمة الفضلّة لدى الأمم، إنه عمل رائع، في الوقت المناسب.

فاني ويلدون – الديلي تليغراف

ISBN 978-9953-506-24-7



9 789953 506247 >

Dar Al Farqad



daralfarqad

www.daralfarqad.com